سلسلة الرسائل الجامعية

الدعاوى المعاصرة المناوئة لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

عرضاً ونقداً

بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر إلى العصر الحاضر

تأليف
الدكتور عبد المجيد بن محمد الوعلان

دار إيلاف الدولية
للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م

دار إيلاف الدولية
للنشر والتوزيع

(دار وقفية دعوية)
المدير العام: د. فرحان بن عبيد الشمري
falaslmi@gmail.com

الادارة (الكويت)، الجهراء - مجمع المخيال - هاتف: ٢٤٥٧٠٠٨٢-٩٦٩٩٩١٨٢ (+٩٦٥)
الفرع الأول، الجهراء - مجمع الخير - الدور الأول - مكتب ١٠ - تلفكس: ٢٤٥٥٧٥٥٩ (+٩٦٥)
الفرع الثاني، حولي - شارع المثنى - بجوار مجمع البدر - تلفكس: ٢٢٦٤١٧٩٧ (+٩٦٥)

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله, نحمده ونستعينه ونستغفره, ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له, ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له, وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عن سنته الماضية في تكذيب أهل الباطل للرسل وأتباعهم، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٤].

وثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: « ألا إن ربي أمرني أن أُعلِّمَكُم ما جهلتم، مما علّمني يومي هذا»، وقال: « إنما بعثتكَ لأَبْتليكَ وأَبتليَ بِكَ» (١).

ومعناه: أمتحنك بما تلاقيه من الصبر على أذى المشركين، وأمتحنهم بما لقوا منك من القتل والجلاد(٢).

فالله عَزَّوَجَلَّ ابتلى نبيه ﷺ بأذى المشركين له، وكل من سار على منهج النبي ﷺوطريقه فسيحصل له من الابتلاء ما حصل للنبي ﷺ، وبحسب شدة التمسك بسنته يشتد الابتلاء.

ولما كانت الدعوة الإصلاحية دعوة الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوة سلفية سنية على منهاج النبوة حصل لها من الابتلاء ما حصل منذ نشأتها، ولا تزال تتعرض للهجوم عليها والانتقاد لأصولها ومنهجها.

ومما لوحظ ازدياد هذا الهجوم في الوقت المعاصر بوسائل وأساليب مختلفة من خلال المؤتمرات والندوات والدراسات والمواقع العنكبوتية ووسائل التواصل الاجتماعي والقنوات المرئية

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها أهل الجنة وأهل النار، برقم: ٢٨٦٥.

(٢) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض: ٣٩٥/٨، وشرح النووي على صحيح مسلم: ١٩٨/١٧.

والمسموعة، والصحف والمجلات وغيرها، وتحت مسميات عدة كمكافحة الإرهاب والتطرف، ونسبة بعض الدعوات الباطلة إليها، وإظهارها بأنها مقطوعة الصلة بالسلف الصالح ومنهجهم؛ وسبب ذلك إما الجهل بحقيقة دعوة الإمام أو الهوى أو قصد تشويهها وصرف الناس عنها.

من أجل ذلك رأيت أن يكون بحثي للحصول على درجة الدكتوراه في العقيدة – بعد الاستشارة والاستخارة– بعنوان: " **الدعاوى المعاصرة المناوئة لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عرضًا ونقدًا** ".

مشكلة البحث:

إن الدعوة الإصلاحية دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ كانت ولا تزال تواجه – في الداخل والخارج– هجوما عليها، وانتقادا لأصولها ومنهجها، بوسائل وأساليب مختلفة، ورميت بشبه ودعاوى، ونسبت إليها أفكار وجماعات تخالف منهجها وطريقها.

وهذه الشبه والدعاوى منها ما هو جديد ومن طوائف جديدة، ومنها ما هو قديم؛ لكن تطور في وسائله وأساليبه ودخل فيه طوائف جديدة، كما اختلفت في أهدافها وأسلوبها ووسائلها وما يركز عليه منها؛ ولذا فهذا الأمر يحتاج إلى دراسة وبيان وتوضيح.

حدود البحث:

أولًا: اقتصر البحث على الدعاوى المعاصرة المتعلقة بدعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب.

ثانيًا: اقتصر البحث على الجانب العلمي في الدعاوى من مؤتمرات وندوات ومؤلفات ومواقع انترنت علمية ونحوها؛ وذلك أن الجانب العلمي هو المؤثر من جهة حمله الشبهة، وهو الذي يمد الإعلام والسياسة والعامة والذي يعتبر تأثرها انعكاسًا له.

ثالثًا: حدود البحث الزمنية: بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ١٤٢٢/٦/٢٢هـ الموافق ٢٠٠١/٩/١١م، إلى العصر الحاضر، الذي زاد فيه توجيه النقد لدعوة الإمام تحت مسمى محاربة التطرف والغلو ومكافحة الإرهاب.

مصطلحات البحث:

الدعاوى: جمع دعوى، وهي اسم لما يُدَّعى، وتطلق على الزعم(١).

المعاصرة: مصدر عاصر، مأخوذة من عصر، وهي كلمة دالة على الزمان، ويختلف المراد بها باختلاف المدلول المرتبط بالكلمة.

وأكثر ما تصدق عليه المعاصرة: الزمان الحالي، وعاصره عاش معه في عصر واحد(٢).

وأقصد بالمعاصرة في هذا البحث الفترة بعد ١٤٢٢/٦/٢٢هـ الموافق ٢٠٠١/٩/١١ – أي بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر–.

المناوئة: المناوأة: المعاداة(٣).

الإمام أو الشيخ: إذا قلت في هذا البحث الإمام أو الشيخ فأعني به الإمام المجدد محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١– أهمية الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة وذلك من خلال الدفاع عن الأئمة المنتسبين لها.

٢– إبراز أهم الدعاوى المعاصرة المناوئة لدعوة الإمام، ومناقشتها والجواب عنها.

٣– كثرة الكتب والمؤلفات والمؤتمرات والندوات وغيرها ضد دعوة الإمام.

٤– اقتراح بعض أهل العلم وحثهم على الكتابة في هذا الموضوع؛ لأهميته والحاجة إليه في هذا الوقت.

الدراسات السابقة:

كثرت الدراسات والكتب والمؤلفات عن دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهذه الدراسات على عدة أنواع، منها ما يتحدث عن عقيدة الإمام ودعوته، مثل: كتاب عقيدة الشيخ محمد بن

(١) انظر: لسان العرب: ٢٦١/١٤، والمصباح المنير: ١٩٤/١، وتاج العروس: ٤٨/٣٨.

(٢) انظر: لسان العرب: ٥٧٥/٤، وتاج العروس: ٥٩/١٣، ومعجم اللغة العربية المعاصرة: ١٥٠٧/٢.

(٣) انظر: لسان العرب: ١٧٨/١، وتاج العروس: ٤٧٦/١.

عبدالوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي للشيخ د. صالح بن عبدالله العبود، ورسالة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأثرها في العالم الإسلامي تأليف د. أحمد الزهراني.

ومنها ما هو متعلق بالرد على المخالفين لدعوة الإمام ككتاب دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب للشيخ د. عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف، وكتاب الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة للشيخ علي بن بخيت الزهراني.

ومنها ما يتعلق ببعض المسائل المتعلقة بدعوة الإمام ككتاب منهج التكفير عند الشيخ محمد بن عبدالوهاب للشيخ د.أحمد الرضيمان، ومنهج الإمام محمد بن عبدالوهاب في توحيد الألوهية للشيخ د. بدر بن محمد الوهيبي.

وقد جمع أحد الباحثين (مائة) كتاب من الكتب التي كتبت عن دعوة الإمام بإنصاف أو دافعت عنها: (الكتب والمؤلفات التي تحدثت عن دعوة الشيخ بإنصاف أو دافعت عنها لأبي عمر الدوسري) [(١)].

كما أن أحد المخالفين جمع كذلك (مائة) كتاب في الرد على دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مائة كتاب في الردّ على ابن عبد الوهاب) [(٢)].

وللدكتور أحمد بن محمد الضبيب سجلًا بيلوجرافيًا لما نشر من مؤلفات الإمام ولبعض ما كتب عنه، نشرته دار المريخ عام ١٣٩٦هـ.

ومن الرسائل المعاصرة والتي قد يكون لها بعض التداخل مع فكرة البحث ما يلي:

١- دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - عرض ونقض- رسالة ماجستير، بكلية أصول الدين، بجامعة الإمام محمد بن سعود، للشيخ عبد العزيز بن محمد العبداللطيف (٤١١ صفحة)، وهي تعنى بذكر دعاوى المناوئين لدعوة الإمام والجواب عنها من كلام أئمة الدعوة ومن أنصارها ممن هم خارج موطنها.

---

(١) انظر: موقع ملتقى العقيدة: http://www.alagidah.com/vb/showthread.php?t=٣٩٥.

(٢) انظر: موقع المجلس اليمني: https://www.ye١.org/forum/threads/٢٦٨٣٦٥.

وقد شملت الرسالة على الكلام عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبعض آثارها، ودراسة استقرائية مجملة لمؤلفات المناوئين مع موقف علماء الدعوة من هذه المؤلفات المناوئة.

وخصص الباحث الباب الأول: للمفتريات التي ألصقت بدعوة الشيخ مع الرد عليها، وذكر منها:

- الافتراء على الشيخ بادعاء النبوة وانتقاص الرسول ﷺ.
- الزعم بأن الشيخ مشبه مجسم.
- فرية إنكار كرامات الأولياء.

أما الباب الثاني، فقد ذكر فيه الباحث: الشبهات المثارة حول دعوة الشيخ مع بيان الحق في ذلك، وذكر منها:

- التكفير والقتال.
- تحريم التوسل.
- منع الاستشفاع بالنبي ﷺ.

وأما الباب الثالث، فقد ذكر فيه الباحث: ما اعترض على الشيخ من قضايا الدعوة مع المناقشة لها، وذكر منها:

- هدم الأبنية على القبور والنهي عن شد الرحال لزيارتها.
- تقسيم التوحيد إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.
- إنكار دعاء الموتى.

أما الفرق بينها وبين رسالتي:

أولًا: اختلاف الفترة الزمنية للدراسة، فرسالة الباحث طبعت الطبعة الأولى عام ١٤١٢هـ- فكانت تشمل دعاوى المناوئين قبل هذه الفترة، وبحثي سيكون للفترة بعد ١٤٢٢/٦/٢٢هـ.

ثانيًا: أن الباحث ذكر في مقدمته أن الكلام سيكون عن دعاوى الرافضة والصوفية والأشعرية ونحوها، ولم يتطرق للمناوئين لدعوة الإمام من بعض الطوائف الجديدة كالليبراليين والعصرانيين وبعض من ينتسب لبعض الاتجاهات الإسلامية والفكرية المعاصرة؛ بل ممن ينتسب

للدعوة نفسها.

وعلى سبيل المثال: التكفير، فأصل الشبهة موجود عند المناوئين السابقين؛ لكن المعاصرين زادوا فيها من جهات:

- وجود طوائف جديدة شاركت في هذه التهمة؛ كالليبراليين وبعض السياسيين والمؤرخين بل حتى من بعض من ينتسب إلى هذه الدعوة.

- الرجوع إلى مؤلفات الشيخ نفسه وعدم فهمها الفهم الصحيح وتنزيلها على الواقع المعاصر من جهة التكفير.

- نسبة بعض الجماعات المعاصرة المعروفة بالتكفير إلى دعوة الشيخ، والربط بين التكفير والتفجير ودعوة الإمام.

- اتهام دعوة الإمام بأنها دعوة إرهابية.

- استخدام مصطلحات جديدة في التعبير عن التكفير في دعوة الشيخ كأحادية النظرة، ومنع الحرية الدينية، والكراهية وإلغاء الآخر الخ.

- اتهام الدعوة الوهابية بعدم العذر بالجهل مطلقًا.

- اتهام دعوة الإمام بالغلو في مسائل الولاء والبراء والغلو فيها.

- اتهام الدعوة بالمواقف السلبية من الآخر والمسارعة في وصف الأعمال بالكفر أو الشرك أو البدعة الزندقة.

ثالثا: من المسائل أيضًا الدعوى بأن دعوة الإمام تركز على توحيد الألوهية دون غيره من مسائل التوحيد.

رابعا: لم يتطرق الشيخ لمسائل الإمامة.

خامسا: لم يتطرق الشيخ لمسائل التطرف والعنف والتي تتهم به الجماعات المتطرفة والمتهمة بأنها متأثرة بدعوة الإمام أو منتسبة لها.

سادسا: لم يتطرق الشيخ للوسائل والأساليب الجديدة كالمؤتمرات والندوات وغيرها، وما ترتب عليها من مطالبات بتصنيف دعوة الإمام من الدعوات الإرهابية... وإنما اقتصر بحث

الشيخ على المؤلفات والكتب. وهذا الأمر يتطلب الجواب عن تلك الشبه والدعاوى والمدافعة عن دعوة الإمام.

٢- الدعاوى المتعلقة بمسائل العقيدة في مقررات التعليم العام في المملكة العربية السعودية، عرض وتقويم، رسالة دكتوراه في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية للباحث أحمد بن جزاع الرضيمان (٦٠٦ صفحة).

وقد خصص الباحث الباب الثاني للمسائل العقدية المنتقدة في مقررات التعليم العام في المملكة العربية السعودية، وهذا الباب وإن كان قد يحتوي على بعض المسائل التي سيتطرق لها البحث؛ ولكنها تختلف عنها من عدة جهات، منها:

أولاً: أن رسالة الباحث تتحدث عن مقررات التعليم والتي تشمل بعض كتب الإمام وغيرها من الكتب، أما رسالتي فتختص بدعوة الإمام فقط.

ثانيًا: أن الباحث اقتصر على الدعاوى وردها، وأما بحثي فلا يقتصر على الرد فقط؛ بل يشمل دراستها دراسة استقرائية تحليلية والمقارنة بينها وبين الدعاوى السابقة، وذكر أسبابها وأهدافها، ووسائلها وأساليبها، والآثار المترتبة عليها، وسبل الوقاية منها.

٣- كتاب إسلامية لا وهابية للشيخ أ.د. ناصر بن عبدالكريم العقل (٤٦٦ صفحة)، وهو ملخص عن كتاب بعنوان: دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب حقيقتها ورد الشبهات حولها، مقدم إلى المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

وقد ركز المؤلف على التأصيل وبيان المنهج الذي سارت عليه هذه الدعوة، وتوثيق ذلك من كتبهم وأقوالهم ومواقفهم والواقع العلمي والعملي الذي يعيشونه ويعتمدونه، ثم الرد على المفتريات حول هذه الدعوة من الموافقين لها ومن شهادات الآخرين غير المنتسبين لها من أهل الإنصاف؛ لكن الكتاب لم يركز على الدعاوى المعاصرة وأسبابها وأهدافها ووسائلها وأساليبها، ثم دراستها دراسة استقرائية تحليلية للخروج بآثارها وسبل الوقاية منها؛ وإنما اقتصر على

الدعاوى على سبيل العموم والجواب عنها.

٤- التكفير عند جماعات العنف المعاصرة، نقد المقولات التأسيسية، رسالة ماجستير بقسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية الإسلامية بجامعة الملك سعود للباحث: إبراهيم بن صالح العايد (٣٨٤ صفحة)، وهي تعنى بمسألة التكفير عند جماعات العنف المعاصرة ولا علاقة لها بدعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب إلا من جهة انتساب بعض أفراد هذه الجماعات لدعوة الإمام، أو تأثرهم بها، وخصوصًا ممن هم في المملكة العربية السعودية.

٥- الإسلام الذي يريده الغرب (قراءة في وثيقة أمريكية) دراسة تحليلية لتقرير مؤسسة راند: إسلام حضاري ديموقراطي - شركاء وموارد واستراتيجيات، وهي رسالة ماجستير بجامعة أم القرى للباحث: صالح بن عبدالله الغامدي (٣٥٨ صفحة).

وهذه الرسالة توافق فكرة البحث من جهة طبيعة الدراسة لما يكتب عن الإسلام والمنتسبين له؛ ولكنها تختلف من جهة اقتصارها على تقرير واحد، لجهة محددة، كما أنها لا تتحدث عن دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب فقط.

٦- الأمن الفكري في مقررات التوحيد المرحلة الثانوية، دراسة تحليلية، رسالة ماجستير بقسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية بجامعة الملك سعود، للباحث: أيمن بن عبدالله العليان (٤٣٨ صفحة).

وقد خصص الباحث الباب الثاني للانتقادات التي تدور حول مقررات التوحيد. وذكر منها: التطرف، وسوء التعامل مع المخالف، والاضطراب والمرجعية غير العلمية، وضعف القيم الوطنية والمدنية والحضارية. وهذه الدراسة هي لمقررات المرحلة الثانوية لعام ١٤٢٩-١٤٣٠، وهي عبارة عن كتابين للشيخ محمد بن عثيمين والشيخ صالح الفوزان. وهذه الانتقادات ليست موجهة لدعوة الإمام مباشرة وإنما موجهة للمقررات الدراسية ولمن ينتسب لدعوة الإمام.

٧- منهج الإمام محمد بن عبدالوهاب في توحيد الألوهية، رسالة دكتوراه بقسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية بجامعة الملك سعود، للباحث بدر بن محمد الوهيبي (٧٠٣ صفحة).

وقد اقتصر الباحث على بيان منهج الإمام في توحيد الألوهية، والرد على الشبهات المتعلقة به فقط، وذكر باختصار نماذج من المؤيدين والمعارضين قديمًا وحديثًا، مع ذكر صور التأييد والمعارضة وأسبابها، كما ذكر كذلك جملة من شبه المعارضين المتعلقة بتوحيد الألوهية، وقد اقتصر الباحث على الشبه التي أوردها الإمام في كتبه ورد عليها.

وقد ذكر الباحث من ضمن توصياته أهمية رصد الجهود المعاصرة للمناوئين لدعوة الإمام.

٨- الأمن الفكري في دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وآثاره، دراسة عقدية، رسالة مقدمة استكمالًا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه بقسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية بجامعة الملك سعود، للباحث عايد بن مسفر العقيلي (٥٠٧ صفحة).

وقد ذكر الباحث أن دراسته ستكون منصبة على مؤلفات الإمام - رَحِمَهُ ٱللَّهُ- وما سطره، وتحليل عباراته، واستنباط مكامن الأمن الفكري ومعوقاته ومقوماته، وذلك من خلال النظر في سيرته العلمية والعملية، والدراسات المتعلقة بالإمام، وكتب التاريخ التي كتبت عن دعوته.

أما بحثي فهو عن دعاوى المعاصرين المناوئين ودراستها دراسة استقرائية تحليلية والمقارنة بينها وبين دعاوى المناوئين السابقين، وذكر أطراف هذه الحملة وأوجه التوافق بينهم، وأسبابها وأهدافها، وسائلها وأساليبها، والآثار المترتبة عليها، وسبل الوقاية منها.

أهداف البحث:

١- بيان عقيدة الإمام محمد بن عبدالوهاب، وأنها هي عقيدة السلف.

٢- ذكر أهم الدعاوى المعاصرة المناوئة لدعوة الإمام، والجديد فيها.

٣- الوقوف على أسباب الدعاوى المعاصرة المناوئة لدعوة الإمام وأهدافها ووسائلها وأساليبها.

٤- بيان الآثار المترتبة على الدعاوى المعاصرة المناوئة لدعوة الإمام وسبل الوقاية منها.

أسئلة البحث:

١- ما عقيدة الإمام محمد بن عبد الوهاب؟ وهل هي عقيدة السلف؟

٢- ما أهم الدعاوى المعاصرة المناوئة لدعوة الإمام؟ وما الجديد فيها؟

٣- ما أسباب الدعاوى المعاصرة المناوئة لدعوة الإمام؟ وما أهدافها؟ وما وسائلها وأساليبها؟

٤- ما الآثار المترتبة على الدعاوى المعاصرة المناوئة لدعوة الإمام، وما سبل الوقاية منها؟

منهج البحث:

سلك الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي.

إجراءات البحث:

سيقوم الباحث - بإذن الله - في بحثه بالإجراءات التالية:

١- جمع لما قيل عن دعوة الإمام من المعاصرين المناوئين في نطاق البحث.

٢- حصر أهم الدعاوى المعاصرة المناوئة لدعوة الإمام والجواب عنها، ومقارنتها بدعاوى السابقين.

٣- سبر هذه الدعاوى، ودراستها وتصنيفها، وتقسيمها على فصول ومباحث الرسالة.

٤- سأقوم - بإذن الله - بمناقشة كل دعوى كما يلي:

أ- ذكر الدعوى ومن صدرت منه من المعاصرين مع توثيق ذلك من كتبهم أو مقالاتهم.

ب- بيان حقيقة هذه الدعوى ومن قال بها من المتقدمين.

ج- بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في هذه الدعوى.

د- الجواب عن هذه الدعوى، وسيكون على النحو التالي:

- دعوى قديمة مكررة، وأكتفي بالإشارة لها مع الإحالة للكتب المعتبرة التي أجابت عنها.

- دعوى قديمة؛ ولكن حصل لها إضافة أو تطور أو تغير في أسلوبها ووسائلها فسيكون الجواب عنها مختصرًا كذلك إلا في الإضافة

والتطور فيكون الجواب عنه مفصلًا.

- دعوى جديدة، وسيكون الجواب عنها مفصلًا.

٥- الالتزام بمناهج البحث الأكاديمية المعتبرة، كما في دليل الدراسات العليا، والقيام بما هو متعارف عليه في مناهج البحث العلمي الشرعي، ومن ذلك:

أ- أعزو الآيات إلى مواضعها في القرآن الكريم وأكتبها بالرسم العثماني.

ب- أخرج الأحاديث الواردة في البحث من مصادرها، وأنقل الحكم عليها من كلام أهل العلم؛ إلا ما كان في الصحيحين أو في أحدهما فأكتفي بالعزو إليهما لتلقي الأمة لهما بالقبول.

ج- أوثق النصوص بعزوها إلى مصادرها.

د- أترجم لغير المشهورين من الأعلام غير المناوئين، ولا أترجم للمناوئين.

هـ- أعرف بالملل والنحل والفرق، وكذا الأماكن والبلدان.

و- أعرف بالمصطلحات والألفاظ الغريبة وأضبطها بالشكل.

ز- أعمل الفهارس اللازمة.

٦- ما أنقله من كتب المخالفين، أنقل معه ما يحتاج إليه من الحواشي كما هي دون أي تصرف.

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، وسبعة فصول، وخاتمة.

المقدمة: وفيها مشكلة البحث، وحدوده، ومصطلحاته، وأهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وأهداف البحث وأسئلته، ومنهجه وإجراءاته، وخطة البحث ومراجعه.

تمهيد: تعريف بالإمام محمد بن عبدالوهاب وعقيدته.

أولًا: ترجمة مختصرة للإمام.

ثانيًا: مجمل عقيدة الإمام.

الفصل الأول: الدعاوى المتعلقة بالتوحيد والإيمان.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المراد بالتوحيد والإيمان.

المبحث الثاني: عقيدة أهل السنة والجماعة في التوحيد والإيمان.

المبحث الثالث: الدعاوى المتعلقة بالتوحيد والإيمان والجواب عنها.

الفصل الثاني: الدعاوى المتعلقة بالإمامة.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المراد بالإمامة.

المبحث الثاني: عقيدة أهل السنة والجماعة في الإمامة.

المبحث الثالث: الدعاوى المتعلقة بالإمامة والجواب عنها.

الفصل الثالث: الدعاوى المتعلقة بالتكفير والقتال.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المراد بالتكفير والقتال.

المبحث الثاني: عقيدة أهل السنة والجماعة في التكفير والقتال.

المبحث الثالث: الدعاوى المتعلقة بالتكفير والقتال والجواب عنها.

الفصل الرابع: الدعاوى المتعلقة بالغلو والتطرف.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المراد بالغلو والتطرف.

المبحث الثاني: وسطية أهل السنة والجماعة.

المبحث الثالث: الدعاوى المتعلقة بالغلو والتطرف والجواب عنها.

الفصل الخامس: الدعاوى المتعلقة بالولاء والبراء.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المراد بالولاء والبراء.

المبحث الثاني: عقيدة أهل السنة والجماعة في الولاء والبراء.

المبحث الثالث: الدعاوى المتعلقة بالولاء والبراء والجواب عنها.

الفصل السادس: أهداف الدعاوى المعاصرة ووسائلها وأساليبها.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أهداف الدعاوى المعاصرة.

المبحث الثاني: وسائل المناوئين وأساليبهم.

الفصل السابع: الآثار المترتبة على الدعاوى المعاصرة والمقارنة بينها وبين الدعاوى السابقة وسبل الوقاية منها.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الآثار المترتبة على الدعاوى.

المبحث الثاني: المقارنة بين الدعاوى السابقة والدعاوى المعاصرة.

المبحث الثالث: سبل الوقاية من الدعاوى.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس العامة[١].

الصعوبات التي واجهت الباحث:

١- تنوع أساليب ووسائل المناوئين المعاصرين في نشر دعاويهم، من خلال الشبكة العنكبوتية، ووسائل التواصل، مما أدى إلى تكرارها، وبذل الوقت في فرزها.

٢- تعدد الأطراف المناوئة لدعوة الإمام، مع اختلاف أفكارها وتوجهاتها، مما احتاج معه الباحث إلى البحث في أكثر من جهة.

٣- استخدام أسماء مختلفة للطعن في دعوة الإمام، فتارة بالوهابية، وتارة بالسلفية، وتارة بالدعوة النجدية الخ، فيحتاج الباحث إلى تتبع ذلك كله.

٤-كثرة المؤلفات المعاصرة المناوئة لدعوة الإمام.

٥-كثرة المؤلفات المعاصرة المناوئة لدعوة الإمام باللغات المختلفة مع عدم إجادة الباحث لها؛ فرجع الباحث إلى ما ترجم منها.

(١) اقتصرت بفهرس المراجع والمصادر والموضوعات تخفيفا لحجم الرسالة.

وفي الختام:

فإني أشكر الله وأحمده على ما يسر وأعان على إتمام هذا البحث، الذي أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يكون صالحاً ولوجهه خالصاً.

كما أشكر بعد شكر الله عَزَّوَجَلَّ والدي ووالدتي الذين أحسنوا تربيتي، وكان توجهي للدراسة الشرعية بدعوة صادقة من والدتي، وأشكر زوجتي وأبنائي على تحملهم معي أعباء الدراسة وتسهيل أموري، وأشكر جامعة الملك سعود ممثلة في كلية الدراسات الإسلامية مسار العقيدة التي أتاحت لي هذه الفرصة لمواصلة الدراسة، وكذا الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي وافقت على مواصلتي للدراسة.

كما أتوجه بالشكر لفضيلة الشيخ: أ.د. محمد بن عبدالله السحيم المشرف على هذه الرسالة على ما بذله من جهد ووقت، ونصح وتوجيه، أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يكون ذلك في ميزان حسناته.

كما أشكر الأساتذة المشايخ الأفاضل الذين تكرموا بقبول مناقشة الرسالة، وأسأل الله عز وجل لهم التوفيق والسداد، وأن أكون عند حسن ظنهم.

كما أشكر كل من ساهم معي في هذه الرسالة، وأخص منهم سماحة الوالد الشيخ عبدالرحمن البراك – الذي تفضل عليّ بالموافقة على قرأت بعض مباحث الرسالة–، وفضيلة الشيخ د. عبدالله العنقري، وفضيلة الشيخ د. محمد الشايع، وغيرهم، وأشكر زملائي في العمل الذين أعانوني في عملي مما كان له الأثر في تسهيل الدراسة عليّ.

وبعد فهذا جهد المقل وأستغفر الله وأتوب إليه من الزلل والتقصير، والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

عبد المجيد بن محمد الوعلان

Awalaan@gmail.com

تمهيد

تعريف بالإمام

محمد بن عبدالوهاب وعقيدته

أولًا: ترجمة مختصرة للإمام .

ثانيًا: مجمل عقيدة الإمام .

أولًا: ترجمة مختصرة للإمام[١]

الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان آل مشرف التميمي (١١١٥ - ١٢٠٦هـ) إمام من أئمة أهل السنة، ومجدد الدعوة على منهاج النبوة، دعى الناس لتوحيد الله، وإخلاص العبادة له، وإلى نبذ الشرك وأهله، ومحاربة البدع.

مولده:

ولد الإمام محمد بن عبد الوهاب سنة (١١١٥هـ) في بلدة العيينة[٢].

نسبه:

هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف التميمي.

من المشارفة آل مشرف من المعاضيد من فخذ آل زاخر من قبيلة الوَهْبة من بني حِنْظلة من قبيلة بني تميم، فيقال له: (المشرفي) نسبة إلى جده مشرّف وأسرته آل مشرّف، ويقال: (الوهيبي) نسبة إلى جده وهيب أو (الوهبي) نسبة لقبيلته الوهبة، ويقال (التميمي) نسبة إلى تميم.

أما والدته؛ فهي ابنة محمد بن عزاز المشرفي الوهيبي التميمي[٣].

---

(١) ينظر في ترجمة الإمام: روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام: ٢٥-٥٠، عنوان المجد في تاريخ نجد: ١/٦-١٥، ٨٩-٩٦، مجموعة الرسائل والمسائل النجدية: ٣/٣٧٨-٣٨٩، الدرر السنية: ١٢/٣-٢٥، عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي للعبود: ١/١٠٩-٢٤٣، وللمزيد: الشيخ محمد بن عبد الوهاب مجدد القرن الثاني عشر المفترى عليه لآل بو طامي، ومحمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفيه ودعوته الإصلاحيه وثناء العلماء عليه لآل بو طامي، حياة محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته للحقيل، محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه للندوي، دعاوى المناوئين لدعوة محمد بن عبد الوهاب لآل عبد اللطيف، الشيخ محمد بن عبدالوهاب رائد الدعوة السلفية في العصر الحديث لدرنيقة، وغيرها.

(٢) روضة الأفكار: ١/٢٥.

(٣) انظر: عنوان المجد: ١/٨٨، وعلماء نجد خلال ستة قرون: ١/٢٦، ونقض الدعاوي الكيدية حول انتماء الإمام لطعن الدعوة التجديدية لعلي بن عبدالله النمي: ٤٩.

أولاده:

للشيخ محمد بن عبد الوهاب سبعة من الأولاد (ستة أبناء وبنت)، وهم:

حسن- وقد توفي في حياة أبيه-، وحسين، وإبراهيم - توفي ولم يعقب-، وعبد الله وعلي، وفاطمة، وعبد العزيز- وقد توفي في حياة أبيه- [١].

نشأته العلمية:

ولد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأسرة ينسب إليها عدد من العلماء، فكان جدّه سليمان بن علي بن مشرف من أشهر العلماء في الجزيرة العربية في عصره، وكذلك كان والده عالما فقيهًا على مذهب الإمام أحمد بن حنبل وأحد القضاة المعروفين، فقد تولى القضاء في عدة جهات؛ مثل: العيينة وحريملاء، وكان عمه الشيخ إبراهيم بن سليمان من مشاهير العلماء في تلك البلاد[٢].

تعلم القرآن الكريم وحفظه عن ظهر قلب قبل بلوغه عشر سنين[٣]، وقرأ على أبيه في الفقه، وتذكر مصادر الترجمة أنه كان مشهوراً بحدة ذهنه وسرعة حفظه وحبه للمطالعة في كتب التفسير والحديث وكلام العلماء في أصل الإسلام؛ حتى إن أباه كان يتعجب من فهمه ويقول: "لقد استفدت من ولدي محمد فوائد من الأحكام"[٤].

وكتب أبوه إلى بعض إخوانه رسالة نوه فيها بشأنه وقوة فهمه، وجودة حفظه مع سرعة الكتابة؛ بحيث إنه يخط كراساً بخط واضح في الجلسة الواحدة بلا سأم ولا تعب مما يحير أصحابه[٥].

---

(١) انظر: شجرة أسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، طبعة ١٤١٢هـ.

(٢) انظر: عنوان المجد: ٦٢/١، ٢٣٥، وعلماء نجد خلال ستة قرون: ٣١٠/١.

(٣) انظر: روضة الأفكار: ٢٥/١.

(٤) انظر: روضة الأفكار: ٢٥/١، وعنوان المجد (٦/١.

(٥) انظر: روضة الأفكار: ٢٥/١-٢٦.

رحل إلى مكة والمدينة لطلب العلم[١]، والتقى في سفره بالعديد من العلماء، ومنهم الشيخ عبد الله بن سيف، كما تلقى علم الحديث النبوي ومروياته الحديثية لجميع كتب السنة كالصحاح والسنن والمسانيد وكتب اللغة والتوحيد وغيرها من العلوم عن شيخيه: العلامة عبد الله الفرضي الحنبلي والمحدث محمد حياة السندي، ثم توجه إلى الأحساء فأخذ عن شيوخها، ومنهم الشيخ ابن عبد اللطيف الحنبلي، وزار البصرة وبغداد؛ ودرس على محمد المجموعي[٢].

أما ما قيل من أنه سافر إلى الشام -كما ذكره خير الدين الزركلي[٣] في الأعلام-، وإلى فارس وإيران وقم وإصفهان -كما يذكره بعض المستشرقين ونحوهم في مؤلفاتهم[٤]- فهذا غير صحيح؛ لأن حفيده الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ وابنه عبد اللطيف وابن بشر نصوا على أن الإمام لم يتمكن من السفر إلى الشام، وقد اعتمد أغلبهم على كتاب لمع الشهاب لمؤلف مجهول، فانخدعوا به، ولا يصح التعويل على هذا الكتاب.

ومع حرص المترجمين للإمام محمد بن عبد الوهاب على تدوين كل ما يتصل برحلاته وبأسماء العلماء الذين تلقى العلم عنهم، وبذكر البلاد التي زارها فإنهم يكادون يتفقون على عدم صحة ما ورد في كتاب لمع الشهاب[٥].

وبعد مضي سنوات على رحلته عاد إلى بلدة حريملاء التي انتقل إليها والده بعد أن تعين على العيينة الأمير عثمان بن حمد بن معمر والذي لم يرق له بقاء عبد الوهاب في القضاء فعزله عنه، فغادرها عبد الوهاب إلى حريملاء وأقام بها وتولى قضاءها. فأقام الإمام في حريملاء مع أبيه يدرس عليه، ويدعو إلى التوحيد، ويبين بطلان دعوة غير الله[٦].

---

(١) انظر: المرجع السابق: ٢٦/١.

(٢) انظر: روضة الأفكار: ٢٦/١، وعنوان المجد: ٧/١-٨، والدرر السنية: ٢١٥/٩، ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية: ٣٨٠/٣.

(٣) الأعلام: ٢٥٧/٦.

(٤) تاريخ البلاد العربية السعودية: ١٩٥.

(٥) انظر: عنوان المجد: ٨/١، والدرر السنية: ٥/١٢، ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية: ٣٤٠/٣، ومجلة العرب (ج١٠، السنة الرابعة، ربيع الثاني عام ١٣٩٠هـ: ٩٤٣-٩٤٤).

(٦) انظر: عنوان المجد: ٨/١، الدرر السنية: ٥/١٢.

شيوخه:

١- والده: الشيخ عبد الوهاب ابن الشيخ سليمان بن علي (ت ١١٥٣).

٢- عمه: الشيخ إبراهيم ابن الشيخ سليمان بن علي (ت ١١٤١)، وأخذ عنهما جملة من العلوم وبخاصة علم الفقه.

٣- الشيخ عبد الله بن سالم البصري، المكي الشافعي (ت ١١٣٤)، مسند الحجاز.

٤- الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف (ت ١١٤٠)، من فقهاء المدينة، وأخذ عنه العلم في فنون شتى ولا سيما علم الحديث والعربية.

٥- الشيخ محمد حياة بن إبراهيم السندي (ت ١١٦٣)، من كبار المحدثين في عصره، وهو من أخص تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الهادي السندي، صاحب الحواشي الشهيرة على المسند والكتب الستة.

٦- الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني الشامي(ت١١٦٢)، صاحب المصنف الشهير (كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس).

٧- الشيخ علي أفندي بن صادق بن محمد بن إبراهيم بن محب الله حسين بن محمد الحنفي الداغستاني(ت ١١٩٩)، وأخذ عنه علم الحديث إجازة.

٨- الشيخ الجليل: محمد المجموعي، من علماء البصرة.

٩- الشيخ عبد الله بن فيروز الأحسائي أبو محمد الكفيف (ت ١١٧٥)، ووجد عنده من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ما سر به.

وغيرهم[1].

تلاميذه:

أخذ عن الإمام محمد بن عبد الوهاب كثير من أهل الدرعية والواردين عليها، ومنهم:

---

(١) انظر: روضة الأفكار: ٧٦/١، والدرر السنية: ٢١٦/٩، ٤/١٢، ومشاهير علماء نجد: ١٧.

١- الشيخ حسين بن الإمام محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٢٤)، أخذ عن أبيه، واستكمل فنون العلم، وفاق بالمعرفة أقرانه.

٢- الشيخ عبد الله بن الإمام محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٤٢هـ) بمصر، أخذ عن أبيه، فكان آية في العلم ومعرفته ومعرفة فنونه.

٣- الشيخ علي بن الإمام محمد بن عبدالوهاب، كان عالما جليلا ورعا دينا فقيها يضرب به المثل في بلد الدرعية، و"الغالب على الظن أن الشيخ عليا توفي سنة (١٢٤٥) بمصر"[١].

٤- الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر (ت ١٢٢٥) بمكة، وكان عالماً جليلاً.

٥- الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الحصيني الناصري التميمي (ت ١٢٣٧)، أخذ عن الإمام وعن أبنائه وغيرهم في الدرعية بعد أن سبق له أخذ الفقه أولاً عن الشيخ إبراهيم بن محمد بن إسماعيل في بلدة شقراء.

٦- الشيخ سعيد بن حجي (ت ١٢٢٩): رحل إلى الدرعية، فقرأ على الإمام، كما أخذ عن ابني الإمام حسين وعبد الله، وقرأ على الشيخ حمد بن ناصر بن معمر وغيرهم من علماء الدرعية.

٧- الشيخ محمد بن سويلم، ولد في الدرعية ونشأ فيها، فأخذ يتلقى العلم عن الإمام محمد بن عبد الوهاب وعن ابنيه العالمين حسين وعبد الله. قال ابن بسام: "ولم أقف على تاريخ وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ"[٢].

٨- حفيده المجدد الثاني للدعوة الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٨٥).

وغيرهم كثير[٣].

---

(١) مشاهير علماء نجد: ٥١.

(٢) علماء نجد خلال ستة قرون: ٣/٧٩٩.

(٣) انظر: عنوان المجد: ١/٩٤-٩٥، والدرر السنية: ١٢/٤٥، ومشاهير علماء نجد: ٢٨، والعبود "عقيدة الشيخ محمد

دعوته:

كان لبيئة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أثر كبير في مسيرته العلمية والدعوية؛ إذ أبصر واقع الناس من حوله؛ وما كانوا عليه في حياتهم ودينهم -في الغالب- من تناقض وتصادم مع ما نشأ عليه من علم وما عرفه من الحق من خلال طلبه للعلم ومطالعته لكتب المحققين من علماء السلف الصالح(١).

فأخذ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينكر ما شاع في مجتمعه من شركيات وبدع وخرافات؛ مما جعله في مواجهة للمعارضة من علماء السوء، وتلبيساتهم وشبهاتهم، وتأليب العامة عليه، وتهمتهم إياه بالانحراف والجهل؛ فقام الإمام بدعوة المسلمين لتوحيد الله عَزَّوَجَلَّ، والتخلص من البدع والخرافات، وقد كان كتاب التوحيد أحد مؤلفاته التي ساق فيه الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ(٢).

فبدأت الدعوة في لين ورفق من الإمام بين أتباعه وأهله في بلدته العيينة إلا أنه لقي معارضة شديدة من بعض أهل بلدته؛ ولكن الإمام استمر في دعوته سالكًا جميع الطرق والوسائل لإيصال الحق للناس(٣).

ثم خرج الإمام من العيينة، وكان سبب إخراجه من العيينة هو أن ابن معمر أمير العيينة خاف من حاكم الإحساء أن يقطع عنه المعونة، فأخرج الإمام منها(٤).

فتوجه الإمام إلى الدرعية، فلما وصل إليها قصد بيت عبدالله بن سويلم، فلما دخل عليه ضاقت عليه داره وخاف على نفسه من محمد بن سعود، فوعظه الإمام وأسكن جأشه، وقال:

ابن عبدالوهاب": ١٨٣/١.

(١) انظر: عنوان المجد: ٦/١-٧، ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية: ٣٣٩/٣-٣٤٠.

(٢) انظر: روضة الأفكار: ٢٨/١-٢٩، وعنوان المجد: ٨/١-٩، وجزيرة العرب في القرن العشرين: ٣٢٠.

(٣) انظر: روضة الأفكار: ٣١/١-٣٢، ١٥٧-١٥٨، وعنوان المجد: ٩/١.

(٤) انظر: عنوان المجد: ١٠/١، وتاريخ البلاد العربية السعودية: ٢١٧.

"سيجعل الله لنا ولك فرجاً ومخرجاً"[١].

ثم انتقل الإمام إلى بيت تلميذه أحمد بن سويلم، وهناك بدأ التزاور بين خواص أهل العلم من الدرعية، ولما اطلعوا على دعوة الإمام أرادوا أن يشيروا على ابن سعود بنصرته فهابوه، فأتوا إلى زوجته موضي وأخيه ثنيان فأخبروهما بمكان الإمام ووصف ما يأمر به وينهى عنه فاتبعا دعوة الإمام وقررا نصرته[٢].

دخل محمد بن سعود على زوجته فأخبرته بمكان الإمام وقالت له: "هذا الرجل ساقه الله إليك، وهو غنيمة فاغتنم ما خصك الله به"، فقبل قولها، ثم دخل على أخيه ثنيان وأخيه مشاري فأشارا عليه بمساعدته ونصرته.

فأراد أن يرسل إليه فقالوا: "سر إليه برجلك في مكانه، وأظهر تعظيمه والاحتفال به، لعل الناس أن يكرموه ويعظموه"، فذهب محمد بن سعود إلى مكان الإمام ورحب به، وأبدى غاية الإكرام والتبجيل، وأخبره أنه يمنعه بما يمنع به نساءه وأولاده.

وقال له: "أبشر ببلاد خير من بلادك وأبشر بالعزة والمنعة"، فقال الإمام: "وأنا أبشرك بالعزة والتمكين، وهذه كلمة "لا إله إلا الله" من تمسك بها وعمل بها ونصرها ملك بها البلاد والعباد، وهي كلمة التوحيد، وأول ما دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم، وأنت ترى نجداً وأقطارها أطبقت على الشرك والجهل والفرقة وقتال بعضهم بعض؛ فأرجو أن تكون إماماً يجتمع عليه المسلمون وذريتك من بعدك"[٣].

وتعاهد الإمامان على حمل الدعوة على عاتقيهما، والدفاع عنها، والدعوة للدين الصحيح، ومحاربة البدع، ونشر كل ذلك في جميع أرجاء جزيرة العرب[٤].

واشترط الأمير محمد بن سعود على الإمام شرطين:

- أن لا يرجع عنه إن نصرهم الله ومكنهم.

---

(١) انظر: عنوان المجد: ١١/١، والعثيمين " محمد بن عبدالوهاب": ٥٤.

(٢) انظر: روضة الأفكار: ٣/١، وعنوان المجد: ١١/١-١٢.

(٣) عنوان المجد: ١١/١-١٢.

(٤) روضة الأفكار: ٢٢٢/١.

- أن لا يمنع الأمير من الخراج الذي ضربه على أهل الدرعية وقت الثمار.

فقال الإمام: "أما الأولى: فابسط يدك، الدم بالدم والهدم بالهدم. وأما الثانية: فلعل الله يفتح عليك الفتوحات وتنال من الغنائم ما يغنيك عن الخراج"(١).

واستمرت الدعوة إلى التوحيد والإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ ونبذ الشرك وأهله ومحاربة البدع، والدعوة إلى العودة إلى منهج السلف الصالح في العقيدة والعبادة، واستمر الإمام على ذلك إلى وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وفاته:

توفي الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في العيينة بسبب مرض ألم به في أول شوال، ثم كانت وفاته في يوم الاثنين من آخر الشهر في عام ١٢٠٦هـ(٢)، وقيل: "كانت وفاته آخر ذي القعدة من السنة المذكورة" (٣).

ولعل "قول ابن غنام - أنه في أول شوال- أرجح لتقدمه في الزمن على ابن بشر ولمعاصرته له وشهوده زمن وفاته وتدوينه لتاريخه"(٤).

وكان الإمام بلغ من العمر نحو اثنتين وتسعين سنة، وتوفي ولم يخلف مالاً يقسم بين ورثته(٥).

مؤلفاته:

أما عن مؤلفاته فهي كثيرة جداً، فقد قام بتأليف عدد من الكتب والرسائل، منها:

---

(١) عنوان المجد: ١/١٢.

(٢) روضة الأفكار: ٢/١٥٤، وانظر: الدرر السنية: ١٢/٢٠.

(٣) عنوان المجد: ١/٩٥.

(٤) العبود " عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب": ١/٢٣٦.

(٥) انظر: روضة الأفكار: ٢/١٥٥، والدرر السنية: ١٢/٢٠.

١- كتاب الأصول الثلاثة: وهي معرفة الرب، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، ومعرفة الرسول ﷺ.

٢- كتاب التوحيد: وهو من أشهر مؤلفاته، ذكر فيه التوحيد الذي أوجبه الله على عباده وخلقهم لأجله، وذكر ما ينافيه من الشرك الأكبر، أو ينافي كماله الواجب من الشرك الأصغر.

٣- كتاب كشف الشبهات: وكشف فيه الشبهات التي يتعلق بها عباد القبور والأولياء.

٤- كتاب القواعد الأربع: ومضمون هذه القواعد الأربع التي ذكرها الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: معرفة التوحيد ومعرفة الشرك.

٥- كتاب أصول الإيمان: جمع فيه الإمام الأحاديث التي في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وما يتصل بذلك من أمور.

٦- كتاب فضل الإسلام: وقد وضح فيه معتقده حول مفاسد البدع والشرك، وشروط الإسلام.

٧- كتاب مسائل الجاهلية: وذكر فيه مئة وإحدى وثلاثين مسألة خالف الرسول ﷺ فيها معتقدات أهل الجاهلية.

٨- كتاب السيرة: وهو ملخص من كتاب السيرة لابن هشام.

٩- كتاب مختصر الهدي النبوي: وهو ملخص لكتاب زاد المعاد لابن القيم.

١٠- كتاب شروط الصلاة وأركانها وواجباتها: وقد بينت هذه الرسالة شروط الصلاة، وذكرت أركانها وواجباتها.

١١- كتاب ستة مواضع من السيرة: وهي رسالة مختصرة توضح ستة أحداث من السيرة النبوية، وهي:

- الأول: قصة نزول الوحي.

- الموضع الثاني: أنه لما قام ينذرهم عن الشرك، ويأمرهم بضده - وهو التوحيد- لم يكرهوا ذلك واستحسنوه، وحدثوا أنفسهم بالدخول فيه، إلى أن صرح بسب دينهم وتجهيل علمائهم، فحينئذ شمروا له ولأصحابه عن ساق

العداوة.

- الموضع الثالث: قصة قراءته سورة النجم، بحضرتهم.
- الموضع الرابع: قصة أبي طالب.
- الموضع الخامس: قصة الهجرة.
- الموضع السادس: قصة الردة، بعد موت النبي ﷺ.

١٢- كتاب مجموع الحديث على أبواب الفقه: رتب فيه الأحاديث على أبواب الفقه، وذكر فيه ما يزيد على (٤٥٤٥) حديثا وأثرا.

١٣- كتاب مختصر الإنصاف والشرح الكبير: وهو اختصار كتابين من أشهر وأوسع ما صنف في الفقه الحنبلي، "الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف" للمرداوي، والثاني: "الشرح الكبير" لابن قدامة المقدسي.

١٤- كتاب مختصر الصواعق: وهو اختصار لكتاب الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم.

١٥- كتاب مختصر فتح الباري، وهو اختصار لكتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني.

١٦- كتاب مختصر الإيمان: وهو اختصار لكتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية.

١٧- كتاب آداب المشي إلى الصلاة، والذي يشتمل على فقه الصلاة والزكاة والصيام.

١٨- أحاديث في الفتن والحوادث ويشتمل على مائتي حديث.

١٩- الخطب المنبرية، وهو عبارة عن مجموع لبعض خطب الإمام في موضوعات متنوعة.

٢٠- الرسائل الشخصية، وهو عبارة الرسائل التي كان يرسلها الإمام للدعوة وبيان الحق والرد على المخالفين.

٢١- تفسير آيات من القرآن الكريم.

٢٢- رسالة في الرد على الرافضة.

٢٣- منسك الحج.

وغيرها من المؤلفات[١].

(١) حول مؤلفات الشيخ انظر: مقدمة مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب للعبود: ١/١٩١- ٢٣٥، ومؤلفات إمام الدعوة السلفية وأبنائه وأحفاده لعبدالرحمن بن عبدالله آل الشيخ: ٢٣-١٣١، والشيخ محمد بن عبدالوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية لأحمد بن حجر آل بوطامي: ٣٦-٣٩، ومحمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه للأستاذ مسعود الندوي: ١٣١-١٤٤، والشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره لعبدالله العثيمين: ٨١-١١١، وغيرها من الكتب.

ثانيًا: مجمل عقيدة الإمام

سار الإمام الإمام محمد بن عبد الوهاب على عقيدة أهل السنة والجماعة، متبعًا في ذلك الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح، موافقًا في ذلك للأئمة الأربعة: أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، فجاء بالإسلام الصافي الخالي من الشوائب، فلم يبتدع شيئًا جديدا، بل سار على منهج السلف، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " بل أقول - ولله الحمد والمنة وبه القوة: إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين، ولست - ولله الحمد - أدعو إلى مذهب صوفي، أو فقيه، أو متكلم، أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم، مثل ابن القيم(١)، والذهبي(٢)، وابن كثير(٣)، أو غيرهم، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأدعو إلى سنة رسول الله ﷺ التي أوصى بها أول أمته وآخرهم، وأرجو أني لا أرد الحق إذا أتاني، بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه: إن أتانا منكم كلمة من الحق لأقبلنها على الرأس والعين; ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي، حاشا رسول الله ﷺ فإنه لا يقول إلا الحق"(٤).

---

(١) هو شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ابن قيم الجوزية، من أئمة السنة وأعلام السلف، من مؤلفاته: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، وإعلام الموقعين عن رب العالمين، وزاد المعاد في هدي خير العباد وغيرها، توفي سنة ٧٥١. انظر: ذيل طبقات الحنابلة: ٤/٤٤٧، وشذرات الذهب: ٦/١٦٨.

(٢) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله الذهبي، المحدث، له مصنفات عديدة، منها: سير أعلام النبلاء، والعلو للعلي الغفار، والكبائر وغيرها، توفي عام ٧٤٨. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر: ٣/٤٢٦، وشذرات الذهب: ٦/١٥٣.

(٣) هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الشافعي، الإمام الحافظ المحدث المؤرخ، من مؤلفاته: تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، واختصار علوم الحديث، توفي عام ٧٧٤. انظر: الدرر الكامنة: ١/٤٠٠، وشذرات الذهب: ٦/٢٣٢.

(٤) الدرر السنية: ١/٣٧-٣٨، وانظر: مؤلفات الشيخ – القسم الخامس- الرسائل الشخصية: ٨-١١، ودور الدولة السعودية ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في النهضة العربية الحديثة: ٦١-٧٥، ١٧٦-١٨٠، والدولة السعودية الأولى للدكتور عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم: ١/٤١، وعلماء أهل الحديث في الهند وموقفهم من دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب والدولة السعودية لأبي المكرم بن عبدالجليل، وحقيقة دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب ونماذج من رسائله وشهادات علماء الحرمين لعبدالرحمن بن حماد العمر، ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأثرها في العالم

وكانت جل دعوته إعادة الناس إلى تحقيق التوحيد والإخلاص لله، ونبذ الشرك وأهله، وترك البدع، الذي كثر في وقته من الاستغاثة بالأموت، والتقرب لهم، والبناء على القبور والتعامل بالسحر وغيرها من مظاهر الشرك والبدع والتي تنافي عقيدة التوحيد أو تنقصها، ودعوة الناس لنبذ كل ما يخالف الإسلام [١].

وقد بين الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقيدته في مواضع كثيرة من كتبه ورسائله، ومن ذلك رسالته التي بعث بها إلى أهل القصيم [٢]؛ لما سألوه عن معتقده؛ لذي يوضح فيها أنه كان متبعًا لما كان عليه سلف الأمة من القرون الثلاثة المفضلة، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مجمل عقيدته:

"أشهد الله ومن حضرني من الملائكة، وأشهدكم أني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية: أهل السنة والجماعة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره".

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأسماء والصفات:

"ومن الإيمان بالله: الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه على لسان رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، بل أعتقد أنّ الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فلا

الإسلامي للدكتور محمد بن عبدالله السلمان، وملاحظات عن البدو والوهابيين لجون لويس بوركهات، الملحق الرابع: تعاليم الوهابين أو عقيدتهم: ٥٣٨.

(١) انظر: روضة الأفكار: ١/١٤٥-١٥٠، ١٠٧، وعنوان المجد: ١/٦-٧، وصيانة الإنسان عن وسوسة دحلان، لأحمد السهسواني: ٤٠.

(٢) مؤلفات الشيخ "الرسائل الشخصية": ٥/٨، وانظر: شرحها للشيخ صالح بن فوزان الفوزان، والشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي، وغيرها من الشروح. وللمزيد في معرفة عقيدة الشيخ: انظر: الدرر السنية: ٨/٧٠-٧٣، ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية: ٣/٣٦٧، ٣٧٢-٣٧٣، والعبود "عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب": ١/٣٧٩-٤٨٦، وفصل الخطاب في بيان عقيدة الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب للدكتور أحمد ابن عبدالكريم نجيب.

أنفي عنه ما وصف به نفسه، ولا أحرّف الكلم عن مواضعه، ولا ألحد في أسمائه وآياته، ولا أكيّف، ولا أمثّل صفاته تعالى بصفات خلقه؛ لأنه تعالى لا سميّ له ولا كفؤ له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه؛ فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً، فنزّه نفسه عما وصفه به المخالفون من أهل التكييف والتمثيل، وعمّا نفاه عنه النافون من أهل التحريف والتعطيل فقال: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ ﴾ [الصافات: ١٨٠]".

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ في القدر:

"والفرقة الناجية وسط في باب أفعاله تعالى بين القدرية[١] والجبرية[٢]، وهم في باب وعيد الله وسط بين المرجئة[٣] والوعيدية[٤]".

"وأومن بأن الله فعال لما يريد، ولا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس شيء في العالم يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد لأحد عن القدر المحدود، ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المسطور".

---

(١) القدرية اسم عام يجمع كل من ينفي القدر، وهم طائفتان: منهم من ينفي العلم عن الله، وهم القدرية الغلاة، وقد انقرض هؤلاء، ومنهم من ينفي الخلق عن الله، وهم القدرية غير الغلاة من المعتزلة ومن وافقهم من الشيعة والإباضة، وكلهم مجمعون على أن العبد يخلق فعل نفسه، وأن الله لا يخلق أفعال العباد: انظر: التنبيه والرد: ١٧٦، والفرق بين الفرق: ١١٤، والفصل: ٢٢/٣، والتبصير في الدين للإسفراييني: ٥٣، الملل والنحل ٥٦/١.

(٢) الجبرية: اسم عام يجمع كل من ينفي حقيقة الفعل عن العبد ويضيفه إلى الله تعالى، وهم أصناف متعددة، يدخل فيهم الجهمية، والضرارية، والكلابية ومن وافقهم. انظر: الملل والنحل للشهرستاني: ٨٥/١، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ١٠٣، والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان: ٤٢.

(٣) المرجئة: من الرجاء أو من الإرجاء وهو التأخير، فيؤخرون العمل عن مسمى الإيمان، والإيمان عندهم هو الاعتقاد بالقلب دون الإقرار باللسان والعمل بالجوارح، ويقولون: لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة. انظر: مقالات الإسلاميين: ٢١٣/١ - ٢٣٤، التبصير في الدين للإسفراييني: ٩٧ - ٩٩، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان: ٣٣ - ٤٧، التنبيه والرد: ٥٧ - ٦١.

(٤) الوعيدية: هم الذين يقولون بإنفاذ آيات الوعيد، وأن مرتكب الكبيرة إذا مات ولم يتب؛ فهو مخلَّد في النار. وقالوا: إن الله توعَّد العاصين بالنار والعذاب، وهو لا يخلف الميعاد. انظر: الملل والنحل ١٣/١، ٢٨، ١١٤، ١٤١. وشرح العقيدة الواسطية للهراس: ١٨٨.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مسائل الإيمان والصحابة:

"وهم وسط في باب الإيمان والدين بين الحرورية[١] والمعتزلة[٢]، وبين المرجئة والجهمية[٣]، وهم وسط في باب أصحاب رسول الله ﷺ بين الروافض[٤] والخوارج[٥]".

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ في القرآن:

"وأعتقد أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، وأنه تكلم به حقيقة، وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده نبينا محمد ﷺ".

---

(١) الحرورية: نسبة إلى حروراء بلد في العراق بقرب الكوفة، وهم الخوارج، نسبوا إليها لتجمعهم فيها في بداية أمرهم، وسيأتي بعد قليل التعريف بالخوارج.

(٢) المعتزلة: سمو بذلك - على الصحيح - لاعتزال واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري لقول واصل بأن مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر، بل في منزلة بين المنزلتين، وللمعتزلة أصول خمسة هي: التوحيد، العدل، المنزلة بين المنزلتين، الوعد والوعيد، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهم فرق كثيرة. انظر: مقالات الإسلاميين: ١/٢٣٥، والفرق بين الفرق: ٢٠ - ٢١، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ٣٤، والمعتزلة وأصولهم الخمسة لعواد المعتق، والمعتزلة لزهدي جار الله.

(٣) الجهمية: أتباع الجهم بن صفوان القائل بالجبر، وإنكار الأسماء والصفات، وأن الإيمان هو المعرفة فقط، وأن الجنة والنار تفنيان. انظر: مقالات الإسلاميين: ١/٣٣٨، والفرق بين الفرق: ٢١١، التنبيه والرد: ١١٠ - ١٥٤، والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان: ٣٤، والملل والنحل: ١٤٥ - ١٤٨.

(٤) الرافضة: هم الذين رفضوا إمامة الشيخين أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ورفضوا أكثر الصحابة وقيل في سبب تسميتهم بالرافضة أنهم رفضوا إمامة زيد بن علي، وأقواله في تفضيل الشيخين، وهم أسوأ فرق الشيعة، ومن فروعهم مذهب الإمامية الاثني عشرية، وتعتقد بأحقية أهل البيت في الإمامة على باقي الصحابة، بمن فيهم الشيخان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وأن الإمامة ركن من أركان الدين بنص النبي ﷺ، وأن الأنبياء والأئمة معصومون، ويشمل أيضا، كل من يقول بالبداء والرجعة والغيبة والتولي والتبري إلا في حالة التقية.. انظر: مقالات الإسلاميين: ١/٨٨ - ١٣٤، والفرق بين الفرق: ٣٥، والتبصير في الدين: ٢٩، ومجموع الفتاوى: ٣/٣٥٦.

(٥) الخوارج: هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في حرب صفين، وصاروا فرقة لها أصولها التي منها: تكفير مرتكب الكبيرة، والتبري من علي وعثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا والخروج على الإمام إذا خالف السنة وغير ذلك، وهم فرق كثيرة. انظر: مقالات الإسلاميين: ١/١٦٧، والملل والنحل ١/١١٤، والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان: ١٧، والتنبيه والرد: ٦٢ — ٨٤.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الإيمان باليوم الآخر:

"وأعتقد الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت، فأومن بفتنة القبر ونعيمه، وبإعادة الأرواح إلى الأجساد، فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة غرلاً، تدنو منهم الشمس، وتنصب الموازين، وتوزن بها أعمال العباد، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون، وتنشر الدواوين فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله.

وأومن بحوض نبينا محمد ﷺ بعرصة[1] القيامة، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل. آنيته عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، وأومن بأن الصراط منصوب على شفير جهنم يمر به الناس على قدر أعمالهم.

وأومن بشفاعة النبي ﷺ وأنه أول شافع وأول مشفع، ولا ينكر شفاعة النبي ﷺ إلا أهل البدع والضلال، ولكنها لا تكون إلا من بعد الإذن والرضا كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦]، وهو لا يرضى إلا التوحيد، ولا يأذن إلا لأهله، وأما المشركون فليس لهم من الشفاعة نصيب، كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

وأومن بأن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما اليوم موجودتان، وأنهما لا يفنيان، وأنّ المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة، كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته".

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الإيمان بالرسل والصحابة وكرامات الأولياء:

"وأومن بأن نبينا محمداً ﷺ خاتم النبيين والمرسلين، ولا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته، ويشهد بنبوته، وأن أفضل أمته أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو

---

(١) العرصة: كل موضع واسع لا بناء فيه. انظر: النهاية في غريب الحديث: ٢٠٨/٣.

النورين، ثم علي المرتضى، ثم بقية العشرة، ثم أهل بدر، ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان، ثم سائر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأتولى أصحاب رسول الله ﷺ، وأذكر محاسنهم، وأترضى عنهم، وأستغفر لهم، وأكف عن مساويهم، وأسكت عما شجر بينهم، وأعتقد فضلهم عملاً بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾[الحشر: ١٠]، وأترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات من كل سوء، وأقر بكرامات الأولياء وما لهم من المكشفات إلا أنهم لا يستحقون من حق الله تعالى شيئاً، ولا يطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله".

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ **في المؤمن العاصي:**

"ولا أشهد لأحدٍ من المسلمين بجنة ولا نار إلا من شهد له رسول الله ﷺ، ولكني أرجو للمحسن، وأخاف على المسيء، ولا أكفر أحداً من المسلمين بذنب، ولا أخرجه من دائرة الإسلام".

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ **في مسائل الإمامة:**

"وأرى الجهاد ماضياً مع كل إمام براً كان أو فاجراً، وصلاة الجماعة خلفهم جائزة، والجهاد ماض منذ بعث الله محمداً ﷺ إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل.

وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية الله، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة وجبت طاعته، وحرم الخروج عليه".

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ **في أهل البدع:**

"وأرى هجر أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا، وأحكم عليهم بالظاهر، وأكل سرائرهم إلى

الله، وأعتقد أن كل محدثة في الدين بدعة".

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الإيمان:

"وأعتقد أن الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان: يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهو بضع وسبعون شعبة أعلاها: شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة المحمدية المطهرة.

فهذه عقيدة وجيزة حررتها وأنا مشتغل البال؛ لتطلعوا على ما عندي، والله على ما نقول وكيل ".

هذه عقيدته التي يعتقدها رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهي موافقة لما عليه عقائد أهل السنة والجماعة من القرون المفضلة[١].

---

(١) انظر في عقائد أهل السنة والجماعة: الحميدي "أصول السنة"، والإمام أحمد "السنة"، وابن أبي عاصم "السنة"، والأجري "الشريعة"، وابن خزيمة "التوحيد"، وابن بطة "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة"، والأصبهاني"الحجة في بيان المحجة"، واللالكائي "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم"، وقائمة من كتب السلف في السنة بملتقى أهل الحديث "كتب العقيدة المسندة المطبوعة حتى تاريخ ١٤٢١"

.http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=٣٣١٣٨٦

الفصل الأول

الدعاوى المتعلقة بالتوحيد والإيمان

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المراد بالتوحيد والإيمان.

المبحث الثاني: عقيدة أهل السنة والجماعة في التوحيد والإيمان.

المبحث الثالث: الدعاوى المتعلقة بالتوحيد والإيمان والجواب عنها.

المبحث الأول: المراد بالتوحيد والإيمان

التوحيد لغة:

هو تفعيل وحَّد، يقال: "وحّده وأحّده كما يقال ثناه وثلّثه" [١]، و"وحده توحيدا أي جعله واحدا"[٢].

و هو "الحكم بأن الشيء واحد، والعلم بأنه واحد"[٣].

قال أبو القاسم التيمي[٤]: "التوحيد على وزن التفعيل وهو مصدر وحدته توحيدا، كما تقول: كلمته تكليما... ومعنى وحدته جعلته منفردا عما يشاركه أو يشبهه في ذاته وصفاته، والتشديد فيه للمبالغة؛ أي بالغت في وصفه بذلك.

وقيل الواو فيه مبدلة من الهمزة، والعرب تبدل الهمزة من الواو، وتبدل الواو من الهمزة كقولهم وشاح وأشاح، وتقول العرب: أحّدهن لي، وحدّهن لي، أي جعلهن لي أحد عشر. ويقال: جاءوا آحاد آحاد أي واحدا واحدا، فعلى هذا فالواو في التوحيد أصلها الهمزة...

وتقول العرب: واحد وأحِد ووَحْد ووحيد أي منفرد، فالله تعالى واحد أي منفرد عن الأنداد والأشكال في جميع الأحوال. فقولهم: وحَّدت الله: من باب عظمت الله، وكبرته، أي علمته عظيماً وكبيراً.

فكذلك وحدته: أي علمته واحدا، منزها عن المثل في الذات والصفات"[٥].

التوحيد اصطلاحًا:

---

(١) الصحاح: ٥٤٨/٢.

(٢) القاموس المحيط: ٣٢٤.

(٣) التعريفات: ٦٩.

(٤) هو الإمام العلامة الحافظ شيخ الإسلام إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن أحمد القرشي التيمي الطلحي الأصبهاني الملقب بقوام السنة، صاحب "الترغيب والترهيب" وغير ذلك. انظر: سير أعلام النبلاء: ٨٠/٢٠، وتذكرة الحفاظ: ٥٠/٤، والمنتظم: ١٠/١٨.

(٥) الحجة في بيان المحجة: ٣٣١/١.

التوحيد: هو الإيمان بالله وحده لا شريك له[١]، وهو إفراد الله بالخلق والتدبير، وإخلاص العبادة له، وترك عبادة ما سواه، وإثبات ما له من الأسماء الحسنى، والصفات العليا، وتنزيهه عن النقص والعيب[٢].

فهو إقرار بالقلب واللسان بأن الله رب كل شيء ومليكه، وما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه على كل شيء قدير، وأنه الخالق لكل شيء، وأن له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وأنه الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواه؛ فلا رب غيره ولا إله سواه ولا شريك ولا ند له، ثم إفراده بالعبادة وصرفها له بجميع أنواعها وإخلاص الدين له.

الإيمان في اللغة:

مادة أَمِنَ معناها في اللغة وثِق واطمأنَّ، والأمانة الوثوق[٣]، يقال: "ما أمنت أن أجد صاحبَه أي ما وثِقْت"[٤].

قال الراغب الأصبهاني[٥] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف "[٦].

والإيمان مصدر آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن[٧]، وأصل آمن أأمن بهمزتين لينت الثانية[٨]، وهو من الأمن ضد الخوف[٩].

---

(١) انظر: القاموس المحيط: ٣٢٤.

(٢) عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك: ١٥، وانظر: القول المفيد: ١١/١.

(٣) انظر: مادة أمن في الصحاح: ٢٠٧١/٥، والقاموس المحيط: ١١٧٦، ولسان العرب: ٢١/١٣، والمعجم الوسيط: ٨.

(٤) لسان العرب: ٢١/١٣.

(٥) أبو القاسم الحسين بن مفضل الأصبهاني أو الأصفهاني، المعروف بالراغب، سكن بغداد واشتهر بها، من آثاره: مفردات ألفاظ القرآن، وغيرها، توفي سنة ٥٠٢هـ. انظر: الوافي بالوفيات: ٢٩/١٣، وشذرات الذهب: ٣٤/٤.

(٦) المفردات في غريب القرآن: ٩٠.

(٧) تهذيب اللغة: ٣٦٨/١٥.

(٨) الصحاح: ٢٠٧١/٥.

(٩) الصحاح: ٢٠٧١/٥، والقاموس المحيط: ١١٧٦.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعريفه للإيمان: ".. فإن اشتقاقه من الأمن الذي هو الإقرار والطمأنينة، وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق والإنقياد" [٢].

وهذا الإقرار يشمل قول القلب الذي هو التصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد.

أما معنى الإيمان: فهو التصديق مع الانقياد. وهو تارة يتعدّى بالباء وتارة باللام. فمن الأول – التعدي بالباء– يقال: آمن به قوم[٣] وكذّب به قومٌ، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]. أي يصدقون بأخبار الله عن الجنة والنار[٤].

ومن الثاني – التعدي باللام– قوله تعالى مخبرا عن اليهود أنهم قالوا: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [آل عمران: ٧٣]، أي لا تقروا ولا تصدقوا[٥].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧]، أي بمصدق لنا[٦].

والفرق بينهما أن المتعدي بالباء هو تصديق المخبَر به، والمعتدي باللام هو تصديق المخْبِر[٧].

قال الحليمي[٨] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فمن الناس من قال: آمنت به وآمنت له لغتان يعبَّر بهما عن

---

(١) هو شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي، الإمام العالم العلامة الفقيه، القدوة، وله المصنفات العظيمة، منها: منهاج السنة النبوية، ودرء تعارض العقل والنقل، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، والتدمرية، والواسطية، وغيرها، توفي عام ٧٢٨هـ. انظر: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب: ٣٨٧/٢، والبداية والنهاية: ١٤١/١٤، وشذرات: ٨٠/٦، والجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون، جمع محمد عزير شمس وعلي العمران.

(٢) الصارم المسلول: ٥١٩، وانظر: الفتاوى: ٢٨٩/٧.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ٢٥.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ١٦٥/١.

(٥) انظر: مجاز القرآن: ٩٧، ومعاني القرآن: ٢٢٢/١، وتفسير ابن كثير: ٥٩/٢.

(٦) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ٢١٣، المفردات في غريب القرآن: ٩١.

(٧) مجموع الفتاوى: ٢٨٩/٧، ٥٢٩، وشرح الطحاوية: ٣٢١.

(٨) هو أبو عبدالله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الشافعي، كان رئيس المحدثين والمتكلمين في بلاد ما وراء النهر، من مؤلفاته: المنهاج في شعب الإيمان، توفي سنة ٤٠٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: ٢٣١/١٧، وشذرات الذهب: ١٦٧/٣.

معنى واحد. والصحيح ما خالف هذا وهو قولهم آمنت به: يراد إثباته وتحقيقه والتصديق بكونه ووجوده، وقوله آمنت له: إنما يراد اتباعه وموافقته... والإيمان له القبول عنه والطاعة له"[١].

الإيمان اصطلاحًا:

الإيمان: إقرار باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان، يزيد بطاعة الرحمن، وينقص بطاعة الشيطان[٢].

(١) المنهاج في شعب الإيمان: ١/٢١.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: ٧/٥٠٥، وانظر: شرح الطحاوية: ٣١٤.

المبحث الثاني: عقيدة أهل السنة والجماعة في التوحيد والإيمان

أولًا: عقيدة أهل السنة والجماعة في التوحيد:

التوحيد هو إفراد الله عَزَّوَجَلَّ بما يستحقه من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، وينقسم إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، أو إلى قسمين: توحيد معرفة وإثبات: وهو توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد قصد وإرادة وطلب: وهو توحيد الألوهية(١)، فهذه عقيدة المسلمين، المؤمنين بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

والمراد بتوحيد الربوبية: الاعتقاد الجازم بأنَّ الله وحده الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لشؤون خلقه كلها لا شريك له في ذلك(٢).

والمراد بتوحيد الألوهية(٣): إفراد الله وحده بالخضوع والذل والمحبة والخشوع وسائر أنواع العبادة لا شريك له.

وهذا التوحيد هو الذي جاءت به الرسل ودعوا إليه أقوامهم، فالرسل مقررون لتوحيد الربوبية داعون لتوحيد الألوهية كما أخبر الله عنهم(٤)، فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: عن نوح عليه السلام: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢٥ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ٢٦﴾ [هود: ٢٥- ٢٦]، وقال تعالى عن هود عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ٥٠﴾ [هود:

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ٣/٩٤، ومدارج السالكين: ٣/٤١٧، وشرح العقيدة الطحاوية: ٢٦، والقول المفيد: ١/١٢، وعقيدة التوحيد: ١٥.

(٢) انظر: التوحيد لابن مندة: ٣/٣٠٤-٣٠٦، والحجة في بيان المحجة: ١/١١١-١١٣، والإبانة لابن بطة: ٦/١٤٩، والقول المفيد: ١/١٢، وعقيدة التوحيد: ١٦.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: ١/١٠٤، ١٩/١٠٦، ومدارج السالكين: ١/٢٥، وشرح الطحاوية: ٢٦، والعقائد السلفية: ٢٣، ودعوة التوحيد: ٤٧، والقول المفيد: ١/١٤، وعقيدة التوحيد: ٣٦.

(٤) انظر: مدارج السالكين: ١/٤١١، والدين الخالص: ١/٥٧، وتيسير العزيز الحميد: ٢٠، ودعوة التوحيد: ٣٧.

٥٠](١).

والمراد بتوحيد الأسماء والصفات: الإيمان الجازم بأسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة، وإثباتها دون تحريف أو تعطيل أو تكييف أو تمثيل(٢).

و "الأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسله نفيًا وإثباتًا، فيثبت لله ما أثبته لنفسه وينفي عنه ما نفاه عن نفسه, وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها: إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه مع إثبات ما أثبته من الصفات من غير إلحاد لا في أسمائه ولا في آياته، فإن الله تعالى ذم الذين يلحدون في أسمائه وآياته, كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ [فصلت: ٤٠]، فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات: إثباتًا بلا تشبيه وتنزيهًا بلا تعطيل, كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، ففي قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ رد للتشبيه والتمثيل، وفي قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ رد للإلحاد والتعطيل"(٣).

ولكل قسم من هذه الأقسام الثلاثة ضدٌ؛ "فإذا عرفت أن توحيد الربوبية هو الإقرار بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المحي المميت المدبر لجميع الأمور المتصرف في كل مخلوقاته لا شريك له في ملكه، فضد ذلك هو اعتقاد العبد وجود متصرف مع الله غيره فيما لا يقدر عليه إلا الله عَزَّوَجَلَّ(٤).

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم: ٤٦٤، ومجموع الفتاوى: ٣٣٢/١٦، ومدارج السالكين: ٤٤٣/٣، ومفتاح دار السعادة: ٢١٢/١، وتطهير الاعتقاد: ٦.

(٢) انظر:عقيدة السلف وأصحاب الحديث: ١٦٠-١٦٤، والحجة في بيان المحجة: ٣٢١/١، والتدمرية: ١٢٤، والقول المفيد: ١٦/١، وعقيدة التوحيد: ٦٣.

(٣) الرسالة التدمرية: ٤.

(٤) انظر: الفتاوى: ٩٦/٣-٩٧، ١٤/١٤، ومدارج السالكين: ٦٢/١، وشرح الطحاوية: ٢٨، وصيانة الإنسان عن

وإذا عرفت أنَّ توحيد الأسماء والصفات هو أن يدعى الله تعالى بما سمى به نفسه ويوصف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله محمد ﷺ وينفى عنه التشبيه والتمثيل، فضد ذلك أشياء(١):

أحدها: أن ينكر شيئا من الأسماء أو مما دلت عليه من الصفات والأحكام، كما فعل أهل التعطيل.

الثاني: أن يُسمي اللهَ سبحانه وتعالى بما لم يسم به نفسه، وذلك لأن أسماء الله تعالى توقيفية؛ فتسمية الله تعالى بما لم يسم به نفسه ميل بها عما يجب فيها.

الثالث: أن يعتقد أن هذه الأسماء دالة على أوصاف المخلوقين فيجعلها دالة على التمثيل.

الرابع: أن يشتق من أسماء الله تعالى أسماء الأصنام، كما فعل المشركون في اشتقاق العزى من العزيز، واشتقاق اللات من الإله.

الخامس: تعطيل الله عن صفات كماله ونعوت جلاله، أو تشبيه صفاته بصفات خلقه، وقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠].

وإذا عرفت أن توحيد الإلهية هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة ونفي العبادة عن كل ما سوى الله تبارك وتعالى فضد ذلك(٢) هو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا هو الغالب على عامة المشركين وفيه الخصومة بين جميع الرسل وأممها"(٣).

وسوسة دحلان: ١٤٧، وتيسير العزيز الحميد: ١٧، والدين الخالص: ١/٧١، ودعوة التوحيد: ٣٣.

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن: ٧٣٧، ومختصر الصواعق المرسلة: ٢/١١٠، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٣/١٧-١٩، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: ١/١٥٧، ٣/٢٧٨، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى: ١٤-٢٤.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: ١/٩١، إغاثة اللهفان(٢/٢٠٩، ٢٢١، وشرح الطحاوية: ١/ ٢٨، وتطهير الاعتقاد: ١٣، وصيانة الإنسان عن وسوسة دحلان: ٤٦٥، والعقائد السلفية: ٣٧، والدين الخالص: ١/٦٩.

(٣) معارج القبول للشيخ حافظ حكمي: ٢/٤٥٩ بتصرف يسير.

وفي بيان دلالة القرآن على أنواع التوحيد؛ يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر أن كل طائفة تسمي باطلهم توحيدا: "وأما التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه، فوراء ذلك كله، وهو نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات وتوحيد في الطلب والقصد.

فالأول: هو حقيقة ذات الرب تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله وعلوّه فوق سمواته على عرشه وتكلمه بكتبه وتكليمه لمن شاء من عباده وإثبات عموم قضائه وقدره وحكمه.

وقد أفصح القرآن عن هذا النوع جدّ الإفصاح. كما في أول سورة الحديد، وسورة طه، وآخر سورة الحشر، وأول سورة تنزيل السجدة، وأول سورة آل عمران، وسورة الإخلاص بكاملها، وغير ذلك.

النوع الثاني: مثل ما تضمنته سورة ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، وقوله: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾ [آل عمران: ٦٤] الآية، وأول سورة تنزيل الكتاب -الزخرف- وآخرها، وأول سورة يونس ووسطها وآخرها، وأول سورة الأعراف وآخرها، وجملة سورة الأنعام، وغالب سور القرآن، بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد".

ثم ذكر - رَحِمَهُ ٱللَّهُ- قولاً كلياً في تضمن القرآن للتوحيد في كل آياته فقال: " إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه، فإن القرآن: إما خبر عن الله، وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد. فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم..."[(١)].

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: "واعلم أن إيراد الآيات القرآنية على إثبات كل مقصد من هذه

(١) مدارج السالكين: ٤١٧/٣، وانظر: شرح الطحاوية: ٣٩.

(٢) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني الصنعاني، الإمام العلامة المجتهد، محدث فقيه مفسر مؤرخ، ولي القضاء

المقاصد، وإثبات اتفاق الشرائع عليها، لا يحتاج إليه من يقرأ القرآن العظيم، فإنه إذا أخذ المصحف الكريم وقف على ذلك في أي موضع شاء، ومن أي مكان أحب، وفي أي محل منه أراد، ووجده مشحوناً به من فاتحته إلى خاتمته"[١].

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي[٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقد دل استقراء القرآن العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: توحيده في ربوبيته، وهذا النوع من التوحيد جبلت عليه فِطر العقلاء، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقال: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس: ٣١]، وهذا النوع من التوحيد لا ينفع إلا بإخلاص العبادة لله...

الثاني: توحيده جل وعلا في عبادته. وضابط هذا النوع من التوحيد هو تحقيق معنى "لا إله إلا الله"، وهي متركبة من نفي وإثبات؛ فمعنى النفي منها: خلع جميع أنواع المعبودات غير الله كائنة ما كانت في جميع أنواع العبادات كائنة ما كانت.

ومعنى الإثبات منها: إفراد الله -جل وعلا- وحده بجميع أنواع العبادات بإخلاص، على الوجه الذي شرعه على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام... وهو الذي فيه المعارك بين الرسل وأممهم ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾ [ص: ٥].

ومن الآيات الدالة على هذا النوع من التوحيد قوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد: ١٩] الآية...

مدة، وله مؤلفات من أشهرها: نيل الأوطار، وفتح القدير، البدر الطالع، ت سنة ١٢٥٠هـ. انظر: البدر الطالع: ٢/٢١٤، التاج المكلل: ٤٤٢.

(١) إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات: ٤.

(٢) هو العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، متفنن في علوم عدة، مبرّزاً في اللغة والتفسير، من مؤلفاته: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ومذكرة أصول الفقه على روضة الناظر، آداب البحث والمناظرة، وغيرها؛ توفي سنة ١٣٩٣ هـ. انظر: ترجمة تلميذه عطية سالم له في مقدمة كتابه أضواء البيان: ١/ ١٩، والأعلام: ٦/٤٥، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون: ٦/٣٧١.

النوع الثالث: توحيده -جل وعلا- في أسمائه وصفاته" [١].

ومن الآيات التي جمعت أقسام التوحيد الثلاثة[٢] قول الله -تبارك وتعالى- في سورة مريم: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥].

يقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي[٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيناً دلالة الآية على ذلك: "... اشتملت -أي الآية- على أصول عظيمة على توحيد الربوبية، وأنه تعالى رب كل شيء وخالقه ورازقه ومدبره، وعلى توحيد الألوهية والعبادة، وأنه تعالى الإله المعبود، وعلى أن ربوبيته موجبة لعبادته وتوحيده،... واشتملت على أن الله تعالى كامل الأسماء والصفات عظيم النعوت جليل القدر وليس له في ذلك شبيه ولا نظير ولا سمي، بل قد تفرد بالكمال المطلق من جميع الوجوه والاعتبارات"[٤].

وهذه الأقسام الثلاثة للتوحيد لها دلائل كثيرة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ:

١- فمن أدلة توحيد الربوبية قول الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، وقوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقوله: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الرعد: ١٦]، وقوله: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩]، وقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٣/١٧-١٩.

(٢) انظر: القول المفيد: ١/١٢.

(٣) هو العلامة عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي، الفقيه الأصولي المفسر، من مؤلفاته: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المعروف بتفسير ابن سعدي، والتوضيح المبين لتوحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية، والدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية وغيرها من الكتب. توفي عام ١٣٧٦. انظر: روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين: ١/ ٢٢٩، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون: ٣/٢١٨.

(٤) المواهب الربانية من الآيات القرآنية: ٤٤، ٤٥.

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢]، وغيرها من الآيات.

٢- ومن أدلة توحيد الألوهية قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢]؛ لأن الله معناه المألوه المعبود، وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١]، وقوله: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٢-٣]، وقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الزمر: ١٤-١٥]، وقوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥]، وغيرها من الآيات.

٢- ومن أدلة توحيد الأسماء والصفات قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: ٣-٤]، وقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: ٨]، وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وآخر سورة الحشر، وغيرها من الآيات.

العلاقة بين أنواع التوحيد:

إن العلاقة بين أنواع التوحيد هي علاقة استلزام وتضمن(١)، فتوحيد المعرفة والإثبات - وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات- مستلزم لتوحيد الألوهية الذي هو التوحيد العملي،

---

(١) دلالة التضمن: وهي تفسير اللفظ ببعض مدلوله، أو بجزء معناه، أو هي دلالة اللفظ على جزء ما وضع له في ضمن كل المعنى. وسميت بذلك لأنها عبارة عن فهم جزء من الكل؛ فالجزء داخل ضمن الكل أي في داخله. أما دلالة الالتزام، فهي الاستدلال باللفظ على غيره، أو هي دلالة اللفظ على خارج معناه الذي وضع له. مثال على ذلك: اسم: الخالق يدل على ذات الله، وعلى صفة: الخلق بالمطابقة، ويدل على الذات وحدها بالتضمن، وعلى صفة: الخلق وحدها بالتضمن، ويدل على صفتي: العلم والقدرة بالالتزام، أي أن اللفظ دل على معنى خارج عن معناه الأصلي الذي وضع له، وذلك أن الخالق لا يمكن أن يخلق إلا وهو قادر، وكذلك لا يمكن أن يخلق إلا وهو عالم. انظر: الإحكام في أصول الأحكام: ١٥/١، وشرح الكوكب المنير: ١٢٦/١، والصفات الإلهية: ١٧٨-١٧٩، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين: ١٢١/١.

بمعنى أن الإيمان بوحدانية الرب الخالق الرازق المحيي المميت وبكافة أسمائه وصفاته يستلزم الموحد أن يعبد الله ويوحده في ألوهيته؛ لأنه ما دام أقر واعترف بربوبية الله، وأنه وحده الخالق المالك المتصرف المدبر، وأن له الأسماء الحسنى والصفات العلى؛ فيلزم من ذلك أن يفرده بالعبودية(١).

وأما توحيد الألوهية فهو متضمن لتوحيد الربوبية والأسماء والصفات, بمعنى أن الإيمان بوحدانية الله وصرف العبادة له لا يحصل إلا ممن أقر بأن هذا الإله المعبود رب العالمين، لأن العبادة لا تصرف حقيقة إلا للرب المتصف بالكمال المنزه عن النقص.

وعلى هذا إذا علم العبد أن ربه لا شريك له في خلقه وأمره وأسمائه وصفاته نتج عنه أن يعمل على طاعته وعبادته، ومن عبد إلهه ووحده يكون قد اعترف أولًا بأنه لا رب غيره يشركه في خلقه وأمره، وأنه هو الخالق المالك المتصرف الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى (٢).

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والإلهية التي دعت الرسل أممهم إلى توحيد الرب بها هي: العبادة والتأليه, ومن لوازمها توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون فاحتج الله عليهم به, فإنه يلزم من الإقرارِ به الإقرارُ بتوحيد الإلهية" (٣).

وقال ابن أبي العز(٤) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وتوحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية دون العكس, فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزًا، والعاجز لا يصلح أن يكون إلهًا"(٥).

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ١/١٩٤، ٢/٦، ٢٩٧.

(٢) انظر: العبودية: ٤٩، ومدارج السالكين: ١/٤١١، وصيانة الإنسان عن وسوسة دحلان: ٤٧، ودعوة التوحيد: ٨٤.

(٣) إغاثة اللهفان: ٢/١٣٥.

(٤) علي بن علي بن محمد بن أبي العز الأذرعي، الدمشقي، الصالحي، المعروف بابن أبي العز، حنفي، القاضي الفقيه، وولي قضاء دمشق ومصر وتوفي بدمشق سنة ٧٩٢هـ. من مؤلفاته: شرح العقيدة الطحاوية، الاتباع، التنبيه على مشكلات الهداية. انظر: شذرات الذهب: ٦/٣٢٦، الدرر الكامنة: ٣/٨٧، الأعلام: ٤/٣١٣.

(٥) شرح الطحاوية: ٢٩، وانظر: صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان: ٤٨٥، ودعوة التوحيد: ٣٥.

ثانيًا: عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان

الإيمان عند أهل السنة والجماعة قول وعمل، ولا يكون العبد مؤمنا إلا أن يصدق بقلبه، ويقرَّ بلسانه، ويعمل بجوارحه.

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركنا: أن الإيمان: قول، وعمل، ونية، لا يجزئ واحد من الثلاثة عن الآخر"(١).

وقال محمد بن حسين الآجري(٢) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب "القول بأن الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، لا يكون مؤمناً إلا أن يجتمع فيه هذه الخصال الثلاث "، قال: "اعلموا رحمنا الله وإياكم أن الذي عليه علماء المسلمين أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح.

ثم اعلموا أنه لا تجزىء المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً، ولا تجزىء معرفة القلب ونطق اللسان حتى يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيه هذه الثلاث الخصال كان مؤمناً، دل على ذلك الكتاب والسنة وقول علماء المسلمين.." (٣).

ويقول الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: "لا يستقيم الإيمان إلا بالقول، ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بالعمل، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بنية موافقة للسنة.

وكان من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل، العمل من الإيمان، والإيمان من العمل، وإنما الإيمان اسم يجمع، كما يجمع هذه الأديان اسمها، ويصدقه العمل، فمن آمن بلسانه، وعرف بقلبه، وصدق بعمله، فتلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومن قال بلسانه،

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ٨٨٦/٥.

(٢) أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري البغدادي، الإمام المحدث الفقيه الشافعي، كان عالماً عابداً صاحب سنة واتباع، انتقل إلى مكة وجاور بها، وبها توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة: ٣٦٠هـ، وله عدة تصانيف أشهرها: كتاب الشريعة.
انظر: تاريخ بغداد: ٢٣٩/٢، وفيات الأعيان: ١١٣/٤، وشذرات الذهب: ٣٥/٣، وسير أعلام النبلاء: ١٣٣/١٦.

(٣) الشريعة للآجري: ٦١١/٢، وانظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ٨٣٢/٤.

ولم يعرف بقلبه، ولم يصدق بعمله، لم يقبل منه، وكان في الآخرة من الخاسرين"[١].

وعلى هذا المعتقد أئمة الدعوة، يقول الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فالإيمان بإجماع السلف محله القلب والجوارح جميعا"[٢].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن[٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فلا يصدق الإيمان الشرعي على الإنسان إلا باجتماع الثلاثة: التصديق بالقلب وعمله، والقول باللسان، والعمل بالأركان، وهذا قول أهل السنة والجماعة، سلفا وخلفا"[٤].

ويقول الشيخ عبد الله أبا بطين[٥] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومذهب أهل السنة والجماعة: أن الإيمان تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح"[٦].

وقال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان حد الإيمان وتفسيره بأنه: " التصديق الجازم، والاعتراف التام بجميع ما أمر الله ورسوله بالإيمان به، والانقياد ظاهراً وباطناً، فهو تصديق القلب، واعتقاده المتضمن لأعمال القلوب، وأعمال البدن، وذلك شامل للقيام بالدين كله؛ ولهذا كان الأئمة والسلف يقولون: الإيمان: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، وهو: قول، وعمل، واعتقاد، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، فهو يشمل عقائد الإيمان، وأخلاقه، وأعماله" [٧].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ٥/٨٨٦، والإبانة الكبرى: ٢/٨٠٧.

(٢) مؤلفات الشيخ: ٣/٥١.

(٣) عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، المجدد الثاني، من مصنفاته: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، وقرة عيون الموحدين، والرد على داود بن جرجيس، وغيرها. توفي سنة ١٢٨٥هـ. انظر: الدرر السنية: ١٦/٤٠٤، ومشاهير علماء نجد: ٨٥.

(٤) فتح المجيد: ٣٤٨.

(٥) عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الرحمن أبو بطين، مفتي الديار النجدية في زمانه، وأحد الفقهاء الحنابلة المتأخرين، من مؤلفاته: الانتصار لحزب الله الموحدين، وتأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس، وتعليقات على لوامع الأنوار للسفاريني، توفي سنة ١٢٨٢ هـ. انظر: الدرر السنية: ١٦/٤٢٧، ومشاهير علماء نجد: ١٧٨.

(٦) الدرر السنية: ١/٣٦٤. وانظر: تقريرات علماء الدعوة في الإيمان ومسائله، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٨٢).

(٧) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان: ٩، وانظر: كتاب الإيمان لابن منده: ١/٣٤١، ومجموع الفتاوى: ٧/٥٠٥، وشرح

والأدلة على دخول هذه الأمور في مسمى الإيمان كثيرة، منها: قوله تعالى عن تصديق القلب وإيقانه: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ۝٣٣ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٣٤ ﴾ [الزمر: ٣٣- ٣٤]، وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ۝٧٥ ﴾ [الأنعام: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ ﴾ [الحجرات: ١٥]، وقال تعالى في المرتابين الشاكين ﴿ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡ ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

وفي حديث الشفاعة: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه من الخير ما يزن شعيرة» [(١)].

وقوله تعالى في ذكر بعض أعمال القلوب من الإخلاص والمحبة والإنقياد والإقبال على الله عَزَّوَجَلَّ والتوكل عليه ولوازم ذلك وتوابعه، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾[الأنعام: ٥٢]، وقال: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٠ ﴾ [الليل:١٩-٢٠]، وقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ۝٤ ﴾ [الأنفال: ٢-٤]، وغير ذلك من النصوص الدالة على وجوب التوكل والخوف والرجاء والخشية والخضوع والإنابة وغيرها من أعمال القلوب.

ومنها قوله تعالى بالنطق بالشهادتين: شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والإقرار بلوازمهما، قال الله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ۝١٣٦ ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ ﴾ [القصص:

الطحاوية: ٣٢٥.

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾، رقم: ٧٤١٠، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم: ١٩١.

٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ [الشورى: ١٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الاحقاف: ١٣]، وقال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله..»[1].

ومنها قوله تعالى في الأعمال التي تؤدى باللسان كتلاوة القرآن وسائر الأذكار من التسبيح والتحميد والتكبير والدعاء والاستغفار وغير ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر: ٢٩]، وقال: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٧]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

ومنها الأدلة فيما ما يتعلق بعمل الجوارح، وهو العمل الذي لا يؤدى إلا بها، مثل: القيام والركوع والسجود، والمشي إلى المساجد وإلى الحج والجهاد في سبيل الله، قال الله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج: ٧٧- ٧٨]، وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان: ٦٣- ٦٤][2].

ومن الأدلة الصريحة في ذلك حديث وفد عبد القيس، وفيه قوله ﷺ: «آمركم بالإيمان بالله وحده»، وقال: « أتدرون ما الإيمان بالله وحده»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تعطوا من المغنم الخمس»[3].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾، رقم: ٢٥، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، رقم: ٢٢.

(٢) انظر: معارج القبول للشيخ حافظ حكمي: ٢/١٧ وما بعدها.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: أداء الخمس من الإيمان، برقم: ٥٣، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه، برقم: ٢٣.

المبحث الثالث: الدعاوى المتعلقة بالتوحيد والإيمان والجواب عنها

أثار المعاصرون المناوئون لدعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب التوحيد والإيمان عدة دعاوى، وعند تأمل أغلبها نجد أنها متكررة مع أسلافهم، ومما ذكروا من الدعاوى[١]:

الأولى: إدعاء النبوة وانتقاص الرسول ﷺ[٢].

الثانية: الزعم بأن الإمام مشبه مجسم[٣].

الثالثة: تنزيل آيات في المشركين على المسلمين[٤].

الرابعة: تحريم التوسل، وعدم التفريق بين التوسل المشروع والتوسل الممنوع[٥].

الخامسة: منع الاستشفاع بالنبي ﷺ مطلقًا، وعدم التفريق بين الاستشفاع المشروع والاستشفاع الممنوع[٦].

السادسة: هدم الأبنية والقبور، والنهي عن شد الرحال لزيارتها، وعدم التفريق بين الزيارة المشروعة والزيارة الممنوعة[٧].

---

(١) انظر: إسلامية لا وهابية: ٢٠٠-٢٤٠.

(٢) انظرها والرد عليها في: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: ٧٨-١١٢، وسلفية لا وهابية: ٢٦٢، ٢٩٢.

(٣) انظرها والرد عليها في: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: ١١٣-١١٧، وإسلامية لا وهابية: ١٥٦، والشيخ محمد بن عبدالوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية: ٥٩.

(٤) انظرها والرد عليها في: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: ٢٢٧-٢٣٢.

(٥) انظرها والرد عليها في: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: ١٤١-٢٤٢، والشيخ محمد بن عبدالوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية: ٥٧.

(٦) انظرها والرد عليها في: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: ٢٧٨-٣٠٠، والشيخ محمد بن عبدالوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية: ٧٧، وسلفية لا وهابية: ٣١٧، ٢٩٢، وإسلامية لا وهابية: ١٥٨.

(٧) انظرها والرد عليها في: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: ٣٠٢-٣٤٧، والشيخ محمد بن عبدالوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية: ٥٧-٥٨، وسلفية لا وهابية: ٣٢٦.

السابعة: تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام[١].

الثامنة: إنكار دعاء الموتى[٢].

وأضافوا عليها ما يلي:

---

(١) انظرها والرد عليها في: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: ٣٢٨-٣٤٦.

(٢) انظرها والرد عليها في: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: ٣٤٧-٣٧٣، وانظر في الجواب عن شبهات المبتدعة في توحيد العبادة: كتاب شبهات المبتدعة في توحيد العبادة — عرض ونقد — د. عبدالله الهذيل، وفي الجواب عن شبهاتهم في توحيد الربوبية والأسماء والصفات: كتاب قلب الأدلة على الطوائف المضلة في توحيد الربوبية والأسماء والصفات لتميم القاضي.

المطلب الأول: دعوى أن الإمام يعتقد: أن توحيد المشركين في الربوبية توحيد كامل

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى أن الإمام وأتباعه يعتقدون أن توحيد المشركين في الربوبية توحيد كامل.

يقول عثمان بن مصطفى النابلسي: "لكن الوهابيون يحملون الربوبية على الإلهية كما مر في كلام مؤسسهم عن سؤال الملكين، وعن قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾[الحج: ٤٠]، وقوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا ﴾[الأنعام: ١٦٤]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ ﴾ [فصلت: ٣٠]، ولا يقولون بمعنى يشملهما معاً في هذه النصوص، وذلك لاعتقادهم بتوحيد المشركين في الربوبية توحيداً كاملاً، فلم يدعهم القرآن ولا النبي ﷺ إلى الربوبية لأنها حاصلة عندهم"[(١)].

ثم ذكر بعض الأدلة التي فيها ذكر الألوهية وأن معنى الإله في جميع هذه الآيات وغيرها هو الرب، فقال:

"قال تعالى: ﴿ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[البقرة: ١٦٣].

فيكون معناها: وربكم رب واحد، لا رب إلا هو.

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[البقرة: ٢٥٥].

فيكون معناها: الله لا رب إلا هو.

وقال تعالى: ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[الأعراف: ١٥٨].

فيكون المعنى: لا رب إلا هو يحيي ويميت.

وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[آل عمران: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾[النحل: ٢٢].

---

(١) الرؤية الوهابية للتوحيد وأقسامه: ٢٧، وانظر: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، تحرير المعاني وضبط القواعد: ١٣، مغالطات السلفية: ١٦٧.

فيكون معنى الإله في جميع هذه الآيات وغيرها هو الرب، ويكون معنى كلمة التوحيد: لا رب إلا الله!! والوهابية يخالفون ذلك أشد المخالفة، مع أن المؤمن بالربوبية إيماناً تامّاً لن يشرك في الإلهية لتلازمها كما قدمنا"(١).

ثم نقل عن الشيخ عبدالعزيز ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ – على حسب فهمه– أن الشيخ يقول بأن توحيد المشركين توحيد كامل: "قال ابن باز في فتاواه (٤٢/٢): (... لأن الخصومة بين الرسل والأمم في توحيد العبادة، وإلا.. فالأمم تقر بأن الله ربها وخالقها ورازقها، وتعرف كثيراً من أسمائه وصفاته، ولكن النزاع والخصومة من عهد نوح إلى يومنا هذا في توحيد الله بالعبادة).

وقال في فتاواه (٥/٢): (فقد اطلعت على الكلمة التي كتبها أخونا في الله العلامة الشيخ عمر بن أحمد المليباري في معنى لا إله إلا الله، وقد تأملت ما أوضحه فضيلته في أقوال الفرق الثلاث في معناها. وهذا بيانها: الأول: لا معبود بحق إلا الله. الثاني: لا مطاع بحق إلا الله. الثالث: لا رب إلا الله، والصواب: هو الأول، كما أوضحه فضيلته).

فلم يقل إن الصواب هو اشتمالها على الكل، بل حصر معناها في الألوهية دون الربوبية.

وسبق تصريحه بأن المشركين مقرون بكمال الله تعالى في ذاته وفي أسمائه وفي صفاته وفي أفعاله وبأنه لا شبيه له ولا ند له ولا مثيل له"(٢).

حقيقة هذه الدعوى:

هذه الدعوى قديمة(٣)، وهي مبنية على تعريف التوحيد، والاقتصار فيه على الربوبية، وأن تعريف كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" بأنها لا قادر على الاختراع إلا الله، أو لا خالق إلا الله، وأن الله واحد في أفعاله لا شريك له(٤).

---

(١) الرؤية الوهابية للتوحيد وأقسامه: ٢٧.

(٢) المرجع السابق: ٢٨.

(٣) انظر: الدرر السنية في الرد على الوهابية: ٤٠.

(٤) انظر: الإنصاف للباقلاني: ٣٣-٣٤، والاعتقاد للبيهقي: ٦٣، وأصول الدين للبغدادى: ١٢٣، والملل والنحل للشهرستاني: ١/١٠٠، وشرح أسماء الله الحسنى للرازي: ١٢٤، ولزيادة التفصيل، انظر: منهج أهل السنة ومنهج

وفي هذه الدعوى يزعم المناوئ أن هذه الدعوة المباركة تقول بأن المشركين يقرون بتوحيد الربوبية، وأن من أقر بتوحيد الربوبية فإنه يستلزم توحيد الألوهية، وهذا الأمر – حسب زعمه- أوقعهم في التناقض؛ لأنها لا تقول بتوحيد المشركين في الألوهية؛ لكن لما بينت هذه الدعوة المباركة مرادها بذلك، وأن توحيد المشركين في الربوبية لا ينفعهم إن لم يحققوا توحيد الألوهية، وأن توحيدهم في الربوبية توحيد ناقص؛ أراد المخالف أن يثبت تناقض الدعوة فأضاف أن الدعوة تزعم بأن توحيد المشركين في الربوبية توحيد كامل؛ فإذا كان توحيد المشركين في الربوبية توحيدا كاملا فإنه يستلزم توحيد الألوهية؛ وهذا الأمر يخالف ما تقول به الدعوة – حسب زعمه-.

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: أن القول بأن المشركين يقرون بتوحيد الربوبية، هذ أمر قد أثبته الله في كتابه في آيات كثيرة[(١)]، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦١]،، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [الزخرف: ٩].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٦]. قال ابن جرير[(٢)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: " يقول تعالى ذكره: وما يُقِرُّ أكثر هؤلاء الذين وصَفَ ﷻ صفتهم بقوله: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ بالله أنه خالقه ورازقه وخالق كل شيء ﴿ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾، في عبادتهم الأوثان والأصنام، واتخاذهم من دونه أربابًا، وزعمهم أنَّ له ولدًا، تعالى الله عما يقولون"[(٣)].

ثم أخرج ابن جرير بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: "من إيمانهم، إذا قيل لهم: مَن خلق

الأشاعرة في توحيد الله تعالى، وحقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين.

(١) انظر: شبهات المبتدعة في توحيد العبادة: ١/١٧١، ٣١٣، دعاوى المناوئين: ٣٢٩-٣٣٢.

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، صاحب التفسير والتاريخ وتهذيب الآثار. إمام ثقة حافظ، توفي في بغداد سنة ٣١٠هـ. انظر: البداية والنهاية: ١١/١٥٦، وسير أعلام النبلاء: ١٤/٢٦٧.

(٣) جامع البيان للطبري: ١٦/٢٨٦.

السماء؟ ومن خلق الأرض؟ ومن خلق الجبال؟ قالوا: الله. وهم مشركون".

وقال عكرمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " تسألهم: مَن خلقهم؟ ومن خلق السماوات والأرض، فيقولون: الله. فذلك إيمانهم بالله، وهم يعبدون غيره".

وعن مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: " إيمانُهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا.، فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيرَه".

وعن قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: "إنك لست تلقى أحدًا منهم إلا أنبأك أن الله ربه، وهو الذي خلقه ورزقه، وهو مشرك في عبادته"(١).

فدلت هذه الأقوال على أن المشركين يعترفون بالربوبية؛ ولكنهم يشركون في الألوهية.

قال المقريزي(٢)رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون، بل أقرّوا بأنه سبحانه وحده خالقهم، وخالق السموات والأرض، والقائم بمصالح العالم كله، وإنما أنكروا توحيد الإلهيّة والمحبّة"، إلى أن قال:" من عدل به غيره فقد أشرك في ألوهيّته ولو وحّد ربوبيّته، فتوحيد الربوبيّة هو الذي اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها وكافرها، وتوحيد الإلهيّة مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين"(٣).

ثانيًا: الآيات التي ذكر فيها المخالف أن الدعوة المباركة حملت فيها آيات الربوبية على الألوهية، وهي قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾[الحج: ٤٠]، الخ. وكذلك:

ثالثًا: الآيات التي فسر فيها المخالف الألوهية بالربوبية، وهي قوله تعالى: ﴿ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣]، الخ.

فإن من عقيدة أهل السنة والجماعة -كما سبق في المبحث الثاني من هذا الفصل-

---

(١) انظر هذه الأقوال وغيرها في المرجع السابق: ١٦/٢٨٦-٢٨٩.

(٢) أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد، أبو العباس المقريزي، البعلبكي الأصل، المصري المولد والوفاة، الحنفي ثم الشافعي، له مصنفات عديدة منها: الواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ويعرف بخطط المقريزي، وله تجريد التوحيد المفيد، توفي سنة ٨٤٥هـ. انظر: شذرات الذهب: ٧/٢٥٤، والبدر الطالع: ١/٧٩، والضوء اللامع لأهل القرن التاسع: ٢/٢١.

(٣) تجريد التوحيد: ٢٠-٢١.

العلاقة بين توحيد الربوبية والألوهية؛ وأن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية، ويصح التعبير بأحدهما عن الآخر حيث إن الإله لا يكون كذلك إلا باتصافه بالربوبية. والرب المالك لكل شيء هو وحده المستحق للعبادة[١].

وهذا التلازم لا يصدق إلا في حق الله تعالى؛ إذ هو الحق في ربوبيته وألوهيته؛ ولذلك فإن مصداق الرب عين مصداق الإله في نفس الأمر، وهو أن الله تعالى هو وحده مستحق للعبادة، فله الألوهية والعبودية على خلقه، وهو سبحانه الرب المتفرد بالخلق والملك والتدبير[٢].

وهذه القضية وهي أن الإله هو الرب قضية صحيحة في نفسها، وكذلك قضية صحيحة في اعتقاد الموحدين، أما في حال المشركين فلا، كما سبق عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦].

رابعًا: أن الإمام وأتباعه لم يقل أحد منهم بأن المشركين يقرون بتوحيد الربوبية الإقرار الكامل، وإنما المراد تقرير ما ثبت في القرآن عن المشركين من اعترافهم بالخالق الرازق المدبر لشؤون الخلق، قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت: ٦١]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الزخرف: ٩]، وغيرها من الآيات.

بل إن الإمام وأتباعه يذكرون عن المشركين بعض ما يقع منهم من الشرك كالاستسقاء بالأنواء والتطير واعتقاد النفع والضر في آلهتهم إلى غير ذلك[٣]، مما هو شرك في الربوبية.

قال تعالى مخبراً عن المشركين: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [هود: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية: ٢٤]، وقال تعالى:

---

(١) انظر: الذخيرة: ٥٧/٢، ، والمحرر الوجيز: ٤١٩/٢، وتفسير القرطبي: ٣٠٨/٨، وتفسير السمعاني: ٩٢/٥، ٢٧٨-٢٨٠، ومعالم التنزيل: ٢٨٣/٤، والتفسير الكبير للرازي: ٩١/٩.

(٢) انظر: صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان: ٤٣٩-٤٤١، وتيسير العزيز الحميد: ٨١.

(٣) انظر: الدرر السنية: ٢٦٠/١، ٤١٠، ٦٣/٢، ١٤٣، ١٣٧/١٠، ٣٣٩، ٥/١١، ٤١، وشرح الطحاوية: ٢٥/١، ٣٦، ٣٨.

﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الواقعة: ٨٢].

وقد ذكر أهل التفسير أنهم كانوا ينسبون الفضل في نزول المطر إلى الأنواء[١].

خامسًا: أن الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد قرر أن من أسبابِ الغلطِ الحاصلِ في توحيد الألوهية الغلطُ في توحيد الربوبية، وأن الرجل إذا حقق توحيد الربوبية تحقيقاً كاملاً فإن ذلك يستلزم منه توحيد الألوهية. وهذا يناقض ما ذكره المخالف.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فأما توحيد الربوبية، فهو: الأصل، ولا يغلط في الإلهية إلا من لم يعطه حقه، كما قال تعالى فيمن أقر بمسألة منه: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٧]"[٢].

إذا لا يقع الغلط في توحيد الإلهية إلا لمن لم يُعط توحيد الربوبية حقه، فإن أتى بشيء منه كالإقرار بأصل الوصف الخلق والرزق والتدبير لا على وجه التمام ولم يوجد لازمها فحينئذٍ يكون لديه خلل في الإقرار بالتوحيد.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والإلهية التي دعت الرسلُ أُمَمَهم إلى توحيد الرَّبِّ بها: هي العبادة والتأله، ومن لوازمها: توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون، فاحتج الله عليهم به، فإنه يلزم من الإقرار به الإقرار بتوحيد الإلهية"[٣].

سادسًا: أن المخالف ذكر أن الدعوة المباركة تقول بأن توحيد المشركين في الربوبية توحيد كامل، ولم يذكر مصدر ذلك الكلام - وأنّى له ذلك-.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٧/٥٤٥-٥٤٧.

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية: ٢/٦٤، وانظر: ١/٦٢، منهج أهل السنة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى: ٢٤٢.

(٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: ٢/١٣٥.

المطلب الثاني: دعوى أن توحيد الربوبية لا يستلزم توحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية لا يتضمن توحيد الربوبية

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى أن توحيد الربوبية لا يستلزم توحيد الألوهية، وأن توحيد الألوهية لا يتضمن الربوبية.

نقل عثمان مصطفى النابلسي قول الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تقرير استلزام توحيد الربوبية لتوحيد الألوهية، وتضمن الألوهية للربوبية ما نصه: (واعلم أن الإقرار بالربوبية يستلزم الإقرار بالألوهية، وأن الإقرار بالألوهية متضمن الإقرارَ بالربوبية.

أما الأول: فهو دليل ملزم, أي إن الإقرار دليل ملزم لمن أقر به أن يقر بالألوهية؛ لأنه إذا كان الله وحده هو الخالق وهو المدبر للأمور وهو الذي بيده ملكوت كل شيء, فالواجب أن تكون العبادة له وحده لا لغيره.

والثاني: متضمن للأول, يعني أن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية؛ لأنه لا يتأله إلا للرب عَزَّوَجَلَّ الذي يعتقد أنه هو الخالق وحده وهو المدبر لجميع الأمور سبحانه وتعالى).

ثم قال: " أولاً: هل هذا التلازم بين قسمي التوحيد عقلي كالتلازم بين تعدد الآلهة وفساد الكون؟ أم هو عادي كالتلازم بين طلوع الشمس ووجود النهار؟ أم هو شرعي كلزوم المهر بالخلوة؟

أياً كان التلازم فهو لا يلائم الرؤية الوهابية, فإنّهم يرون جواز وجود التوحيد الكامل في الربوبية, مع انتفاء التوحيد في الألوهية, فكيف يكون توحيد الربوبية مستلزماً للألوهية؟

وإذا كان التوحيد في الربوبية يستلزم التوحيد في الألوهية, والمشركون لم يوحدوا في الألوهية, فهذا يدل على أنّهم لم يوحدّوا أيضاً في الربوبية, لأن انتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم, كما أن انتفاء وجود النهار يدل على انتفاء طلوع الشمس, فقول ابن عثيمين: "أي إن الإقرار دليل ملزم لمن أقر به أن يقر بالألوهية" يدلّ على أنّ إقرار المشركين لم يكن إقراراً حقيقياً,

وإلا لأقروا بالألوهية, وهذا يخالف ما ذهبوا إليه"(١).

ثم قال: "وتمييز الوهابية بين التوحيدين وقولهم بأن توحيد الربوبية يستلزم الألوهية, يدلّ على تغاير قسمي التوحيد, فيرون أنّ توحيد الربوبية يلزم من عدمه انتفاء توحيد الألوهية, لكن لا يلزم من وجوده تحقق التوحيد في الألوهية, فهو إذن شرط لتوحيد الألوهية والشرط خارج عن حقيقة الشيء مغاير له, ثم يقولون أنّ توحيد الألوهية متضمِّن لتوحيد الربوبية, ولا يلزم من تحقق التوحيد في الربوبية التوحيدُ في الألوهية, ولكن يلزم من انتفائه انتفاء التوحيد في الإلهية, فهو إذن ركنٌ لتوحيد الألوهية! فكيف يصبح توحيد الربوبية شرطاً للإلهية وركناً منه في نفس الوقت [كذا]؟! أليس هذا اضطراباً في الفهم!، ألا يعنى هذا أن الشيء صار شرطاً لأمر هو داخل فيه؟! فالشيء يكون ضمن غيره لا يستلزمه، لأن ذلك يعني استلزامه أمراً هو جزء منه أصلاً، فهل يُعقل أن يكون توحيد الربوبية مستلزماً أمراً هو جزء منه! فيكون جزء الشيء شرطاً له أو شرطه جزءاً من حقيقته!"(٢).

حقيقة هذه الدعوى:

هذه الدعوى لها تعلق بالدعوى السابقة من جهة تعريف التوحيد واستلزام توحيد الربوبية لتوحيد الألوهية، وتضمن توحيد الألوهية لتوحيد الربوبية.

فيزعم المناوئ لدعوة الإمام أن هذه الدعوة المباركة تقول: بأن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، وهذا الأمر غير واقع في الحقيقة؛ لأنهم يقولون: إن المشركين يقرون بتوحيد الربوبية ومع ذلك لم يقروا بتوحيد الألوهية.

ثم يقول: وبناء على كلام أتباع هذه الدعوة المباركة فإن انتفاء اللازم – وهو توحيد الألوهية– يدل على انتفاء الملزوم – وهو توحيد الربوبية –، وهذا يدل على أن المشركين لم يقروا بتوحيد الربوبية؛ ليتوصل بذلك إلى تناقض أتباع الدعوة التي تقول بأن المشركين يقرون بتوحيد الربوبية. وأضاف في هذه الدعوى السؤال عن نوع هذا التلازم بين التوحيدين، هل هو عقلي

(١) الرؤية الوهابية للتوحيد: ٣٧-٣٨، وانظر: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، تحرير المعاني وضبط القواعد: ١٠٧، تحقيق مسائل مهمات من علم التوحيد والصفات: ١٠٦.

(٢) الرؤية الوهابية للتوحيد: ٣٨-٣٩.

أو شرعي أو عادي. وهل توحيد الربوبية شرط لتوحيد الألوهية، أو ركن فيه.

الجواب عن هذه الدعوى:

أولًا: أن هذه الدعوى ومثلها التي قبلها مبنية على تفسيرهم لكلمة التوحيد " لا إله إلا الله"، بقولهم " لا خالق إلا الله" ، أو " لا قادر على الاختراع إلا الله".

ثانيًا: أنه سبق في الدعوى السابقة بأن الإمام محمد بن عبدالوهاب وأئمة الدعوة لما قالوا بأن المشركين يقرون بتوحيد الربوبية لم يقولوا بأنهم يقرون به الإقرار الكامل بأن الله تعالى هو رب كل شيء ومليكه، وهو الخالق المدبر للأمور كلها، والمتصرف في الكون كله، لم يكن له أي شريك في ملكه، ولم يكن له أي ولي من الذل، لا أحد ولا شيء راد لأمره، ولا معقب لحكمه، ولا يوجد هناك من يماثله أو ينازعه في أي معنى من معاني ربوبيته؛ وإلا لو وجد منهم هذا الإقرار لوحدوه في الألوهية وأن سبب شرك المشركين في الألوهية هو غلطهم في الربوبية.

ثالثًا: قوله: "أنه يلزم من عدم توحيد الربوبية انتفاء توحيد الألوهية" صحيح وحق، فإن من لم يُفرد الله عَزَّوَجَلَّ في ربوبيته، فإنه لن يُفرد الله عَزَّوَجَلَّ في ألوهيته، وهذا الأمر لا يعرف له مخالف من المسلمين.

رابعًا: قوله: "لكن لا يلزم من وجوده – أي توحيد الربوبية – تحقق التوحيد في الإلهية". فهذا كما سبق إن كان توحيد الربوبية كاملاً فإنه يتحقق توحيد الألوهية، لكن إن حصل فيه الغلظ والخطأ، فإن توحيد الألوهية لن يتحقق كاملا.

خامسًا: نوع التلازم بين توحيد الربوبية والألوهية تلازم عقلي، فإن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، فمن حقق توحيد الربوبية تحقيقا كاملا فلا بد أن يوحد الله في ألوهيته، ولكن المشركين لما حصل عندهم الغلظ في توحيد الربوبية نتج عن ذلك الغلط في توحيد الألوهية(١).

سادسًا: قوله: "فهو إذن – أي توحيد الربوبية – شرط...الخ".

فإن أئمة الدعوة لم يذكروا أن توحيد الربوبية شرط لتوحيد الألوهية، لوجود فرق بين دلالة الالتزام والشرط، فالشرط هو إلزام الشيء والتزامه، وهو علامة على وجود الشيء، فهناك علاقة

---

(١) انظر: معارج القبول: ١/٤٣٥.

وارتبـاط بـين أمـرين، الأول هـو الشـرط، والثـاني هـو المشـروط، وهـذا الارتبـاط بـين الشـرط والمشروط، قد يكون العقل هو الذي اقتضاه، أو العادة، أو الشرع، أو اللغة؛ فالارتباط واللزوم بين الشرط والمشروط في الشرط العقلي، العقل هو الذي حكم بوجود هذه العلاقة والارتباط بين الشرط والمشروط ؛ فلا يمكن وجود المشروط بدون الشرط عقلاً(١).

والشرط العقلي، ما لا يمكن وجود الفعل بدونه عقلاً(٢).

أما الالتزام فهو دلالة اللفظ على لازمِ مسماه الخارج، وهي دلالة عقلية(٣).

سابعًا: أن للمنهج القرآني مسلكين في تقرير دلالة الربوبية على الألوهية:

أحدهما: دلالة أن الله تعالى هو المتفرد بالخلق والتدبير.

والثاني: دلالة أن الله تعالى هو المتفرد بهبة النعم الظاهرة والباطنة(٤).

ويمكن أن نمثل للاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية بما يلي: قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢].

فهـذا خطـاب لجميع بني آدم يأمرهم الله تعـالى فيه بالعبادة وهـذا هـو توحيـد الألوهيـة ثم يأتي بعد ذلك البرهان الساطع والدليل القاطع على وجوب توحيد الألوهية وهو أنه الخالق لهم ولآبائهم الأولين، وأنه المنعم عليهم بأن جعل لهم الأرض ممهدة ومستقرة، وجعل السماء فوقهم مبنية، ورزقهم بالماء وهو ما لا يصبرون على تركه ولم يجعله مِلْكاً لأحد بل أنزله من السماء للجميع، وأخرج لهم الرزق من الأرض ليأكلوا منه أو يبيعوا.

قـال ابـن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " يُذكِّرُ ربّنـا جلّ ذكـره -بذلك من قِيله- عبادَهُ نعمَه عندهم

---

(١) انظر: شرح الكوكب المنير: ١/٣٦٠.

(٢) انظر: المرجع السابق: ١/٣٦٠.

(٣) انظر: المرجع السابق: ٣٩.

(٤) انظر: القواعد الحسان: ١٩٣-١٩٤، وفي كتاب العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما يستدل به من أدلة الربوبية على الألوهية من الآيات والأحاديث والآثار الكثيرة، وكذلك كتاب التوحيد لابن منده رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وآلاءه لديهم؛ ليذْكروا أياديَه عندهم، فينيبوا إلى طاعته -تعطُّفًا منه بذلك عليهم، ورأفةً منه بهم، ورحمةً لهم، من غير ما حاجة منه إلى عبادتهم، ولكن ليُتم نعمته عليهم ولعلهم يهتدون"(١).

وقد أشار ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى دلالة هذه الآية على توحيد الألوهية من خلال بيان ما انفرد الله تعالى به من الربوبية، كما أشار إلى المسلكين السابقين حيث يقول: "شرع تبارك وتعالى في بيان وحدانية ألوهيته، بأنه تعالى هو المنعم على عبيده، بإخراجهم من العدم إلى الوجود، وإسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة" إلى أن قال: "ومضمونه: أنه الخالق الرازق مالك الدار، وساكنيها، ورازقهم، فبهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يُشرك به غيره"(٢).

وقال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝٥﴾ [الصافات: ١ - ٥].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأقسم سبحانه بذلك على توحيد ربوبيته وإلهيته، وقرر توحيد ربوبيته فقال: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝٥﴾ [الصافات: ٤ - ٥]. وهذا من أعظم الأدلة على أنه إله واحد ولو كان معه إله آخر لكان الإله مشاركاً له في ربوبيته، كما شاركه في إلهيته، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً".

ثم نبه إلى أن هذه الطريقة من قواعد القرآن في تقرير توحيد الألوهية فقال: "وهذه قاعدة القرآن يقرر توحيد الإلهية بتوحيد الربوبية، فيقرر كونه معبوداً بكونه خالقاً رازقاً وحده"(٣).

وقال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝١٦٤﴾ [البقرة: ١٦٣ - ١٦٤].

فهذه الآية اشتملت على توحيد الألوهية في بدايتها: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾

---

(١) تفسير الطبري: ١/٣٦٥.

(٢) تفسير ابن كثير: ١/١٩٤-١٩٦.

(٣) التبيان في أقسام القرآن: ص ٤٢٧-٤٢٨.

وذكرت الدليل على توحيد الألوهية وهو توحيد الربوبية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مع الإشارة إلى أن هذا الدليل دليل عقلي من خلال قوله تعالى: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ على هذه الآية: "ثم ذكر الدليل على تفرده بالإلهية بتفرده بخلق السموات والأرض وما فيهما وما بين ذلك مما ذرأ وبرأ من المخلوقات الدالة على وحدانيته"(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الأنعام: ٩٥].

قال ابن سعدي في بيان المعنى المستدل عليه في الآية هو "ألوهيته واستحقاقه للعبادة وهو مأخوذ من قوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: الذي فعل وانفرد بخلق هذه الأشياء وتدبيرها هو الله الذي له الألوهية والعبادة على خلقه أجمعين"(٢).

والمراد بقوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ أي: "كيف تصرفون عن الحق وتعدلون عنه إلى الباطل، فتعبدون معه غيره؟!"(٣).

وقد فسّر ابن جرير هذه الآية تفسيراً عاما تضمن بيان دلالة هذه الآية على توحيد الألوهية عن طريق توحيد الربوبية فقال: "يقول تعالى ذكره إن الذي له العبادة، أيها الناس دون كل ما تعبدون من الآلهة والأوثان هو الله الذي فلق الحب، يعني: شق الحبّ من كل ما ينبت من النبات، فأخرج منه الزرع"(٤).

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٧٤/١، وانظر: وانظر: جامع البيان: ٦٤/٢-٦٥، فتح القدير: ١٧٩/١، تيسير الكريم الرحمن: ١٢٤/١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن: ٤٧/٢.

(٣) تفسير ابن كثير: ٣٠٤/٣.

(٤) جامع البيان: ٢٧٥/٥، وانظر: منهج أهل السنة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى: ١٠٧ وما بعدها.

المطلب الثالث: دعوى عدم صحة إطلاق توحيد الألوهية بمعنى العبادة

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى أنه لا يصح إطلاق توحيد الألوهية بمعنى العبادة وأنه لحن، وأن الذي يصح هو إطلاق الإلهية، أي أن الله متصف بالصفات التي لأجلها استحق العبادة من الخلق والقدرة.

يقول محمد بن صالح الغرسي في التفريق بين الألوهية والإلهية وما ينبني على ذلك: " كلمة الألوهية بمعنى العبادة، ويقال فيها: أُلُوهَة وإلهة، وقال أهل اللغة: التأله هو التعبد والتنسك، والتأله هو التعبيد، وقالوا: إله على وزن فِعال هو بمعنى مفعول، أي: مألوه بمعنى معبود، سواء كان معبوداً بحق أم بباطل، فالإله هو المعبود (انظر: لسان العرب والقاموس المحيط).

فظهر من هذا أن الألوهية بمعنى العبادة، وليس بمعنى الكون إلهاً، وأن إطلاقه على هذا المعنى في كلام كثير من العلماء لحن، وإنما الذي يصح إطلاقه على هذا المعنى هو كلمة "الإلهية" مصدر جعلي[(١)] من كلمة الإله، وهو الذي استعمله المحققون من العلماء، فمعنى لا إله إلا الله لا معبود بحق إلا الله، بمعنى لا متصف بالصفات التي لأجلها استحق أن يكون معبوداً إلا الله، وهذه الصفات هي المسماة بخواص الإلهية، وهي خلق العالم وتدبيره وتربيته أي تبليغه إلى الكمال شيئاً فشيئاً، والغنى المطلق عن غيره، وافتقار ما سواه إليه وتفرده بحق التشريع، ويتفرع عن هذه الصفات وينبني عليها استحقاق العبادة.

فظهر من هذا أن توحيد الإلهية أي إفراد الله تعالى بالعبادة متفرع عن توحيد الربوبية ومنبني عليه وملازم له، فالناس إنما يعبدون من يعتقدون فيه الربوبية سواء اعتقدوا فيه ربوبية كبيرة مطلقة، وهذا ما أثبته المتألهون لله تعالى، أم اعتقدوا فيه ربوبية محدودة صغيرة مستمدة من

---

(١) لم أجد المصدر الجعلي، ولعله المصدر الصناعي -وهو قياسي- ويطلق على: كل لفظ "جامد أو مشتق، اسم أو غير اسم" زيد في آخره حرفان، هما: ياء مشددة، بعدها تاء تأنيث مربوطة؛ ليصير بعد زيادة الحرفين اسمًا دالًا على معنى مجرد لم يكن يدل عليه قبل الزيادة. وهذا المعنى المجرد الجديد هو مجموعة الصفات الخاصة بذلك اللفظ. النحو الوافي: ١٨٦/٣.

الرب الأكبر، وهذا ما كان يعتقده في معبوديهم معظم أصناف الذين كانوا يعبدون إلهاً أو آلهة من دون الله، فإن معظمهم كانوا يعبدونهم بناء على اعتقادهم أن الله تعالى قد فوض إليهم التصرف في بعض الأمور، وتخلى لهم عنها، بمعنى أن الله تعالى قد خولهم ربوبية صغيرة ومحدودة فاستحقوا بذلك أن يُعبدوا استعطافاً لرحمتهم، وابتعاداً عن غضبهم وسخطهم. فمن أجل أنهم اعتقدوا فيهم الربوبية اعتقدوا فيهم الإلهية" [١].

حقيقة هذه الدعوى:

هذه الدعوى قديمة، ولها تعلق بأصل الاسم الأحسن " الله"، هل هو مشتق أو ليس بمشتق؟ وما أصل اشتقاقه؟ وعليه فإنه يكون غير مشتق، ويكون معنى الإلهية أي أن الله المتصف بالصفات التي لأجلها استحق أن يكون معبودا، ففسره بتوحيد المعرفة والإثبات[٢]. وهذا القول قد حكاه الرازي[٣] في شرحه لأسماء الله الحسنى وغيره[٤].

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: هذه الدعوة لها تعلق بالدعويين السابقتين من جهة تعريف التوحيد وقصره على توحيد الربوبية، ومن جهة استلزام توحيد الربوبية لتوحيد الألوهية، وفي هذه الدعوى زاد المناوئ التفريق بين توحيد الألوهية والإلهية، فجعل متعلق الإلهية اتصاف الرب بالصفات التي لأجلها

---

(١) تحقيق مسائل مهمات في علم التوحيد والصفات: ١٠١-١٠٢، وانظر: التقسيم الثلاثي للتوحيد بين الأشاعرة وابن تيمية، موقع المستنير، http://www.almostaneer.com/Pages/BookDetails.aspx?ID=٢٠١ في ١٤٣٨/٩/١٢هـ.

(٢) انظر: الكتاب لسيبويه: ١٩٥/٢، وتفسير ابن كثير: ١٢٢/١، وتفسير البحر المحيط: ٢/١، وتفسير القرطبي: ١٠٢/١، وبدائع الفوائد: ٤٣٧/٢، وفتح المجيد: ٧.

(٣) هو محمد بن عمر بن حسين القرشي التيمي الرازي، المعروف بالفخر الرازي ويقال له ابن خطيب الري، من كبار المتكلمين الأشاعرة، له مصنفات كثيرة، منها: مفاتيح الغيب، والمطالب العالية، والمباحث المشرقية، توفي سنة ٦٠٦. انظر: سير أعلام النبلاء: ٥٠٠/٢١، والبداية والنهاية: ١١/١٧.

(٤) انظر: شرح أسماء الله الحسنى: ١٢٤، وأصول الدين للبغدادي: ١٢٣.

استحق العبادة لا استحقاقه للعبادة، وجعل متعلق الألوهية فعل العبد، الذي هو العبادة، وأن هذا الأخير لحن. فصار الكلام مرده إلى مفهوم التوحيد وقصره على توحيد الربوبية.

ثانيا: أن معنى الإله في اللغة: مصدر أله يأله فهو إله، وقد بين الزجاجي معناه فقال: "فإله "فِعال" بمعنى "مفعول" كأنه مألوه أي معبود مستحق للعبادة يعبده الخلق ويؤلهونه"(١). فهو الذي يستحق العبادة، وهو الله تعالى المستحق لها دون من سواه(٢).

و "أصل إله ولاه من الوله والتحيّر وقد أبدلت الواو همزة لانكسارها فقيل: إله كما قيل وعا إعاء"(٣).

والتحيّر والوله يكون من العباد إلى الله تعالى، جاء في لسان العرب: "وأصله من أَلِه يأله إذا تحير، يريد إذا وقع العبد في عظمة الله وجلاله وغير ذلك من صفات الربوبية، وصرف وَهْمَه إليها، أبغضَ الناسَ حتى لا يميل قلبُه إلى أحد"(٤). فالتحيّر حصل لما له من استحقاق العبادة، وهو في حقيقته راجع للعبادة.

وجاء فيه أيضا: "وأصل إلهٍ وِلاهٌ، فقلبت الواو همزة كما قالوا للوشاح إشاح وللوجاح وهو الستر إجاح، ومعنى وِلاهٍ أن الخلق يَوْلَهُون إليه في حوائجهم، ويضرعون إليه فيما يصيبهم، ويفزعون إليه في كل ما ينوبهم كما يوله كل طفل إلى أمه"(٥). وهذا المعنى يعود -أيضاً- إلى المعنى السابق(٦).

ويلاحظ أن معاني الفعل (أله) تتنوع بحسب لزومه أو تعديه، كما أنه يختلف المعنى بحسب الحرف الذي عُدي به، لكن الجميع يرجع إلى معنى واحد عام وهو العبادة، ولهذا سمى

---

(١) اشتقاق أسماء الله: ٢٤.

(٢) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى: ٢٦.

(٣) اشتقاق أسماء الله: ٢٦.

(٤) لسان العرب: ٤٦٧/١٣، وانظر: النهاية في غريب الحديث: ٦٢/١.

(٥) المصدر السابق: ٤٦٨/١٣.

(٦) انظر: القاموس المحيط: ١٦٠٣،ولسان العرب: ٤٦٩/١٣.

العرب الشمس إلاهة لما عبدوها[١].

والتأله: التعبد، ومنه قول رؤبة بن العجاج:

لله در الغانيات المُدّهِ   سبحن واسترجعن من تألهي

أي: من تعبدي[٢].

وقد بين الزجاج معنى (التأله) فقال: "ويقال: تأله فلان، إذا فعل فعلاً يقربه من الإله"[٣].

وقد رد ابن جرير معنى (التأله) إلى معنى (الإله) فقال: "ولا شك أن التأله، والتفعل من (أله يأله)"[٤].

والألوهية: العبادة قال ابن سيده: "والإلاهة، والألوهة، والألوهية العبادة"[٥].

وقد قرأ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "ويذرك وإلاهتك" بكسر الهمزة، أي: وعبادتك كما فسرها ابن عباس نفسه[٦]، وهذا هو اختيار ثعلب وعلل لذلك بقوله: "لأن فرعون كان يُعبد ولا يَعْبد"[٧].

فلفظ الجلالة (الله) مشتق من الإله[٨]، وعندما بين ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ما يدل عليه من معنى قال: "(الله) ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين"[٩].

فلفظ الجلالة (الله) لا يؤخذ منه صفة فعليه كالخلق والرزق، ونحو ذلك وإنما يدل على صفة ذاتية هي استحقاقه تعالى للعبادة، وهذا يدل على خطأ فهم أهل الكلام لمعنى (الإله) ولما يدل عليه اسمه تعالى: (الله) حيث فهموا أنه يدل على صفة فعلية هي الخلق والقدرة على

---

(١) انظر: لسان العرب: ٤٦٨/١٣.

(٢) انظر: اشتقاق أسماء الله: ٢٤، وفتح المجيد: ٣٢-٣٤.

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى: ٢٦.

(٤) جامع البيان: ٨٢/١، وانظر: لسان العرب: ٤٦٩/١٣، والقاموس المحيط: ١٦٠٣.

(٥) لسان العرب: ١٢٤/١، والمخصص ٢٦١/٥ وما بعدها.

(٦) رواه ابن جرير في تفسيره: ٨٢/١.

(٧) لسان العرب: ٤٦٨/١٣.

(٨) انظر في اشتقاق اسم الله تعالى والخلاف في ذلك: بدائع الفوائد: ٢٢/١.

(٩) رواه ابن جرير في تفسيره: ٨٢/١.

الاختراع، وقد بين الخليل بن أحمد عدم صحة دلالة اسم الله تعالى (الله) على صفة فعلية فقال: "وليس (الله) من الأسماء التي يجوز منها اشتقاق فعل، كما يجوز في (الرحمن الرحيم)"(١).

ثالثًا: إن معنى الإله في الاستعمال الشرعي لم يتغير عما هو عليه في اللغة، فهو إله على وزن فِعال بمعنى مفعول: أي معبود.

فالإله في الشرع هو المألوه المعبود محبة ورجاء ورغبة وتوكلاً واستعانة واستغاثة.

رابعا: مما يدل على أن الإله بمعنى المعبود في الكتاب قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤]، واتفق المفسرون على أن قوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ تفسير لقوله: ﴿كَلِمَةٍ﴾(٢)، وقد قال ابن جرير في معنى ﴿كَلِمَةٍ﴾: هي قوله: لا إله إلا الله(٣).

وبناء على هذا يكون معنى (لا إله إلا الله) أي ألا نعبد إلا الله، وإذا قابلت بين هاتين الجملتين تحصّل لك أن الإله بمعنى المعبود بأوضح ما يكون.

ومما يدل على ذلك -أيضاً- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٨]، حيث قال ابن جرير في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ﴾: "وجعل قوله: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٧]، وهو قول لا إله إلا الله كلمة باقية في عقبه، وهم ذريته، فلم يزل في ذريته من يقول ذلك من بعده"(٤).

ووجه الاتفاق بين معنى قوله: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾، وقول لا إله

---

(١) العين: ٤/٩١.

(٢) انظر: رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله وتحقيق معنى التوحيد والشرك بالله: ١٤٤ وما بعدها.

(٣) انظر: جامع البيان: ٣/٣٠١-٣٠٢.

(٤) المصدر السابق: ١١/١٧٩.

إلا الله هو أن الشهادة مشتملة على جزئين في المعنى:

١- النفي في قوله: "لا إله".

٢- والإثبات في قوله: "إلا الله".

وهذان المعنيان موجودان في الآية بحيث يمكن أن نفسر معنى (الإله) عندما نطابق بين المعنيين:

فقوله: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ﴾ موافق لقوله: "لا إله"؛ لأن كليهما نفي في المعنى، ويلاحظ أن الآية تشتمل على (العبادة) الموافقة لمعنى (الإله).

وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ موافق لقوله: "إلا الله".

خامسا: أنه حصل الخلط عند المناوئين في تعريف توحيد الألوهية، حيث عرف كثير من الأشاعرة[١] كلمة (إله) بأنه القادر على الاختراع، فمن ذلك ما نسبه البغدادي[٢] إلى أبي الحسن الأشعري[٣] فقال: "واختلف أصحابنا في معنى الإله: فمنهم من قال إنه مشتق من الإلهية، وهي: قدرته على اختراع الأعيان، وهو اختيار أبي الحسن الأشعري"[٤]، ثم اختار البغدادي القول بأنه غير مشتق!

---

(١) الأشاعرة: طائفة من طوائف أهل الكلام، ينتسبون لأبي الحسن الأشعري في مذهبه الذي اتخذه بعد تركه الاعتزال وقبل تصريحه بانتسابه إلى مذهب الإمام أحمد، وعامتهم يثبتون سبع صفات فقط لله تعالى، وينكرون علو الذات، ويقولون: إن الإيمان هو التصديق، ولا يحتجون بأحاديث الآحاد في العقيدة. انظر: الملل والنحل: ٩٤/١، ومجموع الفتاوى: ٥٢/٦، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة: ٤٩٣/٢ وما بعدها.

(٢) أبو منصور عبد القاهر بن ناصر بن محمد التميمي الشافعي البغدادي، درس على أبي إسحاق الإسفراييني، وتأثر به في المعتقد الأشعري، من مؤلفاته: أصول الدين، والفرق بين الفرق، ت سنة ٤٢٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: ٥٧٢/١٧، وفيات الأعيان: ٣٧٢/٢، وفوات الوفيات: ٣٧٠/٢، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة: ٥٧٠/٢.

(٣) هو علي بن إسماعيل بن أبي بشر، ينتسب إلى أبي موسى الأشعري، صاحب رسول الله ﷺ. وكنيته أبوالحسن، توفي سنة ٣٢٤هـ في بغداد. وكان له ثلاث أحوال: كان في أولاها معتزليا، وسلك في الثانية مذهب ابن كلّاب، ورجع أخيرا إلى معتقد السلف في الجملة، وألف عدة كتب في نصرة معتقدهم، ككتاب الإبانة عن أصول الديانة، ورسالة إلى أهل الثغر. انظر: البداية والنهاية: ١٩٩/١١، وشذرات الذهب: ٣٠٣/٢، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة: ٣٢٩/١.

(٤) أصول الدين للبغدادي: ١٢٣.

وقد حكى الرازي هذا القول ذاكراً دليله دون أن يسمى قائله، فقال في صدد حكاية مذاهب الناس في أصل اشتقاق اسم الله تعالى (الله) قال: "القول السابع: الإله من له الإلهية، وهي القدرة على الاختراع، والدليل عليه أن فرعون لما قال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣]، قال موسى في الجواب: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الشعراء: ٢٤]، فذكر في الجواب عن السؤال الطالب لماهية الإله: القدرة على الاختراع، ولولا أن حقيقة الإلهية هي القدرة على الاختراع لم يكن هذا الجواب مطابقاً لذلك السؤال"[١].

والجواب عن هذا الكلام من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: إن فرعون كان متظاهراً بإنكار وجود رب العالمين، بل كان يدّعي أنه رب العالمين بقوله: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾[الزخرف: ٥٤]، وقال: ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾[غافر: ٣٧]. ولذلك كان سؤاله بقوله: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣]، سؤالاً عن وصف الرب تعالى وليس سؤالاً عن الماهية، إذ السؤال عن ماهية الشيء فرع الإقرار به، وهو لا يقر بالله متظاهراً، فمن لم يقر بشيء لا يسأل عن ماهيته[٢]، فمن سأل عن ماهية الإنسان فقال: ما الإنسان؟ فإن ذلك فرع إقراره بوجوده، وكذلك هنا[٣].

ويوضح هذا - أن السؤال عن الوصف وليس الماهية- آية أخرى وهي: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٩]، ومعلوم أن (من) لا يسأل بها عن ماهية الشيء وحقيقته، وإنما حقيقة معنى الإلهية هي: استحقاق الله للعبادة بما له من صفات الكمال وتنزهه عن صفات النقص.

الوجه الثاني: إنه لو كان معنى إله: القادر على الاختراع كان معنى لا إله إلا الله أي: لا خالق إلا الله ولا قادر على الاختراع إلا هو، وهذا المعنى كان يقول به المشركون، ولذلك يحتج الله عليهم بمعرفتهم هذه بقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، أي

---

(١) شرح أسماء الله الحسنى: ١٢٤.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٣/٣٣٢.

(٣) مجموع الفتاوى: ١٦/٣٣٤.

تعلمون أنه لا رب لكم غيره، كما نُقل ذلك عن جمع من المفسرين(١).

فلو كان المعنى ما ذكره هؤلاء المتكلمون لما استقام الإنكار على المشركين الذين يقرون بأن الله هو خالقهم وخالق كل شيء، وإنما كان شركهم في الألوهية(٢).

الوجه الثالث: إن هذا القول غير معروف عند أهل اللغة، ولذلك لم يحتج من قال بهذا القول بشاهد من شواهد لغة العرب، ولا بنقل إمام معتبر من أئمة اللغة(٣).

والإلهية: مصدر صناعي من اسم الإله، يراد به اتصاف الرب بكونه إلهًا في نفسه، والمعنى استحقاق الرب جل وعلا أن يُعبد وتُصرف إليه وجوه القربة، واتصافه بما يوجب إفراده بالعبادة من الربوبية وصفات الكمال.

والألوهية: العبادة وصرف أنواعها لله عَزَّوَجَلَّ، وهي بمعنى الإلهة.

فالإلهية صفة من صفات ربوبية الله سبحانه وتعالى، والألوهية هي صرف أفعال العباد التي يستحقها الله جل وعلا إليه وحده، فالأولى صفة الخالق والثانية القصد إليه بأفعال المخلوقين. وعلى هذا فتوحيد الإلهية داخل في توحيد المعرفة والإثبات لا في توحيد الطلب والقصد، ومن فسر لا إله إلا الله بمعنى الإلهية فقد قصرها على المعرفة والإثبات ولم يدخل فيها توحيد الطلب والقصد، وكان مفسرًا لكلمة التوحيد بالربوبية حقيقة.

ومعنى لا إله إلا الله يشمل المعرفة والطلب، فمن المعرفة معرفة أن الله منفرد باستحقاق العبادة، ومن اعتقد هذا الاعتقاد لم يكن موحدًا لله توحيدًا حقيقيا حتى يجمع إلى ذلك عمله به وقصده إليه بأن يُفرد الله وحده بالعبادة ويجتنب عبادة غيره.

سادسا: الفهم الخاطئ للتعريف المشهور لكلمة التوحيد: لا معبود بحق إلا الله، فظنوا أن معنى الإله في كلمة التوحيد متعلّقٌ بكلمة: "بحق"، والحق أن معنى الإله هو في كلمة "معبود"، أما كلمة "بحق" فهي قيد لإخراج المألوهات من دون الله، وهذا ظاهر إذا تأملت أن كلمة الإله

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري: ١/١٦٣.

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد: ٧٦.

(٣) انظر: المرجع السابق: ٧٦.

التي تعني المعبود ليس فيها تخصيص ذلك بالمعبود بحق ولا دون حق؛ بل متعلق بالعابد فمن عبد شيئًا فهو إلهُهُ، أما قولهم "بحق" في شرح لا إله إلا الله فإنما هو إظهار للجواب المقدر بعد لا النافية للجنس؛ لأن التقدير "لا إله (حقٌّ) إلا الله"، وليس داخلاً في لفظ الإله؛ بل هو مقدر في سياق الجملة.

ومعنى لا إله إلا الله مفسر في قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٨]؛ فتبرأ إبراهيم عليه السلام من الآلهة المعبودة من دون الله ولم يتولَّ إلا الله، وجعل هذا الأمر كلمةً باقيةً في عقبه وهي كلمة التوحيد، فليست مجرد التكذيب بالآلهة أو اعتقاد استحقاق الله للعبادة، بل هي البراءة الفعلية من كل ما يُعبد من دون الله وعبادة الله وحده، فهذه هي الكلمة التي عليها مدار الدين وهي أصل الإيمان واليقين[1].

سابعًا: ما يترتب على هذا القول والغلط من لوازم فاسدة، فإنه لو اقتصر على تفسير "لا إله إلا الله" بمعنى الإلهية للزم كون إبليس مؤمنًا؛ فإنه يعتقد ويوقن بأن الله سبحانه هو وحده المستحق للعبادة، ويعلم أن ما يفعله ويدعو إليه ضلال مبين وغواية، ومع ذلك فإنه كافر بالله غير موحد، ولا يقول أحد من أهل الإسلام إن إبليس ممن يشهد ألا إله إلا الله فضلاً عن كونه من الموحدين، فكذلك كل من أقر باستحقاق الله عَزَّوَجَلَّ للعبادة ثم أعرض أو استكبر أو عبد غير الله معه ولو معتقدًا بطلان ما يفعل؛ فإنه يكون على كلامهم موحدا.

ثامنًا: أن دعوة الرسل والأنبياء جميعا إلى كلمة التوحيد لا إله إلا الله، وقد فسروا هذه الكلمة بفعل الأمر الذي يقتضي الامتثال والعمل، فليس الأمر مجرد استحقاق الله أن يعبد؛ بل الألوهية حقيقة عبادته كما دعا إليه الأنبياء والرسل جميعًا. ولهذا يقول الرسل والأنبياء فيما أخبرنا الله من دعواهم: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، وأخبر عن عيسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾[المائدة: ٧٢]، وفي آخر المائدة: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٧/٢٢٥.

﴾ [المائدة: ١١٧]، وعن نوح عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٢٣]، وعن هود عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٦٥]، وعن صالح عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾[الأعراف: ٧٣]، وعن شعيب عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾[الأعراف: ٨٥]، ومثله عن غيرهم من الرسل والأنبياء، وكانت هذه دعوة خاتم النبيين محمد ﷺ.

وبهذا يتبين صحة إطلاق توحيد الألوهية بمعنى العبادة.

المطلب الرابع: دعوى عدم صحة تعريف العبادة عند الإمام

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى أن تعريفهم للعبادة غير صحيح، وأن العبادة لا تكون عبادة إلا بقيود، منها: اعتقاد شيء من خواص الربوبية في المخضوع له، واعتقاد الإلهية في المخضوع له.

يقول عثمان النابلسي -في رده تعريف العبادة عند الإمام- "إن من قيود العبادة حتى تسمى عبادة:

الأول: اعتقاد شيء من خواص الربوبية في المخضوع له.

والثاني: اعتقاد الإلهية في المخضوع له"(١)، "وأن المشركين خضعوا لأصنامهم باعتقاد أنها آلهة، وقد كانوا يصرحون بأنهم اتخذوها آلهة لهم، والخضوع لمخلوق باعتقاد أنه إله عبادة له، فقد قال تعالى عنهم: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ۝٧٤ ﴾ [يس: ٧٤].

وأخبر القرآن الكريم أن المشركين اعتقدوا الإلهية في أصنامهم، فقال تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ١٩]".

وأنهم استنكروا وحدانية الإله، قال تعالى: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ ﴾ [ص: ٥]"(٢).

ثم ذكر أن هذا الخضوع لا يتحقق إلا بنيتين:

"الأولى: نية العبد، وتتعلق بجميع الأفعال الخضوعية حتى تعتبر عبادة.

الثانية: النية الجزئية المتعلقة بأخص وصف الخضوع، ككونه سجوداً أو طوافاً.. الخ،

---

(١) الرؤية الوهابية للتوحيد: ١٣٩.

(٢) المرجع السابق: ١٤٢، وانظر: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، تحرير المعاني وضبط القواعد: ٢٨، الإنصاف فيما أثير حوله الخلاف: ٢٥٥، التوسل بالصالحين: ١٥٦، ركائز التوحيد في مدرسة محمد بن عبدالوهاب: ٧٤، مغالطات السلفية: ٢٥٧، ٣٠٨، شبهات المبتدعة في توحيد العبادة: ١/١٧١، ١٨٣، ٤٠٧، ٥٦١، ٢/٦١٤.

فلابد أن ينوي الفاعل صورة الخضوع المعيّنة"[١].

وبهذه القيود أخرجوا بعض الأعمال عن كونها عبادة لعدم توفرها، ومن تلك العبادات التي أخرجوها عن كونها عبادة: السجود[٢]، والطواف بغير الكعبة[٣]، والذبح والنذر لغير الله[٤]، والاستغاثة والطلب من المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله[٥].

كما أنكر تعريف العبادة بأنها: كل ما يتقرب به العبد إلى الله جل وعلا ممتثلاً به الأمر والنهي، أو أنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة[٦].

ثم قال "ويرد على هذين التعريفين ما يلي:

أولاً: أن هذين التعريفين لا ينطبقان على كل مصاديق العبادة.

أ- فهناك أقوام يعبدون أصنامهم بالجلوس أمامها على هيئة التربع لساعات طوال دون حراك، وهناك من يعبد إلهه بالتلطخ ببوله والجلوس تحته، وهناك من يعبد صنمه بالتدلي قبالته جاعلاً رأسه في الأسفل وقدميه في الأعلى، وكل هذه الأفعال عبادة، لكنها لا يحبها الله ويرضاها، ولا تقرب إلى الله بامتثال أمره ونهيه.

ب- وقد يعبد المسلم الله تعالى بفعل لم يرد في الشرع، فيكون فعله عبادة لكنها عبادة فاسدة غير مقبولة لأنها بغير ما شرع.

ثانياً: يريد الوهابية بهذين التعريفين أن ما صح أن يحبه ويرضاه الله أو أن يُتقرب به إليه بامتثال الأمر والنهي، إذا صرف لله تعالى فهو عبادة له، وإذا صُرف لغير الله فهو شرك بالله تعالى وعبادة لغيره"[٧].

حقيقة هذه الدعوى:

---

(١) الرؤية الوهابية للتوحيد: ١٤٦.

(٢) المرجع السابق: ١٥٦.

(٣) المرجع السابق: ١٦٩.

(٤) المرجع السابق: ١٧٤.

(٥) المرجع السابق: ١٨٢، وانظر: بحوث قرآنية في التوحيد والشرك لجعفر السبحاني: ٣٣ وما بعدها.

(٦) المرجع السابق: ١٥١-١٥٣، وانظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد: ١٤٦-١٤٧.

(٧) المرجع السابق: ١٥٢. وانظر: الدرر السنية في الرد على الوهابية: ٣٤، البراهين الساطعة: ٣٨١، ٣٨٨-٣٨٩، الرد على بعض المبتدعة الوهابية: ١٠.

هذه الدعوى قديمة[١]، وهي الاشتباه في معنى العبادة الصحيح[٢]، وبسبب ذلك حصل الإنحرف في شأن الاستعانة بالصالحين الموتى، وتعظيم القبور والمشاهد... ووقع الشرك.

والجواب عن هذه الدعوى:

أولا: تعريف العبادة في اللغة: مصدر عَبَدَ يعبد عبادة.

يقول ابن فارس - رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: "العين والباء والدال أصلان صحيحان، كأنهما متضادان:

والأول من ذينك الأصلين يدل على لين وذل. والآخر على شدة وغلظ...

فالأول العبد، وهو المملوك... والأصل الآخر العَبَدَة، وهي القوة والصلابة"[٣].

والعبادة تطلق في اللغة على معان متعددة منها: الخضوع والذلة، والقوة والصلابة، والأنفة والكراهة، والطاعة والتنسك والمملوكية[٤].

والمتأمل في هذه المعاني يراها ترجع إلى الأصلين اللذين ذكرهما ابن فارس، ولا تخرج عنهما.

ثانيا: تعريف العبادة في الشرع: إن معاني العبادة في الشرع تتنوع بحسب اعتبارات سياقاتها، فالعبادة باعتبار أصلها هي مصدر بمعنى التّعبّد، وهي بهذا المعنى التذلل لله والخضوع له بفعل أوامره واجتناب نواهيه، مع المحبة والتعظيم.

والعبادة باعتبار أفرادها هي اسم بمعنى المتَعبَد به، وهي بهذا المعنى اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة[٥].

ثالثا: لا بد من التفريق بين تعريف العبادة من حيث هي مطلقة دون الإضافة إلى أحد،

---

(١) انظر: أصول الدين للبغدادي: ١٢٣، وشواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق: ١٥٠، ومنهج أهل السنة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى: ٥٦.

(٢) انظر: رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله: ٣١.

(٣) مقاييس اللغة: ٤/٢٠٥-٢٠٦.

(٤) انظر: تهذيب اللغة: ٣/٢٢٩٩-٢٣٠٥، والصحاح: ٢/٥٠٢- ٥٠٤، ولسان العرب: ٣/٢٧٢-٢٧٣، والقاموس المحيط: ٣٧٨-٣٧٩، وأساس البلاغة: ٢٩١، ومفردات القرآن: ٥٤٢.

(٥) انظر: العبودية: ٥، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: ٣٥، معارج القبول: ١/٨٤، تقريب التدمرية: ١٢٩.

وبين تعريفها باعتبارها العبادة الحقة المأمور بها شرعا، وهي المضافة إلى الله ﷻ.

فهي من حيث الإطلاق يدخل فيها العبادة الحقة والعبادة الباطلة، أما من حيث المأمور بها شرعا فالعبادة لا تكون عبادة إلا بشروطها، من الإخلاص لله ﷻ والمتابعة لرسوله ﷺ. كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا بشروطها.

فمن عرفها بأنها غاية المحبة والخضوع، فهذا باعتبار معناها المطلق.

ومن عرفها بأنها الخضوع لله بالطاعة، أو بأنها محبة الله، أو بأنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه ونحو ذلك، فهذا باعتبار العبادة المأمور بها شرعا.

رابعا: أن العبادة تطلق ويراد بها التّعبد: وهو فعل العبد.

وتطلق ويراد بها المتعّبد به: وهو صور العبادة التي يقوم بها العبد من صلاة وصيام ونحوهما[1].

فعلى الإطلاق الأول - التعبد-، تكون العبادة: كل ما يتقرب به العبد إلى الله جل وعلا ممتثلاً به الأمر والنهي، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران: ١٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة: ٩٢]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [محمد: ٣٣]، وغيرها من الآيات.

وعلى الإطلاق الثاني - المتعبد به-، تكون العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، قيدت بما يحبه الله ويرضاه، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ويقول تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [آل

(١) انظر: منهج أهل السنة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى: ٥٦، وحقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين: ٣٦٢.

عمران: ٥٧]، ويقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [النحل: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، وقال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٦]، وقال تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجرات: ٩].

خامسا: ما ذكروه من أمثلة على بعض الأعمال التي يحبها الله ويرضاها وتقرب إليه، لكنها إذا أديت لغير الله لا تكون شركا بالله وعبادة لغيره.

فإن الأعمال على نوعين، منها ما هو عبادة محضة كالصلاة والصيام، فهذه لا يجوز صرفها لغير الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾ [النساء: ١١٦].

ومنها ما ليس من العبادات المحضة؛ مثل إطعام الطعام، وإماطة الأذى عن الطريق ونحو ذلك، فهذه إن أريد بها وجه الله عَزَّوَجَلَّ أجر عليها وكانت عبادة، وإلا ليس له منها إلا ما نوى ولم تكن عبادة، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الإسراء: ١٨ - ١٩].

وقد وضح ذلك النبي ﷺ بضرب مثال بالهجرة، فقال: «الأعمال بالنية، ولكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»[١].

وأما ما ذكره في المثال الثاني من السجود، وأنه من الأعمال التي يحبها الله عَزَّوَجَلَّ؛ ومع ذلك فإن سجود الملائكة لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسجود إخوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن شركاً.

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: ما جاء إن الأعمال بالنية والحسبة، ولكل امرئ ما نو، برقم: ٥٤.

فهذا صحيح؛ فإن السجود لله عبادة؛ لكن سجود الملائكة لآدم ليس سجود عبادة لأدم بالاتفاق؛ وإنما هو طاعة وامتثال لأمر الله تعالى، وسجود تحية وكرامة عظيمة[١].

وكذلك سجود إخوة يوسف له ﷺ، فهو سجود تحية وسلام إكرام، وكانت تحيتهم أن يسجد الوضيع للشريف، والصغير للكبير، وأجمع المفسرون أن ذلك السجود على أي وجه كان فإنما كان تحية لا عبادة، وقد كان هذا مشروعا في الأمم الماضية ولكنه نسخ في ملتنا[٢].

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٩٣/١، وتفسير ابن كثير: ٢٢٧/١.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٩٣/١، ٢٤٦/٩، وتفسير ابن كثير: ٢٣٢/١، ٤١٢/٤.

المطلب الخامس: دعوى عدم صحة تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى أن تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام مبتدع[١]، وأوردوا على ذلك بعض الشبه[٢]، وأضافوا عليها شبه جديدة.

يقول عثمان النابلسي: "يمثل الوهابية لتقسيمهم التوحيد, بتقسيم اللغويين الكلمة إلى اسم وفعل وحرف, إلا أن هذا الضرب من التقسيم لا ينطبق على تقسيمهم للتوحيد, لأن كل قسم من أقسامه يحمل أحكام المقْسم والجنس الجامع لها, فالاسم يحمل أحكام الكلمة، والفعل يحمل أحكامها، والحرف يحمل أحكامها, فكل من الاسم والفعل والحرف كلمة ويحمل أحكام الكلمة, أي أنّه يصح حمل القِسْم على المقْسم, ومعلوم أن التوحيد هو الإكسير الأعظم, ولو وضعت ذرة منه على جبال الذنوب والخطايا لقلبتها حسنات, وينجي صاحبه من الخلود في جهنم, ويوصله إلى الخلود في الجنة, فلو كان تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية من هذا النوع من التقسيم, لكان لكل قسم من أقسام التوحيد أحكام التوحيد الكامل, فيكون الموحد في الربوبية مؤمناً ناجياً, ويكون الموحد في الألوهية مؤمناً ناجياً, إلا أن الوهابية ينكرون أن يكون كل قسم من أقسام التوحيد, يحمل أحكام التوحيد الكامل, من نجاة صاحبه من النار, وخلوده في الجنة, فتمثيلهم تقسيمَهم هذا بتقسيم اللغويين للكلمة باطل.

ولو قال وهابي: إن تقسيمنا للتوحيد هو من باب تقسيم البيت الشعري إلى صدر وعجز, وهكذا ينقسم التوحيد إلى ربوبية وألوهية.

قلت: وهذا باطل أيضاً, لأن كل قسم في هذا النوع لا يحمل أحكام المقْسم, فلا نقول بأن صدرَ البيتِ بيتٌ شعري, ولا نقول أن عجزَ البيت بيتٌ شعري, ولا يوجد اشتراك بين

---

(١) الإنصاف فيما أثير حوله الخلاف: ٢٣٧، تحقيق مسائل مهمات من علم التوحيد: ١٠٩، ركائز التوحيد في مدرسة محمد بن عبدالوهاب: ٥٨، عقائد الإلحاد السلفية: ٧١، تهافت السلفية: ٢٣، مغالطات السلفية: ١٦٢.

(٢) انظر في الشبه التي ذكروها والرد عليهم: كتاب القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد: ١٦، ٢٣، ٣١، ٣٥، وشبهات المبتدعة في توحيد العبادة: ١/١٨٩، ودعاوى المناوئين: ٣٢٨، ٣٣١.

الأقسام كالاشتراك في تقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف, والوهابية يقولون بأن الموحد في الربوبية قد لا يكون موحداً في الألوهية, أما الموحد في الألوهية فيجب أن يكون موحداً في الربوبية, لأن توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية, فيكون على هذا توحيد الربوبية قسماً مغايراً لتوحيد الألوهية, وقسماً منه في نفس الوقت[كذا], وهذا تناقض, فليس تقسيمهم التوحيد كتقسيم البيت الشعري إلى صدر وعجز.

وعلى هذا, فإن التوحيد إما أن يوجد كله بقسميه وإما أن يعدم بقسميه"(١).

فالتوحيد عندهم قسم واحد لا يتبعض وهو من المعلوم من الدين بالضرورة(٢).

ثم رتبوا على هذا – جعل التوحيد قسما واحد– الأخطاء التي وقع فيها من قسم التوحيد(٣).

حقيقة هذه الدعوى:

سبق في المبحث الثاني والدعوى الأولى والثانية من هذا الفصل بيان قول أهل السنة والجماعة وأئمة الدعوة في تعريف التوحيد وأقسامه وما بينهما من العلاقة. وأن من لم يؤمن بهذه الأقسام الثلاثة المستمدة من نصوص الشرع فليس بموحد، إذ التوحيد المطلوب شرعاً هو الإيمان بوحدانية الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، ومن لم يأت بهذا جميعه فليس موحداً.

وهذه الدعوى قديمة، وهي من قول الأشاعرة، وهي مبنية عندهم على تعريف التوحيد وكلمة لا إله إلا الله، فمن فسرها بأنه لا خالق إلا الله، وبأنه القادر على الاختراع(٤)، فقد أنكر توحيد الألوهية، وهو إفراد الله بالعبادة، فأنكر هذا التقسيم.

(١) الرؤية الوهابية للتوحيد: ٣٦.

(٢) انظر: عقائد الإلحاد والوثنية عند السلفية الوهابية: ٧٢-٧٤.

(٣) انظر: تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد: ٥٩-٦٠، وتحقيق مسائل مهمات من علم التوحيد: ١٠١-١٠٢، ١٠٦، ١٠٩، ١١٠، وعقائد الإلحاد والوثنية عند السلفية الوهابية: ٨١، وحقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين: ١٢٣، ومنهج أهل السنة ومنهج الأشاعرة في التوحيد: ١٧.

(٤) انظر: شرح أسماء الله الحسنى: ١٢٤، وأصول الدين للبغدادي: ١٢٣.

الجواب عن هذه الدعوى

أولا: تقسيم التوحيد هو استقراء لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وقد سبق ذكرها في مقدمة هذا الفصل.

ثانيا: أن تقسيم التوحيد ليس مما أحدثه الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ بل دلت الآثار الواردة عن السلف على هذا التقسيم[١]:

يقول ابن بطة[٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة" ما نصه: "... وذلك أن أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يعتقد العبد ربانيته ليكون بذلك مبايناً لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعاً.

والثاني: أن يعتقد وحدانيته ليكون مبايناً بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

والثالث: أن يعتقد موصوفاً بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفاً بها من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه.

إذ قد علمنا أن كثيراً ممن يقر به ويوحده بالقول المطلق قد يلحد في صفاته فيكون إلحاده في صفاته قادحاً في توحيده.

ولأنا نجد الله تعالى قد خاطب عباده بدعائهم إلى اعتقاد كل واحدة من هذه الثلاث والإيمان بها"[٣].

---

(١) انظر: منهج الإمام محمد بن عبدالوهاب في تقرير توحيد الألوهية: ٦٧-٧٠، ١٧٤-١٨٨.

(٢) أبو عبد الله عبيد الله بن محمد العكبري، فقيه عابد، من أعلام أهل السنة، كان أمّاراً بالمعروف نهّاءً عن المنكر، وله مصنفات، منها كتاب الإبانة، توفي بعكبر (القرب من بغداد) سنة ٣٨٧هـ. انظر: طبقات الحنابلة: ٢/١٤٤، وسير أعلام النبلاء: ١٦/٥٢٩، والمنهج الأحمد: ٢/٨١٠.

(٣) الإبانة لابن بطة: ٦/١٤٩.

وقال ابن مندة[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه "كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته على الاتفاق والتفرد" ذكر أقسام التوحيد واستعرض كثيراً من أدلتها في الكتاب والسنة بشرح وبسط لا مزيد عليه[2].

ونقل ابن مندة عن أبي يوسف القاضي[3] -صاحب أبي حنيفة- أنه قال: "ليس التوحيد بالقياس ألم تسمع إلى قول الله عَزَّوَجَلَّ في الآيات التي يصف بها نفسه أنه عالم قادر قوي مالك، ولم يقل: إني عالم قادر لعلة كذا أقدر، بسبب كذا أعلم، وبهذا المعنى أملك، فلذلك لا يجوز القياس في التوحيد، ولا يعرف إلا بأسمائه، ولا يوصف إلا بصفاته، وقد قال الله تعالى في كتابه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١]، وقال: ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، وقال: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ ﴾ [البقرة: ١٦٤].

قال أبو يوسف: لم يقل الله: انظر كيف أنا العالم وكيف أنا القادر وكيف أنا الخالق، ولكن قال: انظر كيف خلقت ثم قال: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡ ﴾[النحل: ٧٠]، وقال: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١]، أي: تعلم أن هذه الأشياء لها رب يقلبها ويبديها ويعيدها وأنك مُكوّن ولك من كوّنك. وإنما دل الله عَزَّوَجَلَّ خلقه بخلقه ليعرفوا أن لهم رباً يعبدوه ويطيعوه، وأنا القادر، أي: هذا الذي كونكم يسمى المالك القادر الله الرحمن الرحيم بما يوصف.

ثم قال أبو يوسف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن الله عَزَّوَجَلَّ خلقك وجعل فيك آلات وجوارح عجز بعض جوارحك عن بعض وهو ينقلك من حال إلى حال لتعرف أن لك رباً وجعل فيك نفسك

---

(١) الإمام الحافظ محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده، أبو عبد الله. محدث الإسلام. كان من أوسع العلماء رحلة وأكثرهم حديثاً وشيوخاً، من مؤلفاته: الإيمان، التوحيد، توفي سنة ٣٩٥هـ. انظر: طبقات الحنابلة: ١٦٧/٢. وسير أعلام النبلاء: ٧/١١-١٠، والبداية والنهاية: ٣٣٦/١١.

(٢) انظر هذه الأبواب في كتاب "التوحيد" لابن مندة: ٦١/١-١١٦.

(٣) الإمام يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري، القاضي، أبو يوسف الكوفي، صاحب الإمام أبي حنيفة، المجتهد، العلامة، المحدث، أفقه أهل الرأي بعد أبي حنيفة، توفي سنة ١٨٢هـ. انظر: تاريخ بغداد: ٢٤٢/١٤، وسير أعلام النبلاء: ٥٣٥/٨، والجواهر المضية: ٦١١/٣.

عليك حجة بمعرفته تتعرف بخلقه، ثم وصف نفسه فقال: أنا الرب وأنا الرحمن وأنا الله وأنا القادر وأنا المالك فهو يوصف بصفاته ويسمى بأسمائه. قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤]، فقد أمرنا الله أن نوحده، وليس التوحيد بالقياس؛ لأن القياس يكون في شيء له شبه ومثل، فالله تعالى وتقدس لا شبه له ولا مثل له تبارك الله أحسن الخالقين.

ثم قال: وكيف يدرك التوحيد بالقياس وهو خالق الخلق بخلاف الخلق ليس كمثله شيء تبارك وتعالى. وقد أمرك الله عَزَّوَجَلَّ أن تؤمن بكل ما أتى به نبيه ﷺ فقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨]، فقد أمرك الله عَزَّوَجَلَّ بأن تكون تابعاً سامعاً مطيعاً ولو يوسع على الأمة التماس التوحيد وابتغاء الإيمان برأيه وقياسه وهواه إذاً لضلوا، ألم تسمع إلى قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١]، فافهم ما فسر به ذلك"[١].

وهذا الأثر عظيم القدر مشتمل على أقسام التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية و توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

وذكر الطحاوي[٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة متن عقيدته المشهور - العقيدة الطحاوية- أنه مشتمل على: "بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، وأبي عبدالله محمد بن الحسن

---

(١) التوحيد لابن منده: ٣/٣٠٤-٣٠٦، وانظر: الحجة في بيان المحجة: ١/١١١-١١٣، وتفسير الطبري: ١١/٥٣، ٦٠.

(٢) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، له من المؤلفات: شرح مشكل الآثار، وأحكام القرآن وغيرهاتوفي سنة ٣٢١هـ. انظر: شذرات الذهب: ٢/٢٨٨، والفوائد البهية في تراجم الحنفية: ٣١-٣٤.

الشيباني[١]، رضوان الله عليهم أجمعين، وما يعتقدون من أصل الدين، ويدينون به رب العالمين".

ثم قال: "نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره..." [٢].

فقوله: "إن الله واحد لا شريك له" شامل لأقسام التوحيد الثلاثة، فهو سبحانه واحد لا شريك له في ربوبيته، وواحد لا شريك له في ألوهيته، وواحد لا شريك له في أسمائه وصفاته.

وقوله: "ولا شيء مثله" هذا من توحيد الأسماء والصفات.

وقوله: " ولا شيء يعجزه" هذا من توحيد الربوبية.

ثالثا: أن تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، وكذلك تقسيم النحاة الكلام إلى اسم وفعل وحرف، وتقسيم البيت الشعري إلى صدر وعجز، دل عليه الاستقراء، والاستقراء دليل مسلم عند أهل العلوم العقلية والنقلية[٣].

لكنَّ الفَرْق بين الاستقراء في تقسيم التوحيد، والاستقراء في تقسيم النحاة للكلمة هو أن الاستقراء في تقسيم التوحيد هو استقراءٌ دلت عليه النصوص الشرعية ودلَّ عليه أيضاً كلام السلف، فهو حقيقةٌ شرعية بخلاف تقسيم النُحاة فهو تقسيم اصطلاحي.

قال الشيخ محمد الأمين الشينقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقد دل استقراء القرآن العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام" وذكر الأقسام الثلاثة المعروفة[٤].

قال الشيخ بكر أبو زيد[٥]: "هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف أشار

---

(١) محمد بن الحسن بن فرقد، الشيباني بالولاء، أبو عبد الله، الفقيه، الصاحب الثاني لأبي حنيفة، سمع الحديث عن مالك والأوزاعي والثوري، ولي القضاء بعد أبي يوسف، ت سنة ١٨٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: ٩/١٣٤، والجواهر المضية: ٣/١٢٢.

(٢) العقيدة الطحاوية: ١.

(٣) انظر: الموافقات: ٣/٣٢١، وأضواء البيان: ١/٣٢٧.

(٤) أضواء البيان: ٣/٤١٠، ٤١٤.

(٥) هو بكر بن عبد الله أبو زيد، كان رئيساً للمجمع الفقه الإسلامي، وعضو هيئة كبار العلماء بالمملكة، وعضو اللجنة

إليه ابن مندة وابن جرير الطبري وغيرهما، وقرره شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وقرره الزبيدي في تاج العروس وشيخنا الشنقيطي في أضواء البيان في آخرين -رحم الله الجميع-، وهو استقراء تامٌّ لنصوص الشرع، وهو مطرد لدى أهل كل فن، كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى اسم وفعل وحرف، والعرب لم تفه بهذا، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء"(١).

رابعا: أن الأشاعرة يقسمون التوحيد إلى ثلاثة أقسام، وهي ترجع عندهم إلى توحيد المعرفة والإثبات، ولا يذكرون منها توحيد العبادة. فيقولون في التوحيد، بأنه يشتمل ثلاثة أمور:

١- واحد في ذاته لا قسيم له.

٢- وواحد في صفاته لا شبيه له.

٣- وواحد في أفعاله لا شريك له(٢).

"وأشهرها عندهم وأقواها دلالة على التوحيد النوع الثالث، وبه يفسرون معنى "لا إله إلا الله". والألوهية- عندهم- هي القدرة على الاختراع والخلق، فمعنى لا إله إلا الله: لا خالق الا الله"(٣).

فمن أين لهم هذا التقسيم؟ وإذا كان تقسيم أهل السنة بدعة، فماذ يكون تقسيمهم؟

خامسا: أن قول عثمان النابلسي: "وعلى هذا فإن التوحيد إما أن يوجد بقسميه وإما أن يُعدم بقسميه"(٤).

الدائمة للإفتاء، وله مشاركة في التأليف في: الحديث والفقه واللغة والمعارف العامة، منها: المدخل المفصل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل، والحدود والتعزيرات، والجناية على النفس وما دونها، وغيرها. توفي عام ١٤٢٩.

انظر: مقدمة فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: ١٥/١، وسيرة الشيخ بكر أبو زيد وأخباره:٣١-٢٠٦.

(١) التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير: ٣٠.

(٢) انظر: الملل والنحل: ٤٢/١، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به: ٣٣-٣٤.

(٣) موقف ابن تيمية من الأشاعرة: ٩٤٦/٣، وانظر: أصول الدين للبغدادى: ١٢٣، والملل والنحل: ١٠٠/١.

(٤) الرؤية الوهابية للتوحيد: ٣٦.

فالجواب عنه: أن التوحيد الكامل يشمل توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، وأن النقص في أحدها نقص في الآخر، وأن هذا النقص إما أن يكون مذهباً لأصل التوحيد؛ كمن دعا غير الله أو صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله.

أو يكون منقصاً للتوحيد ولكن لا يذهب بأصل التوحيد، ومن ذلك من اعتقد في شيء أنه سبب ولم يجعله الله سبباً؛ كمن أشرك بالله الشرك الأصغر فاعتقد في النجوم أنها سبب لنزول الأمطار مثلاً، فهذا الأمر يخل بتوحيده في الربوبية والألوهية للتلازم بينهما ولكن لا يذهب عنه أصل التوحيد[١].

وقد سبق في الدعوى الأولى من هذا الفصل في الفقرة أولا، أن المشركين يقرون بتوحيد الربوبية ويشركون في الألوهية، وأن هذ أمر قد أثبته الله في كتابه في آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت: ٦١]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الزخرف: ٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦].

وسبق كذلك ذكر الآثار في ذلك، وهذا يدل على أنه قد يذهب التوحيد بقسميه، وقد يوجد بقسميه، وقد يوجد بأحدهما دون الآخر.

قال الشيخ ابن باز[٢] رَحِمَهُ اللَّهُ: "والشرك شركان: أكبر وأصغر:

"فالشرك الأكبر ينافي توحيد الله، وينافي الإسلام، ويحبط الأعمال، والمشركون في النار، وكل عمل أو قول دلت الأدلة على أنه كفر بالله: كالاستغاثة بالأموات أو الأصنام، أو اعتقاد

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: ٢/٧١٠.

(٢) أبو عبد الله عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن باز، تلقى العلوم الشرعية والعربية على أيدي كثير من علماء الرياض، شغل عدة مناصب، منها الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، من مؤلفاته: الفوائد الجلية في المباحث الفرضية، والتحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة، والتحذير من البدع، والعقيدة الصحيحة وما يضادها، وغيرها، توفي سنة ١٤٢٠هـ. انظر: مقدمة مجموعة فتاوى ومقالات متنوعة: ٩/١، جوانب من سيرة الإمام عبدالعزيز ابن باز للدكتور.محمد الحمد، علماء ومفكرون عرفتهم: ٧٧/١، علماؤنا: ٢٨.

حل ما حرم الله، أو تحريم ما أحله الله، أو تكذيب بعض رسله، فهذه الأشياء تحبط الأعمال، وتوجب الردة عن الإسلام".

ثم قال: " الشرك الأصغر مثل الرياء، والسمعة في بعض العمل أو القول، ومثل أن يقول الإنسان ما شاء الله وشاء فلان، والحلف بغير الله، كالحلف بالأمانة والكعبة والنبي وأشياء من ذلك، فهذه وأشباهها من الشرك الأصغر، فلابد من الحذر من ذلك" [١].

---

(١) مجموع مقالات وفتاوى الشيخ ابن باز: ٢/٢٥-٢٩، وانظر: مجموع الفتاوى: ٣٥٣/٧، ٤٠٤، ٥٢٠، الدرر السنية: ٢٠٤/٢.

المطلب السادس: دعوى تحريف أتباع دعوة الإمام لعقيدة الأشاعرة وإتهامهم بأنهم لا يعرفون معنى "لا إله إلا الله"

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى تحريف أتباع دعوة الإمام لعقيدة الأشاعرة، وإتهامهم بأنهم لا يعرفون معنى "لا إله إلا الله"، وأنهم يقتصرون على توحيد الربوبية.

يقول محمد باسم دهمان بعد أن نقل عن بعض أئمة الأشاعرة أقوالهم في توحيد الألوهية: "أنكرَ ابنُ تيمية على المتكلمين اقتصارهم على توحيد الربوبية وأنهم خَلطوا بينه وبين توحيد الألوهية، فذكر أنَّ أول هذه المضار هي أن المتكلمين – ولا سيما الأشاعرة والماتريدية – أخطؤوا وضلوا في تفسير كلمة التوحيد وهي (لا إله إلا الله)، حيث فسروا (الإله) فيها بالرب الخالق، ففهموا أن معناها: (لا خالق إلا الله)، ولم يفسروا (الإله) بالمعبود الحق، ولا فهموا أن معناها هو (لا معبود بحق إلا الله)[١].

وتابع السلفية المعاصرين [كذا] ابن تيمية على هذا الإنكار على عادتهم بالانتصار لابن تيمية دون بيان أو دراسة أو تحقق: إنما هو الهوى فحسب، رغم تيسير وتسهيل آلات البحث اليوم بحيث يمكنك أن تتحقق من أية مسألة بعشرة دقائق على البرامج الإلكترونية والشبكة العنكبوتية"[٢].

ثم ذكر بعض المعاصرين من الذين نهجوا نهج ابن تيمية[٣]، ومن رد على الأشاعرة المعاصرين[٤].

ثم قال: " إذا نحن أمام ادعائين:

---

(١) درء تعارض العقل والنقل: ٢٢٦/١، موقف ابن تيمية من الأشاعرة: ص ٩٧٢.

(٢) مغالطات السلفية: ٤٢٩.

(٣) منهج الأشاعرة في العقيدة، فقرة: ٢٨، د. سفر الحوالي.

(٤) الرد الشامل على عمر كامل: ص١٠١، عبدالله الموجان.

الأول: أن الأشاعرة ومن معهم جهلوا أن الإله بمعنى المعبود، وبالتالي جهلوا أن معنى لا إله إلا الله هو لا معبود بحق إلا الله.

الثاني: أن تفسير الإله بالخالق خطأ وضلال، وبالتالي يكون تفسير الأشاعرة لكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) أي: لا خالق إلا الله، هو تفسير باطل، بل هذا التفسير ضلال يؤدي إلى الشرك في توحيد الألوهية.

وإليك الجواب عن هذين الادعائين فيما يلي:

أولاً: الجواب عن الادعاء الأول، وهو أن الأشاعرة فسروا كلمة التوحيد وهي (لا إله إلا الله) بأن معناها: لا خالق إلا الله، وجهلوا أن معنى كلمة التوحيد وهي (لا إله إلا الله) أي: لا معبود بحق إلا الله.

فأقول: إن هذا الكلام لا يساوي سماعه، وإنما هو ادعاء فارغ ينادي على صاحبه إما بالجهل السحيق وإما بالهوى البشع الذي اتخذ إلهاً من دون الله؛ فالأشاعرة نصوا على أن الإله هنا هو المعبود، وقالوا: إن كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) تعني: لا معبود بحق إلا الله، وهذا نص عليه رؤوس الأشاعرة كالباقلاني والرازي والسنوسي وغيرهم ممن لا يحصى كثرة، وهذه بعض نصوصهم، فنبدأ بكبيرهم وهو القاضي أبو بكر الباقلاني[١]"، ثم ذكر بعض النقول عنهم في ذلك[٢].

ثم ذكر اتهام السلفية وأتباع هذه الدعوة للأشاعرة: أنهم لم يذكروا الشرك في كتبهم، فقال: "ثانياً: اتهام السلفية للأشاعرة أنهم لم يذكروا الشرك في كتبهم!

هكذا ادعى ابن تيمية وأتباعه السلفية اليوم ومنهم (د. سفر الحوالي) حيث قال في كتابه (منهج الأشاعرة): (أما التوحيد الحقيقي وما يقابله من الشرك ومعرفته والتحذير منه فلا ذكر له في كتب عقيدتهم إطلاقاً، ولا أدري أين يضمونه؟! في كتب الفروع؟ فليس فيها، أم يتركونه

---

(١) الإنصاف للباقلاني: ٢٢، مفاتيح الغيب: ١/٢٤٤، ٢٤٥، شرح أم البراهين للسنوسي: ص٢٠٦-٢٠٧، حاشية البجوري على متن السنوسية: ص٤٢.

(٢) مغالطات السلفية: ٤٢٩-٤٣١.

بالمرة؟ فهذا الذي أجزم به).

وقال السلفي الوهابي (د. عبدالرحمن المحمود) في كتابه (موقف ابن تيمية من الأشاعرة)[١]: (وهذا المنهج الخطير الذي سلكه الأشاعرة أثر في كتاباتهم العقدية، فقلما نجد لعالم من علمائهم كتاباً أو رسالة في بيان توحيد العبادة، وأنواع العبادة التي لا يجوز صرفها إلا لله، أو في بيان الشرك وأنواعه، أو حكم السفر لزيارة القبور والدعاء والنذر لها، بل على العكس من ذلك تجد الكثير منهم يميل إلى مثل هذه الشركيات أو ما هو من وسائله).

قلت: نعم لم يذكر كل علماء الأمة قبل ابن تيمية وعلى مدى سبعة قرون الشرك في كتبهم لأنه لا وجود له إلا في مخيلة مرضى القلوب والنفوس (السلفية) الذين يفسرونه تفسيراً خاصاً به ابتدعوه حين قسم لهم ابن تيمية التوحيد إلى قسمين كما سبق بيانه؛ فالسلف جميعاً لا يرون بأساً بزيارة قبور الصالحين والتبرك بها والتوسل بأهلها بل يعدون ذلك من علامة صحة الاعتقاد ومن المندوب لا كابن تيمية الذي يعده شركاً وكفراً، فكيف يذكرون هذه المسائل في كتبهم وهي أصلاً - مسألة زيارة القبور والتوسل بها - مسائل فقهية ليست عقدية وقد ذكروها في كتب الفقه يعني في محلها"[٢].

ثم قال: "وارجع إلى كتب التفسير التي كتبها الأشاعرة لتجد أنهم ينصون على انفراد الله تبارك وتعالى باستحقاق العبادة، والتحذير من أصناف الشرك، وخاصة اتخاذ الشريك مع الله تعالى في العبادة- ثم ذكر بعض أقوالهم[٣]"[٤].

ثم ذكر إحصاء ومقارنة حول كلمة (القبور) ومشتقاتها بين كتاب سلفي وسائر كتب السلف الصالح:

"قال د. وليد الزير: إن الأشاعرة لم يدرجوا مسائل القبور في كتب العقائد ولم يجعلوها من الشرك، وقد أصابوا في ذلك؛ لأن هذه المسائل هي مسائل فقهية فموضعها كتب الفقه التي

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة: ٢/٩٧٧.

(٢) مغالطات السلفية: ٤٣٣-٤٣٤.

(٣) تفسير الرازي: ١٦/٢٣، ٣٨ الآية: ٢٠-٢١ من سورة التوبة، والإنصاف: ص٢٢-٢٣.

(٤) مغالطات السلفية: ٤٣٦-٤٣٨ باختصار.

تبين الحلال من الحرام، فهناك ذكر الفقهاء أحكامها، بل أجازوا معظمها على تفصيل في ذلك، وربما ندبوا إلى بعضها لأدلة ناهضة استدلوا بها من الكتاب والسنة مقررة في موضعها.

إن أول من حظر هذه المسائل وغلا فيها فجعلها من مسائل العقيدة، واعتبرها شركاً أو ذريعة إليه هو ابن تيمية المتوفى سنة (٧٢٨هـ) الذي انطوى مذهبه بعد وفاته ووفاة من تأثر به من تلامذته، كابن القيم المتوفى سنة (٧٥١هـ)، ومن بعده ابن أبي العز الحنفي المتوفى (٧٩٢هـ)، ثم اندثر مذهب ابن تيمية ما يقارب خمسة قرون، إلى أن جاء ابن عبدالوهاب في القرن الثاني عشر الهجري فأحيا مذهب ابن تيمية من جديد، وراح يكفّر المسلمين من أجل مسائل القبور، بل ذهب أبعد من ذلك، إذ حمل السلاح هو وشيعته وراح يذبّح المسلمين ويمعن في استحلال دمائهم وأموالهم واعراضهم تطبيقاً لفتاوى ابن تيمية في مسائل القبور التي أعجب بها ابن عبدالوهاب"[١].

ثم قال: " ثم إن تشنيعكم على الأشاعرة لأنهم لم يدرجوا مسائل القبور في كتبهم ولم يعتبروها شركاً، أقول: إن هذا التشنيع والنكير لا يلزم الأشاعرة فحسب، إذ ليسوا هم وحدهم من تفرد بذلك، ولا وافقهم على ذلك الماتريدية والصوفية وغيرهم من الفرق فحسب، بل معهم أيضاً السلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم من أهل القرون الثلاثة المفضلة، فهؤلاء لم يعتبروا مسائل القبور شركاً[٢]، ولا فهموا ذلك من الآيات والأحاديث التي يستدل ابن تيمية بها على ذلك، وقد بسطت ذلك في الكلام على الاستغاثة، وبينت أن كل الآيات التي استدل بها ابن تيمية على هذه المسألة لم يفهم أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أتباعهم ما فهمه؛ من أنها دالة على حرمة وشرك من يدعو الغائبين والأموات"[٣].

حقيقة هذه الدعوى:

---

(١) نقلا عن: مغالطات السلفية: ٤٣٥.

(٢) تعليق من صاحب الكتاب: نعم قد تجد رواية هنا أو هناك عن فلان أو فلان من السلف كره هذه المسألة أو تلك من مسائل القبور كراهة تنزيهية أو تحريمية على أكبر تقدير ولكن لا يصل إلى حد الحكم بالشرك أو الكفر كما يزعم ابن تيمية، كما أن هذا معارض مواقف كثيرة عن السلف أجازوا كثيراً من مسائل القبور التي حظرها ابن تيمية وجعلها شركاً أو ذريعة إليه.

(٣) المرجع السابق: ٤٣٨.

هذه الدعوى مبنية على تعريف التوحيد، والاقتصار فيه على الربوبية، وأن تعريف كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" بأنها لا قادر على الاختراع إلا الله، أو لا خالق إلا الله، وأن الله واحد في أفعاله لا شريك له[١].

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: أن المشهور عن الأشاعرة أنهم يقسمون التوحيد إلى ثلاثة أقسام، وهي ترجع عندهم إلى توحيد المعرفة والإثبات، ولا يذكرون منها توحيد العبادة. فيقولون في التوحيد، بأنه يشتمل ثلاثة أمور:

١- واحد في ذاته لا قسيم له.

٢- وواحد في صفاته لا شبيه له.

٣- وواحد في أفعاله لا شريك له[٢].

وأشهرها عندهم وأقواها دلالة على التوحيد النوع الثالث، وبه يفسرون معنى "لا إله إلا الله". والألوهية- عندهم- هي القدرة على الاختراع والخلق، فمعنى لا إله إلا الله لا خالق الا الله[٣].

ثانيا: أن أول واجب عندهم على المكلف، هو النظر، أو القصد إلى النظر، أو الشك[٤]، وهذا مما يدل على عنايتهم به والتركيز عليه، وإلا فالإقرار بالله مركوزاً في الفطر ولا

---

(١) انظر: الإنصاف للباقلاني: ٣٣-٣٤، والاعتقاد للبيهقي: ٦٣، وأصول الدين للبغدادى: ١٢٣، والملل والنحل للشهرستاني: ١/١٠٠، وشرح أسماء الله الحسنى للرازي: ١٢٤، الدرر السنية في الرد على الوهابية: ٤٠، ولزيادة التفصيل، انظر: منهج أهل السنة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى، وحقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين.

(٢) انظر: الملل والنحل: ١/٤٢، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به: ٣٣-٣٤.

(٣) انظر: أصول الدين للبغدادى: ١٢٣، والملل والنحل: ١/١٠٠، المسامرة شرح المسايرة: ٤٣، شرح المقاصد: ٣/٢٧، السلفية بين الأصيل والدخيل: ٦٨-٧١، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة: ٣/٩٤٦.

(٤) انظر: الإنصاف: ٣٣، والإرشاد: ٢٥، وشرح جوهرة التوحيد: ٣٧، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة: ٢/٥٩٥-٥٩٩، ٦٣٢-٦٤٤، ٦٦٧-٦٧٠.

يحتاج إلى استدلال[١].

ثالثا: أن تعريف كلمه (إله) عند الأشاعرة مختلف فيه؛ فإنه قد عرف كثير من الأشاعرة كلمة (إله) بأنه القادر على الاختراع، فمن ذلك ما نسبه البغدادي إلى أبي الحسن الأشعري فقال: "واختلف أصحابنا في معنى الإله: فمنهم من قال إنه مشتق من الإلهية، وهي: قدرته على اختراع الأعيان، وهو اختيار أبي الحسن الأشعري"[٢]، ثم اختار البغدادي القول بأنه غير مشتق!.

وقد حكى الرازي هذا القول ذاكراً دليله دون أن يُسمّي قائله، فقال في صدد حكاية مذاهب الناس في أصل اشتقاق اسم الله تعالى (الله) قال: "القول السابع: الإله من له الإلهية، وهي القدرة على الاختراع، والدليل عليه أن فرعون لما قال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣]، قال موسى في الجواب: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الشعراء: ٢٤]، فذكر في الجواب عن السؤال الطالب لماهية الإله: القدرة على الاختراع، ولولا أن حقيقة الإلهية هي القدرة على الاختراع لم يكن هذا الجواب مطابقاً لذلك السؤال[٣].

رابعا: أن "المتتبع لما صنفه علماء الأشاعرة في التوحيد، يجد كتبهم خالية من ذكر توحيد الألوهية، إلا ما ذكره بعض المتقدمين في تعريف التوحيد المتضمن لتوحيد الألوهية، وإنكار بعضهم بعض أنواع الشرك التي حدثت في أزمانهم.

فعدم تفصيل القول فيه من المتقدمين والمتاخرين وعدم إفراده بالبحث له أسباب، وهذه الأسباب -والله أعلم- تختلف عند المتقدمين منها عند المتأخرين، ولذلك يمكن القول بأن بعض مسائل توحيد الألوهية غير الواضحة في المنهج الأشعري، وكذلك هذه المسائل تختلف عند المتقدمين منها عند المتأخرين.

السبب الأول: والذي يظهر -والله أعلم- أن المتقدمين منهم لم يصنفوا تصانيف مستقلة بالبحث في حقيقة توحيد الألوهية وما يضاده من الشرك ومظاهره؛ لأنه لم يظهر ما ظهر عند

---

(١) انظر: نهاية الإقدام في علم الكلام: ١٢٥.

(٢) أصول الدين للبغدادي: ١٢٣.

(٣) شرح أسماء الله الحسنى للرازي: ١٢٤.

المتأخرين من جماهير الطوائف من مظاهر الشرك وذرائعه ووسائله.

والذي يؤكد هذه الحقيقة هو أن علماء أهل السنة والجماعة الذين ردوا على الأشعرية وغيرهم لم يذكروا -فيما أعلم- مسائل توحيد الألوهية فيما خالف فيه أولئك، فلو كان عندهم شيء مخالف لذكروه وردوا عليه، بل إنهم كانوا يذكرون في الرد على المبتدعة من الحجج والبراهين المقدمات التي يسلمون بها ليفحموهم. فمن ذلك: الرد على من زعم أن كلام الله مخلوق، فإن الأئمة ذكروا في مقدمات برهانهم أن الاستعاذة بالمخلوق لا تجوز، وقد وردت أدلة نقلية بالاستعاذة بكلمات الله، فالنتيجة إذن: إن كلام الله غير مخلوق. والأشاعرة ممن يقول إن كلام الله -يعنون النفسي- غير مخلوق، فلو كانت هذه الحجة غير صحيحة لما أقروا بها - كيف وقد وجد منهم من يستدل بها.

وبالجملة: فهذا يؤكد أن المتقدمين من الطوائف -وقدماء الأشاعرة منهم- لم يكونوا ينازعون في أن الاستعاذة بغير الله لا تجوز، وكذلك الدعاء والاستغاثة فيما لا يقدر عليه إلا الله، والحلف، وغير ذلك من المسائل التي كثر انحراف المتأخرين فيها.

السبب الثاني: من أسباب عدم تصنيف الأشاعرة في توحيد الألوهية: أنهم قد اتفقوا على عدم عدّ توحيد الألوهية أول واجب على المكلف، واشتغلوا بأمور اخرى زعموا أنها أول واجب على المكلف كالنظر أو القصد إلى النظر المؤدي إلى معرفة وجود الله ومن ثَمَّ وحدانيته في الذات والأفعال، وسلكوا في ذلك طرقاً مستعصية على الفهم، وانفتحت عليهم أبواب الشكوك والشبهات وصعب حلها، فإذا أضيف إلى هذا السبب ما تقدم في السبب الأول من عدم ظهور الشرك في زمن المتقدمين علم وجه عدم تصنيفهم لهذا النوع من التوحيد.

السبب الثالث: وهو خاص بالمتأخرين الذين خالفوا في بعض مسائل توحيد الألوهية فهم فاقدون للعلم الصحيح فيه فأنى لهم إذاً أن يصنفوا فيه، إذ فاقد الشيء لا يعطيه، بل الملاحظ تصننيف كثير منهم كتباً للرد على أهل السنة في هذه المسائل"[١].

خامسا: أن ما ذكره عن بعض أئمة الأشاعرة من الكلام عن توحيد الألوهية حق؛ ولكن

---

(١) منهج أهل السنة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله: ١٤٤-١٥٣ باختصار.

هل هذا المناوئ يقول بما يقولون به؟ وهل تابعهم في تعريفهم لهذا التوحيد؟ أما أنه يردد كلامهم ولا يعرف معناه؛ وإلا فقد قال الباقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى التوحيد: "والتوحيد له هو: الإقرار بأنه ثابت موجود وإله واحد فرد معبود ليس كمثله شيء"(١). وقال أيضاً في مسألة وحدانية الله: "ومعنى ذلك: أنه ليس معه إله سواه ولا من يستحق العبادة إلا إياه"(٢). وممن صرح به من المتأخرين: الباجوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث قال معرفاً للتوحيد: "وهو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتاً وصفاتٍ وأفعالاً"(٣).

وهذا يؤكد أنهم كانوا يعرفون ما يجهله كثير من الناس في هذا الزمان – ومنهم هذا المناوئ– من أن الدعاء والرغبة والرهبة والرجاء والخوف وغيرها من الأعمال كلها لله تعالى.

سادسا: قول الكاتب: "إن الأشاعرة لم يدرجوا مسائل القبور في كتب العقائد ولم يجعلوها من الشرك، وقد أصابوا في ذلك؛ لأن هذه المسائل هي مسائل فقهية فموضعها كتب الفقه التي تبين الحلال من الحرام...".

فإن الحكم الشرعي في المسألة لا يختلف بإختلاف تصنيفها سواء وضعت في الفقه أو العقيدة؛ فالرسول ﷺ قال: «من حلف بغير ملة الإسلام فهو كما قال، قال: ومن قتل نفسه بشيء عذب به في نار جهنم، ولعن المؤمن كقتله، ومن رمى مؤمنا بكفر فهو كقتله»(٤). فهذا حكمه ﷺ على الفعل، ولا يتغير الحكم بأن جعلناه في المعاملات أو العقائد أو العبادات. وسيأتي الكلام عنها – إن شاء الله تعالى– في الدعوى الثامنة عشر من هذا الفصل.

---

(١) الإنصاف للباقلاني: ٣٤.

(٢) المصدر السابق: ٤٩.

(٣) تحفة المريد للباجوري: ١٠.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب: من حلف بملة سوى ملة الإسلام، رقم: ٦٦٥٢.

المطلب السابع: دعوى أن الاشتراك في المعنى الكلي بين صفات الخالق والمخلوق يقتضي الاشتراك في الحقائق

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى أن الاشتراك في المعنى الكلي بين صفات الخالق والمخلوق - الذي تقول به دعوة الإمام- يقتضي الاشتراك في الحقائق، وتشبيه الخالق بالمخلوق.

يقول عثمان النابلسي في بيان نفي المشابهة مطلقاً بين الخالق والمخلوق: "تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقات بأي جهة من الجهات: دلت القواطع النقلية والعقلية على استحالة وقوعه على أي وجه من وجوه الشبه بين الخالق والمخلوقات.

فمن النقل، قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١](١).

ثم قال: "فالآية دالة على أن الله تعالى منزه عن مشابهة شيء من المخلوقات من كل جهة، فيكون الاشتراك بين صفات الله تعالى وصفات المخلوق هو اشتراك لفظي لا غير"(٢).

ثم قال: "والاشتراك الظاهري بينهما هو مجرد اشتراك لفظي لا حقيقي في معنى وجودي، كقولنا: الله تعالى عليم وفلان من الناس عليم، فهذا ليس أكثر من مجرد اشتراك في الاسم لا في المعنى والمسمى، والمصحح لإطلاق اللفظ الواحد على الخالق سبحانه وتعالى وعلى المخلوق هو الاشتراك في اللوازم، والاشتراك في اللوازم لا يستلزم الاشتراك في الحقائق كما هو مقرر معروف"(٣).

ثم قال: "إن الاشتراك بين صفات الخالق تعالى وصفات المخلوق هو اشتراك في أحد اللوازم أو الاعتباريات أو التعلقات أو السلوب، وليس اشتراكاً في حقائق تلك الصفات أو في

---

(١) الرؤية الوهابية للتوحيد: ٣٢٩، وانظر: تحقيق مسائل مهمات من علم التوحيد والصفات: ١٣٨.

(٢) المرجع السابق: ٣٣٠.

(٣) المرجع السابق: ٣٣٢.

حقيقة الذات أو في صفة موجودة قائمة بالخالق والمخلوق؛ فلا يعتبر هذا النوع من الاشتراك تشبيهاً؛ إذ التشبيه هو التشريك في الأمور الوجودية وحقيقة الصفات الوجودية أو حقيقة الذات أو حقيقة الأفعال.

ولذلك عرّف أهل السنة صفات الله تعالى باللازم لا بالحد والحقيقة، بخلاف التيمية يثبتون تلك الصفات بعد أن يفهموا نظائرها في المخلوقات على حقائقها الثابتة لها في الشاهد"(١).

ثم بين – حسب زعمه – وهم أتباع الدعوة المباركة في قولهم بالاشتراك في المعنى الكلي فقال:

"رأيت بعض الوهابية يقول بأن الاشتراك بين صفات الرحمن وصفات الأكوان هو اشتراك في المعنى الكلي، والمعنى الكلي ليس له وجود إلا في الأذهان لا في الأعيان، الاشتراك بين صفات الخالق والمخلوق هو اشتراك ذهني وليس بخارجي، فإذا أثبتوا "العين الحقيقية" مثلا لله تعالى وأثبتوها للمخلوقات، فيكون هناك معنى كلي تشترك فيه "عين" الله تعالى و"عين" المخلوق، وهذا المعنى الكلي لا وجود له في الخارج بل لا يوجد إلا في الأذهان، أما الأفراد الخارجية فلكل شيء وجود يخصه، ولذلك يرون أن إثبات الصفات – التي يسمونها بالعينية– على حقيقتها للخالق والمخلوق ليس تشبيها"(٢).

ثم قال: " والوهابية يرون أن التشبيه المذموم هو تشبيه الكيفية بالكيفية، كأن تقول: يد كيد إنسان، ووجه كوجه الإنسان، وجهلوا أو تجاهلوا أن التشابه والاشتراك في الحقيقة وأصل المعنى أوضح وأعظم بكثير من التشابه والاشتراك في الكيفيات، وأن التشابه والاشتراك في الكيفيات تشابه ضعيف قليل بالنسبة للتشابه والاشتراك في الحقيقة وأصل المعنى(٣).

ثم قال: "ثم إننا نسأل الوهابية عن هذا المعنى الكلي المشترك الذي يقولون به، فنقول مثلاً: ما هو المعنى الكلي المشترك لصفة "العين" فإما أن يبيّنوا هذا المعنى أو يكتموه.

---

(١) المرجع السابق: ٣٣٤.

(٢) المرجع السابق: ٣٣٥.

(٣) المرجع السابق: ٣٣٠.

فإن بيّنوه فلا يخلو بيانه من أمرين:

أ- إما أن يبيّنوه بذكر معناه الوضعي اللغوي وهو عضو الإبصار أو أداته أو الجارحة المعروفة، فيقعون في التشبيه، ولا ينفعهم بعدها إثبات التفاوت في الكيفيات اللاحقة أو التترّس بجهل الكيفية.

ب- وإما أن يبيّنوه بغير معناه اللغوي الوضعي، أي بغير معنى الجارحة والعضو فيقعون في التأويل الذي يسمونه تعطيلاً.

وإن كتموه فيكون كتمانهم إياه:

أ- إما لعدم معرفتهم به، فيقعون في التفويض الذي يسمونه تجهيلاً.

ب- وإما لعجزهم وقصورهم عن التعبير عنه، وهذا - فضلاً عن كونه نوعاً من التفويض المذموم عندهم- تقيةً مخالفة لعقيدة الإسلام الواضحة كالشمس في رابعة النهار، والبعيدة عن الألغازو والغموض، ومخالف لتصريحهم بوجوب حمل نصوص الصفات على معانيها الوضعية، ومخالف لإيجابهم على الناس معرفة معاني نصوص تلك الصفات"[١].

حقيقة هذه الدعوى:

هذه الدعوى قديمة قال بها الفلاسفة والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم، وهي مبنية على توهم أن المشاركة بين الخالق والمخلوق في المعنى الكلي تستلزم المشاركة في الخارج والمشابهة التي نزه الله نفسه عنها بقوله قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١][٢].

---

(١) المرجع السابق: ٣٤٢-٣٤٣ باختصار.

(٢) انظر: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: ٣٤٠، والتمهيد في الرد على الملاحدة: ٢٤-٢٥، والفرق بين الفرق: ٦٦، ١٢٧، والمغني في أبواب التوحيد والعدل: ٢٤٢/٤، ٢٥٢، والملل والنحل: ٦٨/١، ١٤٧/٢، ٢٥/٣، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة: ١٠٧٠/٣، وبيان تلبيس الجهمية: ٣٨٤/١، ومختصر العلو: ٢٦٤، والقدر المشترك في معاني الصفات بين أهل السنة ومخالفيهم: ٩٧، ١٠٢ وما بعدها.

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: أن أهل السنة والجماعة ينفون التمثيل ولا ينفون التشبيه بالمعنى المراد عند أهل الكلام؛ وذلك أن المماثلة مشابهة من كل وجه بخلاف التشبيه فهي مشابهة من بعض الوجوه.

قال ابن فارس[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن الشين والباء والهاء أصل يدل على تشابه الشيء وتشاكله لوناً ووصفاً[٢].

وهو مصدر شبّه يشبه تشبيهاً[٣]، وشِبه وشَبه لغتان بمعنى واحد، يقال: هذا شِبْهه بسكون الباء، وبينهما شَبه بتحريكهما أي: شبيهه، وجمعه أشباه، ويجمع على مشابه على وزن محاسن على غير القياس[٤].

وتصاريف كلمة "شبه" جميعها تدل على مشابهة الشيء للشيء من بعض الوجوه. يقال في اللغة: فلان فيه شبه من فلان[٥]. أي: بينهما تشابه في بعض الصفات.

ويقال: فيه شبه من هذا إذا أشبهه من بعض الوجوه، وإن كان مخالفاً له في الحقيقة[٦]، قال تعالى: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا﴾[البقرة: ٢٥]، وأهل اللغة يقولون في المتشابه المذكور في الآية: يشبه بعضه بعضاً في الجودة والحسن[٧].

وأما المثل فهو الذي يدل على مناظرة الشيء للشيء، يقال هذا مثله أي: نظيره[٨]. والمماثلة لا تكون إلا في المتفقين يقال: نحوه كنحوه، وفقهه كفقهه، ولونه كلونه، وطعمه

---

(١) أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد القزويني، أبو الحسين، الإمام اللغوي، ولد بقزوين، له مصنفات منها: معجم مقاييس اللغة، ومجمل اللغة، توفي سنة ٣٩٥ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: ١٠٣/١٧، وشذرات الذهب: ١٣٢/٣، والوافي بالوفيات: ١٨١/٧.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة: ٢٤٣/٣.

(٣) انظر: القاموس المحيط: ٦٠، ولسان العرب: ٥٠٤/١٣-٥٠٥، والحجة في بيان المحجة: ٣٠٦/١.

(٤) انظر: الصحاح: ٢٢٣٦/٦، ولسان العرب: ٣/١٣.

(٥) انظر: تهذيب اللغة: ٩٠/٦، ولسان العرب: ٥٠٤/١٣.

(٦) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ٢٣٣/٢-٢٣٤.

(٧) انظر: تهذيب اللغة: ٩١/٦.

(٨) انظر: معجم مقاييس اللغة: ٢٩٦/٥.

كطعمه، فإذا قيل: هو مثله على الإطلاق بدون تقييد فمعناه أن يسد مسده فإذا قُيِّد فقيل: هو مثله في كذا فهو مساوٍ له في هذه الجهة[١].

وبناء على ذلك فإن الشبيه يطلق في اللغة مع تقييده بمعنى المثيل ويعرف ذلك من سياق الكلام وذلك لأن المثل في اللغة هو المشابه للشيء من كل الوجوه[٢].

وقد يراد بالتمثيل التشبيه وهو قليل[٣]، مثل أن يقال: هذا عبدالله مثلك وهذا رجل مثلك[٤] أي: يشبهك في بعض الصفات، أما إذا أطلق بدون تقييد فالمراد به مشابهة الشيء للشيء ومشاركته له في جميع الصفات.

ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ﴾[البقرة: ١٣٧]. أي: فإن آمنوا بمثل إيمانكم فقد صاروا مسلمين مثلكم، يعني: أن هؤلاء إن آمنوا بمثل ما آمنتم به أيها المؤمنون من الإيمان بجميع كتب الله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم وأسلموا لله وحده فقد اهتدوا وأصابوا الحق[٥]. فأطلق "المثل" في الآية وأريد به المساواة من كل الوجوه في الاتصاف بالصفات التي تحصل بها الهداية التي آمن بها المؤمنون.

فبين لفظ الشبه والمثل في اللغة اشتراك في مشابهة الشيء للشيء من بعض الوجوه ويختلف التمثيل بأن تكون فيه المشابهة في جميع الوجوه، فمعناهما يختلف كما ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند الإطلاق، وإن كان مع التقييد والقرينة يراد بأحدهما ما يراد بالآخر[٦].

وأيضاً قد دل القرآن الكريم على نفي التمثيل دلالة صريحة فقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

أما التشبيه فلم يتعرض له القرآن الكريم أو السنة النبوية بنفي أو إثبات، وقد ورد في كلام

---

(١) انظر: لسان العرب: ١١/٦١٠.

(٢) انظر: لسان العرب: ١١/٦١٠، وانظر: بيان تلبيس الجهمية: ٧/٥٧٠.

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة: ٥/٢٩٦.

(٤) انظر: تهذيب اللغة: ١٥/٩٥.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ١/١٩٣، وتفسير السعدي: ١/١٤٨.

(٦) انظر: الجواب الصحيح: ٢/٢٣٣.

السلف نفيه وذمه وأرادوا به التمثيل المنفي عن الله عَزَّوَجَلَّ.

كما أنه لا يصح أن ينفي الشبه بين الله وبين خلقه مطلقاً في أصل اللغة إنما يكتفي بنفي المماثلة فحسب.

قال الشيخ محمد بن عثمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وبهذا علم أنه لا يصح الاعتماد في ضابط النفي على مجرد نفي التشبيه؛ وذلك لوجهين:

الأول: أنه إن أريد بالنفي نفي التشابه المطلق أي: نفي التساوي من كل وجه بين الخالق والمخلوق فإن هذا لغو من القول إذ لم يقل أحد بتساوي الخالق والمخلوق من كل وجه، بحيث يثبت لأحدهما من الجائز والممتنع والواجب ما يثبت للآخر، ولا يمكن أن يقوله عاقل يتصور ما يقول، فإنه مما يعلم بضرورة العقل وبداهة الحس انتفاؤه، وإذا كان كذلك لم يكن لنفيه فائدة.

وإن أريد بالنفي مطلق التشابه أي: نفي التشابه من بعض الوجوه فهذا النفي لا يصح إذ ما من شيئين إلا وبينهما قدر مشترك يشتركان فيه، وقدر مختص يتميز به كل واحد عن الآخر، فيشتبهان من وجه، ويفترقان من وجه.

الوجه الثاني: أن الناس اختلفوا في تفسير التشبيه، فقد فسره بعضهم بما لا يراه الآخرون تشبيها"[١].

ثانيا: أن الكاتب نقل من كلام الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ والشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله، والشيخ خالد المصلح حفظه الله[٢] ما يكفي في الرد عليه في عدم صحة نفي التشبيه على الاطلاق حيث قال: " ففي فتاوى ابن عثيمين (١٠/٧٧٠): (نفي التشبيه على الإطلاق لا يصح؛ لأن كل موجودين فلابد أن يكون بينهما قدر مشترك يشتبهان فيه، ويتميز كل واحد بما يختص به. وما يميزه ويختص به هو الكيفية).

وقال - يعني الشيخ ابن عثيمين - في"شرح عقيدة أهل السنة والجماعة" ص٢٢٦:

(وإن أردت التشبيه المطلق من كل وجه فهذا لغو، بمعنى أن الله تعالى لا يشابه الخلق في

---

(١) تقريب التدمرية: ٨٦-٩٠ باختصار، وانظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة: ١٠٧٠ وما بعدها.

(٢) انظر: الرؤية الوهابية للتوحيد: ٣٤٦-٣٤٨.

أي شيء فهذا غلط؛ لأنه لابد من الاشتراك في أصل المعنى)[١].

وقال صالح آل الشيخ في شرح الطحاوية (١/٥٣ ط١، دار المودة):

الفرق ما بين المماثلة والمثلية، وبين التشبيه.

ولتقرير ذلك تنتبه إلى أن الذي جاء نفيه في الكتاب والسنة إنما هو نفي المماثلة. أما نفي المشابهة - مشابهة الله لخلقه- فإنها لم تنف في الكتاب والسنة؛ لأن المشابهة يحتمل أن تكون مشابهة تامة، ويحتمل أن تكون مشابهة ناقصة.

فإذا كان المراد المشابهة التامة فإن هذه المشابهة هي التمثيل وهي المماثلة، وذلك منفي لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

فإذا لفظ المشابهة ينقسم:

- إلى موافق للمماثلة، الشبيه موافق للمثيل وللمثل.

- وإلى غير موافق.

يعني قد يشترك معنى الشبيه والمثيل ويكون المعنى واحداً، إذا أريد بالمشابهة: المشابهة التامة في الكيفية وفي تمام معنى الصفة.

وأما إذا كان المراد بالمشابهة: المشابهة الناقصة وهي الاشتراك في أصل معنى الاتصاف، فإن هذا ليس هو التمثيل المنفي، فلا ينفى هذا المعنى الثاني، وهو أن يكون ثَمّ مشابهة بمعنى أن يكون ثَمَّ اشتراك في أصل المعنى.

وإذا كان كذلك فإن لفظ الشبيه والمثيل بينهما فرق -كما قررت لك- ولفظ المشابهة لفظ مجمل لا ينفى ولا يثبت.

وأهل السنة والجماعة إذا قالوا: إن الله عَزَّوَجَلَّ لا يماثله شيء ولا يشابهه شيء يعنون بالمشابهة المماثلة.

أما المشابهة التي هي الاشتراك في المعنى فنعلم قطعاً أن الله عَزَّوَجَلَّ لم ينفها.

---

(١) شرح عقيدة أهل السنة والجماعة، ط١، دار اليقين.

وقال خالد بن عبدالله المصلح (الدرس الثالث من دروس الطحاوية):

وإذا نظرنا إلى نصوص الكتاب والسنة لم نجد فيهما ما يدل على نفي المشابهة، إنما الذي في الكتاب والسنة هو نفي المثلية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، ولذلك ذهب جماعة من المحققين من أهل العلم إلى أن الذي ينفى عن الله عَزَّوَجَلَّ هو المثل لا الشبه.

ثم هو منقوض بما أثبتوه من الصفات - مع زعمهم- عدم المشابهة".

وهذا الكلام موافق لما قاله أهل السنة والجماعة، يقول أبو عمر الطلمنكي[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قال قوم من المعتزلة والجهمية: لا يجوز أن يسمى الله ﷻ بهذه الأسماء على الحقيقة، ويسمى بها المخلوق. فنفوا عن الله الحقائق من أسمائه وأثبتوها لخلقه.

فإذا سئلوا: ما حملهم على هذا الزيغ؟ قالوا: الاجتماع في التسمية يوجب التشبيه.

قلنا: هذا خروج عن اللغة التي خوطبنا بها، لأن المعقول في اللغة أن الاشتباه في اللغة لا يحصل بالتسمية، وإنما تشبيه الأشياء بأنفسها أو بهيئات فيها، كالبياض بالبياض، والسواد بالسواد، والطويل بالطويل، والقصير بالقصير، ولو كانت الأسماء توجب اشتباهاً لاشتبهت الأشياء كلها لشمول اسم الشيء لها وعموم تسمية الأشياء به، فنسألهم: أتقولون إن الله موجود؟ فإن قالوا: نعم، قيل لهم: يلزمكم على دعواكم أن يكون مشبهاً للموجودين. وإن قالوا: موجود ولا يوجب وجود الاشتباه بينه وبين الموجودات.

قلنا: فكذلك هو حي، عالم، قادر، مريد، سميع، بصير، متكلم، يعني ولا يلزم "من ذلك" اشتباهه بمن اتصف بهذه الصفات."[٢].

ثالثاً: أن أهل السنة والجماعة لا يقولون أبداً بأن حقيقة صفات الله عَزَّوَجَلَّ كحقيقة صفات المخلوق -كما زعم الكاتب- فالحقائق مختلفة، والله عَزَّوَجَلَّ ليس كمثله شيء، وله ذات -سبحانه- لا كالذوات، فحقائق صفات الله ليست معلومة؛ بل بعض حقائق مخلوقات

---

(١) أحمد بن محمد بن عبدالله الأندلسي، إمام مقرئ محدث، صنف كتبا كثيرة في السنة، منها: الوصول إلى معرفة الأصول في مسائل العقود في السنة، والرسالة المختصرة في مذاهب أهل السنة، توفي سنة: ٤٢٩هـ. انظر: شذرات الذهب: ٢٤٣/٣، وسير أعلام النبلاء: ٥٦٦/١٧.

(٢) العلو: ٢٦٤.

الله غير معلومة، فالجنة وما فيها من النعيم نعرف معانيها ولا نعرف حقائقها.

وهم لما كان عندهم أن إثبات الصفات ومعانيها يلزم منه مشابهة المخلوقات فروا من ذلك بنفي حقائق الصفات[١].

يقول الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣١٠ هـ) في إثبات الصفات لله عَزَّوَجَلَّ على الحقيقة مع نفي المماثلة للمخلوق: " فإن قال لنا قائل: فما الصواب في معاني هذه الصفات التي ذكرت، وجاء ببعضها كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ووحيه، وجاء ببعضها رسول الله ﷺ ؟ قيل: الصواب من هذا القول عندنا: أن نثبت حقائقها على ما نعرف من جهة الإثبات ونفي التشبيه، كما نفى عن نفسه جل ثناؤه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]" إلى أن قال: "فنثبت كل هذه المعاني التي ذكرنا أنها جاءت بها الأخبار والكتاب والتنزيل على ما يُعقل من حقيقة الإثبات، وننفي عنه التشبيه"[٢].

وقال الإمام أبو أحمد محمد بن علي بن محمد الكرجي المعروف بالقصاب[٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣٦٠هـ) في الاعتقاد القادري الذي كتبه لأمير المؤمنين القادر بأمر الله سنة ٤٣٣ هـ ووقّع على التصديق على ما فيه علماء ذلك الوقت، وأرسلت هذه الرسالة القادرية إلى البلدان. قال: " لا يوصف إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به نبيه، وكل صفة وصف بها نفسه، أو وصفه بها نبيه، فهي صفة حقيقية لا صفة مجاز، ولو كانت صفة مجاز لتحتم تأويلها، ولقيل: معنى البصر كذا، ومعنى السمع كذا، ولفسرت بغير السابق إلى الأفهام، فلما كان مذهب السلف إقرارها بلا تأويل، علم أنها غير محمولة على المجاز، وإنما هي حق بيّن "[٤].

وقال الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن منده رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣٩٥ هـ) في إثبات صفة

---

(١) انظر: مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها: ١/٨٦-٩١.

(٢) التبصير في معالم الدين: ١٤١-١٤٥.

(٣) أحمد محمد بن علي بن محمد الكرجي، الغازي المجاهد، وعرف بالقصّاب لكثرة ما قتل من الكفار في مغازيه، له عدة مصنفات، عاش إلى حدود ٣٦٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٦/٢١٣، وتذكرة الحفاظ ٣/٩٣٨، والوافي بالوفيات ٤/١١٤.

(٤) المنتظم في حوادث سنة ٤٣٣هـ، وسير أعلام النبلاء: ١٦/٢١٣، وانظر: الاعتقاد القادري للشيخ عبدالعزيز آل عبداللطيف في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج ١٨، ع ٣٩، ذو الحجة ١٤٢٧ هـ.

اليدين لله تعالى: " باب ذكر قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وذكر ما يُستدل به من كلام النبي ﷺ على أن الله جل وعز خلق آدم عليه السلام بيدين حقيقة.

وقال في إثبات الوجه لله تعالى: " باب قول الله جل وعز: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧]، وذكر ما ثبت عن النبي ﷺ مما يدل على حقيقة ذلك "[١].

وقال الإمام الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر الأندلسي القرطبي المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٤٦٣ هـ)[٢]: " ومن حق الكلام أن يُحمل على حقيقته، حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز؛ إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك، وإنما يوجه كلام الله عَزَّوَجَلَّ إلى الأشهر والأظهر من وجوهه، ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم. ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبارات، وجلَّ الله عَزَّوَجَلَّ عن أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين، والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم، وهو العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار والتمكن فيه"[٣].

رابعا: أن أهل السنة والجماعة مجمعون على إثبات الصفات لله عَزَّوَجَلَّ على الحقيقة مع نفي المماثلة للمخلوق، قال الإمام الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها، ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود. والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله

---

(١) الرد على الجهمية: ٦٨، ٩٤.

(٢) أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي المالكي، من كبار حفاظ الحديث، ومؤرخ أديب، ولد سنة ٣٦٨هـ بقرطبة، رحل كثيراً، وتولى القضاء، له مؤلفات كثيرة، منها: التمهيد والاستيعاب، توفي بشاطبة سنة ٤٦٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: ١٥٣/١٨، والديباج المذهب: ٣٦٧/٢.

(٣) التمهيد: ١٣١/٧، وانظر: العلو: ٢٣٩، ٢٥٠.

وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة والحمد لله "(١).

خامسا: أن القدر المشترك في الصفات بين الخالق والمخلوق هو المعنى الكلي الذي لا يوجد إلا في الذهن. فإن القدر المشترك بين الأسماء والصفات المقولة على الرب وعلى غيره، هو المعنى اللغوي الذي نفهمه من لغة التخاطب، اللغة العربية التي نزل بها الوحي، وهو المشترك المعنوي الذي تتفاضل أفراده، وهو المشكك أحد أقسام المتواطئ(٢) وهو شبه بين هذه الأسماء والصفات من هذا الوجه مع التفاضل والتباين من وجه آخر(٣).

"فالحياة -مثلاً- وصف مشترك بين الخالق والمخلوق، قال الله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقال: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾ [الروم: ١٩]، لكن حياة الخالق تختص به فهي حياة كاملة من جميع الوجوه لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء، بخلاف حياة المخلوق فإنها حياة ناقصة مسبوقة بعدم متلوة بفناء، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

فالقدر المشترك -وهو مطلق الحياة- كلي لا يختص بأحدهما دون الآخر، لكن ما يختص به كل واحد ويتميز به لم يقع في اشتراك، وحينئذ لا محذور من الاشتراك في هذا المعنى الكلي، وإنما المحذور أن يجعل أحدهما مشاركاً للآخر فيما يختص به"(٤).

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "واعلم أن المخاطب لا يفهم المعاني المعبر عنها باللفظ إلا أن يعرف عينها أو ما يناسب عينها ويكون بينها قدر مشترك ومشابهة في أصل المعنى، وإلا فلا

(١) التمهيد: ١٤٥/٧.

(٢) المشكك: هو ما يدل على أشياء لأمر عام مشترك بين أفرادها، لا على السواء، بل على التفاوت، أو هو: الكلي الذي لم يتساو صدقه على أفراده، بل كان حصوله في بعضها أولى أو أقدم أو أشد من البعض الآخر، كالوجود فإنه في الواجب أولى وأقدم وأشد مما في الممكن، وكالبياض للثلج والعاج. والمتواطئ: يدل على أعيان متعددة بمعنى واحد مشترك بينها، كدلالة اسم الإنسان على زيد وعمرو، أو هو: الكلي الذي يكون حصول معناه وصدقه على أفراده الذهنية والخارجية بالسوية، كالإنسان والشمس، فالإنسان له أفراد في الخارج، والشمس لها أفراد في الذهن.
انظر: معيار العلم: ٨١، والتعريفات: ١٠٦، ١١٤، والمعجم الفلسفي: ٣٣٤/٢، ٣٧٨، المبين فى شرح معانى الفاظ الحكماء و المتكلمين: ٥٠-٥١.

(٣) انظر: التعريفات: ٢١٦، والكليات: ٩٣٦.

(٤) تقريب التدمرية: ٨٦-٨٧، وانظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة: ١٠٧٠ وما بعدها.

يكن تفهيم المخاطبين بدون هذا قط.

فالرسول ﷺ لما بيّن لنا أموراً لم تكن معروفة قبل ذلك وليس في لغتهم لفظ يدل عليها بعينها وأتى بألفاظ تناسب معانيها تلك المعاني وجعلها أسماء لها، فيكون بينها قدر مشترك كالصلاة والزكاة والصوم والإيمان والكفر.

وقد يكون الذي يخبر به الرسول ﷺ لم يدركوا مثله الموافق له في الحقيقة من كل وجه، لكن في مفرداته ما يشبه مفرداتهم من بعض الوجوه، كما إذا أخبرهم عن الأمور الغيبية المتعلقة بالله واليوم الآخر، فلا بد أن يعلموا معنى مشتركاً وشبهاً بين مفردات تلك الألفاظ وبين مفردات ألفاظ ما علموه في الدنيا بحسهم وعقلهم. فإذا كان ذلك المعنى الذي في الدنيا لم يشهدوه بعد، ويريد أن يجعلهم يشهدونه مشاهدة كاملة ليفهموا به القدر المشترك بينه وبين المعنى الغائب، أشهدهم إياه، وأشار لهم إليه، وفعل فعلاً يكون حكاية له وشبهاً به، يعلم المستمعون أن معرفتهم بالحقائق المشهودة هي الطريق التي يعرفون بها الأمور الغائبة، فينبغي أن تعرف هذه الدرجات:

أولها: إدراك الإنسان المعاني الحسية المشاهدة.

ثانيها: عقله لمعانيها الكلية.

ثالثها: تعريف الألفاظ الدالة على تلك المعاني الحسية المعقولة.

فإذا أخبرنا عن الأمور الغائبة، فلا بد من تعريفنا المعاني المشتركة بينها وبين الحقائق المشهودة والاشتباه الذي بينهما، وذلك بتعريفنا الأمور المشهودة، ثم إن كانت مثلها، لم يحتج إلى ذكر الفارق، كما تقدم في قصص الأمم، وإن لم يكن مثلها، بين ذلك بذكر الفارق، بأن يقال: ليس ذلك مثل هذا، ونحو ذلك، وإذا تقدر انتفاء المماثلة كانت الإضافة وحدها كافية في بيان الفارق، وانتفاء التساوي لا يمنع منه وجود القدر المشترك الذي هو مدلول اللفظ المشترك، وبه صرنا نفهم الأمور الغائبة، ولولا المعنى المشترك ما أمكن ذلك قط"(١).

سادسا: من الأمثلة على القدر المشترك: نعيم الآخرة، فإن الله تعالى أخبرنا بما وعدنا في الدار

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية: ١/٦٤-٦٨.

الآخرة من النعيم، وأخبرنا بما يؤكل ويشرب وينكح ويفرش وغير ذلك، فلولا معرفتنا بما يشبه ذلك في الدنيا لم نفهم ما وعدنا به، ونحن نعلم من ذلك أن تلك الحقائق ليست مثل هذه، فبين هذه الموجودات في الدنيا وتلك الموجودات في الآخرة مشابهة وموافقة واشتراك من بعض الوجوه، وبه فهمنا المراد، وبينهما مباينة ومفاضلة لا يقدر قدرها في الدنيا، وهذا من التأويل الذي لا نعلمه نحن، بل يعلمه الله...

فإذا كانت صفات ذلك المخلوق مع مشابهتها لصفات هذا المخلوق، بينهما من التفاضل والتباين ما لا نعلمه في الدنيا بل هو من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى، وصفات الخالق عَزَّوَجَلَّ أولى أن يكون بينها وبين صفات المخلوق من التباين والتفاضل ما لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى، وأن يكون هذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله"(١).

سابعا: ضرورة وجود هذا المعنى الكلي المشترك حتى تفهم معاني الألفاظ؛ وإلا كان كلام الله ﷻ لا معنى له. يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ولولا أن هذه الأسماء والصفات تدل على معنى مشترك كلي يقتضي من المواطأة والموافقة والمشابهة ما به نفهم ونثبت هذه المعاني لله؛ لم نكن قد عرفنا عن الله شيئاً ولا صار في قلوبنا إيمان به ولا علم ولا معرفة ولا محبة ولا إرادة لعبادته ودعائه وسؤاله ومحبته وتعظيمه. فإن جميع هذه الأمور لا تكون إلا مع العلم، ولا يمكن للعلم إلا بإثبات تلك المعاني التي فيها من الموافقة والمواطأة ما به حصل لنا ما حصل من العلم لما غاب عن شهودنا"(٢).

وهذا القدر المشترك الضروري هو وجه الشبه بين ما يقال على الله تعالى من الأسماء وعلى المخلوق "وكون الله شبيهاً بخلقه من بعض الوجوه متفق عليه بين سائر المسلمين لاتفاقهم على أن الله تعالى موجود وشيء وعالم وقادر، فما من موجود إلا وله شبيه من بعض الوجوه، لاشتراكهما في الوجود"(٣). وهذا الشبه هو المعنى اللغوي، ولا يقتضي أبداً مماثلة في كيفية ولا قدر بل هو موجود مع المفاضلة والمباينة.

---

(١) شرح حديث النزول: ٢٢.

(٢) المرجع السابق: ٢٣.

(٣) بيان تلبيس الجهمية: ٢/٤٩٤.

المطلب الثامن: دعوى الفرار من إثبات الأبْعَاض لله، وتسميتُها بالأعيان

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى إثبات الأبعاض لله عَزَّوَجَلَّ، وأن الصفة مرادفة للبعض والعضو، وأنهم فروا من لفظ الأبعاض إلى استخدام لفظ الأعيان، لما يترتب على إثبات الأبعض من فساد.

يقول عثمان النابلسي: "إذا نفى أحد الوهابية كون (عين) الله – تعالى وتقدس عن ترهاتهم – عضواً أو بعضاً أو درجة، فهو إنما ينفي كونها عضواً مشابهاً لأعضاء المخلوقين في الكيفيات، وينفي كونها عضواً بمعنى ما سبق تفرّقه أو أمكن تفريقه، وهو في الحقيقة ينفي لفظ العضو مع إثباته معناه، ولك أن تتعجب من عدم إثباتهم الأجزاء والأبعاض لله تعالى عندما تعرف معنى الأجزاء والأبعاض عندهم، فقال ابن عثيمين في فتاواه (٨/٩٥):

(لا نقول إنها أجزاء وأبعاض، بل نتحاشا هذا اللفظ، لكن مسماها لنا أجزاء وأبعاض، لأن الجزء والبعض: ما جاز انفصاله عن الكل! فالرب عَزَّوَجَلَّ لا يتصور أن شيئًا من هذه الصفات التي وصف بها نفسه –كاليد– أن تزول أبداً، لأنه موصوف بها أزلاً وأبداً، ولهذا لا نقول: إنه أبعاض وأجزاء)...

فانظر فهمهم للفظ الجزء والبعض والعضو لتعرف معناها المنفي عندهم عن الله تعالى، فيرون أن الجزء ما جاز انفصاله عن الكل، مع أن هذا المعنى ليس مدلولاً للفظ الجزء أو البعض أو العضو لا لغة ولا شرعاً، وهذا القيد الذي جعلوه شرطاً لمعنى الجزء ليس معروفاً عند أهل اللسان العربي، أما معنى الجزء المعروف فهم يثبتونه مع تحاشيهم لفظه، فيرون أن ذات الله تعالى مجتمعة من أجزاء مع رفضهم إطلاق لفظ (الأجزاء) واستبدالهم مكانه لفظ (الأعيان)، لكن هذه الأعيان لم تكن متفرقة ثم اجتمعت ويستحيل أيضاً أن تتفرق وتنفصل بعد كونها مجتمعة، بل ذات الباري –سبحانه– مجتمعة من تلك الأعيان منذ الأزل إلى الأبد، وهذه الأعيان من الصفات الذاتية الواجبة لله تعالى عندهم! وهذا في الحقيقة هو التجسيم بعينه...

فذات الله تعالى عند التيمية الوهابية مجتمعة وجامعة لأعيان، وهم وإن كانوا يعترفون بأن الجسم هو الشيء المجتمع المؤلف، لكنهم –ليفروا من التجسيم– أضافوا قيداً لم يعرفه أهل اللغة،

وهذا القيد هو التفرق السابق أو إمكان التفريق اللاحق، فما كان متفرقاً فاجتمع أو ما كان مجتمعاً وأمكن تفريقه فهو الجسم، أما ما كان مجتمعاً دون سبق تفرق أو إمكان تفريق فليس بجسم!؛ لأن ذات الله -سبحانه- عندهم تجمع وتضم أعياناً لم تكن متفرقة ويستحيل عليها التفريق، والإشارة الحسية إلى كل واحدة من هذه الأعيان غير الإشارة إلى الأخرى، فالإشارة إلى اليد غير الإشارة إلى القدم والإشارتان غير الإشارة إلى الوجه، والجسم والمكان الذي يشغله هذا الجانب غير الحيز والمكان الذي يشغله الجانب الآخر وإن كان لا يفارقه في الزمان والوجود، ومفهوم كلامهم أن النسبة بين هذه الأعيان بعضها إلى بعض هي نسبة الجزء إلى الجزء، والنسبة بين هذه الأعيان والذات هي نسبة الجزء إلى الكل، وإن كانوا يتوقفون في لفظ (الجزء) كما سبق"(١).

وقال أيضا: "لا يخفى على مطلع أن التيمية الوهابية يفضلون استخدام مصطلح (الأعيان) بدلاً من (الأبعاض والأدوات) ويجيدون التعبير بـ (تميز شيء منه عن شيء) عن التعبير بـ (التبعيض والتركيب) بحجة أن تلك الألفاظ التي لا يحبون استخدامها ألفاظ محدثة لم ترد في كتاب وسنة، وكأن الألفاظ التي اختاروها وردت في الكتاب والسنة! وهذا التميز الذي يقولون به هو في ذات الله تعالى بحيث يتميز شيء من ذاته تعالى عن شيء آخر، فيكون في ذاته سبحانه أعيان متمايزة مخالفة لبعضها بالجهة والإشارة الحسية، وتقع الإشارة الحسية على شيء من هذه الأعيان دون شيء، وهذا في حقيقته تبعيض لذات الله -تعالى وتقدس- وإثبات بأنه سبحانه مجتمع من أشياء وأبعاض متمايزة، ويستلزم بالضرورة الامتداد في الأبعاد الذي هو حقيقة التجسيم عند أهل اللغة والاصطلاح"(٢).

ثم قال: "من المعلوم أن (المعاني) لا تقوم بنفسها بل لابد من ذات تقوم بها، وتقابلها (الأعيان) والتي قيامها بنفسها، والتيمية يقسمون صفات الله تعالى إلى صفات معان وصفات أعيان!، وحقيقة دليلهم على هذا التقسيم هو قياس الخالق تعالى على المخلوق"(٣).

---

(١) الرؤية الوهابية للتوحيد: ٣٦٣-٣٦٤، وانظر: تحقيق مسائل مهمات من علم التوحيد والصفات: ١٦٣.

(٢) المرجع السابق: ٣٨١-٣٨٢.

(٣) المرجع السابق: ٣٨٢.

حقيقة هذه الدعوى:

هذه الدعوى قديمة، وهي مبنية على نفي بعض الصفات الذاتية الثابتة لله ﷻ، كاليد، والوجه، والساق، والقدم، والعين، والذي دعاهم إلى نفي تلك الصفات هو اعتقادهم أنها بالنسبة للمخلوق أبعاض، وأعضاء، وأركان، وأجزاء، وجوارح وأدوات ونحو ذلك؛ فيرون –بزعمهم– أن إثبات تلك الصفات لله يقتضي قياس الخالق بالمخلوق، كما يقتضي التجسيم؛ فوجب عندهم نفيها فراراً من ذلك(١).

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: أجمع السلف على أن الله لا يوصف إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لا يوصف الله بأكثر مما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله بلا حد ولا غاية ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ولا يبلغ الواصفون صفته، وصفاته منه ولا تتعدى القرآن والحديث"(٢).

وقال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إن أهل الحق يصفون الله عَزَّوَجَلَّ بما وصف به نفسه عَزَّوَجَلَّ وبما وصفه به رسوله ﷺ وبما وصفه به الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ، وهذا مذهب العلماء ممن اتبع ولم يبتدع"(٣).

وقال ابن عبدالبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "... ما غاب عن العيون فلا يصفه ذوو العقول إلا بخبر، ولا خبر في صفات الله تعالى إلا ما وصف نفسه به في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، فلا تتعدى ذلك إلى تشبيه أو تمثيل أو تنظير فإنه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:

---

(١) انظر: أساس التقديس: ٤٩، شرح المقاصد: ٤/٤٣–٤٤، أصول الدين: ٧٥–٧٦، شرح الأصول الخمسة: ٢١٧–٢١٨، وتحريم النظر في كتب الكلام: ٥٧، والحجة في بيان المحجة: ١/١٨٧، مجموع الفتاوى: ١٣/١٦٥، ودرء التعارض: ٤/٢٧٢، ٧/١٤١، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة: ٣/١٠٩٧. وللمزيد: مقالة التجسيم – دراسة نقدية لخطاب خصوم ابن تيمية المعاصرين.

(٢) ذم التأويل لابن قدامة: ٢٢.

(٣) الشريعة: ٢٧٧.

١١]"[١].

ثانيا: أن طرق دلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة لله تعالى ثلاثة[٢]:

الأول: التصريح بالصفة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [الكهف: ٥٨]، وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤]، ففي هاتين الآيتين إثبات الرحمة واليدين صفتين له.

الثاني: تضمن الاسم للصفة، فاسم الرحمن يتضمن صفة الرحمة، واسم القوي يتضمن صفة القوة، وهكذا.

الثالث: التصريح بفعل أو وصف دال عليها، فالفعل كقول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، والوصف الدال عليها كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة: ٢٢].

ثالثا: أن صفات الله قد تشترك مع صفات خلقه في اللفظ، وفي المعنى العام المطلق قبل أن تضاف.

وبمجرد إضافتها تختص صفات الخالق بالخالق، وصفات المخلوق بالمخلوق، فصفات الخالق تليق بجلاله، وعظمته، وربوبيته، وقيوميته. وصفات المخلوق تليق بحدوثه وضعفه ومخلوقيته[٣].

رابعا: أن الأبعاض جمع لكلمة بَعْض، يقال: بعض الشيء أي جزؤه، وبعّضْتُ كذا أي جعلته أبعاضاً[٤].

ولفظ الأبعاض من الألفاظ المجملة، وأهل السنة والجماعة يمسكون عنها ويعرضون عنها إعراضاً جملياً، وقد يستفصلون قائلها عن مراده، فإن أراد بها معنى صحيحاً قبلوا المعنى وطالبوه

(١) التمهيد: ١٤٥/٧، وانظر: جامع بيان العلم: ١١٣/٢.

(٢) انظر هذه الأوجه في القواعد المثلى: ٢٨-٢٩.

(٣) انظر: الصفات الإلهية: ٢٠٨-٢٠٩.

(٤) انظر: المفردات في غريب القرآن: ١٣٤، والتعريفات: ٧٨، ١١٧.

بالاعتصام بالكتاب والسنة، وإن أراد بها معنى باطلاً ردوه، وإن اشتمل على الحق والباطل أوقف اللفظ وفسر المعنى الصحيح(١).

فإذا تبين لنا معنى الأبعاض، وموقف السلف من اطلاقه على الله وأنهم يستفصلون في هذا اللفظ وأن الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأتباعه على منهج السلف؛ فإنه لا حجة للمناوئين في قولهم أن أتباع الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ يثبون هذا اللفظ أو ينفونه.

خامسا: أنه يقال لمن ينفي تلك الألفاظ المجملة: إن أردت أن تنفى عن الله عَزَّوَجَلَّ أن يكون جسماً كالأجسام، وجثة، وأعضاءاً، فالكلام الصحيح.

وإن أردت بذلك نفي الصفات الثابتة له التي ظننت أن إثباتها يقتضي التجسيم، ونحو ذلك من اللوازم الباطلة، فإن الكلام غير صحيح. هذا بالنسبة للمعنى.

أما بالنسبة للفظ فيجب ألا تعْدِل عن الألفاظ الشرعية في النفي أو الإثبات؛ لسلامتها من الاحتمالات الفاسدة.

يقول شارح الطحاوية ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ولكن لا يقال لهذه الصفات إنها أعضاء، أو جوارح، أو أدوات، أو أركان، لأن الركن جزء الماهية، والله تعالى هو الأحد، الصمد، لا يتجزأ سبحانه وتعالى، والأعضاء فيها معنى التفريق والتعضية(٢) – تعالى الله عن ذلك– ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الحجر: ٩١].

والجوارح فيها معنى الاكتساب والانتفاع، وكذلك الأدوات هي الآلات التي ينتفع بها في جلب المنفعة ودفع المضرة.

وكل هذه المعاني منتفية عن الله تعالى ولهذا لم يرد ذكرها في صفات الله تعالى، فالألفاظ الشرعية صحيحة المعاني، سالمة من الاحتمالات الفاسدة، فكذلك يجب أن لا يعدل عن الألفاظ الشرعية نفياً ولا إثباتاً، لئلا يثبت معنى فاسد، وأن ينفي معنى صحيح. وكل هذه

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية: ١١٠، والتدمرية: ٦٥-٦٩.

(٢) التعضية: التقطيع، وجعل الشيء أعضاء. انظر: الصحاح: ٢٢٤١/٦.

الألفاظ المجملة عُرضه للمحق والمبطل"[١].

سادسا: أن من أثبت صفات المعاني أو الصفات المعنوية، وهي المعبر عنها بقولهم: كونه قادراً ومريداً وعالماً وحياً وسميعاً ومتكلماً.

ومعنى الكون هنا: الثبوت. وحقيقة الصفات المعنوية هي: أنها لا توصف بكونها موجودة ولا معدومة[٢]؛ فإنه يلزمه في إثباتها ما ألزم به غيره في إثبات الصفات الخبرية كاليد والوجه وغيرها.

وقد اختلف الأشاعرة في الصفات المعنوية[٣]، وهي "عندهم سبع صفات فقط وينكرون سواها من المعاني، وصفة المعنى عندهم في الاصطلاح ضابطها: أنها ما دل على معنى وجودي قائم بالذات، والذي اعترفوا به منها سبع صفات، هي: القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام، ونفوا غير هذه الصفات من صفات"[٤].

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " والتحقيق: أن عدد الصفات السبع المعنوية التي هي كونه تعالى قادرًا ومريدًا وعالمِا وحيًا وسميعًا وبصيرًا ومتكلمًا لا وجه له؛ لأنها في الحقيقة إنما هي كيفية الاتصاف بالمعاني السبع التي ذكرنا ومن عدها من المتكلمين عدوها بناء على ثبوت ما يسمونه الحال المعنوية التي يزعمون أنها واسطة ثبوتية لا معدومة ولا موجودة. والتحقيق إن هذه خرافة وخيال. وأن العقل الصحيح لا يجعل بين الشيء ونقيضه واسطة البتة فكل ما ليس بموجود فهو معدوم قطعا وكل ما ليس بمعدوم فهو موجود قطعًا ولا واسطة البتة كما هو معروف عند العقلاء. فإذا كنا قد مثلنا لكونه قادرًا وحيًا ومريدًا وسميعًا وبصيرًا ومتكلمًا، ولما جاء في القرآن من وصف الخالق بذلك وما جاء في القرآن من وصف المخلوق بذلك، وبينا أن صفة الخالق لائقة بكماله وجلاله، وأن صفة المخلوق مناسبة لحاله وفنائه وعجزه وافتقاره، فلا داعي لأن ننفي وصف رب السموات والأرض عنه لئلا نشبهها بصفات

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية: ٢٢٠-٢٢١، وانظر: مصطلحات في كتب العقائد: ٦٥-٦٧.

(٢) انظر: شرح أم البراهين: ٢٠.

(٣) انظر: شرح أم البراهين: ٢١، وتحفة المريد: ٧٧.

(٤) منهج ودراسات آيات الأسماء والصفات: ١٣، وانظر: أضواء البيان: ٢/ ٣١٠.

المخلوقين، بل يلزم أن نقر بوصف الله ونؤمن به في حال كوننا منزهين له عن مشابهة صفة المخلوق، وهذه صفات الأفعال جاء في القرآن بكثرة وصف الخالق بها ووصف المخلوق ولاشك أن ما وصف به الخالق منها مخالف لما وصف به المخلوق كالمخالفة التي بين ذات الخالق وذات المخلوق، ومن ذلك أنه وصف نفسه جل وعلا بصفة الفعل التي هي أنه يرزق خلقه قال جل وعلا: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٧ - ٥٨]، ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١].

ووصف بعض المخلوقين بصفة الرزق قال: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ [النساء: ٨]، ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ [النساء: ٥]، ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

ولا شك أن ما وصف الله به من هذا الفعل مخالف لما وصف به منه المخلوق كمخالفة ذات الله لذات المخلوق. ووصف نفسه جل وعلا بصفة الفعل الذي هو العمل قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾﴾ [يس: ٧١]. ووصف المخلوقين بصفة الفعل التي هي العمل قال: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦].

ولا شك أن ما وصف الله به من هذا الفعل مناف لما وصف به المخلوق مخالف له كمخالفة ذات الخالق لذات المخلوق.

ووصف نفسه بأنه يُعلِّم خلقه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرحمن: ١-٤]، ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ١-٥]، ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]، ووصف بعض خلقه بصفة الفعل التي هي التعليم أيضا، قال ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة:٢]، وجمع المثالين في قوله: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤]"(١).

(١) المرجع السابق: ١٣.

سابعا: أن من عقيدة أهل السنة أنهم لايشبهون الله بخلقه ولا يقيسون صفاته بصفاتهم ولا ذاته بذواتهم، بخلاف المبتدعة الذين شبهوا الله بخلقه وقاسوه عليهم، ثم عطلوا صفاته.

فهم يقولون: إنه اذا كانت الصفة مشابهة في الاسم يلزم من هذا أنها تشبهها من كل وجه!! وهذا لا يقول به عاقل إذ أن تشابه الشيئين في الاسم لا يلزم منه تشابههما في المعنى والصفة.

فمن يثبت لله ذاتا على الحقيقة لا تماثل الذوات وجب عليه أن يثبت له صفاتا على الحقيقة على أنها لاتماثل الصفات.

فمن يقول أن إثبات الصفات الخبرية أعيانا يلزم منها التجسيم والتبعيض؛ لأنه قاس ذات الله وصفاته بصفات خلقه فحكم بجسميتها وتبعيضها وأنها أجزاء بناء على ذات المخلوق وصفاته، وإنما الصفة تليق بالموصوف وبذاته.

ثامنا: أن من الصفات ما هو معاني وأعراض، ومنها ما هو أعيان، فمن من أهل السنة من يقول أن هذه الصفات المعنوية أعيان قائمة بذاتها؟

تاسعا: أنه يوجد فرق بين الأعيان القائمة بذاتها والأوصاف غير القائمة بذاتها. فالعلم والحياة والقدرة صفات معنوية ليست قائمة بذاتها، كما أن الصفات الخبرية كاليد والوجه والعين هي أوصاف ليست قائمة بذاتها بل هي صفات خبرية ذاتية قائمة بذات الله.

عاشرا: أن الله ﷻ لما وصف نفسه بالعلم والحياة والقدرة من الصفات المعنوية لم يقل أحد من المسلمين إن علمه وحياته وقدرته كعلمنا وحياتنا وقدرتنا، وكذلك لما وصف الله نفسه بأن له يدا ووجها من الصفات الذاتية الخبرية فيجب أن نقول إن له يدا ووجها لا تماثل يد المخلوق ولا وجهه.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " وبيان ذلك: أن من صفاتنا ما هو معان وأعراض قائمة بنا كالحياة والعلم والقدرة، ومنها ما هو أعيان وأجسام وهي أبعاض لنا كالوجه واليدين. ومن المعلوم أن الله وصف نفسه بأنه حي، عليم، قدير، ولم يقل المسلمون إن المفهوم من حياته وعلمه وقدرته كالمفهوم من حياتنا وعلمنا وقدرتنا، فكذلك لما وصف نفسه بأن له وجهاً ويدين

لم يكن المفهوم من وجهه ويديه كالمفهوم من وجوهنا وأيدينا. وإنما قال المسلمون إن المفهوم من صفات الله في هذا وهذا لا يماثل المفهوم منها في صفاتنا، بل كل صفة تناسب الموصوف وتليق به، فلما كانت ذات الخالق لا تماثل ذوات المخلوقين، فكذلك صفاته لا تماثل صفات المخلوقين. وقد سبق أن القول في الصفات كالقول في الذات"(١).

وقال أيضا: " الصفات الخبرية: وهي التي نعتمد فيها على مجرد الخبر، وليست من المعاني المعقولة، بل هي من الأمور المدركة بالسمع المجرد فقط، ونظيرها أو نظير مسماها بالنسبة إلينا أبعاض وأجزاء، مثل اليد، والوجه، والعين، والقدم، والإصبع، فهذه نسميها الصفات الخبرية، لأنها ليست معنى من المعاني، فاليد غير القوة، القوة معنى، واليد صفة من نوع آخر. مسماها بالنسبة إلينا أبعاض وأجزاء، فاليد بعضٌ منْ أو جزءٌ منا، والوجه كذلك والعين كذلك.

ولكن بالنسبة لله لا نقول أنها جزء أو بعض؛ لأن البعضية والجزئية لم ترد بالنسبة إلى الله لا نفيا ولا إثباتا، ولهذا نقول لمن قال: إن الله واحد لا يتجزأ ولا ينقسم وما أشبه ذلك، نقول: هذه ألفاظ بدعية. فليس هناك دليل على أن تصف الله بهذا النفي، وما أنت أعلم بالله من الله، ولا أعلم بالله من رسول الله ﷺ ولا أعلم بالله من أصحاب رسول الله ﷺ، فما قال واحد منهم قط: إنه لا يتبعض ولا يتجزأ، فاحبس لسانك عما حبسوا ألسنتهم عنه...، وإنما ينفى مثل هذا الكلام لو أن أحداً قاله، أما ولم يقله أحد فليس له داع، بل يقال: لله يد، وله وجه، وله عين، ... قال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وقال: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢﴾ [الإخلاص: ١ - ٢]...

وما لم يرد فالأدب مع الله ورسوله أن نمسك عنه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١﴾ [الحجرات: ١]، فلو نفيت ما لم ينفه الله عن نفسه فقد تقدمت بين يدي الله ورسوله، ولو أثبت ما لم يثبته فقد تقدمت بين يدي الله

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: ٤/١٥٩.

ورسوله"(١).

الحادي عشر: أن المضاف إلى الله سبحانه "نوعان: الأول: صفات لا تقوم بأنفسها كالعلم، والقدرة، والكلام، والسمع، والبصر فهذه إضافة صفة إلى موصوف بها فالعلم والقدرة... الخ صفات له تعالى غير مخلوقة، وكذا وجهه ويده ونحو ذلك من الصفات الخبرية والذاتية وكذا الفعلية من التكوين والمحبة والرضا ونحوها، في مذهب السلف.

الثاني: إضافة أعيان منفصلة كبيت الله، وناقة الله، وعبد الله، ورسول الله، وكذلك روح الله، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، ومصنوع إلى صانعه لكنها تقتضي تخصيصاً أو تشريفاً يتميز به المضاف إليه عن غيره "كبيت الله" وإن كانت كل البيوت لله ملكاً له، وكذلك "ناقة الله" والنوق كلها ملكه وخلقه، ولكن هذه إضافة إلى إلهيته تقتضي محبته لها وتكريمه وتشريفه، بخلاف الإضافة العامة إلى ربوبيته، حيث تقتضي خلقه وإيجاده.

فالإضافة العامة تقتضي الخلق والإيجاد، والخاصة تقتضي الاختيار ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص: ٦٨]، فإضافة الروح إليه تعالى من هذه الإضافة الخاصة لا من العامة، ولا من باب إضافة الصفات، فتأمل هذا الموضع فإنه نفيس ويخلصك من ضلالات كثيرة وقع فيها من شاء الله من الناس"(٢).

قال الشيخ محمد بن عثيمين: "واعلم أن ما أضافه الله إلى نفسه ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: العين القائمة بنفسها، وإضافتها إليه من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، وهذه الإضافة قد تكون على سبيل عموم الخلق، كقوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

وقد تكون على سبيل الخصوص لشرفه، كقوله تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ ﴾ [الحج: ٢٦]، وكقوله تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴾ [الشمس: ١٣]، وهذا القسم مخلوق.

---

(١) شرح العقيدة السفارينية: ١٥٧.

(٢) لوامع الأنوار البهية: ٢/٣٦. وانظر: مجموع الفتاوى: ٦/١٤٤، ١٧/١٥١، والجواب الصحيح: ٢/١٥٥.

الثاني: أن يكون شيئاً مضافاً إلى عين مخلوقة يقوم بها، مثاله: قوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، فإضافة هذه الروح إلى الله من باب إضافة المخلوق إلى خالقه تشريفاً؛ فهي روح من الأرواح التي خلقها الله، وليست جزء أو روحاً من الله؛ إذ أن هذه الروح حلت في عيسى عليه السلام، وهو عين منفصلة عن الله، وهذا القسم مخلوق أيضاً.

الثالث: أن يكون وصفاً غير مضاف إلى عين مخلوقة، مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَالَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]، فالرسالة والكلام أضيفا إلى الله من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، فإذا أضاف الله لنفسه صفة، فهذه الصفة غير مخلوقة، وبهذا يتبين أن هذه الأقسام الثلاثة: قسمان منها مخلوقان، وقسم غير مخلوق.

فالأعيان القائمة بنفسها والمتصل بهذه الأعيان مخلوقة، والوصف الذي لم يذكر له عين يقوم بها غير مخلوق؛ لأنه يكون من صفات الله، وصفات الله غير مخلوقة.

وقد اجتمع القسمان في قوله: ﴿وَكَلِمَتُهُۥ﴾ و ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾، فكلمته هذه وصف مضاف إلى الله، وعلى هذا، فتكون كلمته صفة من صفات الله.

﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾: هذه أضيفت إلى عين؛ لأن الروح حلت في عيسى، فهي مخلوقة"[1].

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد: ١/٧٥، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: ٩/٦٣، وانظر: عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن: ٩٤-٩٥.

المطلب التاسع: دعوى أن إثبات الصورة لله عَزَّوَجَلَّ فيه تشبيه للخالق بالمخلوق.

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى أن إثبات الصورة لله عَزَّوَجَلَّ بمعنى الهيئة والشكل، وفيه تشبيه للخالق بالمخلوق.

يقول عثمان النابلسي في زعمه أن أتباع الإمام يثبتون الصورة لله ﷻ، وأن هذا الإثبات فيه تشبيه للخالق بالمخلوق: "جاء في قسم الدراسة لبيان تلبيس الجهمية والذي أعده محققو الكتاب (ص٤٥٥): (الصورة هي هيئة الشيء القائم بنفسه وشكله، وأن كل موجود قائم بنفسه تصح رؤيته ومشاهدته، تكون له صورة وشكل يتميز به عن غيره، والله سبحانه وتعالى أعظم موجود).

وجاء في فتاوى عبدالرزاق عفيفي (ص ٣٥٣): (سئل الشيخ عن حديث «خلق الله آدم على صورته». فقال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي على صورة الرحمن كما ثبت في الرواية الأخرى... والصورة ثابتة لله في الصحيحين أنه تعالى يأتي على صورته وعلى غير صورته)"[١].

حقيقة هذه الدعوى:

هذه الدعوى قديمة، فإنكار إثبات الصورة لله ﷻ قد قال به الجهمية وغيرهم[٢]، وأن إثبات صورة لله فيه مشابهة للخالق بالمخلوق.

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: أنه قد دلت الأحاديث على إثبات الصورة لله ﷻ، ومنها: ما ورد في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الطويل في رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وفيه: «فيأتيهم الجبار في

---

(١) الرؤية الوهابية للتوحيد: ٤٠٧-٤٠٨، وانظر: مغالطات السلفية: ٢١٥.

(٢) انظر: الفرق بين الفرق: ٣٢٠، وأصول الدين: ٧٦، والأسماء والصفات للبيهقي: ٨١/١، نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي: ٣٨٤/١، الإبانة: ٧-٢٦٤، وإبطال التأويلات: ٨١/١، وتأويل مختلف الحديث: ٢٠٦، بيان تلبيس الجهمية: ٣٥٥/٦ وما بعدها، وعقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن: ١٤ ومابعدها.

صورته التي رأوه فيها أوَّل مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا...»[١]، وقوله ﷺ: «خلق الله آدم على صورته»[٢]، والقول الصواب في مرجع الضمير أنه يعود إلى "الله"، وهو ما شهدت له الأدلة، وذهب إليه السلف لقول النبي ﷺ: «إن الله عَزَّوَجَلَّ خلق آدم على صورة الرحمن»[٣].

فهذه الأحاديث قد تضافرت في إثبات الصورة لله -تعالى- على ما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، فهي صفة ذاتية لله، خلافاً لمن أنكرها من الجهمية ومن تابعهم، فبهذه الأحاديث قد أثبت أهل السنة والجماعة صفة الصورة.

قال أبو يعلى الفراء[٤] في التعليق على حديث «رأيت ربي في أحسن صورة»[٥]: "اعلم أن الكلام في هذا الخبر يتعلق به فصول: أحدها: جواز إطلاق الصورة عليه"[٦].

ويقول ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٧]: "والذي عندي -والله تعالى أعلم- أن الصورة ليست بأعجب من اليدين والأصابع والعين، وإنما وقع الإلف لتلك؛ لمجيئها في القرآن، ووقفت الوحشة من هذه؛ لأنها لم تأت في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع، ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)} برقم: ٧٤٣٩، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، برقم: ١٨٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العتق، باب إذا ضرب العبد فليجتنب الوجه، برقم: ٢٥٥٩، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب النهي عن ضرب الوجه، برقم: ٢٦١٢.

(٣) كتاب السنة لعبد الله ابن الإمام أحمد، برقم ٤٩٨، ١٠٧٦، قال الشيخ حمود التويجري: قد صحت الرواية بذلك عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وصححها أحمد وإسحاق بن راهويه. انظر: عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن: ١٦، ٢٠ وما بعدها.

(٤) محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد، المعروف بأبي يعلى الفراء البغدادي، شيخ الحنابلة وفقيههم، صاحب التصانيف الفريدة، ومنها: إبطال التأويلات، وكتاب مسائل الإيمان، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنه ٤٥٨هـ. انظر: شذرات الذهب: ٣٠٦/٣، تاريخ بغداد: ٢٥٢/٢.

(٥) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة ص، برقم: ٣٢٣٣، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم: ٣١٦٩.

(٦) إبطال التأويلات: ١٢٦/١.

(٧) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد، خطيب أهل السنة وأحد أئمة السلف، من مؤلفاته: تفسير غريب القرآن، تأويل مختلف الحديث، الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية وتأويل مشكل القرآن وغيرها، توفي سنة ٢٧٦ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: ٢٩٦/١٣، وشذرات الذهب: ١٦٩/٢.

حد"[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "هذا الحديث لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير عائد إلى الله، فإنه مستفيض من طرق متعددة عن عدد من الصحابة، وسياق الأحاديث كلها يدل على ذلك"[٢].

ثانيا: أن الصورة كالصفات الأخرى التي قد يتصف بها المخلوق على وجه التقييد وإذا أطلقت على الله اختصت به، مثل العليم والرحيم والبصير، وأن له ذاتاً ونفساً... ونحو ذلك.

فكما أن له أسماء وصفات وللمخلوق أسماء وصفات وليس بينها تماثل، فكذلك له صورة على ما يليق به سبحانه وتعالى.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لفظ الصورة في الحديث كسائر ما ورد من الأسماء والصفات التي قد يسمى المخلوق بها على وجه التقييد، وإذا أطلقت على الله اختصت به، مثل العليم، والقدير، والرحيم، والسميع، والبصير، ومثل خلقه بيديه، واستوائه على العرش، ونحو ذلك"[٣].

ثالثا: أنه يمتنع أن يكون في الوجود قائم بنفسه ليس له صورة يكون عليها ويتميز بها عن غيره. فصورة الشيء هي هيئته الخاصة التي يتميز بها عن غيره. وفي أسمائه تعالى: المصور، ومعناه: الذي صور جميع الموجودات ورتبها، فأعطى كل شيء منها صورته الخاصة وهيئته المفردة، على اختلافها وكثرتها[٤].

وترد الصورة "في كلام العرب على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى

---

(١) تأويل مختلف الحديث: ٢٦١.

(٢) بيان تلبيس الجهمية: ٢ ٣٩٦. وانظر: عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن لحمود التويجري، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ عبد الله الغنيمان: ٣٢/٢ -٦٨، وصفات الله عَزَّوَجَلَّ للسقاف: ١٩٨-٢٠٠، وأحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين: ١٣٧.

(٣) بيان تلبيس الجهمية: ٣٩٦/٣.

(٤) انظر: لسان العرب: ٤٧٣/٤، ومقاييس اللغة: ٥٩/٣، ٣٢٠، والقاموس المحيط: ٤٢٧.

معنى صفته"[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أن الأدلة الشرعية والعقلية التي تثبت بها تلك الصفات تثبت بنظيرها هذه الصورة فإن وجود ذات ليس لها صفات ممتنع في العقل وثبوت الصفات الكمالية معلوم بالشرع والعقل، كذلك ثبوت ذات لا تشبه الموجودات بوجه من الوجوه ممتنع في العقل، وثبوت المشابهة من بعض الوجوه في الأمور الكمالية معلوم بالشرع والعقل، وكما أنه لا بد لكل موجود من صفات تقوم به، فلا بد لكل موجود قائم بنفسه من صورة يكون عليها، ويمتنع أن يكون في الوجود قائم بنفسه ليس له صورة يقوم عليها"[٢].

رابعا: أنه ليس في الحديث ما يدل على أن صورة آدم عليه السلام مماثلة لصورة الله تعالى، فالمضاف لله تعالى على ما يليق به، والمضاف لآدم عليه السلام على ما يناسبه.

فالحديث يثبت أن الله تعالى له صورة، وأن آدم عليه السلام خلقه الله تعالى على صورته؛ ولكن ليس فيه ما يدل على أن صورة آدم عليه السلام مماثلة لصورة الله تعالى، بل هذا المعنى باطل قطعاً، ولم يرده الرسول ﷺ؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[الشورى: ١١]، ولا يلزم من تشبيه شيء بشيء أن يكون مثله مطابقاً له من كل وجه، بل تحصل المشابهة بالاشتراك في بعض الصفات ولا يشترط تطابق كل الصفات وتماثلها.

ودليل هذا قول النبي ﷺ: «إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر»[٣]. فليس معنى هذا الحديث أنهم دخلوا الجنة وصورتهم مطابقة لصورة القمر من كل وجه، وإلا لزم من ذلك أنهم دخلوا الجنة وليس لهم أعين ولا أفواه، وإن شئنا قلنا: دخلوا وهم أحجار!.

"وإنما معنى الحديث أنهم على صورة القمر في الحسن والوضاءة والجمال واستنارة الوجه، وما أشبه لك...

فإذا قلت: ما هي الصورة التي تكون لله عَزَّوَجَلَّ ويكون آدم عليها؟

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥٩/٣.

(٢) بيان تلبيس الجهمية: ٥٢٥/٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب بد الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة: ٣٣٢٧.

قلنا: إن الله عَزَّوَجَلَّ له وجه وله عين وله يد وله رجل عَزَّوَجَلَّ، لكن لا يلزم من أن تكون هذه الأشياء مماثلة للإنسان فهناك شيء من الشبه، لكن ليس على سبيل المماثلة، كما أن الزمرة الأولى من أهل الجنة فيها شبه بالقمر، ولكن بدون مماثلة. وهذا يصدق ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة، من أن جميع صفات الله سبحانه وتعالى ليست مماثلة لصفات المخلوقين من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل"[١].

---

(١) شرح العقيدة الواسطية: ١/١٠٧-١١٠. وانظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: ١/١٦٦، ٨/٨٧، ١٠/٩٤٥، وعقيدة أهل الإيمان في أن الله خلق آدم على صورة الرحمن، ومقدمة تحقيق بيان تلبيس الجهمية: ٣٩٥ وما بعدها، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان: ١/٢٧٣ وما بعدها.

المطلب العاشر: دعوى أن إثبات الحركة لله يلزم منه قيام الحوادث بالله تعالى

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى إثبات الحركة والانتقال لله ﷻ، وأن هذا ينافي تنزيه الله عن الحركة والزوال من مكان والانتقال إلى مكان أخر.

يقول عثمان النابلسي: "اتفق السلف الصالح وأهل السنة والجماعة على تنزيه الله تعالى عن الحركة والزوال من مكان والانتقال إلى آخر، وقد صح عن الإمام التابعي الكبير المفسر قتادة السدوسي (٦٠-١١٧هـ) أنه نزّه الله تعالى عن التغير والانتقال، حيث روى الإمام الطبري (١١/٤٨٠) في تفسيره: (حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [الأنعام: ٧٦]، علم أن ربه دائم لا يزول). وقد حسن هذا الإسناد الشيخ شاكر أربع مرات في تحقيق تفسير الطبري.

والزوال هو الانتقال من مكان إلى آخر، قال ابن فارس في مقاييس اللغة (٣/٣٨): (زول: الزاء والواو واللام أصل واحد يدل على تنحي الشيء عن مكانه. يقولون: زال الشيء زوال، وزالت الشمس عن كبد السماء تزول. ويقال أزلته عن المكان وزولته عنه).

وقد ذهب الإمام السلفي أبو إسحاق الزجاج الحنبلي (٢٤١-٣١١هـ) إلى أن المنتقل من مكان إلى مكان.. محدث لا يصلح للإلهية، فقال في معاني القرآن (٢/٢٨٨): "﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ﴾، أي: لا أحب من كانت حالته، أن يطلع ويسير على هيئة يتبين معها أنه محدث، منتقل من مكان إلى مكان"[١].

ثم قال: " لكن إذا رجعنا إلى عقيدة التيمية وجدناهم يثبتون لله تعالى الحركة والانتقال خلافاً لأئمة السلف والخلف من أهل السنة.

جاء في فتاوى ابن باز (٥/٥٤):

---

(١) الرؤية الوهابية للتوحيد: ٤٠٥. وانظر: تحقيق مسائل مهمات من علم التوحيد والصفات: ١٧٦.

(فقد وصلني كتابكم الكريم الذي ذكرتم فيه أنكم أثناء تحقيقكم لكتاب: فضائل الأوقات، للبيهقي، مر عليكم هذا النص:

(سمعت أبا عبدالله الحافظ يقول: سمعت أبا محمد أحمد بن عبدالله المزي يقول حديث النزول قد ثبت عن رسول الله ﷺ من وجوه صحيحة، وورد في النزول ما يصدقه وهو قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢]، والنزول والمجيء صفتان منفيتان عن الله من طريق الحركة والانتقال من حال إلى حال، بل هما صفتان من صفات الله بلا تشبيه جل عما يقول المعطلة لصفاته والمشبهة بها علواً كبيراً) أ.هـ.

ولا شك أن هذا القول باطل مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة!).

وقد علق على كلام ابن باز هذا عدنان البخاري المدرس بدار الحديث بمكة المكرمة قائلاً:

(الباطل في كلام البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نفيه للحركة والانتقال من حال إلى حال مع إثبات النزول والمجيء، وهذا فيه تناقض لمن أثبت المعنى الظاهر الحقيقي لهما (النزول والمجيء)، فإن قيل: فهل نثبت لله الحركة والانتقال من حال إلى حال فهذا موضع تفصيل.

فأما اللفظان فمردودان لعدم ثبوتهما في حقه تعالى.

وأما المعنى: فإن كان المقصود بالحركة: النزول والمجيء فنحن نثبته ولا يلزم منه التشبيه، خلافاً لما يوهمه كلام البيهقي.

وإن كان المقصود بالانتقال من حال إلى حال إثبات الصفات الفعلية، وأنه تعالى يفعل الشيء في وقت دون وقت فنحن نثبته ولا يلزم منه التشبيه أيضاً.

لكن لا نعبر عن ذلك بلفظ الحركة والانتقال لعدم ورودهما، ولئلا يوهما التشبيه، بل نقول: النزول والمجيء والإتيان)".

ثم نقل تعليق الشيخ عبدالرحمن البراك على قول الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فمعتقد سلف الأمة وعلماء السنة من الخلف أن الله تعالى منزه عن الحركة والتحول والحلول"[1].

"فما كان من الوهابي عبدالرحمن البراك إلا أن يعلق على كلام ابن حجر بقوله: (فإن

---

(١) فتح الباري: ٨/٥٠٥.

أهل السنة متفقون على إثبات ما هو من جنس الحركة كالمجيء والنزول)"(١).

حقيقة هذه الدعوى:

هو ما يسمونه: حلول الحوادث(٢)، فأي صفة تتضمن في المعنى العام ما هو بمعنى الحركة كالإتيان والمجيء فلا يكون عندهم صفة ثابتة. ومقصودهم بذلك نفي اتصاف الله بالصفات الاختيارية الفعلية، وهي التي يفعلها متى شاء، كيف شاء، مثل الإتيان لفصل القضاء، والضحك، والعجب، والفرح؛ فينفون جميع الصفات الاختيارية. وحجتهم في ذلك أن قيام تلك الصفات بالله يعني قيام الحوادث -أي الأشياء المخلوقة الموجودة بالله-، وإذا قامت به أصبح هو حادثاً بعد أن لم يكن، كما يعني ذلك أن تكون المخلوقات حالة فيه، وهذا ممتنع. كما أن الحركة من مكان لمكان يلزم منها التحيز والله ﷻ ليس بمتحيز.

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: أن عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله ﷺ من غير تكييف، ولا تمثيل، ومن غير تحريف، ولا تعطيل. وصفات الله التي أخبر بها عن نفسه حق على حقيقتها، ولا يشبه شيء منها صفات المخلوقين، لأن الرب لا تشبه ذاته ذوات المخلوقين، فهو سبحانه ليس كمثله شيء في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.

فعقيدة أهل السنة تنزيه الله تعالى عن مماثلة الحوادث في صفاته عموماً، وفي تلك الصفات خصوصاً، فلا يرون أن مجيئه ونزوله واستواءه كمجيء ونزول واستواء المخلوقين، بحيث يلزم من تلك الصفات ما يلزم منها في المخلوقين.

قال الإمام ابن بطة (٣٨٤ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في الرد على مؤولة صفة النزول لله تعالى-: "فيقول -أي المعطل-: إن قلنا ينزل، فقد قلنا إنه يزول، والله لا يزول، ولو كان ينزل لزال لأن كل نازل زائل. فقلنا: أو لستم تزعمون أنكم تنفون التشبيه عن رب العالمين؟ فقد صرتم بهذه

---

(١) المرجع السابق: ٤٠٦-٤٠٧.

(٢) انظر: نقض الدارمي على المريسي: ٣٣٨/١، الفصل في الملل والأهواء والنحل: ٩٧/٢، ١٠٠، والأسماء والصفات: ٣٧٠/٢، ٣٧٨، ومقالات الإسلاميين: ٥٤٨/٢، ومجموع الفتاوى ٥/ ٥٦٥-٥٧٨، والاستقامة: ٧٠/٢-٧٨.

المقالة إلى أقبح التشبيه، وأشد الخلاف، لأنكم إن جحدتم الآثار وكذبتم بالحديث رددتم على رسول الله – ﷺ– قوله، وكذبتم خبره.

وإن قلتم لا ينزل إلا بزوال، فقد شبهتموه بخلقه، وزعمتم أنه لا يقدر أن ينزل إلا بزواله على وصف المخلوق الذي إذا كان بمكان خلا منه مكان.

لكن نصدق نبينا كما قال: (ينزل ربنا ﷻ) ولا نقول: إنه يزول، بل ينزل كيف شاء، لا نصف نزوله، ولا نحده، ولا نقول: إن نزوله زواله"(١).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " والذي يجب القطع به: أن الله ليس كمثله شيء في جميع ما يصف به نفسه.

فمن وصفه بمثل صفات المخلوقين في شيء من الأشياء فهو مخطئ قطعًا، كمن قال: إنه ينزل فيتحرك وينتقل، كما ينزل الإنسان من السطح إلى أسفل الدار، كقول من يقول: إنه يخلو منه العرش، فيكون نزوله تفريغًا لمكان وشغلا لآخر، فهذا باطل يجب تنزيه الرب عنه"(٢).

فنحن نعلم أن " المجيء والإتيان والصعود والنزول توصف به روح الإنسان التي تفارقه بالموت، وتسمى النفس، وتوصف به الملائكة، وليس نزول الروح وصعودها من جنس نزول البدن وصعوده؛ فإن روح المؤمن تصعد إلى فوق السموات، ثم تهبط إلى الأرض، فيما بين قبضها ووضع الميت في قبره. وهذا زمن يسير، لا يصعد البدن إلى ما فوق السموات، ثم ينزل إلى الأرض في مثل هذا الزمان"(٣).

فدل ذلك أن تلك الصفات في بعض المخلوقين لا يلزم فيها ما يلزم بعض المخلوقين، فلأن يكون ذلك غير لازم في حق الله تبارك وتعالى أولى وأظهر.

ثانيا: أن من ينفون بعض الصفات لاستلزامها ما يزعمون أنها لوازم باطلة، فإن الجواب عنهم يكون بنفي اللزوم، فنقول: لا نسلم أن هذه اللوازم تلزم من أثبت هذه الصفات، ثم نقول: على فرض لزومها فهي ليست لازمة لنا، وإنما تلزم من تكلم بهذه الصفة ونطق بها، فإن

---

(١) الإبانة: ٢٣٩/٣.

(٢) شرح حديث النزول: ١٨٨-١٨٩.

(٣) المرجع السابق: ٨٢.

كان لازم هذه الصفة ما ذكر حقاً فنحن نلتزمه، لأن لازم الحق حق[١].

قال عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون[٢]رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " اعرف -رحمك الله- غناك عن تكلفِ صفةِ ما لم يصفْ الربُ من نفسه بعجزِكَ عن معرفته قدْرَ ما وصفَ منها، إذا لم تعرفْ قدرَ ما وصفَ فما كلّفَك عِلْمِ ما لم يِصف، هل تستدل بذلك على شيء من طاعته أو تتزحزحُ عن شيء من معصيته؟ فأما الذي جحد ما وصفِ الربُ من نفسه تعمُّقا وتكلّفا قد ﴿ ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ ﴾ [الأنعام: ٧١]، فصارِ أحدِها، ومنها يَستدلُ من زعمَ على جحدِ ما وصفُ الربُ وسمى من نفسه بأن قال: لا بد إن كان له كذا من أن يكون له كذا، فعُمِّي عن البيِّنِ بالخفي، بجحد ما سمى الربُ من نفسه، فصمتَ الربُ[٣] عما لم يُسم منها"[٤].

ثالثا: أن مفهوم الحركة في اللغة مفهوم واسع، يطلق ويراد به جنس العمل مطلقاً، ولو نفسياً، فيقال: تحرك غضبه، وسكن، ولو لم يكن للجسم، فيقال: جاء الحر، وذهب الشتاء.

وبناء على ذلك، يكون مطلق الصفات الفعلية التي تقوم بالحق تعالى، كالغضب والرضا، والحب والبغض، والإرادة، وغير ذلك من جنس الحركة العامة[٥].

ومنه قوله ﷺ في تعليمه للأعرابي أن يقول: «لا حول ولا قوة إلا بالله»[٦].

قال شيخ الإسلام: "لفظ الحول يتناول كل تحول من حال إلى حال، والقوة هي القدرة

(١) انظر: تقريب التدمرية: ٥٣، ومجموع فتوى ورسائل ابن عثيمين: ٣٠١/٣.

(٢) عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون أبو مروان المدني الفقيه، مفتي أهل المدينة، تلميذ الإمام مالك، توفي سنة ٢١٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: ٣٥٩/١٠، وترتيب المدارك: ١٢٨/١.

(٣) قال شيخ الاسلام ابن تيمية: "ثبت بالسنة والإجماع أن الله يوصف بالسكوت، لكن السكوت يكون تارة عن التكلم، وتارة عن إظهار الكلام وإعلامه". مجموع الفتاوى: ١٧٩/٦. وانظر: صفات الله عز وجل لعلوي السقاف: ١٧٧.

(٤) الإبانة الكبرى: ٦٣/٧، وانظر: الأشاعرة في ميزان أهل السنة: ٣٦١ وما بعدها.

(٥) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٣٧٩/٢، والصحاح: ٢٥٣/١، وشرح حديث النزول: ١٨٠، ومجموع الفتاوى: ٥٦٨/٥.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم: ٢٦٩٦.

على ذلك التحول، فدلت هذه الكلمة العظيمة على أنه ليس للعالم العلوي والسفلي حركة وتحول من حال إلى حال، ولا قدرة على ذلك إلا بالله"(١).

ثم من الصفات الفعلية التي تقوم بالحق تعالى ما هو من جنس الحركة الخاصة، كالمجيء، والإتيان، والنزول، والاستواء، والقرب، والدنو.

رابعا: أن لفظ الحركة - ومثله الانتقال - لفظ مجمل، ومثل تلك الألفاظ فمن "أثبتها مطلقاً، فقد أخطأ، ومن نفاها مطلقاً، فقد أخطأ، فإن معانيها منقسمة إلى ما يمتنع إثباته لله وما يجب إثباته له.

فإن الانتقال يراد به: انتقال الجسم والعرض من مكان هو محتاج إليه إلى مكان آخر يحتاج إليه، وهو يمتنع إثباته للرب تعالى.

وكذلك الحركة إذا أريد بها هذا المعنى، امتنع إثباتها لله تعالى.

ويراد بالحركة والانتقال: حركة الفاعل من كونه فاعلاً وانتقاله أيضاً من كونه غير فاعل إلى كونه فاعلاً.

فهذا المعنى حق في نفسه، لا يعقل كون الفاعل إلا به، فنفيه عن الفاعل، نفي لحقيقة الفعل وتعطيل له.

وقد يراد بالحركة والانتقال ما هو أعم من ذلك، وهو فعل يقوم بذات الفاعل يتعلق بالمكان الذي قصد له، وأراد إيقاع الفعل بنفسه فيه، وقد دل القرآن والسنة والإجماع على أنه سبحانه يجيء يوم القيامة، وينزل لفصل القضاء بين عباده، ويأتي في ظلل من الغمام والملائكة، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، وينزل عشية عرفة، وينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة، وينزل إلى أهل الجنة، وهذه أفعال يفعلها بنفسه في هذه الأمكنة.

فلا يجوز نفيها عنه بنفي الحركة والنقلة المختصة بالمخلوقين؛ فإنها ليست من لوازم أفعاله المختصة به.

فما كان من لوازم أفعاله؛ لم يجز نفيه عنه، وما كان من خصائص الخلق؛ لم يجز إثباته له.

---

(١) شرح حديث النزول: ١٨٦.

وحركة الحي من لوازم ذاته، ولا فرق بين الحي والميت إلا بالحركة والشعور، فكل حي متحرك بالإرادة وله شعور، فنفي الحركة عنه كنفي الشعور، وذلك يستلزم نفي الحياة"[١].

خامسا: أن تسمية تلك الأفعال حركة مما لم يرد في الكتاب والسنة إثباته أو نفيه عن الحق تعالى، والقاعدة في مثل ذلك أن يستفصل في معناه، فإن كان مراد مطلقه إثبات الصفات الفعلية الواردة في الكتاب والسنة من غير تأويلها أو تشبيهها بصفات المخلوقين كان صوابا، وإن أراد غير ذلك كان خطأ.

قال الشيخ عبدالرحمن البراك – حفظه الله-: "لفظ الحركة والتحول مما لم يرد في كتاب ولا سنة، فلا يجوز الجزم بنفيه، ونسبه نفيه إلى السلف والأئمة من أهل السنة والجماعة لا تصح، بل منهم من يجوز ذلك ويثبت معناه ويمسك عن إطلاق لفظه، ومنهم من يثبت لفظ الحركة، ولا منافاة بين القولين؛ فإن أهل السنة والجماعة متفقون على إثبات ما هو من جنس الحركة، كالمجيء، والنزول، والدنو، والصعود، مما جاء في الكتاب والسنة، والأولى: الوقوف مع ألفاظ النصوص"[٢].

قال شيخ الإسلام: " ما تنازع فيه المتأخرون، نفيًا وإثباتًا؛ فليس على أحد بل ولا له أن يوافق أحدًا على إثبات لفظ أو نفيه، حتى يعرف مراده، فإن أراد حقًا؛ قُبل، وإن أراد باطلا؛ رُدّ، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل؛ لم يُقبل مطلقًا ولم يُرد جميع معناه، بل يُوقف اللفظ ويُفسّر المعنى " [٣].

والأصل ألا يطلق ذلك اللفظ المجمل؛ لورود الاحتمال على معناه.

سادسا: أن أهل السنة قد اختلفوا في تسمية تلك الأفعال حركة، على ثلاثة أقوال

١- فمنهم من نفاه مع إثبات الألفاظ والمعاني الصحيحة الواردة في الكتاب والسنة.

٢- ومنهم من أطلقه.

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة: ٤٧٣.

(٢) تعليقات الشيخ البراك على المخالفات العقدية في فتح الباري: ٣٣.

(٣) التدمرية: ٦٥-٦٦.

٣- ومنهم من توقف في الإطلاق أو النفي[١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ "أما الذين أمسكوا عن الأمرين وقالوا: لا نقول يتحرك وينتقل، ولا ننفي ذلك عنه، فهم أسعد بالصواب والاتباع، فإنهم نطقوا بما نطق به النص، وسكتوا عما سكت عنه، وتظهر صحة هذه الطريقة ظهورا تاما فيما إذا كانت الألفاظ التي سكت النص عنها مجملة محتملة لمعنيين: صحيح وفاسد، كلفظ الحركة والانتقال والجسم والحيز"[٢].

على أنه يمكن التأليف بين أقوال أهل السنة، وأن إطلاق الألفاظ المجملة يجوز للحاجة، أو المصلحة، كأن يكون تفهيما لمن يتكلم بهذا اللسان، وبه يعقل المعاني، أو على سبيل النقض على من ينفيه نفيا مطلقا بما فيه من المعنى الصحيح الموافق للكتاب والسنة.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " لم يذكر هو ولا رسوله ولا أهل العلم والإيمان به: أنه ليس بجسم، ولا جوهر، ولا متحيز، ولا في جهة، ولا أن صفاته ليست بعرض، ولا قائمة بالغير، ولا نحو ذلك.

وكذلك في الإثبات له الأسماء الحسنى التي يدعى بها، وليس في تلك الأسماء أنه جسم، ولا جوهر ونحو ذلك، ولا أن صفاته تسمى أعراضاً، ونحو ذلك.

فلم يكن واحد من هذين مشروعاً على الإطلاق، ولا هو أيضاً منهياً عنه على الإطلاق.

بل إذا أثبت الرجل معنى حقاً، ونفى معنى باطلاً، واحتاج إلى التعبير عن ذلك بعبارة لأجل إفهام المخاطب؛ لأنها من لغة المخاطب ونحو ذلك = لم يكن ذلك منهياً عنه؛ لأن ذلك يكون من باب ترجمة أسمائه وآياته بلغة أخرى ليفهم أهل تلك اللغة معاني كلامه وأسمائه، وهذا جائز، بل مستحب أحياناً، بل واجب أحياناً، وإن لم يكن ذلك مشروعاً على الإطلاق، كمخاطبة أهل هذه الاصطلاحات الخاصة في أسماء الله وصفاته وأصول الدين باصطلاحهم الخاص، إذا كانت المعاني التي تبين لهم هي معاني القرآن والسنة " [٣].

---

(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلة: ٤٧٢.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة: ٤٧٢، وانظر: مجموع الفتاوى: ٤٠٢/٥، ودرء التعارض: ٧/٢-٨، والاستقامة: ٧٢/١-٧٣.

(٣) بيان تلبيس الجهمية: ٣٨٩/٤-٣٩٠.

وقال: " السلف والأئمة لم يكرهوا الكلام لمجرد ما فيه من الاصطلاحات المولدة كلفظ الجوهر، والعرض، والجسم، وغير ذلك؛ بل لأن المعاني التي يعبرون عنها بهذه العبارات فيها من الباطل المذموم في الأدلة والأحكام ما يجب النهي عنه لاشتمال هذه الألفاظ على معاني مجملة في النفي والإثبات.

كما قال الإمام أحمد في وصفه لأهل البدع فقال: هم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، متفقون على مخالفة الكتاب، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويلبسون على جهال الناس بما يتكلمون به من المتشابه.

فإذا عرفت المعاني التي يقصدونها بأمثال هذه العبارات، ووزنت بالكتاب والسنة، بحيث يثبت الحق الذي أثبته الكتاب والسنة، وينفي الباطل الذي نفاه الكتاب والسنة؛ كان ذلك هو الحق؛ بخلاف ما سلكه أهل الأهواء من التكلم بهذه الألفاظ: نفيا وإثباتا في الوسائل والمسائل؛ من غير بيان التفصيل والتقسيم الذي هو الصراط المستقيم. وهذا من مثارات الشبهة" [١].

سابعا: قول الكاتب: "اتفق السلف الصالح وأهل السنة والجماعة على تنزيه الله تعالى عن الحركة والزوال من مكان والانتقال إلى آخر..."، لم يذكر مصدر هذا الكلام، والسلف كما سبق يثبتون لله ما أثبته لنفسه من غير تمثيل ولا تكييف ولا تحريف ولا تعطيل. وإثبات السلف للصفة كما وردت في الكتاب والسنة لا يقتضي هذه المعاني التي يلزم بها المناوئون للسلف.

ثامنا: قول الكاتب أنه "قد صح عن الإمام التابعي الكبير المفسر قتادة السدوسي (٦٠-١١٧هـ) أنه نزّه الله تعالى عن التغير والانتقال، حيث روى الإمام الطبري (٤٨٠/١١) في تفسيره: (حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأٓفِلِينَ ۝٧٦﴾ [الأنعام: ٧٦]، علم أن ربه دائم لا يزول".

فنحن نقول بما قال به قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأن الله دائم لا يزول، فهو الأول ليس قبله شيء، والأخر فليس بعده شيء، وهو سبحانه في العلو، ولكن الكاتب لم يفهم كلام قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ،

(١) مجموع الفتاوى ٣٠٧/٣.

فقتادة لم يقل أنه لا ينزل ولا يأتي، ولم يستخدم هذه المصطلحات الحادثة: التغيير والانتقال.

تاسعا: قول الكاتب " وقد ذهب الإمام السلفي أبو إسحاق الزجاج الحنبلي (٢٤١-٣١١هـ) إلى أن المنتقل من مكان إلى مكان.. محدث لا يصلح للإلهية، فقال في معاني القرآن (٢/٢٨٨): "﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾، أي: لا أحب من كانت حالته، أن يطلع ويسير على هيئة يتبين معها أنه محدث، منتقل من مكان إلى مكان".

وكذلك نحن نقول بقول أبي إسحاق الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولكن الكاتب لم يفهم كلامه، فهو يقول: " لا أحب من كانت حالته، أن يطلع ويسير على هيئة يتبين معها أنه محدث "، فقيد كلامه بقوله: "على هيئة يتبين معها أنه محدث"، فإذا تبين معها أنه محدث فهو مخلوق، أما الله ﷻ فهو يأتي وينزل متى شاء، وكيف شاء، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]

عاشرا: أما استدلاله على نفي تلك الصفات من الشرع بقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦﴾ [الأنعام: ٧٥ - ٧٦]، أي لا أحب من حالته أن يطلع ويسير على هيئة يتبين معها أنه محدث، وينتقل من مكان إلى مكان، فإبراهيم أنكر ربوبية الكوكب لكونه آفلاً: أي: متحركاً(١).

فهذا استدلال باطل، يبطله تفسير الزجاجي للآية، حيث يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " (فَلَمَّآ أَفَلَ). أي فلما غاب، يقال أفل النجم يأفل أفولا، إذا غاب: (أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ).

أي لا أحب من كانت حالته أن يطلع ويسير على هيئة يتبين معها أنه محدث منتقل من مكان إلى مكان، كما يفعل سائر الأشياء التي أجمعتم معي على أنها ليست بآلهة، أي لا أتخذ ما هذه حاله إلها، كما أنكم لا تتخذون كل ما جرى مجرى هذا من سائر الأشياء آلهة، ليس أنه جعل الحجة عليهم أن ما غاب ليس بإله، لأن السماء والأرض ظاهرتان غير غائبتين وليس يدعى فيهما هذه الدعوى.

---

(١) انظر: الملل والنحل: ٢/١١١، والفصل في الملل والنحل: ٢/١٣٢، وأساس التقديس: ٣٥.

وإنما أراد التبيين لهم القريب، لأن غيبوبته أقرب ما الناظرون به فيما يظهر لهم"[١].

وقال الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " واحتججت أيضا أيها المريسي في نفي التحريك، عن الله ﷻ والزوال بحجج الصبيان، فزعمت أن إبراهيم عليه السلام حين رأى كوكبا وشمسا وقمرا ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ ، ثم قلت: فنفى إبراهيم المحبة من كل إله زائل، يعني أن الله إذا نزل من سماء إلى سماء أو نزل يوم القيامة لمحاسبة العباد فقد أفل زوال[٢] كما أفل الشمس والقمر، فتنصل من ربوبيتهما إبراهيم، فلو قاس هذا القياس تركي طمطماني[٣] أو رومي أعجمي ما زاد على ما قست قبحا وسماجة، ويلك! ومن قال من خلق الله تعالى: إن الله تعالى إذا نزل أو تحرك، أو نزل ليوم الحساب أفل في شيء، كما تأفل الشمس في عين حمئة؟.

إن الله يأفل في خلق سواه[٤] إذا نزل أو ارتفع كما تأفل الشمس والقمر والكواكب، بل هو العالي على كل شيء، المحيط بكل شيء في جيمع أحواله من نزوله وارتفاعه.

وهو الفعال لما يريده لا يأفل في شيء، بل الأشياء كلها تخشع له والمواضع والشمس والقمر والكواكب خلائق مخلوقة، إذا أفلت أفلت في مخلوق، في عين حمئة، كما قال الله، والله أعلى وأجل لا يحيط به شيء، ولا يحتوي عليه شيء"[٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في رد هذا الاستدلال: "ولو تدبروا لعلموا أن قصة إبراهيم هي على نقيض مطلوبهم من الأفول.

أما أولا: فإن إبراهيم إنما قال: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾، والأفول هو المغيب والاختفاء، بالعلم القائم المتواتر الضروري في النفس واللغة، ولم ينقل أحد أن الأفول مجرد الحركة.

وأما ثانيا: فإنه قد قال: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ

---

(١) معاني القرآن وإعرابه: ٢/٢٦٦.

(٢) في طبعة المكتبة الإسلامية: وزال.

(٣) رجل طِمطِم وطِمطِمي -بكسرهما- وطُمطُماني -بالضم- في لسانه عجمة. انظر: القاموس المحيط: ١١٣٤.

(٤) قال محقق الكتاب: في ط، س، ش "لا يأفل في شيء خلق سواه" وفي س، "لا يأفل في شيء خلق، سواءا إذا نزل أو ارتفع" ولعله هو الصواب.

(٥) نقض الدارمي على المريسي: ١/٣٥٧-٣٥٨.

إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٧ - ٧٨].

ومعلوم أنه من حين البزوغ ظهرت فيه الحركة، فلو كانت هي الدليل على الحدوث؛ لم يستمر على ما كان عليه إلى حين المغيب، بل هذا يدل على أن الحركة لم يستدل بها، أو لم تكن تدل عنده على نفس مطلوبه.

وأما ثالثاً: فإنما قال: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴾ فنفى محبته فقط، ولم يتعرض لما ذكروه.

وأما رابعاً: فمن المعلوم أن أحدا من العقلاء لم يكن يظن أن كوكبا من الكواكب دون غيره من الكواكب هو رب كل شيء حتى يكون رب سائر الكواكب والأفلاك والشمس والقمر"(١).

---

(١) بغية المرتاد: ٣٥٩-٣٦٠. وانظر: مجموع الفتاوى: ٤٢٦/٥، ٥٦٥-٥٧٥، ١١/٦، ٢١/٨-٢٩، ودرء التعارض: ٢٥/٤.

المطلب الحادي عشر: دعوى تجويز تصوير التماثيل

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى أن من الأدلة على جواز تصوير التماثيل أن الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يذكرها في كتابه الكبائر، وهذا يدل على أنها جائزة

ذكر محمد يوسف بلال: جواز تصوير التماثيل، واستدلَ على ذلك بحديث النبي ﷺ: «أشدُّ الناسِ عذاباً يومِ القيامة المصورّون»[1]، وحصرَ الحديث في منْ أرادَ بهذه التماثيل أن تعبد من دون الله، وفي جملة من استدل بهم من العلماء على جواز تصوير التماثيل الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأنه لم يذكره ضمن كتابه الكبائر.

وبعد أن نقل فتاوى اللجنة الدائمة وبعض أهل العلم في تحريم تصوير التماثيل قال: "والحق أن العلماء قد اختلفوا في حكم تصوير ذوات الأرواح من الإنسان أو الحيوان، سواء كان ذلك تصويراً بالتماثيل أو الصور إلى ثلاثة أقوال، الأول: أنه غير محرم. الثاني: التحريم إذا توافرت ثلاث شروط. والثالث: التحريم مطلقاً[2].

وذلك وفق الثابت بالموسوعة الفقهية الكويتية ببحث مكون من أربعة وسبعين صفحة، بينما السلفية تنقل الإجماع كذباً وبشكل دائم وبلا خجل!" [3].

ثم قال: " إذا كانت النظرة محرمة لأنها من وسائل الزنا إلا أن الزنا أعظم في عقوبته من النظرة، فالزنا أحد الحدود، بينما النظرة ليست كذلك، وكذلك تصوير التماثيل محرم لأنه من وسائل الشرك، إلا أن الشرك أعظم في عقوبته، فالردة عن الإسلام أحد الحدود، بينما تصوير التماثيل ليس كذلك، وبالتالي فقول النبي ﷺ: «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون» يُحمل على صناعة التماثيل لكي تُعبد من دون الله رب العالمين أو يقصد التحدي لله وأنه يخلق خلقاً كما يخلق الله رب العالمين، فإن الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى كما أخبر

---

(١) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة: ٢١٠٩.

(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٤م، ص١٠٠.

(٣) عقائد الإلحاد الوثنية عند السلفية الوهابية: ٣٩.

رسول الله ﷺ في أول حديث بصحيح الإمام البخاري".

ثم قال في الاستدلال على ما ذهب إليه: "والبرهان الساطع على ما قلناه أن محمد بن عبدالوهاب -أصل الحركة الوهابية- لم يذكر في كتابه "الكبائر" التصوير من بينها! بينما ذكرها الإمام الذهبي في كتاب "الكبائر": الكبيرة الثامنة والأربعون، ليؤكد صدق ما قلناه، حيث إنه ذكر قبلها الكبر والظلم والكذب والنميمة والرياء وكتمان العلم وغيرها من مساوئ الأخلاق، أي أن مساوئ الأخلاق أعظم في نظره من التصوير، وأن التصوير ليس بهذه الدرجة من الخطورة التي يصدح ويصيح بها السلفية الوثنية"[١].

حقيقة هذه الدعوى:

أن الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ يجيز تصوير التماثيل، وأن من جاء بعده من أتباعه يحرمونه، وبناء على ذلك فإن تصوير التماثيل جائز.

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: التصوير في اللغة: صنع الصورة. وصورة الشيء هي هيئته الخاصة التي يتميز بها عن غيره. وفي أسمائه تعالى: المصور، ومعناه: الذي صور جميع الموجودات ورتبها، فأعطى كل شيء منها صورته الخاصة وهيئته المفردة، على اختلافها وكثرتها[٢].

وورد في حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا تسمية الوجه صورة، قال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «نهى النبي ﷺ أن تضرب الصورة»[٣]. أي: أن يضرب الوجه أو يوسم الحيوان في وجهه.

والتصوير أيضًا: ذكر صورة الشيء، أي: صفته، يقال: صورت لفلان الأمر، أي: وصفته له.

(١) المرجع السابق: ٤٠-٤١. وانظر: فتاوى داعش ويوكو حرام: ٧٠، ١٤٩.

(٢) لسان العرب: ٤/٤٧٣.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الذبائح والصيد، باب الوسم والعلم في الصورة، برقم: ٥٥٤١.

والتصوير أيضاً: صنع الصورة التي هي تمثال الشيء، أي: ما يماثل الشيء ويحكي هيئته التي هو عليها، سواء أكانت الصورة مجسمة أو غير مجسمة، أو كما يعبر بعض الفقهاء: ذات ظل أو غير ذات ظل.

والمراد بالصورة المجسمة أو ذات الظل ما كانت ذات ثلاثة أبعاد، أي لها حجم، بحيث تكون أعضاؤها نافرة يمكن أن تتميز باللمس، بالإضافة إلى تميزها بالنظر.

وأما غير المجسمة، أو التي ليس لها ظل، فهي المسطحة، أو ذات البعدين، وتتميز أعضاؤها بالنظر فقط، دون اللمس؛ لأنها ليست نافرة، كالصور التي على الورق، أو القماش، أو السطوح الملساء. والتصوير والصورة في اصطلاح الفقهاء يجري على ما جرى عليه في اللغة(١).

أما التماثيل في اللغة: فهي جمع تمثال " بكسر التاء "، وتمثال الشيء: صورته في شيء آخر. وهو من المماثلة، وهي المساواة بين الشيئين. والتمثيل: التصوير. يقال: مثل له الشيء إذا صوره له كأنه ينظر إليه، ومثلت له كذا: إذا صورت له مثاله بكتابة أو غيرها، وفي الحديث: «أشد الناس عذابًا ممثل من الممثلين»(٢). أي مصور. وظل كل شيء تمثاله(٣).

والفرق بين التمثال وبين الصورة: أن صورة الشيء قد يراد بها الشيء نفسه، وقد يراد به غيره مما يحكي هيئة الأصل، أما التمثال فهو الصورة التي تحكي الشيء وتماثله، ولا يقال لصورة الشيء في نفسه: إنها تمثاله.

"أما في عرف الفقهاء، فإنه باستقراء كلامهم تبين أن أكثرهم لا يفرقون في الاستعمال بين لفظي (الصورة) (والتمثال)، إلا أن بعضهم خص التمثال بصورة ما كان ذا روح، أي صورة الإنسان أو الحيوان، سواء أكان مجسما أو مسطحا، دون صورة شمس أو قمر أو بيت، وأما الصورة فهي أعم من ذلك"(٤).

---

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية: ١٢/ ٩٢.

(٢) مسند أحمد، برقم: ٣٨٦٨.

(٣) لسان العرب: ١١/ ٦١٣.

(٤) الموسوعة الفقهية الكويتية: ١٢/ ٤٥.

وعلى تحريم تصوير التماثيل بهذا التعريف -وهو الصورة التي تحكي الشيء وتماثله من ذوات الأورح - جماهير العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " ولا فرق فى هذا كله بين ما له ظل وما لا ظل له هذا تلخيص مذهبنا في المسألة وبمعناه قال جماهير العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم. وهو مذهب الثوري ومالك وأبي حنيفة وغيرهم وقال بعض السلف إنما ينهى عما كان له ظل ولا بأس بالصور التي ليس لها ظل، وهذا مذهب باطل؛ فإن الستر الذي أنكر النبي ﷺ الصورة فيه لا يشك أحد أنه مذموم وليس لصورته ظل مع باقي الأحاديث المطلقة في كل صورة، وقال الزهري النهي في الصورة على العموم وكذلك استعمال ما هى فيه ودخول البيت الذي هي فيه سواء كانت رقما فى ثوب أو غير رقم وسواء كانت في حائط أو ثوب أو بساط ممتهن أو غير ممتهن عملا بظاهر الأحاديث لاسيما حديث النمرقة الذي ذكره مسلم وهذا مذهب قوى"[1].

ونقل الكاتب أن الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عده ضمن الكبائر في كتابه الكبائر: الكبيرة الثامنة الأربعون، وكذلك ابن حجر الهيتمي في كتابه: الزواجر عن اقتراف الكبائر، الكبيرة الثامنة والستون بعد المائتين.

فكيف يقول بعد ذلك: " وأن التصوير ليس بهذه الدرجة من الخطورة التي يصدح ويصيح بها السلفية الوثنية"؛ إلا إن كانت الكبائر ليست بخطيرة عنده!.

ثانيا: ما نقله الكاتب من فتاوى اللجنة الدائمة وبعض أهل العلم من أتباع دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تحريم التماثيل بناء على ما تبين لهم من نصوص الكتاب والسنة، وزعمه أنهم خالفوا الإمام في ذلك؛ فهذه شهادة تزكية لهم بأن أتباع الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ إنما يعظمون النصوص؛ وإن كانت تخالف قول إمامهم، وهم في ذلك مقتدون بإمهم في تقديم النصوص على قول كل أحد كائنا من كان حاشا رسول الله ﷺ، قال الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " بل أقول ولله الحمد والمنة وبه القوة: إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم

(١) شرح النووي على مسلم: ١٤/٨٣. وانظر: فتح الباري: ١٠/٣٨٨، وحاشية كتاب التوحيد: ٣٧٣.

ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين، ولست -ولله الحمد- أدعو إلى مذهب صوفي أو فقيه أو متكلم أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم مثل ابن القيم، والذهبي، وابن كثير، أو غيرهم.

بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأدعو إلى سنة رسول الله ﷺ التي أوصى بها أول أمته وآخرهم، وأرجو ألا أرد الحق إذا أتاني، بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه إن أتانا منكم كلمة من الحق لأقبلنّها على الرأس والعين، ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي، حاشا رسول الله ﷺ فإنه لا يقول إلا الحق"[١].

ثالثا: ذكر صاحب الكتاب أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يذكر التصوير في كتاب الكبائر، والجواب أن الأصل والمرجع في التحليل والتحريم الكتاب والسنة سواء ذكره الشيخ أو لم يذكره، وأن كل أمر أختلف فيه فمرده الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾ ﴾ [النساء: ٨٣]، وغيرها من الآيات كثير.

علما بأن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر التصوير في باب مفرد في كتابه (كتاب التوحيد) فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ باب ما جاء في المصورين-: "أي: من الوعيد الشديد والتهديد الأكيد؛ للمضاهاة بخلق الله، بل هو منشأ الوثنية، وما دخل على القرون قبلنا إنما هو من هذا الباب؛ لأن صورة المألوف تعظيم، وإذا ارتسمت في الحافظة وبقي ذكرها يمر على البصر الناظر إليها من رسمها لابد أن تستولي على قلبه، وتحل فيه حلول التعبد له"[٢].

رابعا: ما نقله عن الموسوعة الفقهية الكويتية في اختلاف العلماء في التصوير، فهو كعادة بعض أهل الأهواء، من عدم نقل الكلام كاملاً؛ فإن الموسوعة نصَّت على أن الكلام في هذا البحث عن

---

(١) الدرر السنية: ١/٣٧، ٣٨.

(٢) حاشية كتاب التوحيد: ٣٧١.

التمثال في استعماله عند الفقهاء.

"والتصوير والصورة في اصطلاح الفقهاء يجري على ما جرى عليه في اللغة"[(١)].

"وهذا البحث جار على الاصطلاح الأغلب عند الفقهاء، وهو أن الصورة التي تحكي الشيء، والتمثال بمعنى واحد"[(٢)].

خامسا: أن الحديثَ الذي استدل به وهو «أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون»، وحصرَه في منْ أرادَ أن يعبد من دون الله؛ فليس في الحديث ما يدل على أن العذاب فيمن أراد أن تعبدمن دون الله.

وقد جاء في الحديث عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل مصور في النار، يجعل له، بكل صورة صورها، نفسا فتعذبه في جهنم»[(٣)].

"أي: تعذبه نفس الصورة بأن يجعل فيها روحاً، والباء بمعنى "في" أو يجعل له بكل صورة شخص يعذب به"[(٤)].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير، فقام النبي ﷺ بالباب فلم يدخل، فقلت: أتوب إلى الله مما أذنبت، قال: «ما هذه النمرقة؟ قلت: لتجلس عليها وتوسدها. قال: إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم، وإن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه الصور»[(٥)].

فهي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لم تذكر أنها اتخذت هذه النمرقة من أجل أن تعبد من دون الله – وحاشاها من ذلك–، ولكن قالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لتجلس عليها وتوسد عليها، وفهي مهانة أيضًا.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: "قدم الجملة الأولى – إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم

---

(١) المرجع السابق: ٩٣/١٢.

(٢) الموسوعية الكويتية: ٩٤/١٢.

(٣) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة: ٢١١٠.

(٤) حاشية كتاب التوحيد: ٣٧٣. وانظر: شرح النووي على مسلم: ٩٠/١٤.

(٥) صحيح البخاري، كتاب اللباس،باب من كره القعود على الصورة، برقم ٥٩٥٧، وصحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة: ٢١٠٧.

القيامة – اهتماماً بالزجر عن اتخاذ الصور؛ لأن الوعيد إذا حصل لصانعها فهو حاصل لمستعملها؛ لأنها لا تصنع إلا لتستعمل، فالصانع متسبب، والمستعمل مباشر، فيكون أولى بالوعيد، ويستفاد منه أنه لا فرق في تحريم التصوير بين أن تكون الصورة لها ظل أو لا، وبين أن تكون مدهونة أو منقوشة أو منقورة أو منسوجة"[١].

(١) فتح الباري: ٣٩٠/١٠. وانظر: حاشية كتاب التوحيد: ٣٧٣.

المطلب الثاني عشر: دعوى التناقض في عدد أسماء الله الحسنى

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى التناقض في عدد أسماء الله الحسنى ، وأن ذلك غاية الإلحاد في أسمائه.

يقول محمد يوسف بلال عن تناقض أتباع دعوة الإمام – حسب زعمه– في إحصاء أسماء الله الحسنى، وأن نتائج هذا الإحصاء قمة في التناقض "وغاية في الإلحاد في أسماء الله الحسنى، وبالتالي يتناقض التوحيد لدى من أطلقوا على أنفسهم (حراس التوحيد وحماة العقيدة)، فأي أسماء لله عَزَّوَجَلَّ سوف تكون في باب توحيد الأسماء والصفات خصوصاً وأن ذلك من ركائز الإيمان وثوابت العقيدة بل جماع التوحيد وأصله"[(١)].

ثم ذكر ذلك التناقض فقال: "فأي أسماء حسنى لله عَزَّوَجَلَّ يجب على السلفية الوثنية إثباتها في مؤلفاتهم في باب توحيد الأسماء وتجسيم الصفات عندهم!

١– هل هي الأسماء الحسنى التي ذكرها شيخهم عبدالرحمن بن ناصر السعدي في كتابه (فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن) والذي ذكر به ثمانين اسماً من الأسماء الحسنى فقط، علماً بأنه قد خالف ابن عثيمين في إثبات مجموعة من الأسماء الحسنى، وهي (النور والهادي والرشيد وذو الجلال والإكرام والمغني والرب ورب العالمين والجليل والكافي والعدل والفعال لما يريد والبديع)، حيث أثبتها الشيخ السعدي ولم يثبتها ابن عثيمين؟!

٢– أم هي الأسماء التي ذكرها ابن عثمين في كتابه (القواعد المثلى في صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى) طبعة دار المنهاج، والتي ذكر فيها أنه قد جمع تسعة وتسعين اسماً ظهر له من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ[(٢)].

٣– أم أسماء الله الحسنى التي ذكرها محمود عبدالرزاق الرضواني في كتابه (أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة)، حيث أثبت لله تسعة وتسعين اسماً ليس من بينها لفظ الجلالة

---

(١) عقائد الإلحاد الوثنية عند السلفية الوهابية: ٦٤.

(٢) محمد بن صالح العثيمين: القواعد المثلى، دار المنهاج، ص١٨، وطبعة مؤسسة الشيخ ابن العثيمين الخيرية ص٢٥.

(الله)، بالإضافة إلى استبعاده تسعة وعشرين اسماً من رواية الإمام الترمذي، بينما استبعد من رواية ابن ماجه تسعة وثلاثين اسماً، ومن رواية الحاكم في مستدركه استبعد سبعة وعشرين اسماً(١).

٤- أم هي الأسماء التي قدم لها المدعو مصطفى العدوي لأخيه محمد عبدالباقي والتي بلغت مائة وتسعة اسماً من الأسماء الحسنى خالف فيها جميع من تقدم.

٥- أم هي الأسماء الحسنى التي أثبتها غريب بن محمد علي أبو عارف في كتابه (الطريقة المثلى لإحصاء أسماء الله الحسنى من الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة) [المجسمة الوثنية]، والذي أثبت ما استبعده ابن العثيمين والرضواني من أسماء(٢).

٦- أم أسماء الله الحسنى للإمام ابن القيم والتي جمعها وأعدها وحققها عماد زكي البارودي، والتي أورد فيها مائة وأربعين اسماً لله عَزَّوَجَلَّ (٣) أثبت فيها كل ما استبعده ابن العثيمين والرضواني وغيرهم؟

٧- أم هي الأسماء التي جمعها سعيد بن وهف القحطاني في كتابه (شرح أسماء الله الحسنى)، والتي أثبت فيها تسعة وتسعين اسماً خالف فيها الملاحدة المجسمة السابقين في مجموعة كبيرة من الأسماء(٤).

٨- أم هي الأسماء التي جمعها محمد الحمود النجدي في كتابه (المنهج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى)، والتي جمع فيها مائة وخمسة عشر اسماً خالف فيها جميع من تقدم من الحشوية السلفية السابقين في عدد كبير من الأسماء الحسنى(٥)"(٦).

(١) د. محمود عبدالرزاق الرضواني: أسماء الله الحسنى، ص٢٥.

(٢) غريب بن محمود علي أبو عارف، الطريقة المثلى لإحصاء أسماء الله الحسنى من الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة.

(٣) عماد زكي البارودي: أسماء الله الحسنى للإمام ابن القيم، طبعة المكتبة التوقيفية، ص١٠٣ وما بعدها حتى ص٤٥٧.

(٤) سعيد بن وهف القحطاني، شرح أسماء الله الحسنى، مكتبة الصفا بالقاهرة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

(٥) محمد الحمود النجدي، المنهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، طبعة مكتبة الإمام الذهبي بالكويت، الطبعة الرابعة، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م، ص٦٦٢-٦٧٢.

(٦) عقائد الإلحاد الوثنية عند السلفية الوهابية: ٦٤-٦٦.

حقيقة هذه الدعوى:

لم أجد – حسب بحثي– من قال بهذه الدعوى في التناقض في عدد الأسماء الحسنى، إلا أني وجدت في موقع للنصارى مقالا بعنوان" أسماء الله الحسنى – الله إله المسلمين وليس الله الحي الحقيقي– " ذكر فيه: " من خلال دراستي للعديد من كتب الأحاديث والتفّاسير والمراجع الإسلامية، حصلت حتى اليوم على ستة قوائم لأسماء الله الحُسنى في الإسلام، ولاحظت عدم انطباق أية قائمة مع غيرها من القوائم، علماً بأنها جميعاً تشترك بعددٍ كبير من الأسماء فيما بينها، وخصوصاً أول عشرين اسماً من كل قائمة، بعد ذلك تبدأ الاختلافات في الظهور، لدرجة أن إحدى هذه القوائم تحتوي على عشرين اسماً من أسماء الله الحسنى لم يرد لها ذكرٌ في أية قائمة أُخرى"(١).

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: أنه لا يوجد دليل صحيح على حصر أسماء الله في عدد معين، ولذا اجتهد العلماء في عدها، معتمدين في ذلك على ما جاء في الكتاب والسنة. فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما أصاب عبدا قط هم ولا غم ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضي في حكمك، عدل في قضاؤك، أسئلك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي، إلا أذهب الله همه وغمه وأبدله مكانه فرحا»، قالوا: يا رسول الله أفلا نتعلمهن قال: «بلى، ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن»(٢).

---

(١) http://alkalema.net/asma.htm. في تاريخ ١٤٣٨/٩/٢٥هـ. وانظر: الأزهر يرفض اعتماد أسماء جديدة لأسماء الله الحسنى، http://www.alarabiya.net/articles/٢٠١٠/٠٢/٠٢/٩٩٠٩٨.html في ١٤٣٨/٩/٢٥هـ.

(٢) مسند الإمام أحمد برقم (٣٧١٢، ٤٣١٨). وصححه الألباني، انظر: السلسلة الصحيحة برقم (١٩٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض رده على من زعم أنه لا يجوز الدعاء إلا بالتسعة والتسعين اسماً: "... وهذا القائل الذي حصر أسماء الله في تسعة وتسعين لم يمكنه استخراجها من القرآن، وإذا لم يقم على تعيينها دليل يجب القول به لم يمكن أن يقال: هي التي يجوز الدعاء بها دون غيرها، لأنه لا سبيل إلى تمييز المأمور من المحظور، فكل اسم يجهل حاله يمكن أن يكون من المأمور، ويمكن أن يكون من المحظور، وإن قيل: لا تدعو إلا باسم له ذكر في الكتاب والسنة، قيل: هذا أكثر من تسعة وتسعين"[١].

فالذين جمعوا الأسماء الحسنى اعتقدوا هم وغيرهم أن الأسماء الحسنى التي من أحصاها دخل الجنة ليست شيئاً معيناً، بل من أحصى تسعة وتسعين اسماً من أسماء الله دخل الجنة، أو أنها وإن كانت معينة فالاسمان اللذان يتفق معناهما يقوم أحدهما مقام صاحبه، كالأحد والواحد، والمعطي والمغني[٢].

وقد جاء في القرآن أسماء، وفي السنة أسماء أخرى، فيكون العدد أكثر من تسعة وتسعين، كما هو ظاهر، ومن ذلك يتضح أن أكثر أهل العلم يقولون بأن الأسماء الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة أكثر من تسعة وتسعين اسماً[٣].

ثانيا: أن الحديث المشهور عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة»[٤] قد شرحه العلماء بما يدل على أن من أسماء الله الحسنى تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة، وليس فيه حصر في هذا العدد.

قال النووي[٥] رحمه الله: "قوله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً»، اتفق العلماء على أن

(١) مجموع الفتاوى: ٤٨٢/٢٢. وانظر: شأن الدعاء: ٢٤، وتفسير ابن كثير: ٢٦٩/٢.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: ٣٨٠/٦.

(٣) انظر: إيثار الحق على الخلق: ١٦٩، ومعجم المناهي اللفظية: ١١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب: إن لله مائة اسم إلا واحدا، برقم: ٧٣٩٢، وصحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، برقم: ٢٦٧٧.

(٥) هو أبو زكريا يحيى بن شرف بن حسن بن حسين الحزامي النووي، أحد أعلام الشافعية، من مؤلفاته: المجموع شرح

هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه -سبحانه وتعالى- فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء، ولهذا جاء في الحديث الآخر: «أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو استأثرت به في علم الغيب عندك»(١)، وقد ذكر الحافظ أبو بكر ابن العربي المالكي عن بعضهم أنه قال لله تعالى ألف اسم، قال ابن العربي: وهذا قليل فيها، والله أعلم"(٢).

ثالثا: أسماء الله تعالى كلها توقيفية أي " أنه يجب الوقوف فيها على ما جاء في الكتاب والسنة فلا يزاد فيها ولا ينقص، وعليه فلا يصح أن يسمى الله إلا بما سمى به نفسه في كتابه أو أطلقه عليه رسوله ﷺ فيما صح عنه من الأحاديث، لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء فوجب الوقوف على النص لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء:٣٦]. ولأن تسميته تعالى بما لم يُسم به نفسه أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى فوجب سلوك الأدب في ذلك، والاقتصار على ما جاء به النص.

وأما ما ورد في القرآن والسنة على سبيل الوصف أو الخبر فقط، بحيث لم يرد تسمية الله به، فلا يصح أن نسميه به، وذلك لأن من صفات الله ما يتعلق بأفعاله، وأفعال الله لا منتهى لها كما أن أقواله لا منتهى لها"(٣).

رابعا: "أن عددا من العلماء قديما وحديثا جمعوا أسماء الله مستمدين لها من الآيات والأحاديث، وشرحوها، وذكروا قواعد تتعلق بعددها ومعانيها وأحكامها؛ فمنهم من يعتمد في

المهذب، شرح صحيح مسلم، رياض الصالحين، توفي سنة ٦٧٦. انظر: تذكرة الحفاظ: ١٤٧٠/٤، وطبقات الشافعية الكبرى: ٣٩٥/٨.

(١) مسند أحمد، برقم: ٣٧١٢، ٤٣١٨. وانظر: السلسلة الصحيحة، برقم: ١٩٩.

(٢) شرح صحيح مسلم: ٥/١٧، وانظر: الفتاوى: ٣١٧/٥.

(٣) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى: ١٢-١٣.

إحصائها عددا على تتبع ما جاء في الكتاب والسنة، ومنهم من اعتمد رواية سرد الأسماء الحسنى، كما رواها الترمذي وضعفها، وفيها اختلاف، ومنهم من اقتصر على جمع تسعة وتسعين، ومنهم من زاد على ذلك. والغالب على من جمع أسماء الله الاقتصار على الأسماء المفردة، مما أخبر الله به عن نفسه، أو أخبر به رسوله ﷺ؛ مثل العزيز والحكيم والرفيق والجميل، دون الأسماء المضافة؛ كأرحم الراحمين وأسرع الحاسبين.

ولا ريب أن أكثر الأسماء المضافة أدل على الله وأخص به من أكثر الأسماء المفردة، وعمدة جميع العلماء في عد الأسماء الحسنى ذكرها في الكتاب والسنة، ولا يكادون يتفقون على ضابط فيما يعد من أسماء الله الحسنى، وأحسن ما يقال في ضابط الأسماء الحسنى -والله أعلم- أن كل ما يدعى الله به وقد تمدح الله به فهو من أسماء الله الحسنى، ويشمل ذلك الأسماء المفردة كالغفور والرحيم والفتاح العليم، والأسماء المركبة كأحسن الخالقين وخير الرازقين، ومن ذلك ذو الجلال والإكرام ونحوها[(١)]...

وبمراعاة هذا الضابط يتبين أن أسماء الله الحسنى لا تنحصر في تسعة وتسعين، فلا ينكر على من بلغ بها المئات إذا التزم هذا الضابط، وتتضح هذه الكثرة إذا اعتبرنا الأسماء المتقاربة في لفظها ومعناها، مثل: الملك والمليك ومالك يوم الدين وملك يوم الدين وملك الناس، ومن هذا الكبير والأكبر والكريم والأكرم، والعلي والمتعال، والقدير والمقتدر، والعليم وعالم الغيب والشهادة وعلام الغيوب، واعتبرنا اختلاف المضاف إليه اسمُ الرب: كرب العالمين ورب الفلق ورب الناس ورب العرش العظيم ورب السماوات والأرض، واختلاف المضاف إليه أفعلُ التفضيل صفة لله تعالى: كخير الناصرين وخير الغافرين وخير الراحمين، وكل هذه ونحوها ينطبق عليها الضابط المتقدم"[(٢)].

خامسا: أن من العلماء المتقدمين - قبل أن يوجد الإمام محمد بن عبدالوهاب وأتباعه-

---

(١) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية: ٥.

(٢) انظر: ضابط دقيق يتم من خلاله عد أسماء الله الحسنى http://iswy.co/e٤٥٦t في ١٤٣٩/٣/١.

من اجتهد في عدّ أسماء الله الحسنى، واختلفوا في العدد، ومن هم:

– ابن منده رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه التوحيد أثبت (١٤٨) اسماً.

– البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ [١] في كتابه الأسماء والصفات أثبت (١٥٤) اسماً.

– ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ [٢] في كتابه أحكام القرآن أثبت (١٤١) اسماً[٣].

فهل يقول الكاتب عنهم ما قاله عن أتباع دعوة الإمام؟!.

سادسا: إذا كان الاختلاف في عدّ الأسماء الحسنى وقع عند المتقدمين من أئمة العلم الكبار – ولم يثبت فيه دليل يرجع إليه–، فهل يعتبر الاختلاف في عد الأسماء الحسنى عند المتأخرين إلحادا وتناقضا؟ وهل قال بهذا أحد من أهل العلم؟

سابعا: كيف اعتبر الكاتب ما جمعه الشيخ سعيد بن وهف والشيخ محمد الحمود مخالف لغيرهم – حسب زعمه– من الملاحدة المجسمة الحشوية؟ فهل هو يوافقهم في جمعهم؟ أو تناقض يدل على جهله وعدم معرفته بأن ما كتبه الشيخان سيعد بن وهف ومحمد الحمود لا يخالف من قبلهم من المشايخ الذين ذكرهم.

ثامنا: من عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة التوسل لله ﷻ بأسمائه الحسنى؛ فكيف سيجيب الكاتب إذا قيل له هل عُدّ هذا الاسم من أسماء الله الحسنى أما لا؟.

---

(١) هو أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي. الحافظ الكبير. كتب الحديث وحفظه في صباه. صاحب التصانيف الكثيرة المشهورة، منها: السنن الكبرى، ودلائل النبوة، توفي سنة ٤٥٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: ١٨/١٦٣، وفيات الأعيان: ١/٥٧، وشذرات الذهب: ٣/٣٠٤.

(٢) هو محمد بن عبد الله بن عبد الله ابن العربي الأندلسى الأشبيلى المالكى، له من المصنفات: عارضة الأحوذى، وأحكام القرآن، والعواصم من القواصم، توفي سنة ٥٤٣ هـ. انظر: بغية الملتمس: ٩٢، ونفح الطيب: ٢/٢٥، وسير أعلام النبلاء: ٢٠/١٩٧.

(٣) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى: ٦٧.

المطلب الثالث عشر: دعوى أن إثبات العلو لله يلزم منه التحيز والتجسيم

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى أن إثبات العلو لله يلزم منه التحيز والتجسيم، مع أن الله منزه عن ذلك تعالى وتقدس.

يقول عبدالرحمن حجازي: "ومن أعجب العجائب أن الوهابية وأئمتهم في التجسيم والتشبيه، كابن تيمية في كتابه المسمى "مجموع الفتاوى" وابن قيم الجوزية في كتابه المسمى "القصيدة النونية" وابن باز في "موقعه الإلكتروني" وابن عثيمين في كتابه المسمى "فتاوى في العقيدة"، وابن جبرين في كتابه المسمى "التعليقات الزكية على العقيدة الواسطية" وعلى بن يحي بن حضرم وأحمد بن يحي النجمي في رسالة لهما اسمها "الاعتقاد أن الله تعالى في كل مكان من أفسد المعتقدات وأخبثها" ومحمد خليل هرّاس في "شرحه على نونية ابن قيم" وعبدالرحمن دمشقية في "كثير من كتاباته" وعبدالهادي وهبي في كتابه المسمى "غاية البيان في إثبات علو الرحمن" وأضرابهم من الذين أنكروا قيمة البرهان النقلي والعقلي ولجأوا لإثبات عقيدتهم الفاسدة المكذبة للقرآن التي هي نسبة الحيز والمكان إلى الله، وتعالى الله وتقدس عن ذلك لأنه سبحانه قال: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْأَخِرُ﴾ [الحديد: ٣]، وقال عليه الصلاة والسلام: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء» [رواه مسلم]... ومن كان كذلك كان موجوداً بلا مكان"(١).

ثم قال بعد أن ذكر بعض الأدلة على كلامه:

"وبعد هذه الأدلة القرآنية والحديثية لم يستح هؤلاء الوهابية لا من الله ولا من الناس، ولجأوا إلى فرعون الكذاب المفتري الذي ادعى الألوهية لنفسه واحتجوا به في عقيدتهم التي هي أوهى من بيت العنكبوت، فقال داعية فسادهم المدعو عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين في كتابه المسمى "التعليقات الزكية على العقيدة الواسطية" ما نصه: (الآية الرابعة: وهي قصة فرعون، حكى الله عنه أنه قال: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾ [غافر: ٣٦]، الصرح هو

---

(١) الأنوار الإيمانية في طمس ضلالات الوهابية: ٢٠٤.

البناء الرفيع والأسباب هي الحبال، ﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر: ٣٧]، أي حبال السماء فأصعد فيها حتى أصل إلى السماء فأطلع إلى إله موسى الذي يقول إنه في السماء هل هو صادق أم لا ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾[غافر: ٣٧]. هكذا ذكره الله تعالى في سورة مؤمن وغافر، وقال في سورة القصص: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨]. لعلي أتخذ بناء رفيعاً أصعد إليه حتى أصل إلى السماء لأنظر: هل في السماء إله كما يقول موسى أم لا، فأنا أظن أنه من الكاذبين ليس في السماء إله، هذا دليل على أن موسى أخبر فرعون أن إلهه في السماء... إلى آخره)"(١).

ثم استدل بقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ على معنى الآية التي ذكرها، ورد على الشيخ ابن جبرين فيها، وأن كلام ابن كثير يخالف ما ذكره الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى آخر كلامه.

فقال: "انظروا أيها الوهابية إلى تفسير حبيبكم ابن كثير لقول فرعون ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣]، قال ابن كثير في تفسيره ما نصه: يقول تعالى مخبراً عن كفر فرعون وطغيانه وجحوده في قوله: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣]؟ وذلك أنه كان يقول لقومه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾[الزخرف: ٥٤]، وكانوا يجحدون الصانع - تعالى- ويعتقدون أنه لا رب لهم سوى فرعون، فلما قال موسى ﴿إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزخرف: ٤٦]، قال له: ومن هذا الذي تزعم أنه رب العالمين غيري؟ هكذا فسره علماء السلف وأئمة الخلف، حتى قال السدي هذه الآية كقوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه: ٤٩ - ٥٠].

ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم أن هذا سؤال عن الماهية فقد غلط؛ فإنه لم يكن مقرا بالصانع حتى يسأل عن الماهية، بل كان جاحداً له بالكلية فيما يظهر، وإن كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه فعند ذلك قال موسى عندما سأله عن رب العالمين: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(١) المرجع السابق: ٢٠٥-٢٠٦.

﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾[الشعراء: ٢٤]، أي خالق جميع هذا ومالكه... إلى آخره"[١].

حقيقة هذه الدعوى:

هذه الدعوى قديمة[٢]، فإن هذه الألفاظ يدخلون في مسماها الذي ينفونه أموراً مما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله، فيدخلون فيها نفي رؤية الله؛ لأن رؤيته على اصطلاحهم لا تكون إلا لمتحيز في جهة وهو جسم، ثم يقولون: والله منزه عن ذلك فلا تجوز رؤيته.

وكذلك يقولون إن المتكلم لا يكون إلا جسماً متحيزاً، والله ليس بجسم متحيز فلا يكون متكلماً.

ويقولون: لو كان فوق العرش لكان جسماً متحيزاً، والله ليس بجسم متحيز، فلا يكون متكلماً فوق العرش.

ويقولون: لو كان في العلو لكان جسماً متحيزاً، والله ليس بجسم متحيز، فلا يكون في العلو وأمثال ذلك[٣].

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: قول الكاتب عن شيخ الإسلام ابن تيمية " في كتابه المسمى مجموع الفتاوى"، يدل على عدم معرفته بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فإن شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليس له كتاب بهذا الإسم؛ وإنما مجموع الفتاوى للشيخ عبدالرحمن بن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ جمع فيه بعض رسائل وفتاوى شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) المرجع السابق: ٢٠٧، وانظر: الإنصاف فيما أثير حوله الخلاف: ٢٧٥، وتهافت السلفية: ٧٤،و تحقيق مسائل مهمات من علم التوحيد والصفات: ١٧٤، والحنابلة واختلافهم مع السلفية المعاصرة: ٣٤٣.

(٢) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد: ٣٢-٣٤، والأسماء والصفات للبيهقي: ٣٠٧/٢، وأساس التقديس: ٢٨، والكشف عن مناهج الأدلة: ١٤٥.

(٣) درء التعارض: ٢٢٨/١.

ثانيا: أجمع السلف ﵃ أن الله فوق سمواته، على عرشه، بائن من خلقه، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته. وقد قال مالك بن أنس: "إن الله فوق السماء، وعلمه في كل مكان"[(١)]...

قال الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٥٧هـ): "كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله ﷻ فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته"[(٢)].

وقال الامام قتيبة بن سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٤٠هـ): "هذا قول الأئمة في الإسلام والسنة والجماعة: نعرف ربنا في السماء السابعة على عرشه ، كما قال جل جلاله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]" [(٣)].

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فهذا قتيبة في إمامته وصدقه قد نقل الإجماع على المسألة، وقد لقي مالكا والليث وحماد بن زيد ، والكبار وعمر دهرا وازدحم الحفاظ على بابه"[(٤)].

وقال الإمام زكريا الساجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣٠٧هـ): "القول في السنة التي رأيت عليها أصحابنا أهل الحديث الذين لقيناهم أن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء. انتهى. قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكان الساجي شيخ البصرة وحافظها وعنه اخذ أبو الحسن الاشعري علم الحديث ومقالات أهل السنة"[(٥)].

والله قد فطر العباد عربهم وعجمهم على أنهم إذا دعوا الله توجهت قلوبهم إلى العلو، ولا يقصدونه تحت أرجلهم.

ولهذا قال بعض العارفين: ما قال عارف قط: يا الله، إلا وجد في قلبه قبل أن يتحرك لسانه معنى يطلب العلو، لا يلتفت يمنة ولا يسرة...

---

(١) انظر: السنة لعبدالله بن الإمام أحمد: ١/١٠٦-١٠٧، ١/ ٢٨٠، والشريعة: ٣/١٠٧٦-١٠٧٧، والتوحيد لابن مندة: ٣/٣٠٧، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة: ٣/٤٠١.

(٢) انظر: مختصر العلو: ١٣٧، وفتح الباري: ١٣/٤١٧.

(٣) انظر: مختصر العلو: ١٨٧.

(٤) انظر: المرجع السابق: ١٨٧، درء تعارض العقل والنقل: ٦/٢٦٠، بيان تلبيس الجهمية: ٢/٣٧.

(٥) انظر: مختصر العلو: ٢٢٣ ، واجتماع الجيوش الاسلامية: ٢٤٥. واثنا عشر إجماعاً على علو الله تعالى على خلقه: http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=٢٣٠٩٤٩ في ١٤/١/١٤٣٩هـ.

فالأدلة الشرعية والعقلية والفطرية كلها متفقة على أن الله فوق مخلوقاته، عال عليها، قد فطر الله على ذلك العجائز والصبيان والأعراب في الكتاب، كما فطرهم على الإقرار بالخالق تعالى، وقد قال ﷺ في الحديث الصحيح: «كل مولود يولد على الفطرة؛ فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جَمعَاء هل تُحِسُّون فيها من جَدْعَاء؟» ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾[الروم: ٣٠](١)(٢).

وقال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " قال جماعة من المفسرين في هاتين الآيتين: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٧] إن (في) للظرفية، وأن السماء المراد بها: العلو، واحتجوا بذلك على أن الله سبحانه في جهة العلو فوق العرش"(٣).

ثالثا: أجمع السلف على أنه لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لا يوصف الله بأكثر مما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله بلا حد ولا غاية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ولا يبلغ الواصفون صفته، وصفاته منه ولا تتعدى القرآن والحديث(٤).

وقال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إن أهل الحق يصفون الله عَزَّوَجَلَّ بما وصف به نفسه عَزَّوَجَلَّ وبما وصفه به رسوله ﷺ وبما وصفه به الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وهذا مذهب العلماء ممن اتبع ولم يبتدع"(٥).

وقال ابن عبدالبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "... ما غاب عن العيون فلا يصفه ذوو العقول إلا بخبر، ولا

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، برقم: ١٣٥٨، وصحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، برقم: ٢٦٥٨.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: ٥/٢٥٨-٢٦١، وللمزيد: كتاب العلو للعلي الغفار للذهبي، وكتاب إثبات صفة العلو لابن قدامة.

(٣) مجموع فتاوى ومقالات ابن باز: ١/٢٥٧.

(٤) ذم التأويل لابن قدامة: ٢٢.

(٥) الشريعة: ٢٧٧.

خبر في صفات الله تعالى إلا ما وصف نفسه به في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، فلا تتعدى ذلك إلى تشبيه أو تمثيل أو تنظير فإنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١][١].

رابعا: أن أصل لفظ الحيز: " (حوز) الحاء والواو والزاء أصل واحد، وهو الجمع والتجمع، يقال لكل مجمع وناحية حوز وحوزة. وحمى فلان الحوزة، أي المجمع والناحية"[٢]. وحيّز الدار ما أنظم إليها من المرافق والمنافع، وكل ناحية على حدة حيّز[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأما الحيز فإنه فيعل من حازه يحوزه إذا جمعه وضمه، وتحيز وتفيعل، كما أن يحوز يفعل، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ [الأنفال: ١٦] ، فالمقاتل الذي يترك مكاناً وينتقل إلى آخر لطائفة تفيء إلى العدو، فاجتمع إليها وانضم إليها فقد تحيز إليها"[٤].

وأما عند المتكلمين فهم "يجعلون كل جسم متحيزاً، والجسم عندهم: ما يشار إليه، فتكون السموات والأرض وما بينهما متحيزاً على اصطلاحهم، وإن لم يسم ذلك متحيزاً في اللغة"[٥]

وهو من الألفاظ المجملة، وأهل السنة والجماعة يمسكون عنها ويعرضون عنها إعراضاً جملياً، وقد يستفصلون قائلها عن مراده، فإن أراد بها معنى صحيحاً قبلوا المعنى وطالبوه بالاعتصام بالكتاب والسنة، وإن أراد بها معنى باطلاً ردوه، وإن اشتمل على الحق والباطل أوقف اللفظ وفسر المعنى الصحيح[٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ الله: "وأصل ضلالتهم تكلمهم بكلمات مجملة، لا

---

(١) التمهيد: ١٤٥/٧، وانظر: جامع بيان العلم: ١١٣/٢.

(٢) مقاييس اللغة: ١١٧/٢.

(٣) انظر: لسان العرب: ٣٤٢/٥ – ٣٤٣، والقاموس المحيط: ٥٠٩.

(٤) بيان تلبيس الجهمية ١١٧/٢-١١٨.

(٥) منهاج السنة النبوية: ٥٥٥/٢. وانظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ٧٢٥/١.

(٦) انظر: شرح العقيدة الطحاوية: ١١٠، والتدمرية: ٦٥-٦٩.

أصل لها في كتابه، ولا سنة رسوله، ولا قالها أحد من أئمة المسلمين، كلفظ التحيز والجسم، والجهة ونحو ذلك"(١).

فإطلاق الحيز والمكان على الله تعالى نفياً أو إثباتاً، إن عنى به أن الله يحويه شيء من مخلوقاته فهذا لا يجوز إطلاقه على الله تعالى وقد وسع كرسيه السموات والأرض، وإن عنى به إثبات صفة العلو لله تعالى، والاستواء على العرش، فهذا إثباته صريح في نصوص الكتاب والسنة لا يجوز للمسلم بحال إلا اعتقادُ ذلك، وإثباتُه على الوجه اللائق به تعالى(٢).

فإذا تبين لنا معنى الحيز والمكان، وموقف السلف من اطلاقه على الله وأنهم يستفصلون في هذا اللفظ وأن الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأتباعه على منهج السلف؛ فإنه لا حجة للمناوئين في قولهم أن أتباع الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ يثبون هذا اللفظ أو ينفونه.

خامسا: أنه يقال لمن ينفي تلك الألفاظ المجملة: إن أردت أن تنفى عن الله عَزَّوَجَلَّ أن يكون جسماً كالأجسام، وجثة، وأعضاءاً، فالكلام الصحيح.

وإن أردت بذلك نفي الصفات الثابتة له التي ظننت أن إثباتها يقتضي التجسيم، ونحو ذلك من اللوازم الباطلة، فإن الكلام غير صحيح. هذا بالنسبة للمعنى.

أما بالنسبة للفظ فيجب ألا تعْدِل عن الألفاظ الشرعية في النفي أو الإثبات؛ لسلامتها من الاحتمالات الفاسدة (٣).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وهؤلاء يتكلمون بلفظ الجهة والحيز والمكان ويعنون بها تارة أمراً معلوماً وتارة أمراً موجوداً.

ولهذا كان أهل الإثبات من أهل الحديث والسلفية من جميع الطوائف منهم من يطلق لفظ (الجهة) ومنهم من لا يطلقه، وهما قولان لأصحاب أحمد والشافعي ومالك وأبي حنيفة

---

(١) مجموع الفتاوى: ٥/٢٦٠.

(٢) انظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: ٤/٣٨، ١٥٤، ٥/٥٦٦.

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية: ٢٢٠-٢٢١، ومصطلحات في كتب العقائد: ٦٥-٦٧.

وغيرهم من أهل الحديث والرأي.

وكذلك لفظ (المكان) منهم من يطلقه، ومنهم من يمنع منه.

وأما لفظ (المتحيز) فمنهم من ينفيه وأكثرهم لا يطلقه ولا ينفيه؛ لأن هذه ألفاظ مجملة تحتمل حقاً وباطلاً، وإذا كان كذلك فيقال: قول القائل (إن الله في جهة أو حيز أو مكان) إن أراد به شيئا موجودا غير الله فذلك من جملة مخلوقاته ومصنوعاته فإذا قالوا: إن الله فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه امتنع أن يكون محصورا أو محاطا بشيء موجود غيره سواء سمى مكانا أو جهة أو حيزا أو غير ذلك.

ويمتنع أيضاً أن يكون محتاجا إلى شيء من مخلوقاته: لا عرش ولا غيره بل هو بقدرته الحامل للعرش ولحملته فإن البائن عن المخلوقات العالي عليها يمتنع أن يكون في جوف شيء منها، وإذا قيل: إنه في السماء كان المعنى إنه في العلو وهو مع ذلك فوق كل شيء ليس في جوف السماوات فإن السماء هو العلو وكل ما علا فهو سماء...

فإذا قيل: فليمدد بسبب إلى السماء فقد يراد به السقف وإذا قيل: نزل المطر من السماء كان نزوله من السحاب.

وإذا قيل: العرش في السماء فالمراد به ما فوق الأفلاك وإذا قيل: الله في السماء فالمراد بالسماء ما فوق المخلوقات كلها أو يراد: أنه فوق السماء وعليها فأما أن يكون في جوف السماوات فليس هذا قول أهل الإثبات أهل العلم والسنة.

وإن أراد بمسمي الجهة والحيز والمكان أمراً معدوماً؛ فالمعدوم ليس شيئا فإذا سمى المسمى ما فوق المخلوقات كلها حيزاً وجهة ومكانا كان المعنى: أن الله وحده هناك ليس هناك غيره من الموجودات: لا جهة ولا حيز ولا مكان بل هو فوق كل موجود من الأحياز والجهات والأمكنة وغيرها سبحانه وتعالى.

... وهؤلاء النفاة كثيرا ما يتكلمون بالأوهام والخيالات الفاسدة ويصفون الله بالنقائص والآفات ويمثلونه بالمخلوقات بل بالناقصات بل بالمعدومات بل بالممتنعات.

فكل ما يضيفونه إلى أهل الإثبات الذين يصفونه بصفات الكمال وينزهونه عن النقائص

والعيوب وأن يكون له في شيء من صفاته كفوا أو سمي فما يضيفونه إلى هؤلاء من زعمهم أنهم يحكمون بموجب الوهم والخيال الفاسد أو أنهم يصفون الله بالنقائص والعيوب أو أنهم يشبهونه بالمخلوقات هو بهم أخلق وهو بهم أعلق وهم به أحق فإنك لا تجد أحدا سلب الله ما وصف به نفسه من صفات الكمال إلا وقوله يتضمن لوصفه بما يستلزم ذلك من النقائص والعيوب ولمثيله بالمخلوقات وتجده قد توهم وتخيل أوهاما وخيالات فاسدة غير مطابقة بنى عليها قوله من جنس هذا الوهم والخيال وأنهم يتوهمون ويتخيلون أنه إذا كان فوق العرش كان محتاجا إلى العرش كما أن الملك إذا كان فوق كرسيه كان محتاجا إلى كرسيه.

وهذا عين التشبيه الباطل والقياس الفاسد ووصف الله بالعجز والفقر إلى الخلق وتوهم أن استواءه مثل استواء المخلوق أو لا يعلمون أن الله يجب أن نثبت له صفات الكمال وننفي عنه مماثلة المخلوقات ؟ وأنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] لا في ذاته ولا في صفاته ولا أفعاله ؟ فلا بد من تنزيهه عن النقائص والآفات ومماثلة شيء من المخلوقات. وذلك يستلزم إثبات صفات الكمال والتمام التي ليس فيها كفو لذي الجلال والإكرام"[١].

سادسا: قول الكاتب عن أتباع دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنهم "لجأوا إلى فرعون الكذاب المفتري الذي ادعى الألوهية لنفسه واحتجوا به في عقيدتهم التي هي أوهى من بيت العنكبوت..."، وطعنه على الشيخ عبد الله بن جبرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فهذا من فهمه السقيم؛ فإن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يستدل بقول فرعون، وإنما استدل بقول موسى عليه السلام بأن ربه في السماء، ولذلك قال الشيخ عن فرعون أنه قال: " لأنظر: هل في السماء إله كما يقول موسى أم لا، فأنا أظن أنه من الكاذبين ليس في السماء إله، هذا دليل على أن موسى أخبر فرعون أن إلهه في السماء... إلى آخره".

فمن أثبت العلو فهو على طريقة موسى عليه السلام، ومن نفى العلو فهو على طريقة فرعون لعنه الله، فليختر العاقل لنفسه ما يشاء!

ثم إن الشيخ بين أن "المعتزلة والأشعرية ونحوهم قالوا: إن هذا ظن من فرعون، وإن من

---

(١) درء التعارض: ٧/١٥-٢١ باختصار.

اعتقد أن الله في السماء فقد تشبه بفرعون فهم عكسوا القضية، وقالوا: أنتم أيها المشبهة يا من تقولون: إن ربكم في السماء قدوتكم فرعون الذي قال: إن إله موسى في السماء"(١).

وهو الذي وقع فيه الكاتب من عكس القضية، وبتر الكلام.

سابعا: ما نقله الكاتب عن ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأن فرعون كان يجحد الصانع عند قوله: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣]: الخ.

فإن ما نقله عن ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ موافق لما ذكر الشيخ ابن جبرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث يقول الشيخ في الجواب عن عكسهم للقضية وأنهم يقولون أن قدوتنا فرعون: " فكيف نجيب، وكيف نرد عليهم هذا القول؟ نقول لهم: فرعون جاحد منكر أن يكون هناك إله، بل يدعي أنه هو فقط فيقول: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]. و ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]. فهو جاحد لا يقر بأن له إلها ولا ربا لا في السماء ولا في الأرض، فلما جاءه موسى وأخبره بأن هنالك إله، فلا بد أنه قد سأله أين هذا الإله الذي تزعم يا موسى ولا بد أن موسى أخبره بأن إلهه في السماء، ولو كان الله تعالى ليس في السماء بل في كل مكان كما تقوله المعتزلة، أو ليس في جهة؛ لما تكلف فرعون، ولما بنى ذلك الصرح، ولقال له موسى إن إلهي الذي أدعوك إليه ليس في السماء بل اطلبه في الأرض، واطلبه تحتك وعن يمينك وعن يسارك إلى آخره.

فهذا ونحوه دليل واضح على أنه تلقى هذا القول من موسى وإلا لم يتكلف بناء الصرح"(٢).

وأيضا فرعون لم ينكر وجود الرب سبحانه، وإنما يكابر بدليل قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤]، وقوله تعالى: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف:

(١) التعليقات الزكية على العقيدة الواسطية: ٢٣٣/١.

(٢) التعليقات الزكية على العقيدة الواسطية: ٢٣٣/١-٢٣٤. وانظر: مجموع الفتاوى: ٦٢٩/٧-٦٣٣، ٣٣٤/١٦-٣٣٥، مفاتيح الغيب: ١٢٧/٢٤-١٢٩، تفسير ابن كثير: ٣٣٢/٣، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: ٣١٠، والشرك في القديم والحديث: ٣٢١-٣٢٨.

١٢٧]، أي ويذرك وما تعبد؛ فإذا فرعون متعبد لآلهة غير ذاته[1].

ثامنا: أن معرفته وقراءته لكتب أهل السنة وجوابهم عن الشبه حجة عليه، فليعد للسؤال -عند وقوفه بين يدي الله - جوابا، وللجواب صوابا.

(١) انظر: تفسير الطبري: ٣٧/١٣.

المطلب الرابع عشر: دعوى التحكم في تأويل بعض آيات الصفات دون بعض

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى التحكم في تأويل بعض الصفات دون بعض، وأن هذا التأويل قول بلا دليل، ولم يقل به أحد من السلف.

يقول عبدالرحمن حجازي: "وأما قول بعض الوهابية إن الآيات المتشابهات التي ظواهرها أن الله في السماء لا تؤول وأما الآيات التي ظواهرها أن الله في الأرض أو أنه في جسم الإنسان كآية ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[الحديد: ٤]، وآية: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] فتؤول، فهذا تحكم منهم وقول بلا دليل، لم يقل هذا أحد من السلف إلا الوهابية وسلفهم من المشبهة"(١).

وقال أيضاً: "أهل السنة يقولون: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ﴾ [الفجر: ٢٢]، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ أي: ظهرت عجائب قدرة الله، لا يقولون: جاء الله من فوق إلى تحت، لا، هذا كفر.

الوهابية يقولون: الله يأتي من فوق إلى الأرض المبدلة ليُحاسب الخَلق جعلوا الله سبحانه وتعالى كالمليك الذي يُقابل الرعية. الذي يظن أن الوقوف بين يدي الله يوم القيامة القرب منه بالمسافة هذا ما عرف الله. الوهابية يُفسرون آيات القرآن على الظاهر وهذا لا يجوز، الذي يفسر كل آيات القرآن على الظاهر يكفر كما قال سيدنا أحمد الرفاعي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: صونوا عقائدكم من التمسك بظواهر ما تشابه من الكتاب والسنة فإن ذلك من أصول الكفر. أ.هـ. أي أوقع كثيراً من الناس في الكفر"(٢).

ثم قال: "أحمد بن حنبل يُجوّز التأويل الذي هو موافق لكتاب الله وسنة رسوله ولغة العرب لذلك أوّل قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، قال: (جاء أمره)، وفي رواية: (جاءت قدرته)، معناه الله يُظهر يوم القيامة أهوالاً عظيمة، هي آثار قدرة الله، ولو

---

(١) الأنوار الإيمانية في طمس ضلالات الوهابية: ٧١-٧٢.

(٢) المرجع السابق: ١٠٩.

كان الإمام أحمد مجسماً كأدعياء السلفية في هذا الزمان لما أوّل الآية ولكان أخذ بظاهرها.

أما المجسمة أدعياء السلفية فيقولون: "التأويل تعطيل"أ.هـ. والتعطيل هو نفي وجود الله تعالى أو صفاته فيكونون بذلك حكموا على أحمد بالكفر لأنهم جعلوه معطلاً، فكيف بعد ذلك يدّعون الانتساب إليه" [١].

حقيقة هذه الدعوى:

هذه الدعوى قديمة[٢]، وهي محاولة نسبة التأويل للسلف، حتى يكون ذلك مدخلا ومستمسكا للمؤولة في تأويل الصفات[٣].

الجواب عن هذه الدعوى:

أولاً: التأويل، جاء في لسان العرب: " الأوْل: الرجوع: آل الشيء يؤول أولاً ومآلاً: رجع، وأول إليه الشيء: رجعه، وآلت عن الشيء: ارتددت ...والإيل والأيل: من الوحش، وقيل هو الوعل، قال الفارسي: سمي بذلك لمآله إلى الجبل يتحصن فيه ...وقال أبو عبيد في قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، قال: التأويل المرجع والمصير، مأخوذ من آل يؤول إلى كذا أي صار إليه، وأولته: صيرته إليه"[٤].

والتأويل: "تفعيل من أول يؤول تأويلاً، وثلاثيه آل يؤول: أي رجع وعاد"[٥].

وقال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أول الحكم إلى أهله: أي أرجعه ورده إليهم... وآل الجسم إذا نحف، أي رجع إلى تلك الحالة، ومن هذا الباب تأويل الكلام وهو عاقبته وما يؤول إليه،

---

(١) المرجع السابق: ١٥٩-١٦١. وانظر: الإنصاف فيما أثير حوله الخلاف: ٢١٠، ومغالطات السلفية: ١٣٤، ١٦٠، والمقالات السنية في كشف ضلالات ابن تيمية: ٢١٦/١، وركائز التوحيد في مدرسة محمد بن عبدالوهاب: ٦٨، ١١٠، وتحقيق مسائل مهمات من علم التوحيد والصفات: ١٤٦، والحنابلة واختلافهم مع السلفية المعاصرة: ٢٤٥.

(٢) انظر: قواعد العقائد: ١٣٥، وأساس التقديس: ٨١، وتحفة المريد: ٥٧.

(٣) انظر: جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية: ١٨٠ وما بعدها.

(٤) لسان العرب: ٣٢/١١-٣٤.

(٥) تهذيب اللغة: ٤٣٧/١٥.

وذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣]، ويقول: ما يؤول إليه في وقت بعثهم ونشورهم"(١).

إذا التأويل هو ما أول إليه أو يؤول إليه، أو تأول إليه، والكلام إنما يرجع ويعود ويستقر ويؤول إلى حقيقته التي هي عين المقصود به(٢).

وفي اصطلاح العلماء، له ثلاثة معان:

الأول: أن يراد بالتأويل حقيقة ما يؤول إليه الكلام، وهذا هو المعنى الذي يراد بلفظ التأويل في الكتاب والسنة، كقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:٥٣] ومنه قول عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا ولك الحمد: اللهم اغفر لي، يتأول القرآن»(٣).

الثاني: يراد بلفظ التأويل: (التفسير) وهو اصطلاح كثير من المفسرين، ومنهم ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الثالث: أن يراد بلفظ (التأويل): صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل عليه ظاهره إلى ما يخالف ذلك، لدليل منفصل يوجب ذلك، وهذا التأويل لا يكون إلا مخالفاً لما يدل عليه اللفظ ويبينه، وتسمية هذا تأويلاً لم يكن في عرف السلف، وإنما سمي هذا وحده تأويلاً طائفة من المتأخرين الخائضين في الفقه وأصوله والكلام، وهذا هو التأويل الذي اتفق سلف الأمة وأئمتها على ذمه، وصاحوا بأهله من أقطار الأرض، ورموا في آثارهم بالشهب...(٤). وهذا التأويل

---

(١) مقاييس اللغة: ١/١٥٩، وانظر: النهاية في غريب الحديث: ١/٨٠-٨١، مجموع الفتاوى: ١٣/٢٩٠-٢٩٤، والصواعق المرسلة: ١/١٧٥-١٧٨، والإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل: ٢٧-٥٠، وجناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية: ٥-١٢.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: ١٣/٢٩٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب التسبيح والدعاء في السجود، برقم: ٨١٧، وصحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود: ٢١٧.

(٤) مجموع الفتاوى: ٤/٦٩-٧٠، وانظر: ٣/٥٤-٦٨، ٢٨-٣٦، ١٣/٢٧٧-٣١٢، ١٣/٢٨٧، والصواعق المرسلة: ١/١٧٥-٢٣٣، وشرح الطحاوية: ٢٣١-٢٣٦.

الذي عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في مسألة الصفات والقدر ونحوها.

فالتأويل بالمعنى الأول والثاني هو الوارد في الشرع وعلى ألسنة أهل اللغة المتقدمين ولا شك في صحته ووضوحه، وأما التأويل بالمعنى الثالث الذي يذكر في اصطلاح المتأخرين فهو الذي يحتاج إلى العرض على القرآن والسنة وعرف السلف الصالح، فما كان عليه دليل شرعي صحيح صريح فهو التأويل الصحيح، وإلا فهو تأويل فاسد[١].

قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "التأويل نقل اللفظ عما اقتضاه ظاهره، وعما وضع له في اللغة إلى معنى آخر؛ فإن كان نقله قد صح ببرهان، وكان ناقِلُه واجبَ الطاعة فهو حق. وإن كان نقله بخلاف ذلك اطُّرِح، ولم يلتفت إليه، وحُكم لذلك النقل بأنه باطل"[٢].

يقول السبكي[٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التأويل هو حمل الظاهر على المحتمل المرجوح، فإن حمل لدليل فصحيح، أو ما يظن دليلاً ففاسد، أو لا لشيء فعبث لا تأويل"[٤].

وذكر ابن النجار[٥] رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه: "حمل ظاهر على محتمل مرجوح بلا دليل محقق لشبه يخيل للسامع أنه دليل، وعند التحقيق تضمحل"[٦].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والتأويل الذي يخالف ما دلت عليه النصوص، وما جاءت به السنة، هو التأويل الفاسد"، ثم بيّن أنه يطلق عليه التحريف المعنوي فقال: "والتحريف هو

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ١٣/٢٩٥-٢٩٦.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام: ١/٤٣.

(٣) تاج الدين أبو نصر عبدالوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، الشافعي، من مؤلفاته: طبقات الشافعية الكبرى، وجمع الجوامع، والأشباه والنظائر في الفقه، توفي سنة ٧٧١هـ. انظر: الدرر الكامنة: ٢/٤٢٥، وشذرات الذهب: ٦/٢٢١.

(٤) جمع الجوامع: ٢/٥٣. وانظر: شرح مختصر المنتهى: ٢/١٦٩، وتاج العروس: ٧/٢١٤.

(٥) تقي الدين محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحي المصري الحنبلي، الشهير بابن النجار، انتهت إليه رئاسة المذهب. له: منتهى الإرادات، وشرح الكوكب المنير، وغيرها، توفي سنة ٩٧٢هـ. انظر: شذرات الذهب: ٨/٣٩٠، والسحب الوابلة على ضرائح الحنابلة: ٢/٨٥٤.

(٦) شرح الكوكب المنير: ٣/٤٦١. وانظر: درء التعارض: ٥/٣٤٣، ٣٤٤، والصفدية: ١/٢٨٩، والفصل في الملل: ٢/٢٧٢، والصواعق المرسلة: ١/٣٤٣، ٣٤٥.

العدول بالكلام عن وجهه وصوابه إلى غيره، وهو نوعان: تحريف لفظه، وتحريف معناه... إلى أن قال: والمقصود أن التأويل يتجاذبه أصلان: التفسير، والتحريف، فتأويل التفسير هو الحق، وتأويل التحريف هو الباطل"(١).

وعليه فمن قال: التأويل الصحيح هو حمل ظاهر الفظ على المحتمل المرجوح بدليل يصيره راجحاً(٢)، تعريف صحيح إن أراد القائل بالدليل دليل الكتاب والسنة، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وبالجملة فالتأويل الذي يوافق ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة ويطابقها هو التأويل الصحيح"(٣).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ويجوز باتفاق المسلمين أن نفسر إحدى الآيتين بظاهر الأخرى ويصرف الكلام عن ظاهره؛ إذ لا محذور في ذلك عند أحد من أهل السنة، وإن سمي تأويلاً وصرفاً عن الظاهر فذلك لدلالة القرآن عليه، ولموافقة السنة والسلف عليه؛ لأنه تفسير للقرآن بالقرآن، ليس تفسيراً له بالرأي، والمحذور إنما هو صرف القرآن عن فحواه بغير دلالة من الله ورسوله والسابقين"(٤).

و يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فنحن لا ننكر التأويل، بل حقيقة العلم هو التأويل، والراسخون في العلم هم أهل التأويل، ولكن أي التأويلين؟ فنحن أسعد بتأويل التفسير من غيرنا وغيرنا أشقى بتأويل التحريف منا"(٥).

ثانيا: أنه لا بد من توافر بعض الضوابط حتى يكون التأويل صحيحاً وبه يتميز التأويل الصحيح من غيره، ومن هذه الضوابط:

الضابط الأول: أن يكون التأويل في إطاره ومجاله المحدد: فالنصوص الشرعية تنقسم إلى ثلاثة أقسام من حيث قبول التأويل وعدمه:

---

(١) الصواعق المرسلة: ١/١٨٧، ٢١٥، ٢١٧.

(٢) انظر: شرح مختصر المنتهى: ٢/١٦٩، شرح الكوكب المنير: ٣/٤٦١.

(٣) الصواعق المرسلة: ١/١٨٧.

(٤) مجموع الفتاوى: ٦/٢١.

(٥) الصواعق المرسلة: ١/٢١٩.

١- ما هو نص في مراد المتكلم لا يحتمل غيره، فهذا يمتنع دخول التأويل فيه أو تطرقه إليه، وهذا شأن عامة النصوص الشرعية الصريحة في معناها، كنصوص الصفات، والتوحيد والمعاد(١).

٢- ما هو ظاهر في مراد المتكلم وقد احتفت به قرائن تقويه، قال ابن القيم - رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " فهذا ينظر في وروده فإن اطرد استعماله على وجه واحد استحال تأويله بما يخالف ظاهره؛ لأن التأويل إنما يكون لموضع جاء نادراً خارجاً عن نظائره منفرداً عنها، فيؤول حتى يرد إلى نظائره، وتأويل هذا غير ممتنع لأنه إذا عرف من عادة المتكلم باطراد كلامه في توارد استعماله معنى ألفه المخاطب، فإذا جاء موضع يخالفه رده السامع بما عهد من عرف المخاطب إلى عادة المتكلم المطّردة... وقد صرح أئمة العربية بأن الشيء إنما يجوز حذفه إذا كان الموضع الذي ادعى فيه حذفه قد استعمل فيه ثبوته أكثر من حقه"...

ثم مثّل رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهذه القاعدة العظيمة بأمثلة منها، قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] حيث اطرد في جميع موارده في القرآن على هذا اللفظ، فتأويله باستولى باطل، وإنما كان يصح لو كان أكثر مجيئه بلفظ "استولى" ثم يخرج موضع عن نظائره، ويرد بلفظ "استوى"، فمثل هذا كان يصح تأويله باستولى، ثم قال: "فتفطن لهذا الموضع واجعله قاعدة فيما يمتنع تأويله من كلام المتكلم، وما يجوز تأويله"(٢).

٣- ما ليس بنص ولا ظاهر في المراد، بل هو مجمل يحتاج إلى بيان، وهذا القسم دائر بين ثلاثة أحوال:

أ- أن يكون مع هذا النص بيانه، ومثاله: قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] فرفع توهم صرف معنى "كلَّم" إلى أي معنى آخر بالمصدر المؤكد الذي لا يشك عربي اللسان أن المراد به إثبات تلك الحقيقة.

ب- أن يكون بيانه منفصلاً عنه في نص آخر، ومثاله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍ﴾

(١) انظر: الصواعق المرسلة: ١/٣٨٢-٣٨٣، بدائع الفوائد: ١/١٥.

(٢) الصواعق المرسلة: ١/٣٨٤-٣٨٦، وانظر: بدائع الفوائد: ٤/٩-١٠.

[الدخان: ٣] فبقي الإجمال في ماهية هذه الليلة، ومقدار بركتها، فجاء البيان في سورة أخرى، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣﴾ [القدر: ١ - ٣].

ج- أن يكون له عدة معان وليس معه ما يبين مراد المتكلم، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فهذا الأخير للتأويل فيه مجال واسع، وليس في كلام الله ورسوله من هذا النوع شيء من الجمل المركبة، وإن وقع في الحروف المقطعة المفتتح بها السور"(١). فظهر بهذا:

١- أنه لا تأويل في المنصوص وهو المسمى بواضح الدلالة.

٢- أن الظاهر يمتنع تأويله إلا بما يوافق عرف المتكلم وعادته المطردة.

٣- أن المجمل لابد أن يكون له مبين ويتعين المصير إليه.

٤- أنه لا يوجد في النصوص المتضمنة للمطالب الشرعية نص مجمل غير مبين.

الضابط الثاني: أن يحتمل اللفظ المؤول المعنى المصروف إليه عن ظاهره في ذلك التركيب الذي وقع فيه، وإلا كان تحريفاً وكذباً على اللغة، فإن اللفظ قد لا يحتمل ذلك المعنى لغة، وقد يحتمله لغة ولا يحتمله في ذلك التركيب الخاص، ولصحة التأويل لابد من اجتماع الأمرين معاً.

الضابط الثالث: أن يقوم دليل على أن المتكلم أراد المعنى المصروف إليه اللفظ عن ظاهره؛ ذلك لأن الأصل في الكلام هو الحقيقة والظاهر فلا يجوز العدول به عن حقيقته وظاهره إلا بدليل أقوى يسوغ إخراج الكلام عن أصله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ موضحاً هذا الضابط والذي قبله: "والمتأول عليه وظيفتان: بيان احتمال اللفظ للمعنى الذي ادعاه، وبيان الدليل الموجب للصرف إليه عن المعنى الظاهر"(٢).

وقال ابن القيم: "فمن عرف مراد المتكلم بدليل من الأدلة وجب اتباع مراده، والألفاظ لم تقصد لذواتها، وإنما هي أدلة يستدل بها على مراد المتكلم، فإذا ظهر مراده ووضح بأي طريق

---

(١) الصواعق المرسلة: ١/٢٩٢، ٣٨٩.

(٢) مجموع الفتاوى: ١٣/٢٨٨.

كان عمل بمقتضاه"[١].

الضابط الرابع: ألا يعود التأويل على أصل النص الشرعي بالإبطال، وذلك كتأويلهم قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر: ٢٢] بقولهم: وجاء أمر ربك، فإن هذا خبر صريح من الله بمجيئه هو مجيئاً يليق بجلاله، فتأويله بمجيء غيره بلا دليل إبطال لهذا النص الشرعي.

الضابط الخامس: أن يكون المعنى المصروف إليه عن ظاهره بما تجوز نسبته إلى الشارع، لأن المتأول يخبر عن مراد الشارع، ولذا يقول بعض العلماء: "التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وبعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط"[٢].

الضابط السادس: الجواب عن المعارض؛ لكي يكون التأويل صحيحاً لابد من الجواب عن المعارض، فإن مدعي الحقيقة والظاهر قد أقام الدليل العقلي والسمعي على إرادة الحقيقة والظاهر، أما العقلي فمن وجهين عام وخاص: فالعام هو الدليل الدال على كمال علم المتكلم، وكمال بيانه، وكمال نصحه، والدليل الدال على ذلك أقوى بكثير من الشبه الخيالية التي يستدل بها المؤولة. وأما الخاص فإن كل صفة -مثلاً- وصف الله بها نفسه، أو وصفه بها رسوله ﷺ فهي صفة كمال قطعاً فلا يجوز تعطيل صفات كماله وتأويلها بما يبطل حقائقها، وذلك يقال في جميع النصوص الطلبية والخبرية، وأما الأدلة السمعية القاضية بأصالة الحقيقة والظاهر فتقارب ألف دليل كما يقول ابن القيم[٣] فعلى المتأول أن يجيب عن ذلك كله وهيهات.

هذه الضوابط إذا تحققت ساغ التأويل وكان صحيحاً، وإلا فلا، قال الآمدي: "وإذا عرف معنى التأويل فهو مقبول معمول به بشروطه، ولم يزل علماء الأمصار في كل عصر من عهد الصحابة إلى زمننا عاملين به من غير نكير"[٤].

ثالثا: قول الكاتب "وأما قول بعض الوهابية إن الآيات المتشابهات التي ظواهرها أن الله

---

(١) أعلام الموقعين: ٢١٨/١.

(٢) كشف الظنون: ٣٣٥/١.

(٣) انظر: الصواعق المرسلة: ٢٩٤/١.

(٤) الإحكام في أصول الأحكام: ٥٠/٣. وانظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل: ٩٦/٢، جناية التاويل الفاسد على العقيدة الإسلامية: ١٢-١٧.

في السماء لا تؤول وأما الآيات التي ظواهرها أن الله في الأرض أو أنه في جسم الإنسان كآية ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[الحديد: ٤]، وآية: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] فتؤول فهذا تحكم منهم قول بلا دليل، لم يقل هذا أحد من السلف إلا الوهابية وسلفهم من المشبهة".

أين قال أتباع هذه الدعوة المباركة أن ظواهر هذه الآيات أن الله في الأرض أو أنه في جسم الإنسان؟!

بل يقولون أن الله معنا بعلمه -كما يقوله السلف-، وهو مستوى على عرشه، قال الشيخ حمد بن معمر رَحِمَهُ اللَّهُ: " وكل ما في الكتاب والسنة، من الأدلة الدالة على قربه ومعيته، لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته ; فإنه سبحانه علي في دنوه، قريب في علوه ; وقد أجمع سلف الأمة، على أن الله سبحانه وتعالى فوق سماواته، على عرشه، وهو مع خلقه بعلمه أينما كانوا، يعلم ما هم عاملون"(١).

يقول ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: " وهو شاهد لكم أيها الناس أينما كنتم يعلمكم، ويعلم أعمالكم، ومتقلبكم ومثواكم، وهو على عرشه فوق سمواته السبع"(٢).

وقد نقل ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ إجماع الصحابة والتابعين على أنهم قالوا في معناها: هو على العرش، وعلمه في كل مكان(٣).

وبهذا قالت اللجنة الدائمة بالمملكة: " قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد: ٤] معناه عند أهل السنة والجماعة: أنه معهم بعلمه واطلاعه على أحوالهم"(٤).

فابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ يصرح بأن معنى الآية أن الله على عرشه ويعلم أعمالنا؛ بل ينقل ابن عبدالبر إجماع الصحابة والتابعين على ذلك قبل أن يولد شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، وقبل أن يخلق الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ. وبهذا يتبين أن المناوئ إنما يعارض ما تواتر النقل فيه عن السلف؛ بخلاف أتباع دعوة الإمام فإنهم يقولون بما قال به السلف.

---

(١) الدرر السنية: ٣/٦٢، ٩٥، ١٣٢، ١٣٨، ٣٠٦، وانظر: مجموع الرسائل والمسائل النجدية: ٤/٥٦١، ٧٠٨.

(٢) تفسير الطبري: ٢٣/١٦٩.

(٣) انظر: التمهيد: ٧/١٣٨، ومجموع الفتاوى: ٣/٢٣٦، ٥/٤٩٥.

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة: ٣ ٢١٨.

ثم لو قال المناوئ إن هذا الذي قلتم به تأويلٌ للآية، قيل: إن التأويل هنا جائز للقرينة الصارفة، ولا محذور في ذلك عند أحد من أهل السنة، وإن سمي تأويلاً وصرفاً عن الظاهر فذلك لدلالة القرآن عليه، ولموافقة السنة والسلف عليه. بخلاف قولكم بتأويل لا دليل عليه.

رابعا: قول الكاتب أن: "أهل السنة يقولون: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ﴾ [الفجر: ٢٢]، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ أي: ظهرت عجائب قدرة الله، لا يقولون: جاء الله من فوق إلى تحت، لا، هذا كفر.

الوهابية يقولون: الله يأتي من فوق إلى الأرض المبدلة ليُحاسب الخَلق جعلوا الله سبحانه وتعالى كالمليك الذي يُقابل الرعية".

هذا القول الذي انتقده على الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتضمن أمرين:

الأول: زعمه أن أهل السنة يقولون في تفسير الآية ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ أي: ظهرت عجائب قدرة الله. وهذا افتراء على السلف، وأين هذا القول في كتبهم؟

الثاني: قوله إن " الوهابية يقولون: الله يأتي من فوق إلى الأرض المبدلة ليُحاسب الخَلق"، فهذا ليس قولا للإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ بل هو قول السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، يقول ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ﴾ " يقول تعالى ذكره: وإذا جاء ربك يا محمد وأملاكه صفوفا صفا بعد صفّ"[(١)].

أما الإتيان إلى الأرض المبدلة فروى ابن جرير بسنده عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنه تلا هذه الآية ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾، قال: يبدّلها الله يوم القيامة بأرض من فضة لم يُعمل عليها الخطايا، ينزلها الجبَّار تبارك تعالى[(٢)].

فأتباع هذه الدعوة السلفية المباركة يقولون كما قال السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ ولا يخرجون عن أقوالهم.

وأما الزيادة في قول أتباع هذه الدعوة المباركة أنهم يقولون في مجيء الله: "كالمليك الذي

---

(١) تفسير الطبري: ٤١٧/٢٤. وانظر: التمهيد: ١٥٣/٧، والعلو: ١٧٩، والعرش: ٣٧٥/٢، ٣٨٦، ونقض الدارمي على بشر المريسي: ٣٤٣/١.

(٢) تفسير الطبري: ٤٧/١٧. وانظر: نقض الدارمي على المريسي: ١/ ٣٥٠، وتفسير ابن كثير: ٢٨٢/٣،

يُقابل الرعية "، فهذا افتراء عليهم أيضا، وأين هذا في كتبهم؟!

خامسا: استدل المناوئ بقول منسوب للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تأويل المجيء والإتيان؛ في قول الله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر: ٢٢] بمعنى: جاء ثوابه[١]، وترك غالب ما نقل عنه مما يخالف هوى المناوئ.

ومذهب سلف الأمة وأئمتها أنهم لا يتأولون مجيء الرب بمجيء ثوابه؛ كما أنهم لا يتأولون الرحمة بإرادة الإنعام، ولا المحبة بالرضى أو علامة القبول، ولا الساق بالشدة[٢]، وما نقل عن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما يخالف ذلك؛ كالذي نقله البيهقي وابن كثير[٣]، يجاب عنه من وجوه:

الوجه الأول: قيل: إن ذلك من رواية حنبل عنه، وحنبل ينقل عن أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما لا ينقل غيره، بل ينقلون خلافه[٤]. قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إن حنبلاً تفرد بها عنه، وهو كثير المفاريد المخالفة للمشهور من مذهبه، و إذا تفرد بما خالف المشهور عنه؛ فالخلال وصاحبه عبد العزيز لا يثبتون ذلك رواية، وأبو عبد الله بن حامد وغيره يثبتون ذلك رواية، والتحقيق أنها رواية شاذة مخالفة لجادة مذهبه، هذا إذا كان ذلك من مسائل الفروع؟ فكيف في هذه المسألة؟"[٥].

الوجه الثاني: قيل: إن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال ذلك على وجه الإلزام لخصومه.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " إنما قال ذلك إلزاما للمنازعين له؛ فإنهم يتأولون مجيء الرب بمجيء أمره، قال: فكذلك قولوا: يجيء كلامه مجيء ثوابه! وهذا قريب" [٦].

---

(١) انظر: زاد المسير: ٢٢٥/١، والجوهر المحصل في مناقب الإمام أحمد: ٨٢، ٨٥.

(٢) انظر: المنهج الأحمد في الذب عن مسند أحمد: ٢٤٥، وسير أعلام النبلاء: ٥٢/٣.

(٣) انظر: البداية والنهاية: ٣٢٧/١.

(٤) انظر: الدرر السنية: ٣٢٠/١، ٤٩٥، ١٤/٣-١١٥، ١٢١، ١٣٠، ٥٤٥/١٢، وغيرها من المواضع، وتعقبات على كتابة بعض الناس في العقيدة والتوحيد، مجلة البحوث الإسلامية العدد (٩): ١٣٥.

(٥) مختصر الصواعق المرسلة: ٣٩٥. وانظر: فتح الباري لابن رجب: ٢٧٩/٩.

(٦) الاستقامة: ٧٥/١.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فأحمد ذكر ذلك على وجه المعارضة والإلزام لخصومه بما يعتقدونه في نظير ما احتجوا به عليه، لا أنه يعتقد ذلك، والمعارضة لا تستلزم اعتقاد المعارض صحة ما عارض به"(١).

الوجه الثالث: أن يقال: إن ذلك وقع من أحمد ثم رجع عنه؛ لأن أكثر النقول عن أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ مصرحة بعدم التأويل في جميع الصفات، بل كان ينكر على من يتأول شيئا من آيات أو أحاديث الصفات، ويزجر من يفعل ذلك، وربما هجره وهجر مجلسه.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ولا ريب أن المنقول المتواتر عن أحمد يناقض هذه الرواية، ويبين أنه لا يقول: إن الرب يجيء ويأتي وينزل أمره، بل هو ينكر على من يقول ذلك"(٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ على رواية حنبل-: " وهذه رواية: إما شاذة، أو أنه رجع عنها؛ كما هو صريح عنه في أكثر الروايات، وإما أنها إلزام منه ومعارضة لا مذهب، وهذا الاختلاف وقع نظيره في مذهب مالك؛ فإن المشهور عنه وعن أئمة السلف إقرار نصوص الصفات والمنع من تأويلها، وقد روي عنه أنه تأول قوله: (ينزل ربنا)؛ بمعنى: نزول أمره، وهذه الرواية لها إسنادان:

أحدهما: من طريق حبيب كاتبه، وحبيب هذا غير حبيب، بل هو كذاب وضاع باتفاق أهل الجرح والتعديل، ولم يعتمد أحد من العلماء على نقله.

والإسناد الثاني: فيه مجهول لا يعرف حاله.

فمن أصحابه من أثبت هذه الرواية، ومنهم من لم يثبتها؛ لأن المشاهير من أصحابه لم ينقلوا عنه شيئاً من ذلك"(٣).

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ على الحكاية المنقولة عن مالك في تأويل النزول؛ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " وكذلك ذكرت هذه رواية عن مالك رويت من طريق كاتبه حبيب بن أبي حبيب، لكن هذا كذاب باتفاق أهل العلم بالنقل، لا يقبل أحد منهم

(١) مختصر الصواعق المرسلة: ٣٩١.

(٢) مجموع الفتاوى: ٥/٤٠١.

(٣) مختصر الصواعق المرسلة: ٣٩١. وانظر: زاد المعاد: ٥/٣٩٢، ومجموع الفتاوى: ١٦/٤٠٥.

نقله عن مالك، ورويت من طريق أخرى ذكرها ابن عبد البر، وفي إسنادها من لا نعرفه"(١).

سادسا: أن الحجة والعبرة بالدليل، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " فصل: وها هنا قاعدة يجب التنبيه عليها، وهي أنه إذا ثبت عن مالك وأحمد وغيرهما تأويل شيء في موارد النزاع لم يكن فيه أكثر من أنه وقع بينهم نزاع في معنى الآية أو الحديث، وهو نظير اختلافهم في تفسير آيات أو أحاديث؛ مثل تنازع ابن عباس وعائشة في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ [النجم: ١٣]؛ فقال ابن عباس: رأى ربه، وقالت عائشة: بل رأى جبرائيل. وكتنازع ابن مسعود وابن عباس في قوله تعالى: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الدخان: ١٠]؛ فقال ابن مسعود: هو ما أصاب قريشاً من الجوع، حتى كان أحدهم يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان. وقال ابن عباس: هو دخان يجيء قبل يوم القيامة. وهذا هو الصحيح... ونظائر ذلك؛ فالحجة هي التي تفصل بين الناس"(٢).

وعلى ذلك دل الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة؛ فمن جاء بالحجة؛ قبل قوله، ومن لم يأت بها؛ رد قوله، وإن كان عالماً جليلاً؛ فالحجة في كلام الله وكلام رسوله ﷺ وقد قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [النساء: ١٥٩]، والرد إلى الله الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول ﷺ الرد إلى سنته والتحاكم إليها.

سابعا: تناقض أهل البدع في الأخذ عن الأئمة، فالعجيب أن هؤلاء المعطلة يعظم عندهم مثل هذين النقلين- مع ما فيهما من كلام - وأما النصوص المتواترة المشتهرة عن الإمام أحمد وعن الإمام مالك في إثبات الصفات، والرد على الجهمية وأتباعهم، والتحذير من الخوض في علم الكلام وتأويل الصفات؛ فهذه لا حجة فيها عندهم على مذهب هذا الإمام الموافق لمذهب السلف(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى: ٥/٤٠١.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة: ٣٩١.

(٣) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة: ٣/١١٦٣-١١٦٤.

المطلب الخامس عشر: دعوى أن قاعدة: "الإثبات المفصل والنفي المجمل" ليست علمية

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى أن قاعدة "الإثبات المفصل والنفي المجمل" في صفات الله ﷻ ليست علمية، ولا يوجد في القرآن ما يمنع من النفي المفصل والإثبات المجمل.

يقول عمر عبدالله كامل في نقد قاعدة الإثبات المفصل والنفي المجمل التي يستدل بها أتباع دعوة الإمام: "لقد صرح ابن تيمية بأن الله سبحانه وتعالى بعث رسله بإثبات مفصَّل ونفي مجمل، ومن هنا أثبت السلف له سبحانه الصفات على وجه التفصيل، ونفوا عنه ما لا يصلح له من التشبيه والتمثيل – يقصد إجمالاً– انتهى بمعناه[1].

رداً على ذلك هاك قول الإمام أحمد بن حنبل في نفيه المفصل، فمن أين أتوا بهذه القاعدة التي خالفوا فيها إمام أهل السنة حينما نفوا نفياً تفصيلياً الأخذ بالمشابهة في الجوارح!

وورد في ذكر عقيدة الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"كان الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى يقول: لله تعالى يدان وهما صفة له، ليستا بجارحتين وليستا بمركبتين، ولا جسم ولا من جنس الأجسام، ولا من جنس الحدود والتركيب والأبعاض والجوارح، ولا يقاس على ذلك ولا له مرفق ولا عضد، لا فيما يقتضي ذلك من إطلاق قولهم يد إلا ما نطق به القرآن الكريم.."[2].ا.هـ.

فهذه القاعدة – الإثبات المفصل والنفي المجمل – قاعدة غائية وليست علمية، أي وضعت لغاية من أجل تحقيق مراد، فلا يوجد في القرآن الكريم ما يمنع النفي التفصيلي عند الحاجة لذلك، كما لا يوجد فيه ما يمنع الإثبات الإجمالي.

فأنت تعلم أن الله تعالى نفى بعض النقائص عن ذاته الشريفة تفصيلاً، فقال جل شأنه: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ [الإخلاص: ٣].

---

(١) التدمرية: ص٨.

(٢) ذيل طبقات الحنابلة: ٢/٣٩١.

كما نفى إجمالاً، فقال: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص: ٤]، وأثبت لنفسه الكمال الكلي العام في قوله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[البقرة: ٢٥٥]، كما نزه تفصيلاً فقال: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾[البقرة: ٢٥٥].

ولما نسب اليهود البخل لله تعالى، رد عليهم تفصيلاً فقال: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[المائدة: ٦٤].

وما معنى نفي الزوجة والولد عن الله تعالى! أليس هذا نفياً تفصيلياً ليُدفع به زعمهم القائل بإثباتهما له! تنزه وتعالى عن ذلك.

إذن، فطريقة النفي المجمل غير مسلَّم بها على الإطلاق، وهذا الذي فهمه السلف كما رأيت في قول الإمام أحمد.

وزيادة في التوضيح، فإن ثمة قاعدة أصولية غفلوا عنها، فكلمة "الإجمال" مصطلح معروف عند علماء الأصول، وحاصلها أنه لا يمكن العمل بها لاحتياجها إلى بيان، ولكون المجمل غير مبين، وغير المبين لا يُعمل به لعدم وضوح المعنى.

فالغافلون عن هذه القاعدة لا يجدون حرجاً عندما يثبتون تفصيلاً ما ينافي هذه الآيات الكريمة، فيقولون: الله له حد، وهو في جهة وفي حيز، وتَحُلُّ الحوادث في ذاته، وغير ذلك مما يناقض ظاهر الآيات الكريمة، وما ذلك إلا بسبب قاعدتهم الباطلة: "الإثبات التفصيلي والنفي الإجمالي" مع أنه لو لم يكن في القرآن إلا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] لكفى في نفي المشابهة والمماثلة، فالمولى سبحانه وتعالى لم يقل: ليس مثله شيء، وإنما جاءت الآية بكاف التشبيه، أي ليس من شبيه لمثله، فإذا كان المثل ممتنعاً فشبهه أشد امتناعاً، وهذا فهم أئمة السلف كالإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فالنفي في الآيات نفي كلي أو عام، وهذا النفي قاطع ويجب العمل به، وليس مجملاً ولا يتوقف على بيان؛ لأن العموم مبين والنفي الكلي قاطع في محله، فهذه الآيات مُحكمة غير متشابهة، واضحة وبينة لا تتوقف على بيان، لذا فهي الحَكَم عندنا"[1].

---

(١) الإنصاف فيما أثير حوله الخلاف: ٢٦٧-٢٦٩، وانظر: مغالطات السلفية: ٢٠٠، نقض قواعد التشبيه من أقوال السلف ممن قالوا بالإمرار والتفويض: ٧٥.

حقيقة هذه الدعوى:

هو ظن المناوئ أن دعوة الإمام تقول في صفات الله بـ "قاعدة الإثبات المفصل والنفي المجمل" على الاطلاق، وأنه لا يوجد إثبات مجمل ونفي مفصل، وأن عدم النفي التفصيلي يلزم منه النقص في تنزيه الله تعالى[١].

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: سلك المتكلمون في باب الصفات مسلكا مغايرا لما جاء في الكتاب والسنة، وهو أنهم يفصلون في النفي، ويجملون في الإثبات، فيقولون: إن الله لا فوق ولا تحت، ولا جوهر ولا عرض، ولا جسم ولا صورة، ولا ساكن ولا متحرك، ولا داخل العالم ولا خارجه، ولا يحب ولا يرضى، وهكذا[٢].

بينما جاء القرآن الكريم والسنة النبوية بخلاف ذلك، حيث جاء بالإثبات المفصل والنفي المجمل، وعلى هذا جاءت طريقة السلف، وعلى هذه الطريقة سار شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ والإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فلا ينكر على من سار على طريقة القرآن والسنة وسلك سبيل المؤمنين.

وهم لا يريدون بذلك أنه لا يقع في القرآن إثبات مجمل ولا نفي مفصل، وإنما يريدون بيان أصل القاعدة عند أهل السنة المخالفة لقاعدة المخالفين لهم، وإلا فإنه قد جاء في القرآن إثبات مجمل في أسماء الله، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠] فهذا إثبات مجمل، حيث لم تذكر الأسماء في هذا السياق، نحو: السميع، أو البصير، أو العزيز، أو ما إلى ذلك.

---

(١) انظر: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: ٥٨-٦٨، وأم البراهين: ٢٣-٣٢، وتحفة المريد شرح جوهرة التوحيد: ٩٦، ومقالات الإسلاميين: ١٥٥-١٥٦، ونقض الرسالة التدمرية: ١١ وما بعدها، ومنهج أهل السنة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى: ٥٥٥.

(٢) انظر: المراجع السابقة.

وقد جاء الإثبات المجمل في الصفات في القرآن كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠] أي: الوصف الأعلى، فهذا مجمل، حيث لم يذكر الله في الآية صفة الرضا، أو المحبة، أو العلم، أو القدرة، أو ما إلى ذلك من الصفات، إنما قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.

ويأتي النفي مفصلاً في القرآن أحياناً؛ كقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] وقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[البقرة: ٢٥٥] فهذا نفي لصفة السِّنَة، وصفة النوم، وصفة الظلم، وهو نفي مفصل.

ويأتي النفي مجملاً في القرآن أحياناً؛ كقول الله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨].

فقول أهل السنة بإثبات مفصل ونفي مجمل هذا من حيث الأصل والقاعدة، فإن الغالب في كلام الله وكلام نبيه ﷺ هو ذكر التفصيل في مقام الإثبات، وذكر الإجمال في مقام النفي، وإلا فإن هذا يقع وهذا يقع.

ثانيا: أن كل نفي مفصل في القرآن فإنه يتضمن أمراً ثبوتياً(١)؛ فلما نفى الله عن نفسه الظلم في قوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩] دل ذلك على إثبات العدل، فكان نفي الظلم يتضمن كمال العدل، ولذلك هذا النفي المفصل يقال: إنه يتضمن أمراً ثبوتياً وهو كمال الضد، ولما نفى عن نفسه السِنة والنوم في قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥] دل ذلك على كمال حياته وقيوميته؛ والله تعالى لا يبتدئ بذكر النفي المفصل في أوائل الآيات في كتابه الكريم، إنما الذي يُبتدأ به هي صفات الإثبات، ولذلك لما قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[البقرة: ٢٥٥]، ثم قال سبحانه بعد ذلك: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ من باب تحقيق كمال حياته وقيوميته(٢).

ومن الأمثلة كذلك على تضمن النفي لإثبات صفات الكمال قول الله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[البقرة: ٢٥٥] لكمال غناه وملكه وربوبيته، وقوله تعالى: ﴿لَا

(١) انظر: تقريب التدمرية: ٢٠-٢٢.

(٢) انظر: الرسالة التدمرية: ٤-٥، ومجموع التفاوى: ٣/٤-٥، ودرء التعارض: ٦/٣٤٨.

يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [سبأ: ٣] لكمال علمه، وقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦]، وقوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴾ [غافر: ٣١] لكمال عدله علمه وغناه ورحمته.

وقوله تعالى: ﴿ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴾ [الإخلاص: ٣] لكمال صمديته، وقوله تعالى: ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾ [الإخلاص: ٤] لتفرده بالكمال المطلق الذي لا يشاركه فيه غيره، وقوله تعالى: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] لعظمته وإحاطته بما سواه، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه واسع فيرى ولكن لا يحاط به إدراكاً، كما لا يعلم ولا يُحاط، فيرى ولا يحاط به رؤية[١]. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على تنزيه الله تعالى عن النقائص والعيوب مع ثبوت كمال ضدها الواجب الثابت لله تعالى الذي هو من لوازم ذاته عَزَّوَجَلَّ.

ثالثا: أن هذه الطريقة التي سلكها أهل السنة في الإثبات والتنزيه موافقة لصريح المعقول الموافق لصحيح المنقول، فإن العقل السليم ينكر عكسها، وذلك لأن النفي المفصل عند العقلاء مسبة وإساءة ادب حتى في المخلوق، فإنه لو قال أحد لسلطان: أنت لست بزبال ولا كساح، ولا حجام، ولا حائك، ولا كناس، لأدبه على هذا الوصف وإن كان صادقاً وإنما يكون مادحاً إذا أجمل النفي، فقال: أنت ليست مثل أحد من رعيتك، أنت أعلى منهم وأشرف، ومن أجمل في النفي أجمل في الأدب[٢].

قال الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ "واعلم أن الصفات الثبوتية التي وصف الله بها نفسه كلها صفات كمال، والغالب فيها التفصيل لأنه كلما كثر الإخبار عنها وتنوعت دلالتها ظهر من كمال الموصوف بها وعُلم ما لم يكن معلوماً من قبل، ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي

---

(١) انظر: الرسالة التدمرية: ١٩-٢٠، ومجموع الفتاوى: ٣/٣٥-٣٦، ومنهاج السنة: ٢/٣١٩-٣٢٠، والصواعق المرسلة: ٣/١٠٢٠-١٠٢٢، ٤/١٤٤٣-١٤٤٥، ١٤٥٢، وبدائع الفوائد: ١/١٤٤، ١٤٦ وشرح العقيدة الطحاوية: ١٠٨.

(٢) انظر: الرسالة التدمرية: ٥-١١، ومجموع الفتاوى: ٣/٤-١٦، ٦/٣٧-٣٨، ٦٦، ودرء التعارض: ٥/١٦٣-١٦٤، ٦/٣٤٨، ومنهاج السنة: ٢/٢١٩، والصواعق المرسلة: ٣/١٠٢٠، ٤/١٤٤٣، وشرح العقيدة الطحاوية: ١٠٨، والقواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى: ٢٣-٢٤، وفتح رب البرية بتلخيص الحموية: ٥٤.

أخبر الله بها عن نفسه أكثر من الصفات التي نفاها عن نفسه.

وأما الصفات المنفية التي نفاها الله عن نفسه فكلها صفات نقص ولا تليق به تعالى كالعجز واللغوب والظلم، ومماثلة المخلوقين، والغالب فيها الإجمال؛ لأن ذلك أبلغ في تعظيم الموصوف، وأكمل في التنزيه، فإن تفصيلها لغير سبب يقتضيه المقام فيه سخرية وتنقص بالموصوف، ولهذا جاء النفي المفصل في تنزيه الله تعالى عما نسبه إليه المشركون من الولد، والصاحبة، فقال تعالى: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص: ٣ - ٤] فهذا نفي اقتضاه المقام وهو قليل جداً(١).

رابعا: أن الصفات المنفية في القرآن والسنة تذكر غالبا في خمسة أحوال:

الأولى: النفي المجمل للدلالة على عموم كمال الرب بسلب جميع النقائص والعيوب عنه على سبيل العموم والشمول لكل فرد من أفراد ما يضاد الكمال من النقائص، كما في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤].

الثانية: نفى ما ادعاه في حقه الكاذبون كما في قوله: ﴿ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝٩١ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ [مريم: ٩١-٩٢].

الثالثة: دفع توهم نقص من كماله فيما يتعلق بهذا الأمر المعين كما في قوله: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾ [الدخان: ٣٨]، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨].

الرابعة: تهديد الكافرين في مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٥].

الخامسة: توسيع دائرة الإثبات بإثبات أضدادها من صفات الكمال فنفى السنة والنوم إثبات لكمال حياته وإحاطة علمه وكمال قدرته، ونفي الصاحبة والولد إثبات لصمديته وعظمته(٢).

---

(١) انظر: تقريب التدمرية: ٢-٢٢.

(٢) انظر: النفي في صفات الله تعالى: ١١٣، وشرح العقيدة الواسطية للعثيمين: ١/١٤٦، ٢٠٧، والقواعد الكلية في

خامسا: ما نقله الكاتب منسوبا للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "كان الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى يقول: لله تعالى يدان وهما صفة له، ليستا بجارحتين وليستا بمركبتين، ولا جسم ولا من جنس الأجسام، ولا من جنس الحدود والتركيب والأبعاض والجوارح، ولا يقاس على ذلك ولا له مرفق ولا عضد، لا فيما يقتضي ذلك من إطلاق قولهم يد إلا ما نطق به القرآن الكريم.."ا.هـ.

فهذا النقل ليس موجودا كما ذكر أنه في ذيل طبقات الحنابلة: ٣٩١/٢، بل هو موجود في طبقات الحنابلة: ٢٩٤/٢ بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقي. وهي من الرسائل التي أضافها المحقق في أخر الكتاب وليست من الكتاب(١).

وهذا النقل جزء من رسالة صنفها أبي الفضل عبدالواحد بن عبدالعزيز التيمي(٢) لبيان عقيدة الإمام أحمد على هيئة الاختصار؛ ولكنه سردها بألفاظ نفسه، ولم يلتزم ألفاظ الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولم يفهما " وجعل يقول: (وكان أبو عبد الله). وهو بمنزلة من يصنف كتابا في الفقه على رأي بعض الأئمة ويذكر مذهبه بحسب ما فهمه ورآه وإن كان غيره بمذهب ذلك الإمام أعلم منه بألفاظه وأفهم لمقاصده؛ فإن الناس في نقل مذاهب الأئمة قد يكونون بمنزلتهم في نقل الشريعة. ومن المعلوم: أن أحدهم يقول: حكم الله كذا أو حكم الشريعة كذا بحسب ما اعتقده عن صاحب الشريعة؛ بحسب ما بلغه وفهمه وإن كان غيره أعلم بأقوال صاحب الشريعة وأعماله وأفهم لمراده"(٣).

ثم إن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ – حسب ما نقل عنه – في نفس هذا الموضع من الرسالة أثبت لله صفة اليد ونفى عنها التأويل، حيث يقول: " وكان يقول إن لله تعالى يدين، وهما صفة له في ذاته ليستا بجارحتين وليستا بمركبتين ولا جسم ولا من جنس الأجسام ولا من جنس

الأسماء والصفات: ١٥٦، والمجلى في شرح القواعد المثلى: ١٩٥-١٩٦.

(١) انظر: مقدمة تحقيق طبقات الحنابلة للعثيمين: ٩٢/١.

(٢) أبو الفضل، عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث، التميمي البغدادي الحنبلي الفقيه، كان صديقا للقاضي أبي بكر بن الباقلاني ومودادا له، له من المؤلفات: اعتقاد الامام المبجل أحمد بن حنبل، توفي سنة (٤١٠). انظر: سير أعلام النبلاء: ٢٧٣/١٧، طبقات الحنابلة: ١٧٩/٢.

(٣) مجموع الفتاوى: ١٦٧/٤. وانظر: مقدمة تحقيق كتاب اعتقاد الإمام المنبل أبي عبدالله أحمد بن حنبل: ٧. وانظر في تأثر أبي الفضل بعلم الكلام: مجموع الفتاوى: ٥٧٥/٥، ٣٦٧/١٢، و درء التعارض: ١٧/٢.

المحدود والتركيب ولا الأبعاض والجوارح، ولا يقاس على ذلك، ولا له مرفق ولا عضد ولا فيما يقتضي ذلك من إطلاق قولهم يد إلا ما نطق القرآن به أو صحت عن رسول الله ﷺ السنة فيه، قال الله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال رسول الله ﷺ: «كلتا يديه يمين» وقال الله ﷻ: ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥] وقال: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، ويفسد أن تكون يده القوة والنعمة والتفضل؛ لأن جمع "يد" "أيد"، وجمع تلك "أياد" ولو كانت اليد عنده القوة لسقطت فضيلة آدم وثبتت حجة إبليس".

فهو يقول: " إن لله تعالى يدين، وهما صفة له في ذاته "، " ولا يقاس ذلك"، فأثبت الصفة ونفى القياس على المخلوق، ويقول: " إلا ما نطق به القرآن أو صحت عن رسول الله ﷺ" وفيه إثبات ما أثباته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ.

ثم ذكر نفى تأويل اليد بالقدرة والنعمة " ويفسد أن تكون يده القوة والنعمة والتفضل "، فهل يقول الكاتب بإثبات هذه الصفة لله تعالى؟!

سادسا: استدلال الكاتب بمصطلح "الإجمال" عند علماء الأصول، وكون المجمل يحتاج إلى مبين، وهذا يخالف الإجمال في قاعدة " النفي الإجمالي"؛ لأن النفي الوارد في القرآن نفي كلي أو عام وقاطع ويجب العمل به ولا يحتاج إلى مبين.

فنقول: إن المجمل عند علماء الأصول غير المجمل المذكور في هذه القاعدة؛ فإن المجمل عند علماء الأصول يريدون به: ما لم تتضح دلالته، وقيل: ما تردد بين محتملين فأكثر على السواء، أو ما لا يكفي وحده في العمل به[١]، ويتكلمون فيه في باب الأحكام[٢].

أما المجمل في هذه القاعدة فلا يقصد به ما لم تتضح دلالته، أو تردد بين محتملين، وإنما يقصد المجمل الذي يفيد جملة من الأشياء، وهو موافق للغة[٣].

ثم هل قال أحد من علماء المسلمين عن هذه الآية التي ذكرها الكاتب، وهي قوله تعالى:

---

(١) انظر: شرح الكوكب المنير: ٤١٤/٣، المختصر في أصول الفقه: ١٢٦، المعتمد في أصول الفقه: ٢٩٣/١، مجموع الفتاوى: ٣٩١/٧-٣٩٢، المجمل ودلالته على الأحكام: ٣٨، ، المجمل والمبين في القرآن: ٢.

(٢) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه: ٢٠٣/٢، شرح الكوكب المنير: ١٥٠/٢.

(٣) انظر: لسان العرب: ١٢٨/١١، والقاموس المحيط: ٩٧٩.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ أنها ليست محكمة؟! أو من المجمل الذي لم تتضح دلالته أو مما تردد بين محتملين فأكثر على السواء كما يقول علماء الأصول؟!

بل أهل السنة يقولون إنها من الأدلة القاطعة المحكمة العامة على النفي الكلي والعام لمماثلة أي شيء لله ﷻ.

المطلب السادس عشر: دعوى أن دعوة الإمام من المذاهب الكلامية

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى أن دعوة الإمام من المدارس أو المذاهب الكلامية.

يقول أحمد محمود كريمة عن العقيدة وتأثرها بعلم الكلام: "ثم لما حل العصر العباسي بحركته العلمية الواسعة وحصلت الترجمات ومال الناس إلى الافتراضات الجدلية في علوم المنطق والفلسفة وما ماثلها، حل علم الكلام محل العقيدة كمكون أساسي للثقافة الإسلامية وظهرت مدارس أو مذاهب كلامية (الأشعرية)، (الماتريدية)، (المعتزلة) (الوهابية)،... إلخ"[١].

حقيقة هذه الدعوى:

لم أجد - حسب علمي- من وصف دعوة الإمام بأنها مذهب كلامي أو أنها مدرسة ظهرت ضمن المدارس الكلامية؛ فضلا أن يجعلها قرينة للمعتزلة والماتريدية والأشاعرة، وإن كان وجد من ألحقها بفرقة الوهابية الرستمية[٢] نسبة إلى عبد الوهاب رستم[٣] والتي ظهرت في القرن الثاني الهجري، وهي فرقة إباضية خارجية، وبعضهم يسميها الراسبية نسبة إلى مؤسسها الأصلي عبد الله بن وهب الراسبي[٤].

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: علم الكلام: علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية ودفع الشبه بالأدلة العقلية[٥].

وعرفه الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: "هو ما أحدثه المتكلمون في أصول الدين

(١) تهافت السلفية: ٣٣، ٣٥، وانظر: من هم أهل السنة والجماعة: ١٢٣، تحقيق مسائل مهمات من علم التوحيد والصفات: ٣٥.

(٢) انظر: تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية: ٥٨، ٦١، المغرب الكبير: ٢/٥٥٥-٥٥٧.

(٣) عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، مؤسس الوهابية الإباضية، وإمام الدولة الرستمية التي أسسها أبيه عبد الرحمن بن رستم، المتوفى عام ١٩٧هـ. انظر: أخبار الأئمة الرستميين: ٢٨، والمغرب الكبير: ٥٥١-٥٥٧.

(٤) عبد الله بن وهب الراسبي من بني راسب قبيلة معروفة، أدرك الجاهلية، من رؤوس الحرورية، وكان أمير الخوارج بالنهروان لما قاتلهم علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. انظر: لسان الميزان: ٤/٤٧٥، ٥/٣٦، والإصابة في تمييز الصحابة: ٥/٧٨.

(٥) انظر: المواقف: ١/٣١، تاريخ ابن خلدون: ٥٨٠.

من إثبات العقائد بالطرق التي ابتكروها، وأعرضوا بها عما جاء بالكتاب والسنة"[١].

وهذا العلم قد ذمه السلف[٢]، ووقفوا منه موقفا صلبا، وذموه بأقبح الذم، واقتفى أثرهم في ذم علم الكلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكذلك الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فكيف ينسب من سار على منهج السلف إلى علم الكلام، يقول الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " لأن يبتلى المرء بكل ما نهى عنه ما عدا الشرك به، خير من النظر في الكلام، فإني والله اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننته قط"[٣].

بل إنه رأى الحكم بضربهم وتعزيرهم، فقال: "حكمي في أهل الكلام: أن يضربوا بالجريد، ويجلسوا على الإبل، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، وينادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام"[٤].

وعنده أن كتب الكلام لا تدخل في مسمى العلم عند الإطلاق، حيث قال: "لو أن رجلاً أوصى بكتبه من العلم لآخر، وكان فيها كتب الكلام لم تدخل في الوصية؛ لأنها ليست من العلم"[٥].

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لا تجالسوا أهل الكلام، وإن ذبوا عن السنة"[٦]. وقال: "لا يفلح صاحب كلام أبداً، ولا تكاد ترى أحداً نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل"[٧]. وقال: "علماء الكلام زنادقة"[٨].

---

(١) فتح رب البرية: ٧٦. وانظر: العقائد النسفية: ٦، وتاريخ ابن خلدون: ٥٨٠-٥٨٥، والمعتزلة لزهدي جارالله: ٣٤٦.

(٢) انظر: النبوات: ١٤٥.

(٣) الحلية: ٩/١١١، وذم الكلام للهروي: ص٣٥٥، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: ١/١٤٦.

(٤) ذم الكلام: ٣٥٦.

(٥) المرجع السابق: ٣٥٧.

(٦) مناقب الإمام أحمد: ص ٢٠٥.

(٧) جامع بيان أهل العلم وفضله: ٢/٩٥.

(٨) تلبيس إبليس: ٨٣.

وقال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: "إياك والنظر والجلوس إلى أصحاب الكلام، وعليك بالآثار وأهل الآثار، وإياهم فسأل، ومعهم فاجلس، ومنهم فاقتبس"[(٢)].

وقال: "اعلم أنه لم تكن زندقة ولا كفر ولا شكوك، ولا بدعة، ولا ضلالة ولا حيرة في الدين إلا من الكلام، وأهل الكلام والجدل والمراء والخصومة والعجب"[(٣)].

وقال الحافظ ابن رجب[(٤)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فأما الدخول مع ذلك في كلام المتكلمين، أو الفلاسفة، فشر محض، وقل من دخل في شيء من ذلك إلا وتلطخ ببعض أوضارهم"[(٥)].

والآثار عن السلف في ذم الكلام وأهله والتحذير منهم أكثر من أن تحصى[(٦)].

ومن نظر في كتب الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجد أنه يعتمد على الكتاب والسنة وأقوال السلف والمعقول الصحيح المستند إليها، وأما علم الكلام المذموم -والذي يعتمد على الألفاظ المنطقية والأقيسة العقلية- فلا أثر لها في كتبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولا أتباعه[(٧)].

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إحدى رساله في الجواب عن أن أول واجب على المكلف هو النظر: " قولك: أول واجب على كل ذكر وأنثى: النظر في الوجود، ثم معرفة العقيدة، ثم علم التوحيد. وهذا خطأ، وهو من علم الكلام الذي أجمع السلف على ذمه"[(٨)].

---

(١) هو أبو محمد الحسن بن علي بن خلف، شيخ الحنابلة في وقته، كان عالماً زاهداً، فقيهاً، واعظاً. توفي سنة ٣٢٩هـ.
انظر: البداية والنهاية: ٢٠١/١١، سير أعلام النبلاء: ٩٠/١٥-٩١.

(٢) شرح السنة: ٤٨.

(٣) المرجع السابق: ٣٨.

(٤) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي الحنبلي، من مؤلفاته: فتح الباري شرح صحيح البخاري، وجامع العلوم والحكم، والتخويف من النار وغيرها، توفي سنة ٧٩٥.
انظر: الدرر الكامنة: ٢: ٣٢١، وشذرات الذهب: ٢٣٠/٦.

(٥) فضل علم السلف على علم الخلف: ٣٢.

(٦) انظر أقوال السلف في ذم الكلام وأهله: ذم الكلام للهروي، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: ١١٤/١-١١٥، ٥٢٨/٣-٥٣٣، ٦٢٧/٤-٦٣٤، ٧٠٦-٧٣٧، والإبانة لابن بطة: ٣٠٩/١، ٣٢٤، وجامع بيان العلم وفضله: ٩٢/٢-٩٥، ومجموع الفتاوى: ٣٠٤/١٧-٣٠٦، ٣٤٦، ٣٣٦/٥-٣٣٧، والرد على الجهمية للدارمي: ٣٤٦-٣٥٢.

(٧) انظر: منهج الإمام محمد بن عبدالوهاب في التأليف للشيخ عبدالمحسن العباد.

(٨) الدرر السنية: ٥١/١.

كما نقل عن كتب السلف: " الإجماع أن علم الكلام بدعة وضلالة "[١].

ثانيا: أن السلف الذين ذموا علم الكلام، لم يذموا جنس الكلام، ولم يذموه لعجزهم عنه أو عدم معرفتهم به، ولا ذموا الاستدلال والنظر والجدل الذي أمر الله به ورسوله ﷺ ولا ذموا كلاماً هو حق، بل ذموا الكلام الباطل المخالف للكتاب والسنة والعقل[٢]؛ ولهذا صار مصطلح الكلام عند السلف خاصاً بالكلام المذموم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فالسلف ذموا أهل الكلام الذين هم أهل الشبهات والأهواء، لم يذموا أهل الكلام الذين هم أهل كلام صادق، يتضمن الدليل على معرفة الله تعالى، وبيان ما يستحقه وما يمتنع عليه"[٣].

ولهذا يقول الإمام الدارمي[٤] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقد كان من مضى من السلف يكرهون الخوض في هذا وما أشبهه، وقد كانوا رزقوا العافية منهم، وابتلينا بهم عند دروس الإسلام، وذهاب العلماء، فلم نجد بداً من أن نرد ما أتوا به من الباطل بالحق"[٥].

بل يرون أن من لم يناظر أهل البدع، ويدحض شبههم لم يعط الإسلام حقه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم، لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفّى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور، وطمأنينة التقوى، ولا أفاد كلامه العلم واليقين"[٦].

---

(١) الدرر السنية: ١٠٥/١، ٣٣٤/٢، ٣١٠/٣. وانظر في ذلك أيضاً: الرسالة الرابعة والخمسون للشيخ عبداللطيف ابن عبدالرحمن آل الشيخ في نصر مذهب السلف على علم الكلام: مجموعة الرسائل والمسائل النجدية: ٢٩٤/٣، ومجموع فتاوى ومقالات ابن باز: ٧١/٢، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: ٧٥/٤، ١٠٥.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: ١٤٧/١٣، والنبوات: ١٥٦-١٥٧.

(٣) درء تعارض العقل والنقل: ١٨١/٧. وانظر: الصواعق المرسلة: ١٢٧٤/٤، ومعارج القبول: ٣٤/١، وموقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة: ٨٧/١.

(٤) أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي التميمي، الإمام، الحافظ، طاف بالبلاد في طلب العلم، له عدة مصنفات، منها: الرد على الجهمية، والنقض على بشر المريسي، وغيرها، توفي ٢٨٠هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٣١٩/١٣، وطبقات الشافعية ٣٠٥/٢.

(٥) الرد على الجهمية للدارمي، ضمن عقائد السلف: ص ٢٥٩.

(٦) مجموع الفتاوى: ١٣/٤-١٤، وانظر: علم الكلام والتأويل وأثرهما على العقيدة الإسلامية، مجلة البحوث الإسلامية،

ثالثا: قول الكاتب لما حل العصر العباسي ظهرت مدارس ومذاهب كلامية، ذكر منها المعتزلة والأشاعرة والماتريدية، وقرن معها الوهابية، فلا أدري هل يقصد أن هذه المدارس والمذاهب الكلامية كانت في العصر العباسي ومنها الوهابية؛ لأن المعتزلة والأشاعرة والماتريدية كلها كانت في زمن الدولة العباسية؟، فإن كان يقصد ذلك، فهو يدل على عدم معرفته بدعوة الإمام؛ فإن الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب ولد عام ١١١٥هـ، أي بعد نشأة الدولة العباسية ونهايتها (١٣٢-٦٥٦هـ)[١]؛ فكيف تكون ظهرت الوهابية!![٢].

العدد (٦٨): ٢٨٤-٢٨٥

(١) انظر: التاريخ الإسلامي: ٧/٥، وتاريخ الدولة العباسية: ٨.

(٢) وللمزيد انظر: تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية: ٥٨ وما بعدها.

المطلب السابع عشر: دعوى تحريف كتاب الإبانة لأبي الحسن الأشعري

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى تحريف كتاب الإبانة لأبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

يقول علي حامد علي خليفة في ترجمته لأبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند ذكره لمؤلفاته، متهما الدعوة بتحريف كتابه الإبانة:

"كتاب (الإبانة عن أصول الديانة)، وطُبع أخيراً بتحقيق الدكتورة فوقية حسين، وطبع من قبلها طبعة سقيمة بالهند، ثم طبع بالقاهرة طبعات لا تقل منها سقماً كالطبعة المنيرية وطبعات الوهابيين المدّعين للسلفية كذباً وزوراً، وقد اهتم بالكتاب هؤلاء السلفيون الكاذبون اهتماماً كبيراً فأعادوا طباعته مرات، وطبعوه أخيراً في مجلدين ضخمين، ثم منسوخاً على ست مكتوبات خطية كما زعموا. وقد قصدوا أن يبرزوا في طباعة الكتاب أحقادهم تجاه الأشاعرة ويؤكدوا بطلان مذهبهم، وما خدموه ولا حققوه لوجه الله تعالى، بل ليس هناك تحقيق وإنما إغراق في التجسيم والإساءة للأشاعرة.

وأوثق نسخة للإبانة وأصحّها على الإطلاق النسخة التي بداخل كتاب "تبيين كذب المفتري" للحافظ الكبير ابن عساكر، كما أوضحته في "الإبانة وملحقها" لي باسيتفاء منذ عهد بعيد. والكتاب بصفة عامة تلاعبت به أيدي المجسمة فلم ينج منه من الدس والتحريف سوى ما في "التبيين"، وكثير طيب من نسخة (الدكتورة فوقية حسين) الوحيدة المحققة"[١].

حقيقة هذه الدعوى:

دعوى تحريف الكتب دعوى قديمة، سواء إتهام أهل السنة بتحريف كتب العقائد[٢]، أو

---

(١) من هم أهل السنة والجماعة وموضع الأشاعرة والماتريدية والصوفية والسلفية المعاصرة منه: ١٣١-١٣٢، وانظر: مغالطات السلفية: ٢٣٦، ٣٦٦، ٤٩٣ وما بعدها.

(٢) انظر: طبقات الشافعية الكبرى: ١/١٩٢.

الاتهام بتحريف القرآن والسنة [١].

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: أن كتاب الإبانة لأبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قد اثنى عليه جماعة من المتقدمين منهم:

١- الحافظ ابن عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما ألف كتابه التبيين الذي أثنى فيه على أبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ورد على شانئيه، لم يجد خيراً من الإبانة دليلاً له على ذلك[٢].

٢- الإمام الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث ذكر ابن عساكر أن إسماعيل بن عبدالرحمن بن أحمد الصابوني النيسابوري ما كان يخرج إلى مجلس درسه إلا وبيده كتاب الإبانة لأبي الحسن الأشعري، ويظهر الإعجاب به ويقول ما الذي يُنْكر على من هذا الكتاب شرح مذهبه؟[٣].

٣- الحافظ ابن الطباخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أنه كان يعتمد على كتاب الإبانة، وكان يقول: هذا مذهبي وإليه أذهب، وكان يقول لله من صنفه[٤].

٤- الحافظ أبو بكر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث اعتمد كتاب الإبانة وحكى عنه في مواضع من كتابه الاعتقاد[٥].

٥- نصر الدين المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث ألَّف كتاباً في الأصول نقل فيه فصولاً من كتاب الإبانة[٦].

---

(١) انظر: إعلام الخَلف بمن قال بتحريف القرآن من أعلام السّلف: ٤٢٨ وما بعدها، وتحريف الحقائق في كتب أهل السنة المجلد الأول، وأعرف الكتب المحرفة: https://www.islam٤u.com/ar/maghalat/اعرف-الكتب-المحرفة، وأهل السنة يقرون بتحرف القران (بصحيح مسلم والبخاري): http://www.alhak.org/vb/showthread.php?t=٩٨١٥

(٢) انظر: التبيين: ١٥٢-١٦٣، والعلو للذهبي: ٢/١٢٥٣.

(٣) انظر: تبيين كذب المفتري: ٣٨٩، وبيان تلبيس الجهمية: ١/١٣٩.

(٤) انظر: بيان تلبيس الجهمية: ١/١٤٢.

(٥) انظر: المرجع السابق: ١/١٣٦.

(٦) انظر: بيان تلبيس الجهمية: ١/١٤١.

٦- أبو العباس الطرقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عنه: أنه استفاد من كتاب الإبانة في مسألة إثبات الاستواء، في الرد على الجهمية(١).

٧- الحافظ النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث نسخه بخطه، نقل ذلك عنه الذهبي(٢).

وهؤلاء الذين اثنوا على الكتاب كلهم قبل أن يولد شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقبل أن يولد من سار على نهجه وهو الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأتباعه.

كما أن هذا الكتاب أثنى عليه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومن سار على نهجه:

١- فشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، نقل من هذا الكتاب في العديد من كتبه، بل نقل عنه في بيان تلبيس الجهمية العديد من الصفحات تجاوزت العشرات، وكذلك نقل منه في الدرء، والتسعينية، والحموية، وغيرها من كتب، وهذا يدل على مكانة الكتاب عنده رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣).

٢- الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث نقل عنه في كتبه، ومن ذلك ما نقله في (اجتماع الجيوش الإسلامية) حيث نقل عنه عدة صفحات(٤).

٣- الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث قال: وكتاب الإبانة من أشهر تصانيف أبي الحسن ثم قال: فلو انتهى أصحابنا المتكلمون إلى مقالة أبي الحسن هذه ولزموها لأحسنوا(٥)، بل نقل منه نصوصاً.

٤- الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله، حيث قال: هذا المرجع النفيس

---

(١) انظر: المرجع السابق: ١/١٤٠.

(٢) انظر: العلو: ٢/١٢٤٨.

(٣) انظر: درء التعارض: ٦/٥، ٦/٢٠١-٢٠٤-٢٠٥-٢٩٧، ٧/٢١٩، ٣٠١، والتسعينية: ١/٢٦٦، ٢/٤٥٤، ٣/١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٣٧، ومنهاج السنة النبوية: ٢/٢٢٨، وشرح الأصبهانية: ٣٢٧، ومجموع الفتاوى: ٣/٢٢٤، ٢٢٦، ٥/١٤٤، ١٨٨، وبيان تلبيس الجهمية: ١/٦٥، ١٠٣، ١٣٣، ١٣٥، ٢/١٥٦، ٥٨٦-٦٠٤، ٣/٣١٠، ٣٥٤، ٣٧٧، ٣٧٨، ٤٧٧، ٤٧٩، ٧٤١، ٧٤٨، ٤/٤٨٦ و ٥/٧٤-٧٧، ٢٨٣، ٣٦٥، ٣٦٦، ٥١٦، ٥/٧٤-٧٧، ٢٨٣، ٣٦٥، ٣٦٦، ٥١٦، ٨/٢٠-٢٨، ١٢٠، ١٤٧-١٤٩، ١٨٢-١٨٧، ١٨٩.

(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية: ١٦٨-١٧٤.

(٥) العلو: ٢/١٢٤٨، ١٢٥٥، وانظر كتابه العرش: ٢/٢٩٤.

الذي يتضمن أصول العقيدة السلفية التي كان عليها أبو الحسن الأشعري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهي عقيدة أهل السنة والجماعة[١].

٥-الدكتور جلال موسى، حيث قال: إن الأشعري فعلاً كان واسع الأفق دقيق النظر، يجيد التأليف، ويشهد بذلك كتابه الإبانة[٢].

٦- الشيخ الدكتور عبدالرحمن المحمود، حيث ذكر بأنه من أهم كتب الأشعري، وأكثرها إثارة للجدل، لأنه يحوي جوانب من العقيدة تخالف ما عليه متأخرو الأشعرية، خاصة في مسائل الصفات الخبرية والعلو والاستواء.

مما يدل على مكانة الكتاب عند أهل السنة والجماعة من المتقدمين والمتأخرين.

ثانيا: أن السبب في الطعن في هذه الطبعات لأهل السنة سببين:

١- موافقة كتاب الإبانة لعقيدة أهل السنة، ومخالفته للأشاعرة في الجملة[٣].

٢- التعليقات من محققي الكتاب من أهل السنة، وما فيها من زيادة إيضاح، وكشف مشكل، ورد على المخالف.

تقول د. فوقية حسين محمود رَحِمَهَاٱللَّهُ والتي حققت كتاب الإبانة: "من قال إن الأشعري صاحب موقف وسط فحكمه خاطئ من أساسه؛ بل الأشعري من أهل الاتباع ويدين بديانة السلف الصالح[٤]، وهذا المعيار الجديد الذي تبين بالنسبة للأشعري يسوق إلى إعادة النظر في آرائه على اختلافها، ... كما أنه يجب إخضاع المنتمين إلى مدرسة الأشعري لنفس المعيار لتبين صحة صدق انتمائهم إلى هذا الإمام، والفرق بينهما وبين من لم ينتم إليه"[٥].

---

(١) مقدمة الإبانة: ٣.

(٢) انظر: نشأة الأشاعرة وتطورها: ١٧٠.

(٣) انظر في بيان مذهب الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد رجوعه لعقيدة السلف، وهل بقي عليه بقايا من مذاهب أهل الكلام: موقف ابن تيمية من الأشاعرة: ١/٣٧٧-٤٠٩.

(٤) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة: ١/٣٤٨، ومقدمة تحقيق كتاب الإبانة عن أصول الديانة: ٦٣-٦٦.

(٥) انظر: الإبانة بتحقيقها: ١٣٣.

كما أنها ردّتْ على من شككوا في الكتاب[١]؛ لقوله بالإثبات، وقالت: "إن هذا التشكيك الذي يترتب عليه استبعاد أهم فصول من فصوله، وهو الذي يؤكد فيه انتماءه إلى السلف، بإعلان انتمائه إلى ابن حنبل، هذا الإعلان الذي يتفق تماماً مع تفاصيل موقفه في مختلف المسائل التي عالجها، لأن موقفه يعتمد على نفس الأصول التي يعتمد عليها ابن حنبل: وهي إعطاء مكان الصدارة للنص المتنزل قرآناً أو سنة، وتطبيق أصول التفسير الصحيح التي لا تخرج النص عن تأويله، على نحو ما كان عليه السلف الصالح، على نحو ما هو مبين في الحديث"[٢].

ثالثا: أن أهل السنة والجماعة في تحقيقهم للكتب لا يحرفون ولا يعدلون في الكتب، ويبذلون جهدهم ووقتهم وأموالهم ليخرج الكتاب المحقق على ما تركه المؤلف، ومن ذلك كتاب "الإبانة" لأبي الحسن الأشعري؛ فإنه قد حقق عدة مرات، ومن آخرها أنه حقق في رسالة علمية (دكتوراه) في جامعة أم القرى، من الباحث د. صالح بن مقبل العصيمي، وهذا يدل على العناية بالكتاب.

رابعا: أن مما يدل على عناية المحقق بالكتاب بيانه موافقة ما في كتاب الإبانة لكتبه الأخرى كمقالات الإسلاميين، أو رسالته لأهل الثغر.

خامسا: أن مما يدل على عناية المحقق بالكتاب: اعتماده على نسخ أصليه، وسفره عدة مرات للهند ولبنان ومصر والنمسا للحصول عليها، مع ما في المخطوط من صعوبة في قراءة بعض الألفاظ، والعناية بتخريج الأثار حيث إن المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يعتمد على الكتب المعروفة، وفي بعض الأحيان يورد الحديث أو الأثر بالمعنى[٣].

سادسا: من عناية المحقق بالكتاب أنه رد على من شكك في النسخة المطبوعة وأن بها إضافات، فقال: "هناك من لا ينكر أصل كتاب الإبانة ء ولكن شكك في المطبوع منه، فمثلاً:

---

(١) انظر: المرجع السابق: ٢٩-٤٥.

(٢) انظر: المرجع السابق: ٧٦، ١١٤-١١٥.

(٣) انظر: مقدمة تحقيق كتاب الإبانة عن أصول الديانة: ٩-١٠.

محمد زاهد الكوثري علق على كتاب الإبانة في حاشية كتاب التبيين وقال: (والنسخة المطبوعة في الهند من الإبانة، نسخة مصحفة محرفة، تلاعبت بها الأيدي الأثيمة فيجب إعادة طبعها من أصل وثيق)[١]. فالكوثري هنا ليست المشكلة عنده ما وقع فيه من أخطاء مطبعية، لكان معه في هذا الحق، وإنما المشكلة عنده أنها على منهج السلف الصالح في الإثبات. وإلا فطبعة الهند مليئة بالأخطاء المطبعية كما قال. ولكن هذه الأخطاء لم تخالف جوهر الموضوع، وهي لا تعدو أخطاء مطبعية لسوء قراءة المخطوطة من قبل ناسخها الأول"[٢]. كذلك بيان موافقة كتاب الإبانة لما في كتاب تبين المفتري لابن عساكر، مع وجود فروق غير مؤثرة[٣].

سابعا: من عناية المحقق بالكتاب ذكره لمن اعتنى به من الجامعات، كالجامعة الإسلامية وجامعة الإمام "كذلك قامت جامعة الأزهر – وهي في الجملة تؤيد المذهب الأشعري– بتحقيق هذا الكتاب عن طريق أستاذ من أساتذته. وهذه أدلة قوية عن مدى القيمة العلمية التي استحقها هذا الكتاب. وهو من الكتب القيمة التي يُنصح بشرحها وتوزيعها. وها هي الجامعة العريقة: جامعة أم القرى بمكة المكرمة، تعتني بهذا الكتاب، وتوافق على أن يحقق تحقيقاً علمياً كرسالة دكتوراه في جامعتها"[٤].

ثامنا: من عناية المحقق بالكتاب ذكره لطبعات الكتاب السابقة[٥]، وميزات هذه الطبعات وما فيها من ملاحظات مع ذكر نماذج من هذه الملاحظات.

---

(١) انظر: التبيين: ص ٣٥ هامش ١.

(٢) مقدمة تحقيق كتاب الإبانة عن أصول الديانة: ١٠٨.

(٣) المرجع السابق: ٤٠-٤٤.

(٤) المرجع السابق: ٦٦-٦٧.

(٥) المرجع السابق: ١٢٢-١٤١.

المطلب الثامن عشر: دعوى إدخال بعض المسائل في العقيدة وهي ليست منها

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى أن الإمام أدخل في العقيدة من المسائل ما ليس منها.

يقول عبدالله العتِّيق -عند كلامه على بعض المسائل التي أدخلت في العقيدة وليست منها حسب زعمه-: "الدين سعة ورحابة، والشريعة سمحة، راعى الله فيهما أحوال الحياة، فمنح الإنسان فيهما آفاقاً أرحب مما يظن، ليس في الدين ولا في الشريعة شيء من الضيق، وليس في العقائد والإيمان، شيء من الشدة التي تجعل مسار الناس في الحياة صعباً، وإنما فيها من يُمْن الإيمان وأمانه الكثير.

على هذا الشأن كان مسار الدين والشريعة، لم يختلف اختلافاً أخل به فترة الرشد، فكانت الناس على البيضاء التي لم يفسدها شيء إلا جرأة من بعض بدافع غيرة، أو بباع قلّ من العلم، فانتكس حال الناس، فزل الفهم إذ قل العلم واعتل الحلم، فأتي على الناس حين فترة غياب الوعي بالعلم ما أتاهم من إدخال ما لم يكن من أمور عقائدهم إلا في أدق الصور في أمور العقائد، فأصابهم التحوط الخالي من بصيرة العلم، وخفي عنهم إدراك مواطن تلك الأمور في العلم.

وكلما بعد الإنسان عن جوهر العلم أدركته صوره، فتاه في غياهب المباحث، فلا يجد درباً منيراً، ولا يلوي على جادة مستنيرة، فيخوض بطرف "من أثر الرسول" فيرميها في تحرير العلم رمياً يظن الإجادة، فيحسن البيان والفصاحة، فيسري حرفه الخالي من وصف جوهر العلم إلى نفوس تلقت فقبلت.

هذه القضايا، المنثورة، لها طرف يسير دقيق، غير وثيق، في أمور العقائد، لا يشك في ذا، ولكن هذا الطرف لا يأتي في بال فاعل لها، ولا يستقيم حينئذ أن يقال عنها إنها من أمر العقائد، فما صح عدمه في الفاعلين لا يجوز ذكره احتمالاً في مقاصدهم.

هذا الكتاب بيان في عزو بعضها إلى محالها، في مواطنها الأصلية، باحكامها اللصيقة بها، على قانون العلم المزبور في مسطور الكتب، ببرهان قائم، وتوثيق بيّن، بأصيلة العلم وسابلة

الأدب، المرجو بيان العلم ليس إلا، ليغدو الدين نوراً كما هو، وتبقى الحياة جميلة"[١].

ثم ذكر جملة من الأمور -حسب زعمه- التي ليست من العقيدة ومنها حل السحر بسحر مثله (ص١٤)، وعلم الأبراج (ص٥٥)، وقول ما شاء الله وشئت (ص٧٢)، والتوسل بالأشخاص (ص٧٤)، ولبس القلادة والخيط والحلقة ونحوها للاستشفاء (ص٨٣)، والطواف بالقبور (ص٨٥)، والذبح عند القبور (ص٨٧)، والتبرك بالأشخاص (ص ٨٩)، والحلف بغير الله (ص٩٧)، إلخ.

يقول: "أصبح كل شيء في الحياة بسبب هذا الفكر فاسداً، فمن ذلك: التشدد في أمور العادات كلها، اللفظية والفعلية، فأصبح الناس يتحاشون كل لفظة وفعل خشية أن يكون ذلك من أمور العقيدة، فأصبحت رقابتهم فيما لا طائل وراءه، وكله بسبب الجهل بسعة العلم في أمور العقائد"[٢].

وقال أيضا "ليس من العقيدة الحلف بغير الله، إذ الأصل فيه أنه جاء من الإنسان في سياق التعظيم والإجلال للمحلوف به تعظيماً وإجلالاً[٣] لا يصلان إلى ما هو لائق بالله، وفي سياق إثبات صدق ما حلف لأجله، فلا يحلف الإنسان بشيء هيّن القيمة ولا محتقر المكانة، فيحلف بـ: النبي والولي، والكعبة والقرآن، والشرف والأمانة[٤] والطلاق، والوالدين والأولاد، وغيرهم، وهذا ما جرت به عادات الناس، فلا يرد هنا أن حلف الإنسان بغير الله من صميم العقيدة الموجب كفر الإنسان، بوصمه بالشرك، أو مقاربته منه، إذ محل النهي عنه في حال أن يقصد الحلف تعظيم المحلوف به كتعظيم الله، وعليه تُحمل نصوص النهي"[٥][١].

---

(١) ليس من العقيدة: ٩-١٠. وانظر: مغالطات السلفية: ١٧٥، ٤٨٣.

(٢) ليس من العقيدة: ٤٨.

(٣) ينظر: شرح السنة: ١٠/٦.

(٤) من تعليق المؤلف في حاشية الكتاب: في الحديث: «من حلف بالأمانة فليس منا» أبو داود: ٣٢٥٣، قال الخطابي: هذا يشبه أن تكون الكراهة فيها من أجل أنه إنما أمر أن يحلف بالله وصفاته، وليست الأمانة من صفاته، وإنما هي أمر من أمره، وفرض من فروضه، فنهوا عنه لما في ذلك من التسوية بينها وبين أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته. معالم السنن: ٤/٣٥٨.

(٥) من تعليق المؤلف في حاشية الكتاب: قال ابن حجر العسقلاني في: فتح الباري: (١١/٥٣١): إن اعتقد في المحلوف

"وبهذا يُعتبر قصد الإنسان في البحث عن نفسه من خلال علم الأبراج، أو علوم: الأحجار الكريمة، أو الأرقام، أو الحروف، وسائر الأزمنة والأمكنة"[(٢)].

حقيقة هذه الدعوى:

هذه الدعوى قديمة، وهي الاشتباه في معنى العبادة الصحيح[(٣)]، وبسبب ذلك حصل الإنحرف في هذه المسائل التي ذكرها الكاتب من الذبح عند القبور، والتبرك، والحلف بغير الله؛ فجعل هذه العبادات العقدية من المسائل الفقهية.

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: أن الحامل للكاتب على إخراج هذه المسائل من العقيدة أنه أصل أصولاً للمسائل العقدية وربط هذه الأمور المذكورة بها؛ فلا تكون هذه المسائل ضمن مسائل العقيدة إلا إذا تحققت هذه الأصول: الاعتقاد والنية والتعظيم، وقد سبق الجواب عنها في الدعوى الرابعة من هذا الفصل: دعوى عدم صحة تعريف العبادة عند الإمام، ومتى يكون الفعل أو القول عبادة لله، وأثر النية والقصد في ذلك، وأن هذه المسائل من العقيدة.

ثانيا: أن كل مسألة تعبدية ففيها جانب عقدي، فالإيمان قول وعمل، والأعمال التعبدية من الإيمان، وهي أيضا من الإيمان بأن الله أمر بها وأنزل بها كتبه وأرسل بها رسله، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي صلاتكم، فسمى الصلاة إيمانا[(٤)].

ثالثا: أن الحكم الشرعي في المسألة لا يختلف باختلاف التصنيف الموضوعي لها سواء وضعت في أبواب الفقه أو العقيدة أو السلوك؛ فالرسول ﷺ قال: «من حلف بغير ملة الإسلام فهو كما قال، قال: ومن قتل نفسه بشيء عذب به في نار جهنم، ولعن المؤمن كقتله، ومن

فيه من التعظيم ما يعتقده في الله حرم الحلف به وكان بذلك الاعتقاد كافراً.

(١) ليس من العقيدة: ٦٧-٦٨.

(٢) المرجع السابق: ٦٠.

(٣) انظر: رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله: ٣١.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣/١٦٧.

رمى مؤمنا بكفر فهو كقتله»[١]، وقال لمن سأله أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله ندا وهو خلقك»[٢].

فهذا حكمه ﷺ على الفعل، ولا يتغير الحكم بأن جعلناه في المعاملات أو العقائد أو العبادات.

رابعا: أن الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يستقل بهذا الصنيع، ولم يكن بدعا من العلماء، فالعلماء السابقون ذكروا هذه المسائل في أبواب الاعتقاد [٣]، ومن ذلك:

في صحيح البخاري: كتاب الأيمان والنذور،باب لا تحلفوا بآبائكم.

وفي صحيح مسلم: كتاب الأيمان ، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى.

وفيه: كتاب الأيمان، باب من حلف باللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله.

وفي كتاب الشريعة للآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: باب ذكر ما أخبر الله تعالى أنه أرسل الشياطين على الكافرين يضلونهم ولا يضلون إلا من سبق في علمه أنه لا يؤمن ولا يضرون أحدا إلا بإذن الله وكذلك السحرة لا يضرون أحدا إلا بإذن الله.

خامسا: جرت عادة المتقدمين من السلف أنهم يذكرون بعض مسائل العقيدة في كتب الفقه، كما يذكرون بعض مسائل الفقه في كتب العقيدة، ومن ذلك ذكر بعض مسائل العقيدة في كتب الفقه، في باب أحكام المرتد أو كتاب الردة، أو كتاب الحدود، ولا يعني ذكرها في كتب الفقه أنها مسائل فقهية، وإنما ذكرت لبيان ما يترتب عليها من أحكام، ولذلك ذكروا من المسائل في أحكام المرتد - وهو الراجع عن دين الإسلام إلى الكفر- سب الله ﷻ وإدعاء النبوة[٤]، فهل الرجوع عن دين الإسلام إلى الكفر مسألة فقهية؟ وهل سب الله ﷻ مسألة

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب: من حلف بملة سوى ملة الإسلام، رقم: ٦٦٥٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ ، رقم: ٧٥٢٠.

(٣) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، والإبانة الكبرى لابن بطة، والحجة في بيان المحجة للأصبهاني، وغيرها من الكتب، وعلم التوحيد عند أهل السنة: ٣٥٥-٣٥٧، ومشروع موسوعة الحديث النبوي الشريف ورجاله: ٢٨-٢٩، وhttp://www.dorar.net/enc/aqadia.

(٤) انظر: المغني: ٢/٩، ٢٨.

فقهية؟ وهل إدعاء النبوة مسألة فقهية؟.

ومن مسائل الفقه التي ذكرت في كتب العقيدة، المسح على الخفين وقصر الصلاة في السفر وغيرها، ولا يعني ذكرها في كتب العقيدة أنها عقدية، وإنما ذكرت إما لبيان كمال الشريعة وترابط العلوم مع بعضها البعض، وإما لمخالفة بعض الفرق فيها؛ فذكرت تقريرا لها وللرد على المخالف فيها، أو لغير ذلك[١].

سادسا: أن هذه المسائل هي بالعقيدة ألصق، فالسحر من عمل الشياطين ويخل بالعقيدة، والتعلق بالنجوم ولبس القلادة والخيط والحلقة ونحوها للاستشفاء تعلق بغير الله ومخل بالعقيدة.

سابعا: أن هذه الدعوى تدل على إفلاس المناوئ لدعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث لم يجد ما يدعيه إلا أمرا سار عليه العلماء ولم يختلفوا فيه؛ بل لم يتطرقوا إليه، وهذا يدل كذلك على تكلف هذا المناوئ للبيان والفصاحة ليلبس باطله؛ ولكن - ولله الحمد- لم تنهض دعواه لمواجهة الحق الذي جاء به الإمام المجدد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(١) انظر: كتاب مسائل الفروع الواردة في مسائل العقيدة.

المطلب التاسع عشر: دعوى عدم صحة تقسيم الشفاعة إلى: مثبتة، ومنفية، وأن طلب الشفاعة شرك مطلقًا

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى أنه لا يوجد شفاعة منفية، وأن طلب الشفاعة عند الإمام محمد بن عبدالوهاب شرك مطلقا.

يقول أبو هشام الشريف في جوابه عن سؤال عن الشفاعة، وهل هناك شفاعة منفية وأخرى مثبتة؟: "ولا توجد شفاعة منفية، لأننا لو قلنا بشفاعة منفية لكان معناه أن يشفع من لا تجوز شفاعته فترد تلك الشفاعة، ويستحيل حدوث ذلك في الآخرة.

ولكن الشفاعة لا تكون إلا بشروط:

١- أن يكون الشافع ممن يستحق أن يشفع من الأنبياء أو الشهداء أو قراء القرآن... إلخ.

٢- أن يؤذن له في الشفاعة.

س: فما معنى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤ ﴾ [البقرة: ٢٥٤]؟.

ج- يوم القيامة لا شفاعة، وإنما الشفاعة العظمى للنبي الكريم ﷺ تُنهي الموقف يوم القيامة ويبدأ الحساب، ثم بعد ذلك تكون الشفاعات الأخرى"(١).

ويقول عثمان النابلسي بعد أن ذكر حديث الشفاعة(٢): "ففي هذا الحديث أراد المؤمنون أن يستشفعوا إلى ربهم تبارك وتعالى, فيجعلوا أحد الأنبياء وسيطاً وشفيعاً لهم إلى الله تعالى ليرتاحوا من مكانهم, فطلبوا الشفاعة من سيدنا آدم ثم من سيدنا نوح فسيدنا إبراهيم فسيدنا موسى فسيدنا عيسى -عليهم السلام-, ولم يقل لهم أحد الأنبياء لقد أشركتم بطلبكم الشفاعة منّا, بل كل واحد من الأنبياء وجّههم لطلب الشفاعة من غيره ممن هو أقرب عند الله تعالى, ثم

---

(١) ركائز التوحيد في مدرسة محمد بن عبدالوهاب: ٨٦-٨٧. وانظر: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، تحرير المعاني وضبط القواعد: ٤٣، شبهات المبتدعة في توحيد العبادة: ١٠٠٩/٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾: برقم (٧٤١٠)، وانظر: ٤٤٧٦، ٦٥٦٥، ٧٤٤٠، ٧٥١٦.

طلبوا الشفاعة من سيّد الأولين والآخرين ﷺ, فلم يقل لهم: أيها المشركون.. إن الله تعالى أعطاني الشفاعة ونهاكم عن هذا فقال: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨], كما قال ابن عبد الوهاب!" [١].

ثم قال: " فإن قال مخالف: إن هؤلاء المؤمنين طلبوا من النبي ﷺ الشفاعة في الآخرة وليس في الدنيا, فطلب الشفاعة في الآخرة ليس شركاً بخلاف طلبها في الدنيا.

قلت: إن كلام ابن عبد الوهاب يدلّ على أنّ طلب الشفاعة من الشفيع شرك مطلقاً, لأن الشفاعة كلها لله, ولا تكون إلا من بعد إذنه، ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحد لا في الدنيا ولا في الآخرة حتى يأذن الله فيه, ويرى أنّ الواجب هو أن تطلب الشفاعة من الله تعالى وليس من الشفيع, وما كان شركاً في الدنيا فهو شرك في الآخرة, وما لم يكن شركاً في الدنيا فليس بشرك في الآخرة.

مع أن النبي ﷺ حي في قبره يصلي, وتعرض عليه أعمال أمته, وقد ثبت أن أحد الصحابة طلب الشفاعة من النبي ﷺ في الدنيا, فقد روى الترمذي عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة, فقال: " أنا فاعل". فقد طلب شفاعة النبي ﷺ وهو في الدنيا لا في الآخرة, وهذه الشفاعة رحمة من الله تعالى وكرامة للشفيع, وليس جهلاً ولا عجزاً منه تبارك وتعالى"[٢].

حقيقة هذه الدعوى:

لم أجد – حسب بحثي– من قال بأنه لا توجد شفاعة منفية وإنما هي شفاعة بشروط؛ حتى إن المعتزلة أنكروا الشفاعة لأصحاب الكبائر اعتمادا على الآيات التي ورد فيها نفي الشفاعة[٣]، بل نُقل الإجماع على الشفاعة المنفية عن الكافرين[٤].

الجواب عن هذه الدعوى:

---

(١) الرؤية الوهابية للتوحيد: ٢٥٧.

(٢) المرجع السابق: ٢٥٩.

(٣) انظر: متشابه القرآن: ١/٩١-٩٢.

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ١/٣٧٩.

أولاً: الشفاعة: هي سؤال الغير أن ينفع غيره، أو أن يدفع عنه مضره، ولا بد من شافع ومشفوع له، ومشفوع فيه، ومشفوع إليه، أو هي: "السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجناية في حقه"(١). أي هي التوسط في جلب الخير أو دفع الضر، فتكون الشفاعة دائرة على أمرين: جلب المنفعة ودفع البلاء(٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والشفاعة عند الله: سؤال الله التجاوز عن الذنوب والآثام للغير"(٣).

وهذه الشفاعة ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع. فأما الكتاب: فقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾[البقرة: ٢٥٥]، وقوله سبحانه: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩﴾ [طه: ١٠٩]. وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِى شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦].

وأما السنة: فقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في إثبات الشفاعة(٤). يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أحاديث الشفاعة كثيرة متواترة، منها في الصحيحين أحاديث متعددة، وفي السنن والمسانيد مما يكثر عدده"(٥).

وأما الإجماع: فقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات الشفاعة، وعدها من معاقد العقائد التي يجب الإيمان بها، والرد على من أنكرها(٦).

---

(١) التعريفات: ٢١١، و انظر: النهاية في غريب الحديث: ٤٨٥/٢، والكليات: ٥٣٦، لوائح الأنوار السنية: ٢٤٦/٢.

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين: ١٦٨/٢.

(٣) مجموع الفتاوى: ٣٢٠/١. وانظر: المفردات في غريب القرآن: ٢٦٣، والجامع لأحكام القرآن: ٢٩٥/٥.

(٤) انظر: السنة لابن أبي عاصم: ٣٩٩/٢، شرح صحيح مسلم: ٣٥/٣، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة: ص١٢، إثبات الشفاعة للذهبي: ص٢٢، شرح العقيدة الطحاوية: ٢٥٨/١، فتح الباري: ٤٢٦/١١، لوامع الأنوار البهية: ٢٠٨/٢، وللاستزادة: الشفاعة للوادعي، والشفاعة عند أهل السنة والجماعة لناصر الجديع.

(٥) مجموع الفتاوى: ٣١٤/١. وقد جمع الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ جزءاً في الأحاديث الواردة في إثبات الشفاعة.

(٦) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ١٧٧/١، وشرح صحيح مسلم: ٣٥/٣، ومجموع الفتاوى: ١٤٨/١، ولوامع الأنوار البهية: ٢٠٨/٢، الدين الخالص: ٢٢/٢.

لكن هذه الشفاعة لا تكون إلا بشروط وانتفاء موانع[١]. يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الله لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن رضي قوله وعمله... وهو لا يرضى من القول والعمل إلا التوحيد واتباع الرسول. فهذه ثلاثة أصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاها وعقلها"[٢].

ثانيا: أنكر المناوئ الشفاعة المنفية، والحق أن الشفاعة منها ما هو مثبت، ومنها ما هو منفي. فالشفاعة المثبتة: وهي التي تُطلب من الله، ولها شرطان:

الشرط الأول: إذن الله للشّافع أن يشفع؛ لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾[البقرة: ٢٥٥].

الشرط الثاني: رضا الله عن الشّافع والمشفوع له؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]؛ ولقوله جلّ وعلا: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩﴾ [طه: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ [النجم: ٢٦].

أما الشفاعة المنفية: فهي التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، والشفاعة بغير إذنه ورضاه، والشفاعة للكفار: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

وقال الله عن المشركين: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾ [يونس: ١٨].

قال الإمام ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " يقول تعالى ذكره: ويعبد هؤلاء المشركون الذين وصفت لك يا محمد صفتهم من دون الله الذي لا يضرهم شيئا ولا ينفعهم في الدنيا ولا في الآخرة، وذلك هو الآلهة والأصنام التي كانوا يعبدونها ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ يعني أنهم

(١) انظر: الدرر السنية: ٢/١٥٨، مجموعة الرسائل والمسائل النجدية: ٢/٣/٦٥-٦٦، ٣/٩٤-٩٧، ٤/١٣٠-١٣٦، تيسير العزيز الحميد: ٢٩٧، فتح المجيد: ٢/٣٥٥.

(٢) مدراج السالكين: ١/٣٤١.

كانوا يعبدونها رجاء شفاعتها عند الله، قال الله لنبيه محمد ﷺ: قل لهم: ﴿أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾، يقول: أتخبرون الله بما لا يكون في السماوات ولا في الأرض؛ وذلك أن الآلهة لا تشفع لهم عند الله في السماوات ولا في الأرض، وكان المشركون يزعمون أنها تشفع لهم عند الله فقال الله لنبيه ﷺ: قل لهم أتخبرون الله أن ما لا يشفع في السماوات ولا في الأرض يشفع لكم فيهما؛ وذلك باطل لا تعلم حقيقته وصحته؛ بل يعلم الله أن ذلك خلاف ما تقولون وأنها لا تشفع لأحد ولا تنفع ولا تضر سبحانه وتعالى"[1].

وأخبر الله عن أهل النار من الكفار أنهم يقولون: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ﴿١٠١﴾ فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الشعراء: ١٠٠-١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ [غافر: ١٨].

وهذه الآيات تحكي قول المشركين وهم في النار خالدون، كيف يتحسرون ويتمنون، فلا إيمان ينجيهم، ولا عمل يخلصهم، ولا شافع يشفع لهم، ولا صديق ينقذهم، فتقطعت بهم السبل، وضرب اليأس أعماقهم، فزادهم عذاباً فوق العذاب[2].

ثالثا: استدل المناوئ على إنكار الشفاعة المنفية على أنه لو قيل بالشفاعة المنفية لكان معناه أن يشفع من لا تجوز شفاعته فترد تلك الشفاعة...

فيقال: إن طلب الشفاعة من الحي الحاضر على قسمين:

القسم الأول: إن كان مما يقدر عليه فهي على نوعين:

١- إن كان المطلوب أمرا حسنا فهي مشروعة: لقوله تعالى: ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَا﴾ [النساء: ٨٥]. وقال ﷺ: «اشفعوا تؤجروا»[3].

٢- إن كان المطلوب أمراً سيئاً فهي محرمة: لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَا﴾ [النساء: ٨٥].

---

(١) تفسير ابن جرير: ٩٨/١١.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ١٥٠/٦، ١٣٦/٧، ٢٧٣/٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها، برقم (١٤٣٢).

القسم الثاني: إن كان مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى: فهذا من الشرك الأكبر وهذا ما يفعله المشركون الأولون والآخرون كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]. أي ما نعبد تلك الآلهة مع الله إلا لتشفع لنا عند الله، وتقربنا عنده منزلة، فكفروا بذلك؛ لأن الشفاعة لله وحده قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗا﴾ [الزمر: ٤٤] [١].

فتبين مما سبق أن الشفاعة منها ما هو مثبت، ومنها ما هو منفي، وأن طلبها من الحي الحاضر فيما يقدر عليه جائزة.

ثم قول الكاتب: "ولا توجد شفاعة منفية، لأننا لو قلنا بشفاعة منفية لكان معناه أن يشفع من لا تجوز شفاعته فترد تلك الشفاعة، ويستحيل حدوث ذلك في الآخرة. ولكن الشفاعة لا تكون إلا بشروط".

فهذا تناقض من الكاتب؛ فإنه إذا قلنا لا يشفع أحد إلا بعد أن يؤذن له في الشفاعة كما ذكر ذلك في شروط الشفاعة، فإنه لن يشفع من لا تجوز شفاعته.

وإذا قلنا أنه لا تصح الشفاعة إلا بشروط؛ فماذا نسمي الشفاعة التي لم تتحقق فيها هذه الشروط؛ أليست تسمى شفاعة منفية؟!.

أما تفسير الكاتب لقوله تعالى: ﴿وَلَا شَفَٰعَةٞ﴾، بأنه يوم القيامة لا شفاعة، فهذا صحيح؛ لأنه لا شفاعة للكفار ولا في الكفار[٢]، وهذا دليل على طلب الشفاعة من الكفار؛ لكنها لا تكون لهم لعدم توفر شروطها، وهذه هي الشفاعة المنفية.

رابعا: أن طلب الشفاعة من النبي ﷺ في الآخرة، من الشفاعة الجائزة من الحي الحاضر، وقد أذن الله له أن يشفع، وهي كرامة له. وحقيقة هذه الشفاعة هي أنه ﷺ يشفع لجميع الخلق حين يؤخر الله الحساب فيطول بهم الانتظار في أرض المحشر يوم القيامة فيبلغ بهم من الغم

---

(١) وانظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: ٢/٤٤، ٥/٦١، وشرح العقيدة الواسطية للفوزان: ١٢١، وتوضيح مقاصد العقيدة الواسطية: ١٨٦، وفتاوى اللجنة الدائمة: ١/٥٢١، ٣/٤٧٠.

(٢) إلا ما استثني من الشفاعة العامة لفصل القضاء، وشفاعة النبي ﷺ في عمه أبي طالب أن يخفف عنه العذاب.

والكرب ما لا يطيقون، فيقولون: من يشفع لنا إلى ربنا حتى يفصل بين العباد، يتمنون التحول من هذا المكان، فيأتي الناس إلى الأنبياء فيقول كل واحد منهم: لست لها، حتى إذا أتوا إلى نبينا ﷺ فيقول: «أنا لها، فأنطلق فأستأذن على ربي، فيؤذن لي، فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليه الآن، يلهمنيه الله، ثم أخر له ساجدا، فيقال لي: يا محمد، ارفع رأسك، وقل: يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع»[١]. فيشفع لهم في فصل القضاء، فهذه الشفاعة العظمى، وهي من خصائص النبي ﷺ، وهي من أعظم الكرامات له ﷺ.

خامسا: قول الكاتب: " مع أن النبي ﷺ حي في قبره يصلي, وتعرض عليه أعمال أمته".

أما حياة النبي ﷺ في قبره وصلاته فهي ثابتة، قال ﷺ: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون»[٢]، وهي حياة برزخية الله أعلم بكيفيتها.

أما عرض أعمال أمته عليه فلم يثبت بذلك دليل لا من الكتاب ولا من السنة، إلا الصلاة عليه ﷺ. وحديث عرض الأعمال عليه ضعيف بجميع طرقه[٣]، ومعارض بحديث: « ليردن علي ناس من أصحابي الحوض، حتى عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول: أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك»[٤]. ولو كانت الأعمال تعرض عليه، لم يُقال له: «إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك».

سادسا: قول الكاتب: "قد ثبت أن أحد الصحابة طلب الشفاعة من النبي ﷺ في الدنيا, فقد روى الترمذي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة, فقال: « أنا فاعل»[٥]... ".

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم (٣٢٦).

(٢) رواه البزار، برقم (٢٥٦). وحسنه الألباني. انظر: السلسلة الصحيحة، برقم (٦٢١).

(٣) انظر: السلسلة الضعيفة، برقم (٩٧٥).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الحوض، برقم (٦٥٨٢).

(٥) سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في شأن الصراط، برقم (٢٤٣٣). وقال: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. ومسند الإمام أحمد، برقم (١٢٨٢٥).

فالحديث حجة عليه لا له، فهو كما قال: " فقد طلب شفاعة النبي ﷺ وهو في الدنيا لا في الآخرة "، فهو طلب الشفاعة من النبي ﷺ وهو حي حاضر، ولم يطلبها من ميت ولا غائب.

سابعا: قول الكاتب: "إن كلام ابن عبدالوهاب وأتباعه يدل على أن طلب الشفاعة من الشفيع شرك مطلقاً... ".

لم يبين الكاتب مراده بقوله: "مطلقا"، هل يقصد في الدنيا والآخرة، وفيما يقدر عليه وفيما لا يقدر عليه، ومن الحي الحاضر ومن الميت؟...

فهذا القول بهذا الإطلاق لا أعلم – حسب بحثي- أحدا قال به من أهل العلم، ولا من أئمة الدعوة، ثم هو لم يذكر موضعه من كلام الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ بل إن الإمام أفراد لموضوع الشفاعة بابا في كتابه "كتاب التوحيد" ، وذكر فيه الأدلة على الشفاعة المثبتة والشفاعة المنفية، ثم ذكر من المسائل: "الثانية: صفة الشفاعة المنفية. الثالثة: صفة الشفاعة المثبتة. الرابعة: ذكر الشفاعة الكبرى، وهي المقام المحمود. الخامسة: صفة ما يفعله ﷺ، وأنه لا يبدأ بالشفاعة أولا، بل يسجد، فإذا أذن الله له شفع. السادسة: من أسعد الناس بها؟. السابعة: أنها لا تكون لمن أشرك بالله. الثامنة: بيان حقيقتها. وتتابع أئمة الدعوة على شرحه[1].

وقال محققو الكتاب: رجاله رجال الصحيح، ومتنه غريب. وصححه الألباني. انظر: مشكاة المصابيح، كتاب أحوال القيامة وبدء الخلق، باب الحوض والشفاعة، برقم (٥٥٩٥)، والسلسلة الصحيحة (٢٦٣٠).

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد: ٢٢٧، فتح المجيد: ٢٢٧، حاشية كتاب التوحيد: ١٣٣، القول المفيد: ١/٣٢٩.

المطلب العشرون: دعوى عدم وصف الله سبحانه وتعالى بالأحد.

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى عدم وصف الله سبحانه بالأحد، وأن الإمام محمد بن عبدلوهاب لم يذكر سورة الإخلاص في كتاب التوحيد.

يقول أحمد راسم النفيس في بيان الفرق بين الوحدانية والأحدية، وأن هذه الدعوة السلفية -حسب زعمه- لم تصف الله بالأحد ومعناه عنده الشيء الذي لا ينقسم في نفسه أو معنى صفته.

"الغريب أن الشيخ عبد الوهاب[كذا] في كتابه المسمى بالتوحيد لم يستشهد ولو لمرة واحدة بسورة الإخلاص وهي السورة التي تعدل ثلث القرآن كما هو مشهور ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

إنها تعدل ثلث القرآن لأنها جمعت في سطر واحد منظومة العقيدة الإسلامية حيث يفسرها الشيخ الطوسي في كتابه (التبيان في تفسير القرآن):

وهذا أمر من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله أن يقول لجميع المكلفين (هو الله) الذي تحق له العبادة، (أحد) ومعناه واحد فقوله: (هو) كناية عن اسم الرب لأنهم قالوا ما ربك؟ قال هو الله أحد[(١)]، وقوله (الله) ابتداء وخبره (أحد)، وأصل (أحد) وحد فقلبت الواو همزة، وقد جاء وحد على الأصل، وحقيقة الوحد شيء لا ينقسم في نفسه أو معنى صفته، فإذا أطلق أحد من غير تقدم موصوف فهو واحد نفسه، فإذا جرى على موصوف فهو أحد في معنى صفته، فإذا قيل الجزء الذي لا يتجزأ واحد فهو واحد في معنى صفته، وإذا وصف تعالى بأنه

---

(١) ورد في سبب نزول هذه السورة عدة روايات، فقيل إنها نزلت بسبب سؤال المشركين، وقيل إنها بسبب سؤال اليهود، وقيل إنها بسبب سؤال النصارى، وقيل غير ذلك، وهذا السؤال عن صفة الرب ﷻ: "صف لنا ربك"، " انسب لنا ربك"، وليس فيها السؤال عن ماهية الرب، كما يقول الطوسي "ما ربك"، فإن السؤال "بما" يكون للماهية. انظر: مفاتيح الغيب: ٣٥٦/٣٢، وتفسير ابن كثير: ٥١٨/٧، ورفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب: ٢٩٠/١، وشرح التلخيص: ٣٥٣، وتتمة أضواء البيان: ١٥٥/٩..

أحد فمعناه أنه المختص بصفات لا يشاركه فيها غيره من كونه قديما وقادرا لنفسه وعالما وحيا وموجودا كذلك وأنه تحق له العبادة لا تجوز لأحد سواه ولا يجوز أن يكون (أحد) هذه هي التي تقع في النفي لأنها أعم العام على الجملة أحد والتفصيل فلا يصلح ذلك في الإيجاب كقولك ما في الدار أحد أي ما فيها واحد فقط ولا أكثر، ويستحيل هذا في الإيجاب وفى قوله (الله أحد) دليل فساد مذهب المجسمة لان الجسم ليس بأحد إذ هو أجزاء كثيرة وقد دل الله بهذا القول على أنه أحد فصح أنه ليس بجسم.

والمعنى الذي نستخلصه من هذه السورة العظيمة التي اشتملت على التوحيد الإلهي الحقيقي هو أن الله تبارك وتعالى واحد أحد إذ أن كل أحد واحد وليس كل واحد أحد.

إنها أحدية الذات والصفات فالله سبحانه وتعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ وبينما يثبت الوهابيون للخالق عَزَّوَجَلَّ صفات جسدية تنافي الأحدية الإلهية, حيث يقول في معرض تفسيره لحديث رسول الله ص [كذا] (من قال لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله – إثبات الصفات، خلافاً للأشعرية)!، أي أنه يثبت لله سبحانه صفة الوجه face"[١].

حقيقة هذه الدعوى:

هذه الدعوى مبنية على تعريف المعتزلة والأشاعرة للتوحيد، وبأنه واحد في ذاته لا قسيم له[٢].

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: ورد اسم الله الأحد والواحد في القرآن الكريم، فاسم الله (الأحد) ورد في موضع واحد من القرآن في سورة الإخلاص:﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١ – ٤]، وهي السورة العظيمة التي ورد في السنة عن النبي ﷺ أنها تعدل ثلث القرآن لكونها أخلصت لبيان أسماء الرب الحسنى

(١) نقض الوهابية: ٣٣-٣٤.

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة: ٢٧٢، والمغني للقاضي عبد الجبار: ٢٤/١، والإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: ٥٢.

وصفاته العظيمة العليا، وورد في الحديث القدسي: «وأنا الله الأحد الصمد»[١].

وأما اسمه (الواحد) فقد تكرر مجيئه في مواضع من القرآن منها قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقوله تعالى: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [ص: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].

وقد أفاد هذان الاسمان: (الواحد) (الأحد) توحُّد الرب سبحانه بجميع الكمالات بحيث لا يشاركه فيها مشارك، وأن الواجب على العباد توحيده عقداً وقولاً وعملاً، بأن يعترفوا بكماله المطلق، وتفرده بالوحدانية ويفردوه بأنواع العبادة[٢].

ثانيا: قول الكاتب في حقيقة الواحد: أنه شيء لا ينقسم في نفسه أو معنى صفته، فهذا لم يذكره أهل اللغة في كتبهم، ويريد به التوصل إلى مذهبه في تعريف التوحيد، وأن الله واحد في ذاته لا قسيم له، قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كلمة (أحد): " الهمزة والحاء والدال فرع والأصل الواو: وحد"[٣]، وقال أيضا في كلمة (واحد): "الواو والحاء والدال: أصل واحد يدل على الانفراد. من ذلك الوحدة. وهو واحد قبيلته، إذا لم يكن فيهم مثله...والواحد المنفرد"[٤]. "والله: الواحد الأحد، ذو الوحدانية والتوحد ...، ومن صفاته: الواحد الأحد.... وتقول: أحّدْتُ الله تعالى ووحّدْتُه. وهو الواحد الأحد"[٥].

وقال أبو إسحاق الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى الواحد والأحد: "هو المتفرد بوحدانيته في ذاته وصفاته، وقد فرق بعضهم بين الواحد والأحد: أن الواحد يفيد وحدة الذات فقط والأحد يفيده بالذات والمعاني"[٦].

---

(١) سنن النسائي، كتاب الجنائز، باب أرواح المؤمنين، برقم: ٢٠٧٨، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي.

(٢) فقه الأسماء الحسنى: ١٠٧-١١٠ باختصار.

(٣) مقاييس اللغة: ٦٧/١. وانظر: مفردات القرآن: ٦٦، والتحرير والتنوير: ٦١٣/٣٠.

(٤) المرجع السابق: ٩٠/٦. وانظر: مفردات القرآن: ٨٧٥.

(٥) لسان العرب: ٧٠/٣، ٤٥٠.

(٦) تفسير الأسماء الحسنى: ٥٨.

فالواحد منفرد بالذات في عدم المثل والنظير، والأحد بني على الانفراد، فالواحد منفرد بالذات، والأحد بالمعنى، والأحد من صفات الله عَزَّوَجَلَّ التي استخلصها لنفسه، ولا يشركه فيها شيء[1].

وقال الزجاجي رَحِمَهُٱللَّهُ: " الله عَزَّوَجَلَّ الواحد الأحد الذي لا ثاني له، ولا شريك له ولا مثل ولا نظير، وهو سبحانه الواحد الذي يعتمده عباده، ويقصدونه، ولا يتكلون إلا عليه عَزَّوَجَلَّ "[2].

وقال الشيخ عبدالرحمن ابن سعدي رَحِمَهُٱللَّهُ: " فالله سبحانه هو الذي توحد بجميع الكمالات بحيث لا يشاركه فيها مشارك ويجب على العبيد توحيده عقداً وقولاً وعملاً بأن يعترفوا بكماله المطلق وتفرده بالوحدانية ويفردوه بانواع العبادة"[3].

فهما اسمان دالان على أحدية الله ووحدانيته، أي: أنه سبحانه هو المتفرد بصفات المجد والجلال، المتوحد بنعوت العظمة والكبرياء والجمال، فهو واحد في ذاته لا شبيه له، وواحد في صفاته لا مثيل له، وواحد في أفعاله لا شريك له ولا ظهير، وواحد في ألوهيته فليس له ند في المحبة والتعظيم والذل والخضوع، وهو الواحد الذي عظمت صفاته حتى تفرد بكل كمال، وتعذر على جميع الخلق أن يحيطوا بشيء من صفاته أو يدركوا شيئاً من نعوته، فضلا عن أن يماثله أحد في شيء منها.

ثالثا: أنه مع تكرر ورود اسم الله الواحد في القرآن الكريم في مقامات متعددة، وفي سياقات مختلفة؛ لم يأت في أي سياق منها ما يدل على ما يقوله الكاتب بأنه: واحد في ذاته لا قسيم له؛ بل كلها في تقرير التوحيد وإبطال الشرك والتنديد.

فقال سبحانه في تقرير الوحدانية ووجوب إخلاص الدين له: ﴿ **وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ** ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ** ﴿٦٥﴾ ﴾ [ص: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ** ﴿٤﴾ **رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ**

---

(١) انظر: لسان العرب: ١/٣٥، ٨/٤٧٧٩-٤٧٨٣.

(٢) اشتقاق أسماء الله للزجاجي: ٩٠-٩٣. وانظر: شأن الدعاء: ٨٢-٨٣.

(٣) تيسير الكريم الرحمن: ٥/٤٨٥. وانظر: تقريب التدمرية: ١٣٨.

ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ ﴾ [الصافات: ٤ – ٥]، وقال سبحانه في بيان أن هذه الوحدانية هي خلاصة دعوة الرسل وزبدة رسالتهم: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [فصلت: ٦].

وقال تعالى في سياق الدعوة إلى الإسلام لله والاستسلام لعظمته والخضوع لجنابه: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴾ [الحج: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وقال تعالى في تنزيه نفسه عما أدعى في حقه من اتخاذ الولد وأنه ثالث ثلاثة تنزه وتقدس عن ذلك فقال: ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [الزمر: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾[النساء: ١٧١]، وقال تعالى في إبطال عقائد المشركين: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [النحل: ٥١]، وقال تعالى في مقام بيان عظمته وكمال ملكه وخضوع الخلائق له يوم القيامة: ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ [غافر: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

رابعا: أن أهل العلم يفرقون بين الواحد والأحد من عدة وجوه، وليس منها ما ذكره الكاتب بأنه إذا وصف بالوحدانية فهو مختص بمعنى الصفة، وإذا وصف بالأحدية فهو مختص بصفات لا يشاركه فيها غيره.

ومن الفروق التي ذكرها أهل العلم بين الأحد والواحد: " أنّ الأحد يشمل الواحد لأنه أعمّ منه، فيطلق على الواحد والواحدة والاثنين والجمع بنوعيهما، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ ﴾ [التوبة: ٦]، وتقول: ما رأيتُ أحدًا منهنّ، ولا يكون الواحد إلاّ للفرد المذكر.

الثاني: الواحد له مؤنث من لفظه، كقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ﴾ [النساء: ١١]، والأحد لا مؤنث له من لفظه إلاّ مع التركيب.

الثالث: الواحد يطلق على من يعقل ومن لا يعقل، فهو أعمّ من هذا الوجه، والأحد لا يكون إلا فيمن يعقل، فلا يقال: لا أملك أحدًا من الكتب.

الرابع: الواحد يجوز أن يكون معه ثانٍ، فيقال: ليس عندي واحدٌ بل اثنان، ولا يجوز: ليس عندي أحد بل اثنان.

الخامس: الواحد لا جمع له من لفظه، وجمعه آحاد، والأحد لا يجمع أصلا، وسئل المبرّد عن (الآحاد) أهو جمع لأحد؟ قال: معاذ الله، إنه ليس للأحد جمعٌ.

السادس: الأحد وصفٌ خاصّ بالله تعالى.

السابع: الواحد يدخل في الحساب والعدد والقسمة، والأحد ليس كذلك، ولذلك كان الواحد أول العدد، وقيل: يجوز أن يقال: أحد، اثنان...

الثامن: وهو من الفروق اللّفظية أن (أحد) يختصّ بتركيبه في (أحد عشر)، ولا يقال: واحد عشر.

التاسع: زعم بعضهم أن الأحد لا يستعمل إلا في النفي، وهو مردودٌ بالآية المذكورة في الوجه الأول.

العاشر: أن (الأحد) يستعمل اسمًا بمعنى إنسان في خصوص النفي، كالآية المتقدمة.

الحادي عشر: الأصل في (أحد) وَحَد، و(أحد) فرعٌ.

وأمّا من حيث معناهما اسمين من أسماء الله، فمن العلماء من لا يرى الفرق بينهما، والصحيح التفريق، وأقرب ما قيل في ذلك: أنّه إذا قيل: الله أحد، فمعناه: المنفرد بالإلهية، وإذا قيل: الله واحدٌ، فمعناه: الذي لا ثاني له"(١).

خامسا: قول الكاتب بأن الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يذكر سورة الإخلاص في كتاب التوحيد.

فهل يلزم أن يذكر سورة الإخلاص في كل كتاب له؟! فالإمام محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يذكرها ولم

---

(١) د. عبدالعزيز الحربي، http://www.al-madina.com/article/١٣٢٧١٩، ومجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية: http://www.m-a-arabia.com/site/٧٠٦٩.html. وانظر: المنهاج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، لزين محمد شحاته: ١/٩٨.

يذكر كثيرا غيرها من سور القرآن في كتاب التوحيد.

ولا يعني هذا أن الإمام لم يذكرها في جميع كتبه؛ بل هو رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكرها واستشهد بها في مواضع كثيرة[١]. وله تفسير لها ضمن مؤلفاته[٢]، قرر فيه التوحيد والتنديد بالشرك.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فمن أحسن الاقتران: أن الله قرن بين الإيمان به والكفر بالطاغوت؛ فبدأ بالكفر به على الإيمان بالله، وقرن الأنبياء بين الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، مع أن في الوصية بلا إله إلا الله ملازمة الذكر بهذه اللفظة والإكثار منها. ويتبين عظم قدرها، كما بيَّن ﷺ فضل سورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] على غيرها من السور، ذكر أنها تعدل ثلث القرآن مع قصرها. وكذلك حديث موسى عليه السلام، فإن في ذكره ما يقتضي كثرة الذكر بهذه الكلمة، كما في الحديث: «أفضل الذكر: لا إله إلا الله»[٣]"[٤].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " الأصل الثالث: وهو توحيد الذات والأسماء والصفات كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١ - ٤]"[٥].

وقال أيضاً رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: "تفسير سورة الإخلاص عن عبد الله بن حبيب قال: «خرجنا في ليلة ممطرة وظلمة، فطلبت النبي ﷺ ليصلي لنا فأدركناه، فقال: قل، فلم أقل شيئا، قال: قلتُ يا رسول الله، ما أقول؟ قال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء» قال الترمذي[٦]: حديث حسن صحيح.

---

(١) الرسائل الشخصية: ١٦٣/٦، والدرر السنية: ٦٨/٢.

(٢) مؤلفات الشيخ: ٢٨٣/٥، والدرر السنية: ٤٥٠/١٣.

(٣) سنن الترمذي، أبواب الدعوات، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، برقم: ٣٣٨٣, وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم: ٣٥٧٥.

(٤) الرسائل الشخصية: ١٦٢/٦.

(٥) الدرر السنية: ٦٨/٢.

(٦) كتاب أبواب الدعوات، برقم ٣٥٧٥، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي.

والأحد: الذي لا نظير له، والصمد: الذي تصمد الخلائق كلها إليه في جميع الحاجات، وهو الكامل في صفات السؤدد; فقوله: ﴿أَحَدٌ﴾ نفي النظير والأمثال، وقوله: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ إثبات صفات الكمال، وقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣] نفي الصاحبة والعيال، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤] نفي الشركاء لذي الجلال"(١).

سادسا: قول الكاتب: " وبينما يثبت الوهابيون للخالق عَزَّوَجَلَّ صفات جسدية تنافي الأحدية الإلهية " وذكر منها صفة الوجه لله تعالى.

وهذا مبني عنده على تعريفه للواحد بأنه الشيء الذي لا ينقسم في نفسه أو في معنى صفته، كما مر في الفقرة ثانيا.

أما أهل السنة فيقولون، أنه واحد في ربوبيته، وواحد في ألوهيته، وواحد أسمائه وصفات ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

أما إثبات الوجه لله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن:٢٧]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨]. قال الإمام ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بعد أن أورد جملة من الآيات تثبت صفة الوجه لله تعالى: "فنحن وجميع علمائنا ... مذهبنا: أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا، ونصدق ذلك بقلوبنا؛ من غير أن نشبه وجه الله خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، عز ربنا أن يشبه المخلوقين، وجل ربنا عن مقالة المعطلين"(٢).

---

(١) تفسير آيات من القرآن الكريم ضمن مؤلفات الشيخ: ٣٨٣/١.

(٢) كتاب التوحيد: ٢٥/١. وانظر: مجموع الفتاوى: ٦٨/٦، ١٦/٩، وأضواء البيان: ٨٠١/٧.

المطلب الحادي والعشرون: دعوى اعتقاد حلول الحوادث بالله تعالى

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى اعتقاد حلول الحوادث بالله تعالى، وأن القول عن صفات الله الفعلية: قديمة النوع حادثة الأحاد؛ قول شاذ.

يقول محمد باسم دهمان في بيان شذوذ ابن تيمية - حسب زعمه - ومن تبعه من السلفية وأتباع دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في اعتقادهم حلول الحوادث بالله واعتقاد أن الصفات الفعلية: قديمة النوع حادثة الآحاد:

"يقوم اعتقاد ابن تيمية والسلفية والوهابية على أن لفظ حلول الحوادث مجمل فإن أريد به المخلوقات فنقول لا تحل فيه الحوادث، وأن أريد بالحادث المتجدد فنقول بحلول الحوادث في ذات الله!! وعليه بنوا قولهم في كلام الله بأنه (قديم النوع حادث الآحاد) أي: متعدد الآحاد، فالكلام يحصل شيئاً بعد شيء، وكذلك قالوا في الصفات الفعلية الاختيارية بأنها (قديمة النوع حادثة الآحاد) والمراد بالصفات الفعلية عند الحنابلة: هي ما عدا الصفات الذاتية والخبرية"(١).

حقيقة هذه الدعوى:

هو إنكار المتكلمين للصفات الفعلية الاختيارية لله ﷻ المتعلقة بمشيئته وإرادته، منعًا - بزعمهم- لحلول الحوادث بذات الله تعالى، والله منزه عن حلول الحوادث، وأن الله لا يتجدد له عند وجود الموجودات نعتا ولا صفة، لذلك اضطروا إلى تأويل هذه الصفات (٢).

الجوب عن هذه الدعوى:

(١) مغالطات السلفية: ٢٢٠، ٢١٩، ٤٦١. وانظر: تحقيق مسائل مهمات من علم التوحيد والصفات: ١٢١.

(٢) انظر: تحفة المريد: ٦٥، وشرح المقاصد: ١٣٨/٤، والمواقف: ٢٧٥، ومجموع الفتاوى: ١٤٤/٦، ومسألة حلول الحوادث في ضوء منهج السلف: ٢٠-٢٢.

أولا: الحلول: هو عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر، كحلول الماء في الكوز[(١)].

والحوادث: جمع حادث، وهو الشيء المخلوق المسبوق بالعدم، ويسمى حدوثاً زمانياً. وقد يعبر عن الحدوث بالحاجة إلى الغير، ويسمى حدوثاً ذاتياً.

والحدوث الذاتي: هو كون الشيء مفتقراً في وجوده إلى الغير.

والحدوث الزماني: هو كون الشيء مسبوقاً بالعدم سبقاً زمانياً[(٢)].

ومعنى حلول الحوادث: أي قيامها بالله، ووجودها فيه تعالى.

ولفظ حلول الحوادث بالله تعالى من إطلاقات أهل الكلام، ومقصودهم بنفي حلول الحوادث: نفي اتصاف الله بالصفات الاختيارية الفعلية التي "يتصف بها الرب عَزَّوَجَلَّ فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته: مثل كلامه، وسمعه، وبصره، وإرادته، ومجيئه، ورضاه، ورحمته، وغضبه، وسخطه، ومثل خلقه وإحسانه، وعدله ومثل استوائه، ومجيئه، وإتيانه، ونزوله، ونحو ذلك من الصفات التي نطق بها الكتاب العزيز والسنة"[(٣)]، فينفون جميع الصفات الفعلية الاختيارية.

وحجتهم في ذلك أن قيام تلك الصفات بالله يعني قيام الحوادث أي الأشياء المخلوقة الموجودة بالله.

وإذا قامت به أصبح حادثاً بعد أن لم يكن، كما تكون المخلوقات حالَّة فيه، وهذا ممتنع؛ لذلك اضطروا إلى تأويل ما جاء في النصوص من هذه الصفات.

ثانيا: يؤمن أهل السنة والجماعة بأسماء الله وصفاته وأفعاله على الوجه اللائق به، وأن الله يفعل ما يشاء، على الوجه الذي يشاء، متى ما شاء[(٤)]، ومن خالفهم فقد سلك سبيل التعطيل

---

(١) انظر: التعريفات: ٩٧، وجامع العلوم في اصطلاحات الفنون: ٣٨/٢، ولسان العرب: ١٣١/٢، ومعجم مقاييس اللغة: ٣٦/٢، ومسألة حلول الحوادث في ضوء منهج السلف: ١٧.

(٢) انظر: التعريفات: ٨٥-٨٦، والمواقف: ٩٦، ٢٧٥، ومسألة حلول الحوادث في ضوء منهج السلف: ١٨.

(٣) مجموع الفتاوى: ٢١٧/٦، ١٣٤/١٦، وانظر: رسالة في الصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل: ٣/٢، والقول المفيد على كتاب التوحيد: ١٣٢/١، وشرح العقيدة الواسطية للهراس: ٥٣، والكواشف الجلية عن معاني الواسطية: ١٧٤، ٤٢٩، والصفات الإلهية في الكتاب والسنة: ٢٥٥.

(٤) انظر: كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب لابن خزيمة: ٣٢٨/١، والمسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في

والتشبيه.

قال يحيى بن معين[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " إذا سمعت الجهمي، يقول: أنا كفرت برب ينزل, فقل: أنا أؤمن برب يفعل ما يريد"[٢].

وقال أبو عثمان بن عبدالرحمن الصابوني[٣]رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وجوب الإيمان بصفات الله على الوجه اللائق به: "قرأت لأبي عبدالله بن أبي حفص البخاري - وكان شيخ بخارى في عصره بلا مدافعة، وأبو حفص كان من كبار أصحاب محمد بن الحسن الشيباني - قال أبو عبدالله- أعني ابن أبي حفص هذا -: سمعت محمد بن الحسن الشيباني يقول: قال حماد بن أبي حنيفة قلنا لهؤلاء - يعني الجهمية-: أرأيتم قول الله ﷻ: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الفجر: ٢٢] قالوا: أما الملائكة فيجيئون صفاً صفاً، وأما الرب تعالى فإنا لا ندري ما عني بذلك؟ ولا ندري كيف مجيئه؟ فقلت لهم: إنا لم نكلفكم أن تعلموا كيف جيئته؟.

ولكنا نكلفكم أن تؤمنوا بمجيئه، أرأيتم من أنكر أن الملك يجيء صفاً صفاً ما هو عندكم؟ قالوا: كافر مكذب، قلت: فكذلك إن أنكر أن الله سبحانه يجيء فهو كافر مكذب"[٤].

وقال أيضا: "إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة يعرفون ربهم تبارك وتعالى بصفاته التي نطق بها كتابه وتنزيله، وشهد له بها رسوله على ما وردت به الأخبار الصحاح ونقله العدول الثقات، ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه، ولا يكيفونها تكييف المشبهة، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه تحريف المعتزلة والجهمية، وقد أعاذ الله أهل السنة من

العقيدة: ٣٤٨/١، ونقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي على المريسي: ٤٩٤/١.

(١) يحيى بن معين بن عون الغطفاني مولاهم، أبو زكريا البغدادي، ثقة حافظ مشهور، إمام الجرح والتعديل، توفي سنة ٢٣٣هـ بالمدينة النبوية وله بضع وسبعون سنة. انظر: تاريخ بغداد: ١٧٧/١٤، وسير أعلام النبلاء: ٧١/١١.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: ٥٠١/٣.

(٣) إسماعيل بن عبد الرحمن النيسابوري الصابوني الشافعي، محدث، فقيه، مفسر، واعظ، نصر السنة في خراسان، ولقب شيخ الإسلام، من مؤلفاته: اعتقاد السلف وأصحاب الحديث، والانتصار، والدعوات، توفي سنة ٤٤٩هـ.

انظر: طبقات الشافعية ٢٧١/٤، وسير أعلام النبلاء ٤٠/١٨، تذكرة الحفاظ للذهبي ١١٢٧/٣.

(٤) عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني: ٤٦/١.

التحريف والتكييف، بأن منَّ عليهم بالتفهيم والتعريف، حتى سلكوا سبيل التوحيد والتنزيه، وتركوا القول بالتعطيل والتشبيه، واتبعوا قوله عز من قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. قلت نعم هذا هو الحق، ولهذا فأصحاب الحديث بل الأئمة منهم كانوا يؤمنون بجميع أفعال الله وصفاته وكانوا يمرونها على ظاهرها ولا يخوضون فيها ولا يسألون عن كيفيتها، فهذا مالك إمام أهل الحجاز وهذا الثوري إمام أهل العراق، وهذا الأوزاعي إمام أهل الشام، وهذا الليث بن سعد إمام أهل مصر والمغرب، ثبت عنهم وعن غيرهم خلق كثير أنهم كانوا يؤمنون بها ويمرونها على ظاهرها ولا يؤولون فيها ولا يكيفون فيها"(١).

بل قد قال بعض متقدمي الأشاعرة بإثبات الصفات الفعلية لله ﷻ، قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه العلو، نقلاً عن أبو الحسن علي بن مهدي الطبري تلميذ الأشعري في كتاب (مشكل الآيات) له في باب قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]: "اعلم أن الله في السماء، فوق كل شيء، مستو على عرشه، بمعنى أنه عال عليه، ومعنى الاستواء الاعتلاء، كما تقول العرب: استويت على ظهر الدابة، واستويت على السطح، بمعنى علوته، واستوت الشمس على رأسي، واستوى الطير على قمة رأسي، بمعنى علا في الجو فوجد فوق رأسي، فالقديم(٢) جل جلاله عال على عرشه، يدلك على أنه في السماء عال على عرشه قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى﴾ [الملك: ١٦]، وقوله: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وقوله: ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]..."(٣).

وقال أبو بكر الباقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "في كتاب الذب عن أبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كذلك قولنا في جميع المروي عن رسول الله ﷺ في صفات الله إذا صح من إثبات اليدين والوجه والعينين، ونقول إنه يأتي يوم القيامة في ظلل من الغمام، وإنه ينزل إلى السماء الدنيا كما في

---

(١) المرجع السابق: ١/١٠٥.

(٢) القديم: ليس من أسماء الله الحسنى، ولا صفة من صفاته، وإنما يجوز إطلاقه على الله تعالى في مقام الإخبار عنه، لا مقام التسمية والوصف. ومعناه عندهم الذي لم يسبق بعدم. ويغني عنه اسم الله: الأول. انظر: مجموع الفتاوى: ٩/٣٠١، وبدائع الفوائد: ١/٢٨٤-٢٨٥.

(٣) العلو: ٢٣١. وانظر بيان تلبيس الجهمية: ٢/٣٣٥.

الحديث، وإنه مستو على عرشه"، إلى أن قال: "وقد بينا دين الأئمة وأهل السنة أن هذه الصفات تمر كما جاءت بغير تكييف، ولا تحديد، ولا تجنيس، ولا تصوير"[(١)].

ثالثا: أن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية نصت بأدلة صريحة واضحة -لمن أراد الحق- على إثبات الصفات الفعلية الاختيارية المتعلقة بمشيئة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤]، وفي هذه الآية أثبت الله تعالى لنفسه الأفعال التالية: خلق، استوى، يعلم، يبصر.

وقال تعالى: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [الحديد: ٢]، وفي هذه الآية أثبت الله تعالى لنفسه: فعل الحياة، والموت، والقدرة على فعل كل شيء.

وقال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ [المجادلة: ١]، ففي هذه الآية أثبت الله تعالى لنفسه: فعل سمع ويسمع.

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: ٢٥]، وفي هذه الآية أثبت الله تعالى لنفسه: فعل الدعوة والهداية.

أما الأحاديث النبوية فعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»[(٢)]، فأثبت هذا الحديث الأفعال التالية: يخفض، يرفع، كشف، لا ينام.

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض»[(٣)]"، فأثبت الحديث الأفعال التالية:

---

(١) العلو: ٢٣٧. وانظر مجموع الفتاوى: ٥/٩٨-٩٩.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قوله عليه الصلاةالسلام: إن الله لا ينام، برقم: ١٧٩.

(٣) صحيح البخاري، تفسير سورة الزمر، باب: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ

يقبض، يطوي، يقول.

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد، فيضع فيها رب العالمين قدمه فيزوى بعضها إلى بعض وتقول قط قط، بعزتك وكرمك، ولا تزال الجنة تفضل حتى ينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة»(١). أثبت الحديث الأفعال التالية: يضع، يزوي، يُنشئ، يُسكن.

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عَزَّ وَجَلَّ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده في النهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»(٢). أثبت الحديث الفعل التالي: يبسط يده.

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ: «لله أفرح بتوبة عبده من احدكم سقط من بعيره وقد أضله في أرض فلاة»، وفي رواية: «لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه... إلخ» الحديث(٣). أثبت الحديث: فرح الله بتوبة عبده.

هذه بعض الأدلة الصريحة على أفعال الله تعالى التي وردت في الكتاب والسنة النبوية، وهي تمثل أدلة صريحة وظاهرة على صحة إثبات الأفعال الإلهية الاختيارية، فهل يقول عاقل بعد ذلك بنفيها؟.

خامسا: أن لفظ: حلول الحوادث من الألفاظ المجملة، وليس معروفاً عند سلف الأمة، ولم يرد في كتاب ولا سنة، لا نفياً ولا إثباتا؛ بل هو عين دعوى الفلاسفة في أن الله: "لا يتغير ولا يتحرك" أخذها المتكلمون وسموها: نفي حلول الحوادث, وهي دعوى باطلة شرعاً كما أنها باطلة عقلاً، إذ لازمها أن الله ﷻ جماد أو ميت فإن الجماد والميت هو الذي لا يتأتى منه

مَطْوِيَّتُۢ ﴾، برقم: ٤٨١٢.

(١) صحيح البخاري، تفسير سورة ق، باب قوله تعالى: ﴿ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾، برقم: ٤٨٤٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب غيرة الله تعالى، برقم: ٢٧٦٠.

(٣) صحيح مسلم، كتاب التوبة باب، الحض على التوبة، برقم: ٢٧٤٧.

الفعل أو الحركة[١].

ولـذلك فـإن السـلف لا يطلقـون هـذا اللفـظ، ويستفصـلون ممـن اطلقـه ، فـإن أرد بنفـي حلول الحوادث بالله أن لا يحل بذاته المقدسة شيء من مخلوقاته المحدثة، أو لا يحدث له وصف متجدد لم يكن له من قبل فهذا النفي صحيح، فالله عَزَّوَجَلَّ ليس محالاً لمخوقاته وليست موجودة فيه، ولا يحدث له وصف متجدد لم يكن له من قبل.

وإن أرد بنفـي حلـول الحـوادث: نفـي أفعالـه الاختياريـة الـتي يفعلهـا مـتى شـاء كيـف شـاء كـالنزول، والاستواء، والرضـا، والغضـب، والمجيء لفصـل القضـاء ونحـو ذلـك فهـذا النفـي باطـل مردود.

وقد اعتراف الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المطالب العالية بأن قول من قال: "أنه تعالى متكلم بكلام يقوم بذاته وبمشيئته واختياره هو أصح الأقوال نقلاً وعقلاً"[٢].

قـال الإمـام أحمـد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صـفات الله: "لا يُتعدى القـرآن والحـديث، فنقـول كمـا قـال ونصفه بما وصف به نفسه ولا يُتعدَّى ذلك"[٣].

وقال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح الطحاوية في تعليقه على كلام الطحاوي: "تعالى ربنا عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات"، قال: "أذكر بين يدي الكلام على عبارة الشـيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقدمـة، وهـي: أن النـاس في إطـلاق مثـل هـذه الألفـاظ ثلاثـة أقـوال: فطائفـة تنفيها، وطائفة تثبتها، وطائفة تفصل، وهم المتبعون للسلف، فلا يطلقون نفيها ولا إثباتها إلا إذا بين ما أثبت بها فهو ثابت، وما نفي بها فهو منفي؛ لأن المتأخرين قد صارت هذه الألفاظ في اصطلاحهم فيها إجمال وإبهام، كغيرها من الألفاظ الاصطلاحية، فليس كلهم يستعملها في نفـس معناهـا اللغـوي. ولهـذا كـان النفـاة ينفـون بهـا حقـاً وباطـلاً، ويـذكرون عـن مثبتيهـا مـا لا يقولـون بـه، وبعـض المثبتـين لهـا يـدخل فيهـا معـنى باطـلاً، مخالفـاً لقـول السـلف، ولمـا دل عليـه

(١) انظر: أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة: ٤٢/٢.

(٢) المطالب العالية من العلم الإلهي: ٢٠٣/٣. وانظر: فتح الباري: ٤٥٥/٣، والأمدي وأرؤه الكلامية: ٣٤٦-٣٤٧، ودرء التعارض: ١٩٥/٢.

(٣) الرسائل والمسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة: ٢٧٧/١.

الكتاب والميزان. ولم يرد نص من الكتاب ولا من السنة بنفيها ولا إثباتها، وليس لنا أن نصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه ولا وصفه به رسوله نفياً ولا إثباتاً، وإنما نحن متبعون لا مبتدعون"(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومن الأصول الكلية أن يعلم أن الألفاظ نوعان: نوع جاء به الكتاب والسنة فيجب على كل مؤمن أن يقر بموجب ذلك، فيثبت ما أثبته الله ورسوله، وينفي ما نفاه الله ورسوله، فاللفظ الذي أثبته الله أو نفاه حق، فإن الله يقول الحق وهو يهدي السبيل، والألفاظ الشرعية لها حرمة...

وأما الألفاظ التي ليست في الكتاب والسنة ولا اتفق السلف على نفيها أو إثباتها فهذه ليس على أحد أن يوافق من نفاها أو أثبتها حتى يستفسر عن مراده، فإن أراد بها معنى يوافق خبر الرسول أقر به وإن أراد بها معنى يخالف خبر الرسول أنكره"(٢).

وقال أيضاً: "وما تنازع فيه المتأخرون، نفياً وإثباتاً، فليس على أحد، بل ولا له أن يوافق أحداً على إثبات لفظ أو نفيه، حتى يعرف مراده، فإن أراد حقاً قبل، وإن أراد باطلاً رد، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقاً، ولم يرد جميع معناه، بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى"(٣).

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية: ١٨٩.

(٢) مجموع الفتاوى: ١٢/١١٣-١١٤.

(٣) التدمرية: ٦٥-٦٦.

المطلب الثاني والعشرون: دعوى مخالفة الإمام وأتباعه لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في إثبات الكرامة والتصرف للولي بعد وفاته

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى مخالفة الإمام وأتباعه لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في إثبات الكرامة والتصرف للولي بعد وفاته.

يقول عثمان النابلسي إن: "ابن تيمية وابن القيم يثبتان الكرامة والتصرف للولي بعد وفاته، والوهابية يكفرون القائلين بذلك.

قال ابن تيمية في "اقتضاء الصراط المستقيم" (ص٣٧٣):

(وكذلك أيضاً ما يروى: أن رجلاً جاء إلى قبر النبي ﷺ، فشكا إليه الجدب في عام الرمادة، فرآه وهو يأمره أن يأتي عمر، فيأمره أن يخرج يستسقي بالناس، فإن هذا ليس من هذا الباب، ومثل هذا يقع كثيراً لمن هو دون النبي ﷺ، وأعرف من هذا وقائع.

وكذلك سؤال بعضهم للنبي ﷺ، أو لغيره من أمته حاجة فتقضى له، فإن هذا قد وقع كثيراً، وليس هو مما نحن فيه.

فهذا القدر إذا وقع يكون كرامة لصاحب القبر، أما أن يدل على حسن حال السائل، فلا فرق بين هذا وهذا).

في هذا النص وغيره مما نقلته سابقاً، يرى ابن تيمية أن للأولياء كرامات بعد موتهم، وذهب إلى مثله ابن القيم في الروح فقال (ص١٠٣):

(فإذا كان هذا وهي - الروح- محبوسة في بدنها -أي في الحياة- فكيف إذا تجردت وفارقته واجتمعت فيها قواها، وكانت في أصل شأنها روحاً علية زكية كبيرة ذات همة عالية؟ فهذه لها بعد مفارقة البدن -بالموت- شأن آخر وفعل آخر، وقد تواترت الرؤيا في أصناف بني آدم على فعل الأرواح بعد موتها ما لا تقدر على مثله -حال اتصالها بالبدن- من هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد والاثنين والعدد القليل ونحو ذلك، وكم قد رُئي -في النوم- النبي ومعه

أبو بكر وعمر، قد هزمت أرواحهم عساكر الكفر والظلم، فإذا بجيشوهم مغلوبة مكسورة مع كثرة عَددهم وعُددهم وضعف المؤمنين وقلتهم).

فابن تيمية وابن القيم يُثبتان تصرفات الأرواح بعد الممات على سبيل الكرامة، إلا أن الوهابية يعتبرون ذلك شركاً محققاً!، فقد قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن من مشايخ الوهابية عن معتقدات طائفته، في رسالة أملاها على لسان راشد بن عبيدالله الغزي "الدرر السنية في الأجوبة النجدية": (٥٠٢/١):

(وكذلك: ينكرون ويكفّرون -أي الوهابية- من قال بأن لأرواح المشايخ تصرفات بعد الممات وأن ذلك لهم على سبيل الكرامات، فإن هذا من أشنع الأقوال المكفرة، وأضلها لمصادمة الكتاب المصدق، ولما فيه من الشرك المحقق!!)" [١].

حقيقة هذه الدعوى:

هذه الدعوى: بأن للولي التصرف بعد وفاته على سبيل الكرامة دعوى قديمة[٢]، لكنهم أضافوا عليها أن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم يقولان بهذا القول، وأن الإمام وأتباعه يخالفونهم في ذلك، ويقولون بتكفير من يقول بهذا القول.

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: الكرامة لغة: مصدر (كَرُم) ، أو اسم مصدر من (كرّم) أو (أكرم) .

و "الكاف والراء والميم: أصل صحيح ، له بابان؛ أحدهما: شرف الشيء في نفسه، أو شرف في خلق من الأخلاق" [٣].

---

(١) الرؤية الوهابية للتوحيد: ٣١١-٣١٢، وانظر: التوسل بالصالحين بين المجيزين والمانعين: ١٩١، ٨٠، ١٦١، حكم الصحابة العلية على القبور والصوفية: ١٤٥، ١٦٦، ١٧٢، ١٩٧، شبهات المبتدعة في توحيد العبادة: ٥١٥/١، ٥١٩، ٩٥٤/٢، دعاوى المناوئين: ١٣٨.

(٢) انظر الرسالة للقشيري: ١٥٨، وجامع كرامات الأولياء: ١٥/١، وللرد عليها انظر: كرامات الأولياء للعنقري: ٤١٥-٤١٧، ٢٥١-٢٥٢، ودعاوى المناوئين: ١٣٨-١٥٦.

(٣) مقاييس اللغة: ١٧٢/٥.

والكرامة من الكرم ، وهو: ضد اللؤم ونقيضه[١]، والكرامة: اسم يوضع للإكرام، كما وضعت الطاعة في موضع الإطاعة[٢].

أما اصطلاحاً: فلم ترد الكرامة بهذا اللفظ في الكتاب ولا السنة ولا كلام الصحابة، وقد سماها الله – عَزَّوَجَلَّ – آية، فقال بعد ذكر كرامة أهل الكهف: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [الكهف:١٧]، فهي آيات وبراهين على قدرة الله ، ودالة على كرامة صاحبها وإنما سميت بهذا تمييزاً لها عن المعجزة ، وهذا التفريق في اللفظ إنما قال به كثير من المتأخرين[٣]، ثم شاع، وصار هو المقول به في عامة أقوال العلماء.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " اسم المعجزة يعم كل خارق للعادة في اللغة وعرف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره – ويسمونها: الآيات – لكن كثيرا من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما فيجعل المعجزة للنبي والكرامة للولي وجماعهما الأمر الخارق للعادة "[٤].

وعرفها الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: "الكرامة: أمر خارق للعادة، يجريه الله تعالى على يد ولي، تأييدا له، أو إعانة، أو تثبيتا، أو نصرا للدين"[٥].

ويقول محمود شكري الألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " كل من يذكر تعريف الكرامة وحدها يقول: هي خرق الله العادة لوليه لحكمة ومصلحة تعود عليه أو على غيره"[٦].

وهي بهذا التعريف لا ينكره أحد من أئمة السلف، فأهل أهل السنة والجماعة يؤمنون بكرامات الأولياء وأنها حق، " باتفاق أئمة الإسلام والسنة والجماعة، وقد دل عليها القرآن في غير موضوع، والأحاديث الصحيحة والآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين وغيرهم؛ وإنما أنكرها

---

(١)انظر: القاموس المحيط: ١١٥٣.

(٢) انظر: لسان العرب: ٥١٢/١٢.

(٣) انظر: النبوات: ١٥.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى: ٣١٢/١١.

(٥) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: ٦٢٦/٨.

(٦) فتح المنان: ٤١٣، وانظر: لوامع الأنوار البهية: ٣٩٢/٢، والدرر السنية: ٢١١/١١، وفتاوى اللجنة الدائمة: ٣٨٨/١.

أهل البدع من المعتزلة والجهمية ومن تابعهم"(١).

يقول الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عقيدته: " ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم"(٢).

ويقول الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأقر بكرامات الأولياء، وما لهم من المكاشفات، إلا أنهم لا يستحقون من حق الله تعالى شيئاً، ولا يطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله"(٣).

ويذكر الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ الواجب في حق أولياء الله الصالحين فيقول: " الواجب عليهم حبهم واتباعهم والإقرار بكرامتهم، ولا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلال، ودين الله وسط بين طرفين، وهدى بين ضلالتين، وحق بين باطلين"(٤).

ويؤكد أتباع الدعوة – من بعد الشيخ محمد بن عبد الوهاب – هذا الاعتقاد ويقررونه. يقول الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ولا ننكر كرامات الأولياء، ونعترف لهم بالحق، وأنهم على هدى من ربهم، مهما ساروا على الطريقة الشرعية والقوانين المرعية، إلا أنهم لا يستحقون شيئاً من أنواع العبادات، لا حال الحياة، ولا بعد الممات بل يطلب من أحدهم الدعاء في حالة حياته، بل ومن كل مسلم"(٥).

وقد سئل العلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن عن كرامات الأولياء، فأجاب عن ذلك فكان مما قاله: "مسألة: كرامات الأولياء حق، فهل تنتهي إلى إحياء الموتى وغيرها من المعجزات ؟.

الجواب: كرامات الأولياء حق عند أهل السنة والجماعة، والولي أعطي الكرامة ببركة اتباعه للنبي ﷺ، فلا تظهر حقيقة الكرامة عليه، إلا إذا كان داعياً لاتباع النبي ﷺ بريئاً من كل بدعة وانحراف عن شريعته ﷺ، فببركة اتباعه يؤيده الله تعالى بملائكته وبروح منه"(٦).

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية: ١/١٢٠.

(٢) العقيدة الطحاوية: ٨٤.

(٣) الدرر السنية: ١/٣٢.

(٤) مجموعة مؤلفات الشيخ: ١/١٦٩.

(٥) الدرر السنية: ١/٢٣١.

(٦) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية: ٢/٨٣-٨٤.

وقد صنف أهل السنة والجماعة الكتب في كرامات الأولياء وأخبارهم، مثل ما في كتاب (الزهد) للإمام أحمد و(حلية الأولياء) لأبي نعيم الأصبهاني، و(كرامات الأولياء) للالكائي[١].

ثانيا: أن نسبة هذا القول – عدم تكفير القائل بإثبات الكرامة والتصرف للولي بعد وفاته– لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم لا تصح؛ فشيخ الإسلام وابن القيم يثبتون الكرامة للأولياء؛ ولكن ينكرون الاعتقادات الباطلة، ويدل عليه كلام ابن تيمية نفسه في نفس الموضع الذي نقل منه الكاتب؛ لكن عادة بعض أهل البدع بتر النصوص وعدم النقل الصحيح، وسأنقل كلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والجواب عن هذه الشبهة من كلامه، حيث يقول:

"ولا يدخل في هذا الباب –أي استجابة الدعاء عند القبر– ما يروى من أن قوماً سمعوا رد السلام من قبر النبي ﷺ، أو قبور غيره من الصالحين. وأن سعيد بن المسيب كان يسمع الأذان من القبر ليالي الحرة[٢]، ونحو ذلك. فهذا كله حق ليس مما نحن فيه، والأمر أجل من ذلك وأعظم.

وكذلك أيضاً ما يروى: «أن رجلاً جاء إلى قبر النبي ﷺ، فشكا إليه الجدب عام الرمادة[٣]، فرآه وهو يأمره أن يأتي عمر، فيأمره أن يخرج يستسقي بالناس»[٤]. فإن هذا ليس من هذا الباب. ومثل هذا يقع كثيراً لمن هو دون النبي ﷺ، وأعرف من هذا وقائع[٥].

وكذلك سؤال بعضهم للنبي ﷺ، أو لغيره من أمته حاجة فتقضى له، فإن هذا قد وقع كثيراً، وليس هو مما نحن فيه.

وعليك أن تعلم أن إجابة النبي ﷺ أو غيره لهؤلاء السائلين، ليس مما يدل على استحباب

---

(١) انظر: منهاج السنة النبوية: ١٣٥/٨، وكرامات الأولياء للعنقري: ٣٩-١٧٣، وكرامات الأولياء للأبي: ١٩-٤٨٨.

(٢) أي ليالي وقعة الحرة التي حدثت سنة ٦٣هـ بين أهل المدينة وجيش يزيد بن معاوية بقيادة مسلم بن عقبة فهزم أهل المدينة واستباحها. انظر: البداية والنهاية: ٢١٧/٨-٢٢٤.

(٣) سمي عام الرمادة؛ لأن الأرض اسودت من الجدب حتى صار لونها كالرماد. وهو عام ١٨هـ في عهد عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. انظر: البداية والنهاية: ٩٠/٨.

(٤) ذكر القصة ابن كثير في البداية والنهاية: ٩١/٧، ٩٢، وصحح إسنادها.

(٥) يريد به أن الوقائع القدرية في مثل هذا لها أسباب متعددة لا يحيط بها إلاَّ الله، فلا يستدل بها على التشريع والاستحباب أو الجواز. انظر: مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام: ٥٠٧.

السؤال، فإنه هو القائل ﷺ: «إن أحدهم ليسألني المسألة فأعطيه إياها، فيخرج بها يتأبطها ناراً، فقالوا: يا رسول الله، فلم تعطيهم؟ قال: يأبون إلا أن يسألوني، ويأبى الله لي البخل»[١].

وأكثر هؤلاء السائلين الملحين لما هم فيه من الحال، لو لم يجابوا لاضطرب إيمانهم، كما أن السائلين به في الحياة كانوا كذلك، وفيهم من أجيب وأمر بالخروج من المدينة.

فهذا القدر إذا وقع يكون كرامة لصاحب القبر، أما أن يدل على حسن حال السائل، فلا فرق بين هذا وهذا، فإن الخلق لم ينهوا عن الصلاة عند القبور، واتخاذها مساجد استهانة بأهلها، بل لما يخاف عليهم من الفتنة، وإنما تكون الفتنة إذا انعقد سببها، فلولا أنه قد يحصل عند القبور ما يخاف الافتتان به لما نهى الناس عن ذلك.

وكذلك ما يذكر من الكرامات، وخوارق العادات، التي توجد عند قبور الأنبياء والصالحين مثل نزول الأنوار والملائكة عندها وتوقي الشياطين والبهائم لها، واندفاع النار عنها وعمن جاورها، وشفاعة بعضهم في جيرانه من الموتى، واستحباب الاندفان عند بعضهم، وحصول الأنس والسكينة عندها، ونزول العذاب بمن أهانها، فجنس هذا حق، ليس مما نحن فيه.

وما في قبور الأنبياء والصالحين، من كرامة الله ورحمته، وما لها عند الله من الحرمة والكرامة فوق ما يتوهمه أكثر الخلق، لكن ليس هذا موضع تفصيل ذلك. وكل هذا لا يقتضي استحباب الصلاة، أو قصد الدعاء أو النسك عندها، لما في قصد العبادات عندها من المفاسد التي علمها الشارع ... فذكرت هذه الأمور لأنها مما يتوهم معارضته لما قدمناه، وليس كذلك"[٢].

فهذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يبين فيه الكرامة للولي أو صاحب القبر، ثم ذكر بعدها أن هذه الكرامة لا تستوجب المخالفة الشرعية والاعتقاد الباطل في هؤلاء الأولياء[٣]. وهو موافق لما ذكره الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) مسند الإمام أحمد، برقم: ١١١٢٣، وانظر: صحيح الترغيب والترهيب رقم: ٨١٥.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم: ٢/٢٥٤-٢٥٦ باختصار.

(٣) انظر: تفصيل عقيدة أهل السنة والجماعة في الكرامات والرد على المخالفين في كتاب كرامات الأولياء د. عبدالله العنقري.

وقال شيخ الإسلام أيضًا أما " المهتدون، فهم لا ينكرون ما خلقه الله من القوى والطبائع في جميع الأجسام والأرواح، إذ الجميع خلق الله، لكنهم يؤمنون بما وراء ذلك من قدرة الله التي هو بها على كل شيء قدير، ومن أنه كل يوم هو في شأن، ومن أن إجابته لعبده المؤمن خارجة عن قوة نفسه، وتصرف جسمه وروحه، وبأن الله يخرق العادات لأنبيائه، لإظهار صدقهم ولإكرامهم بذلك. ونحو ذلك من حكمه، وكذلك يخرقها لأوليائه: تارة لتأييد دينه بذلك، وتارة تعجيلاً لبعض ثوابهم في الدنيا، وتارة إنعاماً عليهم بجلب نعمة أو دفع نقمة، ولغير ذلك، ويؤمنون بأن الله يرد بما أمرهم به من الأعمال الصالحة والدعوات المشروعة ما جعله في قوى الأجسام والأنفس، ولا يلتفتون إلى الأوهام التي دلت الأدلة العقلية أو الشرعية على فسادها، ولا يعملون بما حرمته الشريعة، وإن ظن أن له تأثيراً.

وأما العلم بغلبة السبب: فله طرق في الأمور الشرعية، كما له طرق في الأمور الطبيعية منها: الاضطرار، فإن الناس لما عطشوا وجاءوا على عهد رسول الله ﷺ، فأخذ غير مرة ماء قليلاً، فوضع يده الكريمة فيه حتى فار الماء من بين أصابعه[(١)] ووضع يده الكريمة في الطعام، وبرك فيه حتى كثرَ كثرةً خارجة عن العادة[(٢)]، فإن العلم بهذا الاقتران المعين، يوجب العلم بأن كثرة الماء والطعام كانت بسببه ﷺ، علمًا ضروريًا، كما يعلم أن الرجل إذا ضُرب بالسيف ضربة شديدة صرعته فمات، أن الموت كان منها، بل أوكد، فإن العلم بأن كثرة الماء والطعام ليس له سبب معتاد في مثل ذلك أصلًا، مع أن العلم بهذه المقارنة يوجب علمًا ضروريًا بذلك".

ثم قال: "وبالجملة: فالعلم بأن هذا كان هو السبب أو بعض السبب أو شرط السبب، في هذا الأمر الحادث، قد يعلم كثيراً وقد يظن كثيراً وقد يتوهم كثيراً وهما ليس له مستند صحيح إلا ضعف العقل.

ويكفيك أن كل ما يظن أنه سبب لحصول المطالب مما حرمته الشريعة من دعاء أو غيره لابد فيه من أحد أمرين:

---

(١) انظر: صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ، برقم: ٢٢٧٩.

(٢) انظر: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار، برقم: ٢٧.

إما أن لا يكون سبباً صحيحاً، كدعاء من لا يسمع ولا يبصر، ولا يغني عنك شيئاً. وإما أن يكون ضرره أكثر من نفعه.

فأما ما كان سبباً صحيحاً منفعته أكثر من مضرته، فلا ينهى عنه الشرع بحال. وكل ما لم يشرع من العبادات مع قيام المقتضى لفعله من غير مانع فإنه من باب المنهي عنه[1].

ثالثا: أن القصة التي ذكرها: «أن رجلاً جاء إلى قبر النبي ﷺ فشكا إليه الجدب عام الرمادة، فرآه وهو يأمره أن يأتي عمر، فيأمره أن يخرج يستسقي بالناس»، فقوله: "فرآه" هذه رؤيا منامية وليست أمرا نبويًا، والرؤيا لا يؤخذ منها أحكامًا.

رابعا: أما النقل عن ابن القيم "فإذا كان هذا وهي - الروح- محبوسة في بدنها -أي في الحياة- فكيف إذا تجردت وفارقته..."؛ فإن كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الروح وأحكامها، وليس في كلامه دعوى لسؤال الأموات والمقبورين من الصالحين بل إنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحارب ذلك بشدة وينتقده ويصف فاعله بالشرك في الألوهية[2].

ثم هو يقول: "وقد تواترت الرؤيا"، و"كم قد رئي- في النوم-" وكل هذا يدخل في باب الرؤيا الصالحة والمبشرات، وهذا كما يرى البعض رؤيا كثيرة يرى فيها النبي ﷺ أو بعض الصالحين ويسئله عن أشياء ويرشده النبي إلى الصواب ويرشده الشيخ الصالح إلى الخير. وهي رؤيا منامية ولا يترتب عليها أحكام شرعية، وإنما يستأنس بها.

خامسا: أن احتجاجكم بكلام شيخ الإسلام ابن تيميه وتلميذه ابن القيم رحمهما الله، يحتاج إلى أمرين: أحدهما: ثبوت ذلك عنهما. والثاني: معرفة معنى كلامهما[3].

ثم إذا كنتم تستدلون بكلام ابن تيمية وابن القيم في هذه المسألة، فلماذا لا تستدلون ببقية كلامهم في مسائل التوحيد والشرك؟.

سادسا: أن مراد القوم من نقل هذا الكلام لابن تيمية وغيره هو الخلط بين إنكار

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم: ٧١٧/١-٧٢١ باختصار.

(٢) انظر: مدراج السالكين: ٣٥٣/١، وإغاثة اللهفان: ١٩٥/١، والداء والدواء: ١٨٤.

(٣) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ١-١٣٧-١٣٨.

الشركيات وإنكار الكرامة ليلبسوا على الناس[١]:

وقد نبه العلامة محمود الألوسي[٢] على أن الغلاة تعمدوا الخلط في هذا الموضوع، ليربطوا ما بين إنكار الشركيات وإنكار الكرامة، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "من الأمور التي يجب التنبيه عليها أن من مكايد الغلاة التي كادوا بها العوام أنهم يقولون: إن الاستغاثة بالأموات ونداءهم في المهمات وشد الرحال لزيارة قبورهم، وتقديم قرابينهم إليها ونذورهم هو من علامات محبتهم والتقرب بقربتهم، ومن أنكر ذلك وأبى ما هنالك، ونهى عن زخرفتها... وقصد أهلها في طلب الحاجات والالتجاء إليها في المهمات فهو من المبغضين للصالحين، والمنكرين لكرامات الأولياء والصديقين"[٣].

---

(١) انظر: كرامات الأولياء: ٢٥٢.

(٢) محمود شكري بن عبد الله بن محمود الخطيب، البغدادي، الحسيني الحنفي، المشهور بأبي المعالي الألوسي، من مؤلفاته: غاية الأماني في الرد على النبهاني، فتح المنان تتمة منهاج التأسيس رد صلح الإخوان، صب العذاب على من سب الأصحاب وغيرها، توفي سنة ١٣٤٢هـ. انظر: أعلام العراق: ٨٥، ٣٤١، ومشاهير علماء نجد وغيرهم: ٢٨٦.

(٣) غاية الأماني: ٣٧/١.

الفصل الثاني

الدعاوى المتعلقة بالإمامة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المراد بالإمامة .

المبحث الثاني: عقيدة أهل السنة والجماعة في الإمامة .

المبحث الثالث: الدعاوى المتعلقة بالإمامة والجواب عنها .

المبحث الأول: المراد بالإمامة

الإمامة في اللغة:

مصدر من الفعل (أم)، تقول: أمهم، وأم بهم: تقدمهم، وهي الإمامة، والإمام: كل ما ائتم به من رئيس أو غيره [١].

والإمام: "كل من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين.. والجمع: أئمة، وإمام كل شيء قيمه والمصلح له، والقرآن إمام المسلمين، وسيدنا محمد رسول الله ﷺ إمام الأئمة، والخليفة إمام الرعية، وأممت القوم في الصلاة إمامة، وائتم به: اقتدي به" [٢].

والإمام: " الطريق الواسع، وبه فسر قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: ٧٩]، أي: بطريق يؤم، أي: يقصد فيتميز".

قال: "والخليفة إمام الرعية، قال أبو بكر: يقال فلان إمام القوم معناه: هو المتقدم عليهم، ويكون الإمام رئيسا كقولك: إمام المسلمين" [٣].

وفي الاصطلاح:

تطلق الإمامة في الاصطلاح على معان ثلاثة وهي:

١- الإمامة الكبرى، وهي الخلافة أو الملك أو رئاسة الدولة.

٢- الإمامة الصغرى، وهي: إمامة الصلاة.

٣- يوصف بالإمامة: العالم الذي تفوق على غيره في اختصاصه [٤]، والمقصود هنا من هذه المعاني الثلاثة المعنى الأول.

وقد عرفت الإمامة في الاصطلاح بعدة تعريفات، منها:

---

(١) انظر: الصحاح: ١٨٦٥/٥.

(٢) لسان العرب: ٢٤/١٢-٢٦.

(٣) تاج العروس: ٢٤٣/٣١، وانظر: الموسوعة الفقهية الكويتية: ٢٠١/٦.

(٤) انظر: تهذيب اللغة: ٤٥٧/١٥، ولسان العرب: ٢٤/١٢، والقاموس المحيط: ١٠٧٧.

فقيل: "الإمامة رياسة تامة، وزعامة تتعلق بالخاصة والعامة في مهمات الدين والدنيا متضمنة حفظ الحوزة ورعاية الرعية وإقامة الدعوة"[(١)].

وعرفتها الموسوعة الفقهية الكويتية: "استحقاق تصرف عام على الأنام (أي الناس)، وهي رئاسة عامة في الدين والدنيا خلافة عن النبي ﷺ"[(٢)].

و"الخلافة, والإمامة العظمى, وإمارة المؤمنين ثلاث كلمات معناها واحد, وهو رئاسة الحكومة الإسلامية الجامعة لمصالح الدين والدنيا"[(٣)].

(١) غياث الأمم في التّياث الظلم: ٢٢، وانظر: الأحكام السلطانية: ١٥، والمواقف: ٥٧٤/٣، ومقدمة ابن خلدون: ٩٦/١، ورئاسة الدولة في الفقه الإسلامي: ٦٩–٨٦، ومعالم الخلافة في الفكر السياسي الإسلامي: ٢٦-٣٠.

(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية: ٢٠١/٦، ٢١٥.

(٣) معالم الخلافة في الفكر السياسي الإسلامي: ١٧.

المبحث الثاني: عقيدة أهل السنة والجماعة في الإمامة

إن من مسائل العقيدة التي اعتنى بها أهل السنة والجماعة في عقائدهم وبينوها بيانا شافيا -لمن أراد الحق- ووردت فيها الآيات والأحاديث والآثار المتكاثرة مسألة الإمامة والسمع والطاعة لولاة الأمور في غير معصية الله، قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " وقد وردت الأدلة البالغة عدد التواتر الثابتة عن رسول الله ﷺ ثبوتا لا يخفى على من له أدنى تمسك بالسنة المطهرة بوجوب طاعة الأئمة والسلاطين والأمراء .... وورد وجوب طاعتهم ما أقاموا الصلاة، وما لم يظهر منهم الكفر البواح، وما لم يأمروا بمعصية الله"[١].

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ [النساء:٥٩].

وعن عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: « بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، قال: إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان»[٢].

وقد ذكر اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه شرح أصول اعتقاد أهل السنة: "سياق ما روي عن النبي ﷺ في طاعة الأئمة والأمراء ومنع الخروج عليهم"[٣] جملة من الأحاديث والآثار في ما يتعلق بالإمامة.

وقال إسماعيل التيمي الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " فصل يتعلق باعتقاد أهل السنة ومذهبهم.. وطاعة أولي الأمر واجبة، وهي من أوكد السنن، ورد بها الكتاب والسنة"[٤].

ويقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالة (الأصول الستة): "الأصل الثالث: أن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمر علينا, ولو كان عبدا حبشيا, فبين النبي

---

(١) فتح القدير: ٦٠١/٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أمورا تنكرونها» برقم: ٧٠٥٦، وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، برقم: ١٧٠٩.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ١٢٩٦/٧.

(٤) الحجة في بيان المحجة: ٥١٣/٢.

ﷺ هذا بياناً شائعاً ذائعاً بكل وجه من أنواع البيان شرعا وقدراً, ثم صار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعي العلم؛ فكيف العمل به؟!"(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان المقصود من الولايات والإمامة: "فالمقصود الواجب بالولايات: إصلاح دين الخلق الذي متى فاتهم خسروا خسرانا مبينا, ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا, وإصلاح ما لا يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم.. فالمقصود أن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا"(٢).

فمقاصد الإمامة تتمثل في مقصدين كبيرين هما: إقامة الدين، وسياسة الدنيا بالدين. وجماع هذه المقاصد هو إقامةُ أمر الله عَزَّوَجَلَّ في الأرض على الوجه الذي شرع, والأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر, الأمرُ بكل معروف ونشر الخير والرفع من قدره, والنهيُ عن كل منكر والقضاء على كل فساد والحط من شأنه وأهله, وهذا هو الهدف والمقصد الأساسي للإمامة في الإسلام, وقد أوضح الله عَزَّوَجَلَّ هذا الهدف في كتابه الكريم حيث قال: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: ٤١].

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أنه يجب نصب إمام للمسلمين، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "يجب أن يُعرف أن وِلايةَ أمرِ الناس من أعظمِ واجباتِ الدين, بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها. فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض, ولابد لهم عند الاجتماع من رأس"(٣).

فوجود جهة حاكمة تقيم الشرع وتضبط الأمن وتمنع العدوان من ضرورات الحياة, فضلا عن كونها من أعظم الواجبات الدينية(٤).

وعلى هذا النهج القويم سار الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بعد انتقال النبي ﷺ للرفيق الأعلى؛ حيث اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، وبايعوا أبا بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قبل تجهيز النبي ﷺ.

---

(١) مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب: ١/٣٩٤.

(٢) مجموع الفتاوى: ٢٧/٢٦٣.

(٣) المرجع السابق: ٢٨/٣٩٠.

(٤) انظر: النظام السياسي في الإسلام: ٥١.

فلم يبيتوا ليلتهم مع عظم المصيبة إلا وفي أعناقهم بيعة لإمام[١].

واستخلف الصديق عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وجعلها عمر في ستة من أصحاب النبي ﷺ، فبايعت الأمة عثمان بن عفان، ثم عليا بن أبي طالب - رضي الله عنهم أجمعين -[٢].

وقد نقل الإجماع على وجوب نصب الإمام ونص عليه غير واحد من أهل العلم, منهم النووي[٣], والقرطبي, وغيرهم[٤].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة"[٥].

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ [النساء: ٥٩]. فدلت الآية أن طاعة ولي الأمر - في غير معصية الله - واجبة بنص القرآن, فإذا لم يوجد خليفة فلمن تكون الطاعة؟

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هذه الآية نزلت في الرعية، عليهم أن يطيعوا أولي الأمر إلا أن يأمروا بمعصية الله[٦].

وبمعنى أخر: أن الله لا يأمر بطاعة من لا وجود له, ولا يفرض طاعة من وجوده مندوب, فالأمر بطاعة ولي الأمر يقتضي الأمر بإيجاده[٧].

وقال ﷺ: «من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له, ومن مات وليس في عنقه بيعة, مات ميتة جاهلية» [٨].

فدل هذا الحديث على أن طاعة ولي الأمر - في غير معصية الله - والبيعة له من الواجبات,

---

(١) انظر: البداية والنهاية: ٨/٨١، ٩/٤١٣.

(٢) انظر: المرجع السابق: ٩/٥٧٤، ١٠/١٠٨، ٤١١.

(٣) شرح صحيح مسلم: ١٢/٢٠٥.

(٤) انظر: الصواعق المحرقة: ٧، ومقدمة ابن خلدون: ١٧٩, والفصل في الملل والأهواء والنحل: ٤/١٤٩، والإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة: ٤٦.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ١/٢٦٤.

(٦) مجموع الفتاوى: ٢٨/٢٤٥، وانظر: تفسير ابن كثير: ٢/٣٤٥.

(٧) الإمامة العظمى: ٤٧.

(٨) صحيح مسلم، كتاب الإمارة, باب وجوب ملازمته جماعة المسلمين عند ظهور الفتن, برقم: ١٨٥١.

ولا يمكن تحقيق مثل هذه الواجبات إلا بوجود إمام.

فإذا كانت طاعة ولي الأمر - في غير معصية الله - واجبة وكذلك البيعة فوجوب نصب الإمام من باب أولى. وهذا من باب القاعدة الفقهية التي تنص على أنه ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب(١).

وقال ﷺ: «إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم» (٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " فأوجب ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر تنبيها بذلك على سائر أنواع الاجتماع، ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة"(٣).

فإذا كان تأمير الأمير واجباً في عدد قليل وهم ثلاثة، وفي أمر عارض وهو السفر, فهو في حق الأمة ذات العدد الكبير والأمر المستديم أولى وأوجب.

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الإمامة تنعقد بالاختيار من أهل الحل والعقد، أو بالاستخلاف، أو بالقوة والغلبة، فإذا انعقدت الإمامة وجب السمع والطاعة لولاة الأمور (٤)، ووجب "على الناس كافة مبايعته على السمع والطاعة، وإقامة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومن تأبى عن البيعة لعذر عذر، ومن تأبى لغير عذر جبر وقهر، لئلا تفترق كلمة المسلمين"(٥).

وقد قصدت الشريعة تحقيق أعظم المصالح وأسنى المقاصد، بالإمامة، ولو لم يكن للناس إمام مطاع لانثلمت شرائع الإسلام، وتعطلت الأحكام، وفسد أمر الأنام، وضاعت الأيتام، ولم

(١) انظر: الصواعق المحرقة: ١٦, والإمامة العظمى: ٥٠, ٥٨.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الجهاد, باب في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم, برقم: ٢٦٠٨, وانظر: صحيح وضعيف سنن أبي داود برقم: ٢٦٠٨.

(٣) مجموع الفتاوى: ٢٨/٣٩٠.

(٤) انظر: روضة الطالبين: ١٠/٤٦، والجامع لأحكام القرآن: ١/٢٦٤، ٢٧٢، وفتح الباري: ١٣/٧، والسيل الجرار: ٤/٥١١-٥١٣، والدرر السنية: ٧/٢٣٩.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١/٢٧٢.

يحج البيت الحرام[1].

يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الفتنة إذا لم يكن ثم إمام يقوم بأمر الناس"[2].

وقال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الإمامة أصل، عليه استقرت قواعد الملة، وانتظمت به مصالح الأمة، حتى استتبت به الأمور العامة والخاصة"[3].

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن على الرعية للإمام واجبات ومسؤوليات:

أولاها: السمع والطاعة في غير معصية الله؛ قال تعالى: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الفتح: ١٠]، فهذه الآية الكريمة نص في وجوب البيعة، وتحريم نقضها ونكثها.

وفي حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، في عسرنا ويسرنا، ومنشطنا ومكرهنا، وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله»[4].

وقال ﷺ: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة»[5].

قال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمرنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يدا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عَزَّوَجَلَّ فريضة ما لم يأمروا بمعصية"[6].

وقال الإمام الحافظ أبو زرعة الرازي[7] رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الكلام عن مذاهب أهل السنة في

---

(١) انظر: الحكم والإمامة ومقاصد الشريعة، https://www.assakina.com/taseel/٧٠٠٥٤.html في ١٤٣٩/٢/١٤هـ.

(٢) الأحكام السلطانية لأبي يعلى: ١٩.

(٣) الأحكام السلطانية للماوردي: ١٣.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، برقم: ١٧٠٩.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، برقم: ١٨٣٩.

(٦) العقيدة الطحاوية: ٢٤.

(٧) عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ، أبو زرعة الرازي، كان إماما، متقنا، حافظا، مكثرا، صادقا، توفي سنة: ٢٦٤هـ.

أصول الدين , وما أدرك عليه العلماء في جميع الأمصار، فكان من قوله: "أدركنا العلماء في جميع الأمصار - حجازاً وعراقاً، شاماً ويمناً -، فكان من مذهبهم: ولا نرى الخروج على الأئمة، ونسمع ونطيع لمن ولاه الله عَزَّوَجَلَّ أمرنا، ولا ننزع يدا من طاعة، ونتبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة"(١).

ثانيها: حفظ هيبة الأئمة ومكانتهم، قال ﷺ: «من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله»(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: «إن من إجلال الله: إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط»(٣).

فقاعدة ضبط المصالح العامة واجب، ولا تنضبط إلا بعظمة الأئمة في نفس الرعية، ومتى اختلف عليهم أو أهينوا تعذرت المصلحة(٤).

ثالثها: المناصحة بالضوابط الشرعية دون تشنيع؛ فعن تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة»، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»(٥).

فـ"ينبغي لمن ظهر له غلط الإمام في بعض المسائل أن يناصحه، ولا يظهر الشناعة عليه على رؤوس الأشهاد؛ بل يأخذ بيده ويخلو به، ويبذل له النصيحة"(٦).

انظر: تاريخ بغداد: ٣٢٦/١٠، سير أعلام النبلاء: ٦٥/١٣.

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ١٩٧/١.

(٢) سنن الترمذي، كتاب أبواب الفتن، باب (٤٧)، برقم: ٢٢٢٤. قال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب". والحديث صححه الألباني. انظر: صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم: ٢٢٢٤.

(٣) سنن أبي أبو داود، كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم، برقم: ٤٨٤٣. والحديث حسنه الألباني. انظر: صحيح وضعيف سنن أبي داود، برقم: ٤٨٤٣.

(٤) الذخيرة: ٢٣٤/١٣.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، برقم: ٩٥.

(٦) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار: ٩٦٥.

رابعها: الدعاء لهم. قال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حق الأئمة: "وندعو لهم بالصلاح والمعافاة"[١].

خامسها: التعاون معهم، وتأليف القلوب عليهم، وعدم تأليب العامة عليهم؛ لتنتظم مصالح الدين والدنيا.

وعلى ولاة الأمور تجاه شعوبهم ورعاياهم أداء الأمانة، وإقامة العدل، وتحكيم الشرع، وتأمين الثغور، ورفع المظالم، ونصرة المظلوم، ورعاية مصالح المسلمين، ودرء المفاسد والأضرار عنهم[٢].

(١) العقيدة الطحاوية: ٢٤.

(٢) انظر: علاقة الراعي بالرعية لابن باز، ومعاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة لعبد السلام بن برجس آل عبدالكريم.

المبحث الثالث: الدعاوى المتعلقة بالإمامة والجواب عنها

أثار المعاصرون المناوئون لدعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب في باب الإمامة عدة دعاوى، وعند تأملها نجد أنها متكررة عن أسلافهم، ومنها:

-فرية أن الوهابيين خوارج(١).

-وفرية أن نَجْدَ قَرْن الشيطان(٢).

-وفرية خروج الإمام على دولة الخلافة العثمانية(٣).

-والغلو في السمع والطاعة لولاة الأمر(٤).

-والعلاقة مع الحكومة البريطانية(٥).

وأضافوا عليها ما يلي:

---

(١) انظرها في: السلفية المعاصرة إلى أين: ٥٦، ومن هم أهل السنة والجماعة: ٢١٠، وتهافت السلفية: ١١١، والحنابلة واختلافهم مع السلفية: ٢٢١، ومغالطات السلفية: ٥١٤، والمقالات السنية في كشف ضلالات ابن تيمية: ٦٣/١. وانظر الرد عليها في: دعاوى المناوئين: ١٧٨، والشيخ محمد بن عبدالوهاب لابن حجر آل بوطامي: ٩٣، ودعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب سلفية لا وهابية: ٢٧٣.

(٢) انظرها في: الوهابية دين سعودي جديد: ٢٣٥. وانظر: الرد عليها في: دعاوى المناوئين: ١٧٨، ودعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب سلفية لا وهابية: ٣٤٦.

(٣) انظرها في: خروج الوهابية على الخلافة العثمانية: ٩٧، والحرية والطوفان: ٢٥٠. وانظر: الرد عليها في: ودعاوى المناوئين: ٢٣٣، ودعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب سلفية لا وهابية: ٣٩٢، ومحمد بن عبدالوهاب مصلح مفترى عليه: ٢٧، ورسالة موقف العلماء في الدولتين السعوديتين الأولى والثانية من الحملات العثمانية – جامعة أم القرى.

(٤) انظرها في: الإسلام في مواجهة تحديات الحداثة: ٦٩، ٧٣، ٩١، والوهابية دين سعودي جديد: ٥٨٣، والوهابية السلفية الأفكار والآثار: ٥٠٧–٥٠٨. وانظر: الرد عليها في: الشيخ محمد بن عبدالوهاب لابن حجر آل بوطامي: ٤٧، وتأملات في دعوة الشيخ: ١٣٥.

(٥) انظرها والرد عليها في: محمد بن عبدالوهاب مصلح مفترى عليه: ١٢١، وأكذوبة مذكرات الجاسوس البريطاني همفر، ومذكرات (همفر) في الميزان.

المطلب الأول: دعوى أن دعوة الإمام هي أصل دعوة الخوارج المعاصرين

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى أن دعوة الإمام هي أصل الخوارج المعاصرين الذين خروجوا على الأئمة والحكام.

يقول فؤاد إبراهيم: "كل الحركات التي تدعو إلى إمارات إسلامية اليوم هي بالأصل تعود بجذورها إلى المذهب الوهابي"(١).

ويقول ستيفن شوارتز: " «القاعدة» تمثل الوهابية في شكلها الأشد وضوحاً"(٢).

ويقول سمير حمادي: "الفرضية التي تتبناها هذه الورقة تتلخص في أن السلفية الجهادية، في جوهرها: أي في بنية الخطاب، ليست سوى تعبيراً معاصراً عن التصورات والمعايير والمسالك (الأرثوذكسية(٣)) التي طرحتها الوهابية في صورتها النقية الصافية الخالصة: الوهابية الأصلية كما تتبدى في نصوصها التأسيسية، في صياغات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وفي شروحات أولاده وأحفاده ونحوهم من أئمة الدعوة النجدية، فالسلفيون الجهاديون يبدون ملتزمين، بشكل كامل، وعلى جميع المستويات، بأساسيات / مسلمات الدعوة الوهابية، التي تمثل، بحواملها الفقهية، الجناح الأكثر تشدداً في المنظومة السلفية السنية...

---

(١) "الوهابية".. المرجعية الأولى للفكر التكفيري وكره الاخر: http://archive.almanar.com.lb/article.php?id=٦٢٠٧٩٤، وانظر: التكفير عند جماعات العنف المعاصرة: ٧٩، ١١٣-١١٤، النظرية السياسية عند ابن تيمية: ٢٢١-٢٢٧، ، والسلفيّة الحديثة ومدارسها: http://www.alquds.co.uk/?p=٥٧٥٤٦٤، من الخروج على الخلافة العثمانية إلى الحزبية ومنافسة ولي الأمر: http://almasdaronline.com/article/print/٣٠٩٢٣، في ١٤٣٨/١٠/٧هـ.

(٢) بواسطة صحيقة التقرير: الوهابية والسلفية الجهادية: مقدمة في إشكالية العلاقة، altagreer.com/سمير-الحمادي-الوهابيّة-والسلفيّة-الجهادية/، في ١٤٣٨/١٠/٧هـ.

(٣) أرثوذكس: كلمة يونانية (orthodox) مركبة من (orthos) مستقيم، و (doxa) رأي، ومعناها: الرأي المستقيم، أو مستقيم العقيدة، أو مذهب الحق، أو أصحاب الرأي المستقيم. وهي عند النصارى أحد الكنائس الرئيسة الثلاث في النصرانية، وتُدعى أرثوذكسية بمعنى مستقيمة المعتقد مقابل الكنائس الأخرى. انظر: المعجم الكبير لمجمع اللغة العربية بالقاهرة: ١٨١/١، والمعجم الوسيط: ١٢/١، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: ٥٨٣/٢ .

بعبارة أخرى: السلفية الجهادية هي في الأساس، تكثيف عنفي لتعاليم / معتقدات السلفية الوهابية. إنها استدعاء / استنفار للمخزون الراديكالي[١] (المسكوت عنه) في الوهابية، في بعديه الرمزي والمادي، أو لنقل إنها استقطار[٢] / اعتصار لثمالة الوهابية، وانعكاس لها على الصعيد التاريخي، فهي تتكئ على تصورات جهازها المفاهيمي، وعلى عوالم نسقها الاعتقادي، في صياغة خطابها الاعتراضي، وتحاول تمثلها وإعادة إنتاج أفكارها وتثبيتها حرفياً في فراغات اللحظة الراهنة، على اعتبار أنها وحدها تجسد الإسلام الحق: الإسلام الخالص المطلق في بساطته الأولى كما يتجلى في نصوص الكتاب والسنة"[٣].

ويقول مروان شحادة: "خط سلفي طويل يشكل أدبيات تنظيم الدولة يمتد من أهل الحديث وصولا إلى الحنابلة مرورا بالوهابية، وانتهاء بمنظرين معاصرين أعادوا تبسيط وشرح ما جاء على لسان علماء الدعوة النجدية وعلى رأسهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ ابن عثيمين وابن باز"[٤].

وفي صحيفة "عربي٢١" ذكر خبراء في شؤون الجماعات الإسلامية أن تنظيم الدولة والوهابية "وجهان لعملة واحدة" مع "الاختلاف في الاستراتيجيات ومنهج التغيير وأولويات

---

(١) راديكالي: اسم منسوب إلى راديكالية: من كان على مذهب الراديكالية. وهي تعريب للكلمة الإنجليزية (Radicalism) وأصلها كلمة (Radical) وهي تعني باللغة العربية: أصل، أو جذر، ويقصد بها عموما – مثل كلمة: أصولية، العودة إلى الأصول والجذور والتمسك بها والتصرف أو التكلم وفقها، ويصفها قاموس "لاروس" الكبير بأنها: "كل مذهب محافظ متصلب في موضوع المعتقد السياسي". انظر: موسوعة السياسة: ٧٨١/٢، والمعجم الوسيط: ٨٤١/٢.

(٢) الاستقطار: استخلاص العناصر الأساسية السائلة من الأزهار ونحوها باستخدام جهاز معين. المعجم الوسيط: ٧٤٤/٢. وانظر: تهذيب اللغة: ٩/٥، والصحاح: ٧٩٥/٢.

(٣) بواسطة صحيقة التقرير: الوهابية والسلفية الجهادية: مقدمة في إشكالية العلاقة، altagreer.com/سمير-الحمادي-الوهابيّة-والسلفيّة-الجهادية/، في ١٤٣٨/١٠/٧هـ..

(٤) ما هي أهم الكتب والأدبيات التي يستند إليها تنظيم الدولة؟: https://arabi٢١.com/story/٨١٣٦٦٠/ما-هي-أهم-الكتب-والأدبيات-التي-يستند-إليها-تنظيم-الدولة. في ١٤٣٨/١٠/٧هـ.

العمل"[١].

حقيقة هذه الدعوى:

نسبة دعوة الخوارج[٢] لدعوة الإمام دعوى قديمة وذلك للتنفير منها، فقد نسبت دعوة الإمام إلى فرقة الوهابية المنسوبة إلى عبد الوهاب رستم التي ظهرت في القرن الثاني الهجري، وهي فرقة إباضية خارجية ومؤسسها الأصلي عبد الله بن وهب الراسبي، وبعضهم يسميها الراسبية أو الرستمية[٣].

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: أن مجرد الانتساب إلى أي دعوة أو النسبة إليها لا عبرة به، وإنما العبرة بالحقائق؛ فالمنافقون يدعون الإسلام وهو في الدرك الأسفل من النار، وعلى هذا من انتسب لدعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أو نسب إليها فلابد من النظر في أقواله وأعماله ومنهجه، فإن كانت كما يقول الإمام فهي نسبة حق، وإلا فهي نسبة باطلة.

وكتب الإمام ومؤلفاته موجودة يمكن الرجوع إليها لمعرفة أقواله، فانتساب أو نسبة هذه الجماعات الخارجية المنحرفة إلى دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أو إلى السلف الصالح باطل، ولا صحة له[٤].

ثانيا: مما يدل على بطلان هذه الدعوى استغلالها من طائفتين متضادتين:

---

(١) المرجع السابق.

(٢) الخوارج: هم الذين يكفرون بالمعاصي، ويخرجون على أئمة المسلمين وجماعتهم. ويشمل ذلك: الخوارج الأولين (المحكمة الحرورية)، ومن تفرع عنهم من الأزارقة والصفرية والنجدات والأباضية. كما يشمل اسم الخوارج كل من أخذ بأصولهم وسلك سبيلهم، كجماعات التكفير والهجرة وداعش في هذا العصر ونحوهم. انظر: الملل والنحل: ١/١١٤، ومقالات الإسلاميين: ١/٢٠٧، والفصل في الملل والنحل: ٢/١١٣، والخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام: ٢١.

(٣) انظر: تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية: ٥٨، ٦١، المعيار المعرب في فتاوى أهل المغرب: ١١/١٦٨، المغرب الكبير: ٢/٥٥٥-٥٥٧، وسليمان بن عبد الوهاب الشيخ المفترى عليه، بمجلة البحوث الإسلامية، العدد(٦٠): ٢٥٦.

(٤) منهج الإمام محمد بن عبدالوهاب في التكفير، موقع السكينة: http://www.assakina.com/mjadrat/٢٥٥٠٠.htm١.

الطائفة الأولى: من يطعنون في دعوة الإمام والمتاثرين بالإرجاء الذين لا يعرفون الفرق بين عقيدة أهل السنة وعقيدة الخوارج، فيثيروها على جهة الذم للخوارج، ولدعوة الإمام التي هم امتداد لها على حسب زعمهم، وجعلوا ذلك - أي ما يقوم به الخوارج المعاصرون- طعن في دعوة الإمام، حيث إن هؤلاء الخوارج يدّعون أنهم من أتباع الدعوة.

الطائفة الثانية: الخوارج أنفسهم واعتبروا اتهامهم بالوهابية تزكية لهم؛ فإنهم يقولون: إن خصوم الدعوة ينسبونهم إلى دعوة الإمام، ودعوة الإمام على منهج السلف، فإذا هم على الحق(١).

ثالثا: وجود الفروقات بين دعوة الإمام ودعوة الخوارج الضالة، ومن تلك الفروق:

١- أن دعوة الإمام محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قامت على الدعوة إلى توحيد الله عَزَّوَجَلَّ وإفراده بالعبادة، فجاء ليدعو الناس إلى امتثال أمر الله في قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقوله ﷺ: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً»(٢).

فالإمام محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعا إلى هذا الأصل الذي جاء في الكتاب والسنة، وهو التمسك بالتوحيد وإفراد الله بالعبادة، ونهى عن الشرك الذي حذر الله منه في كتابه، وحذر منه رسولنا ﷺ في سنته، ولذا عاداه أهل الباطل في زمانه.

وأما خوارج العصر فلا يعرف عنهم الاهتمام بهذا الأصل، بل همهم وشغلهم الشاغل تكفير المسلمين، وقتل الآمنين! فأين تأثرهم بدعوة الإمام محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ؟.

٢- أن دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليس فيها خروجاً على الحكام، وعدم السمع والطاعة لهم بخلاف هؤلاء الخوارج الذين دعوتهم قائمة على ذلك.

٣- أن دعوة الإمام قامت على العلم، والخوارج الغلاة أساسهم الجهل والعاطفة.

٤- أن ثمرات دعوة الإمام إرجاع الأمة لدينها، وبناء دولة إسلامية قوية، وهذه الثمرات

---

(١) انظر: الوعي الدارئ: ٤٢، الطاعة السياسية في الفكر الإسلامي: ٤٦٣-٤٦٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، برقم: ٧٣٧٣.

ظاهرة –ولله الحمد– ولا تزال، أما ثمرات الخوارج فهو: الغلو والفتن والفوضى.

٥– أنه لا يوجد في كتب الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تكفير للمسلمين بغير حق، ولا حث على استباحة دمائهم، بل فيها النهي عن ذلك، وكتبه موجودة اليوم ومطبوعة، ونصوصه في ذلك كثيرة جدا، ومما قاله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " أما التكفير: فإني أكفر من عرف دين الرسول ثم بعد ما عرفه سبّه، ونهى الناس عنه وعادى من فعله، فهذا هو الذي أكفره، وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك، وأما القتال فلم نقاتل أحداً إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة، وهم الذين أتونا في ديارنا ولا أبقوا ممكناً، ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة، وجزاء سيئة سيئةٌ مثلها، وكذلك من جاهر بسبّ دين الرسول بعد ما عرفه"(١).

فقارن بين منهجه هذا وبين منهج خوارج العصر الذين يكفرون عموم المسلمين، ويقتلونهم لمجرد مخالفتهم على أدنى المسائل.

وتأمل قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك"، فهو يرى أن أكثر الأمة على الإسلام، وأما خوارج العصر فيرون أكثر الأمة على الكفر. فأين تأثرهم بدعوة الإمام محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ؟

٦– أن زعماء خوارج العصر لا يُعرف عن أحد منهم اهتمامه بدعوة الإمام محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أو نصرته لها، أو تتلمذه على كتبه ومؤلفاته من خلال دراستها على العلماء، فلماذا يُنسب شرهم وضلالهم إلى دعوته رَحِمَهُ ٱللَّهُ ؟ وإن ادعوا أنهم قراءوا كتب الإمام، وأنهم يدرسونها، فهم وإن درسوها فهم يدرسونها بأنفسهم دون فهم لها ولا لمعانيها(٢)، فكم من مدع أنه متبع للقرآن ولا يتبع هديه، ومدع موافقة الرسول ﷺ ولا يهتدي بهديه؛ والله تعالى يقول: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل: ٦٤].

رابعا: من أدلة المناوئين لانتساب وتأثر الخوارج بدعوة الإمام وجود صور لبعض الخوارج يظهر فيها صورة غلاف كتاب التوحيد، وغيره !!

---

(١) مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب: ٣٨/٦.

(٢) انظر: التعريف بالدعوة السلفية النجدية، مطلب: القراءة في كتب أئمة الدعوة السلفية النجدية تحتاج إلى أربعة أمور: ١٧–٢٠.

فهل وجود صورة لكتاب الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تدل على انتسابهم لدعوته؟! وهل يوجد في كتاب التوحيد نص واحد يؤيد ما يقوم به خوارج العصر من التفجير والتدمير والخروج على الأئمة؟!

ثم هؤلاء الخوارج عندهم الكتاب والسنة، ويوزعون المصاحف وكتب الحديث؟ فهل هذا يعني أن الكتاب والسنة يأمران بما يقومون به من الإرهاب واستباحة الدماء المعصومة ؟

فالعبرة بالحقائق والمعاني لا بالانتساب والدعايات والشعارات، فهل الخوارج يقولون بما يقوله أئمة الدعوة في كتبهم، قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر النصوص في وجوب السمع والطاعة للأئمة: "إذا فهم ما تقدم من النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية، وكلام العلماء المحققين، في وجوب السمع والطاعة لولي الأمر، وتحريم منازعته والخروج عليه، وأن المصالح الدينية والدنيوية لا انتظام لها إلا بالإمامة والجماعة، تبين أن الخروج عن طاعة ولي الأمر، والافتيات عليه، بغزو أو غيره، معصية ومشاقة لله ورسوله، ومخالفة لما عليه أهل السنة والجماعة"[١].

خامسا: أن قولهم بأن زعماء الخوارج يعتمدون على كتب أئمة الدعوة في الفتيا، -على فرض التسليم به- فإنه منهج غير صحيح للفتيا، وطريق غير مستقيم للعلم؟ وبذلك ضلو وأضلوا؛ فإن الفتيا تختلف باختلاف الزمان والمكان. فعلماء وأئمة الدعوة لم يشاهدوا واقعنا؟ وهل هم على علمٍ بنا وباعدائنا؟ وهل المؤثرات على الفتيا عندنا وفي عهدنا هي المؤثرات نفسها على الفتيا عندهم وفي عهدهم؟.

يوضح ذلك أمران:

الأول: أن العلماء السالفين مهما علت أقدارهم لا يقومون مقام العلماء الأحياء، مصداق ذلك فيما رواه الشيخان عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله لا ينتزع العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الرجال ولكن ينتزع العلم بقبض العلماء حتى إذا لم

---

(١) الدرر السنية: ١١٩/٩. وانظر: مجموعة الرسائل والمسائل: ٥٥٩/١، وجهود أئمة الدعوة في تقرير مسائل الصحابة وآل البيت والإمامة والولاية والرد على المخالفين في ذلك: ٣٢١ وما بعدها.

يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهّالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلّوا وأضلّوا»[١].

"وهذا الحديث واضح الدلالة في أهمية العلماء الأحياء لأن الرسول ﷺ جعل قبض العلم هو موت العلماء فمعناه أن كُتب العلماء الأموات لا تغني عن وجود العلماء.

الأمر الثاني: أن العلماء السالفين وكتبهم يستفاد منهم في العلم والتعلم، أما الإفتاء فلا يفتون وهم أموات؛ لأن الفتيا غير التعليم والعلم، إذ أن حقيقتها هي تنزيل العلم على الواقع المعاش، فهل العلماء الأموات واقعهم مثل واقعنا في كل شيء أو في أكثر الأشياء"[٢].

سادسا: أن أشهر من ردّ على خوارج العصر هم الأئمة السائرون على طريقة الإمام محمد بن عبدالوهاب في الدعوة إلى التمسك بالسنة، والذين يلقبهم أعداء السنة بالوهابية، كأئمة العصر: الشيخ ابن باز، والشيخ ابن عثيمين، والشيخ الألباني، والشيخ صالح الفوزان، والشيخ عبدالله بن جبرين، والشيخ عبدالعزيز آل الشيخ، والشيخ عبدالرحمن البراك، والشيخ عبدالعزيز الراجحي، وغيرهم من العلماء، فقد حذروا منهم، فكيف يُنسب الخوارج الإرهابيون إلى دعوته، وعلماء هذه الدعوة هم أشهر من حذر منهم؟

سابعا: أن هذه الدولة المملكة العربية السعودية وأتباع هذه الدعوة محل استهداف من خوراج العصر، فكيف يكون الخوارج متأثرين بدعوة الإمام محمد وهم يحاربون الدولة التي قامت على هذه الدعوة؟ ويكفرون علماءها الذين هم على منهج الإمام محمد.

ثامنا: أن انتساب الغلاة كداعش والقاعدة وغيرهما لدعوة الإمام كانتساب الفرق الضالة للإسلام، فكما أن هذه الفرق الضالة لا تحسب على الإسلام؛ فكذلك هذه الفرق المنتسبة لدعوة الإمام لا تحسب على دعوته.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب: كيف يقبض العلم، برقم ١٠٠.

(٢) الوعي الدارئ: ٤٢-٤٣.

المطلب الثاني: دعوى المبالغة والتعظيم لمسائل الإمامة والسمع والطاعة

من الدعاوى التي أثيرت ضد دعوة الإمام دعوى المبالغة والتعظيم لمسائل الإمامة والسمع والطاعة حتى أصبح العلماء تحت سيطرة الدولة.

يقول محمد العطاونة، عند كلامه عن الحكام والعلماء، وأنهما: " يعتمدان على بعضهما ولا يمكن أحدهما البقاء من دون الآخر. وهذا واضح في الفكر السياسي الوهابي الذي يمثل اندماجاً كلياً للدين والسياسة. فبحسب المبادئ الوهابية، الإسلام ليس ديناً فقط وإنما هو نظام شامل، الشؤون العامة والاجتماعية والسياسية، بينما الشريعة الإسلامية قانون أخلاق شامل يحكم في كل الأمور بما فيها إدارة الحكم.

يمكن القول إن إعادة ترتيب مؤسسات الإفتاء في عام ١٩٧١م، التي جرت من خلال قيام إدارة الدولة بلم شمل عدد غير مسبوق من كبار العلماء، مؤشر على الصلات القوية بين العلماء والدولة. ومع ذلك فإن دمج العلماء في إطار إدارة الدولة أحدث تغييرات في العلاقة التقليدية بين الدين والدولة. وتظهر هذه التغييرات في استحداث طريقة جديدة بين العلماء والحكومة، أصبح العلماء مندمجين فيها وتابعين بشكل مباشر للملك وتحت سيطرته"[(١)].

وقال أيضا: " تعتمد النظرية السياسية الوهابية التقليدية على افتراض أن هدف الحكومة في الإسلام صون الشريعة وإنفاذ تعاليمها. ولصيانة الشريعة وإنفاذها، هناك حاجة إلى حاكم زمني، وطاعته واجب ديني، ولكن مع ذلك يتوجب على هذا الحاكم أن يستشير العلماء المكلفين والمشهورين بتوضيح مبادئ الشريعة. ولقد قسم الشيخ محمد بن عبدالوهاب (ت: ١٧٩٢م) هيمنة الدولة بين العلماء الذين يشكلون المرجعيات في أمور الفقه وبين الأمراء الحاكمين الذين يملكون السلطة والذين يفترض أنهم يستشيرون العلماء. وفي هذه العلاقة الثنائية إنفاذ الشريعة يتطلب حاكماً ملتزماً بمبادئها وتحتاج الدولة إلى دعم وشرعية مستمرين"[(٢)].

---

(١) الإسلام الوهابي في مواجهة الحداثة: ٦٩.

(٢) المرجع السابق: ٧٣.

ثم نقل عن الشيخ عبدالعزيز ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ المراد من "أولي الأمر" في الآية الكريمة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩]؟ فهل هم العلماء أم الأمراء، على الرغم من أن هؤلاء القادة يستغلون شعوبهم؟

وأجاب الشيخ ابن باز: بأنهم: العلماء والأمراء [١].

ثم قال: "وكيْ نلخّص ما سبق، فقد حاول هذا الفصل أن يبرز السياق الاجتماعي – السياسي لدار الإفتاء والطريقة التي يعرّف بها الوهابيون المعاصرون العلاقة بين الدين والدولة وبين سلطة الحاكم ودور دار الإفتاء في هذا السياق، ومن حيث المبدأ حافظ المفتون الرسميون على الموقف التقليدي الذي يكون فيه الدين والدولة مترابطين بشكل لا انفصام فيه. بعبارة أخرى: من دون شوكة الدولة يكون الدين في خطر، ومن دون الشريعة، تصبح الدولة منظمة استبدادية. ولهذا فإن الحالة المثالية هي أن يتعاون العلماء والأمراء مع بعضهم بعضاً، فيفسر العلماء أوامر الله عن طريق تحليل كلامه وتفسيره، بينما يطبق الأمراء هذه التفسيرات. وبالتالي كانت السلطة مقسمة بين العلماء والأمراء والطرفان يقدمان على أنهما ولاة الأمر في المعتقد الوهابي"[٢].

بل إنهم زعموا أن دعوة الإمام تقصر السمع والطاعة وعدم الخروج على الإمام محمد بن سعود والإمام محمد بن عبدالوهاب.

حيث يقول سعود السبعاني: "لطالما ردد الوهابيون مقولة وجوب طاعة أولي الأمر، وقد شددوا على حرمة الخروج على السلطان، وهم من أكثر المذاهب – هذا إذا ما صنفوا أصلاً كمذهب– هم أكثر من نادى ويطالب بضرورة طاعة ولي الأمر ووجوب البيعة له حتى لا يموت المرء ميتة جاهلية، وهم من فرض على اتباعهم وعلى جميع المسلمين ضرورة السمع والطاعة لولي الأمر، حتى وإن فعل هذا الحاكم الأفاعيل واقترف المجازر والموبقات وأتى بالكبائر!.

---

(١) المرجع السابق: ٧٣-٧٤.

(٢) المرجع السابق: ٩١.

ولا يخفى على الجميع فهم كانوا بذلك يعنون عدم الخروج على دعوة محمد بن عبدالوهاب ومحمد بن سعود ليس إلا، وإلا فمسألة الخروج فهم يدركون جيداً أنها ليست محرمة بالقطع، والدليل هو خروجهم عن طاعة الخلافة الإسلامية في اسطنبول"(١).

ثم قال: "ولذلك كثيراً ما نراهم الآن يرددون الآية الكريمة المجتزأة من سورة النساء التي قال الله تعالى فيها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ [النساء: ٥٩].

ثم يبترون آخرها متعمدين! فهم لا يكملون سياق الآية الكريمة خوفاً من أن يجدوا عذراً لخصومهم، أو يفتحوا على أنفسهم باب الخلاف، ولهذا فهم مستعدون دائماً للعبث بالقرآن الكريم واجتزاء آياته ومن ثم تسخيرها لما يخدم أهدافهم وتوجهاتهم، وكذلك يحرّفون الأحاديث ويسقطونها على الوقائع حسب مزاجهم في سبيل أن لا يبينوا الحقيقة ويضللوا اتباعهم!." (٢).

ويقول محمد العطاونة: " يشكل مبدأ طاعة الحاكم وعدم الخروج عليه جوهر السياسة عند السلفيين الذين يعتقدون أن طاعة الأئمة من أصول أهل السنة والجماعة التي أوجبها الله على عباده وألزمهم بها وشدد فيها، فلا يجوز الخروج على الأئمة وإن عصوا(٣)، ويُنسب للإمام أحمد بن حنبل قوله: (والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر)(٤). وباستثناء السلفية الجهادية التي تتبنى خيار العنف لإسقاط من تصفهم بالأنظمة الكافرة، فإن السلفيات الأخرى ترى في الدفاع عن مبدأ طاعة الحاكم امتثالاً لأوامر الله وإبقاء لكلمة المسلمين موحدة.

---

(١) الوهابية دين سعودي جديد: ٥٨٣.

(٢) الوهابية دين سعودي جديد: ٥٨٣-٥٨٤.

(٣) خالد بن سعود البليهد، طاعة الأئمة من أصول أهل السنة، موقع صيد الفوائد في ١٤٣٨/٦/٢٥، https://saaid.net/Doat/binbulihed/١٨١.htm.

وانظر أيضاً: عبدالعزيز بن باز، بيان حقوق ولاة الأمور على الأمة بالأدلة من الكتاب والسنة وبيان ما يترتب على الإخلال بذلك، الجامع من إصدارات الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء – المملكة العربية السعودية.

(٤) البليهد، طاعة الأئمة من أصول أهل السنة.

يشير مفهوم "الطاعة السياسية" إلى الانقياد لـ "ولي الأمر" سواء كان خليفة أو ملكاً أو أميراً أو رئيساً، وتنفذ أوامره ونواهيه، شريطة أن لا يُرى منه كفر بواح. ويقترح السلفيون الصبر على الحاكم الظالم وعدم الخروج عليه إلا إذا كان النصر مُحققاً، خوفاً من الوقوع في الفتنة"(١).

بل أغرب من هذا أنهم جعلوا دوافع الإمام في السمع والطاعة من أجل أن يحافظ على مذهبه.

يقول محمد شحرور: " ونجده في الجهة المقابلة يحرص على حثّ متبعيه على طاعة أولي الأمر طاعة خضوعٍ وخنوعٍ في قوله العجيب عند وضعه مقارنة بين ما كان عليه أهل الجاهلية وما جاء به الرسول ﷺ موضحاً: (أنهم -يقصد أهل الجاهلية- كانوا يرون أن مخالفة ولي الأمر وعدم الانقياد له فضيلة، والسمع والطاعة له ذل ومهانة، فخالفهم رسول الله ﷺ وأمر بالصبر على جور الولاة، وأمر بالسمع والطاعة لهم والنصيحة، وغلظ في ذلك وأبدى فيه وأعاد)(٢).

يبدو التناقض ظاهراً في هذا المذهب الوهابي الذي يشدد من جهة على التوحيد والإخلاص لله وحده، والبراء من كل من حكم عليهم بالكفر أو النفاق ومعاداتهم بالقلب واللسان والفعل، غير أنه من ناحية أخرى، هي الناحية السياسية المؤسسة لأي جماعة في أي زمان ومكان، نجده يتراخى في إظهار الرفض والتمرد على الحكام، بل يوصي بالصبر على جورهم واتباع أوامرهم وتقديم فروض الولاء والطاعة لهم؟؟؟

قد نستغرب هذا التناقض للوهلة الأولى ولكننا نعي تماماً دوافع محمد بن عبدالوهاب لقول ذلك ونفهمها جيداً، فقد وافق على أنه يتم تبني مذهبه تحت راية السيف لبناء مملكة تتخذ هذا المذهب كأيدولوجيا تؤسس كل سياسية المملكة وتشريعاتها، وبالمقابل اشترط أن تضمن هذه السلطة استمرارية هذا المذهب وبقائه. وعلى هذا الأساس تم الاتفاق بين الطرفين لتشكيل المملكة السعودية، فمنحت السلطة التنفيذية في المملكة الحديثة للمذهب الوهابي كامل السلطة التشريعية، فصار بديهياً أن يأمر هذا المذهب بطاعة السلطة الحامية له، لأن

---

(١) الإسلام الوهابي في مواجهة تحديات الحداثة: ٥٣٢.

(٢) محمد بن عبدالوهاب، مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان: الرسالة الأولى: مسائل الجاهلية: ص ٣٢٥.

سلامته قائمة على سلامتها، وبقاءه مرتبط ببقائها"[١].

حقيقة هذه الدعوى:

هذه الدعوى قديمة، فالإتهام بالمبالغة في السمع والطاعة لولاة الأمر قديم[٢]، ولذا أدرج أئمة السنة وعلماؤها هذه المسألة " السمع والطاعة لولاة الأمر في عقائدهم" لرد هذه التهمة، وسيأتي شيء من النقول عنهم في ذلك - بإذن الله-.

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: إن عقيدة السمع والطاعة لولاة الأمر ما لم يأمروا بمعصية قد وردت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وذكرها السلف الصالح من أهل العلم في كتب العقائد.

قال سفيان الثوري[٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "يا شعيب: لا ينفعك ما كتبت حتى ترى الصلاة خلف كل بر وفاجر، والجهاد ماض إلى يوم القيامة، والصبر تحت لواء السلطان جار أم عدل"[٤].

وذكر الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ اعتقاده، ومنه: "السمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر ممن ولي الخلافة واجتمع الناس عليه ورضوا به، ومن خرج عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسُمّي أمير المؤمنين"[٥].

---

(١) الدين والسلطة: ٧٥.

(٢) انظر: كتاب الثقات: ٤٢١/٥، ولسان الميزان: ٨٩/٦ ، ومنهاج السنة النبوية: ٤٧٦/٢-٤٧٦، ٥٢١/٤، ٤٣٠/٦، والجذور الدينية للاستبداد: ٤٩، والاستبداد السياسي: https://saaid.net/arabic/٤٧١.htm، في ١٤٣٨/١٠/٨هـ.

(٣) أبو عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، الإمام المشهور، أحد حفاظ الحديث وأعلام السنة، مات سنة ١٦١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: ٢٢٩/٧، وتهذيب التهذيب: ١١١/٤، شذرات الذهب: ٢٥٠/١.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: ١٥٤/١.

(٥) المرجع السابق: ١٦٠/١، طبقات الحنابلة: ١٧٠.

وقال إسماعيل بن يحيى المزني[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والطاعة لأولي الأمر فيما كان عند الله عَزَّ وَجَلَّ مرضياً، واجتناب ما كان مسخطاً، وترك الخروج عند تعدّيهم وجورهم، والتوبة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ كيما يعطف بهم على رعيّتهم"[٢].

وفي اعتقاد البخاري[٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي تلقّاه عن أكثر من ألف رجل من أهل العلم، أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر: "وأن لا ننازع الأمر أهله لقول النبي ﷺ: «ثلاث لا يُغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، وطاعة ولاة الأمر، ولزوم جماعتهم» فإن دعوتهم تحيط من ورائهم، ثم أكد في قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]»"[٤]. وبوّب في صحيحه بباب السمع والطاعة للإمام، وباب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية[٥].

وقال أبو جعفر الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ولا ننزع يداً من طاعة، ونرى طاعتهم -أي الأئمة- من طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ فريضة ما لم يأمروا بمعصية"[٦].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فطاعة الله ورسوله واجبة على كل أحد؛ وطاعة ولاة الأمر واجبة لأمر الله بطاعتهم فمن أطاع الله ورسوله بطاعة ولاة الأمر لله فأجره على الله، ومن كان لا يطيعهم إلا لما يأخذه من الولاية والمال فإن أعطوه أطاعهم، وإن منعوه عصاهم، فما له في الآخرة من خلاق"[٧].

---

(١) أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني المصري، تلميذ الشافعي، الإمام الفقيه الزاهد، له مصنفات كثيرة، منها: مختصره في الفقه، توفي سنة ٢٦٤هـ. انظر: طبقات الشافعية: ٩٣/٢، وسير أعلام النبلاء: ٤٩٢/١٢.

(٢) شرح السنة للمزني: ٨٤.

(٣) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، صاحب الجامع الصحيح، والتاريخ الكبير، والأدب المفرد، وخلق أفعال العباد وغيرها، ولد في بخارى ونشأ يتيماً، رحل في طلب الحديث طويلاً، وسمع من نحو ألف شيخ، ت سنة ٢٥٦هـ. انظر: تاريخ بغداد: ٤/٢، وتذكرة الحفاظ ٥٥٥/٢، وسير أعلام النبلاء: ٤٠٧/١٢، طبقات الحنابلة: ٢٧١/١.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: ١٩٧/١.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، وكتاب الأحكام.

(٦) انظر: العقيدة الطحاوية: ٢٤، والحجة في بيان المحجة: ٢٦٥/٢، ٤٠٦، ٥٢٨.

(٧) مجموع الفتاوى: ١٦/٣٥-١٧.

وقال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "دل الكتاب والسنة على وجوب طاعة ولي الأمر، ما لم يأمروا بمعصية، فتأمل قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[النساء: ٥٩] كيف قال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾، ولم يقل: وأطيعوا أولي الأمر منكم؛ لأن أولي الأمر لا يفردون بالطاعة، بل يطاعون فيما هو طاعة لله ورسوله. وأعاد الفعل مع الرسول لأن من يطع الرسول فقد أطاع الله، فإن الرسول ﷺ لا يامر بغير طاعة الله، بل هو معصوم في ذلك، وأما أولي الأمر، فقد يأمر بغير طاعة الله، فلا يطاع إلا فيما هو طاعة لله ورسوله. وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا، فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور"(١).

ثانيا: أن المصنفين في اعتقاد أهل السنة والجماعة نقلوا هذه العقيدة(٢)، وبوبوا عليها في كتبهم، يقول اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، بباب قال عنه: "سياق ما روي عن النبي ﷺ في طاعة الأئمة والأمراء ومنع الخروج عليهم"(٣)، وذكر فيه عشرين رواية ما بين حديث وأثر في السمع والطاعة لولاة الأمر وعد الخروج عليهم.

ثالثا: أن عقيدة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السمع والطاعة لا تخالف عقيدة السلف فقد بينها بقوله في رسالته لأهل القصيم:

"وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين، برهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية الله، فمن تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمر علينا، ولو كان عبداً حبشياً، وقد أمر رسول الله ﷺ بالصبر على جور الولاة، وأمر بالسمع والطاعة لهم والنصيحة، وغلظ في ذاك، وأبدى فيه وأعاد. ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به، وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة وجبت طاعته، وحرم الخروج عليه والأئمة مجمعون من كل مذهب، على أن من تغلب على بلد أو

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية: ٥٤٢/٢.

(٢) انظر: السنة لابن أبي عاصم: ٤٧٧، والسنة للخلال: ٧٣، ٩٧، وأصول السنة للأمام أحمد: ٢٧٥، والشريعة للآجري: ١٥٨/١.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: ١٢٢٣/٧.

بلدان، له حكم الإمام في جميع الأشياء، ولولا هذا، ما استقامت الدنيا؛ لأن الناس من زمن طويل إلى يومنا هذا ما اجتمعوا على إمام واحد، ولا يعرف أن أحداً من العلماء ذكر أن شيئاً من الأحكام لا يصح إلا بالإمام الأعظم"(١).

ويقول أيضاً:

"الأصل الثالث: أن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمّر علينا ولو كان عبداً حبشياً"(٢).

رابعا: أن محمد العطاونة، نقل عن الشيخ عبدالعزيز ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه العقيدة: السمع والطاعة لولاة الأمر -والحمد لله-، وهي موافقة لعقيدة السلف، وفي هذا رد من العطاونة على نفسه بأن الشيخ ابن باز لم يخالف عقيدة السلف رحمهم الله.

خامسا: أن السمع والطاعة لولاة الأمر ليس مطلقا، بل مقيد "بما لم يأمروا بمعصية" كما سبق في النقول عن الأئمة، وعن الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله جميعا؛ بل إن أئمة الدعوة يحذرون من السمع والطاعة في غير طاعة الله، يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأما طاعة الأمراء ومتابعتهم فيما يخالف ما شرعه الله ورسوله فقد عمت بها البلوى قديما وحديثا في أكثر الولاة بعد الخلفاء الراشدين وهلم جرا. وقد قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠]"(٣)؛ بل إن الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمة الله بوب في كتابه التوحيد بابا للتحذير من طاعة العلماء والأمر في معصية الله، فقال: باب: " من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله، فقد اتخذهم أربابا من دون الله"(٤).

سادسا: قول محمد العطاونة في ملخص كلامه عن العلاقة بين العلماء والأمراء: "فإن الحالة المثالية هي أن يتعاون العلماء والأمراء مع بعضهم بعضاً، فيفسر العلماء أوامر الله عن

---

(١) مجموعة مؤلفات الشيخ: ١١/٥.

(٢) المرجع السابق: ٣٩٤/١.

(٣) فتح المجيد: ٣٩٠.

(٤) المرجع السابق: ٣٨٣.

طريق تحليل كلامه وتفسيره، بينما يطبق الأمراء هذه التفسيرات. وبالتالي كانت السلطة مقسمة بين العلماء والأمراء والطرفان يقدمان على أنهما ولاة الأمر في المعتقد الوهابي".

فإن هذه الحالة المثالية هي امتثال لأمر الله ﷻ، يقول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء: ٥٩]، قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " يعني بذلك جل ثناؤه: يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ربكم فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه، وأطيعوا رسوله محمدًا ﷺ، فإن في طاعتكم إياه لربكم طاعة، وذلك أنكم تطيعونه لأمر الله إياكم بطاعته"(١).

ثم ذكر الأقوال في المراد بولاة الأمر، ثم قال: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: هم الأمراء والولاة لصحة الأخبار عن رسول الله ﷺ بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان لله طاعةً، وللمسلمين مصلحة،"(٢).

ثم قال: " القول في تأويل قوله: ﴿فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾.

يعني بذلك جل ثناؤه: فإن اختلفتم، أيها المؤمنون، في شيء من أمر دينكم: أنتم فيما بينكم، أو أنتم وولاة أمركم، فاشتجرتم فيه ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾، يعني بذلك: فارتادوا معرفة حكم ذلك الذي اشتجرتم أنتم بينكم، أو أنتم وأولو أمركم فيه من عند الله، يعني بذلك: من كتاب الله، فاتبعوا ما وجدتم، وأما قوله: ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾، فإنه يقول: فإن لم تجدوا إلى علم ذلك في كتاب الله سبيلا فارتادوا معرفة ذلك أيضًا من عند الرسول إن كان حيًا، وإن كان ميتًا فمن سنته ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾، يقول: افعلوا ذلك إن كنتم تصدقون بالله، واليوم الآخر، يعني: بالمعاد الذي فيه الثواب والعقاب، فإنكم إن فعلتم ما أمرتم به من ذلك. فلكم من الله الجزيل من الثواب، وإن لم تفعلوا ذلك فلكم الأليم من العقاب"(٣).

---

(١) تفسير الطبري: ٨/٤٩٥.

(٢) المرجع السابق: ٨/٥٠٢.

(٣) المرجع السابق: ٨/٥٠٤.

فهذه الحالة المثالية التي ينتقدها على أئمة الدعوة هي الحالة المثالية كما جاءت عند ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فماذا يريد العطاونة، وما الحال المثالية عنده؟

سابعا: قول سعود السبعاني عن أئمة الدعوة وأتباعها أنهم يبترون قوله تعالى: :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ ، ولا يكملون الآية: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾[النساء: ٥٩].

فهذ قول باطل، فإن أئمة الدعوة وأتباعها يتكلمون على هذه الآية وغيرها دون بتر أو اجتزاء، وهذه بعض النقول عنهم في ذلك:

يقول: الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ: "ويأخذون بالكتاب والسنة كما قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ "(١).

وقال الشيخ عبدالعزيز ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ على هذه الآية: "فأمر سبحانه في هذه الآية العظيمة بطاعته، وطاعة رسوله ﷺ وأولي الأمر، وأمر عند التنازع بالرد إليه سبحانه وإلى رسوله ﷺ، وقد بين أهل العلم أن الرد إليه سبحانه هو الرد إلى كتابه الكريم، وأن الرد إلى الرسول ﷺ هو الرد إليه في حياته، وإلى سنته ﷺ بعد وفاته. وأخبر ﷻ أن هذا الرد خير للعباد في دنياهم وأخراهم، وأحسن تأويلا أي عاقبة، وبهذا يعلم أن الواجب على جميع أهل الإسلام: أن يعتصموا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ في كل أمورهم، وأن يردوا ما تنازعوا فيه إليهما، وأن ذلك خير لهم وأحسن عاقبة في العاجل والآجل"(٢).

وقال الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فإن على العبد أن يتقي الله ما استطاع ويعمل جهده في تحري معرفة الحق من الكتاب والسنة، فإذا ظهر له الحق منهما وجب عليه العمل به، وأن لا يقدم عليهما قول أحد من الناس كائناً من كان، ولا قياساً من الأقيسة أي قياس كان، وعند التنازع يجب الرجوع إلى الكتاب والسنة فإنهما الصراط المستقيم، والميزان العدل القويم،

---

(١) منهاج التأسيس: ٦٧.

(٢) مجموع فتاوى ابن باز: ١/٢٣٨.

قــال الله تعــالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ والرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول هو الرد إلى سنته وهديه حيًّا وميتاً"(١).

والنقول في هذا كثيرة جدا، يصعب حصرها.

ثامنا: قول سعود السبعاني: " ولا يخفى على الجميع فهم – أي أئمة الدعوة– كانوا بذلك يعنون عدم الخروج على دعوة محمد بن عبدالوهاب ومحمد بن سعود ليس إلا، وإلا فمسألة الخروج فهم يدركون جيداً أنها ليست محرمة بالقطع".

فنقول إن كلام أئمة الدعوة عام في النهي عن الخروج على ولاة الأمور، كما سبق بيان عقيدة الشيخ في ذلك.

ثم أين هذا في كتبهم ومؤلفاتهم– المطبوعة والمنتشرة– أنهم يعنون بعدم الخروج على ولاة الأمر عدمَ الخروج على دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب ومحمد بن سعود ليس إلا؟!

تاسعا: قول محمد شحرور عن التناقض – حسب زعمه– في تشدد المذهب الوهابي "من جهةٍ على التوحيد والإخلاص لله وحده، والبراء من كل من حكم عليهم بالكفر أو النفاق ومعاداتهم بالقلب واللسان والفعل، غير أنه من ناحية أخرى، هي الناحية السياسية المؤسسة لأي جماعة في أي زمان ومكان، نجده يتراخى في إظهار الرفض والتمرد على الحكام، بل يوصي بالصبر على جورهم واتباع أوامرهم وتقديم فروض الولاء والطاعة لهم؟؟؟... ".

فإن ما يتعلق بالعلاقة بين العلماء والأمراء قد سبق بيانه في الفقرة السادسة، وهي علاقة مبنية على امتثال أمر الله ﷻ؛ أما التناقض الذي زعمه الكاتب بين التوحيد والإخلاص والبراءة من الكفار من جهة وبين السمع والطاعة لولاة الأمر من جهة أخرى فلقلة علمه، فإن الإلتزام بالتوحيد والإخلاص لله ﷻ والبراء من الكفار والمنافقين لا يتعارض مع السمع والطاعة لأئمة

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: ١٨/١٧٠. وانظر: فتح المجيد: ٣٤٨، ومنهاج التأسيس: ٦٧، ومجموع فتاوى ابن باز: ١/٦٨، ٧٨، ٢٣٨، وفتاوى اللجنة الدائمة: ١/٩٥، ٧٨١.

الجور، وهذا ما نص عليه أئمة السلف؛ لكن إذا ظهر من الحاكم ما يوجب كفره، ووجدت القدرة على تغييره دون حصول مفسدة في ذلك؛ فإن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا: «أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله»، قال: «إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان»(١).

قال الشيخ عبدالله بن عبداللطيف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قوله: (أن لا ننازع الأمر أهله) دليل على المنع من قتال الأئمة، (إلا أن يروا كفرا بواحا)، وهو الظاهر الذي قد باح به صاحبه، فطاعة ولي الأمر، وترك منازعته، طريقة أهل السنة والجماعة، وهذا هو فصل النّزاع بين أهل السنة، وبين الخوارج والرافضة"(٢).

وقال الشيخ عبدالعزيز ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ولا يجوز الخروج على ولاة الأمور وشق العصا إلا إذا وجد منهم كفر بواح عند الخارجين عليه من الله برهان، ويستطيعون بخروجهم أن ينفعوا المسلمين وأن يزيلوا الظلم وأن يقيموا دولة صالحة. أما إذا كانوا لا يستطيعون فليس لهم الخروج ولو رأوا كفرا بواحا؛ لأن خروجهم يضر الناس ويفسد الأمة ويوجب الفتنة والقتل بغير الحق ولكن إذا كانت عندهم القدرة والقوة على أن يزيلوا هذا الوالي الكافر فليزيلوه وليضعوا مكانه واليا صالحا ينفذ أمر الله فعليهم ذلك إذا وجدوا كفرا بواحا عندهم من الله فيه برهان وعندهم قدرة على نصر الحق وإيجاد البديل الصالح وتنفيذ الحق"(٣).

ويقول الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ على قوله ﷺ: «إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان»: "ثم إن القيود التي ذكرها النبي ﷺ قيودٌ صعبة، من يتحقق من هذا الحاكم، مثلاً علمنا أنه كافر علم اليقين، نراه كما نرى الشمس أمامنا، ثم علمنا أن الكفر بواح، لا

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، برقم (١٧٠٩).

(٢) الدرر السنية: ٩/٩٢، ١٦١.

(٣) مجموع فتاوى ابن باز: ٧/١١٩، ٨/٢٠٣، وفتاوى اللجنة الدائمة: ٢٣/٣٩٩، والمجموعة الثانية: ٢/٣١٥.

يحتمل التأويل وليس فيه أي أدنى لبس، ثم عندنا دليل من الله برهان قاطع، هذه قيود صعبة، أما مجرد أن يظن الإنسان أن الحاكم قد كفر، فهذا ليس بصحيح، لابدَّ من إقامة الحجة"[١].

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: ٣٧٢/٢٥.

المطلب الثالث: دعوى جعلُ الإمامةِ من أُسس التوحيد

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى أن دعوة الإمام جعلت الإمامة من أسس التوحيد.

يقول عبدالغني الماروي: " على أن الخطاب الإسلامي والسلفي على وجه الخصوص يكاد لا يرى الدولة إلا من منظار الإمامة والحكم وحسب، وهذا ما جعله يصوغ مواقفه من الدولة على قاعدتي الطاعة وعدم الخروج على الحاكم، والولاء والبراء، فهناك دولة مسلمة ودولة كافرة، وهناك نظام كافر وآخر مؤمن، وهناك مؤمنون وكفار.

ويمكن القول: إن الخطاب السلفي يرتكز على ثلاثة مفاهيم رئييسة عند مقاربة مسألة الدولة، وهذه المفاهيم هي: التوحيد، والفتنة، ومبدأ الولاء والبراء. فمفهوم التوحيد لا يشير لوحدانية الله وعدم الشرك به وحسب، وإنما يمتد لكل ما له صلة بوحدة المجتمع المسلم والمسلمين بشكل عام. ويلحظ أحمد موصللي هذه الثنائية الدينية / السياسية فيما يتعلق بالتوحيد الذي يعد أساس العقائد كما يعد أساس النظرية السياسية عند الأصوليين، فالخضوع لله لا يتوقف فقط على الناحية العقائدية بل هو خضوع سياسي في نفس الوقت [كذا] وبالدرجة الأولى، وعليه يصطبغ مفهوم التوحيد بصبغة سياسية مما يؤدي إلى قياس الممارسة السياسية بمقاييس غير تقليدية(١).

ومن هنا، لا تزال تسيطر فكرة الدولة الواحدة وفكرة القائد الواحد على أغلب اجتهادات التيارات السلفية. ويشير الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، وهو وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في السعودية لهذا المعنى بوضوح، ففي محاضرة له منشورة بعنوان "أسس بناء الدولة عند الإمام محمد بن عبدالوهاب" اعتبر أن من أسس بناء الدولة الإسلامية وجود قائد، فالولاية في المفهوم الشرعي هو ما فيه مصلحة اجتماع المسلمين عليه،

---

(١) أحمد موصللي، قراءة نظرية تأسيسية في الخطاب الإسلامي: نظريات المعرفة والدولة والمجتمع (بيروت: الناشر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام، ١٩٩٣م): ص ٢٥.

لأن مصلحة الناس إنما تتم بالاجتماع ولا تتم بالتفرق"[١].

حقيقة هذه الدعوى:

إتهام دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتعظيم الإمامة والغلو فيها وجعلها من أركان الدين[٢]، وهذا فيه تشبيه لعقيدة الإمام بعقائد الرافضة[٣].

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: أن هذه الدعوى مخالفة لما أجمع عليه السلف-رضوان الله عليهم- من وجوب الاجتماع على الإمام والسمع والطاعة له في غير معصية لله، والدعاء له، وتحريم الخروج عليه. وسبق الكلام على هذه المسألة في المبحث الثاني، وفي الدعوى الثانية من هذا الفصل.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[النساء: ٥٩]، ودلالة هذه الآية ظاهرة، فإن الله تعالى قرن طاعته وطاعة رسوله ﷺ بطاعة أولي الأمر، قال إمام المفسرين ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ساق الأقوال في المراد بأولي الأمر في الآية: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال هم الأمراء والولاة، لصحة الأخبار عن رسول الله بالأمر بطاعة الأئمة والولاة"[٤].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيرها: "هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة، يُسمع له ويُطاع به الكلمة"[٥].

ثانيا: أن الإجماع منعقد على وجوب نصب إمام، وقد نقل الإجماع على ذلك غير واحد

---

(١) الدولة في الخطاب السلفي المعاصر المرجعيات والأفكار والتحولات: ٥٢٢، ضمن كتاب الوهابية والسلفية الأفكار والآثار. وانظر: أصول الحكم ونظام الولاية في الشريعة الإسلامية: ٢٤٩.

(٢) انظر: الإمامة لمرتضى المطهري: ٣٧، والإمامة في جذورها القرآنية: ١٥، وتاريخ العقائد الشيعية وفرقها: ١٣٣.

(٣) انظر: أصول الدين للقمي: ٥، وعلم الكلام والتعدّدية المذهبية – هل نظرية الإمامة من أصول الدين أم أصول المذهب الشيعي؟: http://nosos.net ، في ١٤٣٨/١٠/٩هـ.

(٤) جامع البيان: ٥/١٥٠.

(٥) الجامع لأحكام اقرآن للقرطبي: ١/٢٦٤.

من أهل العلم, منهم النووي[١], والقرطبي[٢], وغيرهم[٣]، ولم يقل أحد من العلماء مع انعقاد هذا الإجماع أن الإمامة من أسس التوحيد.

ثالثا: أنه يجب على كل مسلم السمع والطاعة لولاة الأمور في غير معصية الله، وإن بدا ظلم أو تقصير في حقوق الرعية، روى مسلم في صحيحه -باب طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق- أن سلمة بن زيد الجعفي رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله، أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا، فما تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم سأله في الثانية أو في الثالثة فجذبه الأشعث بن قيس، فقال ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حُملوا وعليكم ما حُملتم»[٤].

رابعا: أن أقوال السلف في تقرير هذه المسألة أكثر من أن تحصر، فلا تكاد تخلو كتب السنن والعقائد من آثار أئمة الدين في الأمر بالسمع والطاعة في غير معصية، ولزوم الجماعة، وتحريم الخروج[٥].

خامسا: أن السمع والطاعة لولاة الأمور من عقائد أهل السنة؛ لكن هذا لا يعني أنها أساس التوحيد – ولم يقل بهذا أحد من أهل العلم–، ولا يعني السمع والطاعة لهم مطلقًا، وإنما السمع والطاعة في المعروف، وفي المنشط والمكره، مع بذل النصح لهم عند وجود المعصية.

---

(١) شرح صحيح مسلم: ٢٠٥/١٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٢٦٤/١.

(٣) انظر: الصواعق المحرقة: ٧، ومقدمة ابن خلدون: ١٧٩, والفصل في الملل والأهواء والنحل: ١٤٩/٤، والإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة: ٤٦.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق، برقم: ١٨٤٦.

(٥) انظر: السنة لابن أبي عاصم: ٤٩٢/٢، والسنة للخلال: ٧٤/١، والشريعة للآجري: ٣٧٣/١، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة: ١٦٧/١، ١٢٢٣/٧، والاستذكار: ١٤/٥، وشرح السنة للبغوي: ٤٦/١٠، والحجة في بيان المحجة: ٥٧٢/٢، والاستقامة: ٤١/١، ومجموع الفتاوى: ٥/٣٥، ومنهاج السنة: ١١٥/١، ومؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب: ٢٦٤/٦، والدرر السنية في الأجوبة النجدية ٣٧/٨، ١٦٠/٩.

قال الإمام البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والسمع والطاعة للأئمة فيما يحب الله ويرضى، ومن ولي الخلافة بإجماع الناس عليه ورضاهم به فهو أمير المؤمنين، لا يحل لأحد أن يبيت ليلة ولا يرى أن ليس عليه إمام براً كان أو فاجراً والحج والغزو مع الإمام ماض، وصلاة الجمعة خلفهم... ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين فهو خارجي قد شق عصا المسلمين وخالف الآثار وميتته ميتة جاهلية ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه وإن جار، فإن فيه فساد الدنيا والدين"(١). فقيد السمع والطاعة بقوله: " فيما يحب الله ويرضى".

وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأرى الجهاد ماضياً مع كل إمام براً كان أو فاجراً، وصلاة الجماعة خلفهم جائزة، وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية الله، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة وجبت طاعته وحرم الخروج عليه"(٢). فقيد السمع والطاعة بقوله: " ما لم يأمروا بمعصية الله ".

وقارن بين كلام الإمام البربهاري المتوفي عام (٣٢٨هـ) وكلام الإمام محمد بن عبدالوهاب المتوفى عام (١٢٠٦هـ)، تجد أنه خرج مشكاة واحدة.

سادسا: أن علماء أهل السنة ذكروا في كتب العقيدة ما يتعلق بالإمامة وأبواب السياسة، وذلك لارتباط كثير من تفاصيلها بالعقيدة، ومن ذلك كتاب السنة لعبد الله ابن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد أورد فيه فصولاً عن خلافة أبي بكر وبيعته والخلافة ومدتها(٣)، وكذلك فعل اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٤) في كتابه المشهور: شرح أصول اعتقاد أهل السنة، حيث أورد باباً في بيعة

(١) شرح السنة: ٢٩. وانظر: انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ١٦٨/١.

(٢) الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبدالوهاب: ١١/٥.

(٣) كتاب السنة لعبد الله ابن الإمام أحمد: ٥٥٣/٢.

(٤) هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي، أبو القاسم، الإمام الحافظ المجود، برع في المذهب الشافعي، له كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ت سنة ٤١٨هـ. انظر: تاريخ بغداد: ٧٠/١٤، وسير أعلام النبلاء: ٤١٩/١٧.

أبي بكر وترتيب الخلافة وكيفية البيعة، وباباً في طاعة الأئمة والأمراء، وباباً في تعامل الحكام مع أهل البدع من القدرية وغيرهم(١).

وابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ جعل نصف كتابه "الإبانة على أصول السنة والديانة" في فروع المسائل، وذكر مسائل التعامل مع أهل البدع ومنزلة الصحابة، والتعامل مع الأئمة(٢).

وأما الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد أورد في عقيدته كثيراً من مسائل الحكم والسياسية مثل: وجوب طاعة ولي الأمر، والحديث عن الخلفاء الأربعة، وأهمية الجماعة والاجتماع في الأمة، والتعامل مع أهل البدع في الأمة وأحكامها، وأولياء الله ومن هم، والحكم بغير ما أنزل الله من الشرائع والقوانين(٣).

ولم يقل أحد من العلماء أن هؤلاء الأئمة بصنيعهم هذا جعلوا السمع والطاعة لولاة الأمر أساسا للتوحيد.

سابعا: أن هذا العمل من هؤلاء العلماء يدل على أهمية مثل هذه الموضوعات وعلاقتها بالعقيدة، حتى مع القول بأنها سيقت في كتب العقيدة لأجل الرد على المخالفين في هذه المسائل، وحيث إن المخالفين في سائر المسائل كثر وفي مسائل مختلفة من الفروع، ومع ذلك يؤكد هؤلاء العلماء على هذه المسائل دون غيرها لأهميتها.

وهو من أدلة كمال الشريعة الإسلامية، وشمولها لما يصلح الناس في أمور دينهم ودنياهم، فلا فصل بين هذا وذاك ولا فصل بين الدين والسياسة في حياة المسلمين(٤).

ثامنا: أن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لكمال علمهم ونصحهم ومعرفتهم بأهمية الإمامة وشدة

---

(١) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ١/١٦، ٧/١٢٩٦، ١٣٦٠.

(٢) انظر الإبانة الصغرى: ٣٠٤-٣١٠، ٣٥٦.

(٣) انظر العقيدة الطحاوية: ٢٣-٢٤، ٢٩-٣٠.

(٤) انظر: تعدد الخلفاء في الزمن الواحد: ٨٤-٨٥.

الحاجة إليها لم يبيتوا بعد انتقال النبي ﷺ للرفيق الأعلى وقبل تجهيزه ومع عظم المصيبة إلا وفي أعناقهم بيعة لإمام؛ حيث اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، وبايعوا أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

(١) انظر: البداية والنهاية: ٨/٨١، ٩/٤١٣.

المطلب الرابع: دعوى أن دعوة الإمام حركة سياسية

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى أن دعوة الإمام حركة سياسية وليست دينية، وأن أصل الدعوة كان دينياً، وبعد الاتصال بالإمام محمد ابن سعود صارت سياسية، وهذا أدى إلى التصالح بين الحركة الدينية والحركة السياسية ودعم بعضها لبعض.

يقول عبدالله المالكي: "عندما تتأسس الدولة على حلف واتفاق بين الحاكم السياسي والفقيه الداعية، ويتم بموجبه تبني دعوة ذلك الفقيه ومناصرتها ونشرها بين الناس، في مقابل أن يمنح الفقيه الشرعية الدينية لتلك السلطة وسياسة الحاكم، فإننا حينئذ نتحدث عن مفهوم (دولة الأمير والشيخ).

دولة (الأمير والشيخ) هي دولة تقوم على طرفين في إدارة الحكم: طرف يتولى إدارة الشأن السياسي داخلياً وخارجياً، وطرف آخر يتولى إدارة الشأن الديني في المجال العام، وهذا التقسيم الثنائي لا يعني الانفصال المطلق بين المجال السياسي والمجال الديني، بل بينهما اتصال من جهة وانفصال من جهة أخرى كما سيأتي، كما لا يعني خروج المجال الديني عن سلطة الدولة، وإنما يعني أن السلطة قد انقسمت بين الأمير والشيخ.. بعبارة أخرى نحن أمام حالة تعاقدية تبادلية (معنوية ومادية) بين سلطة زمنية وسلطة روحية، بحيث تمنح السلطة الروحية الشرعية والطاعة للسلطة الزمنية في مقابل أن تقوم السلطة الزمنية بدعم وتمكين السلطة الروحية"(١).

ثم ذكر ما يترتب على هذا التحالف، فقال: "هذا التحالف والتوافق (الحصري) بين طرفي الحكم يترتب عليه عادة أثران سياسيان:

الأثر الأول: تبني الحاكم لمذهب الفقيه (الحليف) والانحياز له بشكل مطلق ودعمه ونشر دعوته، ومناصرته في مقابل المذاهب والأفكار الدينية الأخرى التي تختلف مع ذلك الفقيه، الأمر الذي قد يدفع بتلك المذاهب الدينية إلى أن تتخذ موقف المعارض لذلك الواقع السياسي

---

(١) دولة الأمير والشيخ تصور الدولة ووظيفتها في الفكر الوهابي: ٤٨٩.

الجديد الذي أصبح يهدد حريتها ومكاسبها وربما وجودها، ومن الطبيعي أن تصبح تلك المذاهب المخالفة مذاهب مارقة ومنحرفة ومبتدعة إذا اشتد خلافها السياسي مع تلك الدولة الناشئة، كما أن تبني السلطة السياسية لمذهب ذلك الفقيه (الحليف) يمنح هذا الأخير احتكار إدارة الشأن الديني في المجال العام، وفرض رؤيته الفقهية على الواقع الاجتماعي، وتنميط سلوك أفراد المجتمع وفق تلك الرؤية، وهذا وفق تجارب التاريخ، أقصى ما يطمح إليه الفقيه عندما يكون حليفاً للسلطة.

وفي المقابل يكون الأثر الثاني: وهو أن يقوم الفقيه (الحليف) بدعم ذلك الحاكم السياسي، وإصباغ الشرعية الدينية على سلطانه، فتكون طاعته من طاعة الله، ومعارضته ومنازعته في قراراته السياسية معصية لله تعالى وسبب لإثارة الفتن، إضافة إلى بثّ الخطب والكتابات التبريرية لسياسات الحاكم وتهدئة أو تعبئة العوام نحوها "[١].

ثم ذكر ما جرى بين الشيخ محمد بن عبدالوهاب والأمير محمد بن سعود من التحالف، فقال: " بحسب خلاصة رواية ابن غنام وابن بشر أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما انتقل إلى الدرعية في عام ١١٥٧هـ التقى بأميرها محمد بن سعود آل مقرن، فرحب به الأمير وقال له: (أبشر ببلاد خير من بلادك وبالعز والمنعة، فقال له الشيخ: وأنا أبشرك بالعز والتمكين والنصر المبين، وهذه كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسل كلهم، فمن تمسك بها وعمل بها ونصرها ملك بها البلاد والعباد وأنت ترى نجداً كلها وأقطارها أطبقت على الشرك والجهل والفرقة والاختلاف والقتال لبعضهم البعض، فأرجو أن تكون إماماً يجتمع عليه المسلمون وذريتك من بعدك)[٢].

نلاحظ هنا المضامين السياسية الواضحة في خطاب الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فهو ليس مجرد داعية في هذا الحوار، وإنما داعية يخطط لقيام كيان سياسي لنصرة دعوته وتجسديها في الواقع: (أبشرك بالعز والتمكين والنصر المبين)، (من تمسك وعمل بها ونصرها ملك بها البلاد والعباد)، (فأرجو أن تكون إماماً يجتمع عليه المسلمون وذريتك من بعدك). فقبول الدعوة ونصرتها في خطاب

---

(١) المرجع السابق: ٤٩٠.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، الرياض، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ٢٠٠٢: ص٥١.

الشيخ يحمل معنى إقامة الدولة، وكأن توحيد نجد في إطار سياسي واحد (= الدولة) هو شرط ضروري لنجاح دعوة الشيخ الإصلاحية، فالهدف هنا لا يقتصر فقط على مجرد الدعوة إلى التوحيد ونشره وتعليمه للناس، وإنما أيضاً لابد من إقامة دولة تتبنى هذه الرسالة أو الأيديولوجيا[١] وتسعى لتحقيقها في الواقع، ويبدو أن الأمير كان يدرك هدف الشيخ جيداً، وسيظهر ذلك في تفاوضه واشتراطاته"[٢].

ثم ذكر الشرطين اللذين شرطهما الإمام محمد بن سعود: "الشرط الأول: وبعبارة الأمير: (يا شيخ نحن إذا قمنا في نصرتك، والجهاد في سبيل الله، وفتح الله لنا ولك البلدان، أخاف أن ترحل عنا وتستبدل بنا غيرنا). فكان رد الشيخ بقوله: (ابسط يدك، الدم بالدم، والهدم بالهدم، وإنني لن أرغب عنك إن أظهرك الله).

وأما الشرط الثاني: فقول الأمير: (إن لي على الدرعية قانوناً [أي ضريبة أو إتاوة] آخذه منهم في وقت الثمار، وأخاف أن تقول لا تأخذ منهم شيئاً). فأجابه الشيخ بقوله: (لعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك من الغنائم ما هو خير منها)[٣]. وفي رواية أخرى أكثر وضوحاً وأقرب للهجة السائدة: (قال الأمير: يا شيخ ما يكون لك قعود عندنا ولا مسكن، فأنا رجل متعود على أكل الحرام، وأنت عالم زاهد، هل عندك أن تفتينا؟ فقال له الشيخ: نعم أنا أبقيك على ما أنت عليه من أكل الحرام، وأنت تتركني أسكن عندك وأقوّم الدين، فرضي ابن سعود بذلك)[٤]"[٥].

---

(١) لفظة مأخوذة من الكلمة اليونانية: إيديا وتعني فكرة، ولوغوس وتعني علم، خطاب، وهي: منهج في التفكير مبني على الافتراضات المترابطة والمعتقدات وتفسير الحركات أو السياسات الاجتماعية، وقد يكون محتواه دينيا او اقتصاديا أو سياسيا أو فلسفيا. انظر: قاموس المورد، والموسوعة العربية العالمية.

(٢) دولة الأمير والشيخ تصور الدولة ووظيفتها في الفكر الوهابي: ٤٩١-٤٩٢.

(٣) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام، تحقيق: ناصر الدين الأسد، ط٤، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٥م: ص٨٩.

(٤) مؤلف مجهول، كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، دراسة وتحقيق عبدالله العثيمين، نقلاً عن: خالد الدخيل، الوهابية بين الشرك وتصدع القبيلة، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٣): ص ٥١.

(٥) دولة الأمير والشيخ تصور الدولة ووظيفتها في الفكر الوهابي: ٤٩٣.

ثم ذكر ما ترتب على هذين الشرطين[١]، وسبب موقف الإمام محمد بن عبدالوهاب من الإمام محمد بن سعود وسكوته عن الإنكار عليه - حسب زعمه-، فقال: "هذا الشرط الثاني هو الذي يفسر لنا مواقف الشيخ السلفي الوهابي عبر تاريخ الدولة، حين كان يضطر إلى السكوت عن بعض أخطاء الأمير وتجاوزاته الأخلاقية، وعن ألم وحسرة أحياناً، بل وقد يذهب إلى تبرير بعض مظالمه ومنكراته المتعدية على المال العام وحقوق الناس كما سيأتي، وربما إقرارها إذا لزم الأمر، أو الاكتفاء بالوعظ والنصيحة السرية، مع التشديد على منع الإنكار العلني وتحريمه وتبديع الفاعلين له، كل ذلك في سبيل أن يبقى للشيخ الدعم المعنوي والمادي، وأن تستمر مكاسبه ونفوذه الاجتماعي، لكي يتمكن من نشر رسالته بين الناس وتطبيقها في الواقع عبر أدوات السلطة، أو بتعبير آخر: التأوّل بقبول المفسدة الأخف لتحقيق مصلحة أكبر من وجهة نظر الوهابية"[٢].

ويقول مفتي مصر - علي جمعة- بأن فتوى الوهابية بتحريم الصلاة في المساجد التي فيها قبور كان الغرض منها سياسياً وحجة لتكفير الخليفة العثماني ثم الخروج عليه. حيث قال في جواب له عن حكم الصلاة في المسجد الذي فيه ضريح؟: " الصلاة في هذا المسجد جائزة". ثم أرجع سبب تحريم الصلاة في هذه المساجد إلى الحركة الوهابية، وقال: "إن مبرر الوهابيين في ذلك - أي التحريم- هو الخروج على الخلافة العثمانية"[٣].

ويقول خالد الدخيل في بيان تضخيم البعد الديني وأسبابه في دعوة الإمام: "الوجه الآخر للقصور الذي تعانيه الدراسات عن تاريخ الدولة السعودية، هو هذا الاهتمام المبالغ فيه بالتركيز على الجانب أو البعد الديني، وإقصاء البعدين الاجتماعي والسياسي لتاريخ الدولة،

---

(١) المرجع السابق: ٤٩٤.

(٢) المرجع السابق: ٤٩٥، ٤٩٧. وانظر: الدور السياسي للحركة الوهابية في ظل بيئة متغيرة: ٥٧٥، ونقض الوهابية: ٢٩، ١١٣.

(٣) https://www.youtube.com/watch?v=٨B٤ImT-rCRM، في ١٤٣٨/٦/٢٦، http://www.ghrib.net/vb/showthread.php?t=١١٢٤٤، وانظر: السلفية الوهابية بين سياسة التقرير والتبرير - تبادل الدعم بين السلطة والفقه الوهابي: http://www.maghress.com/hespress/١٥٣٨٩، في ١٤٣٨/٦/٢٦. وانظر الرد عليه: http://majles.alukah.net/t٣٨٧٠/

وذلك بهدف تأكيد جذرها الديني الذي يقال إنها انبثقت منه"[١].

ثم قال: " إن تبني الدولة لدعوة إسلامية هو حقيقة من حقائق تاريخها. تأتي بعد ذلك حقيقة أن الدولة السعودية تتخذ من الشريعة الإسلامية قانوناً أساسياً لها. هذه حقائق تؤكد هوية الدولة، إلا أنها تختلف عن تفسير نشأتها. يبدو أن التركيز المبالغ فيه على البعد الديني المترافق مع تهميش الأبعاد الأخرى لتاريخ الدولة، يفترض أن هوية الدولة الإسلامية تقتضي أن تكون جذورها أو أسباب نشأتها ذات طبيعة دينية أيضاً. وهذا افتراض فاسد وذلك لسبب بسيط وهو أنه يتضمن أن التفسير العلمي لنشأة الدولة والبحث عن عوامل غير دينية (اجتماعية وسياسية) وراء نشأتها يتعارض مع دين الدولة، وبالتالي يتعارض مع هويتها. وهذا أمر لا يستقيم لا مع الحقيقة التاريخية لهوية الدولة ولا مع الدين الإسلامي تحديداً ولا مع المنهج العلمي كذلك"[٢].

ثم نقل عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب وجود الشرك في نجد، حيث يقول: " أول من قال بهذا الرأي كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب وقد أفصح عن هذا الرأي منذ الأيام الأولى لدعوته، ففي لقائه الأول مع محمد بن سعود خاطب الشيخ أمير الدرعية بقوله: (وأنت ترى نجداً كلها وأقطارها أطبقت على الشرك، والجهل، والفرقة، والاختلاف..)[٣]. كانت هذه أول إشارة أو أنها على الأقل من بين الإشارات الأولى التي ترد في المصادر، ويؤكد فيها الشيخ بشكل مباشر أن الشرك كان منتشراً في نجد مع بداية دعوته"[٤].

ثم قال: " وقد كان من الطبيعي أن تبنّى أنصار الدعوة رأي الشيخ، ومن أبرز هؤلاء تلميذه حسين بن غنام الذي كان أول من صاغ التفسير الديني لظهور الحركة الوهابية على شكل علاقة مباشرة بين سبب سابق ونتيجة لاحقة وطبيعية بل ربما حتمية، كما إن ابن غنام كان أول من قدم شيئاً من التفصيل في الصورة التي رسمها عن الحالة الدينية، وانتشار الشرك في

---

(١) الوهابية بين الشرك وتصدع القبيلة: ١٠٠.

(٢) المرجع السابق: ١٠٠.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد: ٤٢/١.

(٤) الوهابية بين الشرك وتصدع القبيلة: ١٠١.

نجد إبان دعوة الشيخ. يقول في ذلك: (كان الناس في زمانه (أي زمان الشيخ) متضمخين بالأرجاس متلطخين بوضر الأنجاس حتى قد انهمكوا في الشرك بعد حلول السنة المطهرة بالأرماس،... ونبذوا كتاب الله تعالى وراء ظهورهم،... فعدلوا إلى عبادة الأولياء والصالحين، وخلعوا ربقة التوحيد والدين،... وأقبلوا عليهم (الأولياء) في طلب الحاجات وتفريج الشدايد والكربات، من الأحياء منهم والأموات...)(١)" (٢).

حقيقة هذه الدعوى:

هذه الدعوى قديمة، فقد أتهم الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه بأن قتاله للمرتدين كان سياسة(٣)، وكذلك اتهمت الدولة الأموية بأنها حركة سياسية(٤)، وكل دولة قامت على الحق فإن أعداءها يبحثون عن ما ينفر منها، ويرمونها بالتهم ومنها أنها حركة سياسية(٥)؛ بل إن النبي ﷺ لما دعى قريشا للإسلام، قالوا له: "وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا"(٦).

الجواب عن هذه الدعوى:

---

(١) انظر: ابن غنام، روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام، طبعة الهند: ١/٥-٦.

(٢) الوهابية بين الشرك وتصدع القبيلة: ١٠٢. وانظر: ١٤٦-١٤٧، ١٥٨، ٣٢٨، ونقض الوهابية: ٢٢-٢٥، والشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره: ١٩-٢١، ومجلة الدارة ع ٣، س ٤ شوال ١٣٩٨هـ، والحياة العلمية في وسط الجزيرة: ٦٦، ٢٦٤-٢٧٠، ٢٨٥-٣٨٩.

(٣) انظر: السلفية لمحمد عمارة: ٥١، حد الردة المزعوم: ٤٢، ادعاء أن حروب الردة دافعها السياسة لا الدين: http://bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=٠١-٠٩-٠٠٢٠#_ednref٢، في ٩/١٠/١٤٣٨هـ.

(٤) انظر: ما معنى الاسلام السياسي؟: https://www.islam٤u.com/ar/almojib/ما-معنى-الاسلام-السياسي-؟، الإسلام السياسي من معاوية الى داعش (١)، (٢)،(٣): http://elaphmorocco.com/Web/opinion/٢٠١٧/٠١/٣٨١٢.html، هل كانت الدولة الاموية الخطأ الاساس في السياسة الدينية؟: http://elaph.com/Web/AsdaElaph/٢٠٠٨/١٢/٣٩٣٦٠٨.htm، في ٩/١٠/١٤٣٨هـ.

(٥) انظر: التطور السياسي لدولة الحركات الإسلامية: ١-٢، ، موسوعة علم السياسية: ٦٠.

(٦) انظر: سيرة ابن هشام: ١/٢٩٣، الروض الآنف: ٢/٤٦، والبداية والنهاية: ٣/٧٩.

أولا: أن إتهام دعوة الإمام وغيرها من الدعوات الإصلاحية التي على منهج السلف الصالح بأنها حركة سياسية، من التلبيس على العوام الذين يريدون به صد الناس عن الإسلام الصحيح؛ فإن الدين الإسلامي خاتم الأديان الذي ارتضاه الله لعباده؛ كما قال تعالى: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] قد جاء كاملا شاملا لكل نواحي الحياة: الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية .. الخ.

ولهذا فقد اجتهدوا في الترويج لهذه الفكرة وما يدعمها من شعارات ومصطلحات، كما يقول أحدهم: " أراد الله للإسلام أن يكون دينًا، وأراد به الناس أن يكون سياسة !"[١]، وجعلوها حيلة يحتالون بها على إنكارهم للدين والصد عنه[٢].

ثانيا: أن دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، دعوة جامعة للأمور الدينية والسياسية معا؛ لأن الإسلام بطبيعته دين ودولة[٣]، والإصلاح الذي نادت به الدعوة لم يكن الغرض منها دينياً محضاً، فحقيقة أن الدعوة اهتمت بالإصلاح الديني - وهو الأصل- أكثر من اهتمامها بالإصلاحات الأخرى؛ لأنه هو الأصل، ولأن الانحراف الديني في العالم الإسلامي في ذلك الوقت يفوق تدهوره السياسي، وفوق هذا وذاك فإن إصلاح العقيدة الإسلامية في نفوس المجتمع الإسلامي أساس كل إصلاح [٤].

فالإمام "محمد بن عبدالوهاب من ناحية العقيدة ليس بمبتدع، فهو من ناحية السياسة مجدد مبدع[٥]، لقد استطاع أن يوقف حركة التاريخ، ويلوي عنق الأحداث التي كانت تدفع العالم الإسلامي دفعاً إلى التغريب"[٦].

---

(١) انظر: الإسلام السياسي للعشماوي: ٧.

(٢) انظر: الإسلام السياسي لجعفر شيخ إدريس: ١٥، ضمن مجلة البيان، العدد (٢٠٢).

(٣) حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، ضمن مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٢١): ١٢٨، كتاب الفكر العربي في مائة سنة: ٢٧٧، ودعوة حركة الإصلاح السلفي، المجلة التاريخية المصرية: ١/ ٩٠.

(٤) انظر: داعية التوحيد محمد بن عبدالوهاب: ١١.

(٥) انظر: تطبيقات السياسة الشرعية عند الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب لمصعب الخالدي.

(٦) السعوديون والحل الإسلامي: ١٠٩.

ثالثا: أن الاستعانة بقوة السلطان لنجاح الدعوة من منهج النبوة، ومن حكمة الإمام محمد بن عبدالوهاب، " لكي تنجح دعوته في منطقة تعمها الفوضى الدينية والاجتماعية والسياسية.

وكان من الصعب -والحالة هذه من الفوضى- الوصول إلى أي خطوة عملية مؤثرة في التغيير، والإصلاح بالجهد الدعوي المجرد، ومن هنا اتجه الإمام محمد بن عبدالوهاب بعزمه وطموحه؛ ليضع يده في يد أولي الأمر أصحاب السلطة والحكم، الذين آمنوا بالعقيدة والشريعة، وسعوا إلى توحيد الجزيرة العربية كلها تحت راية واحدة، مدركاً كل الإدراك، وواعياً كل الوعي، أنه ليس من السهل نشر الدعوة في البلاد القاصية والدانية في مدة قصيرة أو معقولة، إلا بحماية أمير ذي قوة ونفوذ، بمساعدته ومساعدة رجال دولته.

لقد فطن الشيخ إلى الفروق الكبيرة بين دعوة لا تؤازرها قوة الحكم، مثلما كان حال المسلمين والرسول ﷺ في مكة، ودعوة يعضدها الحكم، ويهيئ لها أسباب حمل الرسالة، ويضع كل إمكانات دولته في خدمة الدعوة، وذلك مثل حال المسلمين في المدينة بعد الهجرة بقيادة رسول الله ﷺ، فالفرق كبير بين الحالين والجهدين، والنتائج جد مختلفة"[١].

رابعا: يكاد الباحثون يتفقون على ندرة ما كتب عن تاريخ نجد - قبل دعوة الإمام- وقلة المعلومات التاريخية عن أحوال نجد آنذاك[٢]. فهي تعيش مرحلة من التاريخ مجهولة، إلا نتفاً ضئيلة من بعض أقوال المؤرخين[٣]. وهذا مما يؤكد أن نجدا لم يكن لها أي دور سياسي قبل دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب.

يقول أمين سعيد[٤]: "ولقد حاولنا كثيراً من خلال دراستنا لتاريخ الدولتين الأموية

---

(١) تأملات في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: ٩٢-٩٣.

(٢) انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون: ١/١١، ١٢، ١٤، ومقدمة عبدالله الشبل للأخبار النجدية: ٣، وتاريخ ابن ربيعة: ١١، التعليم في نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ضمن مجلة كلية الشريعة بالأحساء، العدد(٢)، السنة (٢): ٥٠١.

(٣) انظر: مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ: ٦٩.

(٤) أمين بن محمد سعيد بن حسن سعيد: صحفي مؤرخ من أهل اللاذقية. له عدة مؤلفات، منها: الثورة العربية الكبرى،

والعباسية، وتاريخ الأيوبيين، والمماليك في مصر، ثم تاريخ العثمانيين الذين جاءوا بعدهم وورثوهم أن نعثر على اسم والٍ، أو حاكم أرسله هؤلاء، أو أولئك أو أحدهم إلى نجد فلم نقع على شيء"[١].

فنجد لم تشهد نفوذاً عثمانياً كسائر البلدان، ومن خلال وثيقة تركية سجلت سنة ١٠١٨هـ، وتحوي أسماء الأقاليم العربية التابعة للدولة العثمانية، إلا أن نجداً ليست منها[٢].

فنجد قبل دعوة الإمام في فتن وحروب، فإنه "لما حلّت سنة ٩٢٣هـ وظهرت الدولة العثمانية على المسرح السياسي في جزيرة العرب -وإن كانت الجزيرة العربية لم تشمل بالحكم العثماني المباشر- كان كل قطر من أقطار الجزيرة العربية مستقلاً بذاته، ولاسيما نجد فقد كانت العصبيات فيها قائمة على قدم وساق، لكل عشيرة دولة.."[٣].

فنجد "لم تشهد نفوذاً مباشراً للعثمانيين عليها قبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، كما أنها لم تشهد نفوذاً قوياً يفرض وجوده على سير الحوادث داخلها لأية جهة كانت"[٤].

بل كانت نجد في فتن وحروب، ونزاعات بين القبائل والبلدان، ونزاعات سياسية، ونقص في المعايش والأرزاق، كما جاء في عنوان المجد: "أما السنون التي سبقت قيامهم – أي دعوة الإمام-، فغلب فيها الضلال والجهل والظلم، وفتن كقطع الليل المظلم، وقتال بين أهل كل بلد عدواناً وحمية جاهلية، وتحالف وتفازع وعصبية، وكل بلد فيها رئيس فأكثر لايزال يقع بينهم الشرّ، تارة يتقاتلون وتارة يتسالمون، فلا يسافر ذو الحاجة فرسخاً أو ميلاً إلا كان أن يرجع

وملوك المسلمين المعاصرون ودولهم، وثورة جمال عبد الناصر، وتاريخ الدولة السعودية، وتاريخ الإسلام السياسي، وأيام بغداد. توفي سنة ١٣٨٧هـ. انظر: الأعلام: ٢/٢٠-٢١.

(١) تاريخ الدولة السعودية: ٢٣.

(٢) انظر: عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لصالح العبود: ٢٣-٢٤.

(٣) تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب: ٣٨-٣٩، باختصار.

(٤) محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره: ١١. وانظر: سيرة الإمام محمد بن عبدالوهاب لأمين سعيد: ١٧٩، واكتشاف جزيرة العرب لجاكلين بيرين: ٢٤، ودعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: ٣٠٣-٣٠٦.

مسلوباً أو قتيلاً"[١].

خامسا: أن حال نجد من الناحية الدينية، قد وقعت فيها الانحرافات العقدية، من خلال أمثلة ظاهرة وحكايات واقعة، مثل اتخاذ القبور مساجدَ كقبر زيد بن الخطاب[٢] وضرار بن الأزور رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ونحوها من قبور أخرى تنسب للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والتعلّق بالأشجار والتبرك بها كشجرة الطرفية والفحّال وشجرة الذيب وشجرة أبي دجانة، والتبرك بغار بنت الأمير بالدرعية[٣].

وكذا الافتتان بالطواغيت والغلو في أدعياء الولاية والصلاح [٤]، وكذا استفحال البدع العملية[٥].

وقد حكى الإمام محمد بن عبدالوهاب هذا الواقع المظلم في عدة مواضع من رسائله، فقد ذكر هؤلاء الطواغيت وغلّظ عليهم وحذّر منهم، وساق نماذج من البدع والمحدثات الواقعة في نجد، كما بيّن حال الأعراب آنذاك وأنهم "يكذبون بالبعث وينكرون الشرائع، ويزعمون أن شرعهم الباطل هو حق الله، ولو طلب أحد منهم خصمه أن يخاصمه عند شرع الله لعدوه من أنكر المنكرات، بل من حيث الجملة إنهم يكفرون بالقرآن من أوله وآخره ويكفرون بدين الرسول كله"[٦].

وأن هذا الأمر معلوم عند الخاص والعام، وأن المعاند لا يقدر أن يقول عن ما عليه

---

(١) عنوان المجد ٣٧٧/٢. وانظر: الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره: ٩، ومقدمة تاريخ ابن ربيعة: ١١.

(٢) يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب: "وكان شيخنا محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في ابتداء دعوته إذا سمعهم يدعون زيد بن الخطاب ؟ قال: الله خير من زيد، تمريناً لهم على نفي الشرك بلين الكلام نظراً إلى المصلحة وعدم النفرة". مجموعة التوحيد: ٣٣٩.

(٣) انظر: تاريخ ابن غنام ٧/١، والحياة الاجتماعية عند حضر نجد: ٣٢-٣٤.

(٤) انظر: تاريخ ابن غنام ٨/١، ٢١٧، ٢٢٥، ومؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب: ١٦/٤، ٥٤/٥، ٧٥، ٨٩، ١٨٨، ٢١٦، وفتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم: ١٣٤/١، ١٣٥.

(٥) انظر: الحياة الاجتماعية عند حضر نجد: ٤١-٦١.

(٦) مؤلفات الشيخ: ٣٩/٣، وانظر: تاريخ ابن غنام ١٦٣/١، ١٦٤، وعنوان المجد: ٣٤/١.

البوادي أو أكثرهم "كلهم مشاهيرهم والأتباع إنهم مقرون بالبعث، ولا يشكون فيه، ولا يقدر أن يقول إنهم يقولون إن كتاب الله عند الحضر، وأنهم عايفينه، ومتبعون ما أحدث آباؤهم مما يسمونه الحق، ويفضلونه على شريعة الله، فإن كان للوضوء ثمانية نواقض، ففيهم من نواقض الإسلام أكثر من المائة ناقض.."(١).

فكان واقع نجد " قبل هذا الشيخ المجدد لم يبق منه إلا الدعوى والاسم، فوقعنا في الشرك، فقد ذبحنا للشياطين، ودعونا الصالحين، ونأتي الكهان، ولا نفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ولا بين توحيد الربوبية الذي أقرّ به مشركوا العرب، وتوحيد الألوهية الذي دعت إليه الرسل، ولا نفرق بين السنة والبدعة... والشرك بالله يخطب به على منابرنا... وكذلك تعطيل الصفات.."(٢).

فبادية "نجد عموماً كانت تعيش في جاهلية جهلاء، فهي لا تعرف الشعائر الإسلامية من صلاة وزكاة وصيام وحج، وكانت تتحاكم فيما بينها بأعراف وتقاليد لا تمّت إلى الأحكام الإسلامية بصلة، ويتضح فيها الجور من جهة، والتساهل في إحقاق الحق من جهة أخرى"(٣).

بل حتى الشعراء قد صوروا ذلك الواقع، يقول راشد الخلاوي(٤):

فإن سلت قومي يا منيع فلا تسل ** أحجار وأشجار يعبدون خايبه

عصاة قساة من حديد قلوبهم ** فلو أنهم من صمّ الأحجار ذايبه

فلا عندهم إلا إبليس عقيدهم ** فالبعض ابن له والبعض شايبه

تخليت عن قومي محا الله دارهم ** واهي عليهم من نوامي نوايبه

---

(١) تاريخ ابن غنام ١٠٨/١. وانظر: مؤلفات الشيخ: ٤١/٣-٤٩.

(٢) انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون: ٣٦٧/٤-٣٦٨.

(٣) الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد: ٢٠٦.

(٤) أبو محمد راشد الخلاوي العجلاني من ولد عبد الله بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من هوازن عاش القرن الثامن الهجري ومطلع القرن التاسع الهجري اشتهر بصحبته لمنيع بن سالم أحد أمراء آل مانع من بني عصفور من بني عقيل. انظر راشد الخلاوي (حياته - شعره - حكمه - فلسفته - نوادره - حسابه الفلكي) لعبدالله بن خميس، وراشد الخلاوي شاعر القرن الثامن الهجري، ٧٢٠هـ-٨٢٠هـ، لسعد العتيبي.

تخليــت عــنهم يــومهم غــار ديــنهم ** ومن غار عنه الدين غارت مشاربه[١]

سادسا: أن حال العالم الإسلامي قبل دعوة الإمام محمد مثل حال نجد في ظهور الشرك والبدع؛ بل أشد، ففي بلاد مصر – مثلاً – يذكر علي باشا مبارك (ت: ١٣١١هـ): أنه كان في زمنه في القاهرة وحدها مائتان وأربعة وتسعون ضريحاً[٢]!!. وقبله ذكر المؤرخ الجبرتي أن أغنى الناس في مصر وأعظمهم ثراءً في وقته هم سدنة القبور والأضرحة[٣]!

أما في بلاد الشام فيذكر عبدالرحمن بك سامي: أن في دمشق وضواحيها فقط مائةً وأربعة وتسعين ضريحاً ومزاراً. وكان ذلك عام (١٨٩٠م) [٤].

وأما في العراق فقد ذكر محمد رؤوف: أنه في أول القرن الرابع عشر الهجري كان يوجد في بغداد مائة وخمسون جامعاً، قلَّ أن يخلو جامعٌ منها من ضريح! [٥].

وفي بلدة الموصل أكثر من ستة وسبعين ضريحاً مشهوراً!. [٦].

وكان أهل بغدد يتبركون بمدفع قديم من بقايا العثمانيين[٧]. و"كانوا يعتقدون في هذا المدفع اعتقاد الجاهلية في اللات والعُزَّى ومناة الثالثة الأخرى"![٨].

وأما في بلاد المغرب، فإن القبائل هناك قاموا بثورة عارمة ضد المحتلين الأسبان فقط عندما بنوا مركز حراسة قرب ضريح لأحد الأولياء! [٩].

وأما مكة المكرمة، فإن "النجديين بعد دخولهم لمكة هدمُوا فيها ما يزيد على ثمانين قبة

---

(١) ديوان الخلاوي: ٢٣٧. وانظر: مسائل الاعتقاد عند علماء نجد قبل الدعوة الإصلاحية: ٣-١٠.

(٢) الخطط التوفيقية: ١/٢٤٤١٠. وانظر: مساجد مصر وأوليها الصالحون. وفي الوقت الحاضر أضعاف ذلك العدد.

(٣) تاريخ الجبرتي: ٣/٤٢٦.

(٤) القول الحق في بيروت ودمشق: ٩٧.

(٥) مراحل الحياة في الفترة المظلمة وما بعدها: ١/٧٢.

(٦) ترجمة الأولياء في الموصل الحدباء: ١٤.

(٧) وقد صنف علامة العراق محمود الآلوسي كتاباً عنوانه: القول الأنفع في الردع عن زيارة المدفع.

(٨) أعلام العراق: ١٤٥.

(٩) الإعلام بمن حلَّ بمراكش وأغمات من الأعلام: ٣/١٩٥.

فاخرة مبنية على قبور وأضرحة منسوبة لآل بيت النبوة"[١].

وأما في اليمن فإن كثيراً من العوام بل وبعض الخواص أيضاً غلوا في الصالحين حتى صاروا: "يدعونهم تارةً مع الله وتارةً استقلالاً، ويصرخون بأسمائهم ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع ويخضعون لهم خضوعاً زائداً على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء"[٢]؛ وذلك لأن: "كثيراً مما يفعله المعتقدون في الأموات يكون شركاً قد يخفى على كثيرٍ من أهل العلم؛ وذلك لا لكونه خفياً في نفسه، بل لإطباق الجمهور على هذا الأمر، وكونه قد شاب عليه الكبير، وشبَّ عليه الصغير وهو يرى ذلك ويسمعه، ولا يرى ولا يسمع من ينكره، بل ربما سمع من يُرَغِّب فيه ويندب الناس إليه"[٣].

فهذا واقع العالم الإسلامي - بما فيه نجد-، وهو يبين لك إنتشار الشرك، ويؤكد على أن دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ كانت لمحاربة الشرك وأهله.

سابعا: قول عبدالله المالكي في أثر التحالف بين الإمام محمد بن سعود والإمام محمد بن عبدالوهاب، وما ترتب عليه -حسب زعمه- من أثريين سياسيين، وهما: تبني الحاكم لمذهب الفقيه (الحليف) والإنحياز له بشكل مطلق ودعمه ونشر دعوته ومناصرته في مقابل المذاهب والأفكار الدينية الأخرى،... والأثر الثاني: وهو أن يقوم الفقيه (الحليف) بدعم ذلك الحاكم السياسي...

فإن تبني الحاكم لمذهب الفقيه ودعمه ونشر دعوته ومناصرته إذا كان موافقا للكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح منقبة ومزية لهذا الحاكم، أما المذاهب الأخرى المخالفة للحق فإنه لا بد من ردها وإنكارها. والشأن كل الشأن في موافقة المذهب للحق.

---

(١) البحر الزاخر: ١/١٧٦.

(٢) الدر النضيد: ٢٨.

(٣) المرجع السابق: ٩٨. وانظر: هل يعقل أن الشرك كان موجوداً في بلاد نجدٍ قبل الشيخ محمد بن عبدالوهاب، http://www.dd-sunnah.net/forum/showthread.php?t=٨٨٦٣٣، ولمعرفة المزيد من الانحرافات في العالم الإسلامي، انظر: الانحرفات العقدية في القرن الثالث عشر والرابع عشر: ٢٧٤-٣١٣، ودمعة على التوحيد حقيقة القبورية وآثارها في واقع الأمة.

وكذا مناصرة الفقيه للحاكم والسمع والطاعة له وعدم الخروج عليه ومساندته من عقيدة السلف الصالح، كما سبق بيانه في المبحث الثاني، وفي الدعوى الثانية من هذا الفصل.

ثم قول الكاتب: " في مقابل المذاهب والأفكار الدينية الأخرى "، ليت الكاتب بين لنا مراده بالمذاهب والأفكار الدينية الأخرى؛ لأن الكلام المجمل يحتمل معاني كثيرة؛ فهل يقصد المذاهب الفقهية الأربعة المعروفة: الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنبلية، وهي موجودة –ولله الحمد– في هذا البلاد، وتدرس في الحرمين، ومن أعضاء هيئة كبار العلماء من ينتسب لها. أو يقصد مذاهب الخوارج والرافضة أو الأفكار الليبرالية وغير ذلك. فالإجمال والإطلاق هو سلاح أهل الأهواء ومنهجهم، والبيان والتفصيل والتصريح هو سبيل أهل السنة والحق. فأهل الأهواء يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن الضالين[١].

قال ابن حزم[٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والكلام إذا أُجمل اندرج فيه تحسين القبيح وتقبيح الحسن، ألا ترى لو أن قائلاً قال: إن فلاناً يطأ أخته! لفحش ذلك ولاستقبحه كل سامع له حتى إذا فُسّر فقال: هي أخته في الإسلام ظهر فُحش هذا الإجمال وقبحه"[٣].

فلم يقل ابن حزم: حتى إذا فسّر زال الحرج والملام؛ بل قال: حتى إذا فسّر ظهر فحش هذا الإجمال وقبحه.

ثامنا: استدلال عبدالله المالكي على أن دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ حركة سياسية بأن الإمام محمد بن عبد الوهاب كان يبشر الإمام محمد بن سعود بالعز والتمكين إذا عمل بالدعوة: "أبشرك بالعز والتمكين والنصر المبين"، "من تمسك وعمل بها ونصرها ملك بها البلاد والعباد"،

---

(١) انظر: الرد على الجهمية والزنادقة: ٥٧.

(٢) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي، من أوسع أهل قرطبة معرفة باللسان، كان شافعياً ثم انتقل إلى القول بالظاهر في الفروع ، له مؤلفات كثيرة، منها: الإحكام في أصول الأحكام، والمحلَّى في شرح المجلَّى بالحجج والآثار، والفصل في الملل والنحل. توفي سنة ٤٥٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: ١٨/١٨٤، وتذكرة الحفاظ: ٣/١١٤٦.

(٣) الأخلاق والسير: ٣٥.

"فأرجو أن تكون إماماً يجتمع عليه المسلمون وذريتك من بعدك".

فإن الله ﷻ قد وعد بالعز والتمكين لمن وحده سبحانه، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور:٥٥]؛ بل إن الرسول ﷺ قال لقريش: قولوا: لا إله إلا الله، تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم، وعاقد الأنصار[١] كما عاقد الإمام محمد بن عبدالوهاب الإمام محمد بن سعود.

وكان النبي ﷺ يبشر أصحابه بالعز والتمكين والنصر في أحاديث كثيرة، فعن تميم الداري رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام وأهله، وذلاً يذل الله به الكفر وأهله»، وكان تميم الداري رضي الله عنه، يقول: " قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافرا الذل والصغار والجزية"[٢]. فهل كانت دعوة النبي ﷺ حركة سياسية.

تاسعا: قول عبدالله المالكي بعد ذكره للشرط الثاني للإمام محمد بن سعود على الإمام محمد بن عبدالوهاب بأخذ الأتاوه على أهل الدرعية، وموافقة الإمام محمد بن عبدالوهاب له– – حسب زعمه– ، وأن هذا الشرط هو الذي جعل الإمام محمد بن عبدالوهاب يسكت عن " عن بعض أخطاء الأمير وتجاوزاته الأخلاقية... ".

فإن الكاتب ذكر قول الإمام محمد بن عبدالوهاب: " فأجابه الشيخ بقوله: "لعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك من الغنائم ما هو خير منها"[٣].

---

(١) انظر: البداية والنهاية: ٣٠٦/٤، ٣٤٤، ٣٩٤.

(٢) رواه أحمد برقم (١٦٩٥٧)، وقال محققو الكتاب: إسناده صحيح على شرط مسلم. وانظر: الأحاديث النبوية المبشرة بنصرة الإسلام والمسلمين.

(٣) تاريخ ابن غنام: ٨٩.

وهذا يدل على أن الإمام محمد بن عبدالوهاب لم يوافقه على طلبه؛ بل صرفه عنه، وذكر له أن الله سيعوضه ما هو خير منه.

أما الرواية الأخرى، والتي فيها أن الإمام قال للأمير: "نعم أنا أبقيك على ما أنت عليه من أكل الحرام، وأنت تتركني أسكن عندك وأقوّم الدين، فرضي ابن سعود بذلك"[١].

فهذا النقل -كما قال الكاتب- عن مؤلف مجهول، وهذا الكتاب "كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب" لم يعرف كاتبه حتى الآن[٢].

قال د. عبدالله العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " لم يذكر في المخطوطة اسم مؤلفها. ولم يذكر فيها ما إذا كانت بخط المؤلف أم بخط أحد النساخ. بل لم يذكر فيها القطر الذي ينتمي إليه ذلك المؤلف، ولا المصادر التي اعتمد عليها في كتابة ما كتب. ودراسة المخطوط لا تمكن الدارس من معرفة مؤلفها"[٣].

ثم إن هذا الأسلوب ليس من أسلوب الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولم ينقله عنه أحد غير هذا المؤلف المجهول، وعند وجود أي إشكل في كلام الإمام فينبغي الرجوع فيه إلى أقواله الأخرى، وكلام أئمة الدعوة، الذين هم أعلم الناس بكلام الإمام - رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فإذا لم ينقلوا عنه هذا الكلام تبين بطلانه.

---

(١) كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب: ٥٧.

(٢) انظر: المرجع السابق: ٩، ومَنْ مؤلف كتاب: كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب؟: ١٣٣، ضمن مجلة الدارة، العدد (٣) رجب ١٤٢٨هـ.

(٣) مقدمة تحقيق كتاب كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب: ١١.

المطلب الخامس: دعوى مبايعة أتباع دعوة الإمام لداعش

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب دعوى مبايعة أتباع دعوة الإمام بالخلافة لداعش.

يقول فؤاد إبراهيم: "وفي يوم الإعلان عن (الدولة الإسلامية) أو (الخلافة) وتتويج أبي بكر البغدادي، إبراهيم بن عواد البدري خليفة على المسلمين، بادر بعض أتباع المذهب الوهابي في المملكة السعودية إلى مبايعته، على الأقل في العالم الافتراضي، وهنا يكمن السؤال المفتاحي لفهم علاقة (داعش) بالمملكة السعودية، وباتباع المذهب الرسمي فيها"(١).

ويقول في بيان إخلاص "داعش" للعقيدة الوهابية: "إذ ليس هناك من يشكك في إخلاص (داعش) للعقيدة الوهابية الأصلية وتجسيده لتعاليمها، مع اندلاع الخلاف بين (القاعدة) و(داعش) وخروجه للعلن، تكشفت حقيقة الجذور الفكرية لكل منهما، وتبين أن (داعش) هو تنظيم سلفي وهابي خالص، على العكس من (القاعدة) التي تضم بين صفوفها عناصر من تلاوين مذهبية سنية متنوعة"(٢).

ثم ذكر أن (داعش) تقيم الخلافة تحقيقاً للوعد الوهابي، فقال: "إن مرحلة إدارة التوحش تكون تمهيدية لمرحلة التمكين، وأن إدخال السعودية ضمن استراتيجية التغيير يعني أن (داعش) تستعد لتحقيق الوعد الوهابي المؤجل بإقامة الخلافة أو (الإمامة الكبرى)، بحسب تعبير ابن تيمية". ثم ذكر بعض الكتابات والمقالات التي تأيد التفجيرات وترد على من انتقدها...

ثم قال: "إذن، نحن أمام فصل من التجاذب داخل النطاق العقدي الواحد، حيث تنجب الجماعة مولوداً يحمل سماتها الوراثية، ويعتنق المبادئ المؤسسة لخطابها وهويتها ورؤيتها. فأولئك الذين يحاجّون العلماء إنما يصدرون عن ذات فتاوى الجهاد التي جرى تعميمها وتطبيقها خلال عقدين من الزمان"(٣).

---

(١) داعش من النجدي إلى البغدادي: ٩.

(٢) المرجع السابق: ١٥.

(٣) داعش من النجدي إلى البغدادي: ٢٣٣-٢٣٤.

ثم ذكر عن بعض كتابات الصحافة السعودية التي تذكر أن داعش نبتة محلية، فقال: "سلسلة مقالات لأكاديميين وإعلاميين حول (داعش) نشرت في الصحف السعودية[١]، تكاد تجمع على حقيقة أنه وبناء على الأيديولوجية المسؤولة عن إنتاج هذا التنظيم يجعله نبتة محلية، وأن الاختلاف يدور حول مدى تغلغله في طبقات المجتمع، وفي أحسن الأحوال إلى أي مدى تجعل من اختراق (داعش) للمجتمع إمكانية راجحة.. ونتوقف هنا عند أبرز ما كتب في هذا الشان"[٢].

ثم نقل بعض النقول عنهم، ثم قال: " إن الدولة الجديدة التي ينتمي إليها المقاتلون السعودية تحمل (رسالة)، وهي نفس الرسالة التي جاء بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وعلى أساسها قام حكم آل سعود، مع فارق أن (داعش) تلتزم حرفياً بتلك الرسالة وتطبقها على الأرض، بينما يستغل الحكام السعوديون تلك الرسالة لمآربهم السياسية الخاصة، بحسب رؤية الأشد التصاقاً بالتعاليم الوهابية الأصلية، الأمر الذي يجعل خيار التصادم بين الدولتين راجحا"[٣].

حقيقة هذه الدعوى:

نسبة الخوارج - ومنهم داعش- إلى دعوة الإمام سبقت في الدعوى الأولى من هذا الفصل، لكن في هذه الدعوى الاتهام بمبايعة أتباع دعوة الإمام لجماعة لداعش، ولخطورة هذا الدعوى أفردت بمطلب.

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: سبق في الدعوى الأولى أن مجرد دعوى الانتساب لدعوة الإمام أو النسبة إليها لا يكفي في ثبوت الانتساب والانتماء، وإنما لا يتحقق ذلك إلا باتباع منهج الإمام في أقواله

---

(١) القابلية للاستدعاش، جريدة الحياة، ٢٠١٤/١/١٣: http://www.alhayat.com/Opinion/Letters/٤١٢٧٥٤، داعش" نبتة سلفية حقيقية نواجهها بـ "الشفافية": http://www.ajel.sa/local/١٣٣٣٣٧١. لن يقُضى على دواعش الداخل إلا بقطع رأس الأفعى: http://www.alriyadh.com/١٠٨٤٢٨٣، في تاريخ ١٤٣٨/٦/٢٦.

(٢) داعش من النجدي إلى البغدادي: ٢٤٩.

(٣) المرجع السابق: ٢٦٧.

وأعماله والرجوع إلى كتبه وفهمها حسب ما أراد مؤلفها والرجوع إلى العلماء الراسخين في ذلك.

ثانيا: أن فتاوى علماء أهل السنة من أتباع دعوة الإمام في داعش أكثر من أن تحصر، وقد صدرت البيانات في التحذير منهم، وبمجرد أن تكتب في محركات البحث أقوال أو فتاوى أهل العلم في "داعش" تخرج لك هذه الفتاوى من علماء أهل السنة، وخصوصًا علماء هذه البلد - المملكة العربية السعودية-، بل إن الفتاوى كانت تصدر للتحذير من مثل هذه الجماعات وأفكارها وتحديد العقوبات لها قبل ظهورها وبروزها.

ثالثا: أن قرارات أهل العلم وأقوالهم من أتباع دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب في التحذير من الفكر الضال والتشديد في العقوبة إلى درجة القتل كانت قبل إعلان (داعش)، فإن إعلان الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) كان في عام ٢٠١٣م[١]، وكانت القرارت تصدر قبل ذلك، ومن ذلك قرار هيئة كبار العلماء، رقم ١٤٨، وتاريخ ١٢/١/١٤٠٩هـ - وفيه-:

"فإن المجلس يقرر بالإجماع ما يلي:

أولاً: من ثبت شرعاً أنه قام بعمل من أعمال التخريب والإفساد في الأرض التي تزعزع الأمن بالاعتداء على الأنفس والممتلكات الخاصة أو العامة: كنسف المساكن أو المساجد أو المدارس أو المستشفيات والمصانع والجسور ومخازن الأسلحة والمياه والموارد العامة لبيت المال كأنابيب البترول، ونسف الطائرات أو خطفها ونحو ذلك؛ فإن عقوبته القتل لدلالة الآيات المتقدمة على أن مثل هذا الإفساد في الأرض يقتضي إهدار دم المفسد؛ ولأن خطر هؤلاء الذين يقومون بالأعمال التخريبية وضررهم أشد من خطر وضرر الذي يقطع الطريق فيعتدي على شخص فيقتله أو يأخذ ماله، وقد حكم الله عليه بما ذكر في آية الحرابة.

ثانياً: أنه لا بد قبل إيقاع العقوبة المشار إليها في الفقرة السابقة من استكمال الإجراءات

---

(١) تم الإعلان عن "الدولة الإسلامية في العراق والشام" " داعش" ٢٠١٣. انظر: حقيقة "الدولة الإسلامية في العراق والشام"، نبيل أحمد العاكوم، شبكة بوابة العرب: http://vb.arabsgate.com/showthread.php?t=٥٥٧٨٧٨.

الثبوتية اللازمة من جهة المحاكم الشرعية وهيئات التمييز ومجلس القضاء الأعلى براءة للذمة واحتياطاً للأنفس، وإشعاراً بما عليه هذه البلاد من التقيد بكافة الإجراءت اللازمة شرعاً لثبوت الجرائم وتقرير عقابها.

ثالثاً: يرى المجلس إعلان هذه العقوبة عن طريق وسائل الإعلام، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه"(١).

كما صدر لها بيان خاص في داعش وغيرها من التنظيمات الارهابية، وجاء فيه: " الإرهاب باعتباره: جريمة تستهدف الإفساد بزعزعة الأمن والجناية على الأنفس والممتلكات الخاصة والعامة...

والإرهاب بهذا التوصيف على النقيض من مقاصد هذا الدين العظيم الذي جاء رحمة للعالمين، ولما فيه صلاح البشر في العاجل والآجل؛ حيث جاءت شريعته بعمارة الأرض، وحفظ نظام التعايش فيها، واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها...

وأن التطرف والإرهاب -الذي يُفسد في الأرض ويُهلك الحرث والنسل- ليس من الإسلام في شيء...... هذا وإن الإرهاب يُعرّض مصالح الأمة لأعظم الأخطار، ومن زعم أنه من الجهاد فهو جاهل ضال؛ فليس من الجهاد في سبيل الله في شيء...

وبالنظر إلى أعمال الإرهاب، الصادرة عن بعض الجماعات مثل: "داعش" و"القاعدة"، وما يسمى بـ"عصائب أهل الحق" و"حزب الله" و"الحوثيين"، أو جرائم الإرهاب التي يمارسها الاحتلال الإسرائيلي، أو الأعمال المجرمة التي تمارسها بعض الفرق والجماعات المنتسبة إلى الإسلام؛ فكلها محرمة ومجرمة؛ لما فيها من هتك للحرمات المعلومة بالضرورة...

فعلى شباب الإسلام التبصر في الأمور، وعدم الانسياق وراء عبارات وشعارات فاسدة، تُرفع لتفريق الأمة وحملها على الفساد، وليست في حقيقتها من الدين؛ وإنما هي من تلبيس الجاهلين والمغرضين..."(٢).

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٢٤): ٣٨٤-٣٨٧.

(٢) نشر البيان في وكالة الأنباء السعودية:

http://www.spa.gov.sa/viewstory.php?lang=ar&newsid=١٢٧٣٦٨٦.

رابعا: أن من أعظم الناس مواجهة لفكر الخوارج والجماعات التكفيرية الداعشية وغيرها في عصرنا الحاضر هم علماؤنا أتباع دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ كالإمام عبدالعزيز بن باز والعلامة محمد العثيمين ﭬ، وكذلك المفتي عبدالعزيز آل الشيخ والشيخ العلامة صالح الفوزان، والشيخ العلامة عبدالرحمن البراك وغيرهم؛ فكيف يقال بعد ذلك أتباع دعوة الإمام يبايعون داعشا.

قال سماحة المفتي الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ في بيان نشرته الصحف بعنوان – تبصرة وذكرى – جاء فيه بيان حقيقة داعش والتحذير منها: " أن أفكار التطرف والتشدد والإرهاب الذي يفسد في الأرض ويهلك الحرث والنسل ليس من الإسلام في شيء, بل هو عدو الإسلام الأول, والمسلمون هم أول ضحاياه, كما هو مشاهد في جرائم ما يسمّى بـ "داعش" و"القاعدة" وما تفرع عنهما من جماعات, وفيهم يصدق قوله ﷺ: «سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان, سفهاء الأحلام, يقولون من خير قول البرية, يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم, يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية, فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة»(١).

وهذه الجماعات الخارجية لا تحسب على الإسلام, ولا على أهله المتمسكين بهديه, بل هي امتداد للخوارج الذين هم أول فرقة مرقت من الدين بسبب تكفيرها المسلمين بالذنوب, فاستحلت دماءهم وأموالهم"(٢).

وقال الشيخ عبدالمحسن العباد – المدرس في المسجد النبوي الشريف – حفظه الله في التحذير من داعش: "فقد ولد في العراق قبل عدة سنوات فرقة أطلقت على نفسها دولة الإسلام بالعراق والشام، واشتهر ذكرها بأربعة حروف هي الحروف الأوائل لهذه الدولة المزعومة فيقال لها: (داعش)"، ثم ذكر شيئا من حالهم، ثم قال: " ومن الخير لهذه الفرقة أن تراجع

---

(١) صحيح البخاري، كتاب كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، برقم: ٦٩٣٠.

(٢) المفتي العام في بيان: "داعش" و"القاعدة" لا يحسبان على الإسلام: http://sabq.org/٢Pigde، في ١٤٣٨/٦/٢٦.

نفسها وتؤوب إلى رشدها قبل أن تكون دولتها في مهب الرياح كشأن مثيلاتها التي سبقتها في مختلف العصور". ثم ذكر الواجب على الشباب بأن "يربأوا بأنفسهم عن الانسياق وراء نعيق كل ناعق، وأن يكون الرجوع في كل التصرفات إلى ما جاء عن الله عَزَّوَجَلَّ وعن رسوله ﷺ؛ لأن في ذلك العصمة والسلامة والنجاة في الدنيا والآخرة، وأن يرجعوا إلى العلماء الناصحين لهم وللمسلمين... [(١)].

وقال الشيخ صالح الفوزان – عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء- حفظه الله، في جواب عن سؤال: " ما قولكم – بارك الله فيكم – فيما يُسمى اليوم بجماعة داعش؟ وكيف أُميز بين الجهاد الشرعي من غيره؟

الجواب: جماعة داعش وغيرهم كل من ضل عن الصراط المستقيم فإنهم من حزب الشيطان؛ إما من الخوارج، وإما من غيرهم من دعاة الضلال، ولا يُقاومون إلا بالعلم النافع.

هؤلاء من الذين قال الله فيهم ﴿جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾[التوبة: ٧٣، التحريم: ٩] هؤلاء يكونون في صف المنافقين، لأنهم يدّعون الإسلام ويعملون ببعض الشعائر الدينية، ولكنهم دُعاة ضلال ولا يقاومون إلا بالعلم النافع والرد على شُبهاتهم وأباطيلهم ودرئها عن المسلمين. ولن تقوم لهم قائمة بإذن الله إذا قام المسلمون بجهادهم وبيان شُبهاتهم وأغاليطهم وردوا عليها، وهذا لا يكون بالهوية وبالحميّة؛ وإنما يكون بالكتاب والسنة والعلم النافع الذي يدمغ الله به الباطل"[(٢)].

وقال الشيخ الدكتور سعد الشثري – عضو هيئة كبار العلماء – حفظه الله- في لقاء مطول في برنامج – الجواب الكافي في قناة المجد- عن داعش:

"هذا التنظيم لا يمت للإسلام بصلة، وليس لتنظيم الدولة الإسلامية أي تنظير شرعي تأسيسي يبين منهجه العقدي وما صدر عنه؛ إنما يمثل تبريرات جدلية أو تلبيساً على الناس

(١) فتنة الخلافة الداعشية العراقية المزعومة: http://al-abbaad.com/index.php/articles/١٢٥-١٤٣٥-٠٩-٢٨. في ١٤٣٨/٦/٢٦هـ.

(٢) http://www.alfawzan.af.org.sa/node/١٦٣٢٥، في ١٤٣٨/٦/٢٦هـ.

باستخدام مصطلحات شرعية ليروِّج على السذج الممارسات الهمجية التي يقوم بها حزب البعث المسمّى بالدولة الإسلامية"[١].

خامسا: أن ما يحصل من بعض الأفراد من تصرفات خاطئة، لا تنسب لدعوة الإمام ولا لأتباعها، وإنما تمثل أشخاصها، مع عدم الإقرار بها.

سادسا: أن الكتابات الصحفية التي تقول: إن داعشا نبتة سلفية، كتابات باطلة، ليس عليها دليل، وقد سبق في الدعوى الأولى من هذا الفصل ذكر الفروق بين دعوة الإمام ودعوة الخوارج ومنهم داعش[٢].

وفي هذا خطورة المقالات والكتابات الصحفية التي تلقي الكلام بلا زمام أو خطام، وتتهم هذه الدولة ومنهجها وعلماءها بالدعشنة، وما يترتب على ذلك من استغلال الأعداء لهذا المقالات والكتابات.

---

(١) https://www.youtube.com/watch?v=LQGG٧٢٩GO٩Y، في ١٤٣٨/٦/٢٦.

(٢) انظر: المعاول التيميّة على القواعد الداعشيّة (١-٥): http://www.saaid.net/monawein/taimiah/٣٧.htm، في ١٤٣٨/١٠/٩هـ.

المطلب السادس: دعوى أن القول بإمامة المتغلب خروج على الإمام

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب دعوى أن القول بإمامة المتغلب خروج على الإمام، وأن هذا القول من الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ مخالف لقوله بعدم الخروج على الأئمة، وأنه غلو في السمع والطاعة لولى الأمر.

يقول أحمد الكاتب: " وإذا عدنا إلى مرجع الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وهو ابن تيمية فسوف نجد أنه يفتح نافذة واسعة على الثورة والخروج والتمرد على الإمام، أي إمام، ويعطي لصاحب كل قوة أن يتمرد على الإمام؛ لأنه أساساً يعقد الإمامة لمن غلب، بغض النظر عن توفر الشروط الشرعية فيه أو اختياره عبر أهل الحل والعقد، خاصة إذا التزم الخارجي المتغلب بالشريعة الإسلامية أو أخذ على الإمام القائم عدم التزامه بالشريعة، وذلك لأن ابن تيمية اعتبر الخروج الحقيقي هو الخروج على الشريعة لا على الإمام، وبذل قصارى جهده لتحويل الأنظار من شخص (الإمام) إلى (الشريعة). ولم يكن (الإمام) في نظره يشكل مركز الشرعية، وإنما الشريعة هي المعيار لشرعية أي نظام. وقد اختلف بذلك مع عامة الفقهاء السنة السابقين الذين كانوا يضفون على الحاكم نوعاً من القدسية والشرعية ويحرّمون الخروج عليه"[١].

ثم يقول: " وإذا كان ابن تيمية قد توصل إلى جواز الخروج ووجوب الثورة واستعمال القوة ضد من يمتنع عن الالتزام بالشريعة الإسلامية، رغم عدم قوله بكفر الأمة، فقد كان من الأولى بمحمد بن عبدالوهاب الذي قال بارتداد الأمة جمعاء، أن يرفض أي التزام بوحدتها القائمة أو الخضوع لإمام (الأمة الكافرة)، وأن يقوم بالخروج على الدولة الإسلامية، وأن لا يجد بالطبع في أحاديث وجوب الطاعة للإمام، أي معنى. ولذلك لم يعد لديه أي التزام بالطاعة للدولة العثمانية، أو المحافظة على الجماعة، إذ أن الجماعة في مفهومه هي (جماعة التوحيد) الوهابية فقط، وهم وحدهم: (أهل الحق والمسلمون)، الذين يجب أن يدخل الآخرون في طاعتهم وجماعتهم.

---

(١) الفكر السياسي الوهابي: ٤٩-٥١.

وفي الوقت الذي كان يفترض أن يتصدى الشيخ محمد بن عبدالوهاب بنفسه لقيادة الحركة أو الدولة الوهابية أو (الأمة الإسلامية الجديدة) التي كان يبنيها بيديه، كما يفعل أي ثائر يجمع أنصاره ويقود الثورة ليؤسس النظام الجديد الذي يريد، ويجعل نفسه قائداً لذلك النظام الثوري.. لكن الشيخ لسبب أو لآخر، فضَّل الاتفاق مع بعض الأمراء المحليين في نجد، ومبايعتهم بشرط النصرة"[١].

ويقول أيضًا في الدعوة إلى طاعة الإمام في ظل الدعوة الوهابية وتحريم الخروج عليه: "وإضافة إلى إيمان الشيخ محمد بن عبدالوهاب بشرعية الحاكم المتغلب والقاهر، ورفضه للشورى، كان يدعو الناس إلى طاعة الإمام في ظل الدولة الوهابية والتسليم له، ويحرم الثورة عليه، بغض النظر عن طبيعة سياسته وسلوكه، إذ يقول: (أرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين، برهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية الله)[٢]، و(إن من تمام الاجتماع: السمع والطاعة لمن تأمر علينا ولو كان عبداً حبشياً)[٣]. ويقول: (من ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به، وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة، وجبت طاعته وحرم الخروج عليه)[٤]، وذلك ضمن السياق العام للموقف السني المدعوم بروايات كثيرة حول الموضوع.

وعلى رغم وجود رأي لابن تيمية يجيز الخروج على أي حاكم، بشرط الالتزام بالشريعة الإسلامية، وعدم إدانته للخروج بصورة عامة إلا إذا كان خروجاً على الشريعة، فإن الفكر السياسي الوهابي، بعد إقامة الدولة السعودية، غض الطرف عن ذلك الرأي وعاد ليتمسك بالرأي السني القديم الذي يحرم الخروج على الحاكم بصورة مطلقة.

وكانت فكرة الطاعة المطلقة للإمام قد ارتبطت من قبل، في الفكر السياسي السلفي (السني)، بنظرية شرعية إمامة المتغلب بغض النظر عن تحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة أو الالتزام بالقانون، وتهميش دور الأمة في عملية الإصلاح الاجتماعي أو المعارضة السياسية،

---

(١) المرجع السابق: ٥١.

(٢) عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، الدرر السنية في الأجوبة النجدية: ١/٣٠، ٣٣.

(٣) عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، الدرر السنية في الأجوبة النجدية: ١/١٧٣.

(٤) عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، الدرر السنية في الأجوبة النجدية: ١/٣٠، ٣٣.

وترك المجال السياسي للأمراء والحكام يتصارعون فيه فيما بينهم حتى يغلب أحدهم على الآخر. وقد أضاف الفكر الوهابي إلى ذلك وجوب التسليم والخضوع لأئمة الدعوة الوهابية من قبل أبناء الحركة، فضلاً عن عامة الناس"(١).

حقيقة هذه الدعوى:

هذه الدعوى لها تعلق بدعوى الخروج على الأئمة، والقول بأن إمامة المتغلب يعتبر خروجا على الإمام، وعليه فإن دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب تعتبر خروجا على الأئمة، كما أن فيها غلوا في السمع والطاعة لولاة الأمر.

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: سبق الكلام على مسألة الخروج على الأئمة والغلو في السمع والطاعة لولاة الأمور في المبحث الثاني في عقيدة أهل السنة والجماعة في الإمامة، وفي الدعوى الثالثة من هذا الفصل.

ثانيا: أن عقيدة أهل السنة والجماعة في إمامة المتغلب بالاستيلاء ولو كان فاسقًا، فإنه يعتبر إماماً؛ لينتظم شمل المسلمين(٢). ولا يجوز الخروج عليه؛ لما في الخروج على من ثبتت إمامته بالقهر من شق عصا المسلمين وإراقة دمائهم وإذهاب أموالهم(٣).

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لا بد للناس من إِمارة؛ برة كانت أو فاجرة، قيل له: هذه البرة عرفناها فما بال الفاجرة؟! قال: يُؤَمَّن بها السبل، وتقام بها الحدود، ويجاهَد بها العدو، ويقسَّم بها الفيء»(٤).

وحكى الإجماع على ذلك أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: "وأجمعوا على السمع

---

(١) الفكر السياسي الوهابي: ٧٢-٧٥، وانظر: ٦١-٦٢، ٦٧، ١٠٠، ١١٦، ١٢٩، ١٥٢-١٥٥. والطاعة السياسية في الفكر الإسلامي: ٤٣٢-٤٣٧.

(٢) انظر: مغني المحتاج: ١٧١/٤، وحاشيتا قليوبي وعميرة: ٢٦٦/٤، وتحفة المحتاج: ١٢٧/٤، ومآثر الإنافة: ٥٨/١، وحاشية البجيرمي: ١٠٣/٥، وحاشية الدسوقي: ٢٧٦/٦، وشرح المقاصد: ٢٣٢/٥.

(٣) مطالب أولي النهى: ٢٦٣/٦، وشرح منتهى الإرادات: ٢٧٤/٣.

(٤) منهاج السنة: ١/ ٣٧٤. وانظر: تفسير البغوي: ٢٤٠/٢.

والطاعة لأئمة المسلمين، وعلى أن كل من ولي شيئًا من أمورهم عن رضىً أو غلبة وامتدت طاعته من بر وفاجر لا يلزم الخروج عليهم بالسيف جار أو عدل، وعلى أن يغزوا معهم العدو، ويحج معهم البيت، وتدفع إليهم الصدقات إذا طلبوها ويصلى خلفهم الجمع والأعياد"(١).

وكذلك نقل الإجماع الحافظ ابن حجر الشافعي(٢) رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: "وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء"(٣).

قال الامام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "كل من غلب على الخلافة بالسيف حتى يسمى خليفة ويجمع الناس عليه فهو خليفة"(٤).

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً عليه براً كان أو فاجراً، فهو أمير المؤمنين"(٥).

وقال ابن عابدين(٦) الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الإمام يصير إماما بالمبايعة أو بالاستخلاف ممن قبله. قوله: (يصير إماما بالمبايعة) وكذا باستخلاف إمام قبله، وكذا بالتغلب والقهر كما في شرح المقاصد"(٧).

---

(١) رسالة إلى أهل الثغر: ٢٩٦. وانظر: الطبقات الكبرى: ٤/١١٠، ١٤٩.

(٢) أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني الشافعي، الإمام الحافظ المحدث، شهد له أعيان عصره بالحفظ، من أعظم مؤلفاته: فتح الباري شرح صحيح البخاري، وتهذيب التهذيب، وتقريب التهذيب في أسماء الرجال، والتلخيص الحبير، ت سنة ٨٥٢هـ. انظر: الضوء اللامع: ٢/٣٦، وشذرات الذهب: ٧/٢٧٠، والبدر الطالع: ١/٨٧.

(٣) فتح الباري: ١٣/٧.

(٤) مناقب الشافعي: ١/٤٨١.

(٥) الأحكام السلطانية لأبي يعلى: ٢٠.

(٦) محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي، فقيه الديار الشامية، وإمام الحنفية في عصره. له من المؤلفات رد المحتار على الدر المختار، ورفع الأنظار عما أورده الحلبي على الدر المختار، العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية، وغيرها، توفي سنة ١٢٥٢ هـ. انظر: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: ٦/٣٦٧، وحلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: ٢/٢٥، وإيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون: ٣/٧.

(٧) حاشية ابن عابدين على الدر المختار: ٤/٤٥٠.

وقال ابن أبي زيد القيرواني[١] المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ": فمما أجمعت عليه الأمة من أمور الديانة، ومن السنن التي خلافها بدعة وضلالة ... ثم قال: والسمع والطاعة لأئمة المسلمين، وكل من ولي من أمر المسلمين عن رضا أو عن غلبة، فاشتدت وطأته من بر أو فاجر، فلا يخرج عليه جار أم عدل ... ثم قال: وكل ما قدمنا ذكره فهو قول أهل السنة وأئمة الناس في الفقه والحديث على ما بيناه، وكله قول الإمام مالك، فمنه منصوص من قوله ومن معلوم من مذهبه"[٢].

وقال ابن حجر الهيتمي[٣] الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " المتغلب يصير كالحاكم لدفع المفاسد المتولدة بالفتن لمخالفته"[٤].

وقال موفق الدين ابن قدامة الحنبلي[٥] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به، أو غلبهم بالسيف حتى صار الخليفة وسمي أمير المؤمنين، وجبت طاعته، وحرمت مخالفته والخروج عليه وشق عصا المسلمين"[٦].

وقال أيضا: " ولو خرج رجل على الإمام فقهره وغلب الناس بسيفه حى أقروا له وأذعنوا بطاعته وتابعوه صار إمامًا يحرم قتاله، والخروج عليه،... وذلك لما فِي الخروج عليه من شق عصا المسلمين وإراقة دمائهم وذهاب أموالهم... فمن خرج على من ثبتت إمامته بأحد هذه الوجوه

---

(١) عبد الله بن أبي زيد بن عبد الرحمن القيرواني، أبو محمد، كان من أهل العلم والورع، وكان فصيح اللسان. له من المؤلفات: كتاب النوادر والزيادات، ومختصر المدونة، وكتاب الرسالة، توفي سنة ٣٨٦هـ) . انظر: سير أعلام النبلاء: ١٠/١٧، وشذرات الذهب: ١٣١/٣، وشجرة النور الزكية: ٩٦.

(٢) الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ: ١٠٧-١١٧.

(٣) أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الشافعي، أبو العباس، برع في علوم كثيرة، له مؤلفات كثيرة منها: الزواجر، الصواعق المحرقة وغيرها، ت سنة ٩٧٣هـ. انظر: شذرات الذهب لابن العماد ٣٧٠/٨، البدر الطالع للشوكاني ١٠٩/١.

(٤) تحفة المحتاج في شرح المنهاج: ٣٢١/٥.

(٥) عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، كان عالم أهل الشام في زمانه، من مؤلفاته: لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، وذم التأويل، والمغني. توفي بدمشق سنة ٦٢٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: ١٦٥/٢٢، وذيل طبقات الحنابلة: ١٣٣/٢، وشذرات الذهب: ٨٨/٥.

(٦) لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد: ٤٠.

باغيًا وجب قتاله"[١].

وعقيدة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأتباعه في الإمامة هي عقيدة أهل السنة والجماعة، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الأئمة مجمعون من كل مذهب، على أن من تغلب على بلد أو بلدان، له حكم الإمام في جميع الأشياء، ولولا هذا، ما استقامت الدنيا؛ لأن الناس من زمن طويل قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا ما اجتمعوا على إمام واحد، ولا يعرف أن أحداً من العلماء ذكر أن شيئاً من الأحكام لا يصح إلا بالإمام الأعظم"[٢].

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ[٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأهل العلم.. متفقون على طاعة من تغلب عليهم في المعروف، يرون نفوذ أحكامه، وصحة إمامته، لا يختلف في ذلك اثنان، ويرون المنع من الخروج عليهم بالسيف وتفريق الأمة، وإن كان الأئمة فسقة ما لم يروا كفراً بواحاً ونصوصهم في ذلك موجودة عن الأئمة الأربعة وغيرهم وأمثالهم ونظرائهم"[٤].

ثالثا: أن مقصود الإمامة الشرعية لا يتغير مهما تغيرت طرق تنصيب الإمام، فالإمامة تثبت بالاختيار والاستخلاف والتغلب، لكن مقصود الإمامة الذي هو الغاية من وجود الإمام نص عليه العلماء نصوصًا واضحة تثبت أن المقصود ليس شخص الإمام، وإنما ما يُناط به من أحكام ولذلك ذكروا أن "الإمامة خلافة عن النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به"[٥].

قال الجويني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الإمامة بأنها: " رياسة تامة، وزِعامة عامة، تتعلق بالخاصة والعامة في مهمات الدين والدنيا، مهمتُها حفظ الحَوزة، ورعاية الرعية، وإقامة الدعوة بالحجة والسيف،

---

(١) المغني: ٥/٩.

(٢) الدرر السنية: ٩٣٢/٧.

(٣) من أحفاد الإمام محمد بن عبد الوهاب آل مشرف التميمي، ألف عدداً من الرسائل والمؤلفات، منها: تأسيس التقديس في الرد على داود بن جرجيس، ومصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام، والبراهين الإسلامية في الرد على الشبهات الفارسية، وغيرها. توفي سنة ١٢٩٣هـ.

انظر: الدرر السنية: ٦٦/١٢، وتراجم لمتأخري الحنابلة: ١٥، ومشاهير علماء نجد: ٧٠.

(٤) مجموعة الرسائل والمسائل: ١٦٨/٣.

(٥) الأحكام السلطانية: ٥، وانظر: مقدمة هذا الفصل في تعريف الإمامة.

وكفُّ الحنف والحيف، والانتصاف للمظلومين من الظالمين، واستيفاء الحقوق من الممتنعين، وإيفاؤها على المستحِقين"(١).

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لابد للأمة من إمام يقيم الدين وينصر السنة وينتصف للمظلومين ويستوفي الحقوق ويضعها مواضعها"(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فالمقصود الواجب بالولايات إصلاح دين الخلق الذي متى فاتهم خسروا خسرانًا مبينًا ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا، وإصلاح ما لا يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم" (٣).

فالراعي "ليس مطلوبًا لذاته، وإنما أقيم لحفظ ما استرعاه المالك؛ فينبغي أن لا يتصرف إلا بما أذن الشارع فيه"(٤).

وقال الشوكاني(٥) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والحاصل أن الغرض المقصود للشارع من تنصيب الأئمة هو أمران: أولهما: وأهمهما إقامة منار الدين وتثبيت العباد على صراطه المستقيم ودفعهم عن مخالفته والوقوع في مناهيه طوعًا وكرهًا، وثانيهما: تدبير المسلمين في جلب مصالحهم ودفع المفاسد عنهم... "(٦).

رابعا: أن التغلب مقيد بهذا المقصود - وهو رعاية الأمة وحفظ الدين- وإلا لم يكن لوجود الإمام معنى إلا وجود صورته دون الغاية التي أمر الشرع بالقيام بها، قال الماوردي(٧) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأما إمارة الاستيلاء التي تُعقد عن اضطرار؛ فهي أن يستولي الأمير بالقوة

---

(١) غياث الأمم في التّياث الظلم: ٢٢.

(٢) روضة الطالبين: ١٠/٤٣.

(٣) مجموع الفتاوى: ٢٨/٢٦٢.

(٤) فتح الباري: ١٣/١٣.

(٥) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني الصنعاني، الإمام العلامة المجتهد، محدث فقيه مفسر مؤرخ، ولي القضاء مدة، وله مؤلفات من أشهرها: نيل الأوطار، وفتح القدير، البدر الطالع، ت سنة ١٢٥٠هـ. انظر: البدر الطالع: ٢/٢١٤، التاج المكلل: ٤٤٢.

(٦) السيل الجرار:٣/ ٣٣٢.

(٧) علي بن محمد بن حبيب البصري الشافعي، أبو الحسن، صاحب التصانيف، ومنها: كتاب الحاوي الكبير، في فقه

على بلاد يُقلده الخليفة إمارتَها، ويفوض إليه تدبيرها وسياستها، فيكون الأمير باستيلائه مستبدًّا بالسياسة والتدبير، والخليفة بإذنه منفذًا لأحكام الدين؛ ليخرج من الفساد إلى الصحة ومن الحظر إلى الإباحة، وهذا وإن خرج عن عرف التقليد المطلق في شروطه وأحكامه؛ ففيه من حفظ القوانين الشرعية وحراسة الأحكام الدينية ما لا يجوز أن يُترك مختلاً مخذولاً، ولا فاسدًا معلولاً... ". ثم ذكر ما يجب على المستولي، ثم قال: "فهذه سبع قواعد في قوانين الشرع يحفظ بها حقوق الإمامة وأحكام الأمة، فلأجلها وجب تقليد المستولي"[١].

وقال الجويني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كلامه عن المتغلب: "فلا وجه لتعطيل الزمان عن وال يذب عن بيضة الإسلام، ويحمي الحوزة".

وقال: "فإن تأخير ما يتعلق بالأمر الكلي في حفظ خطة الإسلام تحريمه واضح بيّن".

وقال: "يجب على الناس اتباعُه لتعينه لهذا المنصب، ومسيس الحاجة إلى وَزَرٍ[٢] قوّام يرمق في أمر الدين والدنيا".

وقال: "فيجب العقد له؛ لما فيه من تقرير غرض الإمامة وإقامة حقوقها، وتسكين الفتنة الثائرة وتطفية النائرة[٣]" [٤].

خامسا: أن قول الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بوجوب طاعة المتغلب ليس فيه ما يدل على أن الإمام يوجب طاعته في كل ما يأمر به، بل نصوص الإمام واضحة في عدم الطاعة في معصية الله، -كما سبق بيانه في الدعوى الثانية والثالثة من هذا الفصل- وذلك أن الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ رأى أن في استقامة أمور المسلمين وانتظام حالهم من المصالح الكبرى ما تُحتمل معه هذه المفسدة.

وهو يدل على فقه الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ من امتثال أمر الرسول ﷺ ومراعاة مصالح الناس

الشافعية، ونصيحة الملوك، وقوانين الوزارة وسياسة الملك، وكتاب النكت والعيون في التفسير، ت سنة ٤٥٠هـ. انظر: وفيات الأعيان: ٤٤٤/٢، وطبقات الشافعية: ٢٦٧/٥.

(١) الأحكام السلطانية: ٦٧.

(٢) الوزر: بفتحتين الملجأ وأصله الجبل. الصحاح: ٨٤٥/٢.

(٣) النائرة: أي العداوة والشحناء: انظر: الصحاح: ٨٣٩/٢.

(٤) غياث الأمم في التّياث الظلم: ٣١٦ وما بعدها.

وانتظام أحوالهم، وإعمال قاعدة المصالح والمفاسد، وتطبيق للسياسة الشرعية، وموافقة لكلام ومنهج السلف الصالح(١).

سادسا: قول أحمد الكاتب بأن مرجعية الإمام محمد بن عبدالوهاب هو شيخ الإسلام ابن تيمية، وأن ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " يفتح نافذة واسعة على الثورة والخروج والتمرد على الإمام، أي إمام، ويعطي لصاحب كل قوة أن يتمرد على الإمام؛ لأنه أساساً يعقد الإمامة لمن غلب..."

ثم قوله بأن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " قد توصل إلى جواز الخروج ووجوب الثورة واستعمال القوة ضد من يمتنع عن الالتزام بالشريعة الإسلامية...".

فمتى كان هذا الكاتب الشيعي(٢) يقبل اجتهاد أئمة الإسلام، وهو يرفض أقوال الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ!

ثم ما ذكره عن شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام باطل، ولم يذكر نقلا واحدا يؤيد ذلك(٣)، وشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لا يخالف عقيدة السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ في السمع والطاعة لولاة الأمر وعدم الخروج عليهم، حيث قال: "فالواجب اتخاذ الإمارة ديناً وقربة يتقرب بها إلى الله، فإن التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات، وإنما يفسد فيها حال أكثر الناس لابتغاء الرياسة أو المال" (٤).

وقال أيضا: " إن الحاكم إذا ولاه ذو الشوكة لا يمكن عزله إلا بفتنة، ومتى كان السعي في عزله مفسدة أعظم من مفسدة بقائه لم يجز الإتيان بأعظم الفسادين لدفع أدناهما، وكذلك الإمام الأعظم، ولهذا كان المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة

---

(١) انظر: مراجعة نقدية لكتاب الفكر السياسي الوهابي، مجلة التأصيل، العدد (٢) شوال ١٤٣١: ٣٦٥، وتطبيقات السياسة الشرعية عند الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب: ٥٩-٨٣.

(٢) باحث وكاتب عراقي شيعي، واسمه الحقيقي عبد الرسول عبد الزهرة عبد الأمير بن الحاج حبيب الأسدي. انظر: مجلة التأصيل العدد (٢): ٣٤١، https://ar.wikipedia.org/wiki/أحمد_الكاتب.

(٣) انظر: مراجعة نقدية لكتاب الفكر السياسي الوهابي، مجلة التأصيل، العدد (٢) شوال ١٤٣١: ٣٦٤.

(٤) مجموع الفتاوى: ٢٨/٢٩٠-٢٩١.

وقتالهم بالسيف؛ وإن كان فيهم ظلم كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي ﷺ؛ لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة، فلا يدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما، ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته"(١).

وقال أيضا: " الصبر على جور الأئمة أصل من أصول أهل السنة والجماعة"(٢).

وقال أيضا: "وأما أهل العلم والدين والفضل فلا يرخصون لأحد فيما نهى الله عنه من معصية ولاة الأمور وغشهم والخروج عليهم بوجه من الوجوه، كما قد عُرف من عادات أهل السنة والدين قديماً وحديثاً، ومن سيرة غيرهم" (٣). وغيرها من النقول الكثيرة.

سابعا: أن الكاتب قد نقل كلام الإمام محمد بن عبدالوهاب في السمع والطاعة لولاة الأمر وتحريم الخروج عليهم، ثم أعقبه بقوله: " وذلك ضمن السياق العام للموقف السني المدعوم بروايات كثيرة حول الموضوع".

وهذا يدل على أن الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يخالف الموقف السني المدعوم بروايات كثيرة حول الموضوع.

ويدل كذلك على معرفة الكاتب بالموقف السني المدعوم بروايات كثيرة حول الموضوع؛ فلماذا لا يلتزم به، ويدعو إليه؟!

---

(١) منهاج السنة النبوية: ٣٩١/٣.

(٢) مجموع الفتاوى: ١٧٩/٢٨.

(٣) المرجع السابق: ١٢/٣٥.

الفصل الثالث

الدعاوى المتعلقة بالتكفير والقتال

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المراد بالتكفير والقتال.

المبحث الثاني: عقيدة أهل السنة والجماعة في التكفير والقتال.

المبحث الثالث: الدعاوى المتعلقة بالتكفير والقتال والجواب عنها.

المبحث الأول: المراد بالتكفير والقتال

تعريف الكفر:

الكفر لغة: مصدر كَفَر يكْفُر كُفُوراً وكُفْراناً[١]، يقول ابن فارسرَحِمَهُ ٱللَّهُ: " الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الستر والتغطية... والكفر: ضد الإيمان، سمي لأنه تغطية الحق"[٢].

والكَفر: بالفتح: الستر والتغطية، يقال: كَفَر الزارع البذر في الأرض: إذا غطاه بالتراب. وبالضم: ضد الإيمان، وكفر نعمة الله وبها كُفُوراً وكفراناً: جحدها، وسترها، وكافره حقَه: جحده، والمكفَّرُ كَمُعَظَّم: المجحود النعمة مع إحسانه، وكافرٌ جاحدٌ لأنْعُم الله تعالى[٣].

قال الراغب الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الكفر في اللغة ستر الشي"[٤].

وأما في الشرع: فالكفر ضد الإيمان[٥]، وعن الليث رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه "نقض الايمان"[٦]، وقيل: " جحد ما لا يتم الإسلام بدونه" [٧].

وقال الراغب الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والكافر على الإطلاق متعارف فيمن يجحد الوحدانية أو النبوة أو الشريعة أو ثلاثتها"[٨].

قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعريف الكفر: "جحد الربوبية أو جحد نبوة نبي من الأنبياء

---

(١) انظر: تهذيب اللغة: ٣١٦٠/٤، والصحاح: ٨٠٧/٢، ولسان العرب: ١٤٤/٥، والقاموس المحيط: ٦٠٥.

(٢) مقاييس اللغة: ٩٣٠-٩٣١.

(٣) انظر: القاموس المحيط: ٦٠٥ والمعجم الوسيط: ٧٩١.

(٤) المفردات في غريب القرآن: ٧١٤.

(٥) انظر: تعظيم قدر الصلاة: ٥٤٩/٢، والتبصير في معالم الدين: ١٦٢، ومجموع الفتاوى: ٦٣٩/٧، ٣٣٥/١٢، ومختصر الصواعق المرسلة: ٤٢١/٢، الكليات: ٧٦٣.

(٦) انظر: تهذيب اللغه: ٣١٦/٤، مقاييس اللغة: ١٩١/٥.

(٧) العين والأثر في عقائد أهل الأثر: ٤٠، وانظر: إيثار الحق على الخلق: ٣٧٦-٣٧٧، ونجاة الخلف في اعتقاد السلف: ١٥.

(٨) المفردات في غريب القرآن: ٧١٤.

صحت نبوته في القرآن أو جحد شيئا مما أتى به رسول الله ﷺ مما صح عند جاحده بنقل الكافة، أو عمل شيء قام البرهان بأن العمل به كفر"(١).

وقال القرافي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "أصل الكفر إنما هو : إنتهاك خاص لحرمة الربوبية، إما بالجهل بوجود الصانع أو صفاته العلا، ويكون الكفر بالفعل كرمي المصحف في القاذورات، أو السجود للصنم، أو التردد للكنائس في أعيادهم بزي النصارى، ومباشرة أحوالهم، أو جحد ما علم من الدين بالضروره"(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والكفر عدم الإيمان باتفاق المسلمين سواء اعتقد نقيضه وتكلم به أو لم يعتقد شيئا ولم يتكلم، ولا فرق فى ذلك"(٣).

وقال أيضاً: " الكفر عدم الايمان بالله ورسله، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب؛ بل شك وريب أو إعراض عن هذا كله، حسدا أو كبرا أو اتباعا لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة"(٤).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الكفر جحد ما علم أن الرسول جاء به سواء كان من المسائل التي تسمونها علمية أو عملية، فمن جحد ما جاء به الرسول صلى الله علية وسلم بعد معرفتة بأنه جاء به كافر في دق الدين وجله "(٥).

وقال السبكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "جحد الربوبية أو الوحدانية أو الرسالة أو قول أو فعل حكم الشارع بأنه كفر وإن لم يك جحداً"(٦).

وقال الشيخ حافظ الحكمي(٧) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فالكفر أصله الجحود والعناد المستلزم

---

(١) الفصل في الملل والنحل: ٢٥٣/٣٣.

(٢) الفروق: ١٢٧٧/٤.

(٣) مجموع الفتاوى: ٨٦/٢٠، ٣٤٨/٨.

(٤) مجموع الفتاوى: ٣٣٥/١٢. وانظر: درء التعارض: ٢٤٢/١، وكتاب التوحيد للفوزان: ١٩.

(٥) مختصر الصواعق المرسلة: ٤٢١/٢.

(٦) فتاوى السبكي: ٥٨٦/٢.

(٧) العلامة حافظ بن أحمد بن علي الحكمي. إمام وعالم سلفي، محقق معاصر، له مؤلفاته في علوم متعددة، نثراً وشعراً،

للاستكبار والعصيان"[١].

فالكفر: هو الستر وجحود الحق وإنكاره، والكافر: ضد المسلم، والمرتد: هو الذي كفر بعد إسلامه؛ بقول، أو فعل، أو اعتقاد، أو شك، وحد الكفر الجامع لجميع أجناسه وأنواعه وأفراده: هو جحد ما جاء به الرسول ﷺ، أو جحد بعضه، كما أن الإيمان: اعتقاد ما جاء به الرسول ﷺ والتزامه، والعمل به جملة وتفصيلاً[٢].

وهذه التعريفات، وإن اختلفت في بعض ألفاظها، فهي متقاربة في المعنى، ومدارها على معنيين: إما تعريف الكفر باعتبار مضادته للإيمان، وإما تعريف الكفر بذكر بعض أفراده.

وعلى هذا فالكفر يكون بقول الكفر أو عمله أوعتقاده، أو الشك في دين الله، ويكون بالجحود والإعراض والإباء والاستكبار.

والعلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي للكفر، أن المعنى الشرعي للكفر مستقًى من المعنى اللغوي للفظة الكفر، قال الليث رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إنما سمى الكافر كافراً لأن الكفر غطى قلبه"[٣].

قال الازهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه على كلام الليث " قيل له كافر لأن الكفر غطى قلبه، يحتاج إلى بيان يدل عليه، وإيضاحه أن الكفر في اللغة معناه التغطية، والكافر ذو كفر أي ذو تغطية لقلبه بكفره كما يقال للابس السلاح: كافر وهو الذي غطاه السلاح...

وفيه قول آخر أحسن مما ذهب إليه الليث، وذلك أن الكافر لما دعاه الله جل وعلا إلى توحيده فقد دعاه إلى نعمة ينعم بها عليه إذا قبلها، فلما رد ما دعاه إليه من توحيده كان كافراً نعمة الله أي مغطياً لها بإبائه حاجبا لها عنه"[٤].

منها: معارج القبول، واعلام السنة المنشورة وغيرها، كان آية في الذكاء وسرعة الحفظ والفهم. توفي سنة ١٣٧٧هـ.
انظر: مقدمة معارج القبول لابنه أحمد: ١/١١، والشيخ حافظ بن أحمد حكمي لأحمد علوش، والنهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية: ١٦٨-١٨٧.

(١) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة: ٩٦.

(٢) الإرشاد إلى معرفة الأحكام: ٢٠٣-٢٠٤. وانظر: تعظيم قدر الصلاة: ٢/٩٣٠، ومجموع الفتاوى: ٧/٢٢٠، ٥٥٧-٥٥٨، والصارم المسلول: ٣/٩٥٥، والدرر السنية: ١٠/١٤٩.

(٣) تهذيب اللغة: ١٠/١١٢.

(٤) تهذيب اللغة: ١٠/١١٢.

وقال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والكفر ضد الإيمان، سمي لأنه تغطية الحق"[١].

والكفر أصغر وأكبر، فالأكبر الكفر بأصل الإيمان، والأصغر مادون ذلك مما لا يخرج به عن أصل الإيمان، "وقيل: الكفر على أربعة أنحاء: كفر إنكار: بألا يعرف الله أصلا ولا يعترف به، وكفر جحود، ككفر إبليس يعرف الله بقلبه ولا يعترف بلسانه وكفر عناد، وهو أن يعترف بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به حسدا وبغيا ككفر أبي جهل وأضرابه، وكفر نفاق، وهو أن يقر بلسانه ولا يعتقد بقلبه.

وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن الأوس والخزرج ذكروا ما كان منهم في الجاهلية فثار بعضهم إلى بعض بالسيوف فأنزل الله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾[آل عمران: ١٠١]. ولم يكن ذلك على الكفر بالله ولكن على تغطيتهم ما كانوا عليه من الألفة والمودة[٢].

ومنه حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إذا قال الرجل للرجل: أنت لي عدو، فقد كفر أحدهما بالإسلام»[٣]، أراد كفر نعمته؛ لأن الله أَلَّف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخوانًا، فمن لم يعرفها فقد كفره.

ومنه قوله ﷺ: «فرأيت أكثر أهلها النساء لكفرهن»، قيل: أيكفرن بالله؟ قال: «لا، ولكن يكفرن الإحسان، ويكفرن العشير»[٤]، أي: يجحدن إحسان أزواجهن.

وأحاديث من هذا النوع كثيرة، وأصل الكفر تغطية الشيء تغطية تستهلكه"[٥].

---

(١) مقاييس اللغة: ١٩١/٥.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٥٦/٤.

(٣) السنة للخلال: ١٦/٥.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب كفران العشير، وكفر دون كفر، برقم: ٢٩، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب نقصان الإيمان ينقص بالطاعات، برقم: ١٣٢.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٨٦/٤ باختصار.

والكفر ينقسم باعتبارات مختلفة إلى عدة أقسام[١]:

فبالنظر إلى حكمه ينقسم: إلى أكبر وأصغر.

وبالنظر إلى حدوثه وطروه ينقسم: إلى كفر أصلي وكفر بعد إسلام وهو الردة.

وبالنظر إلى محله ينقسم إلى: كفر قولي، وكفر عملي، وكفر اعتقادي.

وبالنظر إلى سببه ينقسم إلى: كفر تكذيب، وكفر إباء واستكبار، وكفر إعراض، وكفر شك، وكفر نفاق.

وبالنظر إلى مُتعلَّقه أي من يقع عليه التكفير ينقسم إلى: تكفيرٍ مطلق، وتكفيرٍ لمعين.

وبين هذه الأقسام بهذه الاعتبارات تداخل، فمن الكفر القولي أو العملي أو الاعتقادي ما يكون أصغر، ومنها ما يكون أكبر، ومن النفاق ما يكون أكبر، ومنه ما يكون أصغر، ومنه ما يكون باللسان أو الجوارح أو القلب أصغر، ومنه ما يكون بها أكبر، وكذلك الإعراض والإباء بعض ذلك أو اليسيرُ منه قد لا يصل إلى الكفر الأكبر أو النفاق الأكبر فيكون كفرا أو نفاقا أصغر كالإعراض عن العمل ببعض الشرائع أو ترك العمل بها لا لعدم الاعتقاد وعدم القبول لتشريعها أصلاً، ولا لعدم الإقرار بها أصلا، ولكن لغلبة الهوى وضعف الإيمان.

أما **التكفير**: تفعيل من الكُفْر، وهو مصدر كَفَّر، يقال: كفَّره (بالتّشديد) تكفيرا: نَسَبَه إلى الكفر[٢]. فالتكفير الحكم على أحد من الناس بأنه قد خرج من الإسلام, ووصفه بوصف الكفر, لإتيانه بما يوجب كفره[٣].

وأما القِتَال فهو: مَصْدَرُ قَاتَل، ومصدر الثلاثي منه قَتْلٌ، وأصل القتل: الإماتة، وهي إزالة الروح عن الجسد، لكن إذا اعتبر بفعل المتولي ذلك يقال: قتل، وإذا اعتبر بفوت الحياة يقال: موت.

---

(١) انظر: كتاب التوحيد للفوزان: ١٩-٢٣، وقضية التكفير بين أهل السنة وفرق الضلال في ضوء الكتاب والسنة: ٤٠-٤١، ٥٥، ٦٢، ٧١-٧٢.

(٢) انظر: لسان العرب: ٥/١٤٦، والقاموس المحيط: ٤٧١.

(٣) انظر: الإعلام بقواطع الإسلام: ١٨٠، والتعريفات الاعتقادية: ١١٧.

والقتال من المقاتلة والمحاربة بين اثنين، والمقاتلة - بفتح التاء وكسرها - الذين يشتركون في القتال، لأن الفعل واقع من كل واحد[1].

(١) انظر: الصحاح: ١٧٩٧/٥، لسان العرب: ٥٤٧/١١، والموسوعة الفقهية الكويتية: ٣١٤/٣٢.

المبحث الثاني: عقيدة أهل السنة والجماعة في التكفير والقتال

حذر النبي ﷺ من التكفير دون برهان، لما يترتب على هذا القول من خطورة عظيمة على قائلها فقال ﷺ: «أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما. إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه»[(١)].

وقال ﷺ: «لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق، ولا يرميه بالكفر؛ إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك» [(٢)].

فمن كفّر من لا يستحق التكفير أو فسّقه رجع تكفيره وتفسيقه عليه، وفي هذا من التحذير ما يردُ المؤمن العاقل على التجرؤ على هذا الفعل، قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " فقد باء القائل بذنب كبير وإثم عظيم، واحتمله بقوله ذلك، وهذا غاية في التحذير من هذا القول والنهي عن أن يقال لأحد من أهل القبلة: يا كافر "[(٣)].

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يُقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار، فإنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة المروية من طريق جماعة من الصحابة أن «من قال لأخيه: يا كافر؛ فقد باء بها أحدهما» [(٤)]... ففي هذه الأحاديث وما ورد موردها أعظم زاجر وأكبر واعظ عن التسرع في التكفير "[(٥)].

وهذ الأمر وقع فيه خلق كثير من المتكلمين وبعض المنسوبين للسنة والحديث مما يوجب الحذر منه التسرع فيه، قال ابن دقيق العيد[(٦)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وهذا وعيد عظيم لمن أكفر أحداً من

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر، برقم: ٦٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: ما ينهى من السباب واللعن، برقم: ٦٠٤٥.

(٣) التمهيد: ٢٢/١٧. وانظر: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام: ٧٦/٤.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) السيل الجرار: ٥٧٨/٤.

(٦) محمد بن علي بن وهب القشيري المنفلوطي، أبو الفتح المعروف بابن دقيق العيد، صاحب التصانيف، ومنها: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ولي القضاء بمصر، ت سنة ٧٠٢هـ. انظر: تذكرة الحفاظ: ١٤٨١/٤، والدرر

المسلمين وليس كذلك، وهي ورطة عظيمة وقع فيها خلق كثير من المتكلمين، ومن المنسوبين إلى السنة وأهل الحديث لما اختلفوا في العقائد، فغلظوا على مخالفيهم، وحكموا بكفرهم "(١).

وفي حديث آخر يشبه النبي ﷺ تكفير المسلم بأعظم ذنب بعد الشرك بالله، وهو تعمد قتل المؤمن، فيقول: «ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله» (٢).

ورمي المسلمين بالكفر باب لشرور عظيمة، لعل أهونها أنه من التنابز بالألقاب الذي نهى الله عنه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١١].

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "هو قول الرجل لأخيه: يا كافر يا فاسق، وهذا موافق لهذا الحديث، فالقرآن والسنة ينهيان عن تفسيق المسلم وتكفيره إلا ببيان لا إشكال فيه"(٣).

والتكفير استباحة لما حرمه الله من عرض المسلم، الذي أكد النبي ﷺ على حرمته في خطبته العظيمة في حجة الوداع، فقال: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، فليبلغ الشاهد الغائب» (٤)، والقول بكفر المسلم من أعظم ما يقدح في عرضه، وهو مستتبع لهتك ماله ودمه.

فالأصل في المسلم سلامة معتقده، وبراءة ذمته، فلا يجوز تكفيره ولا تبديعه ولا اتهامه إلا بأن يكون مستحقا لذلك التكفير أو الابتداع أو الاتهام، وبشروط وضوابط محددة في الشرع(٥)؛ ولأن في التكفير تقرير لأمور خطيرة، منها: إسقاط العبادات عنهم إذا تابوا، وإسقاط جميع حقوق المخلوقين من الأموال والدماء وغيرهما، وإباحة فروج نسائهم إذا لم يتوبوا، وسفك دمائهم.... (٦).

الكامنة: ٤/٢١٠، وشذرات الذهب: ٦/٥.

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام: ٢/٢١٠، وانظر: فتح الباري: ١٠/٤٦٦-٤٦٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، برقم: ٦٠٤٧.

(٣) التمهيد: ١٧/٢١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، برقم: ١٧٣٩.

(٥) انظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام: ٢/٢٦.

(٦) إيثار الحق على الخلق: ٤٠٥.

ولـذا جـاءت النصـوص الشـرعية بالنهـي عـن تكفـير المسـلم والتغليظُ في إخراجـه مـن الإسلام، وخاصة مع إظهاره لشعائر الإسلام وقيامه بها؛ ولو حصل منه ما يظن أنه مكفّرٌ أو مبدعٌ؛ فإنه لا بد من توفر الشروط وانتفاء الموانع عند تكفير المعين أو تبديعه(١).

ولغلظ أمر التكفير وشدة خطورته كان أصحاب النبي ﷺ يمتنعون عن إطلاق التكفير والتفسيق على أهل القبلة، روى ابن عبد البر عن أبي سفيان قال: "قلت لجابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أكنتم تقولون لأحد من أهل القبلة: كافر؟ قال: لا. قلت: فمشرك؟ قال: معاذ الله. وفزع"(٢).

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: « ما من مسلمين إلا وبينهما وبين الله تبارك وتعالى ستر، فإذا قال أحدهما للآخر كلمة هَجْر(٣)، خرق ستر الله، وما من رجل يقول للآخر: أنت كافر، إلا كفر أحدهما »"(٤).

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يعتمدون في الحكم بالكفر من عدمه إلى نصوص الشرع؛ لأن الحكم بالكفر حق لله وحده، وكذلك ما يترتب عليه من التكفير لأن التكفير إخراج من الدين، والدين لله، فالله وحده هو الذي يحكم بقبول العبد أو طرده وإبعاده، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠].

فالتكفير حكم شرعي يترتب عليه إباحة دم شخص قد ظهر إسلامه(٥)، ونطق بالشهادتين، فيدرك إما بنص، وإما بقياس على منصوص "ولا مجال للعقل فيه"(٦)، فهو لا يكون إلا سمعيا قطعيا محضا(٧)؛ لقول النبي ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه» (٨).

---

(١) انظر: المرجع: ٣٨٥.

(٢) التمهيد: ٢١/١٧. وانظر: كتاب الإيمان للقاسم بن سلام: ٤٧.

(٣) الهجر ضد الوصل، والقبيح من القول. انظر: النهاية في غريب الحديث: ٢٤٥/٥، والصحاح: ٨٥١/٢.

(٤) مساوئ الأخلاق ومذمومها، باب ما يكره من لعن المؤمن وتكفيره: ٢٥.

(٥) بغية المرتاد: ٣٤٥/١.

(٦) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ٢٨٢/٢.

(٧) انظر: العواصم والقواصم: ١٧٨/٤-١٧٩.

(٨) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب: لا يُعذب بعذاب الله، برقم: ٣٠١٧.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الكفر حكم شرعي متلقى عن صاحب الشريعة، والعقل قد يُعلم به صواب القول وخطؤه، وليس كل ما كان خطأً في العقل، يكون كفراً في الشرع، كما أنه ليس كل ما كان صواباً في العقل، تجب في الشرع معرفته"[١].

ويقول أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إذا تبين ذلك، فاعلم أن مسائل التكفير والتفسيق هي من مسائل الأسماء والأحكام التي يتعلق بها الوعد والوعيد في الدار الآخرة، وتتعلق بها الموالاة والمعاداة والقتل والعصمة وغير ذلك في الدار الدنيا، فإن الله سبحانه أوجب الجنة للمؤمنين، وحرم الجنة على الكافرين، وهذا من الأحكام الكلية في كل وقت ومكان"[٢].

ويقول أيضًا عن أهل العلم والسنة أنهم: "لا يكفرون من خالفهم، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم؛ لأن الكفر حكم شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله كمن كذب عليك وزنى بأهلك، ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله، لأن الكذب والزنا حرام لحق الله تعالى، وكذلك التكفير حق لله، فلا يُكفر إلا من كفّره الله ورسوله"[٣].

ويقول الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب[٤] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وبالجملة فيجب على من نصح نفسه ألا يتكلم في هذه المسألة إلا بعلم وبرهان من الله، وليحذر من إخراج رجل من الإسلام بمجرد فهمه، واستحسان عقله، فإن إخراج رجل من الإسلام، أو إدخاله فيه من أعظم أمور الدين"[٥].

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة التفريق بين التكفير المطلق والتكفير المعين، فتكفير "غير

---

(١) درء التعارض: ٢٤٢/١.

(٢) مجموع الفتاوى: ٤٦٨/١٢.

(٣) الرد على البكري: ٤٩٢/٢-٤٩٣.

(٤) أبو سليمان عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، عالم نجد ومفتيها بعد والده. له مصنفات وفتاوى ورسائل، منها: جواب أهل السنة في نقض كلام الشيعة والزيدية، ومختصر السيرة، والكلمات النافعة في المكفرات الواقعة، وغيرها. توفي سنة ١٢٤٢هـ. انظر: مشاهير علماء نجد: ٣٢، والدرر السنية: ٣٧٦/١٦.

(٥) الدرر السنية: ٢١٧/٨.

المعين مشروع بأن يقال: من استغاث بغير الله فيما دفعه من اختصاص الله كافر، كمن استغاث بنبي من الأنبياء أو ولي من الأولياء أن يشفيه أو يشفي ولده مثلا"(١).

ومن أصول عقيدة السلف الصالح؛ أهل السنة والجماعة: أنهم لا يكفرون أحدا بعينه من المسلمين ارتكب مكفرا إلا بعد إقامة الحجة التي يكفر بموجبها؛ فتتوافر الشروط، وتنتفي الموانع، وتزول الشبهة عن الجاهل والمتأول.

فكل من "ثبت له عقد الإسلام، فإنه لا يزول عنه إلابنص أو إجماع، وأما بالدعوى والافتراء فلا.

فوجب أن لا يكفر أحد بقول قاله إلا بأن يخالف ما قد صح عنده أن الله تعالى قاله، أو أن رسول الله ﷺ قاله، فيستجيز خلاف الله تعالى وخلاف رسوله عليه الصلاة والسلام، وسواء كان ذلك في عقد دين أو في نحلة أو في فتيا، وسواء كان ما صح من ذلك عن رسول الله ﷺ منقولاً نقل إجماع تواتراً أو نقل آحاد"(٢).

يقول ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومن جهة النظر الصحيح الذي لا مدفع له، أن كل من ثبت له عقد الإسلام في وقت بإجماع من المسلمين، ثم أذنب ذنباً أو تأول تأويلاً، فاختلفوا بعد في خروجه من الإسلام لم يكن لاختلافهم بعد إجماعهم معنىً يوجب حجة، ولا يخرج من الإسلام المتفق عليه إلا باتفاق آخر أو سنة ثابتة لا معارض لها، وقد اتفق أهل السنة والجماعة، وهم أهل الفقه والأثر على أن أحداً لا يخرجه ذنبه - وإن عظم - من الإسلام، وخالفهم أهل البدع، فالواجب في النظر أن لا يكفَّر إلا من اتفق الجميع على تكفيره، أو قام على تكفيره دليل لا مدفع له من كتاب أو سنة"(٣).

كما أنهم لا يكفرون المكره إذا كان قلبه مطمئنا بالإيمان، ولا يكفرون أحدا من المسلمين بكل ذنب، ولو كان من كبائر الذنوب التي هي دون الشرك؛ فإنهم لا يحكمون على مرتكبها

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة: ١٤٠/٢.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ٣٩٢/٣. وانظر: فتاوى السبكي: ٥٧٨/٢.

(٣) التمهيد: ٢١/١٧-٢٢. وانظر: البحر الرائق: ١٣٤/٥، ومجموع الفتاوى: ٢١٧/٨.

بالكفر، وإنما يحكمون عليه بالفسق ونقص الإيمان، ما لم يستحل ذنبه؛ لأن الله- تبارك وتعالى- يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨].

ويقول سبحانه: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

جاء في بيان هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية برئاسة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن التكفير: "..... وقد يرد في الكتاب والسنة ما يفهم منه أن هذا القول أو العمل أو الاعتقاد كفر، ولا يكفر من اتصف به لوجود مانع يمنع من كفره، وهذا الحكم كغيره من الأحكام التي لا تتم إلا بوجود أسبابها وشروطها وانتفاء موانعها، كما في الإرث سببه القرابة مثلاً، وقد لا يرث بها لوجود مانع كاختلاف الدين، وهكذا الكفر يكره عليه المؤمن فلا يكفر به، وقد ينطق المسلم بالكفر لغلبة فرح أو غضب أو نحوهما، فلا يكفر بها لعدم القصد، كما في قصة الذي قال: «اللهم أنت عبدي وأنا ربك»(١) أخطأ من شدة الفرح.

وإذا مات العبد على ذنب- دون الشرك- لم يستحله؛ فأمره إلى الله تعالى، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له؛ خلافًا للفرق الضالة التي تحكم على مرتكب الكبيرة بالكفر، أو بالمنزلة بين المنزلتين(٢).

فتكفير المعين إذا أنكر معلوما من الدين بالضرورة؛ كالصلاة، أو الزكاة أو الصوم بعد البلاغ واجب، وينصح، فإن تاب وإلا وجب على ولي الأمر قتله كفرا، ولو لم يشرع تكفير المعين عندما يوجد منه ما يوجب كفره ما أقيم حد على مرتد عن الإسلام"(٣).

فمذهب أهل السنة وسط بين من يقول: لا نكفر من أهل القبلة أحدا، وبين من يكفر المسلم بكل ذنب دون النظر إلى توفر شروط التكفير وانتفاء موانعه، فهم يطلقون التكفير على العموم، ولكن تحقق التكفير على المعين لا بد له من توفر شروط، وانتفاء موانع، أما تكفير غير

---

(١) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، برقم: ٢٧٤٧.

(٢) انظر: قضية التكفير بين أهل السنة وفرق الضلال في ضوء الكتاب والسنة: ٥٢، ١٠١، ١١٦.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة: ٢/ ١٤٠.

المعين فمشروع.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " وأصل ذلك أن المقالة التي هي كفر بالكتاب والسنة والإجماع يقال هي كفر قولا يطلق، كما دل على ذلك الدلائل الشرعية... ولا يجب أن يحكم في كل شخص قال ذلك بأنه كافر حتى يثبت في حقه شروط التكفير وتنتفي موانعه... "[١].

ويقول أيضا: "فليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين، وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة، وتبين له المحجة، ومن ثبت إيمانه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزال إلا بعد إقامة الحجة، وإزالة الشبهة"[٢]

ويقول الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأصل فيمن ينتسب للإسلام، والتحذير فيمن يتساهل في تكفيره: "الأصل فيمن ينتسب للإسلام بقاء إسلامه، حتى يتحقق زوال ذلك عنه بمقتضى الدليل الشرعي، ولا يجوز التساهل في تكفيره، لأن في ذلك محذورين، أحدهما إفتراء الكذب على الله تعالى في الحكم، وعلى المحكوم عليه في الوصف الذي نُبِزَ به ...".

ثم قال: "وحري به أن يعود وصف الكفر عليه لما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أن النبي ﷺ قال: «إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما» [٣]. وفي رواية «ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه»[٤] ...

وهذا هو المحذور الثاني أعني عود وصف الكفر عليه، إن كان أخوه بريئا منه، وهو محظور عظيم يوشك أن يقع به؛ لأن الغالب أن من تسرع بوصف المسلم بالكفر كان معجبا بعمله محتقرا لغيره فيكون جامعا بين الإعجاب بعمله الذي قد يؤدي إلى حبوطه، وبين الكبر الموجب لعذاب الله تعالى في النار...

فالواجب قبل الحكم بالتكفير أن ينظر في أمرين، الأمر الأول، دلالة الكتاب والسنة على أن هذا مكفراً لئلا يفتري على الله الكذب.

---

(١) مجموع الفتاوى: ١٦٥/٣٥ باختصار، وانظر: ٣٥٤/٣.

(٢) مجموع الفتاوى: ٥٠١/١٢.

(٣) سبق تخريجه: ٣١٩.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم، برقم: ٦١.

الأمر الثاني: انطباق الحكم على الشخص المعين بحيث تتم شروط التكفير في حقه وتنتفي الموانع ..."[١].

ولذا فإن التسرع في التكفير يتيرتب عليه أمور خطيرة، من استحلال الدم والمال ومنع التوارث وفسخ النكاح وغيرها مما يترتب على الردة، فكيف يسوغ للمؤمن أن يقدم عليه لأدنى شبهة، وإذا كان هذا في ولاة الأمور كان أشدَّ لما يترتب عليه من التمرد عليهم وحمل السلاح عليهم وإشاعة الفوضى، وسفك الدماء وفساد العباد والبلاد، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٣]"[٢].

وعلى هذه العقيدة في مسألة التكفير كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكذا أتباعه من بعده وأنصار دعوته، واعتنوا بها عناية فائقة، ووضحوا ما أشكل فيها، وبينوها، وفصلوها تفصيلا شافياً كافياً.

فكان الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحذر من نواقض الإيمان ومبطلاته، ويبينها، ويبعدها عن المسلمين، ويبعد المسلمين عنها[٣]، ويحذر من تكفير المسلمين أشد تحذير، وينهى عنه، ويرد على من نسبه للتكفير، ويبين عقيدة أهل السنة في ذلك.

وهذه بعض النقول عن الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ التي تدل على موافقته لمنهج أهل السنة والجماعة في التكفير:

أولاً: أن التكفير من الأحكام الشرعية، فلا يحل لأحد أن يطلقه على أحد لمجرد الظن والهوى، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " من أظهر الإسلام وظننا أنه أتى بناقض لا نكفره بالظن، لأن اليقين لا يرفعه الظن، وكذلك لا نكفر من لا نعرف منه الكفر بسبب ناقض ذُكر عنه ونحن لم نتحققه"[٤].

---

(١) مجموع رسائل وفتاوى ابن عثيمين: ٢/١٣٣-١٣٤.

(٢) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٥٦): ٣٥٦.

(٣) عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية: ٢/٥٢٦.

(٤) الرسائل الشخصية: ٣/٢٤.

ثانياً: عدم التكفير بالعموم، يقول: "وأما القول إنا نكفر بالعموم فذلك من بهتان الأعداء الذين يصدون به عن هذا الدين ونقول سبحانك هذا بهتان عظيم" (١).

وقال أيضًا: "فإن قال قائلهم إنهم يكفرون بالعموم فنقول: سبحانك هذا بهتان عظيم، الذي نكفر الذي يشهد أن التوحيد دين الله ودين رسوله، وأن دعوة غير الله باطلة ثم بعد هذا يكفر أهل التوحيد، ويسميهم الخوارج ويتبين مع أهل القبب على أهل التوحيد"(٢).

ثالثاً: أن تكفير المعين لا يحل إلا بتوفر الشروط، وانتفاء الموانع، ولهذا يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما نصه: "إذا قال قولاً يكون القول به كفرا فليقال: من قال بهذا القول فهو كافر. ولكن الشخص المعين إذا قال ذلك لا يُحكم بكفره، حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها"(٣).

ويقول أيضا: "تكفير من بان له أن التوحيد هو دين الله ورسوله ثم أبغضه ونفر الناس عنه. وجاهد من صدق الرسول فيه ومن عرف الشرك وأن رسول الله ﷺ بُعث بإنكاره وأقر بذلك ليلا ونهاراً ثم مدحه وحسنه للناس وزعم أن أهله لا يخطئون لأنهم السواد الأعظم، وأما ما ذكر الأعداء عني أني أكفر بالظن وبالموالاة أو أكفر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة؛ فهذا بهتان عظيم يريدون به تنفير الناس عن الله ورسوله"(٤).

رابعًا: التفريق بين أحكام الدنيا وأحكام الآخرة، فمن أقر بالشهادتين، وأظهر الإسلام، فهو مسلم، له ما للمسلمين، وعليه ما عليهم، وتجري عليه أحكام الإسلام في الدنيا، ويستوي في هذا المسلم على الحقيقة، والمسلم نفاقًا خوفًا من القتل، أو طمعًا في مكسب، ولم يُكلف أحدٌ بشق صدور الناس، هذا في حكم الدنيا، وأما في الآخرة، فإن حكم المنافقين هو حكم الكفار، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٤٠].

خامساً: عدم التكفير إلا بارتكاب المكفّر كسبِّ الدين والنهي عنه، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأما

---

(١) المرجع السابق: ١٠١/١٥.

(٢) المرجع السابق: ٤٨/٧.

(٣) الدرر السنية: ٢٤٤/٨.

(٤) الرسائل الشخصية: ٢٥/٣.

التكفير فأنا أكفر من عرف دين الرسول ثم بعد ما عرفه سبه ونهى الناس عنه وعادى من فعله فهذا هو الذي أكفره، وأكثر الأمة -ولله الحمد- ليسوا كذلك" [١].

سادسًا: موافقته للعلماء الموثوقين في التكفير، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ما ذكر لكم عني أني أكفر بالعموم فهذا من بهتان الأعداء، وكذلك قولهم إني أقول من تبع دين الله ورسوله وهو ساكن في بلده أنه ما يكفيه حتى يجيء عندي فهذا أيضا من البهتان؛ إنما المراد اتباع دين الله ورسوله في أي أرض كانت؛ ولكن نكفر من أقر بدين الله ورسوله ثم عاداه وصد الناس عنه؛ وكذلك من عبد الأوثان بعد ما عرف أنها دين للمشركين وزينه للناس؛ فهذا الذي أكفره وكلُ عالمٍ على وجهِ الأرض يكفّرُ هؤلاءِ إلا رجلاً معانداً أو جاهلاً"[٢].

وقال: "إنا لا نقاتل إلا على ما أجمع عليه العلماء كلهم، وهو الشهادتان بعد التعريف، إذا عرف ثم أنكر"[٣].

سابعًا: عدم تكفير من لم تبلغه الحجة، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "من عمل بالتوحيد، وتبرأ من الشرك وأهله فهو المسلم في أي زمان وأي مكان وإنما نكفر من أشرك بالله في إلهيته بعد ما نبين له الحجة على بطلان الشرك وكذلك نكفر من حسّنه للناس، أو أقام الشبه الباطلة على إباحته، وكذلك من قام بسيفه دون هذه المشاهد التي يشرك بالله عندها، وقاتل من أنكرها وسعى في إزالتها "[٤].

ثامنا: أما القتال فقد اتخذ الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سبيل نشر دعوته عدة طرق ووسائل، يأتي الجهاد والقتال في آخرها، فسلك أساليب: الوعظ والتدريس، والخطابة، والرسائل والمناظرات وتأليف الكتب، ثم إذا لم تفد كل هذه الوسائل يأتي دور الجهاد والقتال حماية للدعوة ونشرا لها؛ لأن الدعوة لم تقم أصلا على تكفير المسلمين الذين لا يوافقون على الإيمان بمبادئها -كما يزعم أعداؤها- ولهذا يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) المرجع السابق: ٥/٣٧.

(٢) المرجع السابق:٥/٥٨.

(٣) الدرر السنية: ١١/٣١٧.

(٤) الرسائل الشخصية: ٥/٦٤.

"وأما القتال فلم نقاتل أحدا إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة، وهم الذين أتونا في ديارنا ولا أبقوا ممكنا؛ ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثۡلُهَا ﴾[الشورى: ٤٠]. وكذلك من جاهر بسب دين الرسول بعدما عرفه"[١].

ويذكر في رسالة أخرى أن علماء المسلمين أجمعوا على أن من صدق الرسول في شيء وكذبه في شيء آخر فهو كافر حلال الدم والمال، وإخلاص التوحيد لله تعالى أهم ما جاء به الرسول ﷺ، فكيف نقاتل من ينكر الصلاة والزكاة ولا نقاتل من ينكر إخلاص التوحيد لله[٢].

---

(١) المرجع السابق: ٥/٣٧.

(٢) انظر: كشف الشبهات: ٣٧-٤١، والوهابية، ضمن مجلة الزهراء، المجلد الثالث، صفر ١٣٤٥هـ: ٩٦-٩٧.

المبحث الثالث: الدعاوى المتعلقة بالتكفير والقتال والجواب عنها

أثار المعاصرون المناوئون لدعوة الإمام عدة دعاوى في باب التفكير والقتال ، وعند تأمل أغلبها نجد أنها متكررة مع أسلافهم، منها:

– التكفير بالعموم، واعتقاد حل دماء الخصوم وأموالهم وسبي ذراريهم(١).

– تكفير من قال: لا إله إلا الله، وقتالهم(٢).

– تكفير المخالف بإطلاق، وأنه لا موحد إلا من اتبع الإمام(٣).

– الطلب ممن أراد الدخول في دين الإمام أن يشهد بالكفر على نفسه ووالديه وأن يعيد الحج(٤).

– تكفير أجداده ومشايخه والأئمة والمشايخ(٥).

وأضافو عليها ما يلي:

---

(١) انظرها في: التعريف والإرشاد بعقائد أهل السنة والجماعة: ١٠-١١، المد المذهبي المعاصر: ١٧٢، مغالطات السلفية: ٥٣٠، تهافت السلفية: ١٤٠-١٤١، عقائد الإلحاد الوثنية: ٧٣، ٨٣، الحنابلة واختلافهم مع السلفية المعاصرة: ٢١٦. وانظر الرد عليها في: منهج الإمام محمد بن عبدالوهاب في التكفير: ٣٦٧، ضوابط تكفير المعين لأبي العلا: ١٦٣، دعاوى المناوئين: ١٦٥، دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، آل بوطامي: ٨٣، السلفية حقيقتها وأصولها وموقفها من التكفير: ٤٨٧.

(٢) انظرها في: داعش من النجدي إلى البغدادي: ٢٣-٢٩، مغالطات السلفية: ١٨٩، عقائد الإلحاد والوثنية: ٨٠، ٨٣، الانتصار لأهل السنة وكشف مذهب أدعياء السلفية: ٥٧٠، الرؤية الوهابية للتوحيد: ٤٤١، الحنابلة واختلافهم مع السلفية المعاصرة: ٢١٥، تهافت السلفية: ١٤٣. وانظر الرد عليها في: منهج الإمام محمد بن عبدالوهاب في التكفير: ٣٧٢، دعاوى المناوئين: ١٦٦.

(٣) انظرها في: حقول الدم: ٥٥٢، فتنة التكفير: ٩٥-٩٧. وانظر الرد عليها في: منهج الإمام محمد بن عبدالوهاب في التكفير: ٣٧٨، دعاوى المناوئين: ١٦٤، ١٦٦، ١٦٧، السلفية حقيقتها وأصولها وموقفها من التكفير: ٤٨٧،.

(٤) انظرها في: تهافت السلفية: ١٤٣، ١٤٤. وانظر الرد عليها في: دعاوى المناوئين: ١٦٥، ١٦٧.

(٥) انظرها في: تهافت السلفية: ١٤٤، الرؤية الوهابية للتوحيد: ٤١٦-٤٤١،٤١٧، الحنابلة واختلافهم مع السلفية المعاصرة: ٢١٠-٢١٥، جدل الدين والسياسة: ٢١٣، ٣٨٢-٣٨٥. وانظر الرد عليها في: دعاوى المناوئين: ١٦٨.

المطلب الأول: دعوى تخصيص الكفر فيمن لم يفهم التوحيد على طريقة دعوة الإمام

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام دعوى تخصيص الكفر فيمن لم يفهم التوحيد على طريقة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

يقول شفيق جرادي ": "أما الأمر الجديد الذي أكد عليه محمد بن عبدالوهاب، فهو ما أورده في كتاب التوحيد، الذي هو حق الله على العبيد.. إذا صاغ الكتاب بمضامين عقدية حادة تحمل طابع التقنين الفقهي حتى تحولت القناعات العقائدية إلى مجرد حرام وحلال وجائز وواجب.

ومن أكثر الإقحامات التي قام بها قوله: (إن العبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة فيه). فكل من يختلف في أمور وأحكام العبادة سيكون عرضة للخصومة التي قد تصل لحد القتل والتكفير الصريح.

واعتباره أن لا أحد معذور لأن (الرسالة عمت كل أمة).

وهو صاحب تلك الرسالة: كأنما هو نبي جديد...

ثم ذهابه إلى أن التوحيد بما هو عبادة تستقيم بحسب شرح ابن عبدالوهاب لها، لا يكفي مجرد الاعتراف بها؛ بل لابد من التزام المسألة الكبيرة –وهي– أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت... والطاغوت عام في كل ما عُبد من دون الله.

بعد هذا، يأخذ ليبين كيف يكون اتباع الكفر والطاغوت فيصل في كل شيء لدرجة (أن من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه). وليعتبر أن (سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين).

وليفتح المجال أمام القول: إن (من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله).

وهكذا، يصبح كل موقف فقهي إنما يأخذ أصالته من عنوان التوحيد الذي صاغه محمد

بن عبدالوهاب حسب فهمه الخاص.. مما جعل الدارسون له يعتبرون أن كل رأي أو كل مرة يكون الكلام فيها عن الكفر والكافرين فإنما يكون المقصود بهم الذين لم يفهموا التوحيد على الطريقة الوهابية"(١).

ثم قال: "إذ إن ابن عبدالوهاب اعتبر أن الجدال في مثل هذه الأحكام أقل ما يقال في صاحبه أنه (فاسق لا يقبل خطُهُ ولا شهادته، ولا يصلى خلفه، بل لا يصح دين الإسلام إلا بالبراءة من هؤلاء وتكفيرهم)(٢).

وما ذلك إلا لأن أي تركٍ لآراء الوهابية كان يعتبرها، بحسب مفاد رسالة تأنيب أرسلها لأحد تلامذته في الإحساء، أنها:

١- خروج عن دين الإسلام.

٢- مداهنة أعداء المسلمين.

٣- تبرؤ من ملة إبراهيم"(٣).

ويقول الحسن بن علي الكتاني: "وسر المسألة الذي يجعلك تفهم كتب النجديين جيداً وتستوعب مراميها هي أنهم يرون الزمان السابق لابن عبدالوهاب زمان فترة من الرسالة، فلما بعث الله الشيخ أقام به الحجة على العالمين كما أقامها بالنبي ﷺ، فكل من بلغته دعوته فحاربها أو هاجمها أو لم يهتم بها فقد كفر واستحق الخلود في النار، كما استحق ذلك المشركون زمن الرسالة"(٤).

ويقول أحمد النفيس: "الحركة الوهابية هي حركة تكفيرية تحكم على كل من لا يلتزم بالمانيفستو(٥) الوهابي المسمى كتاب التوحيد بالكفر والخروج من ربقة الإسلام"(١).

---

(١) الإسلام في مواجهة التكفيرية: ٣٤-٣٥.

(٢) الحسين بن غنام، تاريخ نجد (روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام، تحقيق: ناصر الدين الأسد، دار الشروق، القاهرة، الطبعة ٤، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م: ص١٤.

(٣) الإسلام في مواجهة التكفيرية: ٣٦.

(٤) مباحث في العذر بالجهل وإقامة الحجة: ١٩.

(٥) المانيفستو Manifesto : بمعنى بيان، أو بلاغ، أو تصريح، وفي الموسوعة الحرة: هو إعلان منشور يتضمن نوايا أو

ثم قال: " إلا أن الناظر المدقق سرعان ما يكتشف الخدعة الوهابية الكبرى وأن الأمر كله لا يختلف في قليل ولا كثير عما فعله من خاطبهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

تمثلت الخدعة الوهابية في ذلك التدرج بدءاً من التأكيد على أهمية الاعتقاد بوحدانية الله عَزَّوَجَلَّ وكأن التوحيد هو عمل مستقل وقائم بذاته عن منظومة العقيدة الإسلامية أو كأنه اكتشاف جديد يسمع عنه المسلمون لأول مرة ثم النص على أن بعض الأعمال دون بعض هي من الأمور التي يقوم بها المسلم ثم النص على أن بعض الأعمال دون بعض هي من الأمور التي توقع في الشرك ثم اعتبار من يقوم بهذه الأعمال كافراً وخارجاً من الملة وأخيراً إعلان الحرب عليه ثم استباحة دمه تطبيقاً للمانيفستو الوهابي التكفيري المسمى بكتاب التوحيد"(٢).

ويقول فؤاد إبراهيم: " من ذلك اعتبار زمن الدعوة التي جاء بها محمد بن عبدالوهاب هو الحد الفاصل بين الإيمان والكفر، حتى إن أحفاد مؤسسي المذهب ومن جاء بعده أمثال الشيخ سليمان بن سحمان وصولاً إلى الشيخ ابن باز يعتقدون أن كل من وصلته دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ولم يؤمن يصبح كافراً...

... إلى حد اعتبار أن الدعوة الوهابية ناسخة لما قبلها وما بعدها، وهي ترسم الخط الفاصل بين الإيمان والكفر. فالشيخ ابن باز يرى بأن ابن عبدالوهاب قد بلّغ الإسلام ولا حجة لمن يشرك بعد ذلك. ولا غرابة أن تصادر الوهابية كل ما سواها من مذاهب إسلامية وترى في نفسها التمثيل الحصري للإسلام"(٣).

حقيقة هذه الدعوى:

هذه الدعوى مبنية على الفهم الخاطئ للتوحيد والعبادة، والظن أن كتب الإمام محمد بن

دوافع أو آراء تخص ناشر البيان، وقد يصدره فرد، أو مجموعة، أو حزب سياسي، أو حكومة. انظر: https://ar.wikipedia.org/wiki/بيان_(خاص).

(١) نقض الوهابية: ٢٩.

(٢) المرجع السابق: ٣٣. وانظر: جدل الدين والسياسة: ٢١٨-٢١٩، ٢٢٩.

(٣) داعش من النجدي إلى البغدادي: ١٣٠-١٣١.

عبدالوهاب مخالفة لعقيدة السلف، وأن الإمام كفر من خالف دعوته.

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: سبق في الفصل الأول، في الدعاوى الأربع الأولى منه، تعريف التوحيد والعبادة، وبيان ما يضادها، وبيان عقيدة الشيخ التي يدعو إليها، ومنهجه في التكفير، وموافقته للسلف في ذلك، ومخالفته لما ذكر في هذه الدعوى.

ثانيا: أن الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يأمر عموم الناس بالدخول تحت حكمه ولا حكم آل سعود، فضلاً عن أن يكفرهم إذا لم يدخلوا تحت حكمه أو لم يهاجروا إليه، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم، الذي على عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي، وأمثالهما، لأجل جهلهم، وعدم من ينبههم، فكيف نكفّر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا، أو لم يكفّر ويقاتل؟"[١].

ثالثا: أن علماء الدعوة لم يأتوا بجديد في التوحيد، فهم يطالبون المسلمين بالتمسك بأقوال أئمتهم من علماء الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية في إخلاص التوحيد[٢].

رابعا: أن دعوة الإمام وأتباعه دعوة للحق الذي جاء في الكتاب والسنة، قال الإمام عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان من يستحق التكفير: "لا نكفر إلا من بلغته دعوتنا للحق، ووضحت له المحجة، وقامت عليه الحجة، وأصر مستكبراً معانداً"[٣].

وكلامه واضح رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فهول يقول: " دعوتنا للحق"، وهل تكون الدعوة حقا وهي ليست على الكتاب والسنة.

وهذه العبارة كما يقول الشخص العادي: هذا ديني، أو نحو ذلك فإنه يقصد دين الإسلام، ولهذا يقول الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إحدى رسائله: "وأما التكفير فأنا أكفر من عرف دين الرسول ثم بعدما عرفه سبه ونهى الناس عنه وعادى من فعله، فهذا الذي

---

(١) الدرر السنية: ١/١٠٤.

(٢) الوهابية، مجلة الزهراء المجلد الثالث صفر ١٣٤٥هـ: ٩٦-٩٧.

(٣) المرجع السابق: ١/٢٣٤.

أكفره وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك"[١].

وقال أيضاً الإمام عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ونحن كذلك لا نقول بكفر من صحت ديانته وشهر صلاحه، وعُلِمَ ورعه وزهده، وحسنت سيرته، وبالغ في نصح الأمة ببذل نفسه لتدريس العلوم النافعة والتأليف فيها، وإن كان مخطئا في هذه المسألة أو غيرها، كابن حجر الهيتمي، فإنا نعرف كلامه في الدر المنظم ولا ننكر سعة علمه، ولهذا نعتني بكتبه كشرح الأربعين والزواجر وغيرها، ونعتمد على نقله إذا نقل لأنه من جملة علماء المسلمين"[٢].

فالإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يكفر الجاهل إذا لم يوجد من ينبهه؛ فكيف يقال إنه يكفر من لم يعرف التوحيد على طريقة الإمام!.

خامسا: أن المناوئين لما عجزوا عن رد كتاب التوحيد وما فيه من الحق؛ لأنه لم يشتمل إلا على ما قاله الله ﷻ وقاله رسوله ﷺ؛ قالوا إنه يدعو إلى دين جديد، وأنه يكفر من يخالفه.

سادسا: ونقول لهم أيضا بينوا لنا ما في كتاب التوحيد من باطل - إن وجد- ونحن معكم في رده، فالحق ضالة المؤمن!.

سابعا: قول شفيق جرادي أن " أكثر الإقحامات التي قام بها - أي الإمام- قوله: (إن العبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة فيه). فهذا ما دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وفهمه الصحابة، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: " كل عبادة في القرآن فهي توحيد"[٣].

وهذا يدل على عناية الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتوحيد الذي هو دعوة الرسل، وقد سبق في المبحث الثاني من الفصل الأول بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في التوحيد وأهميتها وعناية السلف به.

ثامنا: قوله كذلك عن الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ثم ذهابه إلى أن التوحيد بما هو عبادة تستقيم بحسب شرح ابن عبدالوهاب لها، لا يكفي مجرد الاعتراف بها؛ بل لابد من التزام المسألة الكبيرة

---

(١) الرسائل الشخصية: ٣٧/٥.

(٢) رسالة في حكاية المباحثة مع علماء مكة في حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: ٩٥.

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٦٢/١، ٣٨٠/٣. وانظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: ٤٤٣.

-وهي- أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت... والطاغوت عام في كل ما عُبد من دون الله".

فهذا القول من الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو مقتضى قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[النحل: ٣٦]، وقوله: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾[البقرة: ٥٦]، وقوله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله، ودمه، وحسابه على الله»[١]، وقوله ﷺ: «بني الإسلام على خمس، على أن يعبد الله، ويكفر بما دونه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان»[٢]، فالإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يأت بشيء من عنده، وإنما التزام ما قاله الله وقاله رسوله ﷺ.

تاسعا: قول الحسن بن علي الكتاني: "وسر المسألة الذي يجعلك تفهم كُتبَ النجديين جيداً وتستوعب مراميها هي أنهم يرون الزمان السابق لابن عبدالوهاب زمان فترة من الرسالة، فلما بعث الله الشيخ أقام به الحجة على العالمين كما أقامها بالنبي ﷺ، فكل من بلغته دعوته فحاربها أو هاجمها أو لم يهتم بها فقد كفر واستحق الخلود في النار، كما استحق ذلك المشركون زمن الرسالة".

ومثله قول فؤاد إبراهيم: " حتى إن أحفاد مؤسسي المذهب ومن جاء بعده أمثال الشيخ سليمان بن سحمان وصولاً إلى الشيخ ابن باز يعتقدون أن كل من وصلته دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ولم يؤمن يصبح كافراً...".

سبحان الله! هل يمكن أن يقول هذا الكلام الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكيف يكون حال الناس قبل دعوته؟ بل قبل وجوده؛ لكن، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين!، فأين قال هذا الكلام الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أو أحد من أتباعه؟!

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، برقم: ٣٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس، برقم: ٢٠.

عاشرا: قول أحمد النفيس: "الحركة الوهابية هي حركة تكفيرية تحكم على كل من لا يلتزم بالمانيفستو الوهابي المسمى كتاب التوحيد بالكفر والخروج من ربقة الإسلام".

أين قال هذا الكلام الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أو أحد من أتباعه؟!

الحادي عشر: قول أحمد النفيس: " تمثلت الخدعة الوهابية في ذلك التدرج بدءاً من التأكيد على أهمية الاعتقاد بوحدانية الله عَزَّوَجَلَّ...".

فإن العناية والتدرج بالتوحيد هو المنهج النبوي في الدعوة، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨]، ولما بعث رسول الله ﷺ معاذاً رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلى اليمن، قال: «إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا عرفوا الله، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها، فخذ منهم وتوق كرائم أموالهم»[١]. فهل تعتبر متابعة النبي ﷺ خدعة؟؛ لكنه الجهل بالتوحيد وقلة العناية به[٢].

الثاني عشر: زعمهم بأن الوهابية تكفر المخالف لها، فالتكفير حكمٌ شرعي من أحكام الدين له أسبابه وضوابطه وشروطه وموانعه وآثاره، شأنه في ذلك شأن سائر الأحكام الشرعية.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " الكفر حكم شرعي وإنما يثبت بالأدلة الشرعية" [٣].

وقال أيضا:"كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم وإن كان ذلك المخالف يكفرهم؛ لأن الكفر حكم شرعي فليس للإنسان أن يعاقب بمثله كمن كذب عليك وزنى بأهلك ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله لأنَّ الكذب والزنا حرامٌ لحق الله.

وكذلك التكفير حق لله فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله، وأيضاً فإن تكفير الشخص المعين وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية التي يكفر من خالفها وإلا فليس كلُّ من

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، برقم: ٣١.

(٢) انظر في منهج الدعوة: منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان لعلي الفقيهي، وأولويات الدعوة في منهج الأنبياء عليهم السلام لزيد الزيد، والدعوة في ضوء الكتاب والسنة لسعيد القحطاني.

(٣) مجموع الفتاوى: ٧٨/١٧.

جهل شيئا من الدين يكفر"[١].

وانظر للتطبيق العملي لما يقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية والنفاه الذين نفوا أن الله تعالى فوق العرش لما وقعت محنتهم: أنا لو وافقتكم كنت كافراً، لأني أعلم أن قولكم كفر، وأنتم عندي لا تكفرون لأنكم جهال، وكان هذا خطاباً لعلمائهم وقضاتهم وشيوخهم وأمرائهم"[٢].

(١) المرجع السابق: ١/٣٨١.

(٢) الرد على البكري: ٤٦. وانظر: مجموع الفتاوى: ١٢/٤٨٨، ٢٣/٣٤٨. أما تكفير المخالفين لأهل السنة؛ فانظر بعضه في: كتاب الفكر التكفيري عند الشيعة حقيقة أم افتراء لعبدالملك الشافعي، وكتاب التكفير عند الإمامية الأثني عشرية لصفية التويجري، ومقال: التبصير بغلو الأشاعرة في التكفير.. على هامش فعاليات مؤتمر الشيشان لرضوان شكداني، ومقال: ظاهرة الغلو في التكفير عند الأشاعرة لمحمد حاج الجزائري، والتكفير عند المعتزلة مقاربة منهجية لسليمان الربعي.

المطلب الثاني: دعوى التسرع في التكفير وسفك الدماء

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى التسرع في التكفير وسفك الدماء.

يقول الحسن بن علي الكتاني فيما أُنكر على الإمام محمد بن عبدالوهاب: "لكن العلماء أنكروا عليه وعلى جنوده التجاري في سفك الدماء، والتسرع في التكفير"(١).

وقال أيضاً: "كثير من المجددين ودعاة التغيير والعمل بالسنة كانوا يوافقون دعوة ابن عبدالوهاب ويرونها إحياء لدعوة شيخ الإسلام ابن تيمية ومنهاج السلف، لكنهم استنكروا تسارع النجديين في التكفير وسفك دماء الناس واستحلال أموالهم"(٢).

ويقول أحمد سالم في مقدمة المناظرة الثالثة: (التكفير والقتال في الدعوة الوهابية) في سرد نقاط المناظرة:

"رابعاً: هذا التساؤل - التكفير والقتال في الدعوة الوهابية - لم يكن أصلاً ليطرح لولا ثقافة التكفير الواسعة التي شاعت منذ ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد لعبت مدرسته دوراً كبيراً في ترسيخ مبدأ الغلو في قضية التكفير عند أتباع الشيخ ومحبيه..."(٣).

حقيقة هذه الدعوى:

التسرع في التكفير، والتكفير بالذنوب وسفك الدماء من سمات الخوارج؛ فهم يحدثون البدع المخالفة للكتاب والسنة، ثم يكفرون من خالفها؛ ولذلك حاول المناوئون المعاصرون التنفير من دعوة الإمام وتشويها بفرية التسرع في التكفير وسفك الدماء.

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: أنه سبق في المبحث الثاني من هذا الفصل بيان موقف الإمام من التكفير ومنهجه

---

(١) مباحث في العذر بالجهل وإقامة الحجة: ٢٤٦.

(٢) المرجع السابق: ٢٥٤.

(٣) جدل الدين والسياسة: ٢١٧-٢١٨. وانظر: النزعة التكفيرية في فكر الوهابية، د. اليماني الفخراني.

في ذلك: ومن ذلك قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبر أحمد البدوي وعبدالقادر الجيلاني وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم وجود من ينبههم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا ولم يكفر ولم يقاتل. سبحانك هذا بهتان عظيم؟![1].

ثانيا: الإمام محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أكثر الناس تحرزا من التكفير، يقول حفيده الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ[2] رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن موقف جده الإمام محمد من التكفير" والشيخ محمد من أعظم الناس توقفاً وإحجاماً عن إطلاق الكفر، حتى إنه لم يجزم بتكفير الجاهل الذي يدعو غير الله من أهل القبور أو غيرهم إذا لم يتيسر له من ينصحه ويبلغه الحجة التي يكفر مرتكبها"[3].

ويقول الشيخ حسين بن غنام[4] رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: "إن الشيخ كان ملتزماً بالمنهج السوي، ولم يتسرع لسانه بتكفير أناس أُشربت قلوبهم بالمعاصي، وبما كانوا عليه من القبائح الشركية"[5].

ثالثا: مما يدل على احتراز وتثبت الإمام محمد بن عبدالوهاب في مسائل التفكير، قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "من أظهر الإسلام، وظننا أنه أتى بناقض، لا نكفره بالظن؛ لأن اليقين لا يرفعه الظن وكذلك لا نكفر من لا نعرف منه الكفر، بسبب ناقض ذكره عنه ونحن لم نتحققه"[6].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فأول درجات الإنكار معرفتك أن هذا مخالف لأمر الله... إلى أن قال:

---

(١) الدرر السنية: ٦٦/١.

(٢) عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، النجدي الأزهري، من أعلام الدعوة السلفية الإصلاحية في نجد، من مؤلفاته: منهاج التأسيس في كشف شبهات داود بن جرجيس، ومصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام، وعيون المسائل وغيرها، توفي سنة ١٢٩٣هـ. انظر: علماء الدعوة: ٤٧، ومشاهير علماء نجد: ٧.

(٣) منهاج التأسيس في كشف شبهات داود بن جرجيس: ٩٨.

(٤) حسين بن أبي بكر بن غنام الأحسائي المالكي، كان حسن التعليم, مستقيم الديانة, راجح العقل, ومؤرخاً، له من التصانيف: روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام, والعقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين، توفي سنة ١٢٢٥هـ. انظر: مشاهير علماء نجد: ١٤٩, وعنوان المجد: ١٥١/١.

(٥) روضة الأفكار والأفهام: ٣٣/١-٣٦.

(٦) مؤلفات الشيخ: ٢٤/٥.

فعلى كل حال نبهوهم على مسألتين:

الأولى: عدم العجلة، ولا يتكلمون إلا مع التحقيق، فإن التزوير كثير.

الثانية: أن النبي ﷺ كان يعرف منافقين بأعيانهم، ويقبل علانيتهم، ويكل سرائرهم إلى الله، فإذا ظهر منهم، وتحقق ما يوجب جهادهم، جاهدهم"(١).

رابعا: أن الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوجب التثبت والكف عمن أظهر التوحيد والإسلام إلى أن يتبين منه ما يناقض ذلك، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [النساء: ٩٤].

"فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه، والتثبت، فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل، لقوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾ ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى... إلى أن قال: وإن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه إلى أن يتبين منه ما يناقض ذلك"(٢).

وهذا الذي ذكره الإمام محمد، قرره جمع من المفسرين.

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " والمراد هنا: لا تقول لمن ألقى بيده إليكم واستسلم لست مؤمناً، فالسلم والسلام كلاهما بمعنى الاستسلام، وقيل هما بمعنى الإسلام، أي: لا تقولوا لمن ألقى إليكم التسليم، فقال السلام عليكم: ليست مؤمناً، والمراد: نهي المسلمين عن أن يهملوا ما جاء به الكافر مما يستدل به على إسلامه، ويقول إنه إنما جاء بذلك تعوذاً وتقية"(٣).

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "يأمر تعالى عباده المؤمنين، إذا خرجوا جهاداً في سبيله، وابتغاء مرضاته أن يتبينوا في جميع أمورهم المشتبهة، فإن الأمور قسمان: واضحة، وغير واضحة، فالواضحة البينة لا تحتاج إلى تثبت وتبين؛ لأن ذلك تحصيل حاصل.

وأما الأمور المشكلة غير الواضحة، فإن الإنسان يحتاج إلى التثبت فيها والتبين، ليعرف

---

(١) المرجع السابق: ١/٢٨٥.

(٢) المرجع السابق: ١/١٧٦.

(٣) فتح القدير: ١/٥٠١.

هل يقدم عليها أم لا؟

فإن التثبت في هذه الأمور يحصل فيه من الفوائد الكثيرة، والكف لشرور عظيمة، ما به يعرف دين العبد، وعقله ورزانته، بخلاف المستعجل للأمور في بدايتها، قبل أن يتبين له حكمها، فإن ذلك يؤدي إلى ما لا ينبغي، كما جرى لهؤلاء الذين عاتبهم الله في هذه الآية، لما لم يتثبتوا، وقتلوا من سلّم عليهم، وكان معه غنيمة له، أو مال غيره، ظناً أنه يستكفي بذلك قتلَهم، وكان هذا خطأ في نفس الأمر، فلهذا عاتبهم الله بقوله: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ [النساء: ٩٤] أي: فلا يحملنكم العرض الفاني القليل، على ارتكاب ما لا يبغي، فيفوتكم ما عند الله من الثواب الجزيل الباقي، فما عند الله خير وأبقى"[١].

وقال الإمام محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حديث أسامة ﷺ قال: «بعثنا رسول الله ﷺ في سرية، فصبحنا الحرقات من جهينة[٢]، فأدركت رجلاً، فقال: لا إله إلا الله، فطعنته فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: أقال: لا إله إلا الله وقتلته؟ قال: قلت: يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح. قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا، فما زال يكررها عليّ، حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ» [٣]، "فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلاً ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعى الإسلام إلا خوفاً على دمه وماله، والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه، حتى يتبين منه ما يخالف ذلك" [٤].

خامسا: أن الإمام محمد بن عبدالوهاب كان شديد التحرز والتثبت في مسائل التكفير، فكان يتوقف عن القول بما لم يتضح عنده، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

---

(١) تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن: ١٩٤.

(٢) هم بطن من جهينة، سُموا بذلك: لوقعة كانت بينهم وبين بني مرة بن عوف بن سعد، فأحرقوهم بالسهام، لكثرة من قتلوا منهم. انظر: فتح الباري: ١٢/١٩٥.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، برقم: ٩٦.

(٤) مؤلفات الشيخ: ١٧٦. وانظر: شرح النووي على مسلم: ٢/١٠٤

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " وأما الذي يدعي الإسلام، وهو يفعل من الشرك الأمور العظام، فإذا تليت عليه آيات الله استكبر عنها، فهذا ليس بالمسلم، وأما الإنسان الذي يفعلها بجهالة، ولم يتيسر له من ينصحه، ولم يطلب العلم الذي أنزله الله على رسوله، بل أخلد إلى الأرض، واتبع هواه، فلا أدري ما حاله"(١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في حديث «إنما الشؤم في ثلاثة...»(٢)، "فهذا أشكل على من قبلنا، حتى إن عائشة كذبته، وقالت: هذا كلام أهل الجاهلية.

ولكنه صح، وقد تكلموا في تفسيره، ولم يتبين لي معناه، والله أعلم بمراد رسوله"(٣). فمن كان يتوقف في معنى حديث، فهو أشد توقفاً وتحرزاً في مسائل التكفير، التي ينبني عليها أحكام الردة(٤).

سادسا: أن الهوى وعدم معرفة كلام أهل العلم ومواقعه هو الحامل لبعضهم في نسبة التسرع في التكفير للإمام محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وانظر لأحدهم وهو ينسب للإمام التسرع في التكفير، ثم يأت في موضع أخر - يوافق هواه- ينقل عن الإمام عدم التسرع في التكفير، وهذا يدل على الهوى وعدم فهمهم لكلام الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

يقول د. عمر كامل في كتابه "دائرة الفتنة وسبل الخروج منها"(٥) في قضية التكفير، ناسبًا للشيخ التسرع في التكفير:

"لقد ازداد هذا التيار عنفواناً، وأصبحت هذه النغمة مادة علمية تكتب فيها بعض المؤلفات، أغراضها النيل من المذاهب الإسلامية ذات المناهج العلمية والفقهية، والتي كان لها أثر بارز في نشوء علم أصول الفقه الذي هو علم أصول الفهم، فلا هم لهذه الفرقة إلا تحقير

---

(١) مؤلفات الشيخ: ٣/٣٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يذكر من شؤم الفرس، برقم: ٢٨٥٨، وصحيح مسلم، كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم، برقم ٢٢٢٥. وانظر شرحه في: فتح الباري: ٦/٦١، وشرح النووي على مسلم: ١٤/٢٢٠، والتمهيد: ٩/٢٧٨، ومفتاح دار السعادة: ٢٥٤ وما بعدها، ،.

(٣) مؤلفات الشيخ: ٣/٣٨.

(٤) وانظر: كتاب منهج الإمام محمد بن عبدالوهاب في مسألة التكفير: ٧٤.

(٥) نشر الكتاب في ١/١/٢٠٠٢م، الموافق ١٦/١٠/١٤٢٢هـ، طبعة دار بيسان.

الآخرين وتبديعهم صغاراً وكباراً من الأقدمين والمعاصرين.

على سبيل المثال أسوق بعض الأمثلة التي يقولها بعض العلماء ممن قد يأخذ كلامه على ظاهره فيكون سبباً للتشدد والغلو، يقول بعضهم: (من عرف أن التوحيد دين الله ورسوله الذي أظهرناه للناس، ومع ذلك لم يلتفت إلى التوحيد ولا تعلمه ولا دخل فيه ولا ترك الشرك فهو كافر)(١).

فليلاحظ أن الذي أظهرناه كأنه هو الذي أظهر التوحيد، وليس محمد بن عبدالله، وكأنه هو الوحيد الذي كتب في التوحيد، ولم يكتب فيه غيره.

ولننظر إلى كتاب آخر، يقول فيه مؤلفه: (التكفير والقتل ليسا موقوفين على فهم الحجة مطلقاً، بل على بلوغها، فلو كان الحكم موقوفاً على فهم الحجة لم نكفر ونقتل إلا من علمنا أنه معاند خاصة وهذا بين البطلان) (٢).

أليس هذا أساس التعصب الذي نتج عنه سفك دماء المسلمين بغير حق؟ أليس هذا هو الإرغام على التسليم لفهمه، وإلا كان جزاءه القتل والحرب؟ أليس هذا ما تعتنقه جماعات المتطرفين في تعميم التكفير للمجتمعات والأنظمة والحكام؟"(٣).

فهذا النقل السابق للكاتب ينسب فيه التكفيرَ إلى الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم يأت يستدل بكلام للإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نفي التكفير، ليوافق هوى الكاتب، وليرد به على من يقول بوقع الشرك والوثنية في بلاد الحرمين، فيقول د. عمر كامل في مقالة له بعنوان: "لا خوف على بلاد الحرمين من الشرك والوثنية"(٤): "والآن إليك نبذة من أقوال الشيخ محمد بن عبدالوهاب توضح منهجه في الدعوة، وينفي بها عن نفسه ما نسب إليه زوراً وبهتاناً من تكفير من لا يستحق ذلك.

ويبين الشيخ براءته مما نسب إليه من التكفير بالباطل، فينكر ذلك بأسلوب شديد ويبين صفات من يُحكم عليهم بالكفر، ويؤكد أن أكثر الأمة ليس فيها هذه الصفات ويحمد الله على

---

(١) ملحوظة: لم يذكر المرجع المنقول منه، وهو في الدرر السنية: ١/١٠٢.

(٢) ملحوظة: لم يذكر المرجع المنقول منه، وهو في الدرر السنية: ١٠/٣٦٨.

(٣) دائرة الفتنة وسبل الخروج منها: ٨٦-٨٧.

(٤) نشرت المقالة في صحيفة المدينة — ملحق الرسالة في ١٤٢٤/١/١٨هـ.

ذلك.

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب في رسالته إلى السويدي البغدادي: (وما ذكرت أني أكفر جميع الناس إلا من اتبعني وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة: فيا عجباً، كيف يدخل هذا في عقل عاقل؟!)

إلى أن قال: (وأما التكفير: فأنا أكفر من عرف دين الرسول ثم بعدما عرفه سبه، ونهى الناس عنه، وعادى من فعله وهذا هو الذي أكفره، وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك)[١] ا.هـ"[٢].

سابعا: أن من اطلع على رسائل أئمة الدعوة والكتب التي صنفوها يجد أنهم أبعد الناس عن التسرع في التكفير[٣]، ولا يعرف عن مدرسة من المدارس الإسلامية المعاصرة اهتماماً برد فكرة التكفير، واقتلاعها من جذورها كما يوجد في الدعوة السلفية المباركة، ولا أدل على ذلك من عشرات الكتب والرسائل والمحاضرات والفتاوى التي تدحض هذه الشبهة بالأسلوب العلمي الرصين[٤].

---

(١) مصباح الظلام: ص ٤٣.

(٢) مقال ضمن كتاب: لا ذرائع لهدم آثار النبوة: ٦١.

(٣) انظر: منهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب في التكفير للرضيمان، وتقريرات أئمة الدعوة في مخالفة مذهب الخوارج وإبطاله لطاهري، وموقع الإمام محمد بن عبدالوهاب: http://s.sunnahway.net/wahhab/.

(٤) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة: ٢/١٣٥-١٥١، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: ٢/١٢١-١٤٠.

المطلب الثالث: دعوى انتساب التكفيريين لدعوة الإمام

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى انتساب التكفيريين لدعوة الإمام، والإتهام بأن أفكار الجماعات التكفرية وأقوالهم مستمدة من كتب أئمة الدعوة رحمهم الله.

يقول فؤاد إبراهيم وهو يتحدث عن نظام الدولة الإسلامية "داعش" وتأثرها بالتكفير بدعوة الإمام:

"رابعاً: الخطاب الجهادي الوهابي الجاذب لجماعات عديدة كانت تبحث عن خطاب تعويضي يرتكز على رؤية دينية مستمدة من مرجعية محددة ينتج فيها هويته، ورؤيته ودوره، إذ ليس هناك من يشكك في إخلاص داعش للعقيدة الوهابية الأصلية وتجسده لتعاليمها، مع اندلاع الخلاف بين القاعدة وداعش وخروجه للعلن، تكشفت حقيقة الجذور الفكرية لكل منهما، وتبين أن داعش هو تنظيم سلفي وهابي خالص على العكس من القاعدة التي تضم بين صفوفها عناصر من تلاوين مذهبية سنية متنوعة.

خامساً: الضرب في الخواصر الضعيفة والرخوة، ففي العراق لعب على الورقة الطائفية، بوصفها ورقة رابحة في مشرق عربي منقسم على ذاته طائفياً وفي ظل انهيار أسس الدولة الوطنية. عليه اختار داعش مقاتلة الشيعة وليس القوات الأمريكية، مما شجع حكومات خليجية وكثيراً من المشايخ الوهابيين على دعمه وتمويله"[١].

ويقول أيضاً عن تأثر هذه الجماعة في التكفير بكتب الإمام: "لا تتمايز داعش عن أي تنظيم سلفي جهادي أو تقليدي من حيث اعتناق الوهابية مذهباً. ويشمل العقيدة والفقه ومنهج التفكير والرؤية الكونية. نظرة سريعة في المكتبة العقدية المثبتة على المواقع الإلكترونية الرسمية للتنظيم كافية لأن يتعرف المتابع بسهولة على الهوية المذهبية للتنظيم. من نافلة القول إن مؤلفات محمد بن عبدالوهاب مثل (كتاب التوحيد) و(كشف الشبهات) و(نواقض الإسلام)

---

(١) داعش من النجدي إلى البغدادي: ١٤-١٥، ٢٢.

وغيرها يجري توزيعها في المناطق الخاضعة تحت سيطرة داعش في العراق وسوريا ويعلوها ختم "الدولة الإسلامية" وشعارها باللونين الأبيض والأسود ويتم تدريس الكتب وشرحها في الحلقات الدينية الخاصة التي يعقدها الجهاز التربوي في التنظيم"(١).

ثم يقول: "تصفح النشريات والأبحاث المدرجة في المكتبة الإلكترونية في المواقع التابعة لتنظيم "الدولة" أو المقربة منه يوصل إلى حقيقة الدمغة الوهابية الواضحة في أسماء المؤلفين، وعناوين الكتيبات والأبحاث واللغة المستخدمة فيها.

النزعة التنزيهية المفرطة لدى داعش والمستمدة من العقيدة الوهابية تحولت إلى محرض عالي الكفاءة على الاستعمال المفرط للعنف، وتبني عقيدة استئصالية بوصفها مهمة متعالية أوكلت إليه من السماء. وهذه النزعة تكتسي رداءً ثقافياً وعقدياً ويجري تعميمها في هيئة تعاليم دينية، وتصورات عن الجماعة المؤمنة وفق الخصائص الواردة في كتب السلفية التقليدية..."(٢).

ثم يقول: " ما يلفت في خطاب داعش تأكيده على أنه الامتداد التاريخي والشرعي للرعيل الأول من المسلمين، وأن أتباعه من سوف يكتب على أيديهم التغيير في نهاية التاريخ، تماماً كما هي عقيدة الوهابيين الأوائل ومن جاء بعدهم من جماعات تصحيحية داخل المجال الوهابي"(٣).

ويقول كوينتان فيكتور عن (بزوغ تيار إسلاموي جهادي متطرف مستلهم من مبادئ الشيخ محمد بن عبدالوهاب): "إن السعوديين كان لهم حقاً إسهام فعال في تأسيس تيار إسلاموي جهادي مستلهم من مبادئ محمد بن عبدالوهاب، والذي كانت ولا تزال كتاباته مؤثرة للغاية"... ثم قال: " ويستخدم الجهاديون السعوديون ابن عبدالوهاب كرابط مباشر بوصلهم إلى ابن تيمية، بالرغم من أن بعض الدراسات الحديثة تدل الآن على أن تأثير ابن

---

(١) المرجع السابق: ١٢٨. وانظر: ما هي أهم الكتب والأدبيات التي يستند إليها تنظيم الدولة: https://arabi٢١.com/story/٨١٣٦٦٠/ ، "الوهابية".. المرجعية الأولى للفكر التكفيري وكره الاخر: http://archive.almanar.com.lb/article.php?id=٦٢٠٧٩٤، في ١٢/١٠/١٤٣٨هـ.

(٢) المرجع السابق: ١٢٨-١٢٩.

(٣) المرجع السابق: ١٣٠-١٣١. وانظر: حقول الدم: ٥٥١-٥٥٢، ومتاهة الحاكمية: ١٩٨، ٢٢٧.

تيمية على ابن عبدالوهاب أقل مما هو متصور تقليدياً.

وكان عمل ابن عبدالوهاب الأكثر ملاءمة للمتطرفين هو رسالة صغيرة جداً بعنوان (نواقض الإسلام) والذي يحدد فيها ابن عبدالوهاب عشرة أمور تُخرج المسلم من الدين تلقائياً"(١).

حقيقة هذه الدعوى:

سبق في الفصل الثاني في الدعوى الأولى: دعوى أن دعوة الإمام هي أصل دعوة الخوارج، وأنها دعوى قديمة، وفي هذه الدعوى دعوى انتساب التكفريين لدعوة الإمام.

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: سبق في الفصل الثاني في الدعوى الأولى: الجواب عن دعوى إنتساب أو نسبة الخوارج - في خروجهم على الحكام والولاة- لدعوة الإمام، والتفريق بين دعوة الخوارج ودعوة الإمام، وأن دعوة الإمام دعوة سلفية.

ثانيا: أن هذا الانتساب أو النسبة لا تضرُ الإمامَ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لأن مشكلتهم هي عدم فهمهم لكلام الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فكما أن التكفريين يزعمون أن أقوالهم وأفكارهم مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، وهكذا سائر الفرق الضالة، كل يستدل على ضلالته بفهمه لآيات القرآن الكريم والسنة النبوية ولا يقال أن القرآن والسنة هي سبب ضلالهم؛ وإنما سبب ضلالهم هو عدم فهمهم لكلام الله وكلام رسوله ﷺ.

واستشهاد التكفريين بكلام الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أو طبع بعض كتبه، فإنه لا يصح أن يكون سبباً لإلحاق هؤلاء التكفريين بدعوة الإمام المجدد لأنه يلزم منه أن يلحقوا بالقرآن؛ لأنهم يستشهدون بآيات من القرآن، ومثل هذا يقال في السنة النبوية.

ثالثا: أن كلام الله، وكلام رسوله ﷺ لا يمكن أن يدل على معنى باطل، ولا يمكن أن

---

(١) شجرة نسب السلفية الجهادية: ٣٦-٣٧. وانظر: السلفية الجهادية دار الإسلام ودار الكفر: ٣٥-٣٦، ومباحث في العذر بالجهل وإقامة الحجة: ٢١٥-٢١٦.

يتعارض مع بعضه، ومن توهم ذلك، فإنما أوتي من سوء فهمه للنصوص الشرعية.

فإذا كان كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قد استدل به أقوام –حسب فهمهم– على فكرهم المنحرف، فكيف بكلام عالم من العلماء، يخطى ويصيب؟ لا شك أن التجني عليه، وتأويل كلامه، من باب أولى.

رابعا: لو فرض وجود خطأ أو تجاوز أو تصرف من بعض من ينتسب إلى الإسلام فإنه لا يحمل على الإسلام؛ فكذلك إذا وجد خطأ أو تجاوز أو تصرف من بعض من ينتسب إلى دعوة الامام؛ فإنه لا يجوز نسبة ذلك إلى دعوة الإمام، ولا أن تتحمل الدعوة خطاءه.

يقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الإمام محمد: "وما حدث بعده أو في وقته من خطأ، أو تعد، فلا يجوز نسبته إليه، وأنه أمر به ورضيه، وقد جرى لأسامة بن زيد في دم الجهني، وجرى لخالد بن الوليد في دماء بني جذيمة وأموالهم، ما لا يجهله أهل العلم والإيمان، وذلك في عهده ﷺ، وقد برئ منه وأنكره، فقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد»[١]. وقال لأسامة: «أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟ كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟»[٢]... إلى أن قال: وبالجملة، فالواجب أن يتكلم الإنسان بعلم وعدل، ومن فاته العلم فحسبه السكوت إن كان يؤمن بالله وباليوم الآخر، ومن خلع ربقة الدين من عنقه، فليقل ما شاء الله، والله بما يعملون بصير"[٣].

خامسا: أن سبب نسبتهم للتكفيرين لدعوة الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب مع وجود ووضوح الفرق بينهما هو الجهلُ بالأحكام الشرعية، أو الجهل بدعوة الإمام المجدد أو الجهل بحال التكفريين، وذلك أنهم لما رأوا الإمام محمد بن عبد الوهاب كفّر من يستحق ذلك، ورأوا التكفريين كفروا؛ ألحقوا هؤلاء التكفريين بدعوة الإمام، وزاد اللبس أنهم رأواهم طبعوا كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب، بل ويردد جمع منهم بعض كلمات الإمام.

وهذا مردود لأن التكفير بحق لا تمنعه الشريعة، وله أسبابه ودوافعه عند الإمام محمد بن

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، برقم: ٤٣٣٩.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، برقم: ٩٧.
(٣) منهاج التأسيس: ٢٨.

عبدالوهاب، وهي أسباب ودوافع حقٍ شرعاً بخلاف هؤلاء التكفريين، ويلزم على قولهم أيضا إلحاق هؤلاء التكفريين المكفرين بغير حق بكل من كفر بحق من الصحابة والأئمة وغيرهم.

وهذا ما لا يصح بحال؛ لأن مقتضاه المساواة بين الحق والباطل، قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ [فاطر: ١٩-٢٢].

سادسا: أن مطلق الاشتراك بين طائفتين لا يلزم أنهما سواء؛ ما لم يكن الاشتراك فيما هو موجب لتحزب هذه الطائفة أو سبب لتفرقها، ولو كان مطلق الاشتراك كافياً لألحق الرافضة بأهل السنة؛ لأنهما يحبان علي بن أبي طالب وآل البيت.

فعلى هذا لا يصح أن يلحق التكفريون بدعوة الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب لمطلق الاشتراك في التكفير، فلا يلحق التكفير بالباطل الذي نهت عنه الشريعة بالتكفير بحق الذي جاءت به الشريعة.

سابعا: أن استدلالهم ببعض كلام الإمام محمد بن عبد الوهاب قد يكون من الحق الذي عندهم، فليس كل ما عندهم باطل، فبعضهم ينكر الشرك الأكبر وهو صرف العبادة لغير الله وهذا حق، لكن ليس معنى أن عندهم شيئاً من الحق أنهم على الحق، فالنصارى عندهم شيء من الحق كالإقرار بوجود الله لكن عندهم مكفرات كفروا بها، وهكذا يقال في التكفريين عندهم شيء من الحق، لكن عندهم غلو في التكفير مما جعلهم ضلالاً.

ثامنا: أن احتجاج أهل الباطل بأنهم مع أهل الحق لا يلتفت إليه؛ لأنهم لو كانوا معهم لكانوا على الحق؛ لذا قد يخطئون ويظنون هذا كلام أهل الحق وليس كذلك، كما يخطئون في الاستدلال بالأدلة وليست كذلك.

ومن ذلك ما ذكره الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث قال في

---

(١) عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الرحمن العنقري، المحدث الفقيه النحوي، له من المؤلفات: حاشية على الروض المربع شرح زاد المستقنع في الفقه الحنبلي، وله تعليقات على نونية الإمام ابن القيم. توفي ١٣٧٣هـ. انظر: مشاهير علماء نجد: ٢٤٦، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون: ٤/٢٥٦.

رسالة له -في بيان من أخطأ في فهم كتاب الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك للشيخ سليمان بن عبدالله رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكتاب سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك للشيخ حمد بن عتيق رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: " وقد بلغنا أن الذي أشكل عليكم أن مجرد مخالطة الكفار، ومعاملتهم بمصالحة ونحوها وقدومهم على ولي الأمر؛ لأجل ذلك أنها هي موالاة المشركين المنهي عنها في الآيات والأحاديث، وربما فهمتم ذلك من الدلائل التي صنف الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ، ومن سبيل النجاة للشيخ حمد بن عتيق".

ثم ذكر سبب التصنيف، ثم قال: "فمعرفة سبب التصنيف مما يعين على فهم كلام العلماء، فإنه -بحمد الله - ظاهر المعنى، فإن المراد به: موافقة الكفار على كفرهم، وإظهار مودتهم ومعاونتهم على المسلمين، وتحسين أفعالهم، وإظهار الطاعة والانقياد لهم على كفرهم، والإمام -وفقه الله - لم يقع في شيء مما ذكر فإنه إمام المسلمين والناظر في مصالحهم، ولابد له من التحفظ على رعاياه وولايته من الدول الأجانب.

والمشايخ رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ كالشيخ سليمان بن عبد الله، والشيخ عبد اللطيف، والشيخ حمد بن عتيق إذا ذكروا موالاة المشركين فسروها بالموافقة والنصرة والمعونة والرضا بأفعالهم، فأنتم -وفقكم الله - راجعوا كلامهم تجدوا ذلك كما ذكرنا"(١).

تاسعا: قد يتعمد التكفيريون الانتساب لطائفة زكية ذات مرتبة علية كدعوة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، ليروج مذهبهم على الناس.

عاشرا: بالمقارنة بين دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب ودعوة هؤلاء المنتسبين له أو المنسوبون له نجد فروقاً كثيرة بمجرد مطالعة سيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب العلمية والعملية ومن بعده من أنصار هذه الدعوة ومطالعة سيرة هؤلاء التكفريين العلمية والعملية، ومن تلك الفروق:

الفرق الأول: في حقيقة الدعوة(٢):

---

(١) الدرر السنية: ١٥٧/٩.

(٢) انظر: الدرر السنية: ٢٢٢/١، وحقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب للشيخ صالح الفوزان، وحقيقة دعوة الشيخ

فدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوة للدين كله وأهمه الدعوة إلى التوحيد، وقد ظهر هذا جلياً في مؤلفاته ورسائله وسيرته العلمية والعملية، وهو ظاهر في أبنائه وأنصار دعوته من العلماء والحكام، وهم على هذا المنهج من حماية التوحيد ونشره ومحاربة الشرك ودحره.

وهذا بخلاف التكفيريين الذين دعوتهم دعوة علو في الأرض وفساد فيها: بتكفيرٍ وتفجير وسفك للدماء.

الفرق الثاني: التكفير:

فالإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يكفر إلا بفعل المكفرات، أما الذنوب فلم يكفر بها، وهذا بخلاف التكفيريين الذين يكفرون بالذنوب.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قد قدمنا أننا لا نكفر بالذنوب، وإنما نقاتل ونكفر من أشرك بالله، وجعل لله نداً يدعوه كما يدعو الله، ويذبح له كما يذبح لله، وينذر له كما ينذر لله ويخافه كما يخاف الله، ويستغيث به عند الشدائد، وجلب الفوائد، ويقاتل دون الأوثان والقباب المبنية على القبور، التي اتخذت أوثانا تعبد من دون الله"(١).

وقال العلامة عبد اللطيف بن عبدالرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والخوارج كفرت بأمور ظنتها ذنوباً وليست كذلك، وبذنوب محققة دون الشرك والتنديد، وأما الرسل وأتباع الرسل فكفروا من لم يؤمن بالله، أي: بربوبيته، وإلهيته، وتوحيده، وإفراده بالعبادة، ومن جعل له نداً يدعوه ويعبده، ويستغيث به ويتوكل عليه ويعظمه، كما فعلت الجاهلية من العرب، ومشركو أهل الكتاب، فتكفير هؤلاء ومن ضاهاهم وشابههم ممن أتى بقول أو فعل يتضمن العدل بالله، وعدم الإيمان بتوحيده وربوبيته وإلهيته وصفات كماله، والإيمان برسله وملائكته، وكتبه، والإيمان بالبعث بعد الموت، وكل ما شابه هذا من الذنوب المكفرة كما نص عليه علماء الأمة، وبسطوا القول فيه، حتى كفروا من أنكر فرعاً مجمعاً عليه إجماعاً قطعياً، كما مرت حكايته عن الحنابلة.

وأما الخوارج فلم يفصلوا ولم يفقهوا مراد الله ورسوله، فكفروا بكل ذنب ارتكبه المسلم.

---

(١) الدرر السنية: ١/٣١١.

فمن جعل التكفير بالشرك الأكبر من هذا الباب، فقد طعن على الرسل وعلى الأمة، ولم يميز بين دينهم ومذهب الخوارج، وقد نبذ نصوص التنزيل واتبع غير سبيل المؤمنين"(١).

الفرق الثالث: القتال:

فالإمام محمد بن عبد الوهاب لم يقاتل ابتداءا، بل كان قتاله قتال دفع، فإن الناس قاتلوهم؛ لأنهم أهل توحيد ينكرون الشرك وعبادة الأولياء وقصد الأضرحة.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأما القتال فلم نقاتل أحداً إلى اليوم، إلا دون النفس والحرمة ; وهم الذين أتونا في ديارنا، ولا أبقوا ممكنا، ولكن قد نقاتل بعضهم، على سبيل المقابلة، وجزاء سيئة سيئة مثلها؛ وكذلك من جاهر بسب دين الرسول، بعد ما عرفه، فإنا نبين لكم أن هذا هو الحق، الذي لا ريب فيه، وأن الواجب إشاعته في الناس، وتعليمه النساء، والرجال"(٢).

وهذا بخلاف التكفيريين، فلم يقاتلوا على التوحيد وإفراد الله بالعبادة، وإنما غالب قتالهم للمسلمين لأمرين:

الأول: لأنهم كفروهم وكفروا حكامهم، فجعلوهم مرتدين.

الثاني: أنهم قاتلوا لإدخال الناس تحت حكمهم، ومن لم يوافقهم كفروه وقتلوه.

الفرق الرابع: تكفير المعين:

من توقي الإمام في التكفير أنه لم يكفر معينين تلبسوا بالشرك الأكبر المجمع على أنه كفر لوجود مانع من تكفيرهم وهو جهلهم وعدم من ينبههم، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم، الذي على عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي، وأمثالهما، لأجل جهلهم، وعدم من ينبههم"(٣).

وقال: "إنا لا نقاتل إلا على ما أجمع عليه العلماء كلهم، وهو الشهادتان بعد التعريف،

---

(١) مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام: ١٢٦.

(٢) الدرر السنية: ١/٧٣، ٣١١، ٣١٧.

(٣) المرجع السابق: ١/١٠٤.

إذا عرف ثم أنكر"(١).

وقال الإمام عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ونحن كذلك لا نقول بكفر من صحت ديانته وشهر صلاحه، وعلم ورعه وزهده، وحسنت سيرته، وبالغ في نصح الأمة ببذل نفسه لتدريس العلوم النافعة والتأليف فيها، وإن كان مخطئاً في هذه المسألة أو غيرها "(٢).

وقال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان من هو المستحق للتكفير عند الإمام المجدد: "هذا القول الذي قاله شيخنا وقرره في تكفير من عرف أن التوحيد دين الله، وأن الاعتقاد في الشجر والحجر هو الشرك الذي قاتل عليه رسول الله ﷺ، ومع هذه المعرفة أعرض عنه ولم يقبله تعلماً وعملاً، هو الذي دل عليه الكتاب العزيز والسنة النبوية ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [فصلت:١٣]، ولم يقل فإن لم يعرفوا؛ بل رتب ذلك على نفس الإعراض"(٣).

وهذا يخالف حال التكفريين من كل وجه، فإنهم كفروا حكام المسلمين بلا إقامة حجة، وكفروا رجال الأمن، بل يكفرون كل من لم يوافقهم على أعمالهم وأقوالهم.

وهذه بعض الفروق بين دعوة المجدد محمد بن عبد الوهاب وأتباعه وبين هؤلا التكفريين، ولا تصح النسبة ولا الانتساب بينهما(٤).

---

(١) المرجع السابق: ٣١٧/١١.

(٢) رسالة في حكاية المباحثة مع علماء مكة في حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: ٩٥. وانظر: الدرر السنية: ٢٣٤/١

(٣) مصباح الظلام: ٢١٨.

(٤) وللمزيد انظر: منهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب في التكفير: ٣٤-٦٦، ٣٩٠-٤٠٤، والتكفير عند جماعات العنف المعاصرة: ١١٣-١٢٥، وتقريرات أئمة الدعوة في مخالفة مذهب الخوارج وإبطاله: ٣٩٥-٥٠٠، وبراءة دعوة الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب من الخوارج: ٧٠-٧٣، ٧٧-٧٨، ٨٣-٨٧.

المطلب الرابع: دعوى التكفير السياسي

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى التكفير السياسي، وأن تكفير الإمام لخصوم الدعوة كان سياسياً وليس دينياً، وأنه كان على خطوات، فبدأ دينياً ثم انتهى سياسياً.

يقول أحمد النفيس: "يأتي النهج الوهابي أي التكفير السياسي الذي يستهدف المسلمين الذين لا يؤمنون بالولاية السياسية للسلطة الوهابية.

الخطوة الأولى:

تتمثل في إقناع الناس أن صفة المسلم الموحد لا تنطبق على كل من قال لا إله إلا الله بل إن الاعتراف الوهابي بإسلام غيرهم متوقف على عدة شروط (مراغمة لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾، [النساء: ٩٤]،) حيث يقول: (إذا عرفت حديث أنس، عرفت أن قوله في حديث عتبان: «فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله» أنه ترك الشرك ليس قولها باللسان بل هناك شروط (أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده تبين لك معنى قول: (لا إله إلا الله) وتبين لك خطأ المغرورين) ومن بين هذه الشروط ما جاء في حديث عتبان، ص ٤ التوحيد...

متى كان الإقرار بالشهادتين وإعلان الدخول في الإسلام بحاجة لاعتراف أو قبول من أحد من البشر كائناً من كان؟!

ومتى كان القبول والإقرار بشهادة لا إله إلا الله متوقفاً على شرط أو شروط كما زعم ويزعم الخوارج القدامى والمعاصرون؟!

إنها كارثة بل ومؤامرة بل وفتنة أخلاقية وسياسية ودينية كان من المحتم والضروري على المسلمين أن يستنفروا جهودهم لإجهاضها ورفضها ولكن أين المسلمين (كذا)؟ في زمن عز فيه الرجال أو كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: «يا أشباه الرجال ولا رجال! حُلوم

الأطفال، وعقول ربات الحجال»"[١].

ويقول الحسن بن علي الكتاني: "وهم أنفسهم -أي النجديون- لم يطردوا هذا الأصل - يعني عدم الخروج على الولاة- فإنهم حاربوا العثمانيين لكنهم لم يحاربوا العراق ولا الشام بعدما احتلها الإنجليز والفرنسيون، وكذلك الحال في اليمن وفي سائر إمارات الخليج.

فلو كان الأمر جهاداً لنصرة التوحيد ولتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فقد كان ينبغي عليهم الاستمرار في القتال وتوحيد بلاد الإسلام تحت خلافة راشدة سنية موحدة.

أما التوقف عن القتال، بل قتال كل من رفض التوقف ومحاربته بفتوى أئمة الدعوة فهذا مما لا يستقيم.

وأيضاً، فإن النجديين كفروا أهل الحجاز والشام واليمن والأحساء والعراق ومصر وغيرها لكونهم مشركين وفي بلادهم القباب والشعائر الشركية، فلما استتب لهم الملك وأسسوا دولتهم وأقاموا العلاقات مع تلك البلاد عاملوا من دخل طاعتهم معاملة المسلمين وتركوا كثيراً مما كانوا عليه من قبل، مع بقاء تلك القباب في جميع البلاد التي لم تدخل تحت ملكهم.

فإما أن يكونوا قد أخطأوا سابقاً وأصابوا لاحقاً أو العكس. ولا يتصور غير ذلك"[٢].

حقيقة هذه الدعوى:

سبق في الفصل الثاني، في الدعوى الرابعة فرية أن دعوة الإمام حركة سياسية وليست دعوة دينية، وفي هذه الدعوى تفريع لها أن التكفير كان سياسيا، ولم يكن دينيا[٣].

---

(١) نقض الوهابية: ٣٧.

(٢) مباحث في العذر بالجهل وإقامة الحجة: ١٣٤، ٢٥١.

(٣) انظر: إله التوحش: التكفير والسياسة الوهابية للديري الرافضي، www.alhabibali.com/writing/التكفير-السياسي/، الحروب الوهابية على الحجاز، التكفير أساس الغزو: https://ahlalsonnah.wordpress.com/٢٠٠٩/٠٧/٢٦/، مراجعات للوهابية: التكفير بين الديني والسياسي: http://www.alhayat.com/Opinion/Khaled-El-Dakheel/٤٨٠٤٣٣٢، التكفير "السياسي" لمملكة #آل_سعود: من العميد إلى الحفيد:

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: أن دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوة سلفية دينية وليست حركة سياسية، فإن الباعث على دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو ما رآه من مخالفات ووقوع في الشرك في بلده، فقام امتثالا لأمر الله ﷻ ونصرة للتوحيد.

فهي دعوة سلفية ليست ذات مذهب خاص بها، وإنما هي الدعوة إلى الإسلام بكل مبادئه وتعاليمه الخالصة من شوائب الشرك والوثنية والبدع، وهي تهدف إلى تصحيح العقيدة الإسلامية في نفوس أتباعها وتطهيرها مما علق بها من أدران الشرك والبدع والخرافات [١].

كما تهدف إلى تطبيق أحكام الإسلام وشعائره وحدوده وإقامة مجتمع إسلامي يؤمن بالإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة.

ثانيا: أن حقيقة دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب أنها دعوة إصلاحية جامعة للأمور الدينية والسياسية معاً؛ لأن الإسلام بطبيعته دين ودولة[٢]. فالدعوة اهتمت وركزت على الإصلاح الديني، وذلك أن الانحراف الديني في العالم الإسلامي في ذلك الوقت يفوق تدهوره السياسي، ثم إن إصلاح العقيدة الإسلامية في نفوس المجتمع الإسلامي أساس كل إصلاح[٣].

يقول أكرم حجازي: "إن الوهابية هي دعوة سلفية خالصة لها قواعدها وأصولها، ومن مهماتها إحياء علوم الدين وتصحيح الانحرافات وتفكيك الأساطير والخرافات ومظاهر الشرك وإعادة الناس إلى الفطرة الدينية السليمة باعتماد "الدليل الشرعي" الذي أكسبها لاحقاً صفة "سلفية الدليل".

وبما أنها دعوة دينية فمن المستبعد أن تقدم السلفية نفسها أو تكون انعكاساً لتكوينات

---

http://www.alalam.ir/news/١٨٥٩٤٣٥، في ١٢/١٠/١٤٣٨هـ.

(١) انظر: حركة الإصلاح الديني في القرن الثاني عشر، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١): ١٣٧، والحياة الأدبية في جزيرة العرب ص١٣ وما بعدها.

(٢) المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري: ٤٣٩. وانظر: كتاب الفكر العربي في مائة سنة: ٢٧٧، ودعوة حركة الإصلاح السلفي. المجلة التاريخية المصرية: ٧/٩٠.

(٣) داعية التوحيد محمد بن عبد الوهاب: ١١. وانظر: حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، ضمن مجلة البحوث، العدد (٢١): ١٢٨، تطبيقات السياسة الشرعية عند الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب.

اجتماعية أو طائفة دينية أو سياسية، ولعل سر ديمومتها واتساعها هو فيما تدعو إليه من العودة إلى الفطرة والتمسك بسيرة السلف في فهمهم للدين والعمل به وليس بسبب توجيهات سياسية من السلطة ولا بسبب امتلاكها الإمكانات المادية كما يروج البعض وهو ما كانت تفتقده أصلاً حين النشأة، فضلاً عن أن مؤسسها، وإن كان والده قاضياً، إلا أنه كان من عائلة نجدية صغيرة وفقيرة.

ولأنها سلفية فهذا يعني أنها تفكر في العقيدة من أجل العقيدة ومن أجل المعتقدين بها"[١].

ثالثا: أن قيام الإمام محمد بن عبدالوهاب بهذه الدعوة وبحثه عن من ينصر دعوته – وهو ما حصل من الإمام محمد بن سعود–، لا يعتبر هذا أمر سياسيا – وإن كانت السياسة لا تخرج عن الدين–؛ لأن الحق لابد له من ينصره، وهذا هو فعل النبي ﷺ، فقد كان النبي ﷺ يعرض نفسه على القبائل يبحث عن من ينصر دعوته، وخرج إلى المدينة لما تعهد له أهلها بنصرته[٢].

رابعا: أن الإمام محمد بن عبد الوهاب اعتمد في دعوته على ثلاثة مصادر[٣]:

أولها: القرآن الكريم: المصدر الأول للتشريع الإسلامي.

ثانيها: السنة النبوية: وهي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي.

ثالثها: آثار السلف الصالح: من الصحابة والتابعين وتابعيهم وخاصة الأئمة الأربعة: أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل. كما أنه تأثر بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم حيث اهتم بمؤلفاتهم، وتأثر بآرائهم وأفكارهم.

ومن يطلع على مؤلفات الإمام ورسائله يدرك اهتمامه وعنايته بكتاب الله تعالى وسنة

---

(١) دراسات في السلفية الجهادية: ٤٠–٤١. وانظر كتاب: السلفية الجهادية في السعودية: ٥٠–٥١

(٢) انظر: بيان حقيقة دعوة الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب للشيخ صالح الفوزان، وحقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب للشيخ حماد العمر، والوهابية وزعيمها الشيخ محمد بن عبد الوهاب. مجلة العربي الكويتية العدد ١٤٧ فبراير: ٢٦. وآل سعود لأحمد علي: ٢١٢.

(٣) انظر: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لمحمد السلمان: ٣٤–٣٨، وانظر مؤلفات الشيخ في التمهيد من هذا البحث.

رسوله ﷺ، ولا يمكن لمن يعتمد على هذه المصادر أن يكون تكفيره سياسيا.

خامسا: قول أحمد النفيس: "متى كان الإقرار بالشهادتين وإعلان الدخول في الإسلام بحاجة لاعتراف أو قبول من أحد من البشر كائناً من كان؟!".

هذا لم يقله أحد من أهل العلم! وأين هذا الكلام في كتب الإمام وأتباعه؟

سادسا: قوله: "ومتى كان القبول والإقرار بشهادة لا إله إلا الله متوقفاً على شرط أو شروط كما زعم ويزعم الخوارج القدامى والمعاصرون؟!".

قد نص أهل العلم على أن قول لا إله إلا الله يوجب اسم الإسلام ويحرّم مال قائلها ودمه، وقد بوب الإمام ابن مندة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الإيمان[١]: "ذكر ما يدل على أن قول لا إله إلا الله يوجب اسم الإسلام ويحرم مال قائلها ودمه، وذكر فيه حديث المقداد رضي الله عنه، قال: قلت يا رسول الله أرأيت إن اختلفت أنا ورجل من المشركين ضربتين فقطع يدي، فلما هويت إليه لأضربه قال: لا إله إلا الله، أأقتله؟ أم أدعه؟ قال: "بل دعه"[٢].

وقال ابن المنذر[٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم على أن الكافر إذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأن كل ما جاء به محمد حق، وأتبرأ من كل دين خالف دين الإسلام، وهو بالغ صحيح يعقل: أنه مسلم. فإن رجع بعد ذلك فأظهر الكفر كان مرتداً يجب عليه ما يجب على المرتد"[٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " وهذا مما اتفق عليه أئمة الدين، وعلماء المسلمين، فإنهم مجمعون على ما علم بالاضطرار من دين الرسول، أن كل كافر فإنه يدعى إلى

(١) الإيمان لابن منده: ١/ ١٩٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، برقم: ٤٠١٩، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، برقم: ٩٥.

(٣) الإمام الحافظ العلامة أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، فقيه مجتهد، من الحفاظ، صاحب التصانيف في اختلاف العلماء، ومنها: الإشراف على اختلاف العلماء، والإجماع، وغيرها، توفي سنة: ٣١٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: ١٤/ ٤٩٠- ٤٩٢، وطبقات الشافعية: ٢/ ١٢٦.

(٤) الإشراف على مذاهب العلماء: ٨/ ٧٧.

الشهادتين، سواء كان معطلاً، أو مشركاً، أو كتابياً، وبذلك يصير الكافر مسلماً، ولا يصير مسلماً بدون ذلك"(١).

ويقول الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ" وفي حديث ابن عباس من الفوائد –حديث بعث معاذ إلى اليمن– الاقتصار في الحكم بإسلام الكافر إذا أقر بالشهادتين"(٢).

فهذه بعض النصوص عن الأئمة واضحة في تقرير هذا الأصل – وهو الدخول في الإسلام بالشهادة–، فإذا نطق بالشهادتين حكم بإسلامه.

فإذا أقر بهذه الشهادة؛ فلا بد من العمل بمقتضاها، ولا تُقبل من قائلها ولا ينتفع بها إلا إذا أدى حقها وفرضها واستوفى شروطها الواردة في الكتاب والسنة(٣)، وليس "المراد من ذلك عد ألفاظها وحفظها؛ فكم من عامي اجتمعت فيه والتزمها ولو قيل له أعددها لم يحسن ذلك، وكم حافظٍ لألفاظها يجري فيها كالسهم وتراه يقع كثيراً فيما يناقضها، والتوفيق بيد الله"(٤).

فكلمة التوحيد "لا إله إلا الله" سبب لدخول الجنة والنجاة من النار ومقتض لذلك؛ ولكن المقتضي لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه أو لوجود مانع، فالمنافقون يقولون: لا إله إلا الله وهم في الدرك الأسفل من النار.

روى ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسنده عن قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال في قول الله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧] "وإن المنافق تكلم بلا إله إلا الله فأضاءت له في الدنيا فناكح بها المسلمين وغازى بها المسلمين ووارث بها المسلمين وحقن بها دمه وماله. فلما كان عند الموت سلبها المنافق لأنه لم يكن لها

---

(١) درء التعارض: ٧/٨. المرجع السابق: ٤٢، وانظر كتاب: السلفية الجهادية في السعودية: ٥٠-٥١.

(٢) فتح الباري: ٣٦٧/١٣.

(٣) انظر: كلمة الإخلاص لابن رجب: ١٤، وشروط شهادة أن لا إله إلا الله، تأصيلا ودراسة لمحمد عبدالله مختار محمد: ١٥٣/١ وما بعدها.

(٤) معارج القبول: ١/ ٣٧٧.

أصل في قلبه ولا حقيقة في علمه"[١].

فقوله: "لم يكن لها أصل في قلبه" إشارة إلى الشروط القلبية، وقوله: " ولا حقيقة في عمله" إشارة إلى الشروط العملية.

وجاء عن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قيل له: إن ناساً يقولون: من قال " لا إله إلا الله" دخل الجنة؛ فقال: " من قال " لا إله إلا الله" فأدَّى حقها وفرضها دخل الجنة"[٢].

وقيل لوهب بن منبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: بلى، ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك"[٣].

سابعا: قول الحسن بن علي الكتاني عن النجديين: " إنهم حاربوا العثمانيين لكنهم لم يحاربوا العراق ولا الشام بعدما احتلها الإنجليز والفرنسيون، وكذلك الحال في اليمن وفي سائر إمارات الخليج..."

فقد سبق في المبحث الثاني من هذا الفصل بيان منهج الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث يقول: "وأما القتال فلم نقاتل أحدا إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة، وهم الذين أتونا في ديارنا ولا أبقوا ممكنا؛ ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثۡلُهَا ﴾[الشورى: ٤٠]. وكذلك من جاهر بسب دين الرسول بعدما عرفه"[٤].

ويذكر في رسالة أخرى أن علماء المسلمين أجمعوا على أن من صدق الرسول في شيء وكذبه في شيء آخر فهو كافر حلال الدم والمال، وإخلاص التوحيد لله تعالى أهم ما جاء به الرسول ﷺ، فكيف نقاتل من ينكر الصلاة والزكاة ولا نقاتل من ينكر إخلاص التوحيد لله[٥]، وهذا منهج الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في القتال.

---

(١) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها: ١٤. وانظر: تفسير الطبري: ١/٣٣٨.

(٢) المرجع السابق: ١٤.

(٣) رواه البخاري معلقا، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الجنائز، ومن كان آخر كلامه: لا إله إلا الله: ٢/٧١. وانظر: كلمة الإخلاص وتحقيق معناها: ١٤.

(٤) مؤلفات الشيخ: ٥/٣٧.

(٥) انظر: كشف الشبهات: ٣٧-٤١، والوهابية، ضمن مجلة الزهراء، المجلد الثالث، صفر ١٣٤٥هـ: ٩٦-٩٧.

كما أن الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومن بعده أتباعه سلكوا عدة أساليب في دعوة المخالفين من إرسال العلماء، وكتابة الرسائل[١]، ثم يأتي القتال في أخرها. ولم يتغير منهجهم في ذلك؛ وإنما هو حسب القدرة والإمكانية. وللذلك كان لهذه الدعوة الأثر – ولا يزال ولله الحمد- سواء داخل الجزيرة أو خارجها[٢].

أما عن سبب عدم محاربتهم للعراق والشام بعدما احتلها الإنجليز والفرنسيون؛ فإن دولة الدعوة مرت بمراحل ما بين قوة وضعف، فكان لها انتصارات عظيمة وانتشار في جميع بلاد الإسلام، حتى وصل الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ – في الدولة السعودية الأولى- إلى كربلاء بالعراق في عام (١٢١٦هـ) [٣]، ثم مرت بها مراحل ضعف سقطت فيه الدولة السعودية الأولى (١٢٣٣هـ)، ثم عادت الدولة السعودية مرة ثانية ثم سقطت (١٣٠٩هـ)، ثم عادت الدولة السعودية مرة ثالثة، ولا تزال بحمد الله قائمة – حرسها الله من كل مكروه-[٤]، فالقتال عندهم لمن بدل دين الله وعظم القبور والأوثان مرتبط بالقدرة والإمكانية.

---

(١) انظر: الرسائل الشخصية للإمام ضمن مجموع مؤلفاته الجزء السادس، المرجع السابق: ٣٧/٥، الرسائل الدعوية للأئمة من آل سعود في الدولة السعودية الأولى والدولة السعودية الثانية للفريح، وعقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب للعبود.

(٢) انظر: عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب للعبود: ١١٧-٤٦٢، والشيخ محمد بن عبدالوهاب لآل بوطامي: ٩٩-١٦٣، وسلفية لا وهابية: ٤١٦-٤٣٨.

(٣) انظر: عنوان المجد: ٢٥٧/١.

(٤) انظر: تاريخ الدولة السعودية الثانية: ٢٣٠، ٢٤٢، والضياء الشارق في رد شبهات المذق المارق: ٦٠.

المطلب الخامس: دعوى تقسيم الدول إلى دار إسلام ودار كفر بحسب اتباع الإمام

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى تقسيم الدول إلى دار إسلام ودار كفر، فمن كان مع الإمام وتابعه فهي دار إسلام، وإلا فدار كفر.

يقول فؤاد إبراهيم: "قسم الشيخ ابن عبدالوهاب العالم إلى دارين: دار إيمان أو إسلام، ودار كفر أو حرب. ومثّلت الدرعية دار الإسلام، التي تحولت إلى أول إمارة إسلامية تقام في الجزيرة العربية، تمهيداً لإقامة الخلافة الإسلامية، إن أمكن ذلك.

وأملى تأسيس الإمارة الإسلامية في الدرعية قطع السبيل على أشكال التحالف القائمة بين الدرعية وما جاورها، فقد فرضت الإمارة قواعد جديدة صارمة لا تقوم على مبدأ التسويات السلمية، أو العلاقات المتكافئة، أو المصالح المتبادلة، بل كانت تملي تنازل الآخر ورضوخه الطوعي أو القهري للكيان الجديد. وقد تم تطبيق هذه القواعد منذ أول احتكاك خارجي بين الدرعية والإمارات المجاورة، وبدأ مشروع الغزو يكتسح المجال الجغرافي الحيوي للجزيرة العربية ويقضمها لتكون جزءاً من الإمارة الإسلامية"[١].

ويقول سعيد الكثيري: "أما الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ فلم ترفع راية الجهاد داخل دار الإسلام منذ عهد الخوارج إلا في عهده. ومع تسليمنا واعترافنا بأن دعوته أحدثت أعظم حركة تصحيح عقائدي في القرون الأخيرة، إلا أن أفكاره التكفيرية والجهادية كانت شديدة الغلو، وما زالت تثير الفتنة وتغذيها، وتنتج أهل الغلو حتى لحظتنا الراهنة.

لم تنتقل دار الحرب إلى الديار الإسلامية إلا في عهد الخوارج وفي عهد الشيخ محمد بن عبدالوهاب!.

لم تُرفع راية الجهاد والفتح والغزو والغنائم داخل موطن العروبة ومهد الإسلام إلا في عهد الخوارج وفي عهد الشيخ محمد بن عبدالوهاب !.

---

(١) السلفية الجهادية في السعودية: ٢٤.

لم ينظر أي عالم إلى الجزيرة ومصر والشام والعراق على أنها دار حرب وديار خروج من الملة، وذلك منذ عهد الخوارج إلى عهد الشيخ محمد!"(١).

حقيقة هذه الدعوى:

هذه الدعوى مبنية على اعتقاد المناوئين بأن تكفير الإمام محمد بن عبدالوهاب للمخالفين من عباد القبور والمشركين غير صحيح، وأن هذا التكفير مبني على مخالفة عقيدة الإمام- حسب زعمهم-، فمن وافق دعوة الإمام فهي دار إسلام، ومن خالفها فهي دار كفر.

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: أن الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ قسم الدور إلى: دار إسلام ودار كفر بناء على حال أهلها، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن بني عبيد القداح(٢): " فإنهم ظهروا على رأس المائة الثالثة، فادعى عبيد الله أنه من آل علي بن أبي طالب، ومن ذرية فاطمة، وتزيَّ بزي أهل الطاعة والجهاد في سبيل الله، فتبعه أقوام من أهل المغرب وصار له دولة كبيرة من المغرب ولأولاده من بعده، ثم ملكوا مصر والشام، وأظهروا شرائع الإسلام، وإقامة الجمعة والجماعة، ونصبوا القضاة والمفتين، لكن أظهروا الشرك ومخالفة الشريعة، وظهر منهم ما يدل على نفاقهم وشدة كفرهم، فأجمع أهل العلم: أنهم كفار وأن دارهم دار حرب مع إظهار شعائر الإسلام وشرائعه، وفي مصر من العلماء والعباد أناس كثير، وأكثر أهل مصر لم يدخل معهم فيما أحدثوه، مع ذلك أجمع العلماء على ما ذكرنا، حتى إن بعض أهل العلم المعروفين بالصلاح(٣) قال: لو أن معي عشرة أسهم لرميت بواحد منها النصارى المحاربين، ورميت بالتسعة بني عبيد"(٤).

فأوضح الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ إجماع أهل العلم على أن بني عبيد القداح كفار، وأن دارهم دار حرب مع إظهارهم شعائر الإسلام، أما أهل مصر فذكر منهم العلماء والعباد، وأن أكثرهم لم

---

(١) المناظرة الثالثة: الدعوة الوهابية وموقفها من تكفير الممارسات الشعائرية عند القبور، ضمن كتاب جدل الدين والسياسة: ٢٨٨.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: ٣٥/١٢٨-١٣١، وسير أعلام النبلاء ١٥/١٥٤، والبداية والنهاية: ١١/٣٤٦.

(٣) هو محمد بن أحمد بن سهل الرملي، ويعرف بابن النابلسي. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء: ١٦/١٤٨.

(٤) الدرر السنية: ٩/٣٩٣، ١١/٣٩٤.

يدخل معهم؛ بل أنكر عليهم.

وسئل الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إذا كان في البلدة وثن يدعى من دون الله، ولم ينكر، هل يقال هذه بلدة كفر؟ أو بلدة إسلام؟

فأجاب: لا ينبغي الجزم بأحد الأمرين، لاحتمال أن يكون في البلد جماعة على الإسلام مظهرين ذلك، فإن هذه الدعوة التي ظهرت بنجد، ومكنها الله بالجزيرة، قد قبلها أناس، كما بلغنا عن الأفغان، والصومال، أن في كل منهما طائفة تدين بالتوحيد، وتظهره، وقد يكون غيرهم كذلك، لأن هذه الدعوة قد شاعت في كل بلاد، وقرؤوا مصنفات شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، فيما أجاب من عارضه، وقد بلغنا من ذلك عن بعض أهل الأقاليم، ما يوجب التوقف"(١).

فهذا هو منهج الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأتباعه في تحديد دار الإسلام من دار الكفر، وهو في ذلك لم يخرج عن كلام أهل العلم.

ثانيا: ما سبق ذكره من منهج الإمام في تحديد دار الإسلام ودار الكفر لم يخرج فيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أقوال أهل العلم، فقد قسم العلماء الدور التي يسكنها المسلم إلى قسمين(٢):

١- دار إسلام: وهي التي يغلب عليها ظهور شرائع الإسلام، ويحكم فيها المسلمون بحكم الإسلام وتعاليمه، ولو كان غالب سكان تلك البلاد من الكفار.

٢- دار كفر: وهي الدار التي لا يحكم فيها المسلمون، ولا يظهر فيها تطبيق لتعاليم الإسلام.

وفي فتاوى اللجنة الدائمة: "كل بلاد أو ديار يقيم حكامها وذوو السلطان فيها حدود الله، ويحكمون رعيتها بشريعة الإسلام، وتستطيع فيها الرعية أن تقوم بما أوجبته الشريعة الإسلامية عليها، فهي دار إسلام...

---

(١) الدرر السنية: ٩/٢٥٤.

(٢) انظر: أحكام أهل الذمة: ١/ ٣٦٦، بدائع الصنائع: ٧/١٣٠، المبسوط: ١٠/١١٤، المغني مع الشرح الكبير: ١٠/ ٩٥، كشاف القناع: ٣/ ٤٣، والموسوعة الفقهية الكويتية: ٢٠/٢٠٢-٢٠٣.

وكل بلاد أو ديار، لا يقيم حكامها وذوو السلطان فيها حدود الله، ولا يحكمون في الرعية بحكم الإسلام، ولا يقوى المسلم فيها على القيام بما وجب عليه من شعائر الإسلام، فهي دار كفر"[١].

ثالثا: وصف الدور بالإسلام أو الكفر أوصاف عارضة؛ ولذلك فلا توجد أوصاف لازمة لذات الدور، إلا ما ورد فيما يستثنى من ذلك، كما في الصحيح من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا»[٢].

قال الكاساني[٣] الحنفي رَحِمَهُٱللَّهُ: "وجه قولهما – أبو يوسف ومحمد- أن قولنا دار الإسلام ودار الكفر إضافة دار إلى الإسلام وإلى الكفر، وإنما تضاف الدار إلى الإسلام أو إلى الكفر لظهور الإسلام أو الكفر فيها، كما تسمى الجنة دار السلام، والنار دار البوار؛ لوجود السلامة في الجنة، والبوار في النار وظهور الإسلام والكفر بظهور أحكامهما، فإذا ظهر أحكام الكفر في دار فقد صارت دار كفر فصحت الإضافة، ولهذا صارت الدار دار الإسلام بظهور أحكام الإسلام فيها من غير شريطة أخرى، فكذا تصير دار الكفر بظهور أحكام الكفر فيها، والله – سبحانه وتعالى – أعلم"[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ: " فإن كون الأرض دار كفر، أو دار إسلام، أو إيمان، أو دار سلم، أو حرب، أو دار طاعة، أو معصية، أو دار المؤمنين، أو الفاسقين أوصاف عارضة؛ لا لازمة. فقد تنتقل من وصف إلى وصف كما ينتقل الرجل بنفسه من الكفر إلى الإيمان والعلم وكذلك بالعكس. وأما الفضيلة الدائمة في كل وقت ومكان ففي الإيمان والعمل

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة: ١٢/٥٣-٥٤، وانظر: الموسوعة الفقهية الكويتية: ١١/٢١٢-٢٢٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير، برقم: ٢٧٨٣.

(٣) أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاشاني أو الكاساني، فقيه حنفي، له من المؤلفات: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، والسلطان المبين في أصول الدين، توفي سنة ٤٨٧هـ. انظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية: ٢/٢٤٤، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: ١/٣٧١.

(٤) بدائع الصنائع: ٧/١٣٠.

الصالح"[١].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا: " وكون البقعة ثغرا للمسلمين أو غير ثغر هو من الصفات العارضة لها لا اللازمة لها؛ بمنزلة كونها دار إسلام أو دار كفر أو دار حرب أو دار سلم أو دار علم وإيمان أو دار جهل ونفاق. فذلك يختلف باختلاف سكانها وصفاتهم؛ بخلاف المساجد الثلاثة فإن مزيتها صفة لازمة لها؛ لا يمكن إخراجها عن ذلك"[٢].

رابعا: قول سعيد الكثيري: "أما الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ فلم ترفع راية الجهاد داخل دار الإسلام منذ عهد الخوارج إلا في عهده".

فإن راية الجهاد الصحيح لم ترفع من المسلمين ضد المسلمين داخل دار الإسلام مطلقا، لا من الخوارج ولا غيرهم، لأن ما يفعله الخوارج وما يرفعونه من راية ليست براية صحيحة ولا جهاد صحيح؛ وإن زعموا أنهم بذلك يجاهدون؛ ولا يمكن أن ترفع راية جهاد صحيحة من المسلمين ضد المسلمين داخل دار الإسلام ولا خارجه.

خامسا: قوله عن دعوة الإمام: " ومع تسليمنا واعترافنا بأن دعوته أحدثت أعظم حركة تصحيح عقائدي في القرون الأخيرة، إلا أن أفكاره التكفيرية والجهادية كانت شديدة الغلو، وما زالت تثير الفتنة وتغذيها، وتنتج أهل الغلو حتى لحظتنا الراهنة".

فهذا تناقض، فكيف تكون دعوته أحدثت أعظم حركة تصحيح عقائدي، ثم تكون أفكاره التكفيرية والجهادية شديدة الغلو؟!.

سادسا: قوله: " لم تنتقل دار الحرب إلى الديار الإسلامية إلا في عهد الخوارج وفي عهد الشيخ محمد بن عبدالوهاب!".

فقد سبق في الفصل الثاني في الدعوى الأولى، وفي المبحث الثاني، والدعوى الثالثة من هذا الفصل بيان عقيدة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التكفير والقتال، ومخالفة منهج الشيخ لمنهج الخوارج، وبيان الفرق بين دعوة الشيخ وبين دعوة الخوارج، وأن دعوة الشيخ هي دعوة السلف الصالح،

---

(١) مجموع الفتاوى: ٤٥/٢٧.

(٢) المرجع السابق: ٢٧/٥٣-٥٤.

ولا يمكن أن تكون دعوة السلف تنقل دار الحرب إلى الديار الإسلامية؛ إلا إن كان يقصد بالديار الإسلامية، البلاد التي يظهر فيها الشرك الأكبر، ولا تحكم بشرع الله، فقد قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "نقاتل عبّاد الأوثان كما قاتلهم ﷺ، ونقاتلهم على ترك الصلاة، وعلى منع الزكاة، كما قاتل مانعها صديق هذه الأمة أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ ولكن ما هو إلا كما قال ورقة بن نوفل: ما أتى أحد بمثل ما أتيت به إلا عودي وأوذي وأُخرج"(١).

ثم إن الحكم على بلد بكونه بلاد حرب أو بلاد إسلام، أمرٌ يحتاج إلى علم وفقه ومعرفة بالواقع، ولا يصدر إلا من الراسخين في العلم، وليست المسألة متروكة لكل أحد(٢).

قال الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ – في بلاد عدن وما والاها، لما استولى عليها الإفرنج، وكذلك نظائرها من بلاد الهند: "وأما الأقطار التي استولى عليها المسلمون، وغلبوا عليها منذ الفتوحات الإسلاميّة، أيّام الدولتين الأموية والعباسية، وهلمّ جرا، فبعد ظهور كلمة الإسلام بهذا المعنى هي دار الإسلام، إذ الأصل في كل قطر من أقطار الإسلام بعد ظهور كلمة الإسلام؛ أن يكون إسلام أهله من البقاء على يقين فلا يرتفع عنه إلا بيقين، فمتى علمنا يقيناً ضرورياً بالمشاهدة أو السماع تواتر أنّ الكفار استولوا على بلد من بلاد الإسلام التي تليهم وغلبوا عليها وقهروا أهلها بحيث لا يتم لهم إبراز كلمة الإسلام إلا بجوار من الكفار صارت دار حرب، وإن أقيمت فيه الصلاة...وبما حررناه تبين لك أنّ عدن وما والاها إن ظهرت فيها الشهادتان والصلوات ولو ظهرت فيها الخصال الكفريّة بغير جوار فهي دار إسلام، وإلا فدار حرب، وكذا سائر بلاد الهند، وما والاها الحكم عليها بهذا الاعتبار"(٣).

---

(١) مؤلفات الشيخ: ٩٨/١.

(٢) انظر في الأقوال في تحول الدار إلى دار إسلام أو كفر: تحفة المحتاج بشرح المنهاج مع حاشيتي الشرواني وابن قاسم: ١٠٨/١٢، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير: ١٦٨/٢، والبحر الرائق: ٢٣٠/٣، ٢٣١، ومجموع الفتاوى: ٢٤٠/٢٨، تقسيم الدار في الفقه الإسلامي: ٣٧٠ وما بعدها.

(٣) العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة: ٢٣٣- ٢٣٨.

المطلب السادس: دعوى المراوغة في التكفير

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى المراوغة في التكفير، فمرة يكفر، ومرة يرجع عنه وينفي ذلك.

يقول أحمد النفيس: "يعرف كل من له اطلاع على كتب الوهابية ومن بينها (كتاب التوحيد) الذي ذكرنا نبذاً منه من قبل أن الوهابية يكفرون من يتوسل بالصالحين ويكفرون البوصيري في قصيدته بردة المديح في حين أن الشيخ اضطر لإصدار البيانات التي تنفي مثل هذه الافتراءات، فنراه يقول في رسالته إلى أهل القصيم ص ٣ من كتاب الرسائل: (بلغني أن رسالة سليمان بن سحيم قد وصلت إليكم وأنه قبلها وصدقها بعض المنتمين للعلم في جهتكم والله يعلم أن الرجل افترى عليَّ أموراً لم أقلها ولم يأت أكثرها على بالي. منها: قوله:... وإني أكفر من توسل بالصالحين، وإني أكفر البوصيري لقوله يا أكرم الخلق،....وإني أكفر من حلف بغير الله، وإني أكفر ابن الفارض وابن عربي،.....).

ثم يعود الشيخ نفسه في رسائله ليعلن عن تكفيره لابن عربي فيقول ص ٨٧ من كتاب الرسائل: (وقولكم أننا نكفر المسلمين كيف تفعلون كذا كيف تفعلون كذا، فإنا لم نكفر المسلمين بل ما كفرنا إلا المشركين...، وقد ذكر أهل العلم أن ابن عربي من أئمة أهل مذهب الاتحادية وهم أغلظ كفراً من اليهود والنصارى فكل من لم يدخل في دين محمد ﷺ ويتبرأ من دين الاتحادية فهو كافر بريء من الإسلام ولا تصح الصلاة خلفه، ولا تقبل شهادته، وصاحب الإقناع قد ذكر أن من شك في كفر هؤلاء السادة والمشائخ فهو كافر)"[1].

ويقول عثمان النابلسي: " تكفيره ابن عربي وابن الفارض، ثم إنكاره أنه كفّرهم بشدة!

(الدرر السنية: ١/١١٣): (ولهذا آل هذا القول ببعضهم إلى إنكار الرب تبارك وتعالى كما هو مذهب ابن عربي، وابن الفارض، وفئام من الناس، لا يحصيهم إلا الله).

وقال (الدرر: ١٠/٢٥): (وهذا اشتهر عنه أنه على دين ابن عربي، الذي ذكر العلماء

---

(١) نقض الوهابية: ١٠٩.

أنه أكفر من فرعون).

وقال (الدرر: ١٠/٥٤): (وقد ذكر أهل العلم: أن ابن عربي من أئمة أهل مذهب الاتحادية، وهم أغلظ كفراً من اليهود والنصارى)".

ثم نقل بعض النقول عنه وعن بعض الآخذين عنه في تكفير ابن عربي وابن الفارض[١]، ثم قال: "وفي هذه النصوص الكثيرة لابن عبدالوهاب والآخذين عنه تكفير صريح لابن عربي وابن الفارض! لكنه في رسالته أهل القصيم ينكر أنه كفّر ابن عربي وابن الفارض، ويزعم أن ذلك افتراء عليه وبهتان عظيم".

ونقل كلام الإمام السابق في رسالته لأهل القصيم، ثم قال: "انظر كيف استعمل التقية وأنكر أنه يكفر ابن عربي وابن الفارض!! مع أنني نقلت عنه نصوصاً متعددة في تكفيره إياهم، وما زال أتباعه حتى اليوم يكفرونهما، فما هذا التمسكن إلا من أجل التمكن، والمراوغة سياسة لا ديانة، وهذا أحد نماذج مراوغته، والتي سبق أن نقلت أحدها.

وهذا يدل على أن ما نسبه إليه علماء عصره حق وصدق، وأن ما يأتي به أتباعه المعاصرون لتكذيب كلام أولئك العلماء، ما هو إلا من هذا الباب.. باب المراوغة والتقية، فلا تغتر"[٢].

حقيقة هذه الدعوى:

هو إتهام دعوة الإمام بالتكفير والمراوغة فيه لأجل مصالح سياسية.

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: أنه لا بد عند نقل كلام أحد من العلماء أو الرد عليه من أمور، منها:

١- الأمانة في النقل.

٢- جمع كلام العالم في المسألة.

٣- معرفة الواقع التي قيلت فيه.

---

(١) انظر: الدرر السنية: ٢/٣٠٧، ٣/٢١، ٣٤٩، ٣٥٥.

(٢) الرؤية الوهابية للتوحيد وأقسامه: ٤١٩-٤٢١.

٤- الصدق والنصح في معرفة الحق، وعدم اتباع الهوى.

٥- رد الكلام المتشابه إلى المحكم في كلام العالم(١).

ثانيا: أن القراءة في كتب أئمة أي دعوة، ومنها الدعوة السلفية النجدية تحتاج إلى أمور أربعة:

الأمر الأول: معرفة تاريخ الدعوة والأحداث التي جرت في وقتها.

الأمر الثاني: معرفة تراجم أئمة الدعوة.

الأمر الثالث: معرفة خصوم الدعوة.

الأمر الرابع: الإلمام بكتب أئمة الدعوة.

وجمع المواضع من كلام الأئمة وأتباعهم، التي قد يظهر منها التعارض، وبيان وجه الكلام فيه وسببه وحاله(٢).

لأن من عادة بعض المخالفين عدم الالتزام بالمنهج الصحيح في النقد والرد، فمنهجهم يقوم على بتر الكلام، مع عدم الأمانة في النقل، ولا تنزيله مواقعه، ولا جمع كلام العالم في المسألة، بالإضافة إلى اتباع الهوى، وكل ذلك للتنفير من الدعوة وتشويهها.

ثالثا: أن الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر في رسالته لأهل القصيم - التي استشهد بها المناوئ- مما افتري عليه ولم يقله، بل ولم يأت على باله، ومنها قوله:

"١- إني مبطل كتب المذاهب الأربعة.

٢- وإني أقول: إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء.

٣- وإني أدعي الاجتهاد.

٤- وإني خارج عن التقليد.

٥- وإني أقول: إن اختلاف العلماء نقمة.

---

(١) انظر في آداب الرد على المخالف: الرد المخالف من أصول الإسلام لبكر أبو زيد، وفقه الرد على المخالف للسبت، وأصول نقد المخالف للموصلي.

(٢) انظر: التعريف بالدعوة السلفية النجدية: ١٧-٢٠.

٦- وإني أكفر من توسل بالصالحين.

٧- وإني أكفر البوصيري لقوله: يا أكرم الخلق.

٨- وإني أقول: لو أقدر على هدم قبة رسول الله ﷺ لهدمتها.

٩- ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزاباً من خشب.

١٠- وإني أحرم زيارة قبر النبي ﷺ.

١١- وإني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما.

١٢- وإني أكفر من حلف بغير الله.

١٣- وإني أكفر ابن الفارض وابن عربي.

١٤- وإني أحرق دلائل الخيرات وروض الرياحين وأسميه روض الشياطين.

جوابي عن هذه المسائل، أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم! وقبله من بهت محمداً ﷺ أنه يسب عيسى بن مريم ويسب الصالحين، فتشابهت قلوبهم بافتراء الكذب وقول الزور"[١].

فهذه المسائل التي نفاها الشيخ عن نفسه مما نسبه إليه مطوع الرياض حينها: سليمان ابن محمد بن سحيم[٢]، جاءت في موضعين من رسائله باختلاف بينهما في تعدادها، فالأولى هي السابقة في رسالته لأهل القصيم، وفيها أربع عشرة مسألة نفاها الشيخ عن نفسه.

وظاهر النص فيها أنه لا يكفرهما -ابن الفارض وابن عربي-، وهذا يحتمل أحد أمرين:

الأول: أنه لم يكن يعلم بما في كتبهما من الكفريات، وأنه كان يحسن الظن بهما، وأنهما من جملة المبتدعة الذين لم يكفروا ببدعتهم.

والثاني: أنه قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن ما ذكره سليمان ابن سحيم لم يقله ولم يأت على باله، ولا

---

(١) الدرر السنية: ١/٣٤.

(٢) سليمان بن أحمد بن سحيم العنزي، وهو خصم شديد العداوة للدعوة السلفية، وبذل وسائل عديدة في التشنيع بها وتحريض العلماء في الرد عليها، توفي في الزبير سنة ١١٨١هـ. انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون: ٢/٣٨١، والدرر السنية: ١٠/١٣١، ومجموع مؤلفات الشيخ: ٦/٨٨، ٢٢٦، وبحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية: ٩١-١١٣.

يلزم من ذلك أنه لا يكفرهما، إنما مراده أنه لم يقل هذا ولم يعلنه ويصرح به، وأنه ما جاء على باله، لأنه صرح بكفرهما في مواضع أخرى[١].

أما في الرسالة الثانية وهي رسالته لعبد الله ابن سحيم[٢] مطوع المجمعة، فقد حصر المسائل التي قال إن سليمان ابن سحيم مطوع الرياض نسبها له في ثنتي عشرة مسألة: " وهي قوله :

١- إني مبطل كتب المذاهب.

٢- وإني أقول: إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء.

٣- وإني أدعي الاجتهاد.

٤- وإني خارج عن التقليد.

٥- وإني أقول: إن اختلاف العلماء نقمة.

٦- وإني أكفّر من توسل بالصالحين.

٧- وإني أكفّر البوصيري لقوله: يا أكرم الخلق.

٨- وإني أقول: لو أقدر على هدم حجرة الرسول لهدمتها.

٩- ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزاباً من خشب.

١٠- وإني أنكر زيارة قبر النبي ﷺ.

١١- وقوله: إني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهم.

١٢- وإني أكفّر من يحلف بغير الله..

فهذه اثنتا عشرة مسألة، جوابي فيها أن أقول: "سبحانك هذا بهتان عظيم! ولكن قبله من بهت النبي محمداً ﷺ أنه يسب عيسى بن مريم ويسب الصالحين. تشابهت قلوبهم. وبهتوه

---

(١) انظر: مؤلفات الشيخ: ١/١٨٩، ١٩٣.

(٢) عبد الله بن أحمد بن محمد بن سحيم، ولد في المجمعة، وقرأ على علماء سدير، وصار قاضيا على بلدان سدير، وقد كتب له الشيخ الإمام رسالتين مجيبا فيهما على شبهات المويس وسليمان بن سحيم. انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون: ٢/٥١٢، مجموع مؤلفات الشيخ: ٥/٦٢، ١٣٠.

بأنه يزعم أن الملائكة، وعيسى، وعزيراً في النار، فأنزل الله في ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١﴾ [الأنبياء: ١٠١]"[١].

ففي هذا الموضع لم يذكر الثالثة عشرة والرابعة عشرة - التي فيها: وإني أكفر ابن الفارض وابن عربي- المعدودة في الرسالة الأولى لأهل القصيم. وهذا يحتمل عدة احتمالات:

١- لا بد من الوقوف على رسالة ابن سحيم، والنظر فيها، هل ذكر فيها أن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول بتكفير ابن الفارض وابن عربي أم لا؟

٢- أن الإمام لم يكن يجزم فيهما بشيء عند كتابة رسالته لأهل القصيم، كما سبق.

٣- أن الإمام ذكر ذلك في الرسالة إلى أهل القصيم استطرادا، لأنه حينما حصر المسائل في الرسالة إلى مطوع المجمعة لم يذكرهما من ضمن ما قال إنه افتراه عليه.

٤- أن الإمام كان يرى كفرهما؛ ولكنه لم يذكر ذلك من باب المدارة، أو لعدم المصلحة في ذلك.

٥- أنها أدخلت في رسالة الإمام من النساخ.

٦- أن يكون معنى كلامه لا أكفر ابن عربي وابن الفارض يعني بالهوى والتشهي، وإنما أكفرهما بما ظهر لي بالدليل، وأن التكفير لهما مبني على تكفير العلماء لهما.

هذه بعض الاحتمالات لإنكار الإمام لتكفيره لابن عربي وابن الفارض في رسالته لأهل القصيم، وقد يكون لدى الإمام اعتبارات ومصالح أخرى.

رابعا: أن الإمام نقل تكفير ابن الفارض وابن عربي في مواضع من كتبه عن العلماء. ويمكن الجمع بينهما بأن يقال: إن الإمام يفرق بين تكفيرهما وإنفاذ حكم التكفير فيهما، فيكون قوله بتكفيرهما بناء على ما صدر منهما من أقوال في مؤلفاتهما، أما إنفاذ الحكم فيهما وما يترتب عليه؛ فإنه لا بد من توفر شروط وانتفاء موانع، ويدل لهذا قوله في رسالته لمطوع المجمعة: " ولا يخفاك أني عثرت على أوراق عند ابن عزاز، فيها إجازات له من عند مشايخه، وشيخ مشايخه رجل يقال له عبد الغني، ويثنون عليه في أوراقهم، ويسمونه العارف بالله؛ وهذا

(١) الدرر السنية: ١٠/١٣.

اشتهر عنه أنه على دين ابن عربي الذي ذكر العلماء أنه أكفر من فرعون، حتى قال ابن المقري الشافعي: من شك في كفر طائفة ابن عربي فهو كافر. فإذا كان إمام دين ابن عربي والداعي إليه هو شيخهم، ويثنون عليه أنه العارف بالله، فكيف يكون الأمر؟"(١).

وقال في رسالته لأهل الرياض ومنفوحه، وقولكم: "إننا نكفر المسلمين، كيف تفعلون كذا؟ كيف تفعلون كذا؟ فإنا لم نكفر المسلمين، بل ما كفرنا إلا المشركين.

وكذلك أيضاً، من أعظم الناس ضلالاً: متصوفة في معكال وغيره، مثل ولد موسى بن جوعان، وسلامة بن مانع، وغيرهما، يتبعون مذهب ابن عربي وابن الفارض. وقد ذكر أهل العلم أن ابن عربي من أئمة أهل مذهب الاتحادية، وهم أغلظ كفراً من اليهود والنصارى. فكل من لم يدخل في دين محمد ﷺ ويتبرأ من دين الاتحادية، فهو كافر بريء من الإسلام، ولا تصح الصلاة خلفه، ولا تقبل شهادته"(٢).

خامسا: أن الحجة على الجميع كتابُ الله وسنة رسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [النساء: ٨٣].

وأما ما قد يوجد في كلام الأئمة من متشابه أو محتمل أو زلة؛ فكل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله ﷺ، قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " اذا ثبت الخبر عن النبي ﷺ وأصحابه فليس في الأسود ونحوه حجة، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ومجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ"(٣).

وقال الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن آل الشيخ(٤) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "المرجع في مسائل أصول

(١) الدرر السنية: ١٠/٢٥.

(٢) المرجع السابق: ١٠/٥٥.

(٣) القراءة خلف الإمام: ٢١٣. وانظر: حلية الأولياء: ٣/٣٠٠، وجامع بيان العلم: ٢/٩٢٥-٩٢٦.

(٤) إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن محمد بن عبد الوهاب، العلامة المحدث، من أوسع علماء زمانه رحلة، ومن كبار علماء وقته في الأصول والفروع وعلوم العربية وسائر العلوم، وله من المصنفات: الأجوبة السمعيات لحل الأسئلة الروافيات، وإيضاح المحجة والسبيل وإقامة الحجة والدليل، ومسألة العذر بالجهل في الشرك الأكبر، وغيرها. توفي سنة

الدين إلى الكتاب والسنة وإجماع الأمة المعتبر وهو ما كان عليه الصحابة، وليس المرجع إلى عالم بعينه في ذلك، فمن تقرر عنده هذا الأصل تقريرا لا يدفعه شبهة وأخذ بشراشير قلبه، هان عليه ما قد يراه من الكلام المشتبه في بعض مصنفات أئمته، إذ لا معصوم إلا النبي ﷺ"(١).

١٣١٩هـ. انظر: الدرر السنية: ١٦/٤٣٣، ومشاهير علماء نجد: ٩٥.

(١) تكفير المعين: ٧-٨.

المطلب السابع: دعوى اختلاف أقوال الإمام في مسألة العذر بالجهل، وأنه خالف في ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية[١]

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى اختلاف أقوال الإمام في مسألة العذر بالجهل، وأنه خالف في ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، حتى أن أصحابه بعده اختلفوا في هذه المسألة على قولين.

يقول الحسن بن علي الكتاني: "اعلم، رحمك الله، أن كلام إمام الدعوة النجدية في هذه المسألة - أي العذر بالجهل- قد اختلف من موضع لآخر، فإن له كلاماً صريحاً في العذر بالجهل في الأصول، كما أن له كلاماً آخر صريحاً في عدم العذر بالجهل إلا في المسائل الخفية كالصرف والعطف، وهو نوع من أنواع السحر يقصد به تحبيب المرأة لزوجها. وهذا هو الغالب المنتشر من كلامه. وقد اختلف كلام أصحابه بعده في ذلك على مذهبين:

الأول: من يرى العذر بالجهل في الأصول ويحتج بالشيخ وأنه في ذلك موافق لأئمة السنة الكبار. وهذه طريقة بعض المتقدمين وغالب المعاصرين ممن يقتدي بابن عبدالوهاب، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ويصوب كلامه.

الثاني: من لا يرى العذر بالجهل في الأصول ويرد على الأولين كما فعل إسحاق بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في رسالته في "تكفير المعين"، وكما هو مذهب جماعة من المتقدمين من النجديين، وعليه جملة المتأخرين المعاصرين، وهو الذي ينصره ويتمسك به من قصدنا من هذه الرسالة الرد عليهم من الغلاة".

ثم قال: "والذي تبين لي بعد طول نظر، وتقلبي في كلام الشيخ المرة تلو الأخرى، ومطالعة كلام أصحابه رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، هو أنه يرى العذر بالجهل في أصل الدين لكنه يضيقه جداً حتى يكاد أن يصبح كلا عذر، وهو يفرق بين بلوغ الحجة وبين فهمها. وسبب ذلك قياسه أهل زمانه على المشركين الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ، وحمله كلام كثير من العلماء عن

---

(١) قرأت هذه الدعوى والتي تليها وصححتهما على شيخنا الشيخ عبدالرحمن البراك — حفظه الله- في أربعة مجالس، من ١٤٣٩/٢/٢٠هـ .

الكفار الأصليين على المسلمين المتلبسين بشيء من الشركيات، وشتان بين الأمرين"[١].

ويقول رعد النعيمي البغدادي بعد أن نقل كلام الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في توضيح كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التفريق في تكفير المعين بين المسائل الظاهرة والباطنة وأن المراد من الامتناع من تكفير المعين قبل بلوغ الحجة: " رحم الله الشيخ محمد بن عبدالوهاب، أما قوله (وأن المراد من الامتناع عن تكفير المعين فذلك قبل بلوغ الحجة) أقول وإذا أضفنا إلى ذلك عدم اشتراط فهم الحجة، فإن مثل هذا الفهم عن شيخ الإسلام ابن تيمية يعارض كل النصوص المعلومة عن شيخ الإسلام والتي سبق تفصيلها، وأن مثل هذا الفهم لا يعضده أي نص من نصوصه في كل كتبه، وأن تفريق شيخ الإسلام بين المسائل الخفية والمسائل الظاهرة لا يختص بالمعينين إطلاقاً، بل هو تفريق عام لا يؤثر على تطبيق قاعدة إثبات الشروط وانتفاء الموانع إلا من حيث ضيق وسعة الموانع فقط. ولو كان هذا الفهم عن شيخ الإسلام صحيحاً لبيّنه في معرض إعذار المعينين من الجاهل والمخطئ والمتأول والمجتهد والمقلد، ولأكَّد هذا الاستثناء، ولكنه لم يفعل إطلاقاً، فدلَّ على عدمه، بل فعل العكس تماماً من إعذار من يفعل الشرك الظاهر ممن هو جاهل أو متأول أو مقلد ونحو ذلك" [٢].

حقيقة هذه الدعوى:

هذه الدعوى - وهي: المسلم المرتكب للشرك الأكبر هل هو معذور بالجهل أو غير معذور- وقع فيها خلط كثير، وأصلها له تعلق بأمور:

١- حقيقة الكفر الذي يكّفر به المسلم، وما يترتب على هذا التكفير.

٢- الغلو في التكفير بالشبهات والظن والتأويل والاحتمال.

٣- عدم التكفير لمن قام به المكفر إلا بالاعتقاد والجحود[٣].

الجواب عن هذه الدعوى:

---

(١) مباحث في العذر بالجهل وإقامة الحجة: ٣١-٣٢.

(٢) نقد كتاب ضوابط تكفير المعين عند شيخي الإسلام: ابن تيمية ومحمد بن عبدالوهاب ٢١٩. وانظر: ٢٢٥-٢٢٦.

(٣) انظر: العذر بالجهل أسماء وأحكام لشيوخ الإسلام والأئمة الأعلام: ٤-٦.

أولا: أن أصل هذه المسألة – العذر بالجهل- لم يكن في منهج أئمة الدعوة، وإنما كان عندهم أصل شرعي أخر، وهو: هل بلغته الحجة؟ أو لم تبلغه الحجة؟ والحجة المناسبة وغير المناسبة؟.

قال الشيخ صالح آل الشيخ – حفظه الله-: "وهنا خاض قوم من المعاصرين خوضاً سيئاً في منهج الدعوة، هل كان منهج دعوة الشيخ محمد وأئمة الدعوة هل كانوا يعذرون بالجهل أو لا يعذرون بالجهل؟ ونحو ذلك من الألفاظ، وهذه لم تكن أصلاً عندهم بهذا اللفظ؛ نعذره بالجهل أو لا نعذره، وإنما كانت المسألة مرتبطة بأصل شرعي آخر وهي: هل بلغته الحجة؟ أو لم تبلغه الحجة؟ والحجة المناسبة وغير المناسبة"[١].

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لله أسماء وصفات لا يسع أحداً ردها، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه، فقد كفر. وأما قبل قيام الحجة، فإنه يعذر بالجهل؛ لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا الرؤية ولا الفكر، فنثبت هذه الصفات وننفي عنه التشبيه، كما نفى عن نفسه فقال: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾ [الشورى: ١١]"[٢].

ثانيا: أن هذه المسألة "العذر بالجهل" بهذا اللفظ لم يكن معروفا عند المتقدمين[٣]، ولا عند أئمة الدعوة[٤].

ثالثا: أن هذه المسألة من أعظم المسائل، قال الشيخ محمد ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " وهذه المسألة – أعني مسألة العذر بالجهل – مسألة عظيمة شائكة، وهي من أعظم المسائل تحقيقاً وتصويراً"[٥].

رابعا: أن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يفرق بين المسائل الظاهرة والخفية في تكفير

---

(١) شريط: منهج الإمام محمد بن عبدالوهاب في العقيدة.

(٢) فتح الباري: ١٣/٤٠٧ .

(٣) انظر: المتممة لكلام أئمة الدعوة في مسالة الجهل في الشرك الأكبر: ٤.

(٤) شريط: منهج الإمام محمد بن عبدالوهاب في العقيدة لصالح آل الشيخ.

(٥) الشرح الممتع: ٦/١٩٣. وكذا قال لي شيخنا الشيخ عبدالرحمن البراك حفظه الله: بأنها مسألة شائكة.

المعين[١]، وهذا يخالف ما قاله رعد النعيمي من أنه لا يوجد لشيخ الإسلام ابن تيمية ولا قول واحد في التفريق بين المسائل الظاهرة والمسائل الخفية.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض ذمه لأهل الكلام وما يقعون فيه من أعمال أو أقوال كفرية: " وهذا إذا كان في المقالات الخفية؛ فقد يقال: إنه فيها مخطئ ضال لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها، لكن ذلك يقع في طوائف منهم في الأمور الظاهرة التي تَعلمُ العامة والخاصة من دين المسلمين، بل اليهود والنصارى يعلمون أن محمداً ﷺ بُعث بها وكفر مخالفها مثل أمره بعبادة الله وحده لا شريك له، ونهيه عن عبادة أحد سوى الله من الملائكة والنبيين والشمس والقمر والكواكب والأصنام وغير ذلك، فإن هذا أظهر شعائر الإسلام، ومثل أمره بالصلوات الخمس، وإيجابه لها، وتعظيم شأنها، ومثل معاداته لليهود والنصارى والمشركين، والصابئين والمجوس، ومثل تحريم الفواحش والربا والخمر والميسر ونحو ذلك[٢]. ثم تجد كثيراً من رؤسائهم وقعوا في هذه الأمور فكانوا مرتدين؛ وإن كانوا قد يتوبون من ذلك ويعودون إلى الإسلام"[٣].

فهذا النص من أوضح نصوص شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه المسألة يستفاد منه، تفريقه بين من وقع منه كفر في المسائل الظاهرة والمسائل الخفية في التكفير، ووصفه لمن وقع منه كفر في المسائل الخفية قبل قيام الحجة بأنه مخطئ ضال، ووصفه لمن وقع في الكفر في المسائل الظاهرة بالردة والخروج عن الإسلام.

وقال أيضا لما تكلم عن كفر تارك الصلاة: "وفي الحقيقة فكل رد لخبر الله، أو أمره، فهو كفر، دق، أو جل، لكن قد يُعفى عمّا خفيت فيه طرق العلم، وكان أمراً يسيراً في الفروع بخلاف ما ظهر أمره، وكان من دعائم الدين من الأخبار والأوامر"[٤].

وقال أيضا عند كلامه عن مسألة التوسل وأنواعه: "ولفظ التوسل قد يراد به ثلاثة أمور،

---

(١) انظر: عارض الجهل: ٣٧.

(٢) انظر: القواعد لابن رجب: ٣٢٣، وشرح مسلم للنووي: ١/٢٠٥، والأشباه والنظائر: ٢٢٠، والإيمان الأوسط: ١٦١، والموسوعة الفقهية: ١٦/٢٠٠.

(٣) مجموع الفتاوى: ٤/٥٤.

(٤) شرح العمدة بواسطة الدرر السنية: ١٠/٣٨٨، ١٢/٨٢.

يراد به أمران متفق عليهما بين المسلمين، أحدهما: هو أصل الإيمان والإسلام وهو التوسل بالإيمان به وبطاعته، والثاني: دعاؤه، وشفاعته، وهذا أيضاً نافع يتوسل به من دعا له وشفع فيه باتفاق المسلمين، فمن أنكر التوسل به بأحد هذين المعنيين، فهو كافر مرتد يستتاب، فإن تاب، وإلا قتل مرتداً، ولكن التوسل بالإيمان به، وبطاعته هو أصل الدين، وهذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام للخاصة والعامة، فمن أنكر ذلك فكفره ظاهر، للخاصة والعامة، وأما دعاؤه وشفاعته، وانتفاع المسلمين بذلك، فمن أنكره فهو أيضاً كافر لكن هذا أخفى من الأول، فمن أنكره عن جهل عُرّف ذلك، فإن أصر على إنكاره، فهو مرتد....والثالث: التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذاته والسؤال بذاته؛ فهذا هو الذي لم تكن الصحابة تفعله"(١).

فهذه النصوص واضحة أن شيخ الإسلام يفرق في مسألة تكفير المعين بين مسائل يسميها ظاهرة، وصاحبها كفره معلوم للعامة والخاصة، وبين مسائل خفية مثل لها شيخ الإسلام بأمثلة، وصاحبها قد يكون مخطئاً ضالاً لا يكفر لخفاء المسألة، وأن ما خفيت فيه طرق العلم من المسائل، فقد يعفى عنه بخلاف ما كان من دعائم الدين من الأخبار والأوامر.

خامسا: أن أئمة الدعوة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ بينوا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه المسألة بيانا واضحا، يقول الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيناً أن شيخ الإسلام ابن تيمية يفرق في مسألة تكفير المعين بين المسائل الظاهرة والمسائل الخفية، وأن المراد من الامتناع من تكفير المعين قبل بلوغه الحجة: "وهذا صفة كلامه في المسائل في كل موضع وقفنا عليه من كلامه، لا يذكر عدم تكفير المعين إلا ويصله بما يزيل الاشكال، وأن المراد بالتوقف عن تكفيره قبل أن تبلغه الحجة، وأما إذا بلغته الحجة حكم عليه بما تقتضيه تلك المسألة من تكفير، أو تفسيق أو معصية، وصرح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن كلامه في غير المسائل الظاهرة، فقال في الرد على المتكلمين، لما ذكر أن بعض أئمتهم توجد منه الردة عن الإسلام كثيراً، قال: وهذا إن كان في المقالات الخفية، فقد يقال إنه فيها مخطئ ضال، لم تقم عليه الحجة التي يكفر تاركها، لكن هذا يصدر عنهم في أمور يعلم الخاصة والعامة من المسلمين، أن رسول الله ﷺ بعث بها، وكفر من خالفها"(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى: ١٥٣/١، ٢٠١-٢٠٢، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة: ١٦، ٨٦-٨٧.

(٢) الدرر السنية: ٤٠٥/٩-٤٠٦، وانظر: مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد (مجموع مؤلفات الشيخ): ٢٩٠/١.

ثم نقل الشيخ محمد بن عبد الوهاب نص شيخ الإسلام ابن تيمية في التفريق بين المسائل الظاهرة والمسائل الخفية، ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فتآمل هذا وتأمل ما فيه من تفصيل الشبهة"(١).

ثم نقل كلاماً لشيخ الإسلام ابن تيمية في تكفير المعين إذا وقع في الكفر أو الشرك في المسائل الظاهرة وعلق عليه قائلاً: "فتأمل كلامه في تكفر المعين، والشهادة عليه إذا قتل بالنار وسبي حريمه وأولاده عند منع الزكاة، فهذا الذي ينسب عنه أعداء الدين، عدم تكفير المعين"(٢).

وقال أيضا موافقاً لمذهب ابن تيمية في مسألة تكفير المعين والتفريق فيها بين المسائل الظاهرة والخفية: "إن الشخص المعيّن إذا قال ما يوجِب الكفر، فإنه لا يُحكم بكفره حتى تُقومَ عليه الحُجة التي يكفر تاركها، وهذا في المسائل الخفية التي قد يخفى دليلها على بعض الناس وأما ما يقع منهم في المسائل الظاهرة الجلية أو ما يُعلم من الدين بالضرورة فهذا لا يتوقف في كفر قائله"(٣).

سادسا: أن الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد رد على من استدل بنصوص شيخ الإسلام في عدم تكفير المعين – مثبتًا تفريق شيخ الإسلام بين المسائل الظاهرة والمسائل الخفية في مسائل تكفير المعين –، مما يدل على معرفة الإمام بكلام شيخ الإسلام، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن نقل قول شيخ الإسلام في التفريق بين المسائل الظاهرة والمسائل الخفية في معرض رده على المتكلمين: "فانظر كلامه في التفرقة بين المقالات الخفية وبين ما نحن فيه، في كفر المعين وتأمل تكفيره رؤوسهم فلاناً وفلاناً بأعيانهم وردّتهم ردة صريحة"(٤).

سابعا: أن الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن أبا بطين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو من تلامذه الإمام المجدد، قال في رسالة له راداً على من نسب إلى شيخ الإسلام ابن تيمية أنه لا يكفر المعين، وقد نقل نصه في شرحه العمدة، وكذلك نصه في ذم المتكلمين، والفرق بين المسائل الظاهرة والخفية، قال

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق: ٤١٨/٩.

(٣) المرجع السابق: ٢٤٤/٨. وانظر: فتاوى الأئمة النجدية: ١٤٤/٣-١٤٦.

(٤) الدرر السنية: ٧٢/١٠.

معلقاً على النصين: "وقولك: إن الشيخ (يعني ابن تيمية) يقول، إن من فعل شيئاً من هذه الأمور الشركية، لا يطلق عليه أنه مشرك كافر، حتى تقوم عليه الحجة الرسالية، فهو لم يقل ذلك في الشرك الأكبر، وعبادة غير الله، ونحوه من الكفر، وإنما قال ذلك في المقالات الخفية كما قدمنا من قوله: وهذا إن كان في المقالات الخفية"[١].

وقال الشيخ حمد بن عتيق[٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقرراً مذهب ابن تيمية في التفريق بين المسائل الظاهرة والمسائل الخفية في مسألة تكفير المعين: "مسألة تكفير المعين مسألة معروفة اذا قال قولاً يكون القول به كفراً، فيقال: من قال بهذا القول، فهو كافر لكن الشخص المعين، إذا قال ذلك لا يحكم بكفره حق تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها، وهذا في المسائل الخفية التي يخفى دليلها على بعض الناس، كما في مسائل القدر والإرجاء ونحو ذلك، فإن بعض أقوالهم تتضمن أموراً كفرية من رد أدلة الكتاب والسنة المتواترة فيكون القول المتضمن لرد بعض النصوص كفراً، ولا يحكم على قائله بالكفر لاحتمال وجود مانع كالجهل، وعدم العلم بنفس النص أو بدلالته فإن الشرائع لا تلزم إلا بعد بلوغها، ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- في كثير من كتبه، وذكر أيضاً تكفير أناس من أعيان المتكلمين بعد أن قرر هذه المسألة، قال: وهذا إذا كان في المسائل الخفية فقد يقال بعدم التكفير، وأما ما يقع منهم في المسائل الظاهرة الجلية أو ما يعلم من الدين بالضرورة فهذا لا يتوقف في كفر قائله"[٣].

وقال الشيخ العلامة محمد بن ابراهيم آل الشيخ[٤] رَحِمَهُ ٱللَّهُ مثبتاً التفريق بين المسائل

---

(١) الدرر السنية: ١٠/٣٨٨-٣٩٠.

(٢) حمد بن علي بن محمد بن عتيق، ولي القضاء، وكان له مجال واسع في التأليف والكتابة والنصائح وتحرير الفتاوى، من مؤلفاته: إبطال التنديد شرح كتاب التوحيد، ورسالة في بيان النجاة والفكاك، ورسالة الدفاع عن أهل السنة والأتباع والفرق المبين بين السلف وابن سبعين، وغيرها، توفي سنة ١٣٠١هـ. انظر: الدرر السنية: ١٦/٤٣٠، ومشاهير علماء نجد: ١٧٩.

(٣) الدرر السنية: ١٠/٤٣٣. وانظر: ١٠/٥١٥-٥١٨، ٣٥٥-٣٥٦، ٤٣٣-٤٣٨.

(٤) محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، الحنبلي، كان المفتي الأول للمملكة العربية السعودية، ولد وتوفي في الرياض، تعلم بها، وفقد بصره في الحادية عشرة من عمره، تولى مناصب عدة، ومن مؤلفاته: الجواب الواضح المستقيم في التحقيق في كيفية إنزال القرآن الكريم المستقيم، وتحكيم القوانين وغيرها، توفي سنة ١٣٨٩ هـ. انظر: الدرر السنية: ١٦/٤٧٤، ومشاهير علماء نجد: ١٣٤.

الظاهرة والخفية في مسألة تكفير العين: "مسألة تكفير المعين من الناس من يقول لا يكفر المعين أبداً ويستدل هؤلاء بأشياء من كلام ابن تيمية غلطوا في فهمها، وأظنهم لا يكفرون إلا من نص القرآن على كفره، كفرعون، والنصوص لا تجيء بتعيين كل أحد، ثم إن الذين توقفوا في تكفير المعين في الأشياء التي يخفى دليلها، فلا يكفر حتى تقوم عليه الحجة الرسالية من حيث الثبوت والدلالة، فإذا أوضحت له بالبيان الكافي كفر، سواءٌ فهم، أو أنكر، ليس كفر الكفار كله عن عناد[١]، أما ما عُلم بالضرورة أن الرسول جاء به فهذا يكفر بمجرد ذلك، ولا يحتاج إلى تعريف سواء في الأصول أو الفروع ما لم يكن حديث عهد بإسلام[٢].

والقسم الثالث أشياء تكون غامضة فهذا لا يكفر الشخص فيها ولو بعدما أقيمت عليه الأدلة، وسواء كانت في الفروع أو الأصول، ومن أمثلة ذلك الرجل الذي أوصى أهله أن يحرقوه إذا مات "[٣].

ثامنا: أن مسألة العذر بالجهل عند الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد اضطرب فيها بعض الناس[٤]:

أ- فبعضهم رأى عبارات صريحة للإمام في عدم الإعذار بالجهل في الشرك فتمسك بها في تكفير المعين قبل النظر في حالهم وتنبيههم وإقامة الحجة عليهم.

ومنها قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند كلامه عن حقيقة التوحيد والشرك: "إذا عرفت ما ذكرت لك معرفة قلب، وعرفت الشرك بالله الذي قال الله فيه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، وعرفت دين الله الذي أرسل به الرسل من أولهم إلى آخرهم الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه. وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا، أفادك فائدتين... إلى أن قال: وأفادك أيضاً الخوف العظيم. فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة

(١) هذا القسم الأول.

(٢) هذا القسم الثاني.

(٣) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم: ١/٧٣-٧٤، ١٣/١٩٠. وانظر: مجموع مقالات وفتاوى ابن باز: ٢٨/٢١٧.

(٤) انظر: ضوابط التكفير للقرني: ٢٣٠.

يخرجها من لسانه، وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل"[١].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "... إذا عرفت هذا عرفت لا إله إلا الله، وعرفت أن من نخا[٢] نبياً أو ملكاً أو ندبه أو استغاث به فقد خرج من الإسلام. وهذا هو الكفر الذي قاتلهم عليه رسول الله ﷺ"[٣].

ومن ذلك أيضاً قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح حديث عمران بن حصين رضي الله عنه وفيه: «أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صفر، فقال: «ما هذه؟ قال: من الواهنة. فقال: انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً»[٤].

ويقول في شرح الحديث: "فيه مسائل:... الثالثة: أنه لم يعذر بالجهالة"[٥].

ب – وبعضهم رأى عبارات صريحة أيضاً للإمام في أن التكفير مشروط بالتعريف وإقامة الحجة فتمسكوا بها في القول بأن الإمام يعذر بالجهل في الشرك.

ومن ذلك قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ما ذُكر عني أني اكفر بالعموم فهذا بهتان العداء". وقال بعد رده على من يقول بأنه يشترط الهجرة إليه لثبوت وصف الإسلام: "إنما المراد اتباع دين الله ورسوله في أي أرض كانت، ولكن نكفر من أقر بدين الله ورسوله ثم عاداه وصد الناس عنه. وكذلك من عبد الأوثان بعد ما عرف أنها دين للمشركين وزيَّنة للناس، فهذا الذي أكفره، وكل عالم على وجه الأرض يكفر هؤلاء إلا رجلاً معانداً أو جاهلاً"[٦].

ويقول في رده على من اتهمه بأنه يقول من لم يدخل تحت طاعتي فهو كافر: " وكذلك تمويهه على الطغام بأن ابن عبدالوهاب يقول: الذي ما يدخل تحت طاعتي كافر. ونقول: سبحانك هذا بهتان عظيم، بل نُشهد الله على ما يعلمه من قلوبنا بأن من عمل بالتوحيد وتبرأ من الشرك وأهله فهو المسلم في أي زمان وأي مكان. وإنما نكفّر من أشرك بالله في إلهيته بعد

(١) مؤلفات الشيخ: ١/١٥٨.

(٢) نخا: بمعنى دعا وطلب النصرة.

(٣) مؤلفات الشيخ: ١/٣٦٦.

(٤) مسند أحمد، برقم: ٢٠٠٠٠، وضعفه محققو الكتاب. وانظر السلسلة الضعيفة، رقم: ١٠٢٩.

(٥) مؤلفات الشيخ: ١/٢٨.

(٦) المرجع السابق: ٥/٥٨.

ما نبين له الحجة على بطلان الشرك، وكذلك نكفر من حسنه للناس أو أقام الشبه الباطلة على إباحته، وكذلك من قام بسيفه دون هذه المشاهد التي يشرك بالله عندها وقاتل من أنكرها وسعى في إزالتها"(١).

ويقول أيضاً في التكفير وضابطه: "وأما التكفير فأنا أكفر من عرف الرسول ثم بعدما عرفه سبه ونهى الناس عنه وعادى من فعله فهذا هو الذي أكفره، وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك"(٢).

ويقول أيضاً رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأما ما ذكر الأعداء عني أني أكفر بالظن والموالاة أو أكفر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة فهذا بهتان عظيم يريدون به تنفير الناس عن دين الله ورسوله"(٣).

ج – وآخرون ظنوا أن الإمام متناقض في هذه المسألة وأنه لا يمكن القول بكلا القولين، وأن القول بأحدهما يقتضي بطلان الآخر.

د – وآخرون ظنوا أن منهجه في هذه القضية هو عدم الإعذار بالجهل مطلقاً، لكنه قال ما قال لمصلحة الدعوة.

وهو رَحِمَهُ ٱللَّهُ على مذهب أهل السنة في مسألة العذر بالجهل في الأمور الخفية، وعدم الخلط بين عدم الإعذار بالجهل في الشرك وبين إعذار المعين الذي تلبس ببعض الأعمال الشركية في الظاهر. ولو فسرنا كلامه على أن المراد به الحكم على الباطن مطلقاً، أو على الظاهر مطلقاً لتناقض واضطرب، وهذا ما دعا أصحاب كل منهج مخالف في هذه القضية أن يأخذ بما يناسبه من كلام الإمام ويتغافل عن كلامه الآخر.

تاسعا: قال الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب قد ذكر في رسائله أنه لا يكفر أحداً مع الجهل، واذا كان قد ذكر في "كشف الشبهات" أنه لا عذر بالجهل، فيحمل على أن المراد بذلك الجهل الذي كان من صاحبه تفريط في عدم التعلم،

---

(١) المرجع السابق: ٦٠/٥.

(٢) المرجع السابق: ٣٨/٥.

(٣) المرجع السابق: ٢٥/٥.

مثل أن يعرف أن هناك شيئاً يخالف ما هو عليه، ولكن يفرِّط، ويتهاون: فحينئذ لا يُعذر بالجهل"[١].

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " الجاهل والمتأول لا يعذر إلا مع العجز؛ ولذلك قيده الشيخ ابن القيم بقوله: "تأويلاً يعذر صاحبه"، فليس كل تأويل وكل جهل يعذر صاحبه، وليس كل ذنب يجرى التأويل فيه، ويعذر الجاهل به وقد تقدم أن عامة الكفار والمشركين من عهد نوح إلى وقتنا هذا جهلوا وتأولوا"[٢].

عاشرا: أن أئمة الدعوة من أتباع الإمام محمد بن عبدالوهاب – والذين هم أعرف بكلامه– قد بينوا هذا الأمر ، يقول الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "من بلغته دعوة الرسل إلى توحيد الله ووجوب الإسلام له، وفقه أن الرسل جاءت بهذا لم يكن له عذر في مخالفتهم وترك عبادة الله.

وهذا هو الذي يجزم بتكفيره إذا عبد غير الله، وجعل معه الأنداد والآلهة، والشيخ – يعني ابن تيمية– وغيره من المسلمين لا يتوقفون في هذا، وشيخنا – يعني الإمام محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد قرر هذا وبينه وفاقاً لعلماء الأمة واقتداء بهم. ولم يكفر إلاّ بعد قيام الحجة وظهور الدليل حتى إنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ توقف في تكفير الجاهل من عباد القبور إذا لم يتيسر له من ينبهه"[٣].

ويقول الشيخ سليمان بن سحمان[٤] رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان حقيقة منهج الشيح الإمام محمد بن عبدالوهاب في هذه القضية والرد على من ادعى أن الشيخ لا يشترط في التكفير قيام الحجة على المعين: "اعلم أن مشايخ أهل الإسلام وإخوانهم من طلبة العلم الذين هم على طريقتهم هم الذين ساروا على منهاج شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب وأخذوا بجميع أقواله في حاضرة

(١) انظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: ٧/٣٥.

(٢) منهاج التأسيس: ٢٦٢.

(٣) مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام: ٣٢٤-٣٢٥.

(٤) سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان الخثعمي العسيري النجدي، ولد في قرية السقا، كاتب فقيه، انتقل مع أبيه إلى الرياض فتلقى عن علمائها التوحيد والفقه واللغة، ومن مصنفاته: الضياء الشارق في الرد على شبهات الماذق المارق، والصواعق المرسلة الشهابية وغيرها، كف بصره في آخر حياته، وتوفي في الرياض عام ١٣٤٩هـ. انظر: الدرر السنية: ١٦/٤٤٤، مشاهير علماء نجد: ٢٠٠.

أهل نجد وبواديهم الذي كانوا في زمانه. فأخذوا بقوله في الموضع السادس الذي نقله من السيرة في بوادي أهل نجد، حيث قام بهم الوصف المكفر لهم بعد دعوتهم إلى توحيد الله وإقامة الحجة عليهم والإعذار والإنذار منهم. وأخذوا بقوله في رسالته التي كتبها للشريف لما سأله عما يكفر به الناس ويقاتلهم عليه. وكذلك ما ذكره في رسالته إلى السويدي وأنه يكفر الناس بالعموم، وكذلك ما ذكره أولاده من بعده في هذه المسائل، ونحن نسوق ما ذكروه.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته إلى الشريف بعد أن ذكر ما يكفر الناس به ويقاتلهم عليه مما هو معلوم عنه مشهور. قال: "وأما الكذب والبهتان فمثل قولهم: إنا نكفر بالعموم أو نوجب الهجرة إلينا على من قدر أن يظهر دينه في بلده، أو إنا نكفر من لم يكفر ولم يقاتل، وأمثال هذا وأضعافه فكل هذا من الكذب والبهتان، والذين يصدون الناس به عن دين الله ورسوله.

وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبر أحمد البدوي لأجل جهلهم وعدم وجود من ينبههم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا ولم يكفر ولم يقاتل. سبحانك هذا بهتان عظيم. بل نكفر الأنواع الأربعة[١] لأجل محادتهم لله ورسوله. وهذا بخلاف ما عليه هؤلاء الجهال فإنهم يكفرون الناس بالعموم ويكفرون من لم يهاجر كما هو معلوم مشهور عنهم"[٢].

ويقول الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " وكان شيخنا محمد بن عبدالوهاب يقرر في مجالسه ورسائله أنه لا يكفر إلا من عرف دين الرسول وبعد معرفته تبين في عداوته ومسبته. وتارة يقول: وإذا كنا لا نكفر من يعبد قبة الكواز ونحوه ونقاتلهم حتى نبين لهم وندعوهم فكيف نكفر من لم يهاجر إلينا؟ ويقول في بعضها: وأما من أخلد إلى الأرض واتبع

(١) النوع الأول: من عرف دين الرسول فلم يتبعه، وعرف الشرك فلم يتركه. النوع الثاني: من عرف ذلك، ولكنه سب دين الرسول، مع ادعائه أنه عامل به، ومدح من عبد غير الله، وفضلهم على من وحد الله، وترك الشرك. النوع الثالث: من عرف التوحيد، وأحبه، واتبعه، وعرف الشرك، وتركه، ولكن يكره من دخل في التوحيد، ويحب من بقي على الشرك. النوع الرابع: من سلم من هذا كله، ولكن أهل بلده يصرحون بعداوة أهل التوحيد، واتباع أهل الشرك، وساعين في قتالهم، ويتعذر أن ترك وطنه يشق عليه، فيقاتل أهل التوحيد مع أهل بلده، ويجاهد معهم بماله، ونفسه. انظر: الدرر السنية: ١/١٠٣-١٠٤.

(٢) منهاج أهل الحق والاتباع: ٧٣-٧٥.

هواه فلا أدري ما حاله. وإذا كان هذا كلام شيخنا وهذه طريقته، فكيف يلزمه العراقي[١] وينسب إليه التفكير بالعموم؟"[٢].

وقال الشيخان عبدالله وأخوه إبراهيم ابنا عبد اللطيف، والشيخ سليمان بن سحمان رحمهم الله: عن قول الإمام محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه لا يكفر من كان على قبة الكواز، ونحوه، ولا يكفر الوثني حتى يدعوه، وتبلغه الحجة: "فيقال: نعم، فإن الشيخ محمداً لم يكفر الناس ابتداء، إلا بعد قيام الحجة والدعوة؛ لأنهم إذ ذاك في زمن فترة، وعدم علم بآثار الرسالة؛ ولذلك قال: لجهلهم وعدم من ينبههم، فأما إذا قامت الحجة فلا مانع من تكفيرهم وإن لم يفهموها. وفي هذه الأزمان - خصوصاً في جهتكم -قد قامت الحجة على من هناك، واتضحت لهم المحجة، ولم يزل في تلك البلاد من يدعو إلى توحيد الله، ويقرره، ويناضل عنه، ويقرر مذهب السلف، وما دلت عليه النصوص من الصفات العلية، والأسماء القدسية، ويرد ما يشبه به بعض أتباع الجهمية، ومن على طريقتهم، حتى صار الأمر في هذه المسائل في تلك البلاد أظهر منه في غيرها، ولا تخفى النصوص والأدلة حتى على العوام، فلا إشكال - والحالة هذه- في قيام الحجة وبلوغها على من في جهتكم من المبتدعة، والزنادقة الضلال"[٣].

ويقول أيضًا: "والشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى من أعظم الناس توقفاً وإحجاماً عن إطلاق الكفر، حتى إنه لم يجزم بتكفير الجاهل الذي يدعو غير الله من أهل القبور أو غيرهم إذا لم يتيسر له من ينصحه ويبلغه الحجة التي يكفر مرتكبها"[٤].

وقال الشيخ عبد الله أبا بطين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " ما سألت عنه، من أنه هل يجوز تعيين إنسان بعينه بالكفر، إذا ارتكب شيئاً من المكفرات، فالأمر الذي دل عليه الكتاب والسنَّة وإجماع العلماء على أنه كفر، مثل الشرك بعبادة غير الله - سبحانه -، فمن ارتكب شيئاً من هذا النوع أو جنسه، فهذا لا شك في كفره.

---

(١) هو ابن جرجيس الذي رد عليه الشيخ عبداللطيف بكتابه هذا: منهاج التأسيس.

(٢) منهاج التأسيس: ١٨٧-١٨٨.

(٣) الدرر السنية: ١٠/٤٣٤.

(٤) المرجع السابق: ٦٥-٦٦.

ولا بأس بمن تحققت منه شيئاً من ذلك، أن تقول: كفر فلان بهذا الفعل،.... ولا مانع من تكفير من اتصف بذلك، كما أن من زنى قيل: فلان زان، ومن رابى: قيل: فلان مراب"(١).

الحادي عشر: أن أئمة الدعوة يفصلون التأصيل ما بين الكفر الظاهر والكفر الباطن، ومن جهة الواقع يفرقون في التطبيق على المعين ، فإذا أتى للتأصيل قالوا لمن وقع في الكفر: هو كافر سواء كان كفره عن إعراض وجهل، أو كان كفره عن إباء واستكبار، وإذا أتى التطبيق على المعين أطلقوا الكفر على من أقيمت عليه الحجة الرسالية البينة الواضحة، وأما من لم تقم عليه الحجة فتارة يطلقون عليه الكفر، وتارة لا يطلقون عليه.

قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله: "فإن المتلبس بالشرك يُقال له مشرك سواءً أكان عالما أم كان جاهلاً، والحكم عليه بالكفر يتنوع:

فإن أقيمت عليه الحجة؛ الحجة الرسالية من خبير بها ليزيل عنه الشبهة وليُفهمه بحدود ما أنزل الله على رسوله التوحيد وبيان الشرك فتَرَك ذلك مع إقامة الحجة عليه فإنه يُعدّ كافراً ظاهراً وباطناً.

وأما المعرض فهنا يعامل في الظاهر معاملة الكافر، وأما باطنه فإنه لا نحكم عليه بالكفر الباطن إلا بعد قيام الحجة عليه؛ لأنه من المتقرر عند العلماء أن من تلبس بالزنا فهو زان، وقد يؤاخذ وقد لا يؤاخذ، إذا كان عالماً بحرمة الزنا فزنى فهو مؤاخذ، وإذا كان أسلم للتو وزنى غير عالم أنه محرم فالاسم باق عليه؛ لكن -يعني اسم الزنا باق أنه زانٍ واسم الزنا عليه باق- لكن لا يؤاخذ بذلك لعدم علمه. وهذا هو الجمع بين ما ورد في هذا الباب من أقوال مختلفة.

فإذن يفرق في هذا الباب بين الكفر الظاهر والباطن، والأصل أنه لا يُكَفَّر أحد إلا بعد قيام الحجة عليه لقول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، والعذاب هنا إنما يكون بعد إقامة الحجة على العبد في الدنيا أو في الآخرة، قد يُعامل معاملة الكافر استبراء للدين وحفظاً له، من جهة عدم الاستغفار له، ومن جهة عدم التضحية له، وألاّ يزوج

---

(١) الدرر السنية: ٤١٦/١٠، ٤٠٤. وانظر: منهاج التأسيس: ٩٩، ١٠١، والضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق: ٦٥٢.

وأشباه ذلك من الأحكام.

فإذا كلام أئمة الدعوة في هذه المسألة فيه تفصيل ما بين الكفر الظاهر والكفر الباطن، ومن جهة التطبيق في الواقع يفرقون، فإذا أتى للتأصيل قالوا هو كفر سواء أكان كفره عن إعراض وجهل أو كان كفره عن إباء واستكبار، وإذا أتى للتطبيق على المعين أطلقوا على من أقيمت عليه الحجة الرّسالية البينة الواضحة أطلقوا عليه الكفر، وأما من لم تقم عليه الحجة فتارة لا يطلقون عليه الكفر كما قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في موضع: وإن كنا لا نكفر من عند قبة الكوّاز وقبة البدوي لأجل عدم وجود من ينبههم. الشيخ ما كفر أهل الجبيلة ونحوهم ممن عندهم بعض الأوثان في أول الأمر لأجل عدم بلوغ الحجة الكافية لهم، وقد يطلق بعضهم على هؤلاء الكفر ويراد به أن يعاملوا معاملة أهل الكفر حرزا ومحافظة لأمر الشريعة والإتباع، حتى لا يستغفر لمشرك، وحتى لا يضحي عن مشرك، أو أن يتولى مشركا ونحو ذلك من الأحكام" [(١)].

وقال الشيخ محمد ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جواب له عن العذر بالجهل فيما يتعلق بالعقيدة؟: " الاختلاف في مسألة العذر بالجهل كغيره من الاختلافات الفقهية الاجتهادية[(٢)]، وربما يكون اختلافًا لفظيًا في بعض الأحيان من أجل تطبيق الحكم على الشخص المعين أي إن الجميع يتفقون على أن هذا القول كفر، أو هذا الفعل كفر، أو هذا الترك كفر، ولكن هل يصدق الحكم على هذا الشخص المعين لقيام المقتضى في حقه وانتفاء المانع أو لا ينطبق لفوات بعض المقتضيات، أو وجود بعض الموانع"[(٣)].

الثاني عشر: أن الله ﷻ لا يعذب إلا من قامت عليه الحجة، وكون فلان قامت عليه الحجة أم لا؛ فذلك ما لا يمكن الدخول بين الله وبين عباده فيه، أما في الدنيا فيعامل بالظاهر منه، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والإسلام هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له والإيمان بالله وبرسوله واتباعه فيما جاء به، فما لم يأت العبد بهذا فليس بمسلم، وإن لم يكن كافراً معانداً فهو

---

(١) شرح كشف الشبهات: ١٣٦-١٣٨.

(٢) انظر: التمهيد لابن عبدالبر: ١٢٩/٥.

(٣) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: ١٣٠/٢، ٣٧/٧.

كافر جاهل، فغاية هذه الطبقة أنهم كفار جهال غير معاندين، وعدم عنادهم لا يخرجهم عن كونهم كفاراً، فإن الكافر من جحد توحيد الله وكذب رسوله إما عناداً أو جهلاً وتقليداً لأهل العناد...إلى أن قال:

الله يقضي بين عباده يوم القيامة بحكمه وعدله، ولا يعذب إلا من قامت عليه حجته بالرسل، فهذا مقطوع به في جملة الخلق، وأما كون زيد بعينه وعمرو قامت عليه الحجة أم لا؛ فذلك ما لا يمكن الدخول بين الله وبين عباده فيه، بل الواجب على العبد أن يعتقد أن كل من دان بدين غير دين الإسلام فهو كافر، وأن الله - سبحانه وتعالى - لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بالرسول، هذا في الجملة، والتعيين موكول إلى علم الله وحكمه، هذا في أحكام الثواب والعقاب، وأما في أحكام الدنيا فهي جارية على ظاهر الأمر، فأطفال الكفار ومجانينهم كفار في أحكام الدنيا لهم حكم أوليائهم، وبهذا التفصيل يزول الإشكال في المسألة"[١].

---

(١) طريق الهجرتين: ٤١١-٤١٣ باختصار.

المطلب الثامن: دعوى تناقض الإمام في شرط قيام الحجة وفهمها[١]

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى تناقض الإمام في الأمر الذي يكفر به الجاهل، وهل يشترط قيام الحجة أو فهمها.

يقول الحسن بن علي الكتاني بعد أن نقل عن الشيخ بعض أقواله في العذر بالجهل: "فهذه أهم نقول الشيخ في العذر بالجهل، وهي واضحة في أنه يقول بالعذر في أصل الدين.

أما كيفية هذه الحجة التي تقوم على الجاهل فكلامه فيها يبين أنه ضيق جداً فيها، ومع أنه واضح الاختلاف عن مذهب شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإنه يحاول أن يبين أنه موافق له. ولكن هيهات. فإن كلام ابن تيمية صريح غير مختلف، كما أن قرائن واقع الحال تدل على أنه يكاد يجعل هذه المسائل مما يعذر فيها بالتأويل وهو عنده فرع عن الجهل.

قال ابن عبدالوهاب: (وأصل الإشكال أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة وفهم الحجة، فإن أكثر الكفار والمنافقين لم يفهموا حجة الله مع قيامها عليهم كما قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٤]، وقيام الحجة وبلوغها نوع، وفهمهم إياها نوع آخر، وكفرهم ببلوغها إياهم وإن لم يفهموها نوع آخر. فإذا أشكل عليكم ذلك فانظروا قوله ﷺ في الخوارج: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم»[٢]، مع كونهم في عصر الصحابة، ويحقر الإنسان عمل الصحابة معهم وقد بلغتهم الحجة ولكن لم يفهموها)[٣]...

ثم قال: " ويقول ابن عبدالوهاب كذلك: (من المعلوم أن قيام الحجة ليس معناه أن يفهم كلام الله ورسوله مثل فهم أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، بل إذا بلغه كلام الله ورسوله وخلا من شيء يعذر به فهو كافر كما كان الكفار كلهم تقوم عليهم الحجة بالقرآن مع قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ

---

(١) قرأت هذه الدعوى والسابقة وصححتهما على شيخنا الشيخ عبدالرحمن البراك – حفظه الله– في أربعة مجالس، من ١٤٣٩/٢/٢٠هـ .

(٢) رواه البخاري: ٦٩٣١، ومسلم: ١٠٦٤.

(٣) مجموع المؤلفات: ١٢/٣.

أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ﴾ [الأنعام: ٢٥])[١].

وأوضح من هذا وأشد ما جاء في رسالة ابن عبدالوهاب لبعض أصحابه لما وقفوا على كلام شيخ الإسلام ابن تيمية فرأوه يخالف ما هم عليه من التسرع في التكفير وتضييق العذر بالجهل، فقال لهم: (ما ذكرتموه من كلام الشيخ (كل من جحد كذا وكذا) وأنكم تسألون عن هؤلاء الطواغيت وأتباعهم هل قامت عليهم الحجة؟ أم لا؟ فهذا من العجب العجاب، كيف تشكون في هذا وقد وضحت لكم مراراً أن الذي لم تقم عليه الحجة هو الذي حديث عهد بالإسلام أو الذي نشأ ببادية بعيدة أو يكون ذلك في مسائل خفية مثل الصرف والعطف فلا يكفر حتى يعرف. وأما أصول الدين التي وضحها الله في كتابه فإن حجة الله هي القرآن، فمن بلغه القرآن فقد بلغته الحجة)[٢]" [٣].

ويقول أيضاً: "وعند النجديين كلام كثير في التفريق بين بلوغ الحجة وفهمها، فعندهم مجرد بلوغ الحجة كافية لإقامتها على الواقع في الكفر، بل منهم من يعد مجرد بلوغ آيات القرآن كافية في ذلك.

وهم يُقِيمون عامة المسلمين الجهال أو علماءهم المتأولين من الأشاعرة والمتصوفين فضلاً عن غيرهم، مقام العرب الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ، فإن النبي صلوات ربي وسلامه عليه يقول: «والله لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا كبّه الله في النار»[٤]".

ثم قال: "والمشركون وغيرهم من سائر طوائف الكفر إنما قامت عليهم الحجة برسول الله ﷺ ومن قبله من الأنبياء أنهم كانوا مؤيدين بالمعجزات والبراهين القاطعة، كما قال النبي ﷺ: «ما من نبي إلا قد أوتي ما على مثله آمن الناس، ولقد كان ما أوتيته وحياً يتلى»[٥]. وليس

(١) الدرر السنية في الفتاوى النجدية، لابن قاسم العاصمي: ٨/ ٧٩.

(٢) حكم تكفير المعين والفرق بين قيام الحجة وفهمها، لإسحاق بن عبدالرحمن: ص١٦٥، عقيدة الموحدين.

(٣) مباحث في العذر بالجهل: ٣٨-٤٠.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢١٨) من حديث أبي هريرة.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٤٥٩٨) و(٦٧٣٢)، ومسلم في صحيحه برقم (٢١٧)، كلاهما من حديث أبي

كذلك حال مسلم متلبس بأمور شركية قد شاب عليها الصغير وهرم عليها الكبير، وجماهير علماء القرون المتأخرة لا يشددون فيها، ثم يأتي عالم أو طالب علم فينصح الناس فينكرون عليه إما لأنه لم يحسن أسلوب النصح أو لم يحسن في توضيحه حجته، أو أن مقابله له حجج وشبه لم تُحل، أو يقلد عالماً كبيراً على خطئه، أو عنده غباء وبلادة لم يفهم معها الحجة.

فكيف يقال مع هذا إن مجرد قراءة القرآن كافية في إقامة الحجة؟! هذا ما قاله أحد من قبل، فإنه لا يوجد أحد من المسلمين ينكر القرآن، إنما الشأن في فهم حجته ودلالته على المطلوب"(١).

ويقول رعد النعيمي البغدادي - بعد أن نقل كلام الإمام محمد بن عبدالوهاب في بيان أن قيام الحجة نوع، وبلوغها نوع، وأن الإشكال عندهم في عدم التفريق بين قيام الحجة وفهم الحجة - : "القول بأن قيام الحجة لا يتضمن فهمها، بل هو مجرد بلوغها قول غير صحيح من وجوه:

الأول: فهم الحجة نوعان:

الأول: هو فهم معناها ومقصودها وهو فهم التبيين، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ [إبراهيم: ٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [النور: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ [التوبة: ١١٥]. ولا شك أن عدم الفهم ينافي المقصود من التبيين الذي أرسلت به الرسل.

والنوع الثاني: هو فهم الهداية والتوفيق، كما في قوله تعالى: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗا ﴾[الإسراء: ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ﴿٤٥﴾ ﴾ [الإراء: ٤٥]، وقوله تعالى:

هريرة.

(١) مباحث في العذر بالجهل: ٢٨٥-٢٨٧.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ [يونس: ٩٦- ٩٧]"[١].

ثم قال: "وأحسب أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأتباعه من المشايخ الكرام ممن لم يعتبروا هذه القاعدة صحيحة التطبيق على من يقع من المسلمين في أفعال الشرك، أقول هم لم يطلعوا على أقوال شيخ الإسلام في ذلك وأحسب أنهم لو اطلعوا عليها لذهبوا مذهب شيخ الإسلام حيث إنهم جميعاً يقررون أن مرجعيتهم العلمية في فهم عقيدة السلف الصالح هي القواعد التي قررها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ"[٢].

وقال في موضع أخر: "ومن الملاحظ أن كل الأقوال التي نقلها الكاتب - يعني كتاب ضوابط تكفير المعين- عن علماء الدعوة تخلط بين الفهم في النوعين، وتجعل فهم الهداية هو فهم التبيين، وهذا خطأ بيّن لا جدال فيه، وإلا لما كان هناك حاجة لا إلى اشتراط العقل في التكليف، ولا إلى اشتراط اللغة في الرسالة"[٣].

حقيقة هذه الدعوى:

هذه الدعوى متعلقة بتكفير المعين، فإن قيام الحجة أحد شروط تكفير المعين، ولا بد من معرفة حدود هذه الحجة التي يكفر من قامت عليه، هل هو بلوغها؟ أو لابد من فهمها؟؛ لئلا يكفر من لم يكفره الله ورسوله، أو يعذر بفعل الكفر من لم يعذره الله ورسوله.

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: معنى إقامة الحجة: تبليغ الدليل لمن لم يبلغه أو خفى عليه، وتوضيحه وتفهيمه لمن

---

(١) نقد كتاب ضوابط تكفير المعين عند شيخي الإسلام ابن تيمية ومحمد بن عبدالوهاب: ٣٣٣-٣٣٤. وانظر: ٧١.

(٢) المرجع السابق: ٣٣٦.

(٣) المرجع السابق: ٧٠، ١٧٤، ١٧٧-١٧٨، ٢٦٤-٢٧١.

بلغه وتأوله تأويلا فاسدا بشبهة أو بفهم خاطئ[١]، وبسب الإجمال الواقع في هذه الكلمة (فهم الحجة من عدمها) حصل الإشكال عند المناوئين لدعوة الإمام حيث إن لها مفهومين، يختلف حكم كل مفهوم فيه عن الآخر.

قال الشيخ صالح آل الشيخ- حفظه الله-: "فهم الحجة على قسمين: يراد بفهم الحجة فهم معاني الأدلة، فهذا لا بد منه، فلا يُكتفى في إقامة الحجة على أعجمي لا يفهم اللغة العربية بأن تُتلى عليه آية باللغة العربية، وهو لا يفهم معناها، ويقال قد بلغه القرآن والله يقول: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام:١٩]، هذا ليس بكافٍ، لا بد أن تكون الحجة بلسان من أقيمت عليه ليفهم المعنى، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾[إبراهيم: ٤].

المعنى الثاني لفهم الحجة: أن يَفهم كون هذه الحجة أرجح من شبهته التي عنده.

المشركون عندهم علم، وعندهم كتب، وعندهم حجج كما أخبر الله في كتابه. ففهم حجة الرسول، وفهم القرآن، وفهم حجة النبي العقلية التي أدلى بها عليهم بعد الوحي، هذه معناها أن يفهموا المعنى. إذا كانوا هم فهموا المعنى؛ لكن مثل ما يقول القائل: ما اقتنع أن هذه الحجة أقوى من الشبهة التي عنده، فهذا ليس بشرط"[٢].

وقال أيضا: "وتحقيق المقام هنا ... أن فهم الحجة نوعان:

النوع الأول: فهم لسان. والنوع الثاني: فهم احتجاج.

أما فهم اللسان؛ فهذا ليس الكلام فيه فإنه شرط في بلوغ الحجة لأن الله جل وعلا قال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾ [إبراهيم: ٤]، والله جل وعلا جعل هذا القرآن عربيا لتقوم الحجة به على من يفقه اللسان العربي...

والنوع الثاني من فهم الحجة: هو فهم احتجاج، يفهم أن تكون هذه الحجة التي في

(١) انظر: شرح صحيح البخارى لابن بطال: ٩٥٠/٨، فتح الباري: ٢٩٩/١٢، حاشية السندي على صحيح البخاري: ٩٢/٤، والدرر السنية: ٣٦٠/١٠، ٤٣٣.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية: ٣٦٥/١.

الكتاب والسنة حجة التوحيد أو في غيره أرجح وأقوى وأظهر وأبين أو هي الحجة الداحضة لحجج الآخرين، وهذا النوع لا يشترط؛ لأنه جل وعلا بين لنا وأخبر أن المشركين لم يفقهوا الحجة فقال جل وعلا: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [الأنعام: ٢٥]، وقال سبحانه: ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: ١٠١]، وقال: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ [الفرقان:٤٤]، فهم لا يسمعون سمعَ فائدة، وإن سمعوا سمعَ أُذُن ولا يستطيعون أن يسمعوا سمَع الفائدة؛ وإن كانوا يسمعون سمَع الأذن، وقد قال جل وعلا: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال:٢٣]، وقال سبحانه: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنبيـــاء:٢]، ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ حتى وصفهم بأنهم يستمعون وليس فقط يسمعون بل يستمعون يعني ينصتون ومع ذلك نفى عنهم السمع بقوله: ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: ١٠١]، وبقوله: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ [الفرقان:٤٤]، وقوله جل وعلا في سورة تبارك: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾[الملك:١٠]"[١].

فالنصوص الشرعية تدل على أنهم فهموا معاني الآيات؛ ولكنهم اعرضوا عنها تكبرا وعنادا ورغبة عن الحق، فعاقبهم الله بسبب إعراضهم[٢]، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الصف:٥]، وقال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام:١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [البقرة:٨٨].

ثانيا: أن منهج الإمام محمد بن عبدالوهاب في هذه المسألة التفريق بين قيام الحجة وفهم الحجة، وكذا التفريق بين المسائل الخفية والمسائل الظاهرة[٣]، وسبق بيان ذلك في الدعوى

---

(١) شرح كشف الشبهات: ٣٧٧-٣٧٩.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٨/٢-٣٢٤، ٤٥/١٢، ٣٥٨/٢٣، وتفسير ابن كثير: ٣٢٥/١، ٣١٧/٢.

(٣) وللعلماء في التعبير عن المسائل التي يعذر فيها والتي لا يعذر فيها تعبيرات مختلفة، فمنهم من عبر بقوله: لا يسع المكلف جهلها، ومنهم من قال: ما علم من الدين بالضرورة، ومنهم من قال: مسائل لا يصلح العذر فيها. انظر:

السابعة من هذا الفصل، وقد قال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فإن الذي لم تقم عليه الحجة هو الذي حديث عهد بالإسلام، والذي نشأ ببادية بعيدة، أو يكون ذلك في مسألة خفية، مثل الصرف، والعطف، فلا يكفر حتى يُعرَّف، وأما أصول الدين التي أوضحها الله، وأحكمها في كتابه فإن حجة الله هو القرآن، فمن بلغه القرآن فقد بلغته الحجة، ولكن أصل الإشكال أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة وبين فهم الحجة، فإن أكثر الكفار والمنافقين من المسلمين لم يفهموا حجة الله مع قيامها عليهم، قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٤]"[١].

ثالثا: أن الله ﷻ أخبر عن الكفار أن سبب أعراضهم عن الدين هو الطغيان وليس عدم فهم الحجة، وذلك أن عظماء قريش كانوا يوصفون بالأحلام والعقول، فأزرى الله بعقولهم حين لم يتميز لهم معرفة الحق من الباطل[٢]، فقال تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الطور:٣٢]، قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " يقول تعالى ذكره: أتأمر هؤلاء المشركين أحلامهم بأن يقولوا لمحمد ﷺ: هو شاعر، وأن ما جاء به شعر ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾، يقول جلّ ثناؤه: ما تأمرهم بذلك أحلامهم وعقولهم بل ﴿هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ قد طغوا على ربهم، فتجاوزوا ما أذن لهم، وأمرهم به من الإيمان إلى الكفر به"[٣].

قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والمعنى: أتأمرهم أحلامهم بترك القبول ممن يدعوهم إلى التوحيد ويأتيهم على ذلك بالدلائل، أم يكفرون طغيانا وقد ظهر لهم الحق؟!"[٤]. وهذا نص صريح في أن المراد ترك القبول للحق طغيانا وليس عن عدم فهم الحجة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:" (أم) بمعنى بل، أي بل كفروا طغيانا وإن ظهر لهم الحق. وقيل

عارض الجهل وأثره على أحكام الاعتقاد: ٤١-٤٢.

(١) مؤلفات الشيخ: ٧/٢٤٤.

(٢) انظر: تفسير البغوي: ٤/٢٩٤.

(٣) جامع البيان: ٢٢/٣٤.

(٤) معاني القرآن وإعرابه: ٥/٦٥. وانظر: زاد المسير: ٤/١٧٩.

لعمرو بن العاص: ما بال قومك لم يؤمنوا وقد وصفهم الله بالعقل؟ فقال: تلك عقول كادها الله، أي لم يصحبها بالتوفيق. وقيل: ﴿أَحْلَٰمُهُم﴾أي أذهانهم، لأن العقل لا يعطى للكافر ولو كان له عقل لآمن. وإنما يعطى الكافر الذهن فصار عليه حجة. والذهن يقبل العلم جملة، والعقل يميز العلم ويقدر المقادير لحدود الأمر والنهي"[١].

ولذلك لما دعاهم النبي ﷺ إلى قول "لا إله إلا الله" عرفوا معناها، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص:٥][٢].

وهود عليه السلام لما دعا قومه، وقال لهم: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٦٥﴾ [الأعراف:٦٥]، عرفوا معناها، وقالوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧٠﴾ [الأعراف: ٧٠]. والآيات في هذا كثيرة، تدل على أن المشركين فهموا خطاب الأنبياء، ولكنهم لم يستجيبوا لهم.

رابعا: أن الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا ينفي في قيام الحجة اشتراط الفهم الناشىء عن العجز مع بذل الوسع الذي اشترطه العلماء لقيام الحجة، وإنما ينفي في قيام الحجه اشتراط فهم الانتفاع الناشئ عن الإعراض عن النصوص، والتفريط فى طلب الحق، واتباع الهوى[٣].

قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر من وقع في المخالفة الكفرية: " إن كان جاهلا أو متاولا فهو معذور لا شيء عليه ويجب تعليمه، فإذا قامت عليه الحجة من القرآن والسنن فخالف ما فيهما عنادا فهو كافر يحكم عليه بحكم المرتد. وأما من قال أن الله ﷻ هو فلان لإنسان بعينه أو أن الله تعالى يحل في جسم من أجسام خلقه أو أن بعد محمد ﷺ نبيا غير عيسى بن مريم عليه السلام فإنه لا يختلف اثنان في تكفيره؛ لصحة قيام الحجة بكل هذا على كل أحد، ولو أمكن أن يوجد أحد يدين بهذا لم يبلغه قط خلافه لما وجب تكفيره حتى تقوم الحجة

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١٧-٧٣.

(٢) جامع البيان: ٢١-١٤٩.

(٣) انظر: نواقض الإيمان القولية والعملية: ٧٤.

عليه"[١]. فانظر قوله: "ولو أمكن يوجد أحد يدين بهذا لم يبلغة قط خلافه" فجعل الجهل مع العجز عن إزالته مانع من تكفيره حتى تقوم عليه الحجة.

وقال ابن العربي المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " فالجاهل والمخطئ من هذه الأمة ولو عمل من الكفر والشرك ما يكون صاحبه مشركاً وكافراً؛ فإنه يعذر بالجهل والخطأ، حتى يتبين له الحجة التي يكفر تاركها بياناً واضحاً ما يلتبس على مثله"[٢]. فاشترط في قيام الحجة البيان الواضح الذي لا لبس فيه.

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فرقا بين عاجز محب للهدى، غير قادر عليه، ولا على طلبه، وبين عاجز معرض لا إرادة له، ولا يحدث نفسه بغير ما هو عليه، فقال: "وهذا لا يجب أن يلحق بالأول لما بينهما من الفرق، فالأول: كمن طلب الدين في الفترة ولم يظفر به، فعدل عنه بعد استفراغ الوسع في طلبه عجزاً وجهلاً. والثاني: كمن لم يطلبه بل مات على شركه، وإن كان لو طلبه لعجز عنه، ففرق بين عَجْز الطالب وعَجْز المعرض، فتأمل هذا الموضع"[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "العذر لا يكون عذرا إلا مع العجز عن إزالته وإلا فمتى أمكن الإنسان معرفة الحق فقصر فيها لم يكن معذورا"[٤].

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "وينبغي أن يعلم الفرق بين قيام الحجة وفهم الحجة، فإن من بلغته دعوة الرسل فقد قامت عليه الحجة، إذا كان على وجه يمكن معه العلم، ولا يشترط في قيام الحجة أن يفهم عن الله ورسوله ما يفهمه أهل الإيمان، والقبول، والانقياد لما جاء به الرسول ﷺ"[٥].

وقال الشيخ حمد بن معمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وليس المراد بقيام الحجة أن يفهمها فهماً جلياً كما

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ١٣٩/٣. وانظر المحلى: ٤١٠/١٠.

(٢) انظر: محاسن التأويل: ١٣٠٧/٥.

(٣) طريق الهجرتين: ٦١٠.

(٤) مجموع الفتاوى: ٢٨٠/٢٠.

(٥) منهاج التأسيس: ٢٥١. وانظر: مصباح الظلام: ٣٢٥.

يفهمها من هداه الله ووفقه وانقاد لأمره"(١).

خامسا: أنه لا يشترط في فهم الحجةِ أن يكونَ كفهمِ أبي بكررَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٥، ٤٦]، قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: "فأخبر سبحانه أنه منعهم فقه كلامه - وهو الادراك الذى ينتفع به من فقهه - ولم يكن ذلك مانعاً لهم من الإدراك الذي تقوم به الحجة عليهم، فإنهم لو لم يفهموه جملة؛ ما ولّوا على أدبارهم نفوراً عند ذكر توحيد الله، فلما ولوا عند ذكر التوحيد دل على أنهم كانوا يفهمون الخطاب، وأن الذى غشى قلوبهم كالذي غشى آذانهم، ومعلوم أنهم لم يعدموا السمع جملة ويصيروا كالأصم، ولذلك ينفي سبحانه عنهم السمع تارة، ويثبته أخرى، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾ [الملك: ١٠]، فهذا السمع المنفي عنهم سمع الفهم، والفقه، والمعنى، ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾[الأنفال: ٢٣]: سمعاً ينتفعون به، وهو فقه المعنى وعقله، وإلا فقد سمعوه سمعاً تقوم به عليهم الحجة، ولكن لما سمعوه مع شدة بغضه، وكراهته، ونفرتهم عنه لم يفهموه، ولم يعقلوه، والرجل إذا اشتدت كراهته للكلام ونفرته عنه لم يفهم ما يراد به، فينزل منزلة من لم يسمعه"(٢).

ويدل على هذا من كلام الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُٱللَّهُ، قوله: "فإذا كان المعين يكفر إذا قامت عليه الحجة، فمن المعلوم أن قيامها ليس معناه أن يفهم كلام الله ورسوله مثل فهم أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، بل إذا بلغه كلام الله ورسوله وخلا من شيء يعذر به فهو كافر، كما كان الكفار كلهم تقوم عليهم الحجة بالقرآن مع قول الله: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ﴾ [الإسراء: ٤٦]"(٣).

فقول الإمام رَحِمَهُٱللَّهُ: "وخلا من شيء يعذر به فهو كافر" يدل على إثباته أن الحجة لا

(١) النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين : ١١٧. وانظر: الدرر السنية: ٢٣٥/١.

(٢) مفتاح دار السعادة: ١٠١/١.

(٣) الدرر السنية: ٦٩/١٠.

تقوم إذا لم يفهم فهماً ناشئاً عن عجز إذا بذل وسعه في طلبه، بخلاف من لا يكفر عباد الأضرحة والقبور؛ بحجة أنهم لم يفهموا مع إعراضهم عن دلالة القرآن، وصم آذانهم عن حججه.

سادسا: أنه ليس في كلام الله وكلام رسوله ﷺ تعارض، وما قد يقع لبعض الأفهام من ظن التعارض فهو من نقص الفهم؛ وإلا من يجمع النصوص وينزلها منزلتها، ويرد المتشابه إلى المحكم يزول عنه هذا التعارض، فكذلك في كلام الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فإنه لا بد من جمع كلامه وتنزيله مواقعه، والرجوع إلى فهم تلامذته، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " فإنه يجب أن يفسر كلام المتكلم بعضه ببعض، ويؤخذ كلامه هاهنا وهاهنا، وتعرف ما عادته يعنيه ويريده بذلك اللفظ إذا تكلم به، وتعرف المعاني التي عُرفَ أنه أرادها في موضع آخر، فإذا عُرف عُرفُه وعادته في معانيه وألفاظه، كان هذا مما يستعان به على معرفة مراده.

وأما إذا استعمل لفظه في معنى لم تجر عادته باستعماله فيه، وترك استعماله في المعنى الذي جرت عادته باستعماله فيه، وحمل كلامه على خلاف المعنى الذي قد عُرف أنه يريده بذلك اللفظ بجعل كلامه متناقضا، وترك حمله على ما يناسب سائر كلامه، كان ذلك تحريفا لكلامه عن موضعه، وتبديلا لمقاصده وكذبا عليه"(١).

سابعا: أن قيام الحجة أحد شروط تكفير المعين، ولذلك بين العلماء ضرورة بلوغ الحجة للمعين، وثبوتها عنده وتمكنه من معرفتها، وكل ذلك لا يتم إلا بوجود من يحسن إقامة الحجة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها: قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، وقد تكون عنده ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها، وقد يكون قد عرضت له شبهات يعذره الله بها، فمن كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ٤/٤٤.

وأخطأ فإن الله يغفر له خطأه كائنا ما كان"[١]، ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " وأما كفر الجهل مع عدم قيام الحجة، وعدم التمكن من معرفتها، فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل"[٢]، ويقول أيضاً: "فإن حجة الله قامت على العبد بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وبلوغ ذلك إليه، وتمكنه من العلم به، سواء علم أو جهل، فكل من تمكن من معرفة ما أمر الله به ونهى عنه، فقصر عنه ولم يعرفه، فقد قامت عليه الحجة، والله سبحانه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه"[٣].

ويقول ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وكل ما قلناه فيه أنه يفسق فاعله أو يكفر بعد قيام الحجة، فهو ما لم تقم الحجة عليه، معذور مأجور و إن كان مخطئا، وصفة قيام الحجة عليه أن تبلغه فلا يكون عنده شيء يقاومها"[٤].

وذكر الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الإمام المجدد أنه "قرر أن من قامت عليه الحجة، و تأهل لمعرفتها، يكفر بعبادة القبور"[٥]،

وقد قال الشيخ سليمان بن سحمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في من يقيم الحجة، وأنه لا بد في قيام الحجة أن يقيمها من يحسن إقامتها، وإلا لا تقوم الحجة: "الذي يظهر لي -والله أعلم- أنها لا تقوم الحجة إلا بمن يحسن إقامتها، وأما من لا يحسن إقامتها كالجاهل الذي لا يعرف أحكام دينه ولا ما ذكره العلماء في ذلك، فإنه لا تقوم به الحجة"[٦].

وقال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله: " ويقيم الحجة عالم يعلم كيف يقيم الحجة ويزيل الشبهة، لهذا يقول العلماء الحجة الرسالية، كما يقول شيخ الإسلام في مواضع كثيرة: ويكفر من قامت به الحجة الرسالية. الحجة الرسالية يعني التي يقيمها الرسل أو ورثة الرسل ممن

(١) مجموع الفتاوى: ٣٤٦/٢٣، ٢٣١/٣، ٥٩/٢٠.

(٢) طريق الهجرتين: ٣٨٤.

(٣) مدارج السالكين: ٢٣٩/٢.

(٤) الإحكام في أصول الأحكام: ٦٧/١.

(٥) منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس: ٩٩.

(٦) منهاج الحق والاتباع: ٦٨. وانظر: منهج الإمام محمد بن عبدالوهاب في مسألة التكفير: ١٥٣-١٥٧.

يحسن إقامة الحجة "[١].

ثامنا: أن الحجة لا تقوم إلا بشرطين:

الشرط الأول: بلوغ الحجة على وجه يستطيع فهمها إذا أراد.

الشرط الثاني: التمكن من معرفة الحجة.

فإذا تحقق الشرط قامت الحجة وإلا فلا؛ فالشرط الأول: بلوغ الحجة على وجه يستطيع فهمها بأن تبلغ الحجة المكلف بلغته، وبخطاب يفهمه، فباتفاق الأئمة لا تقوم الحجة بمخاطبة الأعجمي بلسان عربي لا يفهمه، بل لا بد أن يفهم القرآن فهم دلالة وإرشاد، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ [إبراهيم: ٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ - بعد أن ذكر لغة العرب-: "فإن دلالة القرآن والسنة على معانيها من جنس دلالة لغة كل قوم على ما يعرفونه ويعتادونه من تلك اللغة، وهذا لا يخص العرب، بل هو أمر ضروري لجميع بني آدم يتوقف العلم بمدلول ألفاظهم على كونهم من أهل تلك اللغة التي وقع بينهم بها التخاطب؛ ولهذا لم يرسل الله رسولاً إلا بلسان قومه ليبين لهم، فتقوم عليهم الحجة بما فهموه من خطابه لهم"[٢].

ولذا فإن الحجة تقوم على المعين بترجمة الخطاب بلغته التي يفهمها، إذا كان ممن لم يفهم ذلك باللغة العربية، قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "﴿بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤]، أي: بلغتهم؟ ليبينوا لهم أمر دينهم، ووحد اللسان وإن أضافه إلى القوم؛ لأن المراد اللغة، فهي اسم جنس يقع على القليل والكثير، ولا حجة للعجم وغيرهم في هذه الآية؛ لأن كل من ترجم له ما جاء به النبي ﷺ ترجمة يفهمها لزمته الحجة"[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فكذلك بعث محمداً إلى قومه وغير قومه، ولكن

---

(١) شرح كشف الشبهات: ١/٣٧٩-٣٨٠.

(٢) الصواعق المرسلة: ٢/٧٤٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٩/٣٤٠.

إنما يبعث بلسان قومه ليبين لهم، ثم يحصل البيان لغيرهم بتوسط البيان لهم: إما بلغتهم ولسانهم، وإما بالترجمة لهم، ولو لم يتبين لقومه أولاً لم يحصل مقصود الرسالة، لا لهم، ولا لغيرهم"(١).

وقال أيضا: " أن حجة الله برسله قامت بالتمكن من العلم فليس من شرط حجة الله تعالى علم المدعوين بها.

ولهذا لم يكن إعراض الكفار عن استماع القرآن وتدبره مانعا من قيام حجة الله تعالى عليهم وكذلك إعراضهم عن استماع المنقول عن الأنبياء وقراءة الآثار المأثورة عنهم لا يمنع الحجة إذ المكنة حاصلة.

فلذلك قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾ [لقمان: ٧]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [فصلت: ٢٦-٢٧]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٠-٣١]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه: ٢٣-٢٦]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ﴾ [النساء: ٦١]، وقال: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [البقرة: ١٧١]"(٢).

أما الشرط الثاني: التمكن من معرفة الحجة: بأن يكون ممن يتمكن من الوصول إلى العلم بما أنزل الله، فإن كان عاجزاً عن ذلك لجنون، أو كان عاقلاً لكن لم يتمكن من الوصول إلى الحق مع بذله جهده ووسعه للوصول إليه لكثرة انتشار الباطل أو اشتباه الحق فلا تقوم عليه

---

(١) الجواب الصحيح: ٧٠/٢. وانظر: الموافقات: ٣٠٣/٢، ومجموع الفتاوى: ٤٠٧/١١

(٢) الرد على المنطقيين: ٩٩.

الحجة.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والحجة على العباد إنما تقوم بشيئين: بشرط التمكن من العلم بما أنزل الله، والقدرة على العمل به، فأما العاجز عن العلم كالمجنون، أو العاجز عن العمل، فلا أمر عليه ولا نهي. واذا انقطع العلم ببعض الدين، أو حصل العجز عن بعضه، كان ذلك في حق العاجز عن العلم أو العمل بقوله، كمن انقطع عن العلم بجميع الدين أو عجز عن جميعه كالمجنون مثلا"(١).

تاسعا: مما ينبغي التنبه إليه في مثل هذه المسألة المهمة أن قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " الله يقضى بين عباده يوم القيامة بحكمه وعدله، ولا يعذب إلا من قامت عليه حجته بالرسل، فهذا مقطوع به في جملة الخلق. وأما كون زيد بعينه وعمرو بعينه قامت عليه الحجة أم لا، فذلك مما لا يمكن الدخول بين الله وبين عباده فيه، بل الواجب على العبد أن يعتقد أن كل من دان بدين غير دين الإسلام فهو كافر، وأن الله سبحانه وتعالى لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بالرسول. هذا في الجملة، والتعيين موكول إلى علم الله عَزَّوَجَلَّ وحكمه، هذا في أحكام الثواب والعقاب. وأما في أحكام الدنيا فهي جارية مع ظاهر الأمر فأطفال الكفار ومجانينهم كفار في أحكام الدنيا، لهم حكم أوليائهم. وبهذا التفصيل يزول الإشكال في المسألة. وهو مبني على أربعة أُصول:

أحدها: أن الله سبحانه وتعالى لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه...

الأصل الثاني: أن العذاب يستحق بسببين، أحدهما: الإعراض عن الحجة وعدم إرادة العلم بها وبموجبها. الثاني: العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها. فالأول كفر إعراض، والثاني كفر عناد. وأما كفر الجهل مع عدم قيام الحجة وعدم التمكن من معرفتها فهذا الذي نفى الله

(١) المرجع السابق: ٥٩/٢٠، ٤٨٦.

التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل.

الأصل الثالث: أن قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص، فقد تقوم حجة الله على الكفار في زمان دون زمان، وفي بقعة وناحية دون أُخرى، كما أنها تقوم على شخص دون آخر، إما لعدم عقله وتمييزه كالصغير والمجنون، وإما لعدم فهمه كالذي لا يفهم الخطاب ولم يحضر ترجمان يترجم له...

الأصل الرابع: أن أفعال الله سبحانه وتعالى تابعة لحكمته التي لا يخل بها سبحانه، وأنها مقصودة لغايتها المحمودة وعواقبها الحميدة"(١).

(١) طريق الهجرتين: ٤١٣-٤١٤. طريق الهجرتين: ٦١١. وانظر: الإحكام في أصول الأحكام: ١/٦٧، والصفدية: ١/٢٣٢.

المطلب التاسع: دعوى تكفير المعين دون ضوابط أو تثبت

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى تكفير المعين دون ضوابط أو تثبت.

يقول منتصر حمادة: "وثمة إقرارات خلال السنين الأخيرة، تفيد أن نمط التنشئة في العربية السعودية كان قائماً على أساس من التعبئة بالفكر السائد الذي زخرت به الثقافة السلفية ومصادرها في المعرفة، بما في ذلك ما عرف بنواقض التوحيد العشرة، حيث تضمنت جذور التكفير بالظِنّة، وباللازم، ومن غير تيقن بتوافر الدواعي وانتفاء الموانع، وهو ما ساهم بنصيب وافر في تشكيل الشخصية التكفيرية [١]"[٢].

ويقول سعيد الكثيري: "الشيخ محمد بن عبدالوهاب لم يفرق بين تكفير الأقوال والأفعال المجردة وبين تكفير المعين على النحو الذي كان ينتهجه الإمام ابن تيمية، وهذا هو سبب رفع راية الجهاد ضد المسلمين وتطبيق أحكام الجهاد ضد المخالفين، وهو أمر انفرد به الشيخ عن بقية العلماء والفقهاء منذ عصر الصحابة"[٣].

ويقول الحسن بن علي الكتاني: "من المسائل التي تشدد فيها أبو عبدالله محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، تكفيره لجاهل التوحيد، وهو المسلم الذي ينطق بكلمتي الشهادة مقلداً، دون معرفة بشروطها ونواقضها وما يتعلق بها.

ويظهر لي أن هذه المسألة تسربت للشيخ من كتب المتكلمين فإنها ليست من مسائل أهل السنة والأثر، بل تكلم فيها المعتزلة والأشاعرة...

ومن النقول عن الشيخ بهذه المسألة ما ذكره في آخر رسالته "كشف الشبهات" من

---

(١) انظر: أحمد محمد الدغشي، الفكر التربوي لتنظيم القاعدة: الحالة اليمنية نموذجاً، دراسة تقويمية، ط١، مركز الدين والسياسة للدراسات، الرياض، دار الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١٢: ص١٠٩.

(٢) في نقد العقل السلفي: ١٩.

(٣) جدل الدين والسياسة (المناظرة الثالثة: التكفير والقتال): ٣٤٧. وانظر: نقد العقل الجهادي: ١٨٢-١٨٥، ١٩٥.

قوله: (فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً وهو لا يفهمه، أو لا يعتقده بقلبه فهو منافق، وهو شر من الكافر الخالص لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [النساء: ١٤٥]).

قال شارحها محمد بن صالح العثيمين: (... هذا ظاهر فيمن كان معانداً يعلم الحق ولكنه كرهه بقلبه ولم يطمئن إليه ولم يستقر به ولكنه أظهر الالتزام بالشريعة خداعاً لله ولرسوله وللمؤمنين، وأما من كان لا يفهمه بالكلية ولا يدري ولكنه يعمل كما يعمل الناس ولم يتبين له ذلك الشيء الذي يعملونه والمقصود منه فإن الواجب أن يبلغ ويعلم فإن أصر على ما هو عليه من إنكاره بقلبه فهو منافق)[١]"[٢].

ثم ذكر ما ترتب على ذلك – حسب زعمه–، فقال: "ولهذا فقد اعتمد الغلاة على هذا الكلام فحكموا بكفر الجماهير بحجة أنهم يقولون كلمة التوحيد دون فهم معناها ويحتجون بكلام النجديين وما شابهه من بعض المعاصرين"[٣].

ويقول رعد النعيمي البغدادي عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه في مسألة تكفير المعين: "فإنهم مخطئون في هذا الباب خطأ عظيماً، ونسأل الله تعالى أن ياجرهم على اجتهادهم الخاطئ، ومنهجهم يلزمهم بالرجوع إلى منهج السلف ومنهج شيخ الإسلام ابن تيمية، وأنا أجزم بأن الشيخ محمد بن عبدالوهاب لو عاش بيننا اليوم لرجع إلى المنهج الصحيح بسبب توفر علم السلف وعلم شيخ الإسلام ابن تيمية بقدر أعظم بكثير مما كان يتوفر في وقته، ومما يدل على هذا أن مذهب حفيده الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ الذي يعيش اليوم بيننا هو مذهب يعتبر تطبيق قاعدة الشروط والموانع في تكفير الأعيان، كما ورد في بعض كتبه، وقد أوردت ذلك حين استدل الكاتب برواية عن الشافعية في تكفير حفص الفرد، فنقلت من قول الشيخ صالح ما يرد على الكاتب استدلاله، ويدل على انتهاج مذهب السلف ومذهب شيخ الإسلام ابن تيمية في اعتبار الشروط والموانع عند تكفير المعينين"[٤].

---

(١) شرح كشف الشبهات: ص ١٣٤.

(٢) مباحث في العذر بالجهل: ٦٩.

(٣) المرجع السابق: ٧٨، ٣٧١–٣٧٦

(٤) نقد كتاب ضوابط تكفير المعين عند شيخي الإسلام ابن تيمية وابن عبدالوهاب: ٢٠٤، وانظر: ١٥٩–١٦٠،

حقيقة هذه الدعوى:

إتهام دعوة الإمام بتكفير المعين، دون توفر شروط ونتفاء موانع، ودون تثبت، وأن هذا الأمر – حسب زعمهم– تسرب للغلاة وتأثروا به، وساهم في تشكيل الشخصية التكفيرية.

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: أن منهج السلف عدم تكفير المعين إلا بتوفر شروط وانتفاء موانع، وقد سبق بيان ذلك في المبحث الثاني من هذا الفصل.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " وليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين، وإن أخطأ وغلط، حتى تقام عليه الحجة، وتُبين له المحجة، ومن ثبت إسلامه بيقين، لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة، وإزالة الشبهة"(١).

ثم يقول: "إن التكفير له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعين، وإن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين، إلا إذا وجدت الشروط، وانتفت الموانع، يبين هذا أن الأمام أحمد وعامة الأئمة الذين أطلقوا هذه العمومات، لم يكفروا أكثر من تكلم بهذا الكلام – يعني القول بخلق القرآن– بعينه"(٢).

ثانيا: أن الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ سار على منهج السلف في تكفير المعين(٣)، وتكفير المعين لابد فيه من توفر شروط وانتفاء موانع. حيث يقرر الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الحكم على المعين مرتبط بضوابط شرعية، فلا يمكن أن يكون الحكم على الناس، مبني على ظنون وأوهام، أو دعاوى لا يملكون عليها بينات.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأما ما ذكر الأعداء عني أني أكفّر بالظن والموالاة، أو أكفر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة، فهذا بهتان عظيم، يريدون به تنفير الناس عن دين الله ورسوله"(٤).

٣٠٠، ٣٠٢.

(١) مجموع الفتاوى: ١٢/٤٦٦.

(٢) المرجع السابق: ١٢/٤٨٧.

(٣) انظر: التقرير في بيان أحكام التكفير: ١٣٣–٢٣٥. ومنهج الإمام محمد بن عبد الوهاب في مسألة التكفير: ٨٤–١٤٠.

(٤) مؤلفات الشيخ: ٥/٢٥.

وأصرح منه قوله: "وإنما نكفر من أشرك بالله في إلاهيته بعدما نبين له الحجة على بطلان الشرك"(١).

وقوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [النساء: ٩٤] "فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإذا تبين منه بعد ذلك، ما يخالف الإسلام قتل، لقوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُواْ ﴾ ولو كان لا يقتل إذا قالها، لم يكن للتثبت معنى وكذلك الحديث(٢) الآخر وأمثاله، معناه ما ذكرناه أن من أظهر التوحيد والإسلام، وجب الكف عنه إلى أن يتبين منه ما يناقض ذلك"(٣).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "من أظهر الإسلام وظننا أنه أتى بناقض، لا نكفره بالظن؛ لأن التبين لا يرفع بالظن وكذلك لا نكفر من لا يعرف منه الكفر بسبب ناقض ذكر عنه ونحن لم نتحققه"(٤).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ كفروا النوع، أما المعين، فإن عرف الحق وخالف كفر بعينه، وإلا لم يكفروا" (٥).

ثالثا: أن من ثبت إسلامه بيقين فلا يخرج منه إلا بيقين، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أما الشرك الذي يصدر من المؤمن، وهو لا يدري، مع كونه مجتهداً في اتباع أمر لله ورسوله، فأرجو ألا يخرجه هذا من الوعد(٦)، وقد صدر من الصحابة أشياء من هذا

---

(١) المرجع السابق: ٥/٥٨.

(٢) يشير إلى حديث: أسامة بن زيد، وفيه: «أقال: لا إله إلا الله وقتلته». صحيح البخاري، كتاب: المغازي، باب: بعث النبي أسامة إلى الحرقات من جهينة، برقم: ٤٢٦٩، وصحيح مسلم، كتاب: الإيمان باب: تحريم قتل الكافر بعد قوله لا إله إلا الله، برقم: ٢٧٠.

(٣) مؤلفات الشيخ: ١/١٧٦.

(٤) المرجع السابق: ٥/٢٤.

(٥) المرجع السابق: ٥/٢٢١.

(٦) يشير إلى الوعد الذي جاء في حديث: «ما يصيب المسلم من نصب.. الحديث»، صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرض، برقم: ٥٦٤١.

الباب:كحلفهم بآبائهم، وحلفهم بالكعبة، وقولهم: ما شاء الله وشاء محمد، وقولهم: اجعل لنا ذات أنواط، ولكن إذا بان لهم الحق اتبعوه، ولم يجادلوا فيه حمية الجاهلية، لمذهب الآباء والعادات"(١).

وقال أيضا: "وكذلك لا خلاف في أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه، واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا، وهذا هو المطلوب، ولكن القصة تفيد أن المسلم، بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك وهو لا يدري عنها، فتفيد لزوم التعلم والتحرز، ومعرفة أن قول الجاهل، التوحيد فهمناه، أن هذا من أكبر الجهل، ومكايد الشيطان.

وتفيد أيضاً: أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر، وهو لا يدري، فنُبه على ذلك، فتاب من ساعته، أنه لا يكفر، كما فعل بنو إسرائيل، والذين سألوا النبي ﷺ "(٢).

رابعا: قد اعتبر الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ الإكراه مانعاً من موانع التكفير. يدل على ذلك أنه لما ذكر نواقض الإسلام العشرة قال: "ولا فرق في جميع هذه النوا قض بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره"(٣).

وأيضاً: لما ذكر الآية: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [النحل: ١٠٦]، ذكر فوائد الآية، ومنها قوله "استثناء المكره المطمئن"(٤)، وسواء كان الإكراه بالقول أو الفعل، فان ذلك يعتبر عذراً عند الإمام محمد بن عبد الوهاب، حيث قال بعد أن ذكر أن المكره معذور: "ومعلوم أن الإنسان لا يكره إلا على الكلام أو الفعل، أما اعتقاد القلب فلا يكره عليها أحد"(٥).

---

(١) مؤلفات الشيخ: ٣٧/٣.

(٢) المرجع السابق: ١٧٥/١.

(٣) المرجع السابق: ٢١٤/٥.

(٤) المرجع السابق: ٢٢٩/٤.

(٥) المرجع السابق: ١٨٠/١.

خامسا: أن الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيّن أن المخطئ معذور، ولهذا ينبغي مناظرته حتى يرجع إلى الحق، بخلاف أهل التأويل الفاسد، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذكر فوائد قصة آدم وإبليس: " ومنها: أن التأويل الفاسد في رد النصوص ليس عذراً لصاحبه، كما أنه سبحانه لم يعذر إبليس في شبهته التي أبداها، كما لم يعذر من خالف النصوص متأولاً مخطئاً، بل كان ذلك التأويل زيادة في كفره.

ومنها: أن مثل هذا التأويل ليس على أهل الحق أن يناظروا صاحبه، ويبينوا له الحق، كما يفعلون مع المخطئ المتأول، بل يبادر إلى عقوبته بالعقوبة التي يستحقها بقدر ذنبه، وإلا أُعرض عنه إن لم يقدر عليه، كما كان السلف الصالح يفعلون هذا وهذا، فإنه سبحانه لما أبدى له إبليس شبهته فعل به ما فعل، ولما عتب على الملائكة في قيلهم أبدى لهم شيئاً من حكمته وتابوا، وقد وقعت هذه الثلاث لرسول الله ﷺ في غزوته التي فتح الله فيها مكة، فانه لما أعطى المؤلفة قلوبهم فوجدت عليه الأنصار، عاتبهم، واعتذروا، وقبل عذرهم، وبين لهم شيئاً من الحكمة، ولما قال له ذلك الرجل العابد[١]: اعدل قال له كلاماً غليظاً، واستأذنه بعض الصحابة في قتله، ولم ينكر عليه، لكن ترك قتله لعذر ذكره، ولما فعل خالد بن الوليد ببني جذيمة ما فعل، رد عليهم ما أخذ منهم ووداهم[٢]، ولا نعلم أنه عاتب خالداً، ولا منعه ذلك من تأميره على الناس"[٣].

سادسا: أن الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعذر الجاهل عند عدم وجود من ينبهه؛ فعذره لمن اجتهد فأخطأ من باب أولى وأحرى كما في قوله "وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبر عبد القادر، أو الصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما، لأجل جهلهم، وعدم من ينبههم"[٤].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين، باب من ترك قتال الخوارج للتأليف، برقم: ٦٩٣٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب إذا قضى الحاكم بجور فهو، برقم: ٧١٨٩.

(٣) مؤلفات الشيخ: ٩٢/٤.

(٤) المرجع السابق: ١١/٣.

وسبق في الدعوى السابعة من هذا الفصل: الكلام عن مسألة العذر بالجهل عند الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

سابعا: قول منتصر حمادة عن نواقض التوحيد العشرة أنها: " تضمنت جذور التكفير بالظِنّة، وباللازم، ومن غير تيقن بتوافر الدواعي وانتفاء الموانع".

فهذا القول غير صحيح؛ فالإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر في رسالته المختصرة عشرة نواقض، والفقهاء رحمهم الله من جميع المذاهب الأربعة يذكرون في باب الردة وأحكام المرتد أكثر من هذه النواقض(١).

فإذا تضمنت رسالة الإمام محمد بن عبدالوهاب جذور التكفير بالظِنّة، وباللازم، ومن غير تيقن بتوافر الدواعي وانتفاء الموانع؛ فإن كتب الفقهاء - تكون حسب زعمه- أولى بذلك؛ لأنها ذكرت من النواقض أكثر من عشرة! بل أكثر من عشرين...

ثامنا: قول سعيد الكثيري: إن الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ "لم يفرق بين تكفير الأقوال والأفعال المجردة وبين تكفير المعين على النحو الذي كان ينتهجه الإمام ابن تيمية".

سبق في المبحث الثاني من هذا الفصل بيان أن منهج الإمام هو منهج السلف في التكفير والتفريق بين تكفير الأقوال والأفعال وتكفير المعين.

تاسعا: قول الحسن بن علي الكتاني عن الإمام محمد بن عبدالوهاب أن مسألة تكفير الجاهل تسربت للإمام من كتب المتكلمين، وأنها ليست من مسائل أهل السنة والأثر.

فسبق في المبحث الثاني من هذا الفصل وفي الدعوة السابعة منه، بيان كلام الإمام في تكفير الجاهل، وموافقته لعقيدة السلف في ذلك، وأنه لا يكفر الجاهل إلا بعد إقامة الحجة الرسالية، فالإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أشد الناس موافقة لعقيدة السلف وبعدا عن منهج المتكلمين في التكفير. والإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أشد الناس تحذيرا من كتبهم، وقد سبق بيان ذلك في الدعوى السادسة عشرة من الفصل الأول، حيث يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إحدى رساله في الجواب على أن أول واجب على المكلف هو النظر: " قولك: أول واجب على كل ذكر وأنثى: النظر في

---

(١) انظر: الموسوعة الفقهية: ٢٢/١٨٠ وما بعدها.

الوجود، ثم معرفة العقيدة، ثم علم التوحيد. وهذا خطأ، وهو من علم الكلام الذي أجمع السلف على ذمه"(١).

كما نقل الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن كتب السلف: " الإجماع أن علم الكلام بدعة وضلالة "(٢).

عاشرا: قول رعد النعيمي البغدادي عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه في مسألة تكفير المعين إنهم مخطئون في هذا الباب خطأ عظيماً " ومما يدل على هذا أن مذهب حفيده الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ الذي يعيش اليوم بيننا هو مذهب يعتبر تطبيق قاعدة الشروط والموانع في تكفير الأعيان، كما ورد في بعض كتبه".

فالإمام محمد لا يكفر إلا بتوفر الشروط وانتفاء الموانع كما سبق بيانه، وحفيده الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ حفظه الله يسير على منهج جده الإمام محمد بن عبدالوهاب، وهو المنهج الذي سار عليه أئمة السلف.

قال حفظه الله في بيان كلام أئمة الدعوة في تكفير المعين: "كلام أئمة الدعوة في هذه المسألة – يعني العذر بالجهل– فيه تفصيل ما بين الكفر الظاهر والكفر الباطن، ومن جهة التطبيق في الواقع يفرقون، فإذا أتى للتأصيل قالوا هو كفر سواء أكان كفره عن إعراض وجهل أو كان كفره عن إباء واستكبار، وإذا أتى للتطبيق على المعين أطلقوا على من أقيمت عليه الحجة الرسالية البينة الواضحة أطلقوا عليه الكفر" (٣).

فقوله: " أطلقوا على من أقيمت عليه الحجة الرسالية البينة الواضحة "، يعني لا بد من توفر شروط وانتفاء موانع؛ لأن الحجة الرسالية البينة الواضحة لا تكون إلا مع توفر الشروط

---

(١) الدرر السنية: ١/٥١.

(٢) الدرر السنية: ١/١٠٥، ٢/٣٣٤، ٣/٣١٠. وانظر في ذلك أيضاً: الرسالة الرابعة والخمسون للشيخ عبداللطيف ابن عبدالرحمن آل الشيخ في نصر مذهب السلف على علم الكلام: مجموعة الرسائل والمسائل النجدية: ٣/٢٩٤، ومجموع فتاوى ومقالات ابن باز: ٢/٧١، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: ٤/٧٥، ١٠٥.

(٣) شرح كشف الشبهات: ١٣٦-١٣٨.

وانتفاء الموانع[١]. وهذا موافق لكلام الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(١) انظر: شرح كشف الشبهات لصالح آل الشيخ: ٣٧٩-٣٨٠.

الفصل الرابع

الدعاوى المتعلقة بالغلو والتطرف

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المراد بالغلو والتطرف .

المبحث الثاني: وسطية أهل السنة والجماعة .

المبحث الثالث: الدعاوى المتعلقة بالغلو والتطرف والجواب عنها .

المبحث الأول: المراد بالغلو والتطرف

المراد بالغلو في اللغة:

الغلو هو: مجاوزة الحد وتعديه، وغلا في الأمر يغلو غُلوا, أي جاوز فيه الحد. وغلا غلاء فهو غال، وغلى ضد الرخص... وغلا في الأمر غلوا جاوز حده.

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "غلوى: الغين واللام المعتل أصل صحيح في الأمر يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر, يقال: غلا السعر يغلو غلا وذلك ارتفاعه, وغلا الرجل في الأمر غلوا إذا جاوز حده"(١).

وأصل الغلاء: الارتفاع ومجاوزة القدر في كل شيء..... يقال: غاليت صداق المرأة أي أغليته. وغلا في الدين والأمر يغلو غلوا: جاوز حده.

وغلوت في الأمر غلوا وغلانية وغلانيا إذا جاوزت في الحد وأفرطت فيه, ويقال للشيء إذا ارتفع: قد غلا.

"وغلا في الدين غلوا من باب قعد وتصلب وتشدد حتى جاوز الحد وفي التنزيل: ﴿لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١، والمائدة: ٧٧]. وغالى في أمره مغالاة بالغ"(٢).

فتبين مما سبق أن الغلو يدل على: الارتفاع والزيادة ومجاوزة الحد المعتاد.

ومما جاء في السنة على هذه المعاني قوله ﷺ في حديث أبي ذر: «أي الرقاب أفضل؟ قال: أغلاها ثمنا وأنفعها عند أهلها»(٣).

وحديث النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «أهون أهل النار عذابا يوم القيامة

---

(١) مقاييس اللغة: ٣٨٧/٤.

(٢) المصباح المنير: ٤٥٢/٢. وانظر: القاموس المحيط: ١٣١٨، وتاج العروس: ١٧٨/٣٩، ولسان العرب: ١٣١/١٥، وتهذيب اللغة: ١٦٩/٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب العتق، باب أي الرقاب أفضل، برقم: ٢٥١٨, وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الإيمان بالله أفضل الأعمال، برقم: ٨٤.

رجل على أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل»[١].

الغلو اصطلاحا:

هو: الزيادة ومجاوزة الحد الشرعي الواجب[٢].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]. وقال سبحانه: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧﴾ [المائدة: ٧٧].

وقال سبحانه -في آيات عديدة جاءت في النهي عن الطغيان " وهو غلو في الغي"[٣]- لبني إسرائيل: ﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِي﴾ [طه: ٨١], وقوله عن فرعون وملئه في غير ما آية: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٢٤﴾ [النازعات: ١٧], وقال عن الخاسر صاحب الجحيم: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ٣٧ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٣٨﴾ [النازعات: ٣٧-٣٨] الآية, وقال في آخر سورة هود: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢﴾ [هود: ١١٢].

وقال ﷺ: «اقرءوا القرآن ولا تغلوا فيه, ولا تجفوا عنه, ولا تأكلوا به....»[٤].

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على ناقته: «القط لي حصى», فلقطت له سبع حصيات هن حصى الخذف, فجعل ينفضهن في كفه ويقول: «أمثال هؤلاء فارموا, ثم قال: يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين؛ فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»[٥].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار, برقم: ٦٥٦١، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذابا، برقم: ٢١.

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم: ٢٨٩/١، ومجموع الفتاوى: ٣٦٢/٣، وفتح الباري: ٢٨٧/١٣، وتيسير العزيز الحميد: ٢٥٦.

(٣) انظر: مفردات غريب القرآن: ٥٢٠، ولسان العرب: ٧/١٥، والقاموس المحيط: ١٣٠٧.

(٤) مسند أحمد، برقم: ١٥٥٢٩. وقال محققو الكتاب: حديث صحيح.

(٥) سنن ابن ماجه، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي، برقم: ٣٠٢٩، ومسند أحمد، برقم: ٢٧١٣١، ٢٧١٣٢. وقال محققو الكتاب: حسن لغيره. وانظر: صحيح سنن ابن ماجه، برقم: ٣٠٢٩.

فالغلو تجاوز عن الحد المشروع، أو مبالغة في الالتزام بالدين فعلاً أو تركًا. وقد قال ﷺ: «هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون»[١].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أي هلك المتعمقون المغالون، المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم"[٢].

معنى التطرف في اللغة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " طرَفَ: الطاء والراء والفاء أصلان: فالأول يدل على حد الشيء وحرفه، والثاني يدل على حركة في بعض الأعضاء.

فالأول: طرف الشيء والثوب والحائط. ويقال ناقة طرفة: ترعى أطراف المرعى ولا تختلط بالنوق... وأما الأصل الآخر فالطَّرْف، وهو تحريك الجفون في النظر"[٣].

والتطرف هو تفعّل – بتشديد العين – من طرف يطرف طرفا بالتحريك, وهو الأخذ بأحد الطرفين والميل لهما: إما الطرف الأدنى أو الأقصى, ومنه أطلقوه على الناحية وطائفة الشيء[٤].

التطرف بالمعنى الاصطلاحي، لم أجد – حسب بحثي- في كتب المتقدمين لفظ التطرف بالمعنى المقصود اليوم من كلمة "التطرف"، وإنما مصطلحات مقاربة لها كالغلو[٥]. فهو " مصطلح محدث . . . . يكون في الدين، كما يكون في الفكر والسياسة، والأخلاق والسلوك، وهو إتيان غاية الشيء ومنتهاه"[٦]. فالتطرف: مصطلح يُستخدم للدلالة على كل ما يناقض الإعتدال، زيادة أو نقصاناً.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، برقم: ٢٦٧٠.

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم: ٢٢٠/١٦.

(٣) مقاييس اللغة: ٤٧٧/٣.

(٤) انظر: القاموس المحيط: ٨٣١، لسان العرب: ٢١٣/٩، وتهذيب اللغة: ٢١٨/١٣، الصحاح: ١٣٩٣/٤.

(٥) انظر: الأزمات: مفهومها وأسبابها وآثارها ودورها في تعميق الوطنية: ٩٨، والغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة: ٦٢.

(٦) حقيقة موقف الإسلام من التطرف والإرهاب: ٩.

وحيث يختلف حد الإعتدال، ويتباين من مجتمع لآخر وفقاً لقيم وثقافة وعادات كل مجتمع، فقد تعددت مفاهيم التطرف إلى حد جعل من الصعوبة بمكان تحديد أطرها[١].

ويمكن تعريف التطرف بما يوافق المفهوم المعاصر بأنه: حالة من التزمُّت والغلو في الحماس والتمسك الضيق الأفق بعقيدة أو فكرة، مما يؤدي إلى الاستخفاف بآراء ومعتقدات الآخرين، ومحاربتها والصراع ضدها وضد الذين يحملونها[٢].

وقد عدّ الغلو تطرفًا لأنه أخذ بأحد الطرفين, كما قيل:

لا تغلُ في شيء من الأمر واقتصد ** كلا طرفي قصد الأمور ذميم

لكن الوصف الشرعي للتشدد في الدين والغلو فيه يجب أن يكون مرجعه إلى الشرع نفسه لا اصطلاح الناس ومفاهيمهم وإطلاقاتهم, يقول العلامة ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والتعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية الإلهية هو سبيل أهل السنة والجماعة "[٣].

ومن تتبع الكتاب والسنة وجد أن الغلو هو اللفظ الوارد فيهما، كما جاء في قوله سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧].

وجاء في قول النبي ﷺ: «إياكم والغلو في الدين، فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»[٤].

والغلو والتطرف لفظان متقاربان – وإن كان يوجد من فرّق بينهما[٥]– إذا قيل إن

---

(١) انظر: التطرف وعلاقته بمستوى النضج النفسي والاجتماعي لدى الشباب: ١٤.

(٢) انظر: الموسوعة السياسية: ٧٦٨/١. وموقع المرصد العربي للتطرف والإرهاب: http://arabobservatory.com/?page_id=٢٩١٨.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية: ٧٠/١. وانظر: الإرهاب والعنف والتطرف في ميزان الشرع: ٣، والصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف: ٢٣.

(٤) سبق تخريجه: ٤٢١.

(٥) انظر: مشكلة التطرف ومكافحة الإرهاب، في موقع الارهاب الدراسات الدولية والدبلوماسية:

التطرف: إتيان غاية الشيء ومنتهاه. وبينهما عموم وخصوص، إذا قيل: إن التطرف: إتيان حد الشيء بإطلاق؛ إذ يصبح التطرف أعم من الغلو. والغلو أخص من التطرف؛ إذ إن التطرف هو مجاوزة الحد, والبعد عن التوسط والاعتدال إفراطا أو تفريطا, أو بعبارة أخرى: سلبا أو إيجابا, زيادة أو نقصا, سواء كان غلوا أم لا, إذ العبرة ببلوغ طرفي الأمر.

فالغلو أخص من التطرف باعتبار مجاوزة الحد المعتاد في الزيادة, كقول النصارى في المسيح ابن مريم غلوا إنه ابن الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

والتطرف: الانحياز إلى طرفي الأمر, فيشمل الغلو, لكن الغلو أخص منه في الزيادة والمجاوزة, ليس فقط بمجرد البعد عن الوسط إلى الأطراف.

فكل غلو فهو تطرف, وليس كل تطرفٍ غلوا.

ومع هذا التقارب الكبير بين مصطلحي الغلو والتطرف، إلا أن الإعلام المغرض استعمل مصطلح التطرف أكثر في الربط بينه وبينه الإسلام، والإسلام بريء من تلك الرابطة؛ إذ لا يمكن أن يجتمع الشيء مع ضده في قالب واحد، فالإسلام دين التوسط والاعتدال، بدليل الكتاب والسنة والإجماع.

والتطرف بعيد كل البعد عن سمات الإسلام وخصائصه، فالإسلام – وهو الحق – وسط بين الإفراط والتفريط. أما الغلو والتطرف فهو تعدٍّ على ما أمر الله به ورسوله ﷺ وتجاوز عما شرع، وهو الطغيان الذي نهى الله عنه في قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾ [طه: ٨١].

---

http://errafikabdalwahid.blogspot.com/٢٠١٥/٠٣/blog-post_٨٠.html، في ١٤٣٨/٧/٨هـ.

المبحث الثاني: وسطية أهل السنة والجماعة

الغلو مما ابتليت به هذه الأمة، وهو واقع فيها، كما هو واقع في الأمم قبلها، وقد بين ذلك النبي ﷺ بقوله: «لتتبعن سنن من كان قبلكم، شبرا شبرا وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم»، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن» (١).

فاليهود والنصارى قد غلوا، وقد نهاهم الله -جل وعلا- عن ذلك، لكنهم لم يتركوا غلوهم، كما قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٣٠ ﴾ [التوبة: ٣٠]، وقال الله جل وعلا: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾ [النساء: ١٧١].

فأهل الكتاب أهل غلو، وحذا بعض من هذه الأمة حذوهم، فغلوا في الأشخاص والمعظمين، وغلوا في الأماكن والقبور، وغير ذلك، حتى صار الغلو سمة لهم. وقد حذر النبي ﷺ منه، فقال: «يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين؛ فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»(٢). فكل من غلا وزاد فيما جاء به الشرع فإنه قد وقع فيما نهى عنه النبي ﷺ.

وتمتاز عقيدة أهل السنة والجماعة بميزاتٍ جليلة وخصائص عظيمة تُظهر حسنها، وتُبرز كمالها وجمالها، ومن جملة هذه الخصائص كونها وسطًا بين الغلو والجفاء، والإفراط والتفريط، والزيادة والنقصان، وأهلها أهل وسطيَّة واعتدال، فهم الوسط في فرق الأمة، كما أن هذه الأمة هي الوسط في الأمم؛ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

فأهل السنة والجماعة، وسط بين الأمم، ووسط بين الفرق الغالية، ووسط بين المفرِّطين

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم»، برقم: ٧٣٢٠.

(٢) سبق تخريجه: ٤٢١.

والمفرْطين، وبين المتساهلين والمتشددين، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وهم الذين اختارهم الله ليختم بهم أديانه ورسالاته على الأرض، فرسالتهم ودينهم هي المناسبة لكل عصر ومصر وزمان ومكان ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

وهم غير المغضوب عليهم من اليهود، والضالين من النصارى، فدينهم دين السماحة واليسر وعدم الكلفة، والابتعاد عن المشقة.

وهذه الوسطية بسبب تمسكهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وفهمهما على فهم الصحابة على بصيرة وفقه وحكمة، والرجوع عند الاختلاف والتنازع إليها، والالتزام بمنهج واحد والسير عليه، وهو منهج محمد ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان. فأهل السنة والجماعة:

١- يؤمنون بالكتاب كله، وبما ثبت عن رسول الله ﷺ، فلا يأخذون ببعض النصوص دون بعض كحال من ضل: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥] أو يتخيرون من النصوص ما يوافق أهواءهم: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧].

٢- أنهم حكّموا النصوص من الكتاب والسنة على الآراء والعقول والأهواء، وجعلوا هذه الأمور تابعة للنصوص لا حاكمة عليها، لأن النصوص منضبطة، والأذواق والأهواء لا ضابط لها، فمن تقيد بالمنضبط نجا ومن اتبع هواه ضل، كما تواترت بذلك النصوص.

٣- أنهم تجردوا من الأهواء المضلة، فليس لهم هَمٌّ إلا نصرة ما جاء به الرسول ﷺ، فلا ينتصرون لكبير أو صغير على حساب الحق، أو يقدمون رأي شخص أو جماعة أو حزب أو حركة على الدليل الثابت، بل يدورون مع الحق والدليل حيث كان.

٤- أنهم استرشدوا بفهم السلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم من أهل القرون الثلاثة المفضلة: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم

بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ﴾ [البقرة: ١٣٧]. وقد أثمرت هذه الأسباب ثمرة مباركة في الوسطية والاعتدال عند أهل السنة والجماعة في باب الاعتقاد وغيره.

وأهل السنة والجماعة وسط(١) في باب الصفات بين المعطلة الجهمية وبين المشبهة الممثلة، فيثبتون لله صفاته على ما يليق بجلاله وعظمته من غير أن يحرفوها عما وضعت له، أو يمثلوا بها صفات المخلوقين، على حد قوله تعالى في سورة الشورى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

قال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أما الكلام في الصفات فإن ما روي منها في السنن الصحاح مذهب السلف إثباتها، وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية، والتشبيه عنها، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله، وحققها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف، والقصد إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين، ودين الله تعالى بين الغالي فيه والمقصر عنه"(٢).

وأهل السنة والجماعة وسط في باب القضاء والقدر بين الجبرية وبين القدرية. فالجبرية الذين يغلون في إثبات القدر حتى سلبوا العبد فعله واختياره، ويجعلونه مجبرًا على أفعاله ليس له فيها اختيار ولا مشيئة، وإنما هو كالآلة التي تتحرك بدون اختيارها. وأما القدرية الذين يغلون في قدرة العبد ومشيئته ويحصرون قدرة الله ومشيئته وتقديره للأفعال والأعمال، ويقولون: إن العبد هو الذي يخلق فعل نفسه بدون أن يكون لله في ذلك تقدير وإنما هو شيء العبد يفعله مستقلاً.

أما أهل السنة والجماعة فهم لا يغلون في إثبات مشيئة الله وقدرته غلو الجبرية فينفوا أفعال العبد، ولا يغلون في إثبات أفعال العبد غلو القدرية فينفوا مشيئة الله وقدرته، وإنما يقولون: العبد يفعل باختباره ومشيئته، ولكن لا يخرج عن مشيئة الله وقدره وقضائه، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

(١) انظر: وسطية أهل السنة والجماعة وأثرها في علاج الغلو، مجلة البحوث الإسلامية العدد (٧٧)، ووسطية أهل السنة بين الفرق: ٣٠٥، ٣٣٣، ٣٦١، ٣٩١، ٤٣١، ٤٤٤.

(٢) رسالة في الكلام على الصفات: ١٩.

[التكوير:٢٨-٢٩].

فالله أثبت للعبد مشيئة وقدرة واختيارًا وأرجع ذلك وربطه بمشيئة سبحانه وتعالى، فقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ ردٌ على الجبرية، وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ ردٌ على القدرية.

وقد عقد الإمام اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بابًا في سياق ما نقل من إجماع الصحابة والتابعين والخالقين لهم من علماء الأمة "أن أفعال العباد مخلوقة لله ﷻ وطاعاتها ومعاصيها"(١).

وأهل السنة والجماعة وسط في نصوص الوعد والوعيد وأصحاب الكبائر بين المرجئة وبين الخوارج والمعتزلة، فالمرجئة يأخذون بنصوص الوعد ويتركون نصوص الوعيد، ويقولون: لا يضر مع الإيمان معصية، أما الخوارج والمعتزلة فهم على النقيض من المرجئة أخذوا بنصوص الوعيد وتركوا نصوص الوعد وقالوا: إن مرتكب الكبيرة كافر خالد مخلد في النار، وقالت المعتزلة هو في الدنيا في منزلة بين المنزلتين. أما أهل السنة والجماعة فمرتكب الكبائر من المؤمنين، ناقص الإيمان، لا يكفر خلافًا للخوارج، ومعرض للعقاب خلافًا للمرجئة، فجمعوا بين النصوص وعملوا بها كلها فبذلك صاروا وسطًا في هذا الباب بين الوعيدية وبين المرجئة.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " ولا يشهد على أهل القبلة بعمل يعمله بجنة ولا نار، يرجو للصالح ويخاف عليه، ويخاف على المسيء المذنب ويرجو له رحمة الله. ومن لقي الله بذنب يجب له به النار تائبًا غير مصر عليه؛ فإن الله ﷻ يتوب عليه ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات. ومن لقيه وقد أقيم عليه حد ذلك في الدنيا؛ فهو كفارة، كما جاء الخبر عن رسول الله ﷺ"(٢).

وأهل السنة والجماعة وسط في حق النبي ﷺ بين أهل الغلو وأهل التفريط.

فأهل الغلو من أنزله فوق منزلته، في دعاءه والاستغاثة به بعد موته، أو اعتقاد أنه يعلم الغيب، أو أنه خلق من نور، أو اتخاذ قبره عيدا إلى غير ذلك مما لم يشرعه الله.

وأما أهل التفريط ممن قلل من شأن مقام النبوة، وزهد في إتباعه ﷺ، وفضل غيره من

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ٥٣٤/٣.

(٢) المرجع السابق: ١٨٢/١.

أفراد الأمة عليه، كقول الشيعة الرافضة، بأن مقام أئمتهم فوق مقام الرسل والملائكة.

أما أهل السنة والجماعة فهم يعتقدون أنه ﷺ عبدُ الله ورسوله، وأنه أفضل المرسلين وسيد الخلق أجمعين، ويرون أن محبته واجبة وأنها من الإيمان والدين، وأنه خاتم الأنبياء. ويعتقدون أنه لا يعلم من الغيب في حياته إلا ما علّمه الله فكيف بعد وفاته، وينهون عن إطرائه والغلو في مدحه والمبالغة في ذلك، ويأمرون بالصلاة والسلام عليه، ويشهدون أنه قد بلغ ما أمره به ربه ولم يكتم منه شيئاً.

يقول الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "عقيدة أهل السنة" في ذلك: "وأن محمدًا عبده المصطفى، ونبيه المجتبى، ورسوله المرتضى، وأنه خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء وسيد المرسلين، وحبيب رب العالمين[١]، وكل دعوى النبوة بعده فغي وهوى، وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى بالحق والهدى وبالنور والضياء"[٢].

وأهل السنة والجماعة وسط في أصحاب رسول الله ﷺ وآل بيته بين الشيعة الذين غلوا في آل البيت وكفروا الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وبين النواصب الذين عادوا آل البيت والخوارج الذين كفَّروا الصحابة. فأهل السنة والجماعة، يحبون أصحاب النبي ﷺ وآل بيته ويترضَّون عليهم، ولا يغالون فيهم، ولا يطرونهم فوق منزلتهم.

قال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولًا لأبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ تفضيلًا له وتقديمًا على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ثم لعثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ثم لعلي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون.

---

(١) قال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " بل هو خليل رب العالمين؛ فإن الخلة أعلى مرتبة من المحبة وأكمل؛ ولذلك قال ﷺ : « إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا »، ولذلك لم يثبت في حديث أنه ﷺ حبيب الله".

(٢) العقيدة الطحاوية بتعليق الألباني: ٣٦.

وأن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ وبشرهم بالجنة نشهد لهم بالجنة، على ما شهد لهم رسول الله ﷺ، وقوله الحق، وهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح وهو أمين هذه الأمة رضي الله عنهم أجمعين.

ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه الطاهرات من كل دنس وذرياته المقدسين من كل رجس؛ فقد برئ من النفاق"[١].

وأهل السنة والجماعة وسط في حق أولياء الله وعباده الصالحين بين أهل الغلو وأهل التفريط.

فأهل الغلو: غلوا فيهم، وأنزلوهم غير منزلتهم، وعبدوهم من دون الله، وتقربوا لهم بالذبح والنذر، وبنوا على قبورهم المساجد والقبب، وطافوا وتبركوا بها، وعكفوا عندها، وصرفوا لهم من الأعمال ما لا يصلح إلا لله وحده. أما أهل التفريط فهم الذين لا يرون لأولياء وعباد الله الصالحين قدرا، ولا يقيمون لهم وزنا، فلا يحبونهم، ولا يقتدون بهم، ولا يتبعون سيرتهم، بل يحقرون من شأنهم، ويحتقرونهم في أعمالهم، وينكرون كراماتهم.

أما أهل السنة والجماعة فهم وسط في باب أولياء الله من الصالحين والمؤمنين والأتقياء فيحبونهم، ويقتدون بهم، ويسيرون بسيرتهم، ويثبتون لهم الكرامات؛ ولكن لم ينزلوهم فوق منزلتهم، ولم يصرفوا لهم شيئا من العبادات، ولا يعتقدون فيهم العصمة.

قال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن، وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن... ونحب أهل العدل والأمانة، ونبغض أهل الجور والخيانة ... وعلماء السلف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر -وأهل الفقه والنظر -لا يذكرون إلا بالجميل ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل، ولا نفضل أحدًا من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام، ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء. ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات من رواياتهم"[٢].

---

(١) المرجع السابق: ٨١.

(٢) المرجع السابق: ٦٤، ٧٠، ٨٢.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقررا هذه الوسطية لأهل السنة: "بل هم الوسط في فرق الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم؛ فهم وسط في باب صفات الله تعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة، وهم وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية وغيرهم، وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية وغيرهما، وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية، وفي باب أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة والخوارج"[(١)].

وقد كانت دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب على هذا المنهج من الوسطية والحكمة والبعد عن الغلو والتطرف في العلم والعمل والدعوة، امتثلا لأمر الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[هود: ١١٢].

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب الصفات: "وبالجملة: فعقيدتنا في جميع الصفات الثابتة في الكتاب والسنة، عقيدة أهل السنة والجماعة، نؤمن بها، ونمرها كما جاءت، مع إثبات حقائقها، وما دلت عليه، من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تعطيل ولا تبديل ولا تأويل"[(٢)].

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب القدر: "وأومن بأن الله فعال لما يريد، ولا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس شيء في العالم يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد لأحد عن القدر المحدود، ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المسطور"[(٣)].

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب الوعد والوعيد:" ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار، إلا من شهد له رسول الله ﷺ، ولكني أرجو للمحسن وأخاف على المسيء، ولا أكفّر أحداً من المسلمين بذنب، ولا أخرجه من دائرة الإسلام"[(٤)].

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب تعظيم النبي ﷺ: "وأومن بأن نبينا محمداً ﷺ خاتم النبيين والمرسلين،

---

(١) العقيدة الواسطية: ٨٢.

(٢) الدرر السنية: ١/٥٧٦.

(٣) مؤلفات الشيخ: ٦/٩.

(٤) المرجع السابق: ٦/١١.

ولا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته"[١].

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب الصحابة: " وأن أفضل أمته: أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضى، ثم بقية العشرة، ثم أهل بدر، ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان، ثم سائر الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

وأتولى أصحاب رسول الله ﷺ وأذكر محاسنهم، وأترضى عنهم، وأستغفر لهم، وأكف عن مساويهم، وأسكت عما شجر بينهم، وأعتقد فضلهم عملاً بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، وأترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات من كل سوء"[٢].

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب الأولياء والصالحين أن الواجب: " حبهم واتباعهم والإقرار بكرامتهم، ولا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلال، ودين الله وسط بين طرفين، وهدى بين ضلالتين، وحق بين باطلين "[٣].

---

(١) الدرر السنية: ١/ ٣٢.

(٢) المرجع السابق: ١/ ٣٢.

(٣) مؤلفات الشيخ: ١/ ١٦٩.

المبحث الثالث
الدعاوى المتعلقة بالغلو والتطرف والجواب عنها

أثار المعاصرون المناوئون لدعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب الغلو والتطرف عدة دعاوى، وعند تأملها نجد أنها متكررة مع أسلافهم، ومما ذكروا من الدعاوى:

- الغلو في التكفير[(١)].
- إدعاء النبوة[(٢)].
- أنهم خوارج وسيماهم التحليق[(٣)].
- إتلاف الكتب[(٤)].

وأضافو عليها ما يلي:

---

(١) سبق الكلام عن التكفير في الفصل الثالث.

(٢) انظرها في: بحوث في الملل والنحل: ٤/٣٣٥، نقض الوهابية: ٥٥. وانظر الرد عليها في: دعاوى المناوئين: ٧٨-١١٢، إسلامية لا وهابية: ١٢١-١٢٩، ١٥٦، دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، آل بوطامي: ٧٦، محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه: ١٧١، مواقف المستشرقين من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية: ١١١-١١٣.

(٣) انظرها في: السلفية المعاصرة إلى أين: ٥٦، ومن هم أهل السنة والجماعة: ٢١٠، وتهافت السلفية: ١١١، والحنابلة واختلافهم مع السلفية المعاصرة: ٢٢١، ومغالطات السلفية: ٥١٤، والمقالات السنية في كشف ضلالات ابن تيمية: ١/٦٣. وانظر الرد عليها في: دعاوى المناوئين: ١٧٨، والشيخ محمد بن عبدالوهاب لابن حجر آل بوطامي: ٩٣، ودعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب سلفية لا وهابية: ٢٧٣، إسلامية لا وهابية: ٢٧٦-٢٨٠.

(٤) انظرها والرد عليها في: إسلامية لا وهابية: ٢٦٠، صفحات من تاريخ الجزيرة العربية الحديث: ١٨٩.

المطلب الأول: دعوى التشدد في العقائد والعبادات

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى التشدد في العقائد والعبادات وغيرها.

يقول محمد العطاونة: "وإجمالاً أدت الفتاوى الوهابية التقليدية جزءاً مهماً في تقديم التفسيرات الوهابية للإسلام بوصفها مختلفة عن المجموعات الإسلامية الأخرى. ويظهر هذا في الميل إلى الرجوع إلى مصادر مختلفة، وغالباً ما يذكر المفتون فتاوى مختلفة في مسألة ما، ويُدرجون آراءهم التي يرجّحون فيها التفسير الصحيح. وغالباً ما يستخدمون عبارة "أما بالنسبة إلينا..." وكانت هذه طريقة ذكية عبّر من خلالها علماء الوهابية الأوائل عن موقفهم المتميز، موضحين فهمهم للإسلام.

صوّر النموذج الوهابي الإسلام غالبًا بأنه نهج علمي تميز بالتشدد في الأمور الفقهية"[(١)].

ويقول محمد المحمود: "أحياناً يكون الخطاب السلفي المتشدد، منحصراً في مسلك تنظيري، بحيث لا يظن كثير من أولئك الذين يتماهون معه أنه منطوٍ على مقدمات تمهيدية للخطاب التكفيري. يغلب هذا الوهم على الظن في كثير من الأحيان، خاصة وأن الخطاب السلفي المتشدد، ربما تكون له مسيرة سلمية خاصة، وهي مسيرة سلمية تنبع سلميتها من خارج الخطاب، وليس من داخله. إنها مسيرة سلمية للسلفية، تفرضها شروط الواقع؛ لأنه لا يوجد لها من الأحداث -من حيث النوع أو الكم- ما يمكن أن يكون مستفزاً لها. وفي هذه الحال الاستثنائية، تبقى المفردات التكفيرية قارّة في السياق التنظيري للخطاب المتطرف. وبهذا يبدو مظهرها السلمي خادعاً ومغرياً للسذج، إذ هي -كما تبدو- مجرد تشدد ديني ذاتي، لا يثمر في الواقع أية تأزمات، أي أنها تبدو وكأنها من جملة الخيارات الدينية الخاصة. لكنها - في الحقيقة- ليست إلا فتاوى بمثابة قرارات إعدام، تنتظر من يمنحها مشروعية التطبيق.

ولو أخذنا مثالاً حياً على ذلك ما يُسمى بـ (نواقض الإسلام)، تلك المفردات التي

---

(١) الإسلام الوهابي في مواجهة تحديات الحداثة: ٤٢-٤٣.

طرحتها السلفية التقليدية، وتم ترسيخها والتأكد عليها في الذهنية العامة، كمخرجات من الملة (=قنوات للخروج من الإسلام)، لوجدنا أن لها طابع الأحكام الإسلامية العامة، أي الأحكام التي نتفق مع معظم المسلمين في عمومياتها، ولكنها -ومن دون تردد- نختلف معها- ويجب أن نختلف معها- في التفاصيل التطبيقية الدقيقة اختلافاً كبيراً، وإلا أصبحنا مكفراتية بامتياز"[١].

ويقول منير أديب: "تحولت هذه السلفية إلى اتجاه مذهبي داخل الفكر الإسلامي، وهي تتسم بالتشدد الاعتقادي، والتصلب في تطبيق الشريعة، بناء على تصور يقسم العالم بشكل حاد إلى: عالم كافر مشرك، وعالم مؤمن مسلم، وعقيدة الولاء والبراء هي من المرتكزات الأساسية في هذه السلفية" [٢].

كما زعموا أن ما يحصل من تشدد عند بعض الجهاديين سببه هو الرجوع إلى التراث الوهابي، وأن تحليل كتب الوهابية توصل للعنف.

يقول رول ميير[٣] في الفرع الثاني من السلفية الجهادية حسب تقسيمه: "الفرع الثاني: تعود جذوره إلى المملكة العربية السعودية، ويتمثل في الوهابيين الجدد، يقودهم المفتي والشخصية المرموقة الشيخ عبدالعزيز بن باز وتلاميذه الذين أسسوا، بجانب أمور أخرى، حركة الصحوة"[٤].

ويقول محمد المحمود: "كل المراجع الإرهابية - التي يسمونها في جماعاتهم: هيئات

---

(١) نحن والإرهاب: ٧٩-٨٠.

(٢) الجماعات الإسلامية والعنف: ٣٣٦. وانظر: شجرة نسب السلفية الجهادية: ٢٦، التصوف في عسير والمخلاف السليماني ضمن التصوف في السعودية: ١٤٢، ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من الإحياء والإصلاح إلى الجهاد العالمي: ٣٨٠-٣٨١، ٣٨٥-٣٨٦، ومباحث في العذر بالجهل وإقامة الحجة: ١٩٨، والسلفية السعودية في الكتابات الغربية: ٢٩-٣١، ٤٠، ٥٦.

(٣) وقد اعتمد على ما دار في مؤتمر حول السلفية كحركة عالمية والذي عقد في الفترة من ٢٧ إلى ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٧م بمدينة نيجمرجين في هولندا.

(٤) السلفية العالمية: الحركات السلفية المعاصرة في عالم متغير: ٢٦٩. وانظر: دعوة المقاومة الإسلامية العالمية: ١/٨٤١-٨٥١، والنقد الذاتي عند الإسلاميين (١) التيارات القتالية: ٥٦-٥٨

شرعية- تفتي بكفر الدولة، ومن ثم المجتمع؛ لأنه لم يخرج على الدولة التي حكموا بكفرها، ولهذا، لا تعجب حين نرى المتطرفين يعمدون إلى استحلال الأموال والأنفس والأعراض، لأننا -في تصورهم التكفيري- كفار. وسبب تكفيرهم لنا، أننا لم نخرج على الدولة التي كفروها. فنحن كفار؛ لأننا موالون للكفار، بعدم خروجنا عليهم. والكافر عندهم حلال الدم والمال والعرض، ولابد من إعلان الجهاد (=الإرهاب) ضده، مهما كلف الأمر.

طبعاً، لا يخفى أن كثيراً من المقولات التي يتشدق بها المتطرفون هي مقولات ليست غريبة عن بيئتنا المحلية، بل هي مأخوذة من صلب المنظومة الفكرية للسلفية التقليدية، تلك المنظومة التي تنطوي على مقولات إرهابية تنتظر من يفعّلها. هذا، إن لم تكن غير غائبة عن المناهج التعليمية في بعض الأقسام في جامعاتنا. أما أنها تدرّس في بعض المساجد والمنازل، وتؤلف فيها الكتب وتطبع، فهذا أمر لم يعد خافياً، إلا على من لا يريد أن يرى الأمور كما هي عليه، وإنما يريد أن يراها كما يرغب أن تكون عليه، وفق مقتضيات مصالحه الخاصة، التي لا علاقة لها بالبحث المعرفي لا من قريب ولا من بعيد"(١).

كما زعموا أن الوهابية تدعم جماعات الثوار، يقول باتريك كوكبيرن: " إن معتقدات الوهابية ليست مختلفة كثيراً عن معتقدات القاعدة أو أي جماعة سلفية جهادية في منطقة الشرق الأوسط. فالوهابية ترفض كلياً المذاهب الإسلامية الأخرى وكذلك المعتقدات غير الإسلامية. فهي تعتبر أن المذهب الشيعي بدعة"(٢).

ويقول أحمد سالم: "-كل أو أكثر الثورات والحركات الإسلامية في القرنين التاسع عشر والعشرين ضد الغزو الأوروبي ستحمل في طياتها بذرة وهابية-.

هكذا يقول محمد جلال كشك في كتابه: (السعوديون والحل الإسلامي). ولا أستطيع أن

(١) تكفير التنوير: ٦١. وانظر: الجماعات الإسلامية والعنف: ١٩، ٥٨٥-٥٨٦، ونحن والإرهاب: ٦-٦١، وحقول الدم: ٥٦٨، وحركات البعث الإسلامي ضمن كتاب الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو والتوقف والتبيين: ٧٢.

(٢) داعش عودة الجهاديين: ١١٦-١١٧. وانظر: ١٢٩-١٣٠. وذكر الكاتب أنه في سنة ٢٠١٣م نشرت المديرية العامة للسياسات الخارجية للبرلمان الأوروبي دراسة بعنوان "تورط السلفية الوهابية في دعم جماعات الثوار في جميع أنحاء العالم وتزويدها بالأسلحة.

أقول: إن هذه الكلية تجد في نفسي صدى واسعاً، ولا أجد في الوقت نفسه متسعاً لنقاش حدود إمكانية صدقها بدقة تكون أمينة مع التاريخ، منصفة لصاحب المقولة في الوقت نفسه.

وتنبع أهمية هذه الفكرة التي يرددها محمد جلال كشك من كونها تتردد بدرجات متفاوتة في كتابات معاصرة كثيرة تحلل التاريخ المعاصر للأمة العربية والإسلامية، فنحن نجد مثلاً برهان غليون الذي ينتمي لمدرسة فكرية مختلفة يقرر أن الوهابية (وجهت -دون شك بإحيائها ملكة التفكير الصارم من جديد في الإسلام وتوليدها إرادة عميقة في الإصلاح والتغيير، وبعثها روح الكفاح والمعارضة التي كان ابن تيمية رمزها، وإعادتها الشريعة إلى مكانها الأول في الوعي الديني- ضربة عنيفة للأسس التي كان يقوم عليها التوازن العقائدي والسياسي القائم، وبهذا أعطت الوهابية دفعة لا شك فيها للجدلية الاجتماعية السياسية والفكرية التي كانت قد تجمدت تقريباً منذ قرون عدة في المجتمعات العربية)(١)"(٢).

كما زعموا أن إعادة طباعة كتب الدعوة الوهابية من قبل هؤلاء الثوار يدل على أن استمداد العنف منها. يقول فؤاد إبراهيم: "إن إعادة طبع كتب مؤرخي المذهب الرسمي والمقررين للغارات السعودية في أدوارها الثلاثة -من ابن غنام وابن بشر حتى إبراهيم بن صالح النجدي- لا تحتمل تفسيراً آخر غير ما قيل من أن العنف يستمد قوته ومصادر تغذيته من الدولة نفسها"(٣).

ويقول محمد المحمود: "كثيرون جداً لا يصدقون، بل وربما لا يريدون أن يصدقوا أن كثيراً من أساتذة كلياتنا الشرعية، وكثيراً من قضاتنا الشرعيين، وكثيراً من خطباء جوامعنا وأئمة مساجدنا، مُروجون لخطاب التكفير السلفي، ومؤيدون -صراحة- لاستخدام العنف الذي يصل حد المطالبة العلنية بتنفيذ جريمة: (القتل) بالآخر المخالف. واقرأ بتفحص - لتقتنع!-

---

(١) المحنة العربية: ٤٦.

(٢) أثر الدعوة الوهابية في التيارات الإسلامية المصرية : ٢٥٩، ضمن كتاب الوهابية السلفية الأفكار والآثار. وانظر: ٢٧٤-٢٧٥، ونقد العقل الجهادي: ٢١٥ وما بعدها، والجماعات المتطرفة وإيران علاقات متجددة: ١٣-٣٨، ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من الإحياء والإصلاح إلى الجهاد العالمي: ٤٠١.

(٣) السلفية الجهادية في السعودية: ٢١٨.

تلك المقررات الدينية، وخاصة مقررات (دروس العقيدة)، التي يتم تدريسها في الكليات الشرعية، وانظر طبيعة الإحالات، بل انظر إلى الإجراء الذي تقترحه هذه المقررات للتعامل مع المخالفين، وسترى أنها أشبه بالبرنامج العملي للإرهاب. اقرأ كيف يتغنى أساتذة العقيدة في جامعاتنا ومعاهدنا العلمية، بقتل الجعد بن درهم نحراً يوم عيد الأضحى، وكيف يعدون هذا الفعل عين الصواب"(١).

حقيقة هذه الدعوى:

إن إتهام دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتشدد يعود إلى عدم الفهم الصحيح لدعوة الإمام؛ بل لعدم فهم العقيدة الصحيحة(٢)، والاتهام بالتشدد وجه للدعوة السلفية؛ بل للإسلام، ويريد أهل الأهواء بذلك أن يصدوا عن دعوة الإمام، وأن لا تُنكر عليهم بدعهم ومنكراتهم، وأن لا يُصدوا عن شهواتهم(٣).

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: أن كلمة التشدد التي تعني تكليف الإنسان نفسه من العبادة فوق طاقته(٤)، والبعد عن يسر الدين وسماحته؛ غير مقبول ومخالف للنصوص الشرعية التي جاءت بالتيسير ورفع الحرج، قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال ﷺ: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا»(٥).

---

(١) نحن والإرهاب: ١٤. وانظر: مملكة الكراهية: ٢١-٢٢، ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من الإحياء والإصلاح إلى الجهاد العالمي: ٤٢٠-٤٢٢، ٤٢٧-٤٢٩، ٢١٦-٢١٨، مباحث في العذر بالجهل وإقامة الحجة: ١٠١، ٢٩٥-٢٩٦.

(٢) انظر: تعليق د. سميح دغيم على كتاب ذم الكلام وأهله للهروي ص ١٥، حيث يقول: " يبدو أن الهروي قد ركز على تلك الأحاديث النبوية الشريفة وما يدعمها من آيات قرآنية مقابلة التي تؤيد ما يذهب إليه من تشدد في تفسير العقيدة الإسلامية وفي حصر كل المسألة في نطاقين: القرآن والسنة؛ دون إغفال أي واحد منهما؛ فالسنة مكملة للقرآن ولا يستغنى عنها أبدً".

(٣) انظر: إسلامية لا وهابية: ١٥٦.

(٤) انظر: مقاييس اللغة: ١٧٩/٣، والنهاية في غريب الحديث: ٤٥١/٢.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: الدين يسر، برقم: ٣٩.

ودعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوة سلفية بعيدة عن الإفراط والتفريط، والتشدد، وقد سبق في المبحث الثاني من هذا الفصل بيان وسطية دعوة الإمام[١].

ثانيا: أن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوة للدين كله وأهمه الدعوة إلى التوحيد، وهذا ظاهر جلي في مؤلفاته ورسائله وسيرته العلمية والعملية، وفي أبنائه وأنصار دعوته، والدولة التي نصرت دعوته وهي الدولة السعودية الأولى إلى الدولة السعودية الثالثة.

وقد نشأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عصر كثرت فيه البدع وخف ميزان العقيدة فبدأ دعوته رَحِمَهُ ٱللَّهُ بترسيخ العقيدة الصحيحة، ونبذ البدع والخرافات التي كان سببها الجهل، فكانت دعوته دعوة إصلاحية جاءت في وقت الناس فيه أحوج ما يكونوا إلى تصحيح عقيدتهم[٢].

ثالثا: أن وصف هذه الدعوة بالتشدد دعوى باطلة، فهي دعوة سلفية تميزت باعتمادها على الكتاب والسنة وفق فهم السلف الصالح، مع العناية بالدعوة إلى التوحيد ورد الشبهات وكشفها. وأكثر من يتهم دعوة الإمام بالتشدد هم من غير المنتسبين للعلم الشرعي مما يدل على عدم فهمهم لحقيقة الدعوة[٣].

وقد كانت دعوة الإمام دعوة هدى وساق الناس إلى الدين السمح بالحكمة والرفق واللين، وانتفع الناس بدعوته، ومن سيرته المرضية وإرشاده النافع[٤].

يقول جمال أحمد السيد المراكبي - رئيس أنصار السنة المحمدية- في تصريح له حول دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: " إن الاتهامات التي تنسب الغلو والتشدد لفكر الشيخ ابن عبد الوهاب قد كثرت في الأزمنة الماضية ولكن تضاءلت في السبعينات من القرن العشرين ثم فجأة

---

(١) انظر لمعرفة وسطية الإمام رحمه الله كتاب: جوانب الوسطية في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لأسماء الداود.

(٢) انظر الحياة الاجتماعية عند حضر نجد: ٤١-٦١، والحياة الاجتماعية لدى بادية نجد: ٢٠٦، والإنحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر: ١/٢٠٥-٢٤٠، ومسائل الاعتقاد عند علماء نجد قبل الدعوة الإصلاحية.

(٣) انظر: الوهابية دعوة سلفية لا مذهبية: http://www.al-jazirah.com/٢٠٠٨/٢٠٠٨١٢٠٩/rj١.htm، في ١٤٣٨/٧/٩.

(٤) انظر: الشيخ محمد بن عبدالوهاب في مرآة علماء الشرق والغرب: ١٠، ١٧، ٢٣.

بدأت تطل برأسها في القرن الحادي والعشرين بكتابات تهاجم هذا الفكر وتصف من يعتنقه بأنه من أتباع الاسلام الوهابي أو الاسلام السعودي أو الاسلام المصري أو السلفي... وهكذا".

ثم يقول أيضًا: "إن هذه اتهامات باطلة لا أساس لها من الصحة، فاذا نظرنا إلى الفكر السلفي في المملكة، نجد الذي يتبناه ويحمله هم كبار العلماء في المملكة والعالم الإسلامي مثل الشيخ ابن سعدي والعلامة محمد بن إبراهيم والشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ محمد بن عثيمين -رحمهم الله جميعاً- ومن الأحياء الشيخ صالح آل الشيخ وزير الشؤون الاسلامية وسماحة مفتي المملكة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ وغيرهم كثيرين فهل نجد في فكر هؤلاء تطرفاً أو دعوة إلى حمل السلاح، كلا"[١].

رابعا: قول محمد العطاونة بأن الفتاوى الوهابية التقليدية قدمت تفسيرات للإسلام مختلفة عن المجموعات الإسلامية الأخرى الخ.

فدعوة الإمام[٢] تعتمد الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح ولا تخرج عن مذاهب الأئمة الأربعة؛ لكن الكاتب ذكر أن الفتاوى الوهابية قدمت تفسيرات مختلفة عن المجموعات الإسلامية الأخرى، والأصل أن يقول خالفت الكتاب والسنة لأنهما المرجع عند الاختلاف؛ لكن لما كانت الفتاوى الوهابية لا تخالف الكتاب والسنة قال: " قدمت تفسيرات للإسلام مختلفة عن المجموعات الإسلامية الأخرى".

وهذا الكلام غير صحيح، فدعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم تخرج عن مذهب السلف، ولا عن الأئمة الأربعة، وإنما المخالفون لها ، المعادون لها يريدون تنفير الناس عن الدعوة.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لم يخل قرن من القرون التي كثرت فيها البدع من

---

(١) جريدة الشرق الأوسط: رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية في مصر: «الوهابية» تهدف للقضاء على بذور الشرك والوثنية: http://archive.aawsat.com/details.asp?article=١٧١٦٨٦&issueno=٨٩٣٩#.WOcJmjvyuUk، في ١٠/٧/١٤٣٨. وانظر في وسطية دعوة الشيخ ومنهجه في ذلك كتاب "جوانب الوسطية في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب".

(٢) انظر: الفصل الثالث، الجواب عن الدعوى الرابعة.

علماء ربانيين يجددون لهذه الأمة أمر دينها، بالدعوة والتعليم وحسن القدوة، وعدول ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، كما ورد في الأحاديث، ولقد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي من هؤلاء العدول المجددين، قام يدعو إلى تجريد التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده، بما شرعه في كتابه وعلى لسان رسوله خاتم النبيين ﷺ، وترك البدع والمعاصي وإقامة شعائر الإسلام المتروكة، وتعظيم حرماته المنتهكة المنهوكة، فنهدت لمناهضته واضطهاده القوى الثلاث: قوة الدولة والحكام، وقوة أنصارها من علماء النفاق، وقوة العوام الطغام، وكان أقوى سلاحهم في الرد عليه أنه خالف جمهور المسلمين.

مَن هؤلاء المسلمون الذين خالفهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دعوته؟ هم أعراب في البوادي شر من أهل الجاهلية، يعيشون بالسلب والنهب، ويستحلون قتل المسلم وغيره لأجل الكسب، ويتحاكمون إلى طواغيتهم في كل أمر، ويجحدون كثيراً من أمور الإسلام المجمع عليها التي لا يسع مسلماً جهلها، ولا يقيمون ما حفظوا اسمه منها، ولكنهم قد يسمون أنفسهم مسلمين، وأهل حضر، فشت فيهم البدع الوثنية والمعاصي وأضاعوا هدي الشرع في العمل والحكم، فضاع جل ملكهم، وذهب سابق عزهم، وعرف هذا عالمهم وجاهلهم، وصرنا نسمع خطباءهم على منابر الجمعة يقولون: "لم يبق من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه"، على ما في كثير من هذه الخطب من تأييد البدع والكذب على الله ورسوله، والتعاليم التي تزيد الأمة جهلاً وضعفاً وفقراً، وهم لها مقترفون، وعليها مصرون، حتى إذا ما ارتفع صوت مصلح بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يشكون منه بالإجمال، مبيناً لهم أسبابه وسوء عاقبته بالتفصيل، هبوا لمعارضته، واستعدوا عليه الظالمين المستبدين للانتقام منه، إذا لم يجد هؤلاء الظالمون باعثاً سياسياً للإيقاع به"[١].

ومما قاله الأستاذ منح هارون في الرد على الكاتب الإنجليزي ويلز: "وكل ما قاله الشيخ ابن عبد الوهاب قال به غيره ممن سبقه من الأئمة الأعلام، ومن الصحابة الكرام، ولم يخرج في

---

(١) مقدمة كتاب صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان: ٦-٧. وانظر: الشيخ محمد بن عبدالوهاب في مرآة علماء الشرق والغرب: ٩-١٠، ١٢.

شيء عما قاله الإمام أحمد وابن تيمية رحمهما الله"[١].

يقول الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فإن الذي أنا عليه، وأدعوكم إليه، هو في الحقيقة الاقتداء بأهل العلم، فإنهم قد وصوا الناس بذلك"[٢].

وقال أيضا "فنحن – ولله الحمد – متبعون لا مبتدعون، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل"[٣].

ثم قول الكاتب: " المجموعات الإسلامية الأخرى"، من هي هذه المجموعات الإسلامية الأخرى؟ هل هي المذاهب الأربعة، أو الصوفية، أو الرافضة، أو غير ذلك؟ وهذا من عادة المخالفين ذكر الأمور المجملة، لعلمهم أن التفصيل يبين الخلال المنهجي عندهم.

ولذلك يقول باتريك كوكبيرين " فالوهابية ترفض كلياً المذاهب الإسلامية الأخرى وكذلك المعتقدات غير الإسلامية. فهي تعتبر أن المذهب الشيعي بدعة"[٤]، مما يؤكد بأنهم يقصدون بالمجموعات الإسلامية الأخرى أهل البدع والضلالة.

وهذا الأمر هو الذي أنكره أئمة الدعوة رحمهم الله يقول الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ونحن أيضا في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ولا ننكر على من قلد أحد الأئمة الأربعة دون غيرهم، لعدم ضبط مذاهب الغير، كالرافضة، والزيدية، والإمامية، ونحوهم؛ بل لا نقرهم ظاهراً على شيء من مذاهبهم الفاسدة؛ بل نجبرهم على تقليد أحد الأئمة الأربعة "[٥].

---

(١) الشيخ محمد بن عبدالوهاب في مرآة علماء الشرق والغرب: ١٦، وتصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية: ٥٢.

(٢) الدرر السنية: ١/٤٤.

(٣) المرجع السابق: ١/٥٧.

(٤) داعش عودة الجهاديين: ١١٦-١١٧. وانظر: ١٢٩-١٣٠. وذكر الكاتب أنه في سنة ٢٠١٣م نشرت المديرية العامة للسياسات الخارجية للبرلمان الأوروبي دراسة بعنوان "تورط السلفية الوهابية في دعم جماعات الثوار في جميع أنحاء العالم وتزويدها بالأسلحة".

(٥) الدرر السنية: ١/٢٢٧، ٤/١٥.

ويقول الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تقليد واتباع الأئمة الأربعة: "التمذهب بمذهب من المذاهب الأَربعة سائغ، بل هو بالإجماع، أو كالاجماع ولا محذور فيه كالانتساب إلى أحد الأربعة فإنهم أئمة بالإجماع"(١).

خامسا: قول محمد المحمود عن الخطاب السلفي المتشدد أنه منحصر في مسلك تنظيري، وأنه ربما تكون له مسيرة سلمية خاصة، وهي مسيرة سلمية تنبع سلميتها من خارج الخطاب، وليس من داخله... ثم قال "لكنها -في الحقيقة- ليست إلا فتاوى بمثابة قرارات إعدام، تنتظر من يمنحها مشروعية التطبيق".

فهذا من التناقض، فإن كان الخطاب سلفيا فهو خطاب صحيح؛ لأنه يعتمد الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح.

ثم كيف يكون الخطاب السلفي المتشدد منحصرا في مسلك تنظيري - حسب زعمه-، ثم تكون فتاواه بمثابة قرارات إعدام، تنتظر من يمنحها مشروعية التطبيق؟! فهو إما أن يكون مسلكا تنظريا منحصرا، فيستمر على هذا المسلك، ولا يتحول لتطبيق، أو يكون ليس تنظريا ولا منحصرا فيتحول إلى تطبيق.

والحقيقة أن الخطاب السلفي الصحيح ليس بمنحصر في مسلك تنظيري؛ بل هو مسلك عملي، يشهد له الواقع، وقد صدر عنه من الفتاوى الكثيرة في نبذ التطرف والتشدد، هذا من الجهة العلمية. أما من الجهة العملية فإن هذه الدولة المملكة العربية السعودية تحارب التطرف والغلو(٢).

سادسا: قول منير أديب عن دعوة الإمام بأنها: "تتسم بالتشدد الاعتقادي، والتصلب في تطبيق الشريعة، بناء على تصور يقسم العالم بشكل حاد إلى: عالم كافر مشرك، وعالم مؤمن

---

(١) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم: ١٧/٢.

(٢) انظر: جهود علماء المملكة العربية السعودية في مكافحة الإرهاب:
http://www.assakina.com/book/٥٣٤٦٨.html، في ١٤٣٨/٧/١٠، مفهوم الإرهاب في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي: ٣٥٣/٢-٣٥٦، ٣٧٩ وما بعدها، وموقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب، للدكتور: سليمان أبا الخيل، والمملكة في مواجهة الإرهاب مواقف وإنجازات، وزارة الإعلام.

مسلم".

سبق الجواب عنها في الفصل الثالث، الدعوى الخامسة، وأن تقسيم العالم إلى كافر مشرك، وعالم مؤمن مسلم، هو ما دل عليه الكتاب والسنة وكلام أهل العلم.

سابعا: قول محمد المحمود بأن كثيراً من المقولات التي يتشدق بها المتطرفون هي مقولات ليست غريبة عن بيئتنا المحلية، بل هي مأخوذة من صلب المنظومة الفكرية للسلفية التقليدية، وأنها تدرس في جامعاتنا ومدارسنا...الخ.

فإنه – ولله الحمد– فإن مناهجنا التي تدرس في جامعاتنا ومدارسنا هي مناهج ومؤلفات أئمة السلف وأئمة الدعوة ﭿ، التي توافق الكتاب والسنة وتستند عليهما[١].

لكن سوء الفهم والهوى هو الذي يعمي ويصم؛ وإلا أين هذه المقولات في مناهجنا؟ وكم عددها؟ ومن هو المتأثر بها؟ وكم عددهم؟[٢] بل العكس هو الصحيح؛ فإن المقولات التي تحارب التشدد والتطرف أكثر من أن تحصى، وفتاوى أهل العلم في هذا كثيرة، والمخالفون لها هم قلة– ولله الحمد–، ووجود مثل هؤلاء القلة لا يعني أنهم على الحق، ولا يعني أن نوافقهم على ما هم عليه. وعلماء وأئمة هذه الدعوة هم من أوائل من حذر من هؤلاء الغلاة، ومن منهجهم[٣].

ثم إن أعظم كتاب وأحكمه وأبلغه وأهداه وأرشده، كتابُ الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومع ذلك يستدل منه الغالي المكفر والمفرط المرجئ، وذلك كله حين لا يردون متشابهه إلى محكمه، ولا يعتبرون أصول الاستدلال وحقائق معاني الكلام، وحين يغلب المرض على قلوبهم ويبتغون الفتنة كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ

(١) انظر موافقة المناهج لعقيدة السلف في كتاب: الدعاوى المتعلقة بمسائل العقيدة في مقررات التعليم العام في المملكة العربية السعودية: ١٨٤، ٢١٨، ٢٤٢، ٢٦٤، ٢٨٠، ٢٨٦، ٣٠٥، ٣٧٠، ٤٩٥، ٥٠٢.

(٢) انظر دعاوى المناوئين للمقرارت والجواب عنها: الدعاوى المتعلقة بمسائل العقيدة في مقررات التعليم العام في المملكة العربية السعودية: ١٨٧، ٢٢٠، ٢٤٣، ٢٦٦، ٢٨٧، ٣١٠، ٣٤٤، ٣٥٩، ٣٧٤، ٤٦٣.

(٣) انظر: الفصل الثاني، الجواب عن الدعوى الخامسة، وكذلك الفصل الثالث، الجواب عن الدعوى الثانية والثالثة.

تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٧].

ومع هذا يحرم أن نقول: إن القرآن هو سبب البدع ومرجع المبتدعين، وإذا صدق هذا على القرآن - أعني رد المتشابه إلى المحكم- فهو على ما دونه من القول أصدق.

ثامنا: قول محمد المحمود عن أساتذة الجامعات والقضاة والخطباء وأئمة المساجد أنهم "مُروجون لخطاب التكفير السلفي، ومؤيدون -صراحة- لاستخدام العنف الذي يصل حد المطالبة العلنية بتنفيذ جريمة: (القتل) بالآخر المخالف". ثم ذكر مثلا على ذلك "قتل الجعد بن درهم نحراً يوم عيد الأضحى، وكيف يعدون هذا الفعل عين الصواب".

فقوله: "مروجون لخطاب التكفير السلفي" فهذا حق؛ لأن التكفير السلفي هو التكفير المستمد من الكتاب والسنة وفق الضوابط الشرعية، ولا يمكن أن يكون التكفير السلفي مؤيدا لاستخدام العنف أو القتل بغير حق.

ثم قوله عن هذا العنف: " الذي يصل حد المطالبة العلنية بتنفيذ جريمة: (القتل) بالآخر المخالف"، من هو المخالف الآخر عنده؟ ذكر لذلك مثلا، وهو "الجعد بن درهم"، فهو يرى أن قتل الجعد بن درهم من العنف.

وهذا يؤكد لك أن الكاتب لا يريد عقيدة السلف، وأن المقولات المخالفة عنده هي ما اتفق عليه السلف الصالح؛ وإلا فالجعد بن درهم، المبتدع الضال، الذي أخذ بدعته عن بيان بن سمعان، وأخذها بيان عن طالوت ابن أخت لبيد بن أعصم، زوج ابنته، وأخذها لبيد بن أعصم الساحر -الذي سحر الرسول ﷺ- عن يهودي باليمن. الجعد بن درهم الذي قال بخلق القرآن، وزعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلِّم موسى تكليماً، هلك سنة ١١٨هـ، وقد افتى بقتله العلماء[1].

تاسعا: قول أحمد سالم عن دعوة الإمام وقد ساق العبارة التالية في سياق أثر الدعوة

(١) انظر: الرد على الجهمية للدارمي: ١٧، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة: ٣١٩/٢، وخلق أفعال العباد: ١٢، والبداية والنهاية: ١٤٧/١٣، وميزان الاعتدال: ٣٩٩/١، وشذرات الذهب: ١٦٩/١.

الوهابية في التيارات الإسلامية المصرية: "كل أو أكثر الثورات والحركات الإسلامية في القرنين التاسع عشر والعشرين ضد الغزو الأوروبي ستحمل في طياتها بذرة وهابية".

هذه العبارة مما تمدح به دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فإن هذه الثورات أو الحركات الإسلامية قامت ضد الغزو الأوروبي؛ إلا إذا كان الكاتب لا يريد مقاومة الغزو الأوربي؟!

ثم إن أصل هذه العبارة منقولة من الكاتب محمد جلال كشك حيث يقول: " وهكذا نرى أننا نظلم الشيخ ونظلم دعوته، بل نظلم السلفية والسلفيين عندما نتحدث عنهم بالمفهوم السوقي الشائع، بينما فلسفته وتاريخه وما ترتب على دعوته، يؤكد أنها كانت ثورة على الواقع، دعوة للرفض، دعوة لتحرير الإنسان المسلم، لتحرير الفكر الإسلامي وإسقاط الكهنوتية عن كل الفكر البشري في عصره، دعوة للتحرر من التخلف الذي أخفى جوهر الدعوة الإسلامية .. فالثورة تبدأ بالاعتزاز بالتراث، وجعله قاعدة البناء الحضاري المطلوب، لا هدمه ولا النوم تحت أنقاضه، وكل الثورات الإسلامية في القرنين التاسع عشر والعشرين ضد الغزو الأوروبي ستحمل في طياتها بذرة وهابية"(١). فهو ساق العبارة في سياق المدح، والكاتب ساقها في سياق الذم؟!

عاشرا: قول فؤاد إبراهيم: "إن إعادة طبع كتب مؤرخي المذهب الرسمي والمقررين للغارات السعودية في أدوارها الثلاثة –من ابن غنام وابن بشر حتى إبراهيم بن صالح النجدي– لا تحتمل تفسيراً آخر غير ما قيل من أن العنف يستمد قوته ومصادر تغذيته من الدولة نفسها".

فقد سبق في الفصل الأول، في الجواب عن الدعوى الأولى، وفي الفصل الثالث، الجواب عن الدعوى الثالثة الجواب عن هذه الفرية، وأن أنتساب أهل التشدد أو نسبتهم لدعوة الإمام ومؤلفاتهم غير صحيحة، وأن الخطأ الحاصل من أهل التشدد بسب رجوعهم لكتب أئمة الدعوة هو بسب عدم فهمهم لها ولا ينسب للدعوة، كما أن الخطأ الحاصل من الخوارج وأهل البدع في فهمهم للقرآن والسنة لا ينسب لهما.

---

(١) السعوديون والحل الإسلامي: ١٠٥.

والإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليس: " إلا داعية، هدى الناس من الضلال وساقهم إلى الدين السمح، وإذا بدت شدة من بعضهم، فهي ناشئة من نشأة البادية، وقلما رأينا شعباً من أهل الإسلام يغلب عليه التدين والصدق والإخلاص، مثل هؤلاء القوم، وقد اختبرنا عامتهم وخاصتهم، سنين طويلة، فلم نرهم حادوا عن الإسلام قيد أنملة، وما يتهمهم به أعداؤهم، فزور لا أصل له"(١).

وأيضاً لا يلزم من ادعاء أهل الباطل موافقة أهل الحق في الرجوع لبعض الكتب أنهم منهم، وإلا للزم من هذا أن تكون المرجئة والخوارج والقدرية وكل أهل البدع من أهل السنة لأنهم موافقون لهم في الاعتماد على القرآن، فإذا بطل اللازم بطل الملزوم.

الحادي عشر: أنه ليس من النقد أبداً الجزمُ بكون مؤلفات أئمة الدعوة مصدر التشدد والتطرف، وأن أتباع الدعوة متطرفون يتوافقون مع أهل الغلو والتشدد. وهذا التشدد والتطرف لم يذكر عليه دليلا وأحدا من كلام أئمة وعلماء الدعوة، ولو راجعنا فقط بعض فتاوى المشايخ المعاصرين كالشيخ عبدالعزيز ابن باز والشيخ محمد ابن عثيمين، والشيخ عبد العزيز آل الشيخ، والشيخ صالح الفوزان، والشيخ عبدالرحمن البراك وجميع العلماء الذي تتابعوا على عضوية هيئة كبار العلماء في السعودية وغيرهم والذين يرجعون لكتب أئمة الدعوة لوجدنا فتاواهم بعيدة عن التشدد والتطرف، ولوجدناهم يحترمون العلماء ويعتبرون كلامهم، وهذا الاحترام والعناية لا تعني أنهم يتبعون الباطل، ولا يبينون الحق(٢).

الثاني عشر: يقال لمن انتقد مؤلفات أئمة الدعوة ووصفها بالغلو والتطرف والتشدد: ماذا تعرفون عن دعوة الإمام؟ وهل قرأتم شيئاً من مؤلفاته؟ فإن الحكم على الشيء ناتج عن تصوره.

والغالب – ومن خلال تلك الدعاوى والردود على الإمام – أن إجابة الكثير منهم أنهم لا يعرفون شيئاً عن الإمام، ولا عن دعوته، وإنما سمعوا عنها عن طريق المناوئين لها أو عن طريق المستشرقين، وفي أقل الأحوال عن طريق من يجهلون الدعوة وحالها. ومن هنا جاء الخلل في

---

(١) القديم والحديث: ١٧٣. وانظر: الشيخ محمد بن عبدالوهاب في مرآة الشرق والغرب: ١٧.

(٢) انظر: ورقات حول الدرر السنية: http://www.mohamadalsaidi.com/?p=١٦٨٥.

اتهام دعوة الشيخ بالتشدد والغلو والتطرف حتى أصبح مصطلح (الوهابية) عند البعض علماً على ذلك.

يقول الأستاذ الأديب أحمد سعيد البغدادي[١]: "وأما حقيقة هذه الطائفة فإنها حنبلية المذهب، وجميع ما ذكر المؤرخون عنها من جهة الاعتقاد محرف وفيه تناقض كلي لمن اطلع عليه بتأمل؛ لأن غالب المؤرخين الشرقيين ينقلون عن كتب الإفرنجية؛ فإن كان المؤرخ المنقول عنه صاحب دراية وصادق الرواية تجد أن من يترجم كتابه يجعل الترجمة على قدر اللفظ فيضيع مزية الأصل، وإن كان المؤرخ غير صادق الرواية فمن باب أولى"[٢].

ومن أراد أن يقف على حقيقة الدعوة فليقرأ كتب أئمة الدعوة ومؤلفاتهم، مثل: كتاب التوحيد، أو كشف الشبهات، أو الأصول الثلاثة، أو آداب المشي إلى الصلاة أو فتح المجيد... ثم بعد ذلك يأتي الحكم على دعوة الإمام. وينظروا هل يجدوا التشدد الذي يزعمونه[٣].

---

(١) أحمد سعيد الحسيني، الجيلاني، البغدادي، أديب، شاعر، له من المؤلفات: حديث الطيف عن رحلة الشتاء والصيف، وديوان ثغر الحبيب لرشف الاديب، كان حيا عام ١٣٥١هـ. انظر: معجم المؤلفين: ٢٢٣/١، ومعجم البابطين لشعراء العربية: http://www.almoajam.org/poet_details.php?id=١٧٧٣.

(٢) نديم الأديب بواسطة: الشيخ محمد بن عبدالوهاب في مرآة علماء الشرق والغرب: ٢٩، وانظر: الإمام محمد بن عبدالوهاب في التاريخ: ٢٧٥-٣٦٠.

(٣) انظر: الوهابية: دعوة سلفية لا مذهبية:

http://www.al-jazirah.com/٢٠٠٨/٢٠٠٨١٢٠٩/rj١.htm.

المطلب الثاني: دعوى الغلو في دعوة الإمام والمقارنة بينها وبين دعوة النبي ﷺ

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى الغلو في دعوة الإمام والمقارنة بينها وبين دعوة النبي ﷺ.

يقول فؤاد إبراهيم: "ثمة تماثل مفزع يراد تأكيده وحشد الأدلة المتوالية خلفه بين بعثة الرسول محمد ﷺ، وحركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فهناك من ينمي الاعتقاد بأن ثمة بعثتين في الإسلام: الأولى تمت على يد محمد بن عبدالله ﷺ، والثانية على يد محمد بن عبدالوهاب. ويذكر الشيخ أحمد آل طامي بعضاً من أوجه الشبه بين العصرين فيقول: (عصر الرسول كان عصراً قد بلغ من فساد العقائد والعادات والأخلاق مبلغاً عظيماً، فالأصنام كانت تُعبد من دون الله في المسجد الحرام عند الكعبة وغيرها. كانت العرب قد انحطت إلى أسفل الدركات من الوثنية الممقوتة والعادات السافلة الرذيلة، من شرب الخمور، والبغاء، ووأد البنات، وتحكم الأقوياء في الضعفاء) لينتهي بالقول: (وقصارى ما يقال في هذا العصر أنه عصر انتحار الفضائل الإنسانية الكبرى، والمعاني السامية العليا)[(١)].

إن تصوّر المهمة الدعوية للشيخ محمد بن عبدالوهاب في قومه، يوحي هو أيضاً بتلك العقيدة. ففي رسالته إلى عبدالرحمن بن عبدالله السويدي من علماء العراق، يشرح الشيخ محمد بن عبدالوهاب رسالته في قومه قائلاً: (بينت للناس إخلاص الدين لله، ونهيتهم عن دعوة الأحياء والأموات والصالحين وغيرهم، وعن إشراكهم فيما يُعبد الله به، من الذبح والنذر والتوكل، والسجود...).

ويمضي قائلاً: (وأنا صاحب منصب في قريتي، مسموع الكلمة، فأنكر هذا بعض الرؤساء؛ لكونه خالف عادات نشأوا عليها، وألزمت من تحت يدي بإقامة الصلاة، وإيتاء

---

(١) الشيخ أحمد بن حجر آل طامي، الشيخ محمد بن عبدالوهاب، عقيدته السلفية ودعوته الإسلامية وثناء العلماء عليه، الرياض ١٩٩٩م، ص ٩١ وما بعدها.

الزكاة، وغير ذلك، من فرائض الله، ونهيتهم عن الربا، وشرب المسكر، وأنوع المسكرات)[١]. وتنبئ هذه التنضيدة المتقنة بأن ثمة إسقاطات متكررة من سيرة الرسول الأكرم ﷺ وإحضاراً لها في السيرة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبدالوهاب".

ثم ذكر رواية رسالة الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في دخول مكة، ثم قال: قد تستدعي هذه الرواية قصة فتح مكة على يد الرسول ﷺ وصحبه الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، فثمة إشارات قوية إلى الاندراج بطريقة التطابق في تجربة الفتح الأولى، ولا يخفى الهدف من ذلك، إذ إن تمثل التجربة الدعوية الأولى يحقق معنى التأسي ويكفل مشروعية الفعل، أي الغزو، وأخيراً يخدم عقيدة التنزيه"[٢].

ويقول حسن بن فرحان المالكي عن تهمة الإمام محمد بن عبدالوهاب بإدعاء النبوة: "ومجمل التهمة (أنه ادعى النبوة بلسان الحال لا بلسان المقال)، وهذه تهمة جائرة ظالمة, لكن من الإنصاف أن نقول أنهم لم يلقوها هكذا... ولا يقصدون أنه أدعى النبوة جهارا ولكنه في نظرهم أنزل نفسه وأصحابه منزلة النبي وأصحابه"[٣].

حقيقة هذه الدعوى:

هو إتهام أتباع دعوة الإمام بالغلو فيه، ومحاولة إنزال دعوته وأتباعه منزلة النبي ﷺ وأصحابه.

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: أن مقارنة دعوة الإمام بدعوة النبي ﷺ شرف لها، وتزكية لها، وإنما تعرف الدعوة الحق من الباطل بالتزامها بدعوة النبي ﷺ، وبقدر قربها منه، فهي قريبة من الحق، والعكس بالعكس.

ثانيا: أن هذه المقارنة؛ إما أن تكون صحيحة، فهي حق -ولله الحمد-، وإما أن تكون

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، مصدر سابق: ١/٧٩-٨٠.

(٢) السلفية الجهادية في السعودية: ٢١٨-٢٢٠. وانظر: التبرقع الصهيوني في العقيدة الوهابية: http://wahabia.com/ar/٢٤٥٨.

(٣) داعية وليس نبيا: ١٣٧.

باطلة؛ فإن كانت باطلة فما هو الباطل فيها؟، لكن المناوئ لها لما لم يجد ما يطعنها به، قال ما قال: من أنه ثم بعثتين لكي يشوه دعوة الإمام.

ثالثا: قول فؤاد إبراهيم بعد أن ذكر ما قام به الإمام من الإلزام بالصلاة وإيتاء الزكاة والحث على فرائض الله، والنهي عن الربا وشرب المسكر: " وتنبئ هذه التنضيدة المتقنة بأن ثمة إسقاطات متكررة من سيرة الرسول الأكرم ﷺ وإحضاراً لها في السيرة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبدالوهاب".

فهذه شهادة للإمام محمد بن عبدالوهاب بالاقتداء والاتباع للنبي ﷺ. ثم إن هذا الأمر ليس إسقاطا متكررا من سيرة الرسول ﷺ وإحضارا لها في السيرة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ بل هي حقيقة وواقع؛ فإن نجدا كانت على حال سيئة من الإنحراف في العقيدة والعبادة، وقد تأثر علماء نجد فضلا عن عوامهم بعلم الكلام والتصوف[1]، فجاء الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ فدعى الناس إلى التوحيد وإلى عبادة الله وحده، وحثهم على الفرائض والأخلاق الحسنة وترك الفواحش.

يقول د. محمد محمد حسين[2] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " ما من دعوة إلا وقد ابتليت بمن يسيء فهمها وتطبيقها، والإسلام نفسه لا يخلو من ذلك، ولكن لا نحكم على الإسلام بسوء فهم بعض المسلمين أو سوء تصرفهم.

أما لبّ الدعوة وحقيقتها فهي ثابتة واضحة فيما تركه صاحب الدعوة من كتب ومن رسائل، وهذه الكتب والرسائل هي التي يحتكم إليها ولا يحتكم إلى سواها في معرفة حقيقة الدعوة مجردة من المبالغات ومن ردود الأفعال، وقد ترك صاحب الدعوة مجموعة من الرسائل التي بعث بها إلى الزعماء والعلماء من أهل عصره يبصرهم بحقيقة دعوته ويرد على ما أثير حولها من تهم وشبهات وما أشاعه خصومها من اعتراضات.

---

(١) انظر: مبحث الكلام والتصوف عند علماء نجد، في كتاب: مسائل الاعتقاد عند علماء نجد قبل الدعوة الإصلاحية (خلال القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر): الفصل الثالث: التصوف عند علماء نجد.

(٢) محمد محمد حسين، أديب مصري، له من المؤلفات: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، الإسلام والحضارة الغربية، وحصوننا مهددة من الداخل، وغيرها، توفي سنة ١٤٠٣هـ. انظر: تكملة معجم المؤلفين: ٥٤٢.

وهذه الرسائل تقدم صورة واضحة لفساد الحال في المجتمع النجدي الذي نزل به الجهل إلى تقديس الحجر والشجر والقعود عن الأخذ بالأسباب حين استبدلوا بها التعلق بأوهام لا تمت إلى الدين بسبب، مع ارتداد الحياة الجاهلية الأولى في البغي والظلم والنهب والسلب والسطو على الأموال والأعراض وقطع الطريق على حجاج بيت الله"[(١)].

ويقول د. علي عبدالحليم محمود رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ داعية إسلامي مصلح مجدد في القرن الثاني عشر الهجري، ذلك القرن الذي كانت تسيطر فيه على المسلمين أسباب الضعف السياسي، وأنواع الضلال الفكري، وصنوف الانحراف عن جادة الحق جادة الإسلام، القرن الذي أوشك بعض المسلمين فيه أن يعودوا إلى عبادة الصالحين والأوثان.

استطاع الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتوفيق من الله أن يعرف دينه حق المعرفة وأن يدرك مقاصده وأهدافه، وأن يجند نفسه للعمل إلى الوصول لتلك المقاصد والأهداف. استطاع الشيخ الإمام أن يزيل عن قلوب كثير من المسلمين ما علق عليها من صدأ، وأن يقشع عن عيونهم ما ضللها من غيوم وسحب وذلك عندما أخذ على عاتقه أن يشرح للناس عقيدة الإسلام وأن ينقيها من الشوائب التي أدخلها عليها أهل الباطل والضلال والزيغ والهوى"[(٢)].

ويقول أولفيه ده كورانسيز: "الوهابية قد نقوا الإسلام مما أدخل عليه من تشويه وأعدوه إلى بساطته الأولى وصفائه. ولم يظهر الوهابيون إلا منذ خمسين سنة –بالنسبة لزمن هذا الكاتب– ولكن هذه السرعة الهائلة التي اتسمت بها فتوحاتهم، ضمانة كبيرة لبقائهم وعظمتهم.

.. كان المسلمون يومئذ –أي منذ ظهور محمد بن عبد الوهاب– يمارسون أشكالاً غريبة من العبادات بحيث لو عاد "محمد" ﷺ إلى الدنيا، لظن أن الإسلام زال منها. ولرأى شيئاً عجيباً، فعلى القبور تقام القباب والمباني، ويزعم أن لأصحابها كرامات ومعجزات، وهناك وسطاء بين الله والناس يقبلون الرشوة، ومجانين ينتقلون في البلاد بحرية، ولا يجرؤ أحد على

---

(١) دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب بين التأييد والمعارضة: ٣. وانظر: الشيخ محمد بن عبدالوهاب في مرآة علماء الشرق والغرب: ١١٠-١١١.

(٢) الشيخ محمد بن عبدالوهاب في مرآة علماء الشرق والغرب: ٨١.

مقاومتهم لأنهم فيما يزعمون من أصحاب "السر" أو أهل الحظوة، وأما القرآن الخالد فقد فسروه تفاسير مذهلة غابت فيها حقيقته! ... فجاء محمد بن عبد الوهاب وأعاد الإسلام على نقاوته الأولى"[١].

رابعا: قول حسن بن فرحان المالكي عن تهمة الإمام محمد بن عبدالوهاب بإنزالهم أنفسهم منزلة النبي ﷺ وأصحابه بعد أن نفى أن يكون الإمام ادعى ذلك: "ولكنه في نظرهم[٢] أنزل نفسه وأصحابه منزلة النبي وأصحابه".

نقول أن الإمام وأتباعه رحمهم الله لم ينزلوا أنفسهم منزلة النبي ﷺ وأصحابه، ولا يوجد هذا في كتبهم ومؤلفاتهم بلسان المقال، ولا يدل عليه لسان الحال؛ بل الإمام محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يؤكد أنه متبع للرسول ﷺ، وأن أي قول خالف قول رسول الله ﷺ فإنه يرد على قائله كائنا من كان.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " وأما ما ذُكر لكم عني: فإني لم آته بجهالة، بل أقول ولله الحمد والمنة وبه القوة: إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين، ولست -ولله الحمد- أدعو إلى مذهب صوفي أو فقيه أو متكلم أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم مثل ابن القيم، والذهبي، وابن كثير، أو غيرهم.

بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأدعو إلى سنة رسول الله ﷺ التي أوصى بها أول أمته وآخرهم، وأرجو ألا أرد الحق إذا أتاني، بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه إن أتانا منكم كلمة من الحق لأقبلنها على الرأس والعين، ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي، حاشا رسول الله ﷺ فإنه لا يقول إلا الحق"[٣].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مسألة الإنكار في مسائل الاجتهاد: " وأما قول من قال: لا إنكار في مسائل الاجتهاد، فجوابها يعلم من القاعدة المتقدمة؛ فإن أراد القائل مسائل الخلاف، فهذا باطل يخالف إجماع الأمة؛ فما زال الصحابة ومن بعدهم ينكرون على من خالف وأخطأ كائناً من كان، ولو كان أعلم الناس وأتقاهم. وإذا كان الله بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق، وأمرنا

---

(١) تاريخ نجد منذ ظهور الحركة الوهابية، بواسطة: الشيخ محمد بن عبدالوهاب في مرآة علماء الشرق والغرب: ٨١.

(٢) أي المعارضين للدعوة.

(٣) الدرر السنية: ١/٣٧، ٣٨.

باتباعه وترك ما خالفه، فمن تمام ذلك أن من خالفه من العلماء مخطئ ينبه على خطئه، وينكر عليه. وإن أريد بمسائل الاجتهاد مسائل الخلاف التي لم يتبين فيها الصواب، فهذا كلام صحيح"[١].

ويقول الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينا أن أقوال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أصول الدين مما أجمع عليه أهل السنة والجماعة، وأما الفروع والأحكام فهو حنبلي، وأن فائدة ذكر المصنفين للخلاف أن الحق ليس محصورا فيهم: "وأقواله في أصول الدين مما أجمع عليه أهل السنة والجماعة، وأما في الفروع والأحكام، فهو حنبلي المذهب، لا يوجد له قول مخالف لما ذهب إليه الأئمة الأربعة، بل ولا خرج عن أقوال أئمة مذهبه، على أن الحق لم يكن محصورا في المذاهب الأربعة كما تقدم، ولو كان محصورا فيهم لما كان لذكر المصنفين في الخلاف، وأقوال الصحابة والتابعين، ومن بعدهم مما خرج عن أقوال الأربعة فائدة"[٢].

خامسا: قول فؤاد إبراهيم: "ثمة تماثل مفزع يراد تأكيده وحشد الأدلة المتوالية خلفه بين بعثة الرسول محمد ﷺ، وحركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فهناك من ينمي الاعتقاد بأن ثمة بعثتين في الإسلام: الأولى تمت على يد محمد بن عبدالله ﷺ، والثانية على يد محمد بن عبدالوهاب".

فقوله: "ثمة تماثل مفزع"، فهذه شهادة أخرى أنه ثمّ تماثل بين دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ وبين دعوة النبي ﷺ؛ ولكن ليس " مفزعا" إلا لأهل البدع.

وقوله: " فهناك من ينمي الاعتقاد بأن ثمة بعثتين في الإسلام ..."، ورد عن النبي ﷺ، أن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها، فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسول ﷺ أنه قال: « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[٣]. ومعنى هذا الحديث، أنه كلما انحرف الكثير من الناس عن جادة الدين الذي أكمله الله لعباده وأتم عليهم

---

(١) الدرر السنية: ٨/٤.

(٢) المرجع السابق: ٢٧٣/١.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، برقم: ٤٢٩١. وانظر: صحيح سنن أبي داود برقم ٤٢٩١.

نعمته ورضيه لهم دينًا – بعث الله إليهم علماء أو عالما، يبصر الناس بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ويجنبهم الشرك والبدع، ويحذرهم محدثات الأمور، ويردهم عن انحرافهم إلى الصراط المستقيم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ[١]، فسمى ذلك: تجديدًا بالنسبة للأمة، لا بالنسبة للدين الذي شرعه الله وأكمله، فإن التغير والضعف والانحراف إنما يطرأ مرة بعد مرة على الأمة، أما الإسلام نفسه فمحفوظ بحفظ كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ المبينة له، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩][٢].

والإمام محمد بن عبدالوهاب أحد المجددين لهذا الدين، ولم يأت بدين جديد[٣].

سادسا: أن واقع العالم الإسلامي في وقت الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثرت فيه الشركيات والبدع والانحرافات؛ فكان لدعوته الأثر البالغ في العالم الإسلامي، فتأثر بها العلماء وأخذوا يدعون لها وينصرونها، فانتشرت دعوته.

يقول عباس محمود العقاد[٤] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ولم تذهب صيحة ابن عبد الوهاب عبثا في الجزيرة العربية ولا في أرجاء العالم الإسلامي من مشرقة إلى مغربه، فقد تبعه كثير من الحجاج وزوار الحجاز، وسرت تعاليمه إلى الهند والعراق والسودان وغيرها من الأقطار النائية، وأدرك المسلمون أن علة الهزائم التي تعاقبت عليهم إنما هي في ترك الدين لا في الدين نفسه، وأنهم خلفاء أن يستردوا ما فاتهم من القوة والمنعة باجتناب البدع، والعودة إلى دين السلف الصالح في جوهره ولبابه" [٥].

ويقول المستشرق أرنولد عن التأثر بدعوة الإمام: "وفي القرن العشرين نشطت حركة

---

(١) انظر عن تجديد الدين: تحفة المهتدين بأخبار المجددين للسيوطي، والمجددون في الإسلام لعبدالمتعال الصعيدي، ومفهوم تجديد الدين لبسطامي سعيد.

(٢) انظر: عون المعبود: ١١/٢٥٩-٢٦٧، وفتح الباري: ١٣/٢٩٥، وإتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: ١/٣٣٦، وفتاوى اللجنة الدائمة: ٢/٢٤٧-٢٤٨.

(٣) انظر: من أعلام المجددين: ٤٦.

(٤) عباس بن محمود بن إبراهيم بن مصطفى العقاد، أديب مصري، من المكثرين كتابة وتصنيفا، له من المؤلفات: عبقرية محمد، وعبقرية عمر، ومراجعات في الأدب والفنون. انظر: الأعلام: ٣/٢٦٦.

(٥) الإسلام في القرن العشرين: ٨٦.

الدعوة إلى الإسلام في البنغال نشاطا ملحوظا، وأرسلت طوائف كثيرة -ينتمي أهلها إلى تأثير الحركة الوهابية الإصلاحية- دعاتهم يتنقلون في هذه المناطق، ويطهرون البلاد من بقايا العقائد الهندوكية بين الكفار"[١].

وفي العراق كتبت أسرة "الألوسي" عن دعوة الإمام ونافحوا عنها[٢].

كذلك تأسست "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٣٠٥-١٣٥٩هـ) الذي أطلع على مبادئ الدعوة السلفية عندما ذهب للحج في مكة المكرمة، ودعا إلى إصلاح عقائد الجزائريين من البدع والخرافات، ودعا إلى الاجتهاد ومحاربة التقليد الأعمى والجمود الفكري وذلك بالتعمق بدراسة القرآن الكريم والسنة النبوية[٣].

أما في السودان فيقول أرنولد: "وحول نهاية القرن الثامن عشر ظهر من بين جماعة الفلبي رجل معروف يدعى الشيخ عثمان دانفودو، عرف أنه مصلح ديني وداع ومحارب، وقد ذهب من السودان إلى مكة لأداء فريضة الحج، فعاد من هناك مليئا بالحماس والغيرة من أجل الإصلاح والدعوة للإسلام، وتأثر بالوهابية الذين كانت قوتهم آخذة في النماء، فأنكر الصلاة على روح الميت، وتعظيم من مات من الأولياء، وأستنكر من بالغ في تمجيد محمد نفسه، وهاجم شرب الخمر وفساد الأخلاق اللتين كانتا منتشرتين"[٤].

وفي مصر تبنى الشيخ محمد رشيد رضا مبادئ دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، ودافع عنها في مؤلفاته، وكذلك عبد الرحمن الجبرتي مؤرخ مصر، وهو من أشد المتأثرين بدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، وكان يرى أن الأتراك قد ارتكبوا خطأ كبيرا عندما حاربوا دعوة الشيخ وأنصارها[٥].

---

(١) الدعوة إلى الإسلام: ٢٣٩.

(٢) دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي: ٨٣.

(٣) المرجع السابق: ٩٥. وانظر: أثر الإمام محمد بن عبد الوهاب في الفكر الإسلامي الإصلاحي بالجزائر: ١٣

(٤) الدعوة إلى الإسلام: ٣٦٠.

(٥) انظر: بحوث ندوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ٢/٣٢٠-٣٣٧.

وفي المغرب تأثر بها "سيدي محمد بن عبد الله" الذي حارب الصوفية متأثرا بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكذلك "مولاي سليمان" الذي قام ضد الزوايا ودعا إلى التوحيد(١).

وفي الشام كتب محمد كرد علي بحثا بعنوان «أصل الوهابية» اختتمه بقوله: "وما ابن عبد الوهاب إلا داعية هداهم من الضلال وساقهم إلى الدين السمح، وإذا بدت شدة من بعضهم فهي ناشئة من نشأة البادية، وقلما رأينا شعبا من أهل الإسلام يغلب عليه التدين والصدق والإخلاص مثل هؤلاء القوم، وقد اختبرنا عامتهم وخاصتهم سنين طويلة فلم نرهم حادوا عن الإسلام قيد غَلْوة(٢)..."(٣).

وقال عنه الأستاذ أحمد أمين: "أهم مسألة صقلت ذهن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دروسه ورحلاته مسألة التوحيد، التي هي عماد الإسلام، والتي تبلورت في لا إله إلا الله، والتي تميز الإسلام بها عما عداه، والتي دعا إليها محمد ﷺ أصدق دعوة وأجرأها، فلا أصنام ولا أوثان ولا عبادة آباء وأجداد ولا أحبار ولا نحو ذلك، ومن أجل هذا سمّى هو وأتباعه أنفسهم «بالموحِّدين» أما اسم الوهابية فهو اسم أطلقه عليه خصومه"(٤).

ويقول حافظ وهبة عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب: "مصلح مجدد، داع إلى الرجوع إلى الدين الحق، فليس للشيخ محمد تعاليم خاصة، ولا أراء خاصة، وكل ما يطبق في نجد، هو طبق مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله، وأما في العقائد، فهم يتبعون السلف الصالح، ويخالفون من عداهم"(٥).

ويقول وثروب ستودارد: "بلغ العالم الإسلامي في القرن الثاني عشر الهجري، أعظم مبلغ من التضعضع والانحطاط، فأربد جوه، وطبقت الظلمة كل صعق من أصقاعه،.. وبينما العالم الإسلامي مستغرق في هجعته، ومترنح في ظلمته، إذا بصوت يدوي في قلب الصحراء في شبه

---

(١) حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته للحقيل: ٢٠٨.

(٢) أي: مقدار رمية سهم. انظر: مقاييس اللغة: ٣٨٨/٤، وتهذيب اللغة: ١٦٨/٨.

(٣) القديم والحديث: ٢١٠.

(٤) سلسلة أعلام العلماء: ١٠٨/٤-١٣١.

(٥) في كتابه: جزيرة العرب.

الجزيرة العربية، مهد الإسلام، فيوقظ المؤمنين ويدعوهم إلى الإصلاح والرجوع إلى سواء السبيل، والصراط المستقيم، فكان الصراخ بهذا الصوت إنما هو المصلح المشهور محمد بن عبد الوهاب الذي أشعل نار الوهابية واتقدت ثم أخذ هذا الداعي يحض المسلمين على إصلاح النفوس واستعادة المجد الإسلامي القديم"[١].

ويقو المستشرق بروكلمان: "فلما آب محمد بن عبد الوهاب إلى بلده الأول سعى إلى أن يعيد للعقيدة والحياة الإسلامية صفاءها الأصلي"[٢].

ولقد كتب الناس عنه كتابات كثيرة ما بين موجز وما بين مطول، ولقد أفرده كثير منهم بكتابات، وكتب عنه آخرون في أثناء كتاباتهم عن المصلحين وفي أثناء كتاباتهم في التاريخ، ووصفه المنصفون منهم بأنه مصلح عظيم، وبأنه مجدد للإسلام، وبأنه على هدى ونور من ربه، ورثاه بعضهم بمرثيات عظيمة[٣].

---

(١) حاضر العالم الإسلامي: ٢٢ .

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية.

(٣) انظر: مجموع مقالات وفتاوى ابن باز: ٣٥٥/١. والشيخ محمد بن عبدالوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية: ١٠٨-١٦٣، وإسلامية لا وهابية: ٣٠٥-٣٥٨، والشيخ محمد بن عبدالوهاب في مرآة علماء الشرق والغرب.

المطلب الثالث: دعوى أن دعوة الإمام هي أصل الإرهاب

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى أن دعوة الإمام هي أصل الإرهاب، وأن المناطق التي يسيطر عليها من ينتسب للدعوة يكثر فيها العنف والإرهاب.

يقول دور غولد في تعليقه على حادثة تفجير في إندونيسيا (تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٢م): "في الواقع، وجدت الشرطة الإندونيسية أن المشتبه به الأول في التفجير ينتمي إلى خلية وهابية عنيفة في شرق "جافا"، سبق لها أن اصدمت بمسلمين آخرين، بل وفجرت ضريح وليّ مسلم محلي.

من هنا، ليست الوهابية، في نظر هؤلاء المعلقين المسلمين، سوى المصدر الديني والأيديولوجي لموجة الإرهاب الإسلامي العالمي الجديدة - من إندونيسيا إلى الجزائر، ومن روسيا إلى اليمن، وأخيراً إلى الولايات المتحدة الأمريكية؛ إذ لا ينحصر انتقادهم فقط على الوهابية كعقيدة، بل يمتد بالأحرى إلى المؤسسات الوهابية - شبكات التربية وقنوات الدعم، والآليات الراهنة التي أقامتها الدولة السعودية، لتمنحها امتداداً عالمياً- فما يقولونه للغرب يفيد أنه يستحيل شرح كيف وقعت هجمات ١١ أيلول/سبتمبر أو الحيلولة دون وقوع هجوم في المستقبل ما لم يفهم أثر الوهابية السعودية".

ثم ذكر هذا الأثر - حسب زعمه- ثم قال: "باختصار، ما لم تعالج الجذور الأيديولوجية للكراهية التي أدت إلى ١١ أيلول/سبتمبر لن نكسب الحرب ضد الإرهاب. وستبقى المسألة مسألة وقت فقط "[١].

ونشرت مجلة التايمز الأمريكية ملفاً خاصًا بعنوان: (السعوديون مع من في الحرب ضد الإرهاب)[٢]، أصدرته بمناسبة مرور عامين على أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

---

(١) مملكة الكراهية، كيف دعمت العربية السعودية الإرهاب العالمي: ١٣-١٤. وانظر: ١٦، ٢١، ٣١٩.

(٢) Time the saudis: whose side ara they on the war on terror?، بواسطة السلفية السعودية في الكتابات الغربية.

استغرق التقرير ستا وعشرين صفحة من صفحات المجلة، وشارك فيه مراسلون لها من الولايات المتحدة، وأوروبا، والشرق الأوسط. احتوى التقرير على صور واحصاءات وخرائط توضيحية وعناوين فرعية صارخة ومستفزة.

تحت عنوان: (اقتلاع جذور ثقافة التعصب)، قال التقرير في حث واضح للولايات المتحدة على مكافحة الإرهاب الوهابي:

"لابد من تغيير الأدمغة. إن الكثير من السعوديين مستاؤون من لصق صفة الإرهاب بالوهابية، وهي النسخة المتشددة من الإسلام المطبق في السعودية. إن قليلاً من السعوديين لا يزالون مستائين ويعترفون أن وهابيتهم تنتج الكراهية لغير لمسلمين (أو الكفار بالمفهوم الإسلامي)، التي يمكن بدورها أن تقود إلى العنف... يقول تركي الحمد الكاتب السعودي في جريدة الشرق الأوسط إن رجال الدين الرسميين[١] في السعودية يرفضون الإرهاب، لكن المشكلة في الجذور النظرية للوهابية. إن الوهابية لا تشجع العنف مباشرة؛ لكنك إذا حللت العقيدة نفسها ستصل إلى هذه النتيجة. ولذلك يقول تركي الحمد إن على السعوديين أن يرفضوا الوهابية"[٢].

وفي هذا التقرير الشامل كتب الصحفي الأمريكي "ديفيد فان بيما" بالتعاون مع مراسل مجلة التايمز في باريس "بروسر كروملي" موضوعاً عن الوهابية في السعودية، بعنوان: (الوهابية: العقيدة السامة): وجاء فيه: " النسخة الوهابية من الإسلام الذي تخيله محمد بن عبد الوهاب هي الآن الدين الرسمي في المملكة العربية السعودية. إن الكثيرين هذه الأيام ينظرون إلى الوهابية برؤية سوداوية، فهي عقيدة سامة مرادفة للإرهاب".

ويستدل الصحفيان على صدق مقولتهما بما أورده ستيفن شوارتز، في كتابه: (الإسلام في السعودية) عندما قال: (إذا كانت الوهابية هي العقيدة الرسمية فان ذلك ينتج دولة إرهابية)!!

---

(١) يقصد أعضاء هيئة كبار العلماء.

(٢) مجلة التايم العدد الصادر بتاريخ ١٥/سبتمر/٢٠٠٢ : ٣. بواسطة السلفية السعودية في الكتابات الغربية.

وتحاول كثير من الكتابات الغربية ربط المفهومين الوهابية والسلفية بالعنف، وخاصة الكتابات بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر. وهذه الكتابات التي تتحامل على الوهابية والسلفية وتوجه سهام نقدها للإسلام، تجد لها طريقا للنشر في الغرب، بل ويُحتفى بها وتتداولها المنتديات على شبكة الإنترنت. ومن الأمثلة على ذلك المقال الذي كتبه "روبرت مايغ" بعنوان: "الوهابية والإسلام السلفي "، حيث جاء في افتتاحية المقال ما يلي:

"الكتابة عن الوهابية والإسلام السلفي يمكن أن تملأ الكثير من الكتب، لكنني في هذا المقال سأحاول أن أوضح لماذا يكتسب هذا الموضوع أهمية كبيرة في وقتنا الراهن. فالحركتان تعتبران أصل الإرهاب الإسلامي، لأن العديد من الإرهابيين ... قد ألهمتهم الوهابية وأثرت فيهم"[١]. ووصف الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب بأنه "أب الإسلام الإرهابي".

كما وصف الكاتب الوهابية والسلفية بأنهما "تحملان أكثر التعاليم عدوانية، وأنهما تمثلان جميع المسلمين، وأن معظم المجموعات الإرهابية.... هم أتباع الوهابية أو السلفية".

وفي عددها الصادر في ٧ نوفمبر ٢٠٠٧م، وتحت عنوان الوهابية: عقيدة قاتلة، بدأت صحيفة اندبندنت البريطانية مقالها بهذه العبارة: "يُنفق النظام السعودي مليارات الجنيهات كل عام من أجل نشر الوهابية، وهي إحدى أكثر الحركات الأصولية الإسلامية تطرفاً"[٢].

في هذا المقال، الذي تقل عدد صفحاته عن ست صفحات بمقاس (A٤) ورد ذكر للسلفية والسلفيين حوالي ثلاثين مرة. وأضاف المقال أن "ريتشارد ريد"، الذي حاول تفجير طائرة الخطوط الجوية الأمريكية في رحلتها من باريس إلى ميامي يوم ٢٢ ديسمبر ٢٠٠١م، من خلال متفجرات كان يخفيها في حذائه، بأنه أيضاً سلفي وهابي متطرف"[٣].

ويقول فؤاد إبراهيم: "يمكن المجادلة بأن المدرسة السلفية الوهابية تمثل من الناحية التكوينية

---

(١) http://www.talewins.com/social/wahabism.htm. بواسطة السلفية السعودية في الكتابات الغربية.

(٢) the independent ١ november ٢٠٠٧ (http://www.independent.co.uk/home-news/wahhabism-a-deadly-scripture-٣٩٨٥١٦.html).

(٣) "العقيدة الوهابية السامة"، بواسطة كتاب السعودية السلفية في الكتابات الغربية: ٢٦-٣٥. وانظر: الجماعات الإسلامية والعنف: موسوعة الجهاد والجهاديين: ٦٧٤-٦٧٦، ٧٧٢-٧٧٣.

أيديولوجية عنف، تخبر بذلك مضامينها وسيرتها في المناطق التي جرى استعمالها كمبرر للغزو، ولها تراث من العنف ضد مناطق عديدة في الجزيرة العربية والمناطق المجاورة.

يقول مدير موقع (الوسطية) على شبكة الإنترنت، إن الفكر الوهابي المتشدد يتحمل مسؤولية انتشار العنف في السعودية، ويرى أن "هؤلاء الشباب الذين تبنوا العنف ينطلقون من أفكار هي أصلاً موجودة في الفكر الوهابي"(١).

ثم قال: "وفي مسعى لاحتواء الانتقادات المتصاعدة ضد السعودية وأيديولوجيتها الدينية المتطرفة، عمدت الدولة إلى إظهار الوهابية باعتبارها أيديولوجية متسامحة ومتصالحة داخل الدائرة الإسلامية، ومع الأديان الأيديولوجيات الأخرى، بالرغم من أنها - أي الدولة- لم تُفلح في تقديم نموذج صالح لإقناع الضحايا في الداخل والخارج بأن هذه الأيديولوجية تستبطن عناصر تصالحية مع الآخر"(٢).

ويقول برنارو لويس عند كلامه عن الوهابية وظهورها في جزيرة العرب: "فرض الوهابيون -حيثما تمكنوا- معتقداتهم بأبلغ صور العنف والقوة "(٣).

حقيقة هذه الدعوى:

هو أن المناوئين لدعوة الإمام لما رأوا قوة الدعوة وسرعة انتشرها، واستجابة الناس لها، جعلهم يبادرون إلى مقاومتها والصد عنها بكل الوسائل، ومن ذلك إتهام الدعوة بالإرهاب -وخصوصا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمر-، وأن ذلك الإرهاب بسب عقيدة الإمام -حسب زعمهم- في التكفير والقتال(٤).

---

(١) السلفية الجهادية في السعودية: ٢٦٣. والمقابلة على قناة الجزيرة في الخامس من تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٥م.

(٢) المرجع السابق: ٢٦٣. وانظر: الوهابية بين الشرك وتصدع القبيلة: ٣٢٨-٣٣٠، ومملكة الكراهية: ٣٥، وحقول الدم: ٥٥١-٥٥٢.

(٣) أزمة الإسلام الحرب الأقدس والإرهاب المدنس: ١٣٣.

(٤) انظر: إسلامية لا وهابية: ٣٦، ١٥٣، ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من الإحياء والإصلاح إلى الجهاد العالمي: ٤٢٠-٤٢٩.

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: عرف المجمع الفقهي الإرهاب بأنه: " العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغيًا على الإنسان (دينه، ودمه، وعقله، وماله، وعرضه)، ويشمل صنوف التخويف والأذى، والتهديد والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحرابة وإخافة السبل، وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد، يقع تنفيذًا لمشروع إجرامي، فردي أو جماعي، يهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم، أو حريتهم، أو أمنهم، أو أحوالهم للخطر، ومن صنوفه إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق والأملاك العامة أو الخاصة، أو تعريض أحد الموارد الوطنية، أو الطبيعية للخطر، فكل هذا من صور الفساد في الأرض الذي نهى الله – سبحانه وتعالى – عنه"[(١)].

ودعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأتباعه بعيدة كل البعد عن هذا الأمر؛ بل تنكره وتحاربه وترد عليه، وقد سبق بيان عقيدة الإمام محمد بن عبدالوهاب وأتباعه في الفصل السابق " الدعاوى المتعلقة بالتكفير والقتال"، وكذلك في هذا الفصل في الدعوى الأولى والثانية، والنقل عن بعض العلماء والمفكرين في بيان حقيقة هذه الدعوة وبعدها عن الإرهاب.

ثانيا: أن إتهام دعوة الإمام بالإرهاب ليس صحيحا؛ لأن دعوة الإمام قائمة على الكتاب والسنة، وفق فهم السلف الصالح، ولا يمكن أن يصدر عنها ما يخالف عقيدة السلف لأن الأحكام الصحيحة للإسلام تمنع المسلم من أن يقتل بغير روية وتفكير، فالرسول ﷺ: «مر في إحدى المعارك فوجد امرأة كافرة مقتولة فتغير وجهه وقال: «ما كان لهذه أن تقاتل»[(٢)]، فالنبي ﷺ يقول ذلك والمسلمون في معركتهم مع الكفار، فكيف بمن يفجر قنبلة لا تميز بين الناس وكيف بمن يصوب مدفعاً ويطلقه ولا يميز بين هذا وذاك[(٣)].

---

(١) قرارات المجمع الفقهي الإسلامي، الدورة السادسة عشرة في ٢٦ شوال ١٤٢٢ هـ، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة. وانظر: الفرق بين الجهاد والإرهاب، مجلة البحوث والإفتاء، العدد(٩٧): ٢٤٢-٢٤٧، ومعنى الإرهاب وحقيقته: https://saaid.net/Warathah/hmood/h٤٢.htm

(٢) مسند أحمد: ٥٩٥٩. وقال محققو الكتاب: حديث صحيح.

(٣) انظر: جريدة الشرق الأوسط: رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية في مصر: «الوهابية» تهدف للقضاء على بذور

ثالثا: أن من تكلموا بهذه التهمة – إتهام دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب بالإرهاب – لم يتعرفوا على هذه الدعوة، وإنما راجت عليهم كتابات المناوئين لها والمغرضين، مع استغلال المناوئين لبعض الأحداث والوقائع للترويج لهذ الفكر، مع التقصير في البحث المنهجي للتعرف " على الحقيقة المغيبة في هذا التراكم الثقافي والإعلامي الضخم الذي روجت له أقلام الغربيين وآلتهم الإعلامية"(١).

يقول محمد بهجة الأثري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إن الحركة الوهابية التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب كانت خليقة أن تدعى: "حركة المحمديين" نسبة إلى باعثها، وطبيعة دعوته هي التوحيد الخالص الذي بعث به الرسول ﷺ؛ ولكنها نسبت إلى أبيه، وأبوه لا يد له فيها لأمر أرادته السياسة العثمانية وأتباعها حينما أشفقت من انتشار سلطانه أشدّ الإشفاق، فقاومتها ما وسعتها المقاومة، وبالغت في تشويه غايتها وعزتها إلى الابتداع والخروج على الدين وجعلت هذا عنواناً على ما تزعمه من ضلالها.

وندع التاريخ السياسي لهذه الحركة، لنفرغ لوجهتها في الإسلام كما تهدي إليها كتب زعيمها ودراسات الباحثين المحايدين من الشرقيين والغربيين.

والمجمع عليه أنّ هذه الحركة في الإسلام جديدة وقديمة معاً والواقع أنّها جديدة بالنسبة إلى المعاصرين، ولكنها قديمة في حقيقة الأمر"(٢).

فدعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوة سلفية معتدلة تنبذ الإرهاب والقتل والفساد في الأرض، وهي حقيقة يعرفها كل من يريد الحق ويتبعه. فالأرض التي شعّ منها نور الإسلام، ونزل فيها الوحي من السماء، وانطلقت منها رسالة الرحمة إلى العالم تأبى أن تكون للإرهاب وطناً، وللكراهية مأوى، وللعنف منطلقاً.

الشرك والوثنية:http://archive.aawsat.com/details.asp?article=١٧١٦٨٦&issueno=٨٩٣٩#.WOcJmjvyuUk، في ١٠/٧/١٤٣٨هـ.

(١) السلفية السعودية في الكتابات الغربية: ١٣٠-١٣١. وانظر: دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من الإحياء والإصلاح إلى الجهاد العالمي: ٤٢٧-٤٢٩.

(٢) انظر: الشيخ محمد بن عبدالوهاب في مرآة علماء الشرق والغرب: ١٣، ٢٩.

فأتباع دعوة الإمام يتلقون دينهم من تعاليم القرآن الكريم الذي حرم قتل النفس بغير حق، واعتبر أن من قتل نفساً بغير حق فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً، ويتلقون تعاليمهم من السنة النبوية الصحيحة التي جاء بها محمد ﷺ من ربه تعالى، وهي تعاليم أكدت على حق الحيوان فضلاً عن الإنسان، فقد ورد في الحديث: «أن امرأة دخلت النار في هرة، لا هي أطعمتها وسقتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»[١]، فإذا كان هذا جزاء من عذب هرة حتى الموت، فما جزاء من يقتل إنساناً بريئاً بلا خطيئة، وهو الذي قال عنه "القرآن الكريم" ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، فهل يمكن لدين هذه تعاليمه أن يقر جرائم إرهابية تكون ضحاياها أنفساً بريئة؟!.

رابعا: أن المملكة العربية السعودية وهي تمثل دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ سعت ولا تزال بكل الوسائل لمكافحة الإرهاب، ومن ذلك المؤتمر الدولي لمكافحة الإرهاب الذي استضافته الرياض ونظمته وزارة الخارجية السعودية في فبراير من عام ٢٠٠٥م، بمشاركة ما يقرب من ستين دولة. ومن توصيات ذلك المؤتمر الدولي أنه أكد على[٢]:

"أن الإرهاب يمثل تهديداً مستمراً للاسلام والأمن والاستقرار، فهو مدان مهما كانت الظروف أو الدوافع المزعومة للارهابيين".

كما أكد على أن: "الإرهاب ليس له دين معين أو جنس أو جنسية أو منطقة جغرافية محددة، وفي هذا السياق ينبغي التأكيد على أن أية محاولة لربط الإرهاب بأي دين يساعد في حقيقة الأمر الإرهابيين".

وفي هذا المؤتمر اقترحت المملكة العربية السعودية إنشاء مركز دولي لمكافعة الإرهاب، وهو ما تم بالفعل، إذ وقعت المملكة العربية السعودية على اتفاقية تأسيس مركز الأمم المتحدة لمكافحة الإرهاب في مقر الأمم المتحدة في نيويورك يوم ١٩ سبتمبر ٢٠١١م.

خامسا: أن لعلماء المملكة العربية السعودية المواقف الواضحة في بيان حكم الإسلام في

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، برقم: ٢٣٦٥.

(٢) انظر: السلفية السعودية في الكتابات الغربية: ١٣٢-١٣٣، والفرق بين الجهاد والإرهاب، مجلة البحوث والإفتاء، العدد(٩٧): ٢٥٦-٢٥٧. موقع وزارة الخارجية السعودية www.mafa.gov.sa.

الإرهاب ومن يرتكب الجرائم الإرهابية قبل أن يعرف العالم إرهاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر وما بعده. فقد أصدرت هيئة كبار العلماء في السعودية بياناً في عام ١٤١٦هـ – أي قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر–، جاء فيه: " إن هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية علمت ما حدث من التفجير الذي وقع في حي العليا بمدينة الرياض قرب الشارع العام ضحوة يوم الإثنين ١٤١٦/٦/٢٠هـ، وأنه قد ذهب ضحيته نفوس معصومة، وجرح بسببه آخرون، وروع آمنون، وأخيف عابرو السبيل؛ ولذا فإن الهيئة تقرر أن هذا الاعتداء آثم، وإجرام شنيع، وهو خيانة وغدر، وهتك لحرمات الدين في الأنفس، والأموال، والأمن والاستقرار، ولا يفعله إلا صاحب نفس فاجرة، مشبعة بالحقد والخيانة والحسد والبغي والعدوان، وكراهية الحياة والخير، ولا يختلف المسلمون في تحريمه ولا في بشاعة جرمه وعظيم إثمه..."(١).

وقد تتابعت إدانات هيئة كبار العلماء في السعودية للأحداث الإرهابية التي وقعت بعد ذلك التاريخ، ومنها أحداث الحادي عشر من سبتمبر(٢).

سادسا: أن ما قد يحصل من تصرفات فردية ضالة من عدد لا يذكر من ممارسي الإرهاب، يعارضها الجم الغفير من العلماء والدعاة والعامة من أتباع دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذين أدانوا – من منطلق دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (المسماه حسب زعمهم الوهابية) المرتكز على منهج الإسلام– أعمال العنف وسائر صور الإرهاب التي قارفها أولئك بحق الأشخاص والممتلكات المعصومة، وهيئة كبار العلماء التي تمثل أعلى هيئة علمية شرعية على المستوى الرسمي أصدرت عدة بيانات تدين الإرهاب من منطلق إسلامي بشكل صريح، جاء في إحدى هذه البيانات لمجلس هيئة كبار العلماء عما يمارسه من يقومون بالتفجير وقتل الآمنين بأنه "محرم في الإسلام وأنه غدر وخيانة وبغي وعدوان وإجرام آثم وترويع للمسلمين وغيرهم وكل

---

(١) بيانات هيئة كبار العلماء المنددة بالإرهاب: http://www.assakina.com/fatwa/٥٢٦٥٧.html، في ١٤٣٨/٧/١٠.

(٢) انظر: جهود علماء المملكة العربية السعودية في مكافحة الإرهاب:

http://www.assakina.com/book/٥٣٤٦٨.html، في ١٤٣٨/٧/١٠، مفهوم الإرهاب في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي: ٣٥٣/٢–٣٥٦، ٣٧٩ وما بعدها، والمملكة في مواجهة الإرهاب مواقف وإنجازات، الصادر من وزارة الثقافة الإعلام بالمملكة.

هذه قبائح منكرة يأباها ويبغضها الله ورسوله والمؤمنون"، ثم بين المجلس "أن الإسلام بريء من هذا العمل وهكذا كل مسلم مؤمن بالله واليوم الآخر بريء منه، وانما هو تصرف من صاحب فكر منحرف وعقيدة ضالة، فهو يحمل إثمه وجرمه فلا يحتسب عمله على الإسلام والمسلمين المهتدين بالكتاب والسنة، وانما هو محض إفساد وإجرام تأباه الشريعة والفطرة، وقد جاءت النصوص الشرعية قاطعة بتحريمه محذرة من مصاحبة أهله"(١). فكيف توصف الوهابية بأنها تنتج الإرهاب وتروج له؟! (٢).

سابعا: قول دور غولد "إن الكثير من السعوديين مستاؤون من لصق صفة الإرهاب بالوهابية، وهي النسخة المتشددة من الإسلام المطبق في السعودية. إن قليلاً من السعوديين لا يزالون مستائين ويعترفون أن وهابيتهم تنتج الكراهية لغير لمسلمين (أو الكفار بالمفهوم الإسلامي)" ثم ما نقله عن تركي الحمد(٣) بأن رجال الدين الرسميين في السعودية يرفضون الإرهاب...

فهذا اعتراف وشهادة من الكاتب، فهو يقول: إن كثيرا من السعوديين مستائين من لصق صفة الإرهاب بالوهابية؛ لأن دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوة سلفية تستمد أقوالها وأفعالها من الكتاب والسنة؛ فهي تحارب الإرهاب وترفضه، وقد مضى في الفقرات السابقة ما يؤكد ذلك.

أما قوله: " إن قليلاً من السعوديين لا يزالون مستائين ويعترفون أن وهابيتهم تنتج الكراهية لغير لمسلمين (أو الكفار بالمفهوم الإسلامي)"، وما نقله عن تركي الحمد بأن رجال الدين الرسميين في السعودية يرفضون الإرهاب.

فإن هؤلاء - حسب زعمه- قليل، وهؤلاء القليل إما لم يعرفوا حقيقة دعوة الإمام؛ لأن حقيقة دعوة الإمام التي تمثلها الدولة وعلى رأسها هيئة كبار العلماء بالمملكة تحارب الإرهاب وترفضه بجميع أشكاله، وإما أصحاب أهواء؛ فهذا تركي الحمد ينقل أن "رجال الدين الرسميين يرفضون الإرهاب"، وهم وهابيون، ومع ذلك يقول: " إن على السعوديين أن يرفضوا

---

(١) الوهابية وتصدير الإرهاب: ٤٤٦-٤٤٧.

(٢) الحكومة السعودية وتنظيم القاعدة: ٤٠٦.

(٣) وفي هذا النقل عن تركي الحمد خطر مثل هذه الكتابات على الدعوة، فالواجب منعها وعدم نشرها في هذه الدولة المباركة.

الوهابية"؟! فهو يريد من السعوديين أن يرفضوا الوهابية التي تحارب الإرهاب!

المطلب الرابع: دعوى غلو دعوة الإمام في رؤيتها الفقهية وإلزام الناس بها

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى الغلو في رؤيتها الفقهية وإلزام الناس بها.

يقول محمد زاهد جول: " ما يميز دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب هو الطريقة التي يقدمها للأمة في عصره، وهذا ما يميز الدعوات السلفية عبر التاريخ الإسلامي والحاضر باختلاف الأزمان والأمكنة والظروف والمعالجات، وهو فيما ذكر عنه أنه لا يقدم دليلاً على ما ينقله من أقوال عن علماء المسلمين الذي يخالفهم، فلم يذكر ما يثبت فيه أن أحداً من علماء المسلمين وهو يدعو إلى اتباع المجتهدين أو الفقهاء كان ينهى عن اتباع الكتاب والسنة، فلم يثبت ذلك عن أحد من فقهاء المذاهب أنه فعل ذلك، بل ما ثبت نقله أن كل واحد منهم كان يقول: إذا ثبت ما يخالف رأيه من الكتاب والسنة، فليضرب برأيه عرض الحائط.

ولكن وعندما وصلت دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب إلى المرحلة الإصلاحية – أي إلى مرحلة محاربة البدع عند المسلمين– استعمل أدوات المرحلة الدفاعية أولاً، ثم استعمل أدوات المرحلة الجهادية، أي أنه استخدم القوة المادية ضد المخالفين له في الاجتهادات العلمية والرؤى والأفكار؛ وإدخاله لأدوات المرحلة الجهادية في دعوته جعله يعامل المسلمين المخالفين له كما لو كانوا من غير المسلمين، وهو ما لم يصل إليه أحمد بن حنبل من قبل، فمهما بلغت خلافات المسلمين الفكرية والعملية فيما بينهم فلا حجة ولا حاجة إلى أن تصل مجاهدتهم بالقوة المادية كما لو كانوا من غير المسلمين، بأن تستحل دماؤهم وأموالهم، ولا أن تنتهك حرماتهم، ولذلك فإن من الغرابة أن كل من مجدوا الحركة الجهادية في الدعوة الوهابية السلفية لم يذكروا الجهة التي وجهت إليها التعبئة الجهادية الوهابية.

ولذا فإن المعترضين على الحركة الوهابية لا يعترضون على منهجيتها العلمية التأصيلية، ولا يعترضون على منهجيتها الإصلاحية، طالما كانت المنهجية العلمية والتأصيلية والإصلاحية تدعو إلى الكتاب والسنة ولو بفهم السلف وآثارهم، وإنما الاعتراض على هذه المنهجية التي تنظر إلى الاجتهادات الفقهية والفكرية الإسلامية الأخرى على أنها آراء مخالفة للقرآن والحديث،

فالاعتراض هو على حصر الأحكام الشرعية في مدرسة واحدة ورفض الباقي، وهذا غلو في فهم طبيعة الفقه علمياً وعملياً، كما سبق القول بأن فقهاء الصحابة والتابعين تنوعت اجتهاداتهم دون اعتراض أحد منهم على الآخر، أي إن هذه المنهجية المتشددة في رفض الاجتهاد الإسلامي الآخر هي بدعة بحد ذاتها"(١).

حقيقة هذه الدعوى:

هي محاولة بيان أن الخلاف بين المناوئين والإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ خلاف فقهي متشدد، وأن الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأتباعه غلو في هذا الجانب، وانتقل الأمر من الخلاف العلمي النظري إلى استخدام القوة المادية ضد المخالفين.

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: أن الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين حقيقة الخلاف بينه وبين المناوئين لدعوته، وأن الخلاف ليس فقهيا، وإنما الخلاف عقدي، وأنه يعتمد في قوله ذلك على الكتاب والسنة وما أجمع عليه أهل العلم من كل مذهب، فيقول: "وبالجملة فالذي أنكره الاعتقاد في غير الله مما لا يجوز لغيره، فإن كنتُ قلته من عندي فارم به، أو من كتاب لقيته ليس عليه العمل فارم به كذلك، أو نقلته عن أهل مذهبي فارم به، وإن كنت قلته عن أمر الله ورسوله ﷺ وعما أجمع عليه العلماء في كل مذهب فلا ينبغي لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يُعرض عنه لأجل أهل زمانه أو أهل بلده أو أن أكثر الناس في زمانه أعرضوا عنه"(٢).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أحد رسائله التي راسل بها العلماء: " وأخبرك أني ولله الحمد متبع ولست بمبتدع، عقيدتي وديني الذي أدين الله به مذهب أهل السنة والجماعة، الذي عليه أئمة المسلمين؛ مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة، لكني بينت للناس إخلاص

---

(١) الحركة الوهابية في ميزان التأصيل السلفي والإصلاح السياسي، ضمن كتاب الوهابية والسلفية الأفكار والآثار: ١٢٣-١٢٤. وانظر: تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها: ١/٤٢-٦٨، والإسلام الوهابي في مواجهة تحديات الحداثة: ٤٢، حقول الدم: ٥٥٣، ووهابي خارج الدائرة: ٩٧-٩٨، والجماعات الإسلامية والعنف موسوعة الجهاد والجهاديين: ٣٣٣-٣٣٤.

(٢) الدرر السنية: ١/٧٦.

الدين لله"[١].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته إلى علماء الحرمين: "من محمد بن عبد الوهاب إلى العلماء الأعلام في بلد الله الحرام، نصر الله بهم سيد الأنام، وتابعي الأئمة الأعلام؛ سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، جرى علينا من الفتنة ما بلغكم وبلغ غيركم، وسببه: هدم بنيان في أرضنا على قبور الصالحين، فلما كبر هذا على العامة، لظنهم أنه تنقيص للصالحين، ومع هذا نهيناهم عن دعواهم، وأمرناهم بإخلاص الدعاء لله، فلما أظهرنا هذه المسألة مع ما ذكرنا من هدم البنيان على القبور، كبر على العامة جداً، وعاضدهم بعض من يدعي العلم، لأسباب أخر لا تخفى على مثلكم؛ أعظمها اتباع هوى العوام، مع أسباب أخر. فأشاعوا عنا أنا نسب الصالحين، وأنا على غير جادة العلماء، ورفعوا الأمر إلى المشرق والمغرب، وذكروا عنا أشياء يستحي العاقل من ذكرها. وأنا أخبركم بما نحن عليه – خبراً لا أستطيع أن أكذب –؛ بسبب أن مثلكم لا يروج عليه الكذب. فنحن ولله الحمد متبعين غير مبتدعين، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل. وحتى من البهتان الذي أشاع الأعداء: أني أدعي الاجتهاد ولا أتبع الأئمة" [٢].

ثانيا: أن دعوة الإمام كما سبق بيانه[٣] تعتمد الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح ولا تخرج عن مذاهب الأئمة الأربعة، وقد بين الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ منهجه الفقهي، والتزامه بالكتاب والسنة، وما أجمع عليه العلماء وما عليه الأئمة الأربعة، يقول – رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "نحن مقلدون الكتاب والسنة وصالح سلف الأمة وما عليه الاعتماد من أقوال الأئمة الأربعة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس، وأحمد بن حنبل رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ"[٤].

ويقول أيضًا في بيان انتسابه لمذهب الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ : " فتأمل رحمك الله ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه بعده، والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، وما عليه الأئمة

(١) المرجع السابق: ١/٣٦.

(٢) المرجع السابق: ١/٤٠.

(٣) انظر: الفصل الثالث، الجواب عن الدعوى الرابعة.

(٤) مؤلفات الشيخ: ٥/٩٦.

المقتدى بهم، من أهل الحديث، والفقهاء، كأبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، رضي الله عنهم أجمعين، لكي تتبع آثارهم.

وأما مذهبنا: فمذهب الإمام أحمد بن حنبل، إمام أهل السنة، ولا ننكر على أهل المذاهب الأربعة إذا لم يخالف نص الكتاب والسنة، ولا إجماع الأمة، ولا قول جمهورها "(١).

ويقول الشيخ عبدالله بن محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جواب له عن معنى انتساب علماء الدعوة إلى مذهب الإمام أحمد وحقيقته، وما المقصود به، أهو التقليد، أم سلوك مسلك الإمام في الاجتهاد؟ فأجاب من عدة وجوه: "الوجه الأول: أن الأقوال والأفعال توزن بأقواله وأفعاله ﷺ، فما وافق منها قُبل، وما خالف رُد على قائله وفاعله كائناً من كان، فلا يقدم رأي أحد على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

الوجه الثاني: أن النصوص الصحيحة الصريحة، التي لا معارض لها ولا ناسخ، وكذا مسائل الإجماع، لا مذاهب فيها؛ وإنما المذاهب فيما فهمه العلماء من النصوص، أو علمه أحد دون أحد، أو في مسائل الاجتهاد، ونحو ذلك.

الوجه الثالث: أن المذهب في الاصطلاح: ما اجتهد فيه إمام بدليل، أو قول جمهور، أو ما ترجح عنده، ونحو ذلك، وأن المذهب لا يكون إلا في مسائل الخلاف، التي ليس فيها نص صريح، ولا إجماع.

الوجه الرابع: وفيه نقل أصول الإمام أحمد كما نص عليها الإمام ابن القيم في كتابه إعلام الموقعين.

ثم قال: هذا ما أشرنا إليه من قولنا مذهبنا مذهب الإمام أحمد"(٢).

ثالثا: أن الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ يصرح بقوله، أنه إذا افتى بشيء خرج فيه عن إجماع أهل العلم أن اللوم متوجه عليه في ذلك وأنه راجع عنه، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فإن سمعتم أني أفتيت بشيء

---

(١) الدرر السنية: ٢٤٥.

(٢) انظر: المرجع السابق: ١٦/٤-١٩باختصار وتصرف يسير، والمنهج الفقهي لأئمة الدعوة السلفية بنجد:٣٥١-٣٦٦

خرجت فيه عن إجماع أهل العلم توجه علي القول"[١].

ويقول أيضًا: "فإن الذي أنا عليه، وأدعوكم إليه، هو في الحقيقة الاقتداء بأهل العلم، فإنهم قد وصوا الناس بذلك، ومن أشهرهم كلاماً في ذلك، إمامكم الشافعي، قال: لا بد أن تجدوا عني ما يخالف الحديث، فكل ما خالفه، فأشهدكم أني قد رجعت عنه"[٢].

رابعا: أن الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ يطالب من يزعم بأنه خالف كلام أهل العلم أن يثبت ذلك، فيقول: "إن كنتم تزعمون أن أهل العلم على خلاف ما أنا عليه فهذه كتبهم موجودة"[٣]، ولا يمكن للمخالف أن يثبت ذلك**!**.

خامسا: أن الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ إنما يناقش أهل المذاهب بكلام أهل العلم من مذاهبهم، **مما** يدل على أنه لم يخرج عن مذاهب الأئمة الأربعة، فيقول: "أنا أُخاصم الحنفي بكلام المتأخرين من الحنفية، والمالكي والشافعي والحنبلي كلاً أخاصمه بكلام المتأخرين من علماء مذهبه الذين يعتمد عليهم"[٤].

سادسا: أن الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنكر على من افترى عليه بأنه مبطل للمذاهب الأربعة، فقال في رسالته إلى أهل القصيم – فيما أفتري عليه من أمور لم يقلها، ولم يكن أكثرها على باله–: " والله يعلم أن الرجل افترى علي أموراً لم أقلها، ولم يأت أكثرها على بالي. فمنها: قوله: " إني مبطلٌ كتب المذاهب الأربعة " **!** وإني أدعي الاجتهاد، وإني خارج عن التقليد، وإني أقول إن اختلاف العلماء نقمة...

جوابي عن هذه المسائل أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم، وقبله من بَهت محمداً ﷺ أنه يسب عيسى بن مريم ويسب الصالحين، فتشابهت قلوبهم بافتراء الكذب وقول الزور. قال

(١) الدرر السنية: ٥٣/١.

(٢) المرجع السابق: ٤٤/١.

(٣) المرجع السابق: ٥٨/٢. وانظر: منهج شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب في التأليف، عبدالمحسن بن حمد العباد البدر.

(٤) المرجع السابق: ٨٢/١.

تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ١٠٥]"[١].

سابعا: أن الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ على مذهب الإمام أحمد، ولا ينكر على المذاهب الأربعة إذا لم تخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة وجمهورها، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " وأما مذهبنا، فمذهب الإمام أحمد، إمام أهل السنة، ولا نُنكر على أهل المذاهب الأربعة، إذا لم يُخالف نص الكتاب والسنة، وإجماع الأمة، وقول جمهورها"[٢].

وقال ابنه عبدالله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ونحن أيضاً في الفروع على مذهب الإمام أحمد ابن حنبل، ولا ننكر على من قلّد أحد الأئمة الأربعة دون غيرهم؛ لعدم ضبط مذاهب الغير؛ كالرافضة والزيدية والإمامية ونحوهم، ولا نقرّهم ظاهراً على شيء من مذاهبهم الفاسدة، بل نُجبرهم على تقليد أحد الأئمة الأربعة"[٣].

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رده على أحد المناوئين: "وأما زعمه أن الشيخ وإخوانه الموحدين لا يرون العلماء قدوة، ولا يرعوون إلى أقوالهم؛ لادعائهم الاجتهاد.. فيُقال: هذا البهت والزور من جنس ما سبق وتكرر عنه في هذه الرسالة، وشيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يخرج في مسألة من الأصول والفروع عما عليه أهل العلم، الذين لهم لسان صدقٍ في هذه الأمة"[٤].

وفي رد الشيخ صالح الفوزان حفظه الله على من زعم من المعاصرين عن دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنها تستنكر التقليد واتباع الأئمة الأربعة، قال حفظه الله: " بأي كتابٍ أنكرنا اتباع المذاهب الأربعة ؟! لكن الأمر كما قيل:

لي حيلةٌ فيمن ينم   وليس في الكذاب حيلة
من كان يخلق ما يقول   فحيلتي فيه قليلة"[٥].

---

(١) مؤلفات الشيخ: ١/١١-١٢.

(٢) المرجع السابق: ١/١٠٧، ٩٦.

(٣) الهدية السنية: ٤٨.

(٤) مصباح الظلام: ٤٩٤.

(٥) البيان بالدليل لما في نصيحة الرفاعي ومقدمة البوطي من الكذب الواضح والتضليل: ١٥، وانظر الرد على الرفاعي

وقال الدكتور عبدالرحمن العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ " هذا منهج أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأصول، وهم في الفروع حنابلة يُقلدون مذهب الإمام أحمد، وهو أحد المذاهب الأربعة، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وهم في تقليدهم المذهب المذكور غيرُ متعصبين، ولا مُغالين في التقليد، فإذا ثبت الدليل الواضح على مخالفة المذهب أخذوا بما يعضده الدليل "(١).

ثامنا: قول محمد زاهد جول بعد ما ذكر ما يميز دعوة الإمام أنها تعتمد الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح: " ولكن وعندما وصلت دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب إلى المرحلة الإصلاحية - أي إلى مرحلة محاربة البدع عند المسلمين- استعمل أدوات المرحلة الدفاعية أولاً، ثم استعمل أدوات المرحلة الجهادية، أي أنه استخدم القوة المادية ضد المخالفين له في الاجتهادات العلمية والرؤى والأفكار".

فهو كما سبق بيانه وأن الخلاف بين الإمام والمناوئين لدعوته كان خلافا عقديا، فمتى كانت البدع من مسائل الاجتهاد والرؤى والأفكار.

ويؤكد ذلك قوله: "فمهما بلغت خلافات المسلمين الفكرية والعملية"، فلم يحدد مستوى هذه الخلافات الفكرية والعملية؛ فإن هذا الاطلاق يعني حتى لو بلغت الخلافات إلى الشرك الأكبر!

أما الخلاف الفقهي فالإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يقاتل أبدا على خلاف فقهي، بل يقرر أنه لا إنكار فيه إذا لم يتبين الدليل القاطع.

يقول الإمام محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يختلفون في بعض المسائل من غير نكير، ما لم يتبين النص؛ فينبغي للمؤمن أن يجعل همه وقصده معرفة أمر الله ورسوله في مسائل الخلاف، والعمل بذلك، ويحترم أهل العلم، ويوقرهم ولو أخطؤوا، لكن لا يتخذهم أرباباً من دون الله؛ هذا طريق المنعم عليهم، وأما إطراح كلامهم، وعدم توقيرهم، فهو طريق المغضوب

والبوطي للعباد: ٤٠- ٤٧.

(١) السحب الوابلة: ٦٨٩/٢. وانظر: التوجه الفقهي للشيخ محمد بن عبدالوهاب: ٢٢٦-٢٣١، وموقف دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من المذاهب الفقهية الأربعة:

http://www.dd-sunnah.net/torum/showthread.php?t=١٨١٣٢٠، في ١٤٣٨/٧/١٠هـ.

عليهم. واتخاذهم أرباباً من دون الله"[١].

ويقول الشيخان حسين وعبدالله أبنا الإمام محمد: "مسائل الخلاف بين الأئمة، لا إنكار فيها، إذا لم يتبين الدليل القاطع; والصحابة رضي الله عنهم قد اختلفوا في أشياء من مسائل الفروع، ولم ينكر بعضهم على بعض؛ وكذلك العلماء بعدهم، وأن كلاً منهم قد قال بما عنده من العلم"[٢].

فإذا كان الإمام وأتباعه يقولون بأنه لا إنكار في مسائل الخلاف إذا لم يتبين الدليل القاطع، فكيف ينتقلون من عدم الإنكار إلى استخدم القوة المادية ضد المخالفين، فهذا بهتان عظيم.

والإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين منهجه في القتال، فقال: "وأما القتال فلم نقاتل أحدا إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة، وهم الذين أتونا في ديارنا ولا أبقوا ممكنا؛ ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثۡلُهَا ﴾ [الشورى: ٤٠]. وكذلك من جاهر بسب دين الرسول بعدما عرفه"[٣].

ويذكر في رسالة أخرى أن علماء المسلمين أجمعوا على أن من صدق الرسول في شيء وكذبه في شيء آخر فهو كافر حلال الدم والمال، وإخلاص التوحيد لله تعالى أهم ما جاء به الرسول ﷺ، فكيف نقاتل من ينكر الصلاة والزكاة ولا نقاتل من ينكر إخلاص التوحيد لله[٤].

ثم قول الكاتب: "ولذا فإن المعترضين على الحركة الوهابية لا يعترضون على منهجيتها العلمية التأصيلية، ولا يعترضون على منهجيتها الإصلاحية، ...وإنما الاعتراض على هذه المنهجية التي تنظر إلى الاجتهادات الفقهية والفكرية الإسلامية الأخرى على أنها آراء مخالفة للقرآن والحديث".

فإذا كانت دعوة الإمام على منهجية علمية تأصيلية صحيحة فلا يمكن أن تنظر إلى

(١) الدرر السنية: ٤/١٠.

(٢) المرجع السابق: ٤/١٤.

(٣) الرسائل الشخصية: ٥/٣٧.

(٤) انظر: كشف الشبهات: ٣٧-٤١، والوهابية، ضمن مجلة الزهراء، المجلد الثالث، صفر ١٣٤٥هـ: ٩٦-٩٧.

الاجتهادات الفقهية والفكرية الإسلامية الأخرى على أنها آراء مخالفة للقرآن والحديث إلا وهي كذلك؛ لأن دعوة الإمام –كما ذكر الكاتب– أنها على منهجية علمية تأصيلية؛ بل إن الكاتب ذكر ما يميز هذه الدعوة المباركة بأنها تلتزم الكتاب والسنة، وهو الأصل عند وجود الاختلاف، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [النساء: ٨٣]. وقد مضى في الفقرات السابقة موقف أئمة الدعوة من الاجتهادات الفقهية.

المطلب الخامس: دعوى إدعاء العصمة لدعوة الإمام

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى أن أتباع الإمام يدّعون العصمة لهذه الدعوة ولإمامها.

يقول أحمد سالم -بعد أن ذكر الفرق بين السلفية (المنهج) وبين التحققات التاريخية، وأن المنهج السلفي صحيح ولكن التحقق التاريخي لا يستطيع أحد أن يدعي أنه أصاب تماماً ما كان عليه النبي ﷺ-:

"من هنا ننظر للدعوة الوهابية على أنها مجرد "تحقق تاريخي للسلفية" تحاول أن تصيب ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه. هي تدعي أنها أصابته في المسائل التي تكلمت فيها قطعاً، خاصة في أصول مسائل الاعتقاد، وظناً في فروع مسائل الفقه، فعمل الناقد هنا أن يحاكم ما تقوله الدعوة الوهابية إلى اتفاق الصحابة، هل بالفعل اتفقوا على الأقوال التي تدعي الوهابية أنها العقيدة وأنها سلفية أم لم يتفقوا؟ ونفس القضية مع شيخ الإسلام ابن تيمية.

هذا محدد نقدي أساسي سواء للسلفية أو الوهابية، وإن عملك النقدي هو محاكمة هذه التحققات التاريخية للأصل المنهجي الأول، وليس عملك النقدي أن تنكر أن هذا في الأصل منهجي، بل اتفاق الصحابة أصل منهجي معياري، لا يجوز أن يجتمع صحابة النبي ﷺ على باطل"(١).

ويقول الحسن بن علي الكتاني: "وكثير من أهل السنة المعاصرين ودعاة منهاج السلف على اختلاف مشاربهم ومناهجهم يتكلمون عن الدعوة النجدية وكأنها كانت بلا أخطاء، ويجعلون المناوئين لها وكأنهم ما حملهم على مخالفتها والرد عليها إلا البدعة والضلال.

ولطالما رأيت كتباً ودراسات عن علماء كبار ألفت في مخالفاتهم العقدية وانحرافاتهم عن السنة، كما يظن أصحابها لكن لم أر شيئاً من ذلك عن الإمام ابن عبدالوهاب وأصحابه"(٢).

ويقول أيضاً: " و"الدعوة النجدية" غلا فيها صنفان من الناس:

(١) أثر الدعوة الوهابية في التيارات الإسلامية المعاصرة: ٢٧٣.

(٢) مباحث في العذر بالجهل وإقامة الحجة: ١٥.

أحدهما: رأى فيها حركة ودعوة معصومة خالية من الأخطاء، وهؤلاء شابهوا الرافضة من حيث لا يعلمون، باعتقادهم العصمة "للدعوة النجدية" وأئمتها.

وثانيهما: رأى أنها حركة ودعوة شيطانية مبتدعة، جاءت لهدم الدين وقواعده، وهؤلاء ألِفُوا ما عليه الآباء والأجداد من البدع والمخالفات، مشابهين في ذلك للمشركين الأُوَل، الذين خاطبوا الرسل بقولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

وكلا الصنفين على خطأ ظاهر وتعصب ممقوت لما عليه الأسلاف"(١).

ويقول أيضاً: " فإني إلى ساعتي لم أر أحداً كتب في تقييم الحركة النجدية أو نقدها على ضوء منهج أهل السنة والجماعة، ميزان الاعتدال في نقد الرجال.

إنما الناس فيها بين رجلين، محب مطر لها يدافع عنها جهده، كما هو حال جميع السلفيين المعاصرين بجميع أشكالهم ومذاهبهم، ومبغضٍ قالٍ لا يذكر إلا المساوئ والعيوب ولا يرى لها فضلاً".

ثم ذكر بعض من كتب عن دعوة الإمام- مع قلة من كتبوا-، وبين ما فيها من ملاحظات، ثم قال: "ونتيجة لهذا فإن كثيراً من الشباب أخذوا كتابات النجديين وكأنها من المسلّمات، والمعاصرون من أهل الجزيرة العربية ومصر وغيرها الذين لا يوافقون على أخطاء النجديين يتأولون كلامهم بما يوافق الصواب، وآخرون يوافقون النجديين ويرفضون تأويل كلامهم الصريح وهم بذلك يحيون اخطاءهم"(٢).

حقيقة هذه الدعوى:

ادعاء العصمة تضاهي دعوى المشاركة في النبوة، ذلك أن من جعل بعد الرسول معصوما يجب الإيمان بكل ما يقوله فقد أعطاه معنى النبوة وإن لم يعطه لفظها(٣). وهذه الدعوى -

---

(١) المرجع السابق: ٢١٦.

(٢) المرجع السابق: ٢٨١-٢٨٢. وانظر: المتشددون: منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم، وكتاب التحذير من مفاهيم التطرف والتكفير: ٥٧، وموقع الإسلام اليوم، د. حاتم الشريف – عن التكفير الذي في تاريخ ابن غنام وابن بشر وعلاقته بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

(٣) العصمة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة: ٤٢٠.

إدعاء العصمة لدعوة الإمام- يريد بها المناوئون لدعوة الإمام الطعن في أتباع الدعوة بالغلو في الأشخاص ورفعهم فوق منزلتهم، وأن ما يقولونه يقع فيه الخطأ؛ فإن دعوة الإمام ليست معصومة.

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: العصمة هي حفظُ اللهِ الرسلَ مما ينفر عن القبول قبل النبوة، وحفظهم من الكذب والكتمان في التبليغ بعد النبوة، وكذا من الكبائر، وتوفيقهم للتوبة والاستغفار من الصغائر وعدم إقرارهم عليها(١). وهي بهذا المعنى من خصائص الأنبياء التي اختصوا بها دون غيرهم، قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إن غير النبي ولو بلغ من الفضل الغاية ليس بمعصوم"(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "بخلاف غير الأنبياء فإنهم ليسوا معصومين كما عصم الأنبياء ولو كانوا أولياء لله"(٣) .

فمذهب أهل السنة والجماعة خلافا لأهل الرفض الذين يجعلون أئمتهم معصومين كالأنبياء، وبعض أهل التصوف الذين بالغوا في تقديس شيوخهم حتى ادعوا فيهم العصمة(٤).

ودعوى أن الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ معصوم لم يقل بها أحد، لا الإمام نفسه ولا أتباعه؛ بل هم يؤكدون إتباعهم للكتاب والسنة والأئمة الأربعة -كما مر في الدعوى السابقة- ويطلبون من المخالف أن يبين لهم الحق بدليله حتى يرجعون له ويتبعونه؛ ، ولو كان معصوماً لما قالوا ذلك(٥)؛ بل إن الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بوب في كتابه التوحيد التحذير من طاعة العلماء والأمراء في غير ما أمر الله به، فقال: "باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أربابا"؛ ولو كان معصوما لقال إن العلماء يطاعون في كل ما يأمرون به أو ينهون

---

(١) العصمة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة: ٥١. وانظر: عصمة الأنبياء: ٢٤، ولسان العرب: ٤٠٣/١٢، ومقاييس اللغة: ٣٣١/٤.

(٢) فتح الباري: ٢٦/٧.

(٣) مجموع الفتاوى: ٢٩٠/١٠.

(٤) انظر: المرجع السابق: ٣١٩/٤، ٢٩٣/١٠، ١٤٨/١٥.

(٥) انظر: اللمز الجلي والخفي لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: http://www.alukah.net/sharia/٠/٢٨٣٧/#zzz٤xecuwte٤، في ١٤٣٨/٧/١٠هـ.

عنه.

ثانيا: أن الله تعالى ميز الناس في ملكاتهم وخصائصهم تمييزاً كبيراً، وفضل بعضهم على بعض في الدين والدنيا، وقد فطر الله البشر على أنهم يخطئون ويصيبون، ولا ينكر أحد ذلك، ولكن المنكر هو تقديس الأشخاص، وتهيب الناس لنقدهم أو مراجعتهم في شيء مما فعلوه؛ لذلك فإن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يدع العصمة لنفسه، ولم يدعيها له أحد من أتباعه، وأقواله كأقوال غيره من أهل العلم، تعرض على الكتاب والسنة، فما وافقهما قبل، وما خالفهما رد؛ فإن العصمة ليست إلا للأنبياء "وإنما يخالف في ذلك الغالية من الرافضة وأشباه الرافضة من الغالية في بعض المشايخ، ومن يعتقدون أنه من الأولياء"[١].

ثالثا: قول أحمد سالم عن دعوة الإمام: " هي تدعي أنها أصابته – أي ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه– في المسائل التي تكلمت فيها قطعاً، خاصة في أصول مسائل الاعتقاد، وظناً في فروع مسائل الفقه".

القاعدة في هذه الدعوى هو التحاكم إلى ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه[٢]، قال ﷺ: «وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي»[٣].

وكتب أئمة الدعوة موجودة، وكتب أئمة السلف موجودة، والمقارنة بينهما ممكنة وقائمة. فتعرض كتب أئمة الدعوة على كتب أئمة السلف فإن وافقتها – وهو الواقع– فهي حق ولله الحمد، وإن خالفتها؛ رد القول المخالف على كل من قال به كائنا من كان.

وفي المبحث الثاني من الفصول الخمسة الأولى من هذه الرسالة بيان لعقيدة السلف

---

(١) مجموع الفتاوى: ٦٧/١١. وانظر: الافتراءات المكذوبة على دعوة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: https://saaid.net/monawein/sh/٤.htm، في ١٤٣٨/٧/١٠هـ.

(٢) انظر: الشريعة: ٣٠٢/١، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة: ١١١/١.

(٣) سنن الترمذي، أبواب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، برقم: ٢٦٤١. وقال الترمذي: "هذا حديث مفسر غريب، لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه". وانظر: صحيح سنن الترمذي برقم: ٢٦٤١، والسلسلة الصحيحة: ٤٠٤/١.

وموافقة دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ لها.

ولكن المناوئ إذا لم يجد شيئا يذكره -كعادة المناوئين- يطلقون العبارات المجملة الموهمة.

رابعا: وقوله: " فعمل الناقد هنا أن يحاكم ما تقوله الدعوة الوهابية إلى اتفاق الصحابة، هل بالفعل اتفقوا على الأقوال التي تدعي الوهابية أنها العقيدة وأنها سلفية أم لم يتفقوا؟ ونفس القضية مع شيخ الإسلام ابن تيمية".

وهذا ما يطالب به الإمام وأتباعه بأن تعرض أقوالهم على الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح، فما وافقها قبل، وما خالفها رد. وقد مر في الدعوى السابقة أقوال الإمام وأتباعه في ذلك.

وليت الكاتب قام بهذا العمل ليتبين له موافقة عقيدة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ لعقيدة السلف، والكتب والمؤلفات التي كتبت عن دعوة الإمام كثيرة(١). وكذلك بالنسبة لدعوة شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢).

خامسا: قول الحسن بن علي الكتاني: "وكثير من أهل السنة المعاصرين ودعاة منهاج السلف على اختلاف مشاربهم ومناهجهم يتكلمون عن الدعوة النجدية وكأنها كانت بلا أخطاء، ويجعلون المناوئين لها وكأنهم ما حملهم على مخالفتها والرد عليها إلا البدعة والضلال".

فأهل السنة ودعاة منهج السلف ليس لهم إلا مشرب واحد ومنهج واحد، وأما الذين الذين يتكلمون عن دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهم ليسوا منها ولا على منهجها فهم لا يحسبون عليها ولا يعبرون عنها.

وأتباع دعوة الإمام لا يغالون فيها، ولا يدعون لها العصمة، ويفرقون في المخالف لها، بين

---

(١) انظر: عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأثرها على العالم الإسلامي للعبود، وآثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب سجل ببليوجرافي لما نشر من مؤلفاته ولبعض ما كتب عنه للضبيب، والكتب والمؤلفات التي تحدثت عن دعوة الشيخ بإنصاف أو دافعت عنها لأبي عمر الدوسري: http://www.alagidah.com/vb/showthread.php?t=٣٩٥.

(٢) انظر: موافقة شيخ الإسلام ابن تيمية لسلف الأمة وأئمتها في تقرير القواعد المتعلقة بباب الأسماء والأحكام، وموافقة شيخ الإسلام ابن تيمية لأئمة السلف في تقرير القواعد والضوابط المتعلقة بباب الأسماء والصفات كلاهما رسالة علمية بالجامعة الإسلامية لأحمد النجار.

من يخالفها لبدعته وضلاله، وبين من يخالفها مع حرصه واجتهاده. فالمبتدع له حكم، والمجتهد له حكم؛ بل إنهم يفرقون في درجات الإنكار حتى على المبتدع، بحسب غلظ وشناعة بدعته.

سادسا: قوله: "ولطالما رأيت كتباً ودراسات عن علماء كبار ألفت في مخالفاتهم العقدية وانحرافاتهم عن السنة، كما يظن أصحابها لكن لم أر شيئاً من ذلك عن الإمام ابن عبدالوهاب".

وهذا غير صحيح؛ بل إن الدراسات العلمية عن الإمام وأتباعه كثيرة[1]،تشمل بيان عقيدة الإمام وأتباعه، ودراستها وبيان موافقتها لعقيدة السلف، ونظر العلماء والأدباء والكتاب العرب والغربيون لها، وآثارها في أنحاء العالم الإسلامي وغيره، ومن تلك الدراسات:

١- الإمام محمد بن عبدالوهاب: حياته، آثاره، دعوته السلفية لمحمد السكاكر.

٢-منهج الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تقرير توحيد الألوهية لبدر الوهيبي.

٣- الأمن الفكري وآثاره في دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ لعايد العقيلي.

٤-الدعاوى المتعلقة بمسائل العقيدة في مقررات التعليم العام في المملكة العربية السعودية لأحمد الرضيمان.

٥- منهج أئمة الدعوة في نجد في توحيد الأسماء والصفات من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى آخر القرن الرابع عشر الهجري لرياض العمري.

٦- جهود علماء نجد في تقرير الولاء والبراء في القرن الثالث عشر الهجري لعبدالله السند.

٧- جهود علماء نجد في تقرير توحيد العبادة والتحذير من الشرك في القرن الثالث عشر الهجري لعبدالرحمن الشدي.

٨- الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ومنهجه في تقرير العقيدة مع دراسة وإخراج كتاب جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية لناصر السعوي.

٩- الشيخ حمد بن معمر: منهجه وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين لهيا

---

(١) يمكن الاطلاع عليها في مكتبة الملك فهد، وموقع الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب.

العتيبي.

١٠- جهود العلامة عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تقرير عقيدة السلف والرد على المخالفين لخالد الغنيم.

١١- جهود الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب في تقرير عقيدة السلف لسلطان الغنيم.

سابعا: قوله: " والدعوة النجدية غلا فيها صنفان من الناس " الخ.

فالخطأ الذي يقع على الدعوة لا يحسب عليها، كما أن الغلو في الدين والجفا عنه لا يحسب على الإسلام، وإنما يحسب على من صدر منه. ونقول كما قال الكاتب عنهم: " وكلا الصنفين على خطأ ظاهر وتعصب ممقوت لما عليه الأسلاف"(١).

ثامنا: قوله: " فإني إلى ساعتي لم أر أحداً كتب في تقييم الحركة النجدية أو نقدها على ضوء منهج أهل السنة والجماعة "ميزان الاعتدال في نقد الرجال"...

بل المؤلفات في ذلك كثيرة - ولله الحمد-، وقد كتب عن الدعوة وشهد لها الكثير من العلماء؛ بل من المستشرقين المنصفين(٢). لكن الكاتب يريد أن يكون تقييم الدعوة في ضوء منهج أهل السنة والجماعة الذي يعرفه هو، دون غيره من علماء أهل السنة والجماعة.

---

(١) المرجع السابق: ٢١٦.

(٢) انظر: إسلامية لا وهابية: ٣٠٥-٣٥٨، والشيخ محمد بن عبدالوهاب لآل بوطامي: ١٠٨-١٦٣.

المطلب السادس: دعوى الغلو في تضخيم أبواب التوحيد

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى أن الإمام وأتباعه يغالون في تضخيم أبواب التوحيد وذلك على حسب الأبواب الأخرى من المحبة الوجدانية للنبي ﷺ، ومعرفة حقوقه ومحبة آل البيت.

يقول الحسن بن علي الكتاني من المسائل التي غلا فيها الوهابية: " تضخيم أبواب التوحيد على غيرها: تكلم النجديون كثيراً في مسائل التوحيد العملي والتحذير من الشرك ونواقض الإسلام، ونبذ البدع، وهذه الأمور كانت أساس دعوتهم كلها.

غير أنه حصل لديهم تضخيم في ذلك الجانب على حساب جوانب أخرى مثل تنمية المحبة القلبية الوجدانية للحبيب المصطفى ﷺ ومعرفة حقوقه، ومحبة آل بيته واحترامهم ومعرفة حقهم.

والنجديون ما كانوا ينكرون شيئاً من ذلك. غير أن تحذيرهم الشديد من الغلو وإطراء رسول الله ﷺ، والتحذير مما يفعله الناس عند قبره الشريف، نفسي فداه، وما يكون في قصائد المديح النبوي من استغاثة واستشفاع، - مع المبالغة في النهي عن التوسل بذاته الشريفة، وشد الرحال لزيارة القبر المبارك، وإقامة حفلات الموالد وما إلى ذلك.

أضف إليه الحرب الطاحنة التي قامت بين النجديين وبين أشراف الحجاز، وتحذيرهم من الاعتماد على الأنساب دون الأعمال -كل ذلك لم يقابل بمنهج علمي سني منضبط يعوض عما يستنكرونه، فتولد ذلك نقص في هذا الجانب، بل جفاء عند كثير من عوامهم، فإذا سمعوا شعراً في المديح النبوي خافوا من الشرك، وإذا سمعوا كثرة الصلاة والسلام عليه حذروا من الغلو، وإذا تكلمت عن فضائل آل البيت توجسوا خيفة من التشيع، وإذا جاءت ذكرى مولده الشريف حذروا من بدع الموالد"[١].

ويقول سعود المولى بعد أن ذكر دعوة الإمام وما ترتب عليها من أثر في الجماعات

(١) مباحث في العذر بالجهل وإقامة الحجة: ٣١٧-٣١٨.

الإسلامية والخلافة العثمانية مقارن لها ببعض الدعوات الأخرى، ذاكراً لها على سبيل التنقص:

"والحقيقة أن ليس لابن عبدالوهاب مذهب خاص به، ليس له غير ما أحيا من فكر السلف، أهل الحديث بملا يلائم حاجات بيئته كما تصورها".

ثم ذكر مقارنة لها ببعض الجماعات، وعناية تلك الجماعات بالسياسة، ثم قال عن نظرة العالم الإسلامي لدعوة الإمام: " نظر الرأي العالم الإسلامي لدعوة ابن عبدالوهاب من وجهها السلبي أنها قد عملت على إضعاف الخلافة، متمردة عليها، فردت هذه باقتحام معاقلها. ما جعلها تبدو في صورة الفتنة، قتالاً ضارياً بين المسلمين على خلفية تكفيرهم. لا يلقي ذلك كون كسب دعوة ابن عبدالوهاب في إصلاح العقائد الإسلامية مهماً جداً. ولكن طالما قاد التمركز حول جانب واحد من جوانب البناء الإسلامي إلى تضخيمه والإفراط فيه على حساب جوانبه الأخرى، فقاد إلى ضروب من التشدد"(١).

حقيقة هذه الدعوى:

هو أن المناوئين لدعوة الإمام لما عجزوا عن رد دعوته رَحِمَهُ ٱللَّهُ للتوحيد وبيان ما يخالفه، قالوا أنه غلا في هذه الدعوة؛ لينفروا ويحذروا منه ومن دعوته الصحيحة القائمة على الكتاب والسنة.

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: أن المفترض أن لايكون الإشكال عند المناوئ لدعوة الإمام في دعوة الإمام للتوحيد؛ بل المفترض أن يساندها ويدعو إليها لأنها منهج الرسل عليهم الصلاة والسلام، وإنما المفترض أن يكون الإشكال عند المناوئ إذا كانت دعوة الإمام تدعو إلى الشرك والبدع والمخالفة، أو تقصر في دعوة التوحيد.

ثانيا: أنه مع عناية الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتوحيد فإنه لم يقتصر عليه فقط، ومن رجع لمؤلفاته ورسائله عرف ذلك، فقد ألف في السيرة والتفسير والحديث والفقه، واختصر بعض الكتب الحديثية والفقهية. وسبق في التمهيد من هذه الرسالة ذكر بعض مؤلفاته.

---

(١) الجماعات الإسلامية والعنف موسوعة الجهاد والجهاديين: ٣٤١-٣٤٢.

ثالثا: أنه سبق في الجوب عن الدعوى الرابعة في الفصل الثالث أن دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوة سلفية دينية جاءت لإصلاح المجتمع في جميع جوانبه الدينية والأخلاقية والسياسية... مع العناية بجانب التوحيد، وهكذا كانت دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام.

رابعا: أن الرسول ﷺ بدأ دعوته بالتوحيد، وختمها بالتوحيد، وما بينهما توحيد، فكل دعوته لبيان التوحيد وما يضاده، وما يكمله وما ينقصه، وجزاء الموحدين وعقاب المشركين، ومن أجل ذلك، ومن خلال الوقوف على آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب، متمثلة في كتبه ومسائله ورسائله، يتضح أن الدعوة إلى التوحيد "توحيد الله تعالى"، والبراءة من ضروب الشرك وأهله، تحتل المساحة الأوسع، والاهتمام الأكبر، والمكانة الأولى لدى الإمام، أسوة برسول الله ﷺ الذي مكث في مكة ثلاث عشرة سنة، يغرس عقيدة التوحيد، ويقتلع جذور الشرك.

خامسا: اهتم الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ اهتماماً بالغاً في جميع كتبه ورسائله بالتوحيد فكانت دعوته دعوة التوحيد وكان شعاره بيان معنى "لا إله إلا الله" وذلك يعود لسببين:

الأول: أن تصحيح العقيدة وإخلاص العبادة لله ﷻ هو السبيل الذي سلكه الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

الثاني: أن العصر الذي عاش فيه الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يعج بالشركيات وعبادة الأوثان والبدع مما جعل الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ يبدأ أولاً بتصحيح العقيدة وتنقيتها من الشرك والبدع وفق الطريق القويم الذي جاء في الكتاب والسنة لأنه هو الطريق الحق والعدل والوسط وما عداه طريق الضلال والغواية والانحراف عن الصراط المستقيم يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إن التوحيد الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم هو إفراد الله بالعبادة كلها ليس فيها حق لملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عن غيرهم"(١).

(١) مؤلفات الشيخ: ١٦٦/١، والدرر السنية: ٧٥/٨.

سادسا: كان الإمام يؤكد في أكثر من موضع أن أول واجب يلزم المسلم تعلمه والعمل به هو إفراد الله بالتوحيد والعمل بـ"لا إله إلا الله" ظاهراً وباطناً، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "اعلم أرشدك الله أن الله خلقك لعبادته وأوجب عليك طاعته، ومن أفرض عبادته عليك: معرفة لا إله إلا الله علماً وقولاً وعملاً"[1]. لأن العلم بمعنى "لا إله إلا الله" والعمل بمقتضاها هو أساس معرفة التوحيد الذي يجب على كل مسلم ومسلمة تحقيقه، وهو ما أكد عليه أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "من قال: لا إله إلا الله بلسانه ثم أطاع الشيطان وهواه في معصية الله ومخالفته فقد كذب فعلُه قولَه، ونقصَ من كمال توحيده، بقدر معصيتِهِ اللهَ في طاعة الشيطان والهوى، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]"[2].

سابعا: أنه بالنظر في حال الأمة قديماً وحديثاً ندرك أن من أعظم المصائب إعراض كثير من الناس عن النظر في معنى "لا إله إلا الله" حتى باتت قولاً مجرداً عن العمل[3].

يقول الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو إفراد الله بالتعلق والكفر بما يعبد من دونه والبراءة منه، فإنه لما قال لهم قولوا لا إله إلا الله قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص:٥] فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها، من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني"[4].

فحقيقة التوحيد أن يُعبد اللهُ وحده فلا يدعى إلا هو، ولا يخشى إلا هو، ولا يتقى إلا هو، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يكون الدين إلا له[5].

---

(١) الدرر السنية: ٢/١٢٣.

(٢) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها: ٢٧.

(٣) انظر: الانتصار لحزب الله الموحدين في الرد على المجادل من المشركين: ١٠٥.

(٤) كشف الشبهات: ١٧.

(٥) انظر: منهاج السنة النبوية: ٣/٤٩٠.

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت"(١).

ثامنا: أن الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يأل جهداً في بيان هذه الأعمال والأقوال والدعوة إليها وبيان مفاسد ضدها والتحذير منه، ليعيد المنحرفين إلى جادة الطريق ويرد عليهم ضلالهم وانحرافهم ويقرر لهم المنهج الحق.

ولذلك كان للإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ العناية بالدعوة إلى توحيد الله جل وعلا في ألوهيته وعبادة الناس للواحد الأحد دونما سواه، فلم يبدأ دعوته بسلوكيات ولا بزهديات.. وإنما صبر، وصبر سنين حتى يقرر توحيد العبادة وما يدل من حق الله في ربوبيته وفي أسمائه وصفاته جل وعلا.

تاسعا: أن مسائل التوحيد تختلف أيضا في ترتيب أولوياتها، لهذا تجد أن الإمام في دعوته وفيما يقرره في كتبه وفي رسائله، تجد أنه لا يجعل المسائل المتصلة بالعقيدة والتوحيد في مرتبة واحدة؛ بل أخّر بعض المسائل حتى اتضحت الدعوة وانتشرت، وبدأ بالمسائل العظيمة.

فبدأ "بالمسألة العظيمة الأولى: دعوة غير الله جل وعلا شرك، الاستغاثة بغير الله جل وعلا شرك، طلب المدد والحاجات من الأموات وشفاء الأمراض وجعل المخلوق له صفات الخالق أن هذا كفر وشرك.

وأخر بعض المسائل في مثل بعض مسائل تقرير الصفات والرد على الأشاعرة، في بعض مسائل التوسل أخرها، في بعض مسائل التبرك لم يوردها، وذلك بيّن في منهجه، فبدأ دعوته بشيء عظيم واضح؛ لأن حجة الخصم فيه هي أضعف ما يكون، ولو ركز على بعض المسائل التي فيها من الكلام ما فيها، من النقول عن العلماء، لترك العلماء في وقته الذين ناهضوه وآذوه لتركوا الكلام في المسائل المهمة وركزوا على هذه المسائل ليطعنوا فيه أو ليردوا عليه، فكان من الحكمة أنه أخذ بسنة النبي ﷺ في أنه قرر توحيد العبادة الأكبر"(٢).

عاشرا: أن العقيدة التي دعا الإمام محمد بن عبد الوهاب الناس إليها، وأخذ على عاتقه

---

(١) الدرر السنية: ٢/٣٦.

(٢) منهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب في العقيدة، محاضرة صوتية للشيخ صالح آل الشيخ.

توضيحها لهم، والتي أخذت جانبا كبيرا من دعوته وجهاده، هي عقيدة السلف الصالح التي وردت في الكتاب والسنة، وطبقها -اعتقاداً وعملاً- رسول الله ﷺ وصحابته، رضوان الله عليهم، ومن تبعهم بإحسان من أهل السنة والجماعة، وهي العقيدة التي بينها الإمام بياناً شافياً في "كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد"، وهو كتاب يأتي في الصدارة بين كتب الإمام، ولخصها في رسائله الكثيرة إلى الأمراء، والعلماء، وعموم المسلمين.

وعقيدة الإمام، ودعوته ترجع إلى التوحيد الخالص، في كل ما جاءت به من قواعد إجمالية، وشروح تفصيلية، والتزام بالنصوص المتعلقة بالعقيدة.

الحادي عشر: قول الحسن بن علي الكتاني في تضخيم أبواب التوحيد – حسب زعمه- على غيره من الأبواب:" غير أنه حصل لديهم تضخيم في ذلك الجانب على حساب جوانب أخرى مثل تنمية المحبة القلبية الوجدانية للحبيب المصطفى ﷺ ومعرفة حقوقه، ومحبة آل بيته واحترامهم ومعرفة حقهم...".

فالعناية بالتوحيد والاهتمام به هي طريقة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وقد سبق بيان ذلك في المبحث الثاني من الفصل الأول.

وأما ما ذكره من الجوانب الأخرى من تنمية المحبة القلبية الوجدانية للحبيب المصطفى ﷺ ومعرفة حقوقه، ومحبة آل بيته واحترامهم ومعرفة حقهم، فقد أجاب عنه الكاتب بقوله: " والنجديون ما كانوا ينكرون شيئاً من ذلك"، وهذا حق(١).

وأما قوله: " غير أن تحذيرهم الشديد من الغلو وإطراء رسول الله ﷺ، والتحذير مما يفعله الناس عند قبره الشريف، نفسي فداه، وما يكون في قصائد المديح النبوي من استغاثة واستشفاع، مع المبالغة في النهي عن التوسل بذاته الشريفة، وشد الرحال لزيارة القبر المبارك، وإقامة حفلات الموالد وما إلى ذلك ...الخ" ، وهذا حق أيضا. فالإمام وأتباعه ينهون ويحذرون

(١) انظر: مكانة وحقوق رسول الله ﷺ وآل بيته عند أئمة الدعوة جمعا ودراسة لآل الشيخ، وجهود أئمة الدعوة في تقرير مسائل الصحابة وآل البيت والإمامة والولاية والرد على المخالفين: ١٩٥-٣٢٠، وجهود أئمة الدعوة في بيان مكانة أهل البيت رضي الله عنهم والذب عنهم للتركي، وأعمال القلوب عند علماء الدعوة الإصلاحية في القرن الثالث عشر الهجري للعقيلي، وأعمال القلوب عند الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ جمعا ودراسة للرحيلي.

عن كل مخالفة تقع في الغلو في النبي ﷺ، وإنزاله في غير منزلته التي أنزله الله إياها[١]، وهم في ذلك يمتثلون قوله ﷺ: «لا تطروني، كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله، ورسوله»[٢]، وقال ﷺ: « لا تتخذوا قبري عيدا، ولا تجعلوا بيوتكم قبورا، وحيثما كنتم فصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني»[٣]، وقال: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ [يونس: ٤٩]، وقال: ﴿ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ﴾ [الجن: ٢١] أي لن أجد من دونه من ألتجئ إليه وأعتمد عليه. وقال لابنته فاطمه وعمه العباس وعمته صفية: «لا أملك لكم من الله شيئا»[٤]، وفي لفظ: «لا أغني عنكم من الله شيئا»[٥].

الثاني عشر: قول سعود المولى بعد أن ذكر دعوة الإمام وما ترتب عليها من أثر في الجماعات الإسلامية والخلافة العثمانية مقارن لها ببعض الدعوات الأخرى، ذاكراً لها على سبيل التنقص: " ولكن طالما قاد التمركز حول جانب واحد من جوانب البناء الإسلامي إلى تضخيمه والإفراط فيه على حساب جوانبه الأخرى، فقاد إلى ضروب من التشدد ".

قد ذكر الكاتب قبل هذا الكلام قوله: "والحقيقة أن ليس لابن عبدالوهاب مذهب خاص به، ليس له غير ما أحيا من فكر السلف، أهل الحديث بملا يلائم حاجات بيئته كما تصورها".

فإذا كان الإمام "ليس له مذهب خاص به، وليس له غير ما أحيا من فكر السلف، أهل الحديث"، فهو إذا سائر على منهج السلف من العناية بالتوحيد مع عدم إهمال الجوانب

---

(١) انظر: حقوق النبي ﷺ على أمته: ٦٤٢/٢، ٦٧٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا ﴾، برقم: ٣٤٤٥.

(٣) مسند أحمد، برقم: ٨٨٠٤. وقال محققو الكتاب: إسناده حسن.

(٤) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب من انتسب لآبائه في الإسلام والجاهلية، برقم: ٣٥٢٧، وصحيح مسلم، كتاب الأيمان، باب في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾، برقم: ٣٤٨.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب، برقم: ٢٧٥٣، وصحيح مسلم، كتاب الأيمان، باب في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾، برقم: ٣٥١.

الأخرى، ولكن الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ - وأيضا كما قال الكاتب - اهتم واعتنى " بما لا يلائم حاجات بيئته كما تصورها"، فهو رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما رأى ما عليه أهل بيئته من الشرك والبدع أهتم بها وقدمها على غيرها.

الفصل الخامس

الدعاوى المتعلقة بالولاء والبراء

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المراد بالولاء والبراء .

المبحث الثاني: عقيدة أهل السنة والجماعة في الولاء والبراء .

المبحث الثالث: الدعاوى المتعلقة بالولاء والبراء والجواب عنها .

المبحث الأول:المراد بالولاء والبراء

الولاء والبراء في اللغة:

أولاً: معنى الولاء في اللغة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الواو واللام والياء: أصل، صحيح يدل على قُرب، من ذلك: الوليُْ: القُرب، يقال: تباعد بعد وَلْي أي: قرب"(١)، والموالاة: المحبة، يقال: "والى فلانٌ فلاناً إذا أحبه"(٢).

والولاء النصرة، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ﴾ [الممتحنة: ٩] " أي تنصروهم" (٣).

ثانياً: معنى البراء في اللغة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الباء، والراء، والهمزة: أصلان ترجع إليهما فروع الباب: أحدهما: الخلق يقال: برأ الله الخلق يبرؤهم برءًا.

والأصل الآخر: التباعد من الشيء ومزايلته، ومن ذلك البرء وهو السلامة من السقم، يقال: بَرئت وبرأت، قال: ومن ذلك قولهم: برئت إليك من حقك، وأهل الحجاز يقولون: أنا براءٌ منك، وغيرهم يقول: أنا بريء منك"(٤).

و بَرِئَ إذا تخلص، وبَرِئَ إذا تنزه وتباعد، وبَرِئَ إذا أعذر وأنذر(٥).

الولاء والبراء اصطلاحاً:

الولاء: الولاية هي النصرة والمحبة والإكرام(١). وهو محبة المؤمنين لأجل إيمانهم، ونصرتهم،

---

(١) مقاييس اللغة: ١٤١/٦.

(٢) انظر: لسان العرب: ٤٠٩/١٥، والصحاح: ٢٥٢٨/٦- ٢٥٣٠.

(٣) لسان العرب: ٤٠٧/١٥-٤٠٨.

(٤) مقاييس اللغة: ٢٣٦/١.

(٥) لسان العرب: ٣٣/١.

والنصح لهم، وإعانتهم، ورحمتهم، وما يلحق بذلك من حقوق المؤمنين[٢].

والبراء: البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار[٣]، وينبني على ذلك بغض المعبودات من دون الله عَزَّوَجَلَّ وأهلها.

والولاء والبراء أمر قلبي في أصله، لكن يظهر على اللسان والجوارح، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الوَلاية: ضد العداوة. وأصل الولاية: المحبة والتقرب، وأصل العداوة: البغض والبعد... والولي: القريب، يقال: هذا يلي هذا: أي يقترب منه، ومنه قوله ﷺ: «ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فهو لأولى رجل ذكر»[٤]، أي لأقرب رجل إلى البيت. فإذا كان ولي الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه، ويبغضه ويسخطه ويأمر به وينهى عنه، كان المعادي لوليه معاديا له... فمن عادى أولياء الله فقد عاداه، ومن عاداه فقد حاربه"[٥].

فالولاء لا يكون إلا لله تعالى ورسوله ﷺ وللمؤمنين كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [المائدة: ٥٥].

فالولاء للمؤمنين يكون بمحبتهم لإيمانهم، ونصرتهم والدعاء لهم، والنصح إلى غير ذلك من مقتضيات الولاء.

والبراءة من الكفار تكون ببغضهم وبغض الدين الباطل الذي يدينون به، وجهادهم الجهاد الشرعي بضوابطه.

---

(١) انظر: شرح الطحاوية: ١/٤٠٣، وتيسير العزيز الحميد: ٤٢٢، والولاء والبراء في الإسلام: ٩٠.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: وتفسير ابن كثير: ٤/١٧٤، والدرر السنية: ٢/٣٢٥.

(٣) انظر: الولاء والبراء في الإسلام: ٩٠. وولاية الله والطريق إليها: ٢٤١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الفرائض، باب ميراث الولد من أبيه وأمه، برقم: ٦٧٣٢، وصحيح مسلم، كتاب الفرائض، باب ألحقوا الفرائض بأهلها، برقم: ١٦١٥.

(٥) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: ٧.

المبحث الثاني: عقيدة أهل السنة والجماعة في الولاء والبراء

إن عقيدة الولاء والبراء في أصلها من مقتضيات الإيمان بالله تعالى وشهادة أن لا إله إلا الله، فمن اعتقد التوحيد فإنَّ من حقيقة اعتقاده براءته من الشرك وأهله، فالولاء لله ورسوله والمؤمنين، والبراء من الشرك وأهله من أصول الإيمان، ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال سبحانه: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١ - ٣٢].

وعن البراء بن عازب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: «كنا جلوسا عند النبي ﷺ، فقال: أي عرى الإسلام أوثق؟»، قالوا: الصلاة، قال: «حسنة، وما هي بها؟»، قالوا: الزكاة، قال: «حسنة، وما هي بها؟»، قالوا: صيام رمضان. قال: «حسن، وما هو به؟»، قالوا: الحج، قال: «حسن، وما هو به؟»، قالوا: الجهاد، قال: «حسن، وما هو به؟»، قال: «إن أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله، وتبغض في الله»(١).

وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله،

---

(١) مسند أحمد، برقم: ١٨٤٢٥. وقال محققو الكتاب: حديث حسن بشواهده. وانظر: صحيح الترغيب والترهيب، برقم: ٣٠٣٠.

والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله»[(١)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " فإن تحقيق الشهادة بالتوحيد يقتضي أن لا يحب إلا لله، ولا يبغض إلا لله، ولا يوالي إلا لله، ولا يعادي إلا لله، وأن يحب ما أحبه الله، ويبغض ما أبغضه الله، ويأمر بما أمر الله به، وينهى عما نهى الله عنه"[(٢)].

وقد جاءت النصوص مبينة أن الولاء والبراء من الإيمان بل هو شرط له يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [المائدة: ٨١، ٨٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فذكر جملة شرطية تقتضي أنه إذا وجد الشرط وجد المشروط بحرف (لو) التي تقتضي مع الشرط انتفاء المشروط فقال: ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ فدل ذلك على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده، ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب، ودل ذلك على أن من اتخذهم أولياء ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه"[(٣)].

إن عقيدة الولاء والبراء أصل عظيم من أصول الدين، وشعبة من شعب الإيمان، ولازم من لوازم التوحيد، وتطبيق عملي لكلمة الإسلام كلمة التوحيد؛ قال الله تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وهو أوثق عرى الإيمان، وجعل النبي ﷺ مفارقة المشركين، قرينة التوحيد وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فعن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده رضي الله عنه، قال: قلت: «يا نبي الله ما أتيتك حتى حلفت أكثر من عددهن – لأصابع يديه–، ألا آتيك، ولا آتي دينك، وإني كنت امرأ لا أعقل شيئا، إلا ما علمني الله

---

(١) المعجم الكبير للطبراني، برقم: ١١٥٣٧، وشرح السنة للبغوي، برقم: ٣٤٦٨. وحسنه الألباني، انظر: صحيح الجامع، برقم: ٢٥٣٩، والسلسلة الصحيحة، برقم: ٩٩٨، ١٧٢٨.

(٢) مجموع الفتاوى: ٨/٣٣٧.

(٣) كتاب الإيمان: ١٤، ومجموع الفتاوى: ٧/١٧. وانظر: تفسير ابن كثير: ٣/١٦٤، ومفهوم الولاء والبراء للويحق: http://www.alukah.net/web/lwaiheq/٠/١٠١٩٨٤، في ١٤٣٨/١٠/٢٧هـ.

ورسوله، وإني أسألك بوجه الله عَزَّوَجَلَّ بما بعثك ربك إلينا؟" قال: «بالإسلام»، قال: قلت: وما آيات الإسلام؟ قال: «أن تقول: أسلمت وجهي إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وتخليت، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، كل مسلم على مسلم محرم، أخوان نصيران لا يقبل الله عَزَّوَجَلَّ من مشرك بعدما أسلم عملا، أو يفارق المشركين إلى المسلمين» [(١)].

وبايع أصحابه على البراءة من المشركين ومفارقتهم، فعن جرير البجلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: «أتيت النبي ﷺ وهو يبايع، فقلت: يا رسول الله، ابسط يدك حتى أبايعك، واشترط علي، فأنت أعلم، قال: «أبايعك على أن تعبد الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتناصح المسلمين، وتفارق المشركين»[(٢)].

كما جاءت الأدلة من الكتاب والسنة بالولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢﴾ [المائدة: ٥١، ٥٢].

فمن عاضدهم وناصرهم على المسلمين، فحكمه حكمهم، في الكفر والجزاء وهذا الحكم باق إلى يوم القيامة، وهو قطع الموالاة بين المسلمين والكافرين[(٣)].

وقال تعالى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠﴾ [البقرة: ١٢٠].

وعن النعمان بن بشير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر

---

(١) سنن النسائي، كتاب الزكاة، باب من سأل بوجه الله عَزَّوَجَلَّ، برقم: ٢٥٦٨. وانظر: صحيح سنن النسائي، برقم: ٢٥٦٨.

(٢) سنن النسائي، كتاب البيعة، باب البيعة على فراق المشرك، برقم: ٤١٧٧. وانظر: صحيح سنن النسائي، برقم: ٤١٧٧.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٦/٢١٦، وتفسير ابن كثير: ٣/١٣٢، وأضواء البيان: ١/٤١٣.

والحمى»[١].

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف ترى في رجل أحب قوما ولما يلحق بهم؟ قال رسول الله ﷺ: «المرء مع من أحب»[٢].

إن شهادة التوحيد معناها البراءة من كل ما يعبد من دون الله من الآلهة، والطواغيت، ودعاتها، والولاء لهذه الكلمة ولأهلها، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيناً حقيقة التوحيد: "وحقيقته أيضا البراء والولاء، البراء من عبادة غير الله، والولاء لله"[٣].

وقد ذكر العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ أن الكلمة التي ذكرها الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه في قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٦- ٢٨] والكلمة الباقية هي كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، ومعناها أن الله عَزَّوَجَلَّ جعل الموالاة والبراءة من كل معبود سواه، كلمة باقية في ذرية إبراهيم يتوارثها الأنبياء وأتباعهم، بعضهم عن بعض[٤].

فهذه الكلمة التي بعث الله بها الأنبياء، وجعلها الله عَزَّوَجَلَّ كلمة في عقب إبراهيم يتوارثها الأنبياء وأتباعهم، كلمة لا إله إلا الله هي الولاء والبراء، وما يترتب عليها من أحكام.

وقال الله تعالى في قصة نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وابنه لبيان هذه الحقيقة العظيمة، وهي الولاء والبراء على التوحيد في قول الله عَزَّوَجَلَّ لنوح: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٤٦ ﴾ [هود: ٤٦].

يقول الطبري - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في تفسير هذه الآية: "عن الضحاك أنه قرأ: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾قال: يقول: ليس هو من أهلك. قال: يقول: ليس هو من أهل ولايتك، ولا ممن

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، برقم: ٦٠١١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب، برقم: ٢٦٤٠.

(٣) مدارج السالكين: ١/١٨٦.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٧/٢٢٥، وتفسير السعدي: ٧٦٤.

وعدتك أن أنجي من أهلك ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾، قال: يقول كان عمله في شرك"(١).

وكذلك إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما استغفر لأبيه، وأمر الله عَزَّوَجَلَّ نبيه وأتباع نبيه محمد ﷺ بأن يكون إبراهيم أسوة، استثنى أمرًا واحدًا قال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤].

يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: "فليس لكم أن تدعوا للمشركين وتقولوا: إنا في ذلك متبعون لملة إبراهيم، فإن الله ذكر عذر إبراهيم في ذلك في قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة: ١١٤] "(٢).

وكذلك ما ذكر الله في حق نبينا ﷺ في قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣] فإن النبي ﷺ والذين آمنوا معه عليهم أن يوافقوا ربهم في رضاه وغضبه، ويوالوا من والاه الله، ويعادوا من عاداه الله، والاستغفار منهم لمن تبين لهم أنه من أصحاب النار منافٍ لذلك، متناقض معه(٣).

وأهل السنة والجماعة يتبرأون ممن حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب، قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

ويمتثلون لنهيه تعالى في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ

(١) تفسير الطبري: ١٥/٣٤٥.

(٢) تفسير السعدي: ٨٤٥.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٤/٢٢١، وتفسير السعدي: ٣٥٣.

وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة التوبة:٢٣-٢٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الحمد والذم والحب والبغض والموالاة والمعادة إنما تكون بالأشياء التي أنزل الله بها سلطانه، وسلطانه كتابه، فمن كان مؤمناً وجبت موالاته من أي صنف كان، ومن كان كافراً وجبت معاداته من أي صنف كان.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦]. وقال: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

وقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] "هذه صفات المؤمنين الكمل أن يكون أحدهم متواضعا لأخيه ووليه، متعززا على خصمه وعدوه"(١).

وقال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في الولاء والبراء: "ثم تحب في الله من أطاعه وإن كان بعيدا منك وخالف مرادك في الدنيا، وتبغض في الله من عصاه ووالى أعداءه وإن كان قريبا منك ووافق هواك في دنياك، وتصل على ذلك وتقطع عليه"(٢).

وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " فمن الحب في الله حب أولياء الله وهم الأنقياء العلماء الفضلاء، ومن البغض في الله بغض من حاد الله وجاهر بمعاصيه أو ألحد في صفاته وكفر به وكذب رسله أو نحو هذا كله"(٣).

وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فلا تتم محبة الله ورسوله إلا بمحبة أوليائه وموالاتهم وبغض أعدائه ومعاداتهم. وسئل بعض العارفين: بما تنال المحبة؟ قال: بموالاة أولياء الله ومعاداة

(١) تفسير القرآن العظيم: ١٣٦/٣.

(٢) الإبانة الصغرى: ٢٥٦.

(٣) التمهيد: ٤٣١/١٧.

أعدائه"(١).

وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فأولياء الله تجب موالاتهم وتحرم معاداتهم، كما أن أعداءه تجب معاداتهم وتحرم موالاتهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١]، وقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة: ٥٥]"(٢).

وقال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند شرحه لقول الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ- ونحب أهل العدل والأمانة ونبغض أهل الجور والخيانة-: " وهذا من كمال الإيمان وتمام العبودية، فإن العبادة تتضمن كمال المحبة ونهايتها، وكمال الذل ونهايته، فمحبة رسل الله وأنبيائه وعباده المؤمنين من محبة الله، وإن كانت المحبة التي لله لا يستحقها غيره، فغير الله يحب في الله لا مع الله، فإن المحب يحب ما يحب محبوبه ويبغض ما يبغض ويوالي من يواليه ويعادي من يعاديه ويرضى لرضائه ويغضب لغضبه و يأمر بما يأمر به وينهى عما ينهى عنه، فهو موافق لمحبوبه في كل حال، والله تعالى يحب المحسنين ويحب المتقين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين، ونحن نحب من أحبه الله، والله لا يحب الخائنين ولا يحب المفسدين ولا يحب المستكبرين ونحن لا نحبهم أيضا ونبغضهم موافقة له سبحانه وتعالى"(٣).

ومن كان فيه إيمان وفيه فجور أعطي من الموالاة بحسب إيمانه، ومن البغض بحسب فجوره، ولا يخرج من الإيمان بالكلية بمجرد الذنوب والمعاصي كما يقول الخوارج. ولا يجعل الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون بمنزلة الفساق في الإيمان والدين والحب والبغض والموالاة والمعاداة، قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ٩-١٠]. فجعلهم إخوة مع وجود الاقتتال والبغي"(٤).

---

(١) فتح الباري لابن رجب: ٥٦/١.

(٢) جامع العلوم والحكم: ٣٣٤/٢.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية: ٥٤٦/٢.

(٤) مجموع الفتاوى: ٢٢٨/٢٨.

"ولهذا كان السلف مع الاقتتال يوالي بعضهم بعضاً موالاة الدين لا يعادون كمعاداة الكفار، فيقبل بعضهم بشهادة بعض، ويأخذ بعضهم العلم من بعض، ويتوارثون ويتناكحون، ويتعاملون بمعاملة المسلمين بعضهم مع بعض مع ما كان بينهم من القتال والتلاعن وغير ذلك"(١).

فالناس في الولاء والبراء على ثلاثة أقسام:

"القسم الأول: من يحب محبة خالصة لا معاداة معها، وهم المؤمنون الخلص من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وفي مقدمتهم رسول الله ﷺ؛ فإنه تجب محبته أعظم من محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعين، ثم زوجاته أمهات المؤمنين، وأهل بيته الطيبين، وصحابته الكرام، خصوصا الخلفاء الراشدين، وبقية العشرة، والمهاجرين، والأنصار، وأهل بدر، وأهل بيعة الرضوان، ثم بقية الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ثم التابعون، والقرون المفضلة، وسلف هذه الأمة، وأئمتها؛ كالأئمة الأربعة.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠]، ولا يبغض الصحابة وسلف هذه الأئمة من كان في قلبه إيمان، وإنما يبغضهم أهل الزيغ والنفاق وأعداء الإسلام كالرافضة والخوارج، نسأل الله العافية.

القسم الثاني: من يُبغض ويعادى بغضاً ومعاداة خالصين لا محبة ولا موالاة معهما: وهم الكفار الخُلص من الكفار والمشركين والمنافقين والمرتدين والملحدين على اختلاف أجناسهم، كما قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال تعالى عائبًا على بني إسرائيل: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة:

(١) المرجع السابق: ٣/٢٨٥.

٨١، ٨٢].

القسم الثالث: من يُحب من وجه ويبغض من وجه:

فتجتمع فيه المحبة والعداوة وهم عصاة المؤمنين، يُحبون لما فيهم من الإيمان ويبغضون لما فيهم من المعصية التي هي دون الكفر والشرك، ومحبتهم تقتضي مناصحتهم والإنكار عليهم، فلا يجوز السكوت على معاصيهم بل ينكر عليهم ويؤمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وتقام عليهم الحدود والتعزيرات حتى يكفوا عن معاصيهم ويتوبوا من سيئاتهم؛ لكن لا يبغضون بغضًا خالصًا ويتبرأ منهم كما تقوله الخوارج في مرتكب الكبيرة التي هي دون الشرك، ولا يُحبون ويوالون حباً وموالاة خالصين كما تقوله المرجئة بل يعتدل في شأنهم ... كما هو مذهب أهل السنة والجماعة"[١].

فهذه عقيدة السلف ﷺ في الولاء والبراء، وهي عقيدة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد أرسل مكتوباً إلى من يصل إليه من المسلمين بين فيه عقيدته، فقال: "النبي ﷺ وأمته يصلون، والنصارى يصلون، ولكن قبلته ﷺ وأمته بيت الله، وقبلة النصارى مطلع الشمس، فالكل منا ومنهم يصلي لكن اختلفنا في القبلة، ولو أن رجلاً من أمة محمد ﷺ يقر بهذا، ولكن يكره من يستقبل القبلة، ويحب من يستقبل الشمس، أتظنون أن هذا مسلم... وأنا أنصحكم لله وأنخاكم لا تضيعوا حظكم من الله، وتحبون دين النصارى على دين نبيكم، فما ظنكم بمن واجه الله وهو يعلم من قلبه أنه عرف أن التوحيد دينه ودين رسوله وهو يبغضه، ويبغض من اتبعه، ويعرف أن دعوة غيره هو الشرك، ويحبه ويحب من اتبعه أتظنون أن الله يغفر لهذا؟ والنصيحة لمن خاف عذاب الآخرة، وأما القلب الخالي من ذلك فلا"[٢].

وكتب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضاً رسالة إلى بعض الناس يأمرهم بنصيحة آخرين، وجاء فيها: "إن الحب والبغض والموالاة والمعاداة لا يصير للرجل دين إلا بها، ولا ينفعه قول: لا إله إلا الله، ولا ترك الشرك حتى يبغض أهل الشرك، كون التوحيد من أخل به مثل من أخل بصوم رمضان، ولو ما أبغضه، وكذلك الشرك إن كان ما أبغض أهله مثل بغض من تزوج بعض محارمه، فلا

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد: ٣١٧-٣١٩.

(٢) مؤلفات الشيخ: ١٩٦/٦.

ينفعه ترك الشرك، وذكّروهم بالآيات التي ذكر الله في الموالاة والمعاداة مثل قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، وقوله في المعاداة: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]، واذكروا لهم أنه واجب على الرجل يعلّم عياله وأهل بيته ذلك أعظم من وجوب تعليم الوضوء والصلاة"[١].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " وأصله – أي: الإسلام – وقاعدته أمران: الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك، والموالاة فيه، وتكفير من تركه، والثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفير من فعله"[٢].

---

(١) المرجع السابق: ٣٢٢/٦، بتصرف يسير.

(٢) الدرر السنية: ٢٢/٢.

المبحث الثالث: الدعاوى المتعلقة بالولاء والبراء والجواب عنها

أثار المعاصرون المناوئون لدعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب الولاء والبراء عدة دعاوى، وعند تأملها نجد أن لها علاقة مع أصل الدعاوى السابقة من جهة الغلو، والتكفير، ومن تلك الدعاوى:

المطلب الأول: دعوى تأثر الجماعات المتطرفة في الولاء والبراء بدعوة الإمام

من الدعوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى تأثر الجماعات المتطرفة في الولاء والبراء بدعوة الإمام، وأن هذه الجماعات تنتسب للإمام وتستمد أقوالها وأفكارها من مؤلفاته ومؤلفات أتباعه.

يقول فؤاد إبراهيم تحت عنوان: (الصحافة السعودية.. (دواعش) نبتة محلية): "أولى المقالات التي تناولت (داعش) كانت للكاتب عبدالسلام الوايل في جريدة (الحياة) بتاريخ ١٣ يناير ٢٠١٤ بعنوان (القابلية للاستدعاش)، وكان باعثه هو مدى قدرة (داعش) على استقطاب عناصر سعودية للقتال في سوريا".

ثم يقول: "ويختصر صفات "داعش" في "التكفير" و"حب الموت"، ومع أن جذر "يوتوبيا[١] داعش" مكين في وجدان القوميين والإسلاميين ولكنه مع "داعش" و"جبهة النصرة" مختلف، "إنه تصور سلفي خالص" بمعنى آخر: إن "داعش" هي من الناحية العقدية وهابية لأن الأسس الفكرية لديها هي ذاتها الأسس الفكرية للسلفية، مفاهيم "الولاء والبراء" و"الحب في الله والكره فيه" و"نواقض الإسلام العشرة" التي نؤسس عليها تصورنا لديننا هي في جوهرها المفاهيم المؤسسة لمشروعية "داعش" في مفاصلتها مع العالم كله"[٢].

ويقول الحسن بن علي الكتاني لما ذكر بعض أخطاء النجديين وتأثر بعض أهل السنة والدعوة الجهادية بهم:

"وطائفة أخرى من أهل السنة والدعوة للجهاد ونصرة المسلمين يعذرون الناس في كثير من الأمور، لكنهم متأثرون بفتاوى النجديين في مسائل موالاة أعداء الله تعالى، ولا يفرقون بين الموالاة الكبرى التي تفضي إلى الخروج من الدين وهي ما يسمى عند المعاصرين (الخيانة العظمى) وذلك بمظاهرة أعداء الله تعالى ومناصرتهم على أهل الإسلام قتلاً وإطفاء لنور الله

---

(١) تعني في أصلها اليوناني: الوجود في غير مكان، أو الوجود في الوهم والخيال.

(٢) داعش من النجدي إلى البغدادي: ٢٤٩-٢٥٠.

تعالى، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ [المائدة: ٥١]، فهذه في الموالاة الكبرى.

وبين الموالاة الصغرى كما جاء في "الصحيح" في قصة حاطب بن أبي بلتعة ﷺ، «لما أخبر المشركين بمسير النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ لما كشف أمره: ما هذا يا حاطب؟ قال: لا تعجل علي يا رسول الله، إني كنت حليفاً من قريش ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة فأحببت إذا فاتني من النسب فيهم أن أصنع إليهم يداً يحمون قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني، فقال النبي ﷺ: إنه صدقكم، فقال عمر ﷺ: دعني يا رسول الله فأضرب عنقه، فقال: إنه شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[١].

قال أبو محمد: لو كان قد كفر لحبط عمله ولو كان قد شهد بدراً، ولكن الحديث دليل قاطع على أنه لم يكفر، كما قاله جماهير شراح الحديث.

فهؤلاء عمموا تكفير جنود وعساكر وشرطة البلاد التي لا تحكم بما أنزل الله تعالى، عادّين فعلهم من الموالاة الكبرى، وفي ذلك نظر بين وتوسيع للتكفير بدون موجب"[٢].

ويقول زهير الذوادي: "يشكل مفهوم الولاء والبراء أحد الأسس التي ينبني عليها العقل الجهادي الإسلامي المعاصر (المستند إلى جذور مبدئية في الدين والفقه الإسلاميين). وهي مسألة من أخطر التحديات التي واجهها المسلمون عبر تاريخهم حسب القراءة الأصولية. إذ أنها أخذت طابع الأصل من أصول الدين ".

ثم قال: "في خصوص مسألة "الولاء والبراء" شكّل العقل الجهادي المعاصر مفهومه على أساس تأويل خاص لبعض تعاليم القرآن الواردة في بعض آياته. وكما هو الحال في باقي مفاهيم العقل الجهادي فإن التأويل الخاص، لا ينطلق من مضمون الآية في حد ذاتها وعلى ضوء أسباب وظروف نزولها لتحديد الجانب النسبي فيها وفصله عن الجانب العام والمطلق، بل أن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٧٨٥، ٣٩٣٩، ٤٥١١، ٥٧٨٩، ٦٤٢٦)، ومسلم في صحيحه برقم (٤٥٥٠).

(٢) مباحث في العذر بالجهل وإقامة الحجة: ٢٩٦-٢٩٧.

العقل الجهادي كثيراً ما يعتمد على رأي فقيه من الفقهاء الأصوليين الذي كان قد صاغ تفسيراً متشدداً وضيقاً للآية المعنية.

جاء في القرآن: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]. فيذهب التيار الجهادي إلى تبني تأويل ابن حزم لتلك الآية: "صح أن قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ إنما هو على ظاهره، بأنه كافر من جملة الكفار فقط، وهذا حق لا يختلف فيه إثنان من المسلمين"[١]. وقد ذهب محمد بن عبدالوهاب في تقريره حول "نواقض الإسلام" إلى قوله أن "الناقض الثامن: مظاهرة المشركين، ومعاونتهم على المسلمين"[٢]. وقد اعتمد على رأيه الشيخ عبدالعزيز بن باز ليقرر "وقد أجمع علماء الإسلام على أن من ظاهر الكفار على المسلمين وساعدهم بأي نوع من المساعدة: فهو كافر مثلهم، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١][٣].

وعلى مثل هذا منهجيته في مجالات ومسائل عديدة يعمد العقل الجهادي الإسلامي فيما تعلق بمسألة "الولاء والبراء" إلى الارتكاز إلى نص القرآن لتثبيت حقيقة أنه متبوئ لموقع الدفاع عن الصفاء الأصلي لمبادئ القرآن والسنة[٤]...."[٥].

حقيقة هذه الدعوى:

سبق في الفصل الثاني في الدعوى الأولى: دعوى أن دعوة الإمام هي أصل الخوارج المعاصرين، وكذا في الفصل الثالث في الدعوى الثالثة: دعوى انتساب التكفيريين لدعوة الإمام، وأنها دعوى قديمة، وفي هذه الدعوى أيضا نسبة تأثر الجماعات المتطرفة في الولاء والبراء بدعوة

---

(١) ابن حزم، المحلى: ٣٥/١٣.

(٢) محمد بن عبدالوهاب، مجموعة التوحيد: ٣٨.

(٣) عبدالعزيز بن باز، فتاوى ابن باز: ٢٧٤/١.

(٤) وسيم فتح الله، الولاء والبراء في سورة الممتحنة، النسخة الإلكترونية، على موقع: www.abu-quatada.com.، جهيمان العتيبي، أوثقى عرى الإيمان، الحب في الله والبغض في الله، النسخة الإلكترونية على موقع www.abu-quatada.com.

(٥) نقد العقل الجهادي: ١٢٤-١٢٥. وانظر: مملكة الكراهية: ٣٣٦-٣٤٢، والسلفية الجهادية في السعودية: ١٧٨-١٨٢، والجماعات الإسلامية والعنف — عودة الجهاد المسلح-: ١٩-٢٠

الإمام، وكل هذا من وسائل المناوئين للتنفير والتحذير من دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: أنه إذا وجد من ينتسب لدعوة الإمام ولكنه يخالف منهجها؛ فإن هذا الانتساب لا يضر الدعوة وإنما يضر صاحبه، فهؤلاء الخوارج مع صلاحهم في الظاهر بكثرة صيامهم وقيامهم وقراءتهم خرجوا على أصحاب رسول الله ﷺ محتجين عليهم بتأويلات فاسدة لكتاب الله تعالى، ومع ذلك تبرأ النبي ﷺ منهم، ووصفهم بالأوصاف الشنيعة: من المروق من الدين، وقلة الفقه والإيمان والاستخفاف بالدماء، وأنهم شر الخلق والخليقة. وقاتلهم أصحاب النبي ﷺ مع أنهم يقولون من خير قول البرية ويظهرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(١)، فكذلك لا يجوز أن ينسب إلى هذه الدعوة التجديدية انحراف وضلال من تعلق بها، أو أظهر إتباعها مع مخالفتها في الطريقة والمنهج.

ثانيا: سبق في المبحث الثاني من هذا الفصل بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في الولاء والبراء، وأن عقيدة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا تخالف ذلك.

كما سبق في الدعوى الأولى من الفصل الثاني، والدعوى الثالثة من الفصل الثالث بيان الفروق بين أتباع هذه الدعوة وبين من ينتسب إليها وهو مخالف لها.

ثالثا: أن هذا الباب -الولاء والبراء- أحد الأبواب التي ولج منها الخوارج قديمًا ومن وافقهم حديثاً في تكفير المسلمين واستحلال دمائهم بحجة موالاة الكفار، ولم يفرقوا بين ما يكون من الأعمال كفراً أو فسقاً أو مباحاً. وإنما جاء ضلال هؤلاء الواقعين بالتكفير الباطل من طريقين كل منهما ضلالة:

الطريق الأول: الأخذ بإطلاقات بعض النصوص الشرعية دون فهم المراد بها كما فعلت الخوارج(٢).

---

(١) انظر عن الخوارج: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها: ١/٢٢٥-٣٠٢، وكتاب الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام لناصر العقل، وغيرها.

(٢) انظر: الشريعة: ١/١٣٧.

الطريق الثاني: ربما تتبع هؤلاء الغلاة عبارات مجملة لبعض أئمة الدعوة السلفية النجدية، أطلقوا فيها كفر من تولى عباد القبور والأضرحة والطواغيت الذين قاتلوا أهل التوحيد، فأعانوهم بالنفس أو المال أو الكلمة محبة لظهور دينهم، فنزلها الغلاة على غير مراد هؤلاء الأئمة، بل أنكروها - أي الأئمة- أشد الإنكار.

يقول الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أقوام في زمنه زعموا أنهم على عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب كفّروا أئمة المسلمين بمكاتبة الملوك المصريين، بل كفّروا من خالط من كاتبهم من مشايخ المسلمين مستدلين ببعض أقوال أئمة الدعوة في غير محلها: "فرُفع إلي أمرُهم فأحضرتهم وتهددتم، وأغلظت لهم القول فزعموا: أولاً: أنهم على عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأن رسائله عندهم، فكشفت شبهتهم، وأدحضت ضلالتهم بما حضرني في المجلس، وأخبرتهم ببراءة الشيخ من هذا المعتقد والمذهب، وأنه لا يكفر إلا بما أجمع المسلمون على تكفير فاعله من الشرك الأكبر، والكفر بآيات الله ورسله، أو بشيء منها بعد قيام الحجة وبلوغها المعتبر...

وأما التكفير بهذه الأمور التي ظننتموها من مكفرات أهل الإسلام فهذا مذهب الحرورية المارقين الخارجين على علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ومن معه من الصحابة، فإنهم أنكروا عليه تحكيم أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص في الفتنة التي وقعت بينه وبين معاوية وأهل الشام، فأنكرت الخوارج عليه ذلك، وهم في الأصل من أصحابه من قراء الكوفة والبصرة، وقالوا: حكّمت الرجال في دين الله، وواليت معاوية وعمراً وتوليتهما، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[الأنعام: ٥٧]"[١].

وقال الشيخان محمد بن عبداللطيف وعبدالله بن عبدالعزيز العنقري رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ رداً على بعض الغلاة المنتسبين للدعوة المتهمين لأئمتها في زمنهم بالمداهنة اعتماداً على بعض العبارات والألفاظ في كتب الأئمة: " فواجب على كل مكلف، أخذ الدين عن أهله، كما قال بعض السلف: إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم، فأما من تعلق بظواهر ألفاظ من

(١) الدرر السنية: ١/٤٥٧.

كلام العلماء المحققين، ولم يعرضها على العلماء، بل يعتمد على فهمه، وربما قال: حجتنا مجموعة التوحيد، أو كلام العالم الفلاني، وهو لا يعرف مقصوده بذلك الكلام، فإن هذا جهل وضلال.

ومن المعلوم: أن أعظم الكلام وأصحه، كلام الله العزيز؛ فلو قال إنسان: ما نقبل إلا القرآن، وتعلق بظاهر لفظ لا يعرف معناه، أو أوله على غير تأويله فقد ضاهى الخوارج المارقين، فإذا كان هذا حال من اكتفى بالقرآن عن السنة، فكيف بمن تعلق بألفاظ الكتب، وهو لا يعرف معناها، ولا ما يراد بألفاظها؟!...

إذا عرفت هذا تبين أن الذي يدعي أنه يستغني بمجموعة التوحيد، عن الأخذ عن علماء المسلمين مخطئ؛ لأن النبي ﷺ ذكر أن سبب قبض العلم موت العلماء، فإذا ذهب العلماء واتخذ الناس رؤساء جهالاً، وسألوهم وأخذوا بفتواهم، ضلوا وأضلوا، عياذاً بالله".[١].

رابعا: وفي خصوص مسألة الولاء والبراء، قال الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيناً لبعض المنتسبين للدعوة الذين يخوضون في ولي أمرهم بسبب المصالحة مع الكفار استدلالاً ببعض العبارات المجملة المحتملة لبعض أئمة الدعوة دون النظر في سياقها وفي من قيلت: "وقد بلغنا أن الذي أشكل عليكم: أن مجرد مخالطة الكفار ومعاملتهم بمصالحة ونحوها، وقدومهم على ولي الأمر لأجل ذلك، أنها هي موالاة المشركين المنهي عنها في الآيات والأحاديث، وربما فهمتم ذلك من "الدلائل" التي صنف الشيخ سليمان بن عبد الله ابن الشيخ، ومن "سبيل النجاة" للشيخ حمد بن عتيق:

فأولاً: نبين لكم سبب تصنيف "الدلائل"، فإن الشيخ سليمان صنفها لما هجمت العساكر التركية على نجد في وقته، وأرادوا اجتثاث الدين من أصله، وساعدهم جماعة من أهل نجد من البادية والحاضرة، وأحبوا ظهورهم. وكذلك: سبب تصنيف الشيخ حمد بن عتيق "سبيل النجاة" هو: لما هجمت العساكر التركية على بلاد المسلمين، وساعدهم من ساعدهم حتى استولوا على كثير من بلاد نجد، فمعرفة سبب التصنيف مما يعين على فهم كلام العلماء، فإنه-

---

(١) المرجع السابق: ١٣٣/٩.

بحمد الله– ظاهر المعنى، فإن المراد به: موافقة الكفار على كفرهم، وإظهار مودتهم، ومعاونتهم على المسلمين، وتحسين أفعالهم، وإظهار الطاعة والانقياد لهم على كفرهم. والإمام – وفقه الله – لم يقع في شيء مما ذكر، فإنه إمام المسلمين، والناظر في مصالحهم، ولا بد له من التحفظ على رعاياه وولايته من الدول الأجانب. والمشايخ رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ كالشيخ سليمان بن عبد الله، والشيخ عبد اللطيف، والشيخ حمد بن عتيق، إذا ذكروا موالاة المشركين فسَّروها بالموافقة والنصرة والمعاونة، والرضا بأفعالهم، فأنتم – وفقكم الله – راجعوا كلامهم تجدوا ذلك كما ذكرنا"(١).

خامسا: قال الشيخ حمد بن عتيق فيما نقله عن الشيخ سليمان بن عبد الله رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: "وكذلك قوله ﷺ في الحديث: «من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله» (٢) على ظاهره، وهو: أن الذي يدّعي الإسلام، ويكون مع المشركين في الاجتماع والنصرة والمنزل؛ بحيث يعدّه المشركون منهم، فهو كافر مثلهم وإن ادّعى الإسلام، إلا أن يكون يظهر دينه ولا يتولّى المشركين. انتهى. فانظر – وفقك الله – إلى قوله في هذه العبارة "وكون المشركين يعدونه منهم"، يتبين لك أن هذا هو الذي أوجب كفره، وأما مجرد الاجتماع معهم في المنزل، فإن ذلك بدون إظهار الدين معصية.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[النساء:١٤٤]: يعني: معهم في الحقيقة؛ يوالونهم ويسرون إليهم بالمودة، ويقولون لهم إذا خلوا بهم: إنا معكم. فهذا هو الذي أوجب كفرهم لا مجرد المخالطة(٣).

فأنتم – وفقكم الله – الواجب عليكم التبصر وأخذ العلم عن أهله، وأمَّا أخذكم العلم من مُجرد أفهامكم أو من الكتب، فهذا غير نافع، ولأن العلم لا يُتلقى إلا من مظانه وأهله، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾[النساء: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِي

(١) المرجع السابق: ١٥٧/٩.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في الإقامة بأرض الشرك، برقم: ٢٧٨٧. وانظر: صحيح سنن أبي داود، برقم: ٢٧٨٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٥٣٦/١.

شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩]" (١).

سادسا: أن هذه المسائل من المسائل الكبار والواجب أن لا يخوضوا فيها بل يردوها إلى الراسخين في العلم الذين يردون المتشابه إلى المحكم والعام إلى الخاص والمطلق إلى المقيد، كما قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ مخاطباً أشباه هؤلاء الغلاة ممن ظهروا في عصره: "وخضتم في مسائل من هذا الباب - كالكلام في الموالاة والمعاداة، والمصالحة والمكاتبات، وبذل الأموال والهدايا، ونحو ذلك من مقالة أهل الشرك بالله والضلالات، والحكم بغير ما أنزل الله - عند البوادي ونحوهم من الجفاة، لا يتكلم فيها إلا العلماء من ذوي الألباب، ومن رزق الفهم عن الله وأوتي الحكمة وفصل الخطاب"(٢).

سابعا: قول الحسن بن علي الكتاني: "وطائفة أخرى من أهل السنة والدعوة للجهاد ونصرة المسلمين يعذرون الناس في كثير من الأمور، لكنهم متأثرون بفتاوى النجديين في مسائل موالاة أعداء الله تعالى، ولا يفرقون بين الموالاة الكبرى التي تفضي إلى الخروج من الدين ... وبين الموالاة الصغرى".

فهؤلاء متأثرون بفتاوى النجديين - حسب زعمه- والأصل أن يقال: إن العلم يؤخذ عن أهله، ولا يكون بالتأثر، فهل هؤلاء الذين لا يفرقون بين الموالاة الكبرى والموالاة الصغرى ممن طلب العلم ودرس على علماء الدعوة؟ وأين مرجعه ومصدره في كتب ومؤلفات أئمة الدعوة؟ وقد سبق أن كتب أئمة الدعوة وغيرهم من الدعوات يلزم لمن أراد أن يقرأ فيها أن يعلم أربعة أمور:

الأمر الأول: معرفة تاريخ الدعوة والأحداث التي جرت في وقتها.

الأمر الثاني: معرفة تراجم أئمة الدعوة.

الأمر الثالث: معرفة خصوم الدعوة.

الأمر الرابع: الإلمام بكتب أئمة الدعوة.

---

(١) الدرر السنية: ١٥٧/٩.

(٢) المرجع السابق: ٤٦٨/١.

وجمع المواضع من كلام الأئمة وأتباعهم، والتي قد يظهر منها التعارض، وبيان وجه الكلام فيه وسببه وحاله(١).

ثم إن أئمة الدعوة يفرقون بين الموالاة الكبرى والموالاة الصغرى(٢)، يقول الشيخ عبدالله بن عبداللطيف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفرق بين التولي والموالاة: "التولي كفر يخرج من الملة، وهو كالذب عنهم، وإعانتهم بالمال والبدن والرأي، والموالاة كبيرة من كبائر الذنوب، كبل الدواة، أو بري القلم، أو التبشش لهم، أو رفع السوط لهم"(٣).

ويقول الشيخ عبدالرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [التوبة:٢٣]: "وذلك الظلم يكون بحسب التولي، فإن كان تولياً تاماً، كان ذلك كفراً مخرجاً عن دائرة الإسلام، وتحت ذلك من المراتب، ما هو غليظ وما هو دونه"(٤).

ويقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة:٥١]: "إن التولي التام يوجب الانتقال إلى دينهم، والتولي القليل يدعو إلى الكثير، ثم يتدرج شيئاً فشيئاً حتى يكون العبد منهم"(٥).

وإليك نص صريح عن أئمة الدعوة في أن موالاة الكفار يقع على شعب متفاوتة، قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "مسمى الموالاة يقع على شُعب متفاوتة، منها ما يوجب الردة وذَهاب الإسلام بالكلية، ومنها ما هو دون ذلك من الكبائر

---

(١) انظر: التعريف بالدعوة السلفية النجدية: ١٧-٢٠، ومقدمة الشيخ محمد رشيد رضا لمجموعة الرسائل والمسائل النجدية: ٣/١٣-١٦.

(٢) الدرر السنية: ٨/٤٢٢.

(٣) انظر: نواقض الإيمان الاعتقادية: ٣٢٠، ومن نواقض الإسلام : مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين: http://www.alukah.net/sharia/٠/٧١٧٨١/#ixzz٤nXqr٠XX٤، في ٢٨/١٠/١٤٣٨هـ.

(٤) تفسير السعدي: ٢٥٣.

(٥) المرجع السابق: ٨٦٥.

والمحرمات"[١].

فأين هؤلاء الذين ينسبون لأئمة الدعوة أنهم يكفرون بالموالاة مطلقا!

ثامنا: قول زهير الذوادي: "يشكل مفهوم الولاء والبراء أحد الأسس التي ينبني عليها العقل الجهادي الإسلامي المعاصر...الخ".

فهذا الكلام صحيح، فإن الولاء والبراء أحد الأسس التي ينبني عليها العقل الجهادي الإسلامي المعاصر، وينبني عليها العقل الجهادي غير المعاصر؛ فالولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين من أخص خصائص العقيدة الإسلامية.

لكن الإشكال في تطبيق هذه العقيدة وعدم معرفتها، وهو الذي ذكره الكاتب بقوله: " شكّل العقل الجهادي المعاصر مفهومه على أساس تأويل خاص لبعض تعاليم القرآن الواردة في بعض آياته. وكما هو الحال في باقي مفاهيم العقل الجهادي فإن التأويل الخاص، لا ينطلق من مضمون الآية في حد ذاتها وعلى ضوء أسباب وظروف نزولها لتحديد الجانب النسبي فيها وفصله عن الجانب العام والمطلق، بل أن العقل الجهادي كثيراً ما يعتمد على رأي فقيه من الفقهاء الأصوليين الذي كان قد صاغ تفسيراً متشدداً وضيقاً للآية المعنية...".

وهذا الكلام ينطبق على كلام أئمة الدعوة، فمن يجعل له تأويلا خاصا، ولا يعرف أسبابه وظروفه ويتأوله على غير تأويله فإنه يقع في الخطأ، ولو وضعه موضعه، وعرف وجه الكلام فيه لم يقع في الخطأ.

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ – معلقا على قول الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أكثر ما يخطئ الناس من جهة: التأويل، والقياس"– : "أهل البدع يفسرون القرآن برأيهم ومعقولهم وما تأوّلوه من اللغة؛ ولهذا تجدهم لا يعتمدون على أحاديث النبي ﷺ والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين؛ فلا يعتمدون لا على السنة، ولا على إجماع السلف وآثارهم؛ وإنما يعتمدون على العقل واللغة، وتجدهم لا يعتمدون على كتب التفسير المأثورة والحديث وآثار

---

(١) الدرر السنية: ١٥٩/٧.

السلف، وإنما يعتمدون على كتب الأدب وكتب الكلام التي وضعتها رءوسهم"[١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينا أن أصل خراب الدين والدنيا من التأويل الفاسد: "فأصل خراب الدين والدنيا إنما هو من التأويل الذي لم يرده الله ورسوله بكلامه، ولا دلَّ عليه أنه مراده، وهل اختلفت الأمم على أنبيائهم إلا بالتأويل؟ وهل وقدت في الأمة فتنة كبيرة أو صغيره إلا بالتأويل؟ فمن بابه دخل إليها، وهل أريقت دماء المسلمين في الفتن إلا بالتأويل؟"[٢].

أما التأويل الموافق للكتاب والسنة، المبني على فهم السلف الصالح فهو التأويل الصحيح، وأي تأويل خالف النصوص الشرعية المحكمة فهو من التأويل الباطل الفاسد الذي يجب الحذر منه ومن أهله.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وبالجملة فالتأويل الذي يوافق ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة ويطابقها هو التأويل الصحيح، والتأويل الذي يخالف ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة هو التأويل الفاسد، ولا فرق بين باب الخبر والأمر في ذلك وكل تأويل وافق ما جاء به الرسول فهو المقبول وما خالفه فهو المردود"[٣].

تاسعا: قوله: "وعلى مثل هذا منهجيته في مجالات ومسائل عديدة يعمد العقل الجهادي الإسلامي فيما تعلق بمسألة "الولاء والبراء" إلى الارتكاز إلى نص القرآن لتثبيت حقيقة أنه متبوئ لموقع الدفاع عن الصفاء الأصلي لمبادئ القرآن والسنة".

وهذا حق؛ فإن المرجع والرد يجب أن يكون إلى نص القرآن؛ ولكن الإشكال كما سبق في الفقرة السابقة، في فهم القرآن وتأويله على غير تأويله الصحيح.

---

(١) مجموع الفتاوى: ٧/١١٩.

(٢) إعلام الموقعين: ٦/١٨٧.

(٣) الصواعق المرسلة: ١/١٨٧.

المطلب الثاني: دعوى تأثر الولاء والبراء بالسياسة

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب دعوى أن الولاء والبراء في دعوة الإمام يتأثر بالسياسة، وأن أقوالها وأحكامها تتغير في الولاء والبراء بحسب السياسة.

يقول دور غولد: "إرث الكراهية: لكن هل يمكن أن يرتبط إرهاب القرن الواحد والعشرين فعلاً بعقيدة نشأت في منتصف القرن الثامن عشر؟ للإجابة عن هذا السؤال لا ينبغي أن ينظر المرء في أثر الوهابية العميق في العربية السعودية فحسب، بل أيضاً في كيفية تحفيز الوهابية السعودية العنف عبر تاريخها. ذلك أن الإسلام الوهابي حفز، على نحو خاص، ثلاث موجات من العنف المتطرف، نتجت عنها مآسٍ عظيمة في الشرق الأوسط"...

ثم ذكر الموجات الثلاث: في القرن الثامن عشر، ومطلع القرن العشرين، وما بين الخمسينيات والسبعينيات. والنشاطات التي قامت بها الدولة لدعم ونشر الوهابية – حسب زعمه– سواء في التعليم، أو بناء المساجد، أو الجمعيات الخيرية، أو غيرها.

ثم قال: "باختصار، لم تكن المشكلة تكمن فقط في أن الزعماء الدينيين الوهابيين كانوا ينشرون كراهية الغرب، التي حفزت الجيل الجديد من الإرهابيين، بل في أن النظام السعودي نفسه كان يدعم التنظيمات الوهابية المتطرفة والعنيفة ".

ثم ذكر ما حصل بعد ذلك في التسعينيات من الحرص من الحكام على الفقهاء الوهابيين، والتضييق على الخيريات الوهابية، وما ترتب عليه من الجانب السياسي.

ثم نقل عن : "برنارد لويس"، المؤرخ المعروف المتخصص في الشرق الأوسط، قوله: " باختصار، ساعدت الوهابية السعودية على إنتاج كراهية فريدة تجاه الغرب، لكن الدولة السعودية أتاحت نظاماً لحمل تلك الكراهية إلى العالم كله"[(١)].

ويقول الحسن بن علي الكتاني: "فصل في تناقض النجديين في مسألة موالاة المشركين:

---

(١) مملكة الكراهية: ٣٣٦-٣٤٢ باختصار.

الملاحظ أن تكفير من والى (المشركين) عند النجديين أشبه ما يكون بالمسألة السياسية، فإنك عند قراءة تواريخهم تلاحظ أن مخالفيهم يعتبرون مشركين، ولو كانوا بخلاف ذلك، كما أن موافقيهم يعتبرون مسلمين ولو والوا (المشركين) وأهل الكتاب!! وكأن المسألة متعلقة بامرائهم من آل سعود وليست متعلقة بقواعد شرعية"[١].

حقيقة هذه الدعوى:

سبق في الفصل الثاني، في الدعوى الرابعة فرية أن دعوة الإمام حركة سياسية وليست حركة دينية، وكذا في الفصل الثالث، في الدعوى الرابعة فرية أن التكفير كان سياسيا ولم يكن دينيا، وهذه الدعوى تفريع لهما وأن الولاء والبراء كان سياسيا، ولم يكن دينيا[٢].

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: سبق في المبحث الثاني من هذا الفصل بيان عقيدة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الولاء والبراء، وأنها تعتمد على الكتاب والسنة، وموافقة لعقيدة السلف، ولم يكن قط لها تأثر بالسياسة التي تغير حكمها الشرعي، مع أن الشرع يشمل حياة الناس كلها: الدينية والسياسية والاقتصادية وغيرها. وهم حين يتكلمون في هذا الأمر -الولاء والبراء- ينطلقون من منطلق شرعي.

ثانيا: أين في كتب الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأئمة الدعوة خضوعها وتأثرها بالسياسة، وأنها دعوة أو حركة سياسية مثلها مثل بقية الحركات السياسية؟ لم يذكر المناوئ مثالا واحدا في ذلك، وإنما يتبع المتشابه من القول، ويثير به الشبهة، وإلا لو رجع لفتاوى أئمة الدعوة من السابقين

---

(١) مباحث في العذر بالجهل وإقامة الحجة: ١٨١، وانظر: ١٩-٢٠، ١٤٣، ١٨١-١٨٦. وانظر: مفهوم الدولة في مقالات الإسلاميين ضمن "كتاب كيف ينظر الإسلاميون بعضهم إلى بعض"، والتوحيد وأثره السياسي في فكر جماعات التشدد الديني – مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية، والدين والسلطة: ٢٠٢-٢٠٣، والحراك الشيعي في السعودية: ١٣-١٤.

(٢) انظر: قيمة الوعي السياسي في حياه الأمة (١، ٢) مجلة الوعي، العدد (٣٦١، ٣٦٢)، والدولة في الإسلام السياسي: 'الولاء والبراء' بدل المواطنة: http://www.alarabonline.org/?id=٨١٠٦ في ١٤٣٨/١٠/٢٨هـ، ومنهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع: ٢٠.

والمعاصرين لاستبان له الحق في ذلك[١].

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالة له عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: "والجامع لهذا كله: أنه إذا صدر المنكر من أمير أو غيره، أن ينصح برفق خفية ما يشرف عليه أحد، فإن وافق وإلا استلحق عليه رجال يقبل منهم بخفية، فإن ما فعل، فيمكن الإنكار ظاهراً إلا إن كان على أمير ونصحه ولا وافق، واستلحق عليه ولا وافق، فيرفع الأمر إلينا خفية"[٢].

وقال الإمام عبدالرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وعلى الإمام – وفقه الله – أن يبعث للدين عمالا، كما يبعث للزكاة عمالا، ليعلموهم دينهم، ويأمروهم وينهوهم؛ وهذا مما يجب على الإمام، أعانه الله على ذلك، ووفقه للقيام بوظائف الدين، نصيحة لله، ولكتابه، ولرسوله، وللمسلمين، سنة الخلفاء الراشدين"[٣].

وقال الشيخ سعد بن عتيق رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالة له في حث المشايخ على مناصحة الأمراء: " ومن أعظم الواجبات: مناصحة ولي أمر المسلمين ودعوته إلى ما فيه صلاحه وفلاحه، من القيام بأمر الله، والدعوة إلى توحيده وطاعته، وإحياء شعائر الإسلام، التي قد عطلت على كثير من الرعايا"[٤].

وقال الشيخ عبدالله بن حميد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالة له لولي العهد في وقته – بعد أن ذكر له بعض المنكرات –: " فإذا كانت هذه أحوال البعض من الناس، ثم صار كثير من المسؤولين في الدولة مثلهم، متى تستقيم الأحوال؟ متى تتم الأمور؟ متى تقوم دعائم الدين؟ متى تتمكن أسس الملك؟ إن الدين والملك أخوان، فمن كان ضد الدين فهو ضد ملوك الإسلام وأهله؛ ومن كان

---

(١) انظر: فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم: ١٩٣/١، ٢٠٣/٩، وفتاوى اللجنة الدائمة: ٦٣/٢، ٣٩٧/٢٣، ومجموع فتاوى ومقالات ابن باز: ٧٢/١، ٢٧٣/٢، ٢٤٦/٥، ١٤/٧، ومجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين: ١١/٣. وفي كتاب الدرر السنية الكثير من النصائح للأمراء وغيرهم.

(٢) الدرر السنية: ٥٠/٨، ١٥١/٩.

(٣) المرجع السابق: ٨٠/١٤.

(٤) المرجع السابق: ٣٥٩/١٤.

ضد ولاة الأمور فهو ضد الدين، وإن تظاهر بالنصرة للإسلام؛ لأن الإسلام ينهاه عن كل ما يمس السياسة الرشيدة؛ والإسلام يقول: «من فارق الجماعة قيد شبر فمات، فميتته ميتة جاهلية»[(١)]، والإسلام يقول: «من أهان إمام المسلمين أهانه الله»[(٢)]، والإسلام يقول: «السلطان ظل الله في أرضه»[(٣)]، فمن خرج على الإمام يريد نصرة الإسلام بزعمه فهو كاذب، ما لم يعين ما أخل به الإمام، ويناصحه سرا مرارا، ثم يعلن له ذلك عند العجز عنها في السر»... وبما أنه قد علم أن الدين والملك أخوان، يقوى هذا بقوة صاحبه، ويضعف بضعفه، كان من المتعين على ملوك الإسلام، التمسك بالدين وحمايته، وصيانته عن كل ما يناقضه أو ينقصه، لا سيما مثلكم"[(٤)].

وقال الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالة لعموم المسلمين، جاء فيها: " ولا يفوتني في هذا المقام أن أوصي حكام المسلمين بأن يتقوا الله ويحكموا شريعة الله ويقيموا حدوده، فإنهم مسئولون عن ذلك بين يديه حين يكون الملك له وحده بما ولاهم من أمر عباده، ومن السبعة الذين يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، ولا يكون عادلا إلا إذا حكم بما أنزل الله، والله تعالى قال لنبيه الكريم ﷺ: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [المائدة:٤٩]. كما أوصيهم بأن يجتمعوا على كلمة سواء وأن لا يختلفوا فتزول هيبتهم ويطمع فيهم عدوهم كما هو واقع الحال، والله تعالى يقول: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران:١٠٣]"[(٥)].

ثالثا: أن من أسباب الوقوع في تلك الدعاوى عدم العلم بمعرفة مواقع الخطاب، يقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما ذكر أن هؤلاء الذين ظهروا في زمنه وكفروا

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، برقم: ١٨٤٩.

(٢) رواه الترمذي، أبواب الفتن، برقم: ٢٢٢٤، ولفظه: «من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله». وانظر: صحيح سنن الترمذي، برقم: ٢٢٢٤.

(٣) أخرجه أبو نعيم في فضيلة العادلين، برقم: ٣١. قال الألباني: موضوع. انظر: السلسلة الضعيفة برقم: ٤٧٥.

(٤) الدرر السنية: ١٥/٢٨-٢٩.

(٥) مجموع مقالات وفتاوى ابن باز: ١٦/٢٩٩-٣٠٠.

بالموالاة والمعاداة، قال لهم بعد أن أخبرهم ببراءة الشيخ الإمام من هذا المعتقد: إن سبب الضلال عند هؤلاء يكون من طريقين وقعوا فيها:

"الأول: أنهم جهلوا أصولًا عامة كلية، لا يجوز الكلام في هذا الباب لمن جهلها.

الثاني: عدم العلم بمعرفة مواقع الخطاب وتفاصيله"[١].

وذكر الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضا: هذا الجهل وحدد سببه بأمرين: الأول: الاعتماد على فهمهم والتعلق بظواهر ألفاظ كلام العلماء المحققين، وهم لا يعرفون مقصود كلامهم في مؤلفاتهم، فضاهوا الخوارج الذين تعلقوا بظاهر لفظ القرآن ولا يعرفون معناه.

الثاني: أنهم لم يعرضوها على العلماء ليبينوا لهم الصحيح، والضعيف، والمطلق والمقيد، والعام والخاص، والناسخ والمنسوخ، فخبطوا خبط عشواء، وتاهوا في جهالة عمياء[٢].

وذكر أيضًا في موطن آخر من الأسباب: عدم معرفة سبب التصنيف، لأن معرفة سبب التصنيف مما يعين على فهم كلام العلماء السابقين[٣].

رابعا: أن بعض الناس يتتبعون بعض عبارات العلماء في بعض الكتب، وهم على عقيدة فاسدة، وينظرون في كلام بعض أهل العلم ليستدلوا على فهمهم الفاسد، وأهوائهم المستحكمة ليؤيدوا ما هم عليه من الباطل، فإن بعض العبارات التي أطلقها العلماء قد تكون مجملة، وقد يكون أطلقها على سبيل التغليظ، أو على سبيل العموم أو الخطأ.

خامسا: أن هذه العبارات العامة لا يبنى عليها، والمناوئ لدعوة الإمام خالفَ النص الصحيح والمنهج المتوارث، لأن منهج الراسخين في العلم في القرآن والسنة حمل المتشابه على المحكم، فكذلك ما جاء من كلام أهل العلم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " المنقول عن السلف والعلماء يحتاج إلى معرفة بثبوت لفظه، ومعرفة دلالته، كما يحتاج إلى ذلك المنقول

---

(١) الدرر السنية: ٤٦٩/١.

(٢) انظر: المرجع السابق: ١٣٣/٩.

(٣) المرجع السابق: ١٥٨/٩. وانظر: مجموعة الرسائل والمسائل النجدية: ١٣/٣-١٦.

عن الله ورسوله"[١]، والأمر في هذا أن العلم يحتاج إلى نقل مصدق، ونظر محقق[٢].

سادسا: هذه بعض النقول عن أئمة الدعوة تبين ما سبق ذكره من الأسباب التي وقع بسببها من تكلم في أئمة الدعوة ولم يفهم كلامهم، وحمل ذلك على المداهنة والسياسة.

قال العلامة سليمان ابن سحمان[٣]رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رده على غلاة نزلوا كلاماً لإمام الدعوة قاله في قوم مشركين ليس معهم من الإسلام شيء على أعراب ملتزمين بشعائر الإسلام الظاهرة لا يمكن لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يعمهم جميعهم بالكفر لأجل ما غلب على بعضهم من المكفرات, والتلوث بكثير من المنكرات: "فيقال لهؤلاء الجهلة الصعافقة[٤] الحمقى, الذين لا علم لهم ولا معرفة لديهم بحقائق الأمور ومدارك الأحكام, الذين يقرؤون على الناس كلام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب, وهم لا يفهمون مواقع الخطاب وتوقيع الأمور على ما هي عليه, حيث يقول قائلهم: نعم, هذا قول الشيخ في البدو, والمشايخ اليوم يقولون ويقولون.

فيقال لهم: إن كلام الشيخ الذي تقرؤونه على الناس في قوم كفار ليس معهم من الإسلام شيء, وذلك قبل أن يدخلوا في الإسلام, ويلتزموا شرائعه, وينقادوا لأوامره, وينزجروا عن زواجره ونواهيه, وأما بعد دخولهم في الإسلام فلا يقول ذلك فيهم إلا من هو أضل من حمار أهله وأقلهم ديناً وورعاً, ومقالته هذه أخبث من مقالة الخوارج الذين يكفرون بالذنوب, وهؤلاء يكفرونهم بمحض الإسلام. أما علم هؤلاء المساكين أن الإسلام يجب ما قبله, وأن الهجرة تهدم ما قبلها, بنص رسول الله ﷺ ؟.

وأما قوله: والمشايخ اليوم يقولون ويقولون, فالجواب أن نقول: نعم المشايخ اليوم يقولون: لا نكفر من ظاهره الإسلام, ولا يطلقون الكفر على جميع أهل البادية الذين هم بين أظهر أهل الإسلام, وإنما يقولون: من قام به وصف الكفر منهم فهو كافر؛ كمن يعبد غير الله,

---

(١) مجموع الفتاوى: ٢٤٦/١.

(٢) المرجع السابق: ٢٤٦/١.

(٣) الدرر السنية: ١٥٨/٩.

(٤) قوم يشهدون السوق وليس عندهم رؤوس أموال ولا نقد، واللئيم من الرجال. انظر: تهذيب اللغة: ١٨٠/٣، والصحاح: ١٥٠٧/٤، ١٩٩/١٠.

ويشرك به أحداً من المخلوقين, أو يتحاكم إلى الطواغيت, ويرى أن حكمهم أحسن وأفضل من حكم الله ورسوله, أو يستهزئ بدين الله ورسوله, أو ينكر البعث. فمن قام به هذا الوصف الذي ذكرنا من المكفرات وغيرها مما يخرج من الملة في بادية أو حاضرة: فهو كافر. كما ذكر ذلك شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وغيره من العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ وهذا هو الذي ندين الله به في أي بادية كانت أو حاضرة"(١).

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ مؤكداً على عدم التعلق ببعض الألفاظ المطلقة للعلماء، ومعرفة مواقع الخطاب التي قالوه فيها: "وقد صدر من الشيخ محمد بن عجلان رسالة ما ظننتها تصدر من ذي عقل وفهم فضلاً عن ذي الفقه والعلم، وقد نبهت على ما فيها من الخطأ الواضح والجهل الفاضح، وكتمت عن الناس أول نسخة وردت علينا، حذراً من إفشائها وإشاعتها بين العامة والغوغاء، ولكنها فشت في الخرج والفرع، وجاء منها نسخة إلى بلدتنا، وافتتن بها من غلّب الهوى وضل عن سبيل الرشاد والهدى ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

وأخبرت من يجالسني: أن جميع ما فيها من النقول الصحيحة والآثار حجة على منشيها، تهدم ما بناه مبديها، وأنه وضع النصوص في غير موضعها، ولم يعط القوس باريها. وبلغني عن الشيخ حمد أنه أنكر واشتد نكيره، ورأيت له خطاً أرسله إلى بعض الإخوان: بأن ما كتبه ابن عجلان ردة صريحة، وبلغني أن بعضهم دخل من هذا الباب واعترض على ابن عتيق، وصرح بجهله ونال من عرضه، وتعاظم هذه العبارة، ورغم أنه غلا وتجاوز الحد، فحصل بذلك تنفيس لأهل الجفاء وعباد الهوى. والرجل وإن صدر منه بعض الخطأ في التعبير، فلا ينبغي معارضة من انتصر لله ولكتابه وذب عن دينه، وأغلظ في أمر الشرك والمشركين، على من تهاون أو رخص وأباح بعض شعبه، وفتح باب وسائله وذرائعه القريبة المفضية إلى ظهوره وعلوه، ورفض التوحيد ونكس أعلامه، ومحو آثاره وقلع أصوله وفروعه، ومسبة من جاء به، لقولة رآها وعبارة نقلها وما دراها من إباحة الاستعانة بالمشركين، مع الغفلة والذهول عن صورة الأمر والحقيقة، وأنه

(١) منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع: ٢٠.

أعظم وأطم من مسألة الاستعانة والانتصار، بل هو تولية وتخلية بينهم وبين أهل الإسلام والتوحيد وقلع قواعده وأصوله، وسفك دماء أهله، واستباحة حرماتهم وأموالهم. هذا هو حقيقة الجاري والواقع، وبذلك ظهر في تلك البلاد من الشرك الصريح والكفر البواح ما لا يبقي من الإسلام رسماً يرجع إليه ويعول في النجاة عليه، كيف وقد هدمت قواعد التوحيد والإيمان، وعطلت أحكام السنة والقرآن؟ وصرح بمسبة السابقين الأولين من أهل بدر وبيعة الرضوان، وظهر الشرك والرفض جهراً في تلك الأماكن والبلدان؟ ومن قصر الواقع على الاستعانة بهم، فما فهم القضية، وما عرف المصيبة والرزية. فيجب حماية عرض من قام لله، وسعى في نصر دينه الذي شرعه وارتضاه، وترك الالتفات إلى زلاته والاعتراض على عباراته، فمحبة الله والغيرة لدينه ونصر كتابه ورسوله مرتبة علية محبوبة لله مرضية، يغتفر فيها العظيم من الذنوب، ولا ينظر معها إلى تلك الاعتراضات الواهية، والمناقشات التي تفت في عضد الداعي إلى الله، والملتمس لرضاه. وهبه كما قيل، فالأمر سهل في جنب تلك الحسنات: «وما يدريك؟ لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم»[(١)]"[(٢)].

فانظر إلى عباراته رَحِمَهُ ٱللَّهُ التي تدل على علم وفقه، ومراعاة لأحوال الناس ومعرفة بالواقع، وأن ما يصدر منهم فيه مراعاة للمصالح والمفاسد، وفق ما تقتضية الشريعة:

- " وكتمت عن الناس أول نسخة وردت علينا، حذراً من إفشائها وإشاعتها بين العامة والغوغاء".
- "وأنه وضع النصوص في غير موضعها، ولم يعط القوس باريها".
- "والرجل وإن صدر منه بعض الخطأ في التعبير، فلا ينبغي معارضة من انتصر لله ولكتابه وذب عن دينه، وأغلظ في أمر الشرك والمشركين، على من تهاون أو رخص وأباح بعض شعبه..."
- "مع الغفلة والذهول عن صورة الأمر والحقيقة".

---

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، باب من فضائل أهل بدر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ وقصة حاطب بن أبي بلتعة، برقم: ٢٤٩٤.

(٢) الدرر السنية: ٣٦٩/٨. وانظر: حقيقة الولاء والبراء في الكتاب والسنة: ١٢٢-١٢٦

- "هذا هو حقيقة الجاري والواقع".
- "ومن قصر الواقع على الاستعانة بهم، فما فهم القضية، وما عرف المصيبة والرزية" الخ.

المطلب الثالث: دعوى إدخال مسألة الولاء والبراء في العقيدة وهي ليست منها

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى أن مسألة الولاء والبراء ليست من العقيدة، وأن دعوة الإمام أدخلت هذه المسألة ضمن مسائل العقيدة وهي من المسائل الفقهية.

يقول عبدالله العتيق في أثار إدخال ما ليس من العقيدة في العقيدة بعد أن ذكر الأثر الأول، وهو التكفير: "الأثر الثاني: المعاداة.

هذه نتيجة حتمية للأثر الأول، فإذا نزل حكم التكفير على أحد كان لازم أن يُعاده، لمبدأ الولاء والبراء، ولأن من نواقض الدين، عند من أدخل ما ليس من العقيدة فيها، أن موالاة من ليس مسلماً يعتبر كفراً، وربما أدى الحال إلى الشك في كفرهم[١]، وهذا بحد ذاته مكفر وناقض، فالقضايا هذه هي في حكم القضايا العقدية، والتي يجب فيها اتخاذ مواقف شديدة في التعامل مع الفاعلين لها"[٢].

حقيقة هذه الدعوى:

سبق في الدعوى الثامنة عشرة من الفصل الأول، فرية إدخال بعض المسائل في العقيدة وهي ليست منها، وأن تلك الدعوى قديمة، وسببها الاشتباه في معنى العبادة الصحيح[٣]، وهذه الدعوى مبنية على ذلك؛ فإن الولاء والبراء من لوزام العبادة، ومبنية كذلك على عدم

(١) قال صاحب الكتاب: قال محمد بن عبدالوهاب في "نواقض الإسلام": ٣٨٥/١ "مجموعة مؤلفاته": "الناقض الثالث: من لم يكفر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم، كفر"، وهذا منه يسلك تطبيقه على ما ذكره في كتبه"، وبعضاً كثيراً مما قاله ليس داخلاً في أصول الاعتقاد لا عرضاً ولا نقضاً، وإنما هو من فروعه، ولو وظفنا ما قال في "النواقض" على تلك القضايا التي قصد بها المسلمون في وقته لما بقي أحد منهم يوالى، ولكان مبدأ الولاء والبراء قائماً في الفرعيات لا في الأصول، فيكون تنزيلاً لهذا المبدأ على ناس فعلوا أموراً ليست من العقيدة هي عند الموظفين لمبدأ الموالاة والمعاداة من العقيدة.

(٢) ليس من العقيدة: ٤٦-٤٧. وانظر: رواية ريح الجنة لتركي الحمد: ١١، ١٥٣، ١٦١.

(٣) انظر: رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله: ٣١.

معرفة معنى الولاء والبراء الوارد في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وما يلزم من ذلك من الولاء للإيمان وأهله، والبراء من الشرك وأهله، فمن لم يعرف معنى الولاء والبراء جعلهما ليس من العقيدة حتى لا يقوم لازم ذلك من الولاء للمؤمنين والبراء من المشركين بشروطه وضوابطه.

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: سبق في المبحث الثاني من هذا الفصل بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في الولاء والبراء، وأنه من مقتضيات كلمة التوحيد، فالولاء للإيمان وأهله، والبراء من الشرك وأهله، قال الله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾ [التوبة: ١-٣].

وفي أعظم سورة في القرآن، التي يقرأها كل مسلم في كل ركعة من ركعات صلاته، يسأل المسلم ربه صراطه المستقيم، وأن يكون مع المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، وأن يجنبه المغضوب عليهم والضالين من اليهود والنصارى ومن سار على طريقهم(١)، قال الله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

ثانيا: أن الدين يشمل جميع المسائل سواء كانت عقدية أو فقهية، والواجب العمل بالجميع، وكونها مسألة عقدية أو فقهية لا يغير حكمها الشرعي، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ [البقرة: ٢٠٨]، قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " عن مجاهد في قول الله ﷻ: ﴿ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾، قال: ادخلوا في الإسلام كافة، ادخلوا في الأعمال كافة"(٢).

وقال تعالى في ذم من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعضه: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ

---

(١) تفسير ابن كثير: ١/١٤٠-١٤٣.

(٢) تفسير الطبري: ٤/٢٥٧.

وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٥].

ثالثا: أنه لما كان الإسلام دين الله تعالى الحق، وما سواه من الأديان دين باطل، كان لابد أن تكون لعقيدة الولاء والبراء فيه مكانة عظمى، مرتبطة بأصل الإيمان، فلا بقاء للإيمان بغير ولاء وبراء، وذهاب الولاء والبراء يعني -بالضرورة- ذهاب الإيمان كله رأساً.

فالولاء والبراء شرط للإيمان، قال الله تعالى: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٨١) ﴾ [المائدة: ٨٠-٨١].

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: "من تولى اليهود والنصارى من دون المؤمنين فإنه منهم. أي من أهل دينهم وملتهم، فإنه لا يتولى متول أحداً إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راض، وإذا رضيه ورضي دينه فقد عادى ما خالفه وسخطه وصار حكمه حكمه"[١].

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾: " ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾ أي يعضدهم على المسلمين ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ بين تعالى أن حكمه كحكمهم...، ثم هذا الحكم باق إلى يوم القيامة في قطع الموالاة، وقد قال تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ [هود:١١٣]، وقال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:٢٨]"[٢].

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: "ذكر في هذه الآية الكريمة أن من تولى اليهود والنصارى من المسلمين فإنه يكون منهم بتوليه إياهم، وبين في موضع آخر أن توليهم موجب لسخط الله، والخلود في عذابه، وأن متوليهم لو كان مؤمناً ما تولاهم"[٣].

---

(١) المرجع السابق: ٢٧٧/٦.

(٢) تفسير القرطبي: ٢١٧/٦.

(٣) أضواء البيان: ١١٠/٢-١١١.

وقوله تعالى: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [المائدة: ٨٠-٨١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "فذكر جملة شرطية تقتضي مع الشرط انتفاء المشروط، فقال: ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾، فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده، ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب. ودل ذلك أن من اتخذهم أولياء ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه. ومثله قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المائدة: ٥١]، فإنه أخبر في تلك الآيات أن متوليهم لا يكون مؤمناً، وهنا أخبر أن متوليهم هو منهم، فالقرآن يصدق بعضه بعضاً"(١).

وهذا التلازم بين أصل الإيمان والولاء والبراء مما تقتضيه الفطرة، وليس خاصاً بالمسلمين، بل هو واقع في جميع الأديان، ويصدقه الواقع المشاهد، والتاريخ القريب، والماضي البعيد، كل ذلك يدل على الصراع بين الأديان والمذاهب المختلفة، وقد يكون صراع الحجة والبرهان من خلال الحوار والجدل، وقد يفضي إلى القتال والتدافع بالقوة.

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٨-١١٩].

يقول ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: "فنهى الله المؤمنين به أن يتخذوا من الكفار به أخلاء وأصفياء، ثم عرفهم ما هم عليه منطوون، من الغش والخيانة وبغيتهم إياهم الغوائل، محذرهم بذلك منهم ومن مُخالَّتهم، فقال تعالى ذكره: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾، يعني لا يستطيعونكم شراً... أي لا تدع جهدها فيما أورثكم الخبال... وأما قوله: ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾، فإنه يعني: ودوا عنتكم، يقول:

---

(١) كتاب الإيمان: ٤.

يتمنون لكم العنت والشر في دينكم، وما يسوءكم ولا يسركم"[١].

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾: "يعني بذلك تعالى ذكره: قد بدت بغضاء هؤلاء الذين نهيتكم أيها المؤمنون أن تتخذوهم بطانة من دونكم = لكم بأفواههم، يعني بألسنتهم. والذي بدالهم منهم بألسنتهم: إقامتهم على كفرهم، وعداوتهم من خالف ما هم عليه مقيمون من الضلالة، فذلك من أوكد الأسباب في معاداتهم أهل الإيمان؛ لأن ذلك عداوة على الدين، والعداوة على الدين العداوة التي لا زوال لها إلا بنتقال أحد المتعاديين إلى ملة الآخر، وذلك انتقال من هدى إلى ضلالة، كانت عند المنتقل إليها ضلالة قبل ذلك. فكان في إبدائهم ذلك للمؤمنين ومقامهم عليه، أبين الدلالة لأهل الإيمان على ما هم عليه لهم من البغضاء والعداة"[٢].

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ, في كاتب له نصراني عجب عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من كتابه, فقال: إنه نصراني، قال أبو موسى: فانتهرني وضرب فخذي، وقال: أخرجه، وقرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١], وقال: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١], قال أبو موس: والله ما توليته إنما كان يكتب, قال: أما وجدت في أهل الإسلام من يكتب لك، لا تدنهم إذ أقصاهم الله, ولا تأمنهم إذا خونهم الله, ولا تعزهم بعد إذ أذلهم الله[٣].

وقد أخبر أن البراءة من الكفار والعداوة لهم غيض من فيض براءتهم منا وعداوتهم لنا، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الممتحنة: ١-٢].

---

(١) تفسير الطبري: ٥/٧٠٨-٧٠٩.

(٢) المرجع السابق: ٥/٧١٢-٧١٣.

(٣) شعب الإيمان للبيهقي: ١٧/١٢، والسنن الكبرى للبيهقي: ٢١٦/١٠.

رابعا: من الأدلة على أن الولاء والبراء من العقيدة أن الله عَزَّوَجَلَّ أكد وبين هذه السنة الإلهية، وعلى لزوم هذه المفاصلة بين أهل الحق وأهل الباطل، وأنها ليست خاصة بدين الإسلام الذي بُعث به محمد ﷺ، بل هي عامة في جميع الشرائع الإلهية، وقد وقعت لجميع أنبياء الله تعالى وأتباعهم مع أقوامهم الذين عادوهم وكفروا بما بُعث به أنبياء الله تعالى.

فهذا أول الرسل نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ يعلمه ربه عَزَّوَجَلَّ البراءة، على أشد صورها، بين الأب وابنه، فيقول تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هود: ٤٥-٤٧].

وهذا أبو الأنبياء إبراهيم خليل الرحمن عَلَيْهِ السَّلَامُ، يتبرأ من أبيه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة: ١١٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

وهذا هود عَلَيْهِ السَّلَامُ يعلن البراءة من شرك قومه، ثم يَعلمُ عاقبة هذه البراءة، وهي أنهم سيواجهونها بإعلان العداء الكامل: ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾ [هود: ٥٤-٥٥].

وهكذا جميع الأنبياء: ما إن يعلنوا دعوتهم حتى يعلن أقوامهم العداوة لهم. وحينها لا بد من ثبات أهل الحق على حقهم، ولن يثبتوا بغير الولاء فيما بينهم والبراءة ممن عاداهم.

خامسا: من الأدلة على أن الولاء والبراء من العقيدة أن النبي ﷺ أخبر أن الولاء والبراء أوثق عرى الإيمان، فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ لأبي ذر: «أي عرى الإيمان أوثق؟»، قال: الله ورسوله أعلم، قال: «الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله،

والبغض في الله»[١].

وقد ذكر البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه شعب الإيمان بابا في مباعدة الكفار والمفسدين والغلظة عليهم، وذكر عدة أحاديث وآثار، وذكر من جملتها هذا الحديث[٢].

وهذا الحديث "فيه دليل على أنه يجب أن يكون للرجل أعداء يبغضهم في الله كما يكون له أصدقاء يحبهم في الله، بيانه أنك إذا أحببت إنسانا لأنه مطيع لله ومحبوب عند الله؛ فإن عصاه فلا بد أن تبغضه لأنه عاص لله وممقوت عند الله، فمن أحب لسبب فبالضرورة يبغض لضده، وهذان وصفان متلازمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر"[٣].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فهل يتم الدين أو يقام علم الجهاد أو علم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا بالحب في الله والبغض في الله، والمعاداة في الله والموالاة في الله. ولو كان الناس متفقين على طريقة واحدة ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء لم يكن فرقاناً بين الحق والباطل، ولا بين المؤمنين والكفار، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان"[٤].

سادسا: من الأدلة على أن الولاء والبراء من العقيدة أن النبي ﷺ أخبر أن حلاوة الإيمان لا توجد إلا بالموالاة والمعادة، عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»[٥].

سابعا: من الأدلة على أن الولاء والبراء من العقيدة أن النبي ﷺ كان يبايع أصحابه على تحقيق هذا الأصل العظيم، فعن جرير بن عبدالله البجلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «أتيت النبي ﷺ وهو يبايع، فقلت: يا رسول الله، ابسط يدك حتى أبايعك، واشترِط عليّ فأنت أعلم، قال: «أبايعك

---

(١) سبق تخريجه: ٤٩٦.

(٢) شعب الإيمان: ١٢/١٢. وانظر: الإفصاح عن معاني الصحاح: ٣٨٦/٦.

(٣) عون المعبود: ٢٢٨/١٢.

(٤) الدرر السنية: ١٤٩/٨.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، برقم: ١٦.

على أن تعبد الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتناصح المسلمين، وتفارق المشركين»[١].

ثامنا: أن من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة أنه يجب على كل مسلم يدين بكلمة التوحيد أن يوالي أهلها ويعادي أعداءها؛ فيحب أهل التوحيد والإخلاص ويواليهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠].

ويبغض أهل الإشراك ويعاديهم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الممتحنة: ١].

وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة: ٢٢]، فهذه الآية نفت " أن يوجد من يؤمن بالله تعالى حق الإيمان، ويلتزم شعبه على الكمال يواد كافراً أو منافقاً. ومعنى يواد: يكون بينهما من اللطف بحيث يود كل واحد منهما صاحبه" [٢].

وهذه الموالاة والمعادة من ملة إبراهيم عليه السلام والذين معه الذين أمرنا بالاقتداء بهم، قال سبحانه وتعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤].

وهو من دين محمد ﷺ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المائدة: ٥١]، فالولاء والبراء محل إجماع بين أهل القبلة[٣]، بل هو معتقد لا يخلو منه كل دين أو مذهب.

وساق ابن بطه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسنده "عن محمد, قال: قال عبد الله بن عتبة: ليتقين أحدكم أن يكون يهوديا أو نصرانيا, وهو لا يشعر، قال محمد: فظننته أخذ ذلك من هذه الآية: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾[المائدة: ٥١][٤].

---

(١) سبق تخريجه: ٤٩٧.

(٢) المحرر الوجيز: ٥/٢٨٢.

(٣) انظر: الفتاوى السعدية: ١١١، القول المبين في حكم المعاملة بين الأجانب والمسلمين: ١١٠.

(٤) كتاب الإبانة: ٢/٨٥٨.

وقال الشيخ مبارك الميلي[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينا أن الله تعالى نفي الولاية بين المؤمنين والكافرين: "ونفاها تعالى بين المؤمنين والكافرين، ونهى عنها في مثل آيات العقود، والأنفال، وبراءة، والممتحنة؛ فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ [المائدة: ٥١]، ﴿ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [المائدة: ٨١]، ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ [الأنفال: ٧٢]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ﴾ [التوبة: ٢٣]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ [الممتحنة: ١]"[٢].

وقال الشيخ محمد حسنين مخلوف[٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر عددا من الآيات التي فيها النهي عن موالاة الكافرين: " فهذه الآيات كلها بينة في تحريم موالاة الكافرين. وتكرارها في هذا المعنى، وجريها على نسق واحد مؤكد للتحريم، ورافع لتطرق الاحتمال إليه؛ فإن القاعدة الأصولية: المعنى الواحد إذا نص عليه وأكد بالتكرار، فقد ارتفع عنه الاحتمال، فلا تجد في تحريم هذه الموالاة مخالفا من أهل القبلة المتمسكين بالكتاب العزيز وبالسنن النبوية"[٤].

وقال الشيخ عبد الرزاق عفيفي[٥] رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الولاء والبراء: "إنهما مظهران من مظاهر

---

(١) مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري، التحق بجامع الزيتونة وتتلمذ على مشايخه، وكان له نشاط في الكتابة في المجلات والصحف، ومن مؤلفاته: تاريخ الجزائر القديم والحديث، رسالة الشرك ومظاهره، ومقالات وبحوث كتبها في عدة جرائد. توفي عام ١٣٦٤هـ. انظر: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر: ٣٢٥، مقدمة تاريخ الجزائر القديم والحديث: ٢١/١، ومقدمة رسالة الشرك ومظاهره: ٧.

(٢) رسالة الشرك ومظاهره: ١٧٢.

(٣) محمد حسنين بن محمد مخلوف العدوي ، فقيه، عارف بالتفسير والأدب. له العديد من المؤلفات، منها: المدخل المثير في مقدمة علم التفسير، وبلوغ القول في مدخل أصول الفقه، والقول والوثيق في الرد على أدعياء الطريق. توفي بالقاهرة ١٣٥٥هـ. انظر: الأعلام: ٩٦/٦، ومقدمة كتاب: القول المبين في حكم المعاملة بين الأجانب والمسلمين: د.

(٤) القول المبين في حكم المعاملة بين الأجانب والمسلمين: ١١٠.

(٥) عبد الرزاق بن عفيفي بن عطية بن عبدالبر العفيفي الربيعي من قبيلة بني ربيعة احدى القبائل المعروفه في نجد، ولد بشنشور التابعة لمركز أشمون محافظة المنوفية عام ١٣٢٣هـ، وقيل ١٣٢٥هـ، عين نائبا لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة، توفي سنة: ١٤١٥هـ. انظر: الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي: حياته العلمية، وجهوده

إخلاص المحبة لله، ثم لأنبيائه وللمؤمنين. والبراءة: مظهر من مظاهر كراهية الباطل وأهله، وهذا أصل من أصول الإيمان"[(١)].

فعقيدة الولاء والبراء في الإسلام مرتبطة بوجود الإسلام نفسه، فما دام في الأرض مسلم موحد، وفي الأرض كافر أو مشرك فلابد من أن يكون هناك ولاء وبراء، لا من قبل المسلم وحده، بل من قبل مخالفه أيضاً.

تاسعا: قول عبدالله العتيق في النتيجة الحتمية للأثر الأول وهو التكفير " فإذا نزل حكم التكفير على أحد كان لازم أن يُعاده، لمبدأ الولاء والبراء".

هذا كلام صحيح، وهو مقتضى عقيدة الولاء والبراء؛ فإن من حكم بكفره بالشروط والضوابط الشرعية فلا بد من معادته.

عاشرا: قوله: " لأن من نواقض الدين، عند من أدخل ما ليس من العقيدة فيها، أن موالاة من ليس مسلماً يعتبر كفراً".

فهذه عبارة مجملة؛ فإن الموالاة شعب متفاوتة، فقد تكون كفرا، وقد تكون من كبائر الذنوب، كما مر في الدعوى الأولى من هذا الفصل، والإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر في نواقض الإسلام العشرة نوعاً واحداً من أنواع موالاة الكفار وهو مظاهرتهم ومناصرتهم، وإلا فالموالاة للمشركين تشمل عدة معان، يقول الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ولفظ الظلم، والمعصية، والفسوق، والفجور، والموالاة، والمعاداة، والركون، والشرك، ونحو ذلك من الألفاظ الواردة في الكتاب والسنة قد يراد بها مسماها المطلق وحقيقتها المطلقة، وقد يراد بها مطلق الحقيقة[(٢)]"[(٣)].

الدعوية، وآثاره الحميدة:١/٧٣، ومقدمة فتاوى اللجنة الدائمة: ١/٢٨، وإتحاف النبلاء بسير العلماء: ٢/١١، منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين: ١٧-٣٤.

(١) مقدمة الشيخ لكتاب الولاء والبراء للقحطاني: ٥.

(٢) الفرق بين مطلق الشيء والشيء المطلق: أن الشيء المطلق هو الشيء الكامل، ومطلق الشيء؛ يعني: أصل الشيء، وإن كان ناقصا. انظر: بدائع الفوائد: ٤/١٦، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين: ٢/٢٤٤.

(٣) الدرر السنية: ١/٤٧٠.

ويقول أيضاً: "مسمى الموالاة يقع على شعب متفاوتة منها، ما يوجب الردة وذهاب الإسلام بالكلية، ومنها ما هو دون ذلك من الكبائر والمحرمات"[١].

(١) المرجع السابق: ٣٤٢/٨.

المطلب الرابع: دعوى التشدد في الولاء والبراء مع المخالفين

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى التشدد في الولاء والبراء مع أهل البدع والمخالفين لها في الرأي، وأن دعوة الإمام دعوة إقصائية، وأحادية الرأي، وتسفه الآخر المختلف معها.

يقول محمد المحمود: "السلفية التقليدية -بطبعها- أحادية الرأي، تسفه الآخر المختلف، وتبدعه وتضلله و-أحياناً- تكفره. فهي تقوم على تصور امتلاك الحقيقة المطلقة، وأنها -وحدها- الفرقة الناجية من بين ثلاث وسبعين فرقة هالكة. أي أنها في الأصل مشروع تمايز وتفاصل عن الآخرين، عن كل الآخرين. وبهذا، فهي مهما أظهرت من مرونة، ومهما أبدت من تسامح، فهي تنطوي على جذر إرهابي، جذر إقصائي، ينفي الآخر عن دائرة الحق والخير والصلاح. فأنساقُها الكامنة أنساقٌ حادة، ولديها القابلية الفائقة لصناعة الإرهاب، أو -على الأقل- القابلية لتدعيم سيكولوجيته - أي نفسيته- بالمواقف المبدئية للمنغمسين في مستنقعاتها.

يمكن استنطاق هذه الأنساق الإقصائية الكامنة من مجمل خطاباتها، إذ دائماً ما نجدها يسيطر عليها وَهَم[١] واحد، وَهَم ينتظمها جميعاً، إنه وَهَم التطابق الكامل مع الحق الكامل. ولا شك أن هذا هو الوهم الذي بموجبه تمارس السلفية نفي الآخر، وعلى وجه الخصوص، نفي الآخر المختلف من داخل المنظومة الإسلامية ذاتها. إن السلفية لا تعد هذا المسلم الآخر مسلماً، أو هي تعده مسلماً ناقص الإسلام. إنه -في تصورها- مسلم غير جدير بالولاء الديني، بل هو جديرب بالعداء والكراهية، وفي معاييرها، تلك المعايير المجترحة في ظل أدبيات الإقصاء الرائجة في خطابها: التفسيق والتبديع والتضليل والتكفير. إنها المعايير التمايزية الاحترابية الأحادية الرؤية، التي استهلكت معظم نشاطاتها، وأهدرت أفضل طاقاتها"[٢].

---

(١) الوَهْمُ: من خطرات القلب، أو مرجوح طرفي المتردد فيه. ووَهِمَ في الحساب، كوَجِلَ: غَلِطَ، ووَهَمَ في الشيء، كَوَعَدَ: ذهب وَهْمُه إليه. انظر: القاموس المحيط: ١١٦٨، والصحاح: ٢٠٥٤/٥.

(٢) نحن والإرهاب: ٦٥.

ويقول أبو هشام الشريف في تعدد الركائز التي تعتمد عليها الوهابية: "الركيزة الرابعة: عدم التهاون مع المخالفين في الرأي:

فلا يجوز لمدرسة محمد بن عبدالوهاب أن تتعايش مع الغير، فالمخالفون لهم مشركون وكفار وضالون ومضلون...

وهذا من عجائب أفكارهم ومخالفتهم لسلف أمة الإسلام، بل ومخالفتهم للنبي ﷺ، فالرسول ﷺ كان يقر المسلمين فيما اختلفوا فيه من آراء فقهية[١].

وحين تفرق الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في البلاد الإسلامية كان كل منهم أستاذاً في بلد من البلاد، وله مدرسته الخاصة به: فابن مسعود رضي الله عنه نواة مدرسة الرأي التي أنجبت أبا حنيفة، وابن عمر رضي الله عنه نواة مدرسة الحديث التي أنجبت مالك بن أنس وأحمد بن حنبل.

ونجد آراء الصحابة المختلفة وآراء التابعين المختلفة في كثير من الأمور الدينية بل والعقيدة.

بينما نرى مدرسة محمد بن عبدالوهاب ترى خلاف هذا، ولنضرب لذلك بعض الأمثلة:

يقول الأستاذ المحدث الشهير[٢] محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني في كتابه "تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد": (إن من اعتقد في شجر أو حجر أو قبر أو ملك أو جني أو حي أو ميت أنه ينفع أو يضر أو أنه يقرب إلى الله أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به والتوسل إلى الرب تعالى فإنه قد أشرك مع الله غيره واعتقد ما لا يحل اعتقاده كما اعتقد المشركون في الأوثان، فضلاً عمن يطلب ما لا يُطلب إلا من الله تعالى من الحاجات من عافية مريض أو قدوم غائب أو نيل مطلب من المطالب، فإن هذا هو الشرك بعينه الذي كان عليه عُباد الأصنام).

---

(١) ذكر الكاتب في الحاشية من الأمثلة الفقهية: أمره ﷺ بصلاة العصر في بني قريظة، واختلافهم في تنفيذ الأمر. وموافقة الرسول ﷺ لكلا الرأيين.

(٢) ذكر الكاتب في الحاشية تعليقا على لفظة "الشهير": أن هذه اللفظة نقلها كما هي، وهي موجودة هكذا على غلاف كتاب الصنعاني المطبوع!. ويريد بذلك التنقص للصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ.

هكذا أطلق الأستاذ الشهير العنان لأي واحد أن يتهم كل المسلمين بالشرك والكفر!

ويقول: وكذلك تسمية القبر "مشهداً" ومن يعتقدون فيه ولياً لا يخرجه عن اسم الصنم أو الوثن، إذ هم معاملون لها معاملة المشركين للأصنام.

فأهل العراق والهند يدعون عبدالقادر الجيلاني، وأهل مصر يقولوا: يا رفاعي.. يا بدوي.. وهو بعينه فعل المشركين في الأصنام.

ثم يقول: وهؤلاء المشركون يجب دعاؤهم إلى التوحيد والإبانة أنهم مشركون، فمن رجع وأقر حُقن عليه دمه وماله وذراريه، ومن أصر فقد أباح الله منه ما أباح لرسوله من المشركين.

هكذا نرى كيف يرون مخالفيهم!

ويقول الشيخ عبدالعزيز بن باز: (اقرأ كتاب الشعراني والإبريز للدباغ وكتب التيجانية وغيرها من كتب أولئك الضالين المضلين تجد الشرك الذي ما كان يخطر على بال أبي جهل وإخوانه، لأنهم لم يكونوا بوقاحة هؤلاء وفجورهم). ولا أجد تعليقاً على هذه السفالة.

ويقول الشيخ عبدالعزيز بن باز: (وهي التي يسميها الناس اليوم "المولد والذكريات" التي ملأت البلاد باسم الأولياء، وهي نوع من العبادة لهم وتعظيمهم، ولذلك لا يذكر الناس ويعرفون إلا من أقيمت له هذه الذكريات ولو كان أجهل خلق الله وأفسقهم، وقد امتلأت البلاد الإسلامية بهذه الذكريات وعمت بها المصيبة، وعادت بها الجاهلية إلى بلاد الإسلام، ولم ينج منها إلا نجد والحجاز –فيما نعلم– بفضل الله ثم بفضل آل سعود الذين قاموا بحماية دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب).

ثم يقول: وقد أحدث هؤلاء المشركون أعياداً عند القبور التي تعبد من دون الله ويسمونها "عيداً": كمولد البدوي بمصر وغيره، بل هم أعظم، لما وجد فيها من الشرك والمعاصي العظيمة.

ويقول الشيخ عبدالعزيز بن باز في تعريف السيد البدوي: (أحمد البدوي بطنطا، لا يعرف له تاريخ صحيح، واضطربت الأقوال فيه، والمشهور أنه كان جاسوساً لدولة الملثمين[١]، وكان

---

(١) الملثمون عدة قبائل ينسبون إلى حمير، أشهرها: لمتونة، ومنها الأمير علي بن يوسف بن تاشفين، وجدالة، ولمطة، ظهرت هذه الدولة بالمغرب سنة ٤٤٨هـ. انظر: الكامل في التاريخ: ١٣٤/٨، والبداية والنهاية: ٧٣٧/١٥.

داهية في المكر والخديعة، وقبره أكبر الأصنام في الديار المصرية، مثل هبل الأكبر أو اللات في الجاهلية، يؤتى عنده من أنواع الشرك الأكبر...

ويقام به كل عام ثلاثة موالد، يشد الرحال إليها الناس من أقصى القطر المصري، ويجتمع في المولد أكثر من ثلاثمائة ألف حاج إلى هذا الصنم الأكبر، عجل الله بهدمه وحرقه هو وغيره من كل صنم في مصر وغيرها).

ويقول ابن القيم: (لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً، وكذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور والتي اتخذت أوثاناً تعبد من دون الله، والأحجار التي تقصد للتبرك والنذر، لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالتها، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة أو أعظم شركاً).

ومثل هذه النصوص كثيرة، نحيل القارئ إليها، وهي تبين حال مدرسة ابن عبدالوهاب مع مخالفيهم"[(١)].

ويقول سعود المولى وهو يعدد الملاحظات على الوهابية، وذكر منها: "عدم التهاون مع المخالفين في الرأي: فلا يجوز لمدرسة محمد بن عبدالوهاب أن تتعايش مع الغير، فالمخالفون لهم مشركون وكفار وضالون ومضلون"[(٢)].

حقيقة هذه الدعوى:

أن المناوئ لا يريد تكفير المخالف الواقع في الشرك، ويعتبر البراء منه تشددا في التعامل مع المخالف. وهذا عكس الدعوى السابقة، ففي الدعوى السابقة يعتبر الولاء والبراء ليس من العقيدة، وفي هذه الدعوى يعتبرها تشددا مع المخالف الواقع في الشرك.

الجواب عن هذه الدعوى:

---

(١) ركائز التوحيد في مدرسة محمد بن عبدالوهاب: ٣١-٣٥.

(٢) الجماعات الإسلامية والعنف موسوعة الجهاد والجهاديين: ٣٣٣-٣٣٤. وهي نفس العبارة في كتاب ركائز التوحيد، ولا أدري أيهما نقل عن الأخر، وكتاب ركائز التوحيد مطبوع قبل. وانظر: مباحث في العذر بالجهل وإقامة الحجة: ٢٩٨-٢٩٩، والحركة الوهابية في ميزان التأصيل السلفي والإصلاح السياسي، ضمن: الوهابية والسلفية: الأفكار والآثار: ١٢٣-١٢٤، والسلفية الجهادية في السعودية: ٢٧٠

أولا: أن أئمة الدعوة رحمهم الله تعالى قد بينوا أن المؤمن يجب عليه أن يحب إخوانه المؤمنين في الله، ويواليهم في الله، منطلقاً في ذلك من العلاقة الجامعة بينهم، والصلة الرابطة وهي الإيمان والتقوى.

عن النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر».

وفي رواية لمسلم: «المؤمنون كرجل واحد إذا اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر». وفي رواية له -أيضاً-: «المسلمون كرجل واحد إذا اشتكى عينه اشتكى كله وإذا اشتكى رأسه اشتكى كله»(١).

يقول الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فالله الله يا إخواني تمسكوا بأصل دينكم، وأوله، وآخره، وأسه، ورأسه: شهادة أن لا إله إلا الله، واعرفوا معناها، وأحبوها، وأحبوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم ولو كان بعيدين، واكفروا بالطواغيت، وعادوهم، وأبغضوهم، وأبغضوا من أحبهم، أو جادل عنهم"(٢).

ويقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومن لوازم محبة الله أيضاً محبة أهل طاعته، كمحبة أنبيائه، ورسله، والصالحين من عباده، فمحبة ما يحبه الله، ومن يحبه الله، من كمال الإيمان"(٣).

ويقول الشيخ سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "محبة جميع المؤمنين بعضهم بعضاً، ومودتهم بينهم، وسؤال الله المغفرة لهم، فأمر مستحسن مطلوب، لا يشك فيه شاك، ولا ينفيه إلا هالك.

قال سبحانه وتعالى آمراً نبيه أن يستغفر للمؤمنين: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، برقم: ٦٠١١، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، برقم: ٣٥٨٦.

(٢) الدرر السنية: ٢/١١٩-١٢٠.

(٣) فتح المجيد: ٣٢٩.

ﵟٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِﵞ [الحشر: ١٠]"[١].

ثانيا: أن محبة المؤمن لإخوانه المؤمنين تتفاضل بحسب ما معهم من إيمان. قال الشيخ سليمان بن عبدالله رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند شرحه لقوله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير»[٢]: "وفيه أن محبة المؤمنين تتفاضل، فيحب بعضهم أكثر من بعض"[٣].

ثالثا: أنه مع هذا التفاضل في المحبة فإنه ليس لأحد أن يؤذي المسلمين، أو أن يتتبع عوارتهم، يقول الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وليس لأحد أن يتبع عورات العلماء، ولا له أن يتكلم فيها، فمن عدل عن الحجة إلى الظن والهوى فهو ظالم، وكذلك كل من آذى المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا"[٤].

وكان إيذائهم أيضاً موجباً للتعزير حتى يكف المؤذي عن إيذائه، يقول الشيخ عبدالله بن محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأما الذي يسب المسلمين، ويؤذيهم بلسانه، فيؤدبه الأمير بما يزجره"[٥].

وقد وصف الله تعالى ما يجب أن يكون عليه المؤمنون مع إخوانهم بأنهم: ﵟأَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَﵞ [المائدة: ٥٤]، وأنهم: ﵟرُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡﵞ[الفتح: ٢٩].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معناها: "أي: أرقاء، رحماء، مشفقين، عاطفين عليهم"[٦]. وهذا كله يدل على عدم التشدد، وعلى النصح والشفقة للمؤمنين.

رابعا: أن من عقيدة أهل السنة والجماعة في الولاء والبراء أن الناس على أنواع، فمنهم من يحب مطلقاً، ومنهم من يبغض مطلقاً، ومنهم من يحب من وجه ويبغض من وجه، كما سبق بيانه في المبحث الثاني من هذا الفصل.

---

(١) التوضيح عن توحيد الخلاق: ٢٠١-٢٠٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، برقم: ٢٦٦٤.

(٣) تيسير العزيز الحميد: ٥٩٩.

(٤) مؤلفات الشيخ: ٣١/١٢.

(٥) الدرر السنية: ٤٣٧/٧.

(٦) فتح المجيد: ٣٣٤. وانظر: مدارج السالكين: ٢٣/٣.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "على المؤمن أن يعادي في الله ويوالي في الله، فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه – وإن ظلمه. فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية. قال تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات:٩].

فجعلهم إخوة مع وجود القتال والبغي، وأمر بالإصلاح بينهم، فليتدبر المؤمن: أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك. فإن الله سبحانه بعث الرسل، وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله فيكون الحب لأوليائه والبغض لأعدائه، والإكرام والثواب لأوليائه والإهانة والعقاب لأعدائه.

وإذا اجتمع في الرجل الواحد: خير وشر، وفجور وطاعة، ومعصية وسنة وبدعة استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة كاللص تقطع يده لسرقته، ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته. هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة، وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم"(١).

ويقول الشيخ سليمان بن سحمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أصناف الناس بحسب الحب والبغض والولاء والبراء: أنهم ثلاثة أصناف:

"الأول: من يحب جملة. وهو من آمن بالله ورسوله، وقام بوظائف الإسلام ومبانيه العظام علماً وعملاً واعتقاداً. وأخلص أعماله وأفعاله وأقواله لله، وانقاد لأوامره وانتهى عما نهى الله عنه، وأحب في الله، ووالى في الله وأبغض في الله، وعادى في الله، وقدم قول رسول الله ﷺ على قول كل أحد كائناً من كان.

الثاني: من يحب من وجه ويبغض من وجه، وهو المسلم الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فيحب ويوالي على قدر ما معه من الخير، ويبغض ويعادي على قدر ما معه من الشر ومن لم يتسع قلبه لهذا كان ما يفسد أكثر مما يصلح. وإذا أردت الدليل على ذلك فهذا رجل من أصحاب رسول الله ﷺ كان يشرب الخمر، فأتي به إلى رسول الله ﷺ فلعنه رجل وقال: ما

(١) مجموع الفتاوى: ٢٨/٢٠٨–٢٠٩.

أكثر ما يؤتى به، فقال النبي ﷺ «لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله»[١]، مع أنه ﷺ «لعن الخمر وشاربها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه»[٢].

الثالث: من يبغض جملة وهو من كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ولم يؤمن بالقدر خيره وشره، وأنه كله بقضاء الله وقدره وأنكر البعث بعد الموت، وترك أحد أركان الإسلام الخمسة، أو أشرك بالله في عبادته أحداً من الأنبياء والأولياء والصالحين، وصرف لهم نوعاً من أنواع العبادة كالحب والدعاء، والخوف والرجاء والتعظيم والتوكل، والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة، والذبح والنذر والإنابة والذل والخضوع والخشية والرغبة والرهبة والتعلق، أو ألحد في أسمائه وصفاته واتبع غير سبيل المؤمنين، وانتحل ما كان عليه أهل البدع والأهواء المضلة، وكذلك كل من قامت به نواقض الإسلام العشرة أو أحدها"[٣].

فأهل السنة والجماعة يوالون المؤمن المستقيم على دينه ولاء كاملاً ويحبونه وينصرونه نصرة كاملة، ويتبرأون من الكفرة والملحدين والمشركين والمرتدين ويعادونهم عداوة وبغضاً كاملين. أما من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فيوالونه بحسب ما عنده من الإيمان، ويعادونه بحسب ما هو عليه من الشر.

خامسا: قول محمد المحمود عن الدعوة أنها: " -بطبعها- أحادية الرأي، تسفه الآخر المختلف، وتبدعه وتضلله و-أحياناً- تكفره. فهي تقوم على تصور امتلاك الحقيقة المطلقة، وأنها -وحدها- الفرقة الناجية من بين ثلاث وسبعين فرقة هالكة".

فهذا كلام غير صحيح، وأين هو في كلام أئمة الدعوة، والنقول عن أئمة الدعوة والمطالبة بتصحيح ما لديها من أخطأ كثير في كتبهم، ومنه قول الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأما ما ذكر لكم عني فإني لم آته بجهالة بل أقول – ولله الحمد والمنة، وبه القوة – إنني هداني

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج من الملة، برقم: ٦٧٨٠.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الأشربة، باب العنب يعصر للخمر، برقم: ٣٧٦٤. وانظر صحيح سنن أبي داود، برقم: ٣٧٦٤.

(٣) ارشاد الطالب إلى أهم المطالب: ١٣-١٩.

ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً، وما كان من المشركين ولست ولله الحمد أدعوا إلى مذهب صوفي أو فقيه أو متكلم أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم، مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير رحمهم الله، بل أدعوا إلى الله وحده لا شريك له، وأدعو إلى سنة رسوله ﷺ التي أوصى بها أول أمته وآخرهم، وأرجو أن لا أرد الحق إذا أتاني، بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه أني إن أتاني منكم كلمة من الحق لأقبلنها على الرأس والعين، ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي، حاشا رسول الله ﷺ فإنه لا يقول إلا الحق"(١).

وكان يصرح بقوله، أنه إذا افتى بشيء خرج فيه عن إجماع أهل العلم أن اللوم متوجه عليه في ذلك وأنه راجع عنه، فيقول: "فإن سمعتم أني أفتيت بشيء خرجت فيه عن إجماع أهل العلم توجه علي القول"(٢).

لكن الهوى يعمي ويصم، فالكاتب يقول: "فهي مهما أظهرت من مرونة، ومهما أبدت من تسامح، فهي تنطوي على جذر إرهابي، جذر إقصائي، ينفي الآخر عن دائرة الحق والخير والصلاح".

فماذا يريد منها أن تعمل، فهي مهما أظهرت من مرونة، وأبدت من تسامح فهي عنده إرهابية إقصائية!.

سادسا: قوله: " ولا شك أن هذا هو الوهم الذي بموجبه تمارس السلفية نفي الآخر، وعلى وجه الخصوص، نفي الآخر المختلف من داخل المنظومة الإسلامية ذاتها".

لم يبين الكاتب المقصود بالآخر داخل المنظومة الإسلامية، هل هم العصاة، أو المبتدعة، أو الوقعون في الشرك أو... حتى نتمكن من الرد عليه بما يقتضيه كلامه؛ لكنها عادة أهل البدع والضلالة في استخدام العبارات المجملة التي يستخدمونها للتخلص عند العجز وعدم الحجة.

سابعا: قول أبي هشام في تعدد الركائز التي تعتمد عليها الوهابية: "الركيزة الرابعة: عدم التهاون مع المخالفين في الرأي...".

---

(١) المرجع السابق: ١/٣٧-٣٨.

(٢) الدرر السنية: ١/٥٣.

فالكاتب جعل الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ المتوفى عام (٧٥١هـ)، من مدرسة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ المولود عام (١١١٥هـ)! ولو عكس الأمر لقبل منه.

كما جعل الشيخ الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٠٩٩- ١١٨٢هـ) من مدرسة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو قبله، نعم هو عاصره؛ لكنه ليس من تلامذته.

وقد أطلت في النقل عنه، وذكر الأمثلة التي أوردها؛ لبيان الفرق في المسائل الخلافية الفقهية التي وقعت في وقت الصحابة والتابعين، وذكر الكاتب منها: "أمره ﷺ بصلاة العصر في بني قريظة، واختلافهم في تنفيذ الأمر. وموافقة الرسول ﷺ لكلا الرأيين"، وبين المسائل التي ذكرها من المسائل العقدية.

ولا أطيل بإعادة ذكرها، ولكن أذكر منها ما نقله الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مما يتعلق بالشرك الأكبر: "أن من اعتقد في شجر أو حجر أو قبر أو ملك أو جني أو حي أو ميت أنه ينفع أو يضر أو أنه يقرب إلى الله أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به والتوسل إلى الرب تعالى..."، "فأهل العراق والهند يدعون عبدالقادر الجيلاني، وأهل مصر يقولوا: يا رفاعي.. يا بدوي.. وهو بعينه فعل المشركين في الأصنام".

فكيف يقارن بين المسائل الفقهية التي اختلف فيها الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وبين هذه المسائل الشركية التي لم يختلف فيها الصحابة ولا التابعون ولا من بعدهم ممن عرفوا العقيدة الصحيحة.

ثم ليته ذكر مثلا واحدا فقط من هذه المسائل العقدية التي اختلف فيها الصحابة، وذكر مصدره فيه!.

ثامنا: ما نسبه أبو هشام من أقوال إلى الشيخ عبدالعزيز بن بازرَحِمَهُ ٱللَّهُ: (اقرأ كتاب الشعراني والإبريز للدباغ ...)، و (وهي التي يسميها الناس اليوم "المولد والذكريات" ...)، و (أحمد البدوي بطنطا، لا يعرف له تاريخ صحيح، واضطربت الأقوال فيه...).

هكذا ذكر أنها من تعليقات الشيخ عبدالعزيز ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهي ليست من تعليقاته، وإنما من تعليقات الشيخ محمد حامد الفقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهي تعليقات صحيحة؛ ولكن نسبتها للشيخ ابن باز تدل على جهل الكاتب أو تلبيسه.

تاسعا: قوله عن تعليق الشيخ عبدالعزيز بن باز: (اقرأ كتاب الشعراني والإبريز للدباغ وكتب التيجانية وغيرها من كتب أولئك الضالين المضلين تجد الشرك الذي ما كان يخطر على بال أبي جهل وإخوانه، لأنهم لم يكونوا بوقاحة هؤلاء وفجورهم). ولا أجد تعليقاً على هذه السفالة.

وأنقل بعض ما في هذه الكتب حتى تتبين هذه السفالة التي يزعمهما هذا الكاتب! فكتاب الطبقات للشعراني أعظم شاهد على زيغه وضلاله، لما فيه من الدعوة إلى الشرك بالله تعالى والتعلق بالمقبورين والاستغاثة بهم ودعائهم وعبادتهم من دون الله واعتقاد أنهم يعلمون الغيب ويدبرون أمور الكون، فضلا عما فيه من الخزعبلات والفسق والفجور، فيقول في كرامات الشيخ إبراهيم العريان رضي الله عنه!!: " وكان يخرج الريح بحضرة الأكابر ثم يقول: هذه ضرطة فلان ويحلف على ذلك، فيخجل ذلك الكبير منه، مات رضي الله عنه سنة نيف وثلاثين وتسعمائة، وكان رضي الله عنه يطلع المنبر ويخطب عريانا فيقول: السلطان ودمياط باب اللوق وجامع طولون الحمد لله رب العالمين، فيحصل للناس بسط عظيم "[١].

ويذكر في ترجمة سيده شعبان المجذوب رضي الله عنه !! فيقول: "كان من أهل التصريف بمصر المحروسة وكان يخبر بوقائع الزمان المستقبل، وأخبرني سيدي علي الخواص رضي الله عنه أن الله تعالى يطلع الشيخ شعبان على ما يقع في كل سنة من رؤية هلالها، فكان إذا رأى الهلال عرف جميع ما فيه مكتوبا على العباد، وكان يقرأ سورا غير السور التي في القرآن على كراسي المساجد يوم الجمعة وغيرها فلا ينكر عليه أحد، وكان العامي يظن أنها من القرآن لشبهها بالآيات في الفواصل"[٢].

ويقول الشعراني في سبب حضوره مولد أحمد البدوي كل سنة أن شيخه: " العارف بالله تعالى محمد الشناوي رضي الله عنه، أحد أعيان بيته رحمه الله، قد كان أخذ علي العهد في القبة تجاه وجه سيدي أحمد رضي الله عنه، وسلمني إليه بيده، فخرجت اليد الشريفة من الضريح، وقبضت على يدي، وقال يا سيدي يكون خاطرك عليه، واجعله تحت نظرك!!

---

(١) الطبقات: ١٤٢/٢.

(٢) المرجع السابق: ١٨٥/٢.

فسمعت سيدي أحمد من القبر يقول: نعم".

ثم يقول الشعراني: " لما دخلت بزوجتي أم عبد الرحمن، وهي بكر، مكثت خمسة شهور لم أقرب منها، فجاءني وأخذني وهي معي وفرش لي فراشا فوق ركن القبة التي على اليسار الداخل وطبخ لي الحلوى، ودعا الأحياء والأموات إليه وقال: أزل بكارتها هنا، فكان الأمر تلك الليلة".

ثم يقول: "وتخلفت عن ميعاد حضوري للمولد سنة ثمان وأربعين وتسعمائة، وكان هناك بعض الأولياء فأخبرني أن سيدي أحمد رضي الله عنه كان ذلك اليوم يكشف الستر من الضريح ويقول: أبطأ عبد الوهاب ما جاء"(١).

أما كتاب الإبريز الذي جمعه أحمد بن مبارك عن شيخه عبدالعزيز الدباغ، فيقول فيه: "وسمعته رضي الله عنه يقول: إن في كل مدينة من المدن عدداً كبيراً من الملائكة مثل السبعين ملكاً أو أقل أو أكثر يكونون عوناً لأهل التصوف من الأولياء فيما لا تطيقه ذات الولي؛ قال رضي الله عنه وهؤلاء الملائكة الذين يكونون موجودين في المدن يكونون على هيئة بني آدم فمنهم من يلقاك في صورة خواجة، ومنهم من يلقاك في صورة فقير -أي صوفي-، ومنهم من يلقاك في صورة طفل صغير وهم منغمسون في الناس ولكنهم لا يشعرون"(٢).

وقال أيضا أحمد بن مبارك عن شيخه: " ثم ذكر لنا رضي الله عنه سبب ليلة القدر، فقال: إن العالم قبل خلق النور في حرم الشمس كان مظلماً والملائكة عامرون له أرضاً وسماء وفي الكهوف والسهول والجبال والأودية، فلما خلق الله تعالى النور في الشمس وأضاء العالم بها أصبحت ملائكة السماء وملائكة الأرض وخافوا من خراب العالم ومن أمر عظيم ينزل بهم، فنزل ملائكة السماء إلى الأرض، وجعل ملائكة الأرض يفرون من الضوء إلى الظل، أي من ضوء النهار إلى ظل الليل فراراً من الضوء الذي لم يعرفوه إلى الظل الذي يعرفونه، خائفين متضرعين مجتمعين على الابتهال إلى الله تعالى والتضرع له والخوف منه، يطلبون منه الرضا، ويلجؤون إليه في أن لا يسخط عليهم، ولم يكن في ظنهم إلا أنه تعالى أراد أن يطوي هذا العالم

---

(١) المرجع السابق: ١/١٦١-١٦٢.

(٢) الإبريز: ٢٨٠.

فاجتمعوا على التضرع والابتهال على الصفة السابقة مقدرين في كل لحظة وقوع ما خافوه.

فإذا زاد إليهم الضوء فروا عنه إلى الظل، ولم يزالوا على تلك الحالة، والضوء ينسخ الظل وهم يفرون، إلى أن طافوا الأرض كلها ورجعوا إلى الموضع الذي بدأوا منه، فلما لم يروا شيئا وقع حصل لهم الأمن ورجعوا إلى مراكزهم يجتمعون من كل عام فهذا هو سبب ليلة القدر"(١).

وأمثال ذلك كثير مما يشيب له الرأس، ويحمد العبد ربه ليل نهار على أن منّ عليه باتباع السنة، ويدعو لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد جعله الله تعالى وأولاده وتلاميذه سببا في تخليص الأمة الإسلامية من هذا الخزي الذي كانت ترتع فيه إلا من رحم الله، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

عاشرا: قوله: "ومثل هذه النصوص كثيرة، نحيل القارئ إليها، وهي تبين حال مدرسة ابن عبدالوهاب مع مخالفيهم".

فهذا حق؛ فإن مدرسة ابن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعامل مخالفيها الذين يدعون للشرك ويقعون فيه بما توجبه عليهم الشريعة من البراء من المشركين.

(١) المرجع السابق: ٢٨١.

المطلب الخامس: دعوى الغفلة عن أحاديث وأدلة في الولاء والبراء

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى الغفلة عن أحاديث وأدلة في الولاء والبراء، ومن ذلك حديث "سهيل بن بيضاء رضي الله عنه"؛ وأنهم لم يذكروه في الدرر السنية، وهذا نقص في التحرير والقدرة على المعرفة، وأنهم لو علموا به لقالوا بموجَبه.

يقول د. حاتم الشريف تعليقاً على حديث سهيل بن بيضاء رضي الله عنه: "حديث سهيل بن بيضاء رضي الله عنه من أهم أحاديث وأدلة الباب (باب الولاء والبراء)، في تحرير أحكامه، أو في ضرورة الإجابة عليه (عند من يعترض على دلالته).

ومع ذلك لم يذكره أحد قبلي من المعاصرين ممن ألف في الولاء والبراء أو تعرض له، ولا ذكره دعاة الدعوة النجدية في (الدرر السنية)!. ولا أظن ذلك إلا غفلة عنه.

وأحسب لو وقفوا عليه، وفهموا وجه دلالته، وعلاقته بتحرير هذا الباب، لوجب أن يذكروه، ولو اعتراضاً عليه، أو ادعاء أنه من المشتبهات، كما اعتدناه منهم في كثير مما يخالفهم فلا يجدون عليه جواباً!.

وهذا الفوات في حجج هذا الباب لهو من قرائن نقص التحرير، ومن أسباب انحسار القدرة المعرفية فيه"(١).

حقيقة هذه الدعوى:

هو تحديد مناط التكفير بالأعمال الظاهرة التي تخالف موجبات الولاء والبراء، وأن هذا الحديث يدل على أن مجرد الخروج مع المشركين لا يلزم منه التكفير.

الجواب عن هذه الدعوى:

---

(١) الولاء والبراء بين الغلو والجفا: ٨٧، وانظر: ١٧-١٨.

أولا: هذا الحديث ليس في سهيل بن بيضاء، وإنما في أخوه سهل رضي الله عنهما، يقول الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "سهيل بن بيضاء": هو سهيل بن وهب بن ربيعة، نسب إلى أمه "البيضاء"، وهي دعد بنت جحدم بن عمرو، وسهيل هذا من المهاجرين، شهد بدرا وأحداً، والخندق والمشاهد كلها، فوهم أحد الرواة، والصواب "سهل بن بيضاء" بفتح السين وسكون الهاء، وهو أخو سهيل لأبيه وأمه، قال ابن سعد: "أسلم بمكة وكتم إسلامه, فأخرجته قريش معها في نفير بدر، فشهد بدر، مع المشركين، فأسر يومئذ، فشهد له عبد الله بن مسعود أنه رآه يصلي بمكة، فخلى عنه. والذي روى هذه القصة في سهيل بن بيضاء قد أخطأ، سهيل ابن بيضاء أسلم قبل عبد الله بن مسعود، ولم يستخف بإسلامه، وهاجر إلى المدينة، وشهد بدرا مع رسول الله ﷺ مسلما، لا شك فيه، فغلط من روى ذلك الحديث ما بينه وبين أخيه، لأن سهيلاً أشهر من أخيه سهل. والقصة في سهل. وسيأتي على الصواب "سهل ابن بيضاء" في رواية جرير عن الأعمش ٣٦٣٤ "[١].

وقال القاسم بن سلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ المتوفى (٢٢٤هـ): " أما أهل المعرفة بالمغازي فإنهم يقولون: إنما هو سهل بن بيضاء أخو سهيل"[٢].

فأين التحقيق والتحرير الذي يدعيه الكاتب؟.

ثانيا: هذا الحديث مما اختلف في تصحيحه وتضعيفه، فقد رواه الإمام أحمد في مسنده،[٣]، والترمذي في سننه[٤]، وابن أبي شيبه في مسنده[٥]، والطبراني في المعجم الكبير[٦]،

---

(١) المسند بتحقيق الشيخ أحمد شاكر: ٥٢١/٣. وانظر: طبقات ابن سعد: ٢١٣/٤، والإصابة في تمييز الصحابة: ١٦٢/٣.

(٢) كتاب الأموال: ٣٠٦.

(٣) برقم: ٣٦٣٢، ٣٦٣٣، ٣٦٣٤.

(٤) أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة الأنفال، برقم: ٣٠٨٤.

(٥) في مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، برقم: ٣٦٦.

(٦) في مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، برقم: ١٠٢٥٨.

والحاكم في مستدركه[١]، والبيهقي في السنن الكبرى[٢]، وغيرهم.

قال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن! وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه". قال محمد أنور شاه الكشميري الهندي معلقا على قول الترمذي "هذا حديث حسن...": "حسّن الحديث مع أنه منقطع، وقد اشترط المصنف في كتاب العلل في الحديث الحسن الاتصال فعلم أنه لم يعتبره هاهنا، بل تمشى على حسنه بالمتابعات والشواهد"[٣].

وقال أبو نعيم: "هذا حديث غريب من حديث أبي عبيدة لم يروه عنه إلا عمرو بن مرة"[٤].

وقال الهيثمي: "ورواه أبو يعلى بنحوه، ورواه الطبراني أيضا، وفيه أبو عبيدة ولم يسمع من أبيه، ولكن رجاله ثقات... وفي رواية عند الطبراني... وهي متصلة، وفيها موسى بن مطير وهو ضعيف"[٥].

وقال الألباني: حديث ضعيف[٦].

وقال محققو المسند: " إسناده ضعيف لانقطاعه، أبو عبيدة –وهو ابن عبد الله بن مسعود–، لم يسمع من أبيه، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين."[٧]، و "موسى بن مطير كذبه يحيى بن معين، وقال أبو حاتم والساجي وجماعة: متروك، وقال الدارقطني: ضعيف، وقال ابن حبان: صاحب عجائب ومناكير لا يشك سامعها أنها موضوعة، فلا يفرح بهذه الطريق"[٨].

وما كان من الأحاديث بهذه الدرجة، فالتحرير والتحقيق يتعين معهما عدم الاحتجاج به

---

(١) كتاب المغازي والسرايا، برقم: ٤٣٠٤.

(٢) جماع أبواب تفريق القسم، باب ما جاء في مفاداة الرجال منهم بالمال، برقم: ١٢٨٤٤.

(٣) العرف الشذي شرح سنن الترمذي: ٢٤٥/٣.

(٤) حلية الأولياء: ٢٠٧/٤.

(٥) مجمع الزوائد: حلية الأولياء: ٨٧/٦.

(٦) ضعيف سنن الترمذي، برقم: ٣٠٨٤.

(٧) المسند: ١٤٠/٦.

(٨) المرجع السابق: ١٤١/٦.

بهذا الأسلوب الذي ينال فيه المستدل من غيره، ويظهر نفسه بمظهر الأول الذي لم يسبق إلى التنبيه عليه، فالذين لم يذكروا الحديث ممن صنف في الولاء والبراء قد يكون المانع لهم من ذكره علمهم بضعف الحديث فامتنعوا من إيراده؛ لأن التحقيق والتحرير يلزم معهما عدم الاستدلال بالحديث الضعيف - خصوصا في المسائل المهمة- على أنه أصلٌ غفل عنه الناس؛ لذا أعرضوا عنه، مع أن من أورده -كما سيأتي توضيحه- يورده إيراد أمثاله من الروايات التي يوردها أهل العلم، لا على أنها مما لم يسبقهم أحد إليه، بل على أنها مما ورد في الباب، وينبغي إيراده استتماما لبحث المسألة، ليس إلا.

ثالثا: حديث سهيل بن بيضاء[1] ﷺ، هو أنه كان مسلماً بمكة، يخفي إسلامه، ثم إنه خرج مع المشركين ببدر، ووقع في الأسر. فقال النبي ﷺ: «لا ينفلتن منهم أحد إلا بفداء أو ضربة عنق».

فقال ابن مسعود ﷺ: «يا رسول الله، إلا سهيل بن بيضاء، فإني قد سمعته يذكر الإسلام، فقال ﷺ -بعد سكتة-: «إلا سهيل بن بيضاء».

رابعا: أن هذا الحديث فيه الدلالة على أن من أسلم قبل الظفر به؛ فإنه يعصم ماله ودمه، ونصوص الفقهاء في تقرير ذلك كثيرة.

وأصل المسألة (من أسلم من الكفار قبل أسره) موجود في كتب أئمة الدعوة ومعروف لديهم، ولا يلزم الاستدلال لها بكل حديث، فقد جاء في الدرر السنية ما نصه:

"ويكفي في ذلك ما روى أحمد والترمذي وحسنه، وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه، عن ابن مسعود قال: لما كان يوم بدر، جيء بالأسرى وفيهم العباس، فقال رسول الله ﷺ: «ما ترون في هؤلاء الأسرى؟»، فقال أبو بكر: يا رسول الله! قومك وأهلك، استبقهم لعل الله أن يتوب عليهم – وفي حديث أنس عند أحمد: نرى أن تعفو عنهم، وتقبل منهم الفداء، وفي حديث ابن مسعود – فقال عمر: يا رسول الله! كذبوك وأخرجوك وقاتلوك! قدمهم

(١) ذكرت سهيلا ولم أذكر سهلا، إلتزاما بما ورد عند الكاتب وفي بعض الروايات كذلك.

فأضرب أعناقهم.

فدخل النبي ﷺ ولم يرد عليهم شيئاً، فخرج رسول الله ﷺ وقال: «يا أبا بكر مثلك مثل إبراهيم ﵇، قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، ومثلك يا عمر كمثل نوح ﵇، قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، أنتم عالة، فلا ينفلتن أحد منكم إلا بفداء أو ضرب عنق، فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾... الآيتين [الأنفال: ٦٧]»"[1].

خامسا: أن الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر هذا الحديث في مختصره للإنصاف والشرح الكبير في كتاب الجهاد، حيث قال: "ولا يجوز لمن أسر أسيراً أن يقتله حتى يأتي به الإمام فيرى فيه رأيه، فإن خافه أو خاف هربه أو امتنع من الانقياد معه بالضرب، فله قتله.

فأما أسير غيره، فلا يجوز قتله، إلا أن يصير إلى حال يجوز فعله لمن أسره. فإن قتل أسيره أو أسير غيره أساء، ولا ضمان عليه؛ وبه قال الشافعي.

وقال الأوزاعي: إن قتله قبل أن يأتي به الإمام ضمنه. ولنا: قصة بلال هو وعبد الرحمن.

فإن قتل صبياً أو امرأة ضمن، لأنه صار رقيقا بالسبي. وإن ادعى الأسير الإسلام، لم يقبل إلا ببينة، فإن شهد معه واحد وحلف خلي. وقال الشافعي لا يقبل إلا بشهادة عدلين. ولنا: حديث ابن مسعود أنه ﷺ قال يوم بدر: «لا يبقى منهم أحد إلا أن يفدى، أو تضرب عنقه». فقال ابن مسعود: إلا سهيل بن بيضاء، فإني سمعته يذكر الإسلام، فقال: «إلا سهيل».

والأسارى من المجوس وأهل الكتاب الذين يقرون بالجزية، يخير الإمام فيهم بين القتل والمن بغير عوض والمفاداة والاسترقاق، وعن مالك كمذهبنا.

وعنه: لا يجوز المن بغير عوض. وحكى عن الحسن وعطاء وسعيد بن جبير كراهية قتل الأسرى، وقال: منّ عليه أو فاداه كما فعل بأسارى بدر، ولأن الله تعالى قال: ﴿فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا

---

(١) الدرر السنية: ٨/١٥٦-١٥٧. وانظر: الكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة لا إله إلا الله ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية: ٤/٨٥٠.

﴿ فِدَآءً ﴾ [محمد: ٤]، وقال أصحاب الرأي: إن شاء قتلهم وإن شاء استرقّهم لا غير، لقوله: ﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [التوبة: ٥]، بعد قوله: ﴿ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ [محمد: ٤].

ولنا: على جواز المن والفداء الآية المذكورة، (ومنّه ﷺ على ثمامة وأبي عزة الشاعر)، وقال في أسارى بدر: «لو كان المطعم بن عدي حيا ثم سألني هؤلاء النتنى، لأطلقتهم له»، (وفادى أسارى بدر وغيرهم)"[١].

وهذا يدل على معرفتهم بالحديث، خلافا لما قاله د. حاتم الشريف.

سادسا: أن الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ موافق لما قاله العلماء في هذه المسألة، قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لو أسلم قبل أسره والظفر به، عُصِم دمه وماله، سواء أسلم وهو محصور وقد قرب الفتح، أو أسلم في حال أمنه، و سواء أسلم في دار الحرب أو الإسلام"[٢].

وقال منصور البهوتي[٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "من أسلم من الكفار قبل أسره -ولو كان إسلامه لخوف- فكمسلم أصلي لعموم «فإذا قالوها عصموا مني دماءهم»[٤]... الحديث"[٥].

وفي حاشية الرملي[٦] الكبير من الشافعية: "لو ادعى الإسلام واحد من الكفار قبل أسره، وأقام به شاهداً وامرأتين فإنه يكفيه"[٧].

---

(١) مؤلفات الشيخ: ٢/٣٣٦.

(٢) روضة الطالبين: ١٠/٢٥٢.

(٣) منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى، شيخ الحنابلة بمصر في عصره. نسبته إلى (بهوت) في غربية مصر. له كتب، منها: الروض المربع شرح زاد المستقنع، وكشاف القناع عن متن الإقناع للحجاوى، وغيرها، توفي عام ١٠٥١هـ. انظر: النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل: ٢١٠، السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة: ٣/١١٣١.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفتن،باب الكف عمن قال: لا إله إلا الله، برقم: ٣٩٢٧.

(٥) دقائق أولي النهى لشرح المنتهى: ١/٦٢٦.

(٦) محمد بن أحمد بن حمزة، شمس الدين الرملي نسبته إلى الرملة (من قرى المنوفية بمصر)، فقيه الديار المصرية في عصره، ومرجعها في الفتوى، يقال له: الشافعي الصغير. وصنف شروحا وحواشي كثيرة، منها: غاية البيان في شرح زبد ابن رسلان، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، وغيرها، توفي عام ١٠٠٤هـ. انظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: ٣/٣٤٢.

(٧) حاشية الرملي الكبير على أسنى المطالب في شرح روض الطالب: ٤/٣٦٠. وانظر: الشرح الكبير على متن المقنع:

سابعا: قول د. حاتم الشريف عن سبب عدم ذكر أئمة الدعوة لهذا الحديث – حسب زعمه–: " ولا أظن ذلك إلا غفلة عنه"، " وهذا الفوات في حجج هذا الباب لهو من قرائن نقص التحرير، ومن أسباب انحسار القدرة المعرفية فيه".

فهو طعن في أئمة الدعوة ونقص تحريرهم للمسائل، مع أن عدم ورود الحديث في موضع من مؤلفات أئمة الدعوة لا يدل على عدم معرفتهم به، وسبق بيان معرفتهم به وذكرهم له.

ثامنا: قوله عن حديث سهيل بن بيضاء: " ولا ذكره دعاة الدعوة النجدية في (الدرر السنية)!".

كتاب الدرر السنية الذي ذكره الكاتب وبزعمه أن عدم ورد الحديث فيه نقص في التحرير ... لم يشمل جميع ما كتابه أئمة الدعوة، فلا أدري هل غاب هذا الأمر عن د. حاتم الشريف أو نقص في التحرير!.

فقد ذكر الشيخ عبد الرحمن بن قاسم[(١)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ –وهو من قام بجمع الكتاب – في مقدمته عدد من التنبيهات، وذكر في التنبيه الرابع، المادة التي جمعها في هذا الكتاب والتي تدل على أنه لم يجمع جميع كتب ومؤلفات أئمة الدعوة في كتابه، حيث قال:

"التنبيه الرابع: إني لم أتعرض إلا لفتاوى، ورسائل، وردود أهل هذه الدعوة، ولم أثبت من الردود في هذا المجموع، إلا ما كان مختصراً، نحو الكراستين فأقل; وأما الردود الكبار: فهي متداولة، مستقلة على حدتها، مستغنية عن إثباتها في هذا المجموع، كما أني لم أثبت ما كان مشهورا متداولا، ككتاب التوحيد، وكتاب كشف الشبهات، وفضائل الإسلام، وغيرها مما شهرته كافية"[(٢)].

تاسعا: هب أن الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يذكر هذا الحديث؛ فهل ادعى

١٠/٤١١، وكتاب الفروع: ١٠/٢٦١، وكفاية الأخيار في حل غاية الإختصار: ٥١، وغيرها من كتب الفقه.

(١) عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني، فقيه حنبلي، له من المصنفات: أصول الأحكام وشرحه إحكام الأحكام، وحاشية على الروض المربع شرح زاد المستقنع، وجمع الدرر السنية في الأجوبة النجدية، وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، وغيرها. توفي ١٣٩٢هـ. انظر: مقدمة حاشية الروض المربع: ٣/١، والشيخ عبدالرحمن بن قاسم حياته وسيرته ومؤلفاته لحفيده عبدالملك القاسم.

(٢) الدرر السنية: ١/٢٥.

أحد من أهل العلم أنه يعلم جميع أحاديث النبي ﷺ، وهل نسب لأحد من أهل العلم أنه يعلم جميع الأحاديث، وعلى فرض وجود ذلك، فهل قال أحد من أهل العلم أنه معصوم؟ أو ادعى أنه معصوم؟!

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان أنه لا يحيط بعلم السنة أحد: " لا نعلم رجلاً جمع السنن فلم يذهب منها عليه شيءٌ. فإذا جُمع علم عامة أهل العلم بها أتى على السنن، وإذا فُرّق علم كل واحد منهم ذهب عليه الشيء منها، ثم ما كان ذهب عليه منها موجوداً عند غيره.

وهم في العلم طبقات منهم الجامع لأكثره، وإن ذهب عليه بعضه، ومنهم الجامع لأقلَّ مما جمع غيره.

وليس قليلُ ما ذهب من السنن على من جمع أكثرَها: دليلاً على أن يُطلب علمه عند غير طبقته من أهل العلم، بل يُطلب عن نظرائه ما ذهب عليه حتى يؤتى على جميع سنن رسول الله – بأبي هو وأمي – فيتفرَّد جملة العلماء بجمعها، وهم درجات فيما وَعَوا منها"(١).

ولذا؛ فقد ألف أهل العلم كتباً في بيان رفع الملام عن الأئمة الأعلام، وذكروا من الأعذار: الخطأ، وعدم الإحاطة بجميع الأدلة.. إلى غير ذلك(٢).

عاشرا: أن العبرة في الأحكام بالنصوص الواردة في الكتاب والسنة، وكل يؤخذ من قوله ويرد، وقد اتفق الأئمة الأربعة على أنه إذا صح الحديث فهو مذهبهم، وبهذا قال الإمام محمد ابن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه أني إن أتاني منكم كلمة من الحق لأقبلنها على الرأس والعين، ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي، حاشا رسول الله فإنه لا يقول إلا الحق"(٣).

---

(١) الرسالة: ٤٢-٤٣.

(٢) انظر: رفع الملام عن الأئمة الأعلام، لابن تيمية، واختلاف العلماء، للمروزي، وأسباب اختلاف الفقهاء، للتركي، والإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أدت للاختلاف، للبطليوسي، والإنصاف في بيان أسباب الاختلاف، لولي الله الدهلوي.. وغيرها.

(٣) المرجع السابق: ١/٣٧-٣٨.

المطلب السادس: دعوى أن دعوة الإمام توالي وتعادي على عقيدة الإمام

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى أن دعوة الإمام توالي وتعادي على عقيدة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فمن وافقها، كان له الولاء، ومن خالفها كان حقه البراء.

يقول رول مبير: "والمصدر الثاني للتوتر الذي ظهر على السطح وأعطى تفسيراً فاعلاً أكثر من غيره هو العقيدة التي تنظم العلاقة بين مجتمع المؤمنين واللامؤمنين الأجانب / غير المؤمنين. وإسهام الوهابية للسلفية يقع في تقوية الوهابية موقف بغضاء الغرباء نحو الأجانب وطائفيتها نحو المسلمين غير الوهابيين، وعلى أساس مبدأ الولاء والبراء دُعي المسلمون إلى النأي بأنفسهم والابتعاد عن المسلمين غير الوهابيين الذين لا يتقيدون بالوهابية. فالمؤمن الحق لا يستطيع إلا أن يعبر فقط عن اعتقاده وإخلاص إيمانه بالبيان العملي العلني للعداوة نحو "الوثنيين".

وسبق أن وجد في كراسات القرن التاسع عشر شجباً للسفر إلى بلاد المشركين، ولمصادقتهم والتحول إلى "فاسد" يبذل الولاء لهم"(١).

ويقول بدر الإبراهيم ومحمد الصادق: "منذ التأسيس، قدمت الدولة الوهابية السلفية هوية لها، وهذه الهوية صنعت الإشكال المتعلق بغياب الحس الوطني والفشل في إيجاد رابطة وطنية بين الناس، ويمكن الحديث عن إشكالية الهوية في الدولة السعودية بالعودة إلى المكونين الرئيسين للعقيدة الوجدانية اللذين يفترض توفرهما لإيجاد حالة ولاء من المواطنين لها: التاريخ المشترك والمصلحة المشتركة.

لا يمكن للوهابية السلفية أن تغذي ذاكرة جماعية تقوم بتوليد هوية مشتركة لعموم المواطنين؛ لأن الوهابية تمثل هوية خاصة بفئة معينة، وهي تقوم بعمل تقسيمي لتعيد الناس إلى

---

(١) السلفية العالمية: ٢٥-٢٦.

هوياتهم الخاصة المقابلة لهذه الهوية، وهكذا فإنها تعمل بوصفها هوية طاردة لا هوية جامعة"[١].

حقيقة هذه الدعوى:

لما كانت عقيدة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ هي عقيدة أهل السنة والجماعة في مسائل الولاء والبراء، وكانت تطبق هذا الأمر عمليا، أراد المناوئون التحذير منها والتنفير عنها؛ فلم يجدوا لذلك إلا أن قالوا إن أتباع الإمام محمد بن عبدالوهاب يوالون ويعادون على عقيدته، ويريدون بذلك تشبيه دعوة الإمام بالدعوات والمناهج المخالفة التي توالي وتعادي على دعواتها ومناهجها[٢].

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: أن عقيدة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الولاء والبراء هي عقيدة أهل السنة والجماعة، كما سبق بيان ذلك في المبحث الثاني من هذا الفصل، وفيها أن الأصل في الولاء والبراء على التوحيد والإيمان والكفر والشرك، فالولاء للإيمان وأهله، والبراءة من الشرك وأهله، وليس فيها في أي موضع أن الولاء والبراء على عقيدة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثانيا: أن الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ قرر قاعدة الولاء والبراء في دعوته التي هي تجديد لدعوة محمد ﷺ، وليس في هذه القاعدة إلا الولاء للتوحيد وأهله والبراء من الشرك وأهله حيث قال: "أصل دين الإسلام وقاعدته: أمران؛ الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك، والموالاة فيه، وتكفير من تركه. الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفير من فعله"[٣].

ثالثا: أن الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعى المسلمين للتمسك بهذا الأصل الولاء للتوحيد وأهله والبراء من الشرك وأهله، ولم يذكر فيها أبداً الولاء لدعوته والبراء من مخالفها،

---

(١) الحراك الشيعي في السعودية: ١٣-١٤. وانظر: مباحث في العذر بالجهل وإقامة الحجة: ١٤٣، ١٨١.

(٢) حزب التحرير يحمل مشروع الخلافة الثانية ملتزمًا مفهوم الولاء والبراء على بصيرة، مجلة الوعي، العدد (٣٦٦-٣٦٧).

(٣) الدرر السنية: ٢٢/٢.

فقال: " الله الله يا إخواني تمسكوا بأصل دينكم، وأوله وآخره وأسه ورأسه: شهادة أن لا إله إلا الله.. واعرفوا معناها، وأحبوها وأحبوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم، ولو كانوا بعيدين، واكفروا بالطواغيت وعادوهم وابغضوهم، وابغضوا من أحبهم أو جادل عنهم أو لم يكفرهم أو قال ما علي منهم أو قال ما كلفني الله بهم، فقد كذب هذا على الله وافترى، فقد كلفه الله بهم وافترض عليه الكفر بهم والبراءة منهم..فالله الله، تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئاً، اللهم توفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين"(١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "صفة الكفر بالطاغوت: أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها، وتبغضها، وتكفر أهلها وتعاديهم"(٢).

فجعل رَحِمَهُ ٱللَّهُ الولاء والبراء على التوحيد الذي هو دين المرسلين، وأن يوالى الموحدون ولو كانوا بعيدين، وأن يعادى المشركون ولو كانوا قريبين.

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جواب له عن الولاء والبراء: "اعلم – أيدك الله بتوفيقه– أن أوثق عرى الإيمان: الحب في الله والبغض في الله، وأن الله افترض على المؤمنين عداوة المشركين، من الكفار والمنافقين، وجفاة الأعراب، الذين يعرفون بالنفاق، ولا يؤمنون بالله ورسوله ﷺ، وأن الله أمرهم بجهادهم، والإغلاظ عليهم بالقول والفعل، وتوعدهم الله باللعن والقتل بقوله: ﴿ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٦١]، وقطع الموالاة بين المؤمنين وبينهم، وأخبر أن من تولاهم فهو منهم، وكيف يدعي رجل محبة الله، وهو يحب أعداءه الذين ظاهروا الشياطين على عدوانهم، واتخذوهم أولياء من دون الله؟

كما قيل:

تحب عدوي ثم تزعم أنني صديقك إن الود عنك لعازب(٣)

وبالجملة: فالحب في الله، والبغض في الله أصل عظيم من أصول الإيمان، يجب على العبد

---

(١) مؤلفات الشيخ: ٣٦٨/١.

(٢) المرجع نفسه: ٣٧٦/١.

(٣) محاضرات الأدباء: .

مراعاته، ولهذا جاء في الحديث: «أوثق عرى الإيمان، الحب في الله، والبغض في الله»[(١)]"[(٢)].

رابعا: أن الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين منهم أعداوه، والذين يتحقق البراء منهم، ولم يذكر منهم من خالف عقيدته ودعوته، فقال: " أعداؤنا معنا على أنواع:

النوع الأول: من عرف أن التوحيد دين الله ورسوله، الذي أظهرناه للناس، وأقر أيضا أن هذه الاعتقادات في الحجر، والشجر، والبشر، الذي هو دين غالب الناس، أنه الشرك بالله، الذي بعث الله رسوله ﷺ ينهى عنه، ويقاتل أهله، ليكون الدين كله لله، ومع ذلك لم يلتفت إلى التوحيد، ولا تعلمه، ولا دخل فيه، ولا ترك الشرك، فهو كافر، نقاتله بكفره؛ لأنه عرف دين الرسول فلم يتبعه، وعرف الشرك فلم يتركه، مع أنه لا يبغض دين الرسول، ولا من دخل فيه، ولا يمدح الشرك، ولا يزينه للناس.

النوع الثاني: من عرف ذلك، ولكنه تبين في سب دين الرسول، مع ادعائه أنه عامل به، وتبين في مدح من عبد يوسف، والأشقر، ومن عبد أبا علي، والخضر من أهل الكويت، وفضلهم على من وحد الله، وترك الشرك، فهذا أعظم من الأول، وفيه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]، وهو ممن قال الله فيه: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢﴾ [التوبة: ١٢].

النوع الثالث: من عرف التوحيد، وأحبه، واتبعه، وعرف الشرك، وتركه، ولكن يكره من دخل في التوحيد، ويحب من بقي على الشرك، فهذا أيضا: كافر، فيه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٩﴾ [محمد: ٩].

النوع الرابع: من سلم من هذا كله، ولكن أهل بلده يصرحون بعداوة أهل التوحيد، واتباع أهل الشرك، وساعين في قتالهم، ويتعذر أن ترك وطنه يشق عليه، فيقاتل أهل التوحيد مع أهل بلده، ويجاهد بماله، ونفسه، فهذا أيضا كافر; فإنهم لو يأمرونه بترك صوم رمضان، ولا يمكنه

---

(١) سبق تخريجه: ٤٩٥.

(٢) الدرر السنية: ١٤٤/٨.

الصيام إلا بفراقهم، فعل; ولو يأمرونه بتزوج امرأة أبيه، ولا يمكنه ذلك إلا بفراقهم، فعل، وموافقتهم على الجهاد معهم، بنفسه وماله، مع أنهم يريدون بذلك قطع دين الله ورسوله أكبر من ذلك بكثير، كثير; فهذا أيضا: كافر، وهو ممن قال الله فيهم: ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾ [النساء: ٩١]. فهذا الذي نقول"[١].

فهذا كلام الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان من هم أعداءه، وأنهم كلهم ممن خالف التوحيد، ولم يذكر في موضع واحد أنه من خالف عقيدته؛ بل إنه يطالب أن يرد عليه إذا خالف الحق.

وقد كان ﷺ يبايع أصحابه على مفارقة المشركين، فعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو يبايع فقلت: يا رسول الله، أبسط يدك حتى أبايعك، واشترط عليّ وأنت أعلم، فقال: «أبايعك على أن تعبد الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتناصح المسلمين، وتفارق المشركين»[٢].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما لما سأل الرسول ﷺ عن آيات الإسلام، فقال الرسول ﷺ: «أن تقول أسلمت وجهي لله عز وجل وتخليت[٣]، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، ثم قال: كل مسلم على مسلم حرام أخوان نصيران، لا يقبل الله عز وجل من مشرك بعد ما أسلم عملاً أو يفارق المشركين إلى المسلمين»[٤].

فعلّق المفارقة بوصفهم بالمشركين، ونفوس المسلمين مجبولة على بغضهم[٥]، وهو مقتضى البراء منهم، كما أن نصح المسلمين ونصرتهم من مقتضى الولاء لهم. فحب المؤمنين وبغض

---

(١) الدرر السنية: ١/١٠٢-١٠٤.

(٢) سنن النسائي، كتاب البيعة، باب البيعة على فراق المشرك، برقم: ٤١٧٧. وانظر: صحيح سنن النسائي، برقم: ٤١٧٧.

(٣) التخلي: التفرغ. أراد التبعد من الشرك وعقد القلب على الإيمان. انظر: حاشية السندي على سنن النسائي: ٥/٥.

(٤) مسند الإمام أحمد، برقم: ٢٠٠٤٤. وقال محققو الكتاب: إسناده حسن.

(٥) انظر: منح الجليل شرح مختصر خليل: ٣/١٥٠، وقواعد الأحكام في مصالح الأنام: ٧٢.

الكافرين من المأمورات الشرعية[١]، فيجب على كل مسلم أن يبغض في الله من يكفر به[٢]، فالولاء والبراء معلق بالإيمان والكفر؛ وليس بعقيدة فلان أو فلان. ثم إذا عرف الرجل بالتوحيد والسنة والدعوة إليهما فإن من يبغضه ويعاديه علامة على نفاقه وزندقته.

قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إذا رأيت الرجل يغمز حماد بن سلمة فاتهمه على الإسلام؛ فإنه كان شديداً على المبتدعة"[٣].

قال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر حب الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: " وإذا رأيت الرجل يحب أيوب وابن عون وابن إدريس الأودي والشعبي...- وذكر جماعة من الفضلاء- فاعلم أنه صاحب سنة".

وقال أيضاً: "وإذا رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل والحجاج بن المنهال وأحمد بن نصر وذكرهم بخير، وقال قولهم؛ فاعلم أنه صاحب سنة"[٤].

وقال عقبة بن علقمة[٥] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "كنت عند أرطأة بن المنذر، فقال بعض أهل المجلس: ما تقولون في الرجل يجالس أهل السنة ويخالطهم، فإذا ذكر أهل البدع قال: دعونا من ذكرهم لا تذكروهم! قال: يقول أرطأة: هو منهم لا يلبّس عليكم أمره. قال: فأنكرت ذلك من قول أرطأة، قال فقدمت على الأوزاعي- وكان كشّافا لهذه الأشياء إذا بلغته- فقال: صدق أرطأة، والقول ما قال، هذا ينهي عن ذكرهم ومتى يحذروا إذا لم يشاد بذكرهم"[٦].

وهذه بعض النقول عن بعض علماء المسلمين قبل الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حتى لا يقول قائل، أو يظن أن هذه الأقوال وأمثالها خاصة بالإمام ودعوته.

---

(١) انظر: الفروق للقرافي، ٢٠١/١.

(٢) انظر: المدخل لابن الحاج: ٤٧/٢.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٤٥٠/٧. وانظر: تاريخ بغداد: ٤٢٠/٤، وتاريخ دمشق: ٣٢٢/٥.

(٤) شرح السنة: ١١٧-١١٨.

(٥) عقبة بن علقمة بن حديج المعافري البيروتي، روى عن الأوزاعي، وإسماعيل بن عياش، ويونس بن يزيد، وأرطأة بن المنذر وغيرهم. توفي عام ٢٠٤هـ. انظر: تاريخ دمشق: ٥٠٣/٤٠، وتهذيب التهذيب: ٢٤٦/٧.

(٦) تاريخ دمشق: شرح السنة: ١٥/٨. وانظر: الإبانة الكبرى: ٤٧٩/٢.

قال القاضي عياض[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أن كل مقالة صرحت بنفي الربوبية، أو الوحدانية، أو عبادة أحد غير الله أو مع الله فهي كفر"[٢]. وقال أيضا: " ولهذا نكفر من لم يكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل.. أو وقف فيهم، أو شك، أو صحح مذهبهم.. وإن أظهر مع ذلك الإسلام واعتقده واعتقد إبطال كل مذهب سواه.. فهو كافر بإظهاره ما أظهر من خلاف ذلك"[٣].

وقال المقريزي[٤] رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن زيارة القبورة، وأنها: "على ثلاثة أقسام:

قوم يزورون الموتى فيدعون لهم. وهذه هي الزيارة الشرعية.

وقوم يزورونهم يدعون بهم، فهؤلاء هم المشركون في الألوهية والمحبة.

وقوم يزورونهم فيدعونهم أنفسهم، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد»[٥]، وهؤلاء هم المشركون في الربوبية"[٦].

وقال الجصاص[٧] رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب المسلم يقيم في دار الحرب فيقتل قبل أن يهاجر إلينا:

---

(١) عياض بن موسى بن عياض اليحصبي المالكي، المشهور بالقاضي، من أئمة المالكية وعلمائهم، كان إمام زمانه في الحديث وعلومه والنحو وكلام العرب، وله شعر حسن، له تصانيف نافعة تدل على غزارة علمه منها: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، الإكمال في شرح صحيح مسلم، توفي عام ٥٤٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: ٢١٢/٢٠، شجرة النور الزكية: ١٤٠.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ٦٠٤/٢.

(٣) المرجع السابق: ٦١٠/٢.

(٤) أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد، أبو العباس المقريزي، الحنفي ثم الشافعي، تفقه وبرع، ونظر في عدة فنون، وأولع بالتاريخ فجمع منه شيئا كثيرا، له مصنفات عديدة منها: الواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ويعرف بخطط المقريزي، وله تجريد التوحيد المفيد، توفي عام ٨٤٥ هـ. انظر: شذرات الذهب: ٢٥٤/٧، والضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي: ٢١/٢.

(٥) موطأ الإمام مالك، كتاب قصر الصلاة في السفر، باب جامع الصلاة، برقم: ٨٥. وهو في المسند برقم: ٧٣٥٨، دون لفظة "يعبد". وقال محققو المسند: إسناده قوي. وصححه الألباني في تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد: ٢٤.

(٦) تجريد التوحيد المفيد: ٢٠.

(٧) أحمد بن علي المكني بأبي بكر الرازي الجصاص الحنفي. كان زاهدًا ورعًا جمع إلى العلم الصلاح والتقوى. وكان جادًا في طلب العلم، حتى صار إمام الحنفية في عصره ببغداد. له مؤلفات عدة منها: الفصول في الأصول الشهير بأصول

"وقال الحسن بن صالح: من أقام في أرض العدو وإن انتحل الإسلام وهو يقدر على التحويل إلى المسلمين فأحكامه أحكام المشركين، وإذا أسلم الحربي فأقام ببلادهم وهو يقدر على الخروج فليس بمسلم يحكم فيه بما يحكم على أهل الحرب في ماله ونفسه، وقال الحسن: إذا لحق الرجل بدار الحرب ولم يرتد عن الإسلام فهو مرتد بتركه دار الإسلام"(١).

وقال الونشريسي(٢) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأما مقتحموا نقيضه -أي الجهاد- بمعاونة أوليائهم على المسلمين؛ إما بالنفوس وإما بالأموال فيصيرون حينئذ حربيين مع المشركين، وحسبك من هذا مناقضة وضلالا"(٣).

وسئل أبو العباس بن زكري(٤) رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن قبائل المغرب الأقصى امتزجت أمورهم مع النصارى وصارت بينهم محبة، حتى إن المسلمين إذا أرادوا الغزو أخبر هؤلاء القبائل النصارى، فلا يجدهم المسلمون إلا متحذرين، وربما قاتلوا مع النصارى.

فأجاب: "ما وصف به القوم المذكورون يوجب قتلهم كالكفار الذين تولهم، ومن يتول الكفار فهو منهم"(٥).

خامسا: قول رول مبير: "وإسهام الوهابية للسلفية يقع في تقوية الوهابية موقف بغضاء الغرباء نحو الأجانب وطائفيتها نحو المسلمين غير الوهابيين، وعلى أساس مبدأ الولاء والبراء

الجصاص، وأحكام القرآن، وشرح مختصر الطحاوي، وغيرها. توفي عام ٣٧٠هـ. انظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية: ٨٤/١، وشذرات الذهب: ٧١/٣.

(١) أحكام القرآن: ٣١٦/٣.

(٢) أحمد بن يحيى بن محمد الونشريسي التلمساني، حامل لواء المذهب المالكي بالديار الإفريقية على رأس المائة التاسعة، له مؤلفات عديدة منها: المعيار المعرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، وإيضاح المسالك إلى قواعد مالك، والولايات، وغيرها، توفي عام ٩١٤هـ. انظر: شجرة النور الزكية: ٢٧٤/١، وفهرس الفهارس: ١١٢٢/٢.

(٣) النوازل الكبرى: ٩٤/١-٩٩.

(٤) أحمد بن محمد بن زكري التلمساني، ويلقب بشيخ الإسلام، وبالحافظ، عالم كبير من علماء تلمسان ومدرسيها المشهورين، له مؤلفات عدة، منها: تاليف في مسائل القضاء والفتيا، كتاب القواعد في أصول الفقه. توفي عام ٨٩٩هـ. انظر: تاريخ الجزائر الثقافي: ٨٥/١، شجرة النور الزكية: ٢٦٧/١.

(٥) النوازل الصغرى: ٤١٩/١. وانظر: النوازل الكبرى: ٧٨/٣-٨١.

دُعي المسلمون إلى النأي بأنفسهم والابتعاد عن المسلمين غير الوهابيين الذين لا يتقيدون بالوهابية..."

أن على مدعي هذه الدعوى البينة، فإن كان ناقلا فالصحة، وإن كان مدعيا فالدليل[١]؛ فإنه لم ينقل عن أحد من أئمة الدعوة هذا القول وأن الولاء والبراء على عقيدة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ – مع موافقة عقيدة الإمام لعقيدة السلف–، وأين مصدر هذا الكلام، وكلام أئمة الدعوة في هذا مشهور، وأن الولاء والبراء على ما تقتضيه الشريعة.

ثم إن كانت دعوة الإمام تدعو للولاء والبراء على عقيدتها، وهي إنما تدعو إلى عقيدة أهل السنة والجماعة، فلا يضر إن قيل إنها تدعو لعقيدة الوهابية فإن العبرة بالحقائق والمعاني، قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إن كان رفضًا حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي[٢].

سادسا: قول بدر الإبراهيم ومحمد الصادق: " قدمت الدولة الوهابية السلفية هوية لها، وهذه الهوية صنعت الإشكال المتعلق بغياب الحس الوطني والفشل في إيجاد رابطة وطنية بين الناس".

فالسؤال: ما الهوية التي قدمتها دعوة الإمام؟ هل هوية حق أو باطل؟ فإن كانت هوية حق قبلت، وإن كانت هوية باطل، فما الباطل حتى ترد؟؛ لكن المناوئ يعجز عن ذلك!

ثم ما المقصود بالناس الذين ذكرهم الكاتب؟ أهم المسلمون، أم الكافرون، أم المبتدعون، حتى يتم التعامل معهم وفق ما تقتضيه الشرعية.

سابعا: قولهما عن "المكونين الرئيسين للعقيدة الوجدانية اللذين يفترض توفرهما لإيجاد حالة ولاء من المواطنين لها: التاريخ المشترك والمصلحة المشتركة".

فهذان المكونان: التاريخ المشترك والمصلحة المشتركة لم يأت بهما كتاب ولا سنة، وهذا ما يريده هؤلاء يحين يحذرون من عقيدة الإمام محمد بن عبدالوهاب ودعوته، فهم يريدون أن يوالوا

---

(١) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال: ٣٦٨، ٣٨١.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: ١/٢٩٩، ومناقب الشافعي: ٢/٧٢.

أعداء الله من أهل البدع المكفرة والشرك. وعقيدة الإمام محمد بن عبدالوهاب ودعوته تخالفهم في ذلك فهي تقوم على الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين والبراء من الشرك وأهله.

ثامنا: قولهما عن عقيدة الإمام محمد بن عبدالوهاب ودعوته "فإنها تعمل بوصفها هوية طاردة لا هوية جامعة".

فهذا غير صحيح؛ فإن كل من يدعو لكتاب وسنة رسوله ﷺ فإنه هوية جامعة على الحق، أما من يدعو لغير الكتاب والسنة؛ فإنهم أحزاب وشيع، ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٣]، ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾ [الروم: ٣٢].

المطلب السابع: دعوى أن دعوة الإمام توالي وتعادي دون ضوابط

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى أن دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ توالي وتعادي، دون ضوابط.

يقول محمد يوسف بلال: "وإذا كان الولاء والبراء لدى أهل السنة له ضوابطه فإن السلفية الوهابية لا يعقدون ولاءً إلا لأربابهم، والبراء لديهم يكون من سائر المسلمين المخالفين لهم أولاً!"[١].

ويقول رول مبير : "من المثير للاهتمام أن نرى أن ابن تيمية بدلاً من اتباع أسلافه الحنابلة بشجب مفهوم الولاء والبراء بصفته بدعة، يستخدم في الواقع المفهوم وسيلة لمقاتلة البدع. وبتحويل الولاء والبراء إلى أداة تحافظ على المسلمين بعيداً عن الممارسات غير الإسلامية، يطبق ابن تيمية هذا المفهوم ضد البدع الدينية بدلاً من رؤية المفهوم نفسه بوصفه بدعة. وهذا الرأي الإيجابي بالولاء والبراء تعزز بكتابات لاحقة في هذا الموضوع كتبها علماء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وخصوصاً ذرية المصلح الحنبلي المؤثر محمد بن عبدالوهاب (١٧٠٣-١٧٩٢). وكان أحد أهم هذه السلالة هو حفيده، سليمان بن عبدالله آل الشيخ (١٧٨٦-١٨١٨).

يأخذ سليمان تطوير الولاء والبراء خطوة أبعد وذلك باستخدامه لهذا المفهوم لا مجرد وسيلة لمحاربة البدع ولكن بصفته أداة ضد الكفر، وذلك لأن البدعة الدينية لا تخرج الشخص المذنب بها بالضرورة من الإسلام، ولكن كون الشخص غير مؤمن، أي كافر، يجعله كذلك، وهذا يعني أن سليمان يزيد قيمة الولاء والبراء. وفي كتابات ابن تيمية ما زلنا نستطيع أن نرى الولاء والبراء صفات للمسلمين الصالحين فقط. ويصور سليمان، من الناحية الأخرى، الولاء والبراء بوصفهما اختبار المصداقية للاعتقاد الصحيح لكل المسلمين. وهو يقرر "أوثق عرى الإيمان هي الحب في الله، والبغضاء في الله" ويأمر المؤمنين أن "يقطعوا الموالاة بين المؤمنين

---

(١) عقائد الإلحاد الوثنية: ٥١، وانظر: ٨٠-٨١.

وبينهم" (غير المسلمين). ويزيد سليمان على ذلك فيذكر أن الحب، والبغضاء، والعداوة والموالاة -وهي كلها كلمات يمكن النظر إليها بوصفها مترادفات للولاء والبراء- هي أجزاء من الدين لابد منها وأن الواجب على المسلمين أن يعطوا ولاءهم حصرياً لله تعالى، وإلا فليس له نصيب في الإسلام.

فإذا أعطى المسلمون ولاءهم لشخص ما أو لشيء ما غير الله تعالى، فإنهم يعتبرون كفاراً. وليس هناك استثناءات لهذه القاعدة، وفق ما يقوله سليمان، ما عدا أولئك الذين أكرهوا على ارتكاب فعل من الكفر"(١).

حقيقة هذه الدعوى:

هذه الدعوى هي إتهام لدعوة الإمام بالموالاة والمعادة دون ضوابط، ودون معرفة لمراتب الولاء والبراء؛ حتى أدى بهم ذلك لتكفير من يخالف في هذه المسألة.

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: أن القول بأن أئمة الدعوة لم يجعلوا ضوابط وقيودا للولاء والبراء كلام غير صحيح؛ فإن أئمة الدعوة جعلوا الضوابط والقيود للولاء والبراء، وللتكفير بالموالاة، وحذروا من الخوض في هذا الموضوع بغير أدلةٍ يُستدلُ بها، ولا أصول يُنطلق منها.

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقد بلغنا عنكم نحو من هذا، وخضتم في مسائل من هذا الباب، كالكلام في الموالاة، والمعاداة، والمصالحة، والمكاتبات، وبذل الأمول، والهدايا، ونحو ذلك من مقالة أهل الشرك بالله، والضلالات، والحكم بغير ما أنزل الله عند البوادي، ونحوهم من الجفاة، لا يتكلم فيها إلا العلماء من ذوي الألباب، ومن رزق الفهم عن الله، وأوتي الحكمة، وفصل الخطاب. والكلام في هذا يتوقف على معرفة ما قدمناه، ومعرفة أصول عامة كلية لا يجوز الكلام في هذا الباب، وفي غيره لمن جهلها، وأعرض عنها، وعن

(١) السلفية العالمية: ١٢٨-١٢٩.وانظر: الدولة في الخطاب السلفي المعاصر: المرجعيات والأفكار والتحولات: ٥٢٤-٥٢٥.

تفاصيلها؛ فإن الإجمال، والإطلاق، وعدم العلم بمعرفة مواقع الخطاب، وتفاصيله يحصل به من اللبس، والخطأ، وعدم الفقه عن الله ما يفسد الأديان، ويشتت الأذهان، ويحول بينها وبين فهم السنة والقرآن.

قال ابن القيم في كافيته رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فعليك بالتفصيل والتبيين[١] فال ... إطلاق والإجمال دون بيان
قد أفسد هذا الوجود وخبّطا الـ ... أذهان والآراء كل زمان[٢]"[٣]

ثانيا: أن أئمة الدعوة يشترطون في من يتكلم في مسائل الولاء والبراء أن يعرف مراتب الموالاة عند السلف، قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وهذا -يعني معرفة مراتب الموالاة - عند السلف الراسخين في العلم من الصحابة والتابعين معروف في هذا الباب وغيره، وإنما أشكل الأمر، وخفيت المعاني، والتبست الأحكام على خلوف من العجم، والمولّدين لا دراية لهم بهذا الشأن، ولا ممارسة لهم بمعاني السنة والقرآن"[٤].

ثالثا: أن من أصول أئمة الدعوة في الولاء والبراء والتي تدل على عنايتهم به ما يلي:

أ- أن لفظ الموالاة والمعاداة الواردة في الكتاب والسنة قد يراد بها مسماها المطلق وحقيقتها المطلقة، وقد يراد بها مطلق الحقيقة.

يقول الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ولفظ الظلم، والمعصية، والفسوق، والفجور، والموالاة، والمعاداة، والركون، والشرك، ونحو ذلك من الألفاظ الواردة في الكتاب والسنة قد يراد بها مسماها المطلق وحقيقتها المطلقة، وقد يراد بها مطلق الحقيقة"[٥].

ويقول أيضاً: "مسمى الموالاة يقع على شعب متفاوتة منها، ما يوجب الردة وذهاب

---

(١) في: الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية: والتمييز، بدل: التبيين.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية: ٥٢.

(٣) الدرر السنية: ١/٤٦٨-٤٦٩.

(٤) المرجع السابق: ١/٤٧٤.

(٥) الدرر السنية: ١/٤٧٠.

الإسلام بالكلية، ومنها ما هو دون ذلك من الكبائر والمحرمات"[١].

ويقول أيضًا: "وقلَّ من يعرف الإسلام العتيق، وما حرمه الله من موالاة أعدائه المشركين، ومعرفة أقسامها، وأن منها ما يكفر به المسلم، ومنها ما هو دونه"[٢].

ب- أن السنة النبوية مبينة للأحكام القرآنية، يقول الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إن السنة والاحاديث النبوية هي المبينة للأحكام القرآنية، وما يراد من النصوص الواردة في كتاب الله، في باب معرفة حدود ما أنزل الله، كمعرفة المؤمن والكافر، والمشرك والموحد، والفاجر والبر، والظالم والتقي، وما يراد بالموالاة والتولي، ونحو ذلك من الحدود"[٣].

ج- أن يُراعى في لحوق الوعيد المترتب على بعض الذنوب بالمعين توفر شروطه، وانتفاء موانعه.

يقول الشيخ عبدالطيف بن عبدالرحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأما إلحاق الوعيد المترتب على بعض الذنوب والكبائر، فقد يمنع منه مانع في حق المعين كحب الله، ورسوله، والجاهد في سبيله، ورجحان الحسنات، ومغفرة الله، ورحمته، وشفاعة المؤمنين، والمصائب المكفرة في الدور الثلاثة"[٤].

وبناء على هذه الأصول فإن موالاة الكفار مراتب متعددة، فمن صدرت منه الموالاة المطلقة العامة، فقد وقع في الموالاة المكفرة المخرجة من الملة، وقد يحول دون الوقوع في حبائل الكفر موانع في حق المعين، بحسب حال الشخص، وقصده[٥].

رابعا: أن منهج أئمة الدعوة في الولاء والبراء قائم على أصول وضوابط، وأن أهم ما أوقع في الخوض بالباطل في باب الولاء والبراء - إضافة للأهواء المستحكمة- هو عدم فهم منهج أهل السنة والجماعة وأئمة الدعوة وعدم ضبط القواعد الشرعية، فيضع من جهل معتقد أهل

---

(١) المرجع السابق: ٣٤٢/٨.

(٢) المرجع السابق: ٣٣٣/٨. وانظر: هداية الطريق: ١٧٣.

(٣) المرجع السابق: ٤٧٠/١، ٤٧٧.

(٤) المرجع السابق: ٤٧١/١.

(٥) انظر: المرجع السابق: ٢٧١/١، ٤٦٨، ١٣٣/٩، ١٥٧، ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية: ٤٧٣/٥.

السنة والجماعة بعض النصوص المجملة لبعض أهل العلم، أو التي أطلقوها على سبيل التغليط، أو أخطأوا فيها: أصلاً يبنى عليها المعتقد في هذا الباب، ولو خالف النص الصريح والمنهج المتوارث الصحيح، بخلاف طريق الراسخين في العلم السالمين من الأهواء فهم يحملون ما أشكل من كلام أهل العلم على قواعد أهل السنة.

كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إنه يجب أن يفسر كلام المتكلم بعضه ببعض، ويؤخذ كلامه هاهنا وهاهنا، وتُعرف ما عادتُه يَعنيه ويريده بذلك اللفظ إذا تكلم به، وتُعرف المعاني التي عرف أنه أرادها في موضع آخر، فإذا عرف عُرفه وعادته في معانيه وألفاظه، كان هذا مما يستعان به على معرفة مراده، وأما إذا استعمل لفظه في معنى لم تجر عادته باستعماله فيه، وترك استعماله في المعنى الذي جرت عادته باستعماله فيه، وحمل كلامه على خلاف المعنى الذي قد عرف أنه يريده بذلك اللفظ بجعل كلامه متناقضاً، وترك حمله على ما يناسب سائر كلامه، كان ذلك تحريفاً لكلامه عن موضعه وتبديلاً لمقاصده وكذباً عليه"(١).

خامسا: أن أئمة الدعوة ردوا على من خالف هذا المنهج وبينوا الحق، قال الشيخ عبد اللطيف بن عبدالرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا: " وقد رأيت: سنة أربع وستين رجلين من أشباهكم المارقين بالأحساء قد اعتزلا الجمعة والجماعة وكفرا من في تلك البلاد من المسلمين، وحجتهم من جنس حجتكم؛ يقولون: أهل الأحساء يجالسون ابن فيروز ويخالطونه هو وأمثاله ممن لم يكفر بالطاغوت، ولم يصرح بتكفير جده الذي ردّ دعوة الشيخ محمد ولم يقبلها وعاداها.

قالا: ومن لم يصرح بكفره فهو كافر بالله لم يكفر بالطاغوت، ومن جالسه فهو مثله.

ورتبوا على هاتين المقدمتين الكاذبتين الضالتين ما يترتب على الردة الصريحة من الأحكام، حتى تركوا رد السلام فرفع إلي أمرهم فأحضرتهم وتهددتهم، وأغلظت لهم القول فزعموا: أولاً: أنهم على عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأن رسائله عندهم، فكشفت شبهتهم، وأدحضت ضلالتهم بما حضرني في المجلس، وأخبرتهم ببراءة الشيخ من هذا المعتقد والمذهب، وأنه لا يكفر إلا بما أجمع المسلمون على تكفير فاعله من الشرك الأكبر، والكفر بآيات الله

(١) الجواب الصحيح: ٤/٤٤.

ورسله، أو بشيء منها بعد قيام الحجة وبلوغها المعتبر... "[١].

وقال أيضًا: " وقد بلغني: أنكم تأولتم قوله تعالى في سورة محمد: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ﴾[محمد:٢٦] على بعض ما يجرى من أمراء الوقت من مكاتبة أو مصالحة أو هدنة لبعض رؤساء الضالين والملوك المشركين، ولم تنظروا لأول الآية، وهى قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ﴾ [محمد:٢٥]، ولم تفقهوا المراد من هذه الطاعة ولا المراد من الأمر المعروف المذكور في هذه الآية الكريمة، وفي قصة: صلح الحديبية، وما طلب المشركون واشترطوه، وأجابهم إليه رسول الله ﷺ ما يكفي في رد مفهومكم ودحض أباطيلكم"[٢].

سادسا: أن أئمة الدعوة في الولاء والبراء يفرقون بين الكفر والمعاصي، مما يدل أنهم يجعلون لذلك ضوابط وشروطا، قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند بيان أن الكفر ذو أصل وشعب والمعاصي كلها من شعب الكفر: " ولا يسوى بينهما في الأسماء والأحكام، وفرق بين من ترك الصلاة أو الزكاة أو الصيام أو أشرك بالله أو استهان بالمصحف، وبين من يسرق ويزني أو يشرب أو ينهب، أو صدر منه نوع موالاة كما جرى لحاطب، فمن سوى بين شعب الإيمان في الأسماء والأحكام، أو سوى بين شعب الكفر في ذلك، فهو مخالف للكتاب والسنة، خارج عن سبيل سلف الأمة، داخل في عموم أهل البدع والأهواء"[٣].

سابعا: قول رول مبير عن الشيخ سليمان بن عبدالله بعد كلامه عن شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام محمد بن عبدالوهاب وأن الولاء والبراء أداة تحافظ على المسلمين بعيداً عن الممارسات غير الإسلامية: " يأخذ سليمان تطوير الولاء والبراء خطوة أبعد وذلك باستخدامه لهذا المفهوم لا مجرد وسيلة لمحاربة البدع ولكن بصفته أداة ضد الكفر...".

---

(١) المرجع السابق: ٤٦٧/١.

(٢) المرجع السابق: ٤٧٦/١. وانظر: جهود علماء نجد في تقرير عقيدة الولاء والبراء: ٥٣٩-٥٤٤، وحقيقة الولاء والبراء في الكتاب والسنة: ٢٩٨-٣١٤.

(٣) الدرر السنية: ٤٧٨/١.

فهذه هي المشكلة مع المناوئ فهو لا يريد البراءة من المشركين، وإلا فإن منهج الشيخ سليمان بن عبدالله رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو منهج شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام محمد بن عبدالوهاب!، ولذلك قال بعدها: "ويصور سليمان، من الناحية الأخرى، الولاء والبراء بوصفهما اختبار المصداقية للاعتقاد الصحيح لكل المسلمين. وهو يقرر "أوثق عرى الإيمان هي الحب في الله، والبغضاء في الله" ويأمر المؤمنين أن "يقطعوا الموالاة بين المؤمنين وبينهم" (غير المسلمين)...". وهذه عقيدة السلف، فماذا يريد المناوئ؟!

المطلب الثامن: دعوى أن دعوة الإمام في الولاء والبراء هي أصل الإرهاب

من الدعاوى المعاصرة التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوى أن الإرهاب يستمد قوته من عقيدة الولاء والبراء في دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب، وأن ما يدعيه من التسامح أنه خدعة ساذجة.

يقول محمد المحمود في كلامه عن دعوة الإمام وأن عقيدة الولاء والبراء هي أصل الإرهاب، فهي – أي دعوة الإمام–: "تحمل في طياتها – ما يبررها –ظاهرياً– من حيث كون هذا الخطاب المتسامح، والداعي للتسامح، يواجه تيار العنف والإقصاء بالعنف والإقصاء. أي أنه بهذا يظهر وكأنه يقصي تياراً أو فصيلاً من جملة التيارات أو الفصائل الاجتماعية، بوصف التيار العنفي ينبع –في الغالب– من داخل النسيج المجتمعي لمكافحي خطاب التطرف والإرهاب.

إذن، هناك شبهة تعارض، بين فكرة التسامح –كفكرة مبدئية– وبين اللغة التي تتم بها الدعوة إلى هذا التسامح. ومع أنها شبهة روّج لها –ويروّج لها– مُدّعو الحياد في المعركة الدائرة مع الإرهاب، إلا أنها –في حد علمي– لم تبدأ –أساساً– من جانب مُدّعي الحياد، بل بدأت من جانب تيارات التطرف الصامت، ذلك التطرف / الإرهاب الكموني، الذي لم يمتلك شجاعة المواجهة، بل ولا حتى شجاعة المجاهرة بمبادئة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى لم يستطع هذا التيار التخلي عن يقينياته التي تلامس سقف أصولية العقائد، التي تتقاطع –تقاطعاً إيجابياً– مع يقينيات التيار المتطرف. لهذا، اكتفى بالتعاطف المضمر مع الإرهاب، محاولاً – في الوقت نفسه– تقديم خدمة (اللوجستيات[١] الفكرية!) الداعمة، التي تكفل له براءة الذمة

---

(١) يعود أصل الكلمة إلى اللغة الإغريقية القديمة وتأتي من كلمة لوجوس (λόγος) وتعني "نسبة، حساب، سبب، خطاب". وقد انتقل استخدام الكلمة من حاجة الجيش إلى التزود بالإمدادات خلال تحركهم من قواعدهم إلى المواقع إلى المجال الاقتصادي: https://ar.wikipedia.org/wiki/الدعم_اللوجستي. وانظر: الموسوعة العربية: https://www.arab- ency.com/ar/البحوث/اللوجستية.

بتقديم الدعم الواجب. طبعاً، كما يدّعي ويزعم ويعتقد عقائديو الإرهاب!"[(١)].

وقال أيضًا: "ولو أننا أخذنا بعضاً من هذه النواقض - يعني نواقض الإسلام- التي يتخذها المكفراتية السلفيون ذريعة لتكفيرنا جميعاً، لوجدنا أن من أبرزها: تولي الكفار والمشركين (= عقيدة الموالاة). أي أن الموالاة إذا انتفت عن المؤمنين، أو تحققت بحق غيرهم فهي من نواقض الإسلام، وليست مجرد خطأ، أو مجرد أمر محرم شرعاً بحيث يُطلب من فاعله التوبة النصوح والرجوع الصريح. وعلى هذا فقد تعد المسألة -نتيجة الحاجة التاريخية- من إطار المسائل الدينية العامة الفقهيات) إلى منطقة: الأصول (=العقائد)" [(٢)].

ثم قال: "لقد أراد الشرّاح الأوائل أن يحددوا مظاهر الموالاة التي يتم بها التكفير، فزادوا في الواقع من مساحة دائرة التكفير، بل ومن النواقض ذاتها، بحيث تتفرع عن كل ناقض من هذه النواقض العشرة، نواقض أخرى، وهكذا دواليك، حتى أصبحت مفردات التكفير -الصحيح منها وغير الصحيح- في حالة تشدد تنظيري لا نهاية له"[(٣)].

وفي ندوة أقيمت بالقاهرة عام ٢٠١٠م بالقاهرة، بعنوان: الوهابية خطر على الإسلام والعالم، شارك فيها عدد من أساتذة الأزهر، جاء فيها: " أن الوهابية كدعوة وفكر تقوم على نفي الآخر وتكفيره، وأنها تهدد الأمن والسلم في كافة دول العالم الإسلامي لما تبثه من أفكار

---

(١) نحن والإرهاب: ٤٧-٤٨.

(٢) المرجع السابق: ٨٠. وانظر: مفهوم الولاء والبراء ضمن كتاب الندوة العلمية "حكم الشرع في دعاوى الإرهاب" المنعقدة بالدار البيضاء، ٢/٥/١٤٢٨هـ، القواعد العشر في الولاء والبراء: https://saaid.net/Minute/٥٣.htm، الولاء والبراء.. انحرافات الفهم والتأويل: http://www.islamist-movements.com/٢٩٢٠، هل صار الولاء والبراء محرجاً؟: http://iswy.co/e٤٩es، الإرهاب.. معضلات التعريف والمواجهة (٦): http://www.alnilin.com/١٢٨١٥٣٦٣.htm، مؤتمر في لندن يطالب بكشف «التأويلات الباطلة لعقيدة الولاء والبراء»: https://aawsat.com/home/article/٩٢٨٣١٦/مؤتمر-في-لندن-يطالب-بكشف-«التأويلات-الباطلة-لعقيدة-الولاء-والبراء»، في ١/١١/١٤٣٨هـ.

(٣) نحن والإرهاب: ٨٢-٩١.

إرهابية وإجرامية شديدة الخطورة، أفكار تدفع الشباب الإسلامي إلى تكفير وإرهاب المجتمع والحكام لأوهى الأسباب، وأن العالم المعاصر لم يعان من تنظيم أو دعوة مثلما عانى من الوهابية..." [(١)].

حقيقة هذه الدعوى:

هذه الدعوى لها علاقة بالدعوى الثالثة من الفصل الرابع، دعوى أن دعوة الإمام هي أصل الإرهاب، فالدعوى السابقة عامة عن دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهذه الدعوى خاصة بعقيدة الولاء والبراء.

الجواب عن هذه الدعوى:

أولا: سبق في الدعوى الثالثة من الفصل الرابع: دعوى أن دعوة الإمام هي أصل الإرهاب، رد هذه الفرية وبيان حقيقة دعوة الإمام، وأن دعوته لم تكن أبداً أصلاً للإرهاب.

ثانيا: أن عقيدة الولاء والبراء -كما سبق بيانه في المبحث الثاني من هذا الفصل- من عقائد أهل السنة المجمع عليها، ولا يمكن بحال أن تكون مصدراً للإرهاب؛ لأن مصدر هذه العقيدة هو الكتاب والسنة، وهو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ثالثا: أن وجود الخلل في التطبيق من بعض من ينتسب لعقيدة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فإن هذا الأمر لا ينسب لعقيدة الإمام، وقد سبق في الدعوى الأولى من هذا الفصل: رد الزعم بنسبة أقوال الجماعات الجهادية المتطرفة في الولاء والبراء إلى دعوة الإمام.

رابعا: قول محمد المحمود في كلامه عن عقيدة الولاء والبراء عند أتباع الإمام "إذن، هناك شبهة تعارض، بين فكرة التسامح -كفكرة مبدئية- وبين اللغة التي تتم بها الدعوة إلى هذا التسامح...".

إن التسامح الذي ينطلق منه أتباع دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ - وفق

---

(١) انظر: موقع أهل القرآن: http://www.ahl-alquran.com/arabic/show_news.php?main_id=١٠٠٤٧. والوهابيون خوارج هذا العصر، موقع وزراة الأوقاف السورية: http://mow.gov.sy/category/fiqh_crisis.

ضوابطه الشرعية- ليس فكرة من الأفكار، وإنما هي توجيهات ربانية، قال الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة:٨].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أي لا ينهاكم الله عن البر والصلة، والمكافأة بالمعروف، والقسط للمشركين، من أقاربكم وغيرهم، حيث كانوا بحال لم ينتصبوا لقتالكم في الدين والإخراج من دياركم، فليس عليكم جناح أن تصلوهم، فإن صلتهم في هذه الحالة، لا محذور فيها ولا مفسدة، كما قال تعالى عن الأبوين المشركين إذا كان ولدهما مسلما: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[لقمان:١٥]"(١).

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جواب له عن قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ﴾ الآية: "فالذي يظهر أن هذا إخبار من الله -جل ذكره- لعباده المؤمنين بأنه لم يَنْهَهُمْ عن البر والعدل والإنصاف في معاملة أي كافر كان من أهل الملل، إذا لم يقاتلهم في الدين ولم يخرجهم من ديارهم؛ إذ العدل والإحسان والإنصاف مطلوب محبوب شرعا؛ ولذا علل هذا الحكم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾...

ووجه مناسبة الآية لما قبلها من الآي: أنه لما ذكر تعالى نهيه عباده المؤمنين، عن اتخاذ عدوه وعدوهم، أولياء يلقون إليهم بالمودة، ثم ذكر حال خليله ومن آمن معه، في قولهم وبراءتهم من قومهم المشركين، حتى يؤمنوا، وذكر أن لعباده المؤمنين أسوة حسنة، خيف أن يتوهم أحد، أو يظن أن البر والعدل داخلان في ضمن ما نهى عنه من الموالاة وأمر به من البراءة، فناسب أن يدفع هذا بقوله: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية "(٢).

فهذا هو التسامح المتوافق مع الكتاب والسنة، وفيه بيان الحق في الولاء والبراء، وأن البراة من المشركين غير المقاتلين لا تعني ترك العدل وعدم الإحسان إليهم في التعامل.

خامسا: وقوله عن أتباع دعوة الإمام أنه: "لم يمتلك شجاعة المواجهة، بل ولا حتى

---

(١) تفسير السعدي: ٨٥٦.

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية: ٣/١٩٠-١٩١.

شجاعة المجاهرة بمبادئة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى لم يستطع هذا التيار التخلي عن يقينياته التي تلامس سقف أصولية العقائد، التي تتقاطع - تقاطعاً إيجابياً- مع يقينيات التيار المتطرف".

إن أتباع دعوة الإمام يعتمدون في عقائدهم على الكتاب والسنة، وهي محفوظة بحفظ الله لها، وموجودة ومنشورة، وأتباع دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ يصرحون بعقيدتهم في جميع ما ينشر عنهم مرئيا أو مسموعا أو مكتوبا؛ بل إنهم يحذرون كل من يخالف المنهج الحق، وتصدر منهم البيانات في ذلك. وهم في ذلك لن يتخلوا - بإذن الله - عن يقينياته؛ إلا إذا كانت تخالف الكتاب والسنة.

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأرجو أني لا أرد الحق إذا أتاني؛ بل أُشهد الله وملائكته وجميع خلقه، إن أتانا منكم كلمة من الحق لأقبلنّها على الرأس والعين، ولأضربن الجدار بكل ما خالفها، من أقوال أئمتي، حاشا رسول الله ﷺ، فإنه لا يقول إلا الحق"(١).

وقال أيضا: "فأنا -ولله الحمد- لم آت الذي أتيت بجهالة، وأشهد الله وملائكته إن أتاني منه، أو ممن دونه في هذا الأمر كلمة من الحق، لأقبلنها على الرأس والعين، وأترك قول كل إمام اقتديت به، حاشا رسول الله ﷺ، فإنه لا يفارق الحق; فإن كانت مكاتيب أولياء الشيطان، وزخرفة كلامهم، الذي أوحى إليهم - ليجادل في دين الله، لما رأى أن الله يريد أن يظهر دينه- غرته وأصغت إليها أفئدتكم، فاذكروا لي حجة، مما فيها أو كلها، أو في غيرها من الكتب، مما تقدرون عليه أنتم ومن وافقكم، فإن لم أجاوبه عنها بجواب فاصل بين، يعلم كل من هداه الله أنه الحق، وأن تلك هي الباطل، فأنكروا علي"(٢).

سادسا: قوله عن الناقض الثامن من نواقض الإسلام: " تولي الكفار والمشركين (= عقيدة الموالاة). أي أن الموالاة إذا انتفت عن المؤمنين، أو تحققت بحق غيرهم فهي من نواقض الإسلام، وليست مجرد خطأ، أو مجرد أمر محرم شرعاً بحيث يُطلب من فاعله التوبة النصوح والرجوع الصريح...".

---

(١) الدرر السنية: ١/٣٧-٣٨.

(٢) المرجع السابق: ١/٥٧-٥٨.

فقد سبق أن أئمة الدعوة في الولاء والبراء يفرقون بين الكفر والمعاصي وأن الموالاة والمعادة مراتب، يقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند بيان أن الكفر ذو أصل وشعب والمعاصي كلها من شعب الكفر: " ولا يسوى بينهما في الأسماء والأحكام، وفرق بين من ترك الصلاة أو الزكاة أو الصيام أو أشرك بالله أو استهان بالمصحف، وبين من يسرق ويزني أو يشرب أو ينهب، أو صدر منه نوع موالاة كما جرى لحاطب، فمن سوى بين شعب الإيمان في الأسماء والأحكام، أو سوى بين شعب الكفر في ذلك، فهو مخالف للكتاب والسنة، خارج عن سبيل سلف الأمة، داخل في عموم أهل البدع والأهواء"(١).

وهذه المسألة - الحب والبغض - أصل في كل فعل وترك في العالم، فكيف يقال: إنها نتيجة الحاجة التاريخية انتقلت من إطار الفقهيات إلى الأصول، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينا أن أصل كل فعل وترك هو الحب والبغض: "أصل كل فعل وحركة في العالم من الحب والإرادة، كما أن البغض والكراهة أصل كل ترك"(٢).

ويقول في موضع آخر: "إذا كانت المحبة والإرادة أصل كل عمل وحركة.. عُلم أن المحبة والإرادة أصل كل دين، سواء كان دينا صالحا أو دينا فاسدا"(٣).

إن الحب في الله والبغض في الله ولوازمهما من الولاء والبراء ليس إيماناً فحسب، بل هو أوثق عرى الإيمان كما جاء ذلك في الحديث عن النبي ﷺ.

سابعا: وقوله عن تحديد الشراح الأوائل لمظاهر الموالاة التي يتم بها التكفير، "فزادوا في الواقع من مساحة دائرة التكفير، بل ومن النواقض ذاتها، بحيث تتفرع عن كل ناقض من هذه النواقض العشرة، نواقض أخرى، وهكذا دواليك، حتى أصبحت مفردات التكفير -الصحيح منها وغير الصحيح- في حالة تشدد تنظيري لا نهاية له".

وهذا من عادة أهل الباطل في التهويل وذكر العبارات المجملة التي يلبّسون بها على العامة؛ وإلا فما هي هذه المفردات التكفيرية في مظاهر الموالاة - حسب زعمه-، فما كان

(١) الدرر السنية: ١/٤٧٨.

(٢) جامع الرسائل، قاعدة في المحبة: ٢/١٩٣.

(٣) المرجع السابق: ٢/٢١٧.

صحيحا ترك، وما كان غير صحيح رد.

وانظر إلى ما ذكره من جملة مظاهر الموالاة المنتقدة على هؤلاء الشراح: "الدخول مع الكفار في أحلاف ضد المسلمين"، و"القتال تحت رأية الكفر"(١). فهل هذه هي المفردات التنظرية التكفرية؟!

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران: ٢٨]: "لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهرًا وأنصارًا، توالونهم على دينهم، وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلونهم على عوراتهم؛ فإنه من يفعل ذلك ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ يعني بذلك، فقد برئ من الله، وبرئ الله منه بارتداده عن دينه، ودخوله في الكفر، ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ ، إلا أن تكونوا في سلطانهم، فتخافونهم على أنفسكم، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم، وتضمروا لهم العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر، ولا تعينوهم على مسلم بفعل"(٢).

ويقول الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقد أجمع علماء الإسلام على أن من ظاهر الكفار على المسلمين وساعدهم عليهم بأي نوع من المساعدة، فهو كافر مثلهم" (٣).

وقد أصدرت لجنة الفتوى في الأزهر فتوى في حكم الأحلاف العسكرية مع غير المسلمين، جاء فيها: "ولا ريب أن مظاهرة الأعداء وموالاتهم يستوي فيها إمدادهم بما يقوي جانبهم ويثبت أقدامهم بالرأي والفكرة، وبالسلاح والقوة سرًا وعلانية، مباشرة وغير مباشرة. وكل ذلك مما يحرم على المسلم مهما تخيل من أعذار ومبررات"(٤).

ثامنا: ما جاء في ندوة القاهرة: "الوهابية خطر على الإسلام والعالم": " أن الوهابية

---

(١) نحن والإرهاب: ٨٥-٩١.

(٢) تفسير الطبري: ٣١٣/٦.

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة: ٢٧٤/١.

(٤) مجلة الأزهر، المجلد (٢٧): ٦٨٢، السنة ١٣٥٧هـ - ١٩٥٦م.

كدعوة وفكر تقوم على نفي الآخر وتكفيره، وأنها تهدد الأمن والسلم في كافة دول العالم الإسلامي لما تبثه من أفكار إرهابية وإجرامية شديدة الخطورة...".

ومثله ما جاء في مؤتمر الشيشان ٢٠١٦م، تحت عنوان: "من هم أهل السنة والجماعة، بيان وتوصيف لمنهج أهل السنة والجماعة: اعتقادا وفقها وسلوكا وأثر الانحراف عنه على الواقع"، من التحذير من دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب، بل من الدعوة السلفية عموما، وهذا يعني أنه لا يحارب دعوة الإمام فقط، وإنما يحارب كل من يسير على منهج السلف.

فدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ امتداد لمذهب أهل السنة والجماعة، بل هي امتداد لما كان عليه رسول الله ﷺ وصحبه الكرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ فمن أصول هذه الدعوة الإصلاحية: الدعوة إلى عبادة الله عَزَّ وَجَلَّ وحده لا شريك له، ولزوم هدي الرسول ﷺ واتباعه في أقواله وأفعاله وتقريراته، ليحصل لهم تمام الاهتداء والتوفيق، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾ [النور: ٥٤].

يقول الشيخ عبدالحميد بن باديس[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن دعوة الإمام: " قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوة دينية، فتبعه عليها قوم فلقبوا بالوهابيين. لم يدع إلى مذهب مستقل في الفقه؛ فإن أتباع النجديين كانوا قبله ولا زالوا إلى الآن بعده حنبليين؛ يدرسون الفقه في كتب الحنابلة، ولم يدع إلى مذهب مستقل في العقائد؛ فإن أتباعه كانوا قبله ولا زالوا إلى الآن سنيين سلفيين؛ أهل إثبات وتنزيه، يؤمنون بالقدر ويثبتون الكسب والاختيار، ويصدقون بالرؤية، ويثبتون الشفاعة، ويرضون عن جميع السلف، ولا يكفرون بالكبيرة، ويثبتون الكرامة.

وإنما كانت غاية دعوة ابن عبد الوهاب تطهير الدين من كل ما أحدث فيه المحدثون من البدع، في الأقوال والأعمال والعقائد، والرجوع بالمسلمين إلى الصراط السوي من دينهم القويم بعد انحرافهم الكثير، وزيغهم المبين.

---

(١) عبد الحميد بن محمد بن المصطفى بن باديس القسنطيني الجزائري، رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، له من المؤلفات: تفسير ابن باديس، أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، من هدي النبوة، أو مجالس التذكير من كلام البشير النذير ﷺ، والعقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وغيرها. توفي عام ١٣٥٩هـ. انظر: ابن باديس حياته وآثاره: ١/٧٢، ومعجم أعلام الجزائر: ٨٢.

لم تكن هذه الغاية التي رمى إليها بالقريبة المنال ولا السهلة السبل، فإن البدع والخرافات باضت وفرخت في العقول، وانتشرت في سائر الطوائف وجميع الطبقات على تعاقب الأجيال في العصور الطوال؛ يشب عليها الصغير، ويشيب عليها الكبير، أقام لها إبليس من جنده من الجن والإنس أعوانا وأنصارا، وحراسا كبارا من زنادقة منافقين، ومعممين جامدين محرفين، ومتصوفة جاهلين، وخطباء وضاعين.

فما كانت – وهذا الرسوخ رسوخها، وهذه المنعة منعتها – لتقوى على فعلها طائفة واحدة كالوهابيين في مدة قليلة، ولو أعدَّت ما شاءت من العدة، وارتكبت ما استطاعت من الشدة... إن الغاية التي رمى إليها ابن عبد الوهاب، وسعى إليها أتباعه، هي التي لا زال يسعى إليها الأئمة المجددون، والعلماء المصلحون في جميع الأزمان"(١).

إن هذا التوحيد الخالص الذي حققته هذه الدعوة السلفية المباركة عبر مؤلفاتها ورسائلها ومواقفها، أورث جزيرة العرب أمناً وطمأنينة، واهتداء وبصيرة في الدنيا والآخرة؛ والواقع يشهد بذلك، والذي يعرف حال الجزيرة قبل هذه الدعوة المباركة، ثم ينظر إليها وقد مضى على ظهورها قرابة ثلاثة قرون، وقد عمّ خيرها وظهر أثرها في بلاد العرب والعجم، مع شدة مواقف الخصوم منها، واستخدام جميع الوسائل في حربها، لا يزيدها تصرم الأيام والليالي إلا قبولاً وانتشاراً(٢)، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٢٨]، وقال تعالى ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف:١٢٨].

وانظر إلى ما يقوله أبو الفضل البرقعي(٣) عن حكومة الخميني الرافضية: "ليعلم القارئ أن

---

(١) آثار الشيخ عبدالحميد بن باديس: ٥/٣٢-٣٣.

(٢) انظر: الدعوة الإصلاحية... القَبول والبهتان: http://almoslim.net/node/١٣٢٠٦٧.

(٣) أبو الفضل بن الرضا البرقعي، كان من أقران الخميني وأعلى مرجعية منه في المذهب الشيعي الإثني عشري، خرج من التشيع وأعلن اعتناقه مذهب السنة في عهد الشاه. له من المؤلفات: تحطيم الصنم أو: كسر الصنم، وهو في الرد على أصول الكافي للكليني الشيعي، وتضاد المذهب الجعفري مع القرآن والإسلام، وترجم مختصر منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيميه الى الفارسية، توفي سنة ١٤١٣. انظر ترجمته في كتابه: سوانح الأيام، أيام من حياتي.

هذه الدولة جعلت الناس أعداء لنا؛ فإن كل من جرى على لسان كلمة لبيان العقائد الموافقة للقرآن، فإن نظام الخميني يتهمه بأنه "وهابي"، مع أنه لا يوجد في الدنيا مذهب اسمه "الوهابية"، وإنما هم لغرض استعداء الناس وتنفيرهم. نعم! من حيث العقيدة هم يسيرون على عقائد العالم محمد بن عبد الوهاب، ولكنه لم يأت بمذهب جديد، وإنما هي آراء ابن تيمية وابن القيم، وهذان أيضاً لم يفعلا شيئاً سوى محاربة الخرافات والبدع، ودعوة الناس إلى الرجوع إلى القرآن"(١).

أفيقال بعد ذلك: إن هذه "الوهابية خطر على الإسلام والعالم"، وإنها تهدد الأمن والسلام... سبحانك هذا بهتان عظيم!

---

(١) سوانح الأيام، أيام من حياتي: ٣٠٨. وانظر: الأزهر يرد على مؤتمر الشيشان ويدافع عن المملكة https://www. almowaten.net/٢٠١٦/٠٩.

الفصل السادس

أهداف الدعاوى المعاصرة ووسائلها وأساليبها والمقارنة بينها وبين الدعاوى السابقة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أهداف الدعاوى.

المبحث الثاني: وسائل الدعاوى وأساليبها.

المبحث الثالث: المقارنة بين الدعاوى المعاصرة والدعاوى السابقة.

تمهيد

واجهت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ منذ بداية ظهورها حملةً ومعارضة قوية، سواءً من قبل الأمراء والحكام، أو من قبل بعض المنتسبين إلى العلم، وقد تنوعّت أساليب هذه المعارضة وتعددت جوانبها من الافتراء والكذب عليها، وتأليف الكتب ونشرها ضد هذه الدعوة السلفية التجديدية، وتحريض الحكام عليها، ورميها بالتشدد والتكفير وسفك الدماء.

وقد بين الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ سبب هذه الحملة، فقال: " فلما أظهرت تصديق الرسول فيم جاء به سبّوني غاية المسبة، وزعموا أنّي أكفر أهل الإسلام وأستحل أموالهم"(١).

ويصف الشيخ عداوة الخصوم وفتنتهم في رسالته لأحد علماء العراق، فيقول: "ولبّسوا على العوام أن هذا خلاف ما عليه أكثر الناس، وكبرت الفتنة وأجلبوا علينا بخيل الشيطان ورجله"(٢).

والله تعالى يقول: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢]؛ لكن الله قد كتب في سابق تقديره، ومحكم تدبيره: أن رسله وجنده هم الغالبون، كما قال تعالى: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات: ١٧٣].

ولا يزال أهل التوحيد والسنة يُستهدفون من أعداء الإسلام، وأهل البدع بشتى أنواع الوسائل والأساليب، بالسلاح، والفكر، والتشكيك، وكل ما يستطيعون من صنوف الحرب...

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۝ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٢-١١٣].

---

(١) مجموعة مؤلفات الشيخ: ٢٦/٥.

(٢) المرجع السابق: ٣٦/٥.

فأخبر الله أنه جعل لكل نبي أرسله أعداء، من شياطين الإنس والجن، يقومون بضد ما جاءت به الرسل، فيزين بعضهم لبعض الأمر الذي يدعون إليه من الباطل، ويزخرفون له العبارات حتى يجعلوه في أحسن صورة، ليغتر به السفهاء، وينقاد له الأغبياء، الذين لا يفهمون الحقائق، ولا يفقهون المعاني، بل تعجبهم الألفاظ المزخرفة، والعبارات المموهة، فيعتقدون الحق باطلا والباطل حقًا. ثم تميل بعد ذلك إلى ذلك الكلام المزخرف أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة؛ لأن عدم إيمانهم باليوم الآخر وعدم عقولهم النافعة، يحملهم على ذلك. فحصل لهم الإصغاء، ثم الميل إليه، فنتج عنه التزيين في القلوب، فيكون عقيدة راسخة.

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومن حكمة الله تعالى، في جعله للأنبياء أعداء، وللباطل أنصارا قائمين بالدعوة إليه، أن يحصل لعباده الابتلاء والامتحان، ليتميز الصادق من الكاذب، والعاقل من الجاهل، والبصير من الأعمى.

ومن حكمته أن في ذلك بيانا للحق، وتوضيحا له، فإن الحق يستنير ويتضح إذا قام الباطل يصارعه ويقاومه؛ فإنه -حينئذ- يتبين من أدلة الحق، وشواهده الدالة على صدقه وحقيقته، ومن فساد الباطل وبطلانه، ما هو من أكبر المطالب، التي يتنافس فيها المتنافسون"(١).

وقبل أن أذكر الأسباب والوسائل لخصوم الدعوة، فأقول على سبيل الإجمال فإن أعداء الدعوة خمس طوائف:

الطائفة الأولى: الجهال الخرافيون من عوام الناس.

الذين قلدوا الآباء والأجداد فرفضوا الدعوة تقليداً للآباء والأجداد، جرياً على سنة الأولين، قال تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٢].

الطائفة الثانية: طائفة تنتسب للعلم.

وهؤلاء ردوا دعوة الإمام عناداً وحسداً أن يظهر الحق على يد الإمام، وأن يعرف الناسُ الحقَ بدعوته، وقد كان بعضهم يكاتب الإمام سراً ويذكر موافقته له، وعجزه عن إظهار الدعوة

---

(١) المرجع السابق: ٢٧٠.

خوفاً من الناس، ومنهم من حارب الدعوة خوفاً من ملامة الناس، ودفعاً أن يقال لهم: أين أنتم عنا طوال تلك السنين؟ لِمَ لمْ تنكروا هذه المنكرات؟ لِمَ لمْ تخبرونا بأن ما نحن فيه شرك وضلال؟ ولذلك رد هؤلاء دعوته وعادوها عناداً وحسداً، أو خوفاً من الناس.

الطائفة الثالثة: طائفة عادت الإمام باسم السياسة.

وهم أمراء بعض النواحي والبلاد الذين خشوا من زوال ملكهم، وكان لبعضهم علماء سوء يزينون لهم ما هم فيه من الباطل، ويحذرونهم من دعوة الإمام، ومنهم من كان يأكل أموال الناس بالباطل فخشي من زوال ذلك، فعارض هؤلاء الأمراء الإمامَ محتجين بمن عارضه من العلماء، أو ممن يُنسب إلى علم، بينما الدافع الحقيقي كان سياسياً[١].

الطائفة الرابعة: علماء السوء.

من الذين عرفوا العلم وتعلموه ليستخدموه في أمور الدنيا ومصالحها، يخافون على مصالحهم ومطامعهم الدنيوية، ويحسدون أهل الحق على ما حصل لهم من المكانة والرفعة، فيدعون الناس إلى الضلال والكفر والبدع، ويُزيّنون لهم الباطل.

الطائفة الخامسة: المستشرقون.

الذي كان من أهم دوافعهم الطعن في الإسلام، وفي دعوة الإمام ليشوهوا محاسنها، وأنها دعوة لا تستحق الانتشار، وليصدوا الناس عن الدين الحق، ويبتعدوا عن دينهم، وعن عقيدتهم الصحيحة؛ فيسهل على المستعمرين السيطرة عليهم.

---

(١) انظر: التعريف بالدعوة السلفية النجدية: ٤٥-٤٦، ٦٤-٦٥.

المبحث الأول: أهداف الدعاوى المعاصرة

أولاً: الهدف السياسي:

لما ظهرت دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ وبدأ انتشارها وتوسعها وخشي الأمراء والحكام في الجزيرة والعثمانيون على مملكتهم، حُوربت دعوة الإمام، واتهمت بأنها دعوة سياسية، كل ذلك محاولة لتشويه الدعوة، وخوفا من امتدادها؛ وأن تكون لها شوكة فتأثر على تلك الزعامات في وقتها، ولا تزال هذه الدعوة تحارب لهذا السبب، وخصوصًا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمر، مستغلين هذا الحدث في تحقيق أطماعهم.

فالنزاعات السياسية والحروب التي قامت بين أتباع هذه الدعوة وبين المناوئين لها كانت سببًا في محاربة الدعوة وكثرة المؤلفات عنها.

يقول حامد ألكار: "لقد أجبر الاحتلال الوهابي للحرمين العثمانيين على التصرف بحزم. فقد كانت هيبتهم، بوصفهم حماة الإسلام السني وورثة الخلافة، يعتمد على السيطرة على الحرمين ولو شكلياً على أقل تقدير، لأن فرض سيطرتهم الحقيقية عليهما كان غالباً موضع تحدّ من جانب "شرفاء" مكة.

لهذا نجد أن بعض المؤرخين العرب من ذوي النزعة القومية، في الأقل المتقدمين منهم، يعتبرون الحركة الوهابية انتفاضة قومية هدفها "تحرير العرب من السيطرة الإمبريالية العثمانية".

كما إن الحكومة السعودية ادّعت مؤخراً أن الانتصار الوهابي الأول في شبه الجزيرة العربية قد أثار "انتباه وحفيظة الإمبراطورية العثمانية" وأوجد رغبة "في وضع نهاية للأمة الناشئة"[1].

يقول محب الدين الخطيب[2] رَحِمَهُ ٱللَّهُ مشيراً إلى ذلك:

---

(١) الوهابية مقالة نقدية: ٣٢.

(٢) محب الدين بن أبي الفتح بن عبد القادر بن صالح الخطيب، تولى تحرير " مجلة الأزهر " ست سنوات، وأنشأ المطبعة السلفية ومكتبتها، فأشرف على نشر عدد كبير من كتب التراث وغيرها، وله من التصانيف: الخطوط العريضة لدين الاثني عشرية، الرعيل الأول في الإسلام، اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب، ذكرى موقعة حطين، وغيرها. توفي سنة ١٣٨٩هـ. انظر: الأعلام: ٢٨٢/٥، وتاريخ علماء دمشق في القرن الرابع الهجري: ٨٤٧/٢-٨٦٢.

"كان الأستاذ الشيخ محمد عبده رحمة الله عليه يستعيذ بالله من السياسة ومن كل ما يتصرف منها، لأنها إذا احتاجت إلى قلب الحقائق وإظهار الشيء بخلاف ما هو عليه اتخذت لذلك جميع الأسباب، واستعانت على ذلك بمن لهم منافع شخصية من وراء إعانتها، فتنجح إلى حين في تعمية الحق على كثير من الخلق. ومن هذا القبيل ما كان يطرق آذان الناس في مصر والشام والعراق وسائر بلاد الشرق الأدنى في المائة السنة الماضية من تسمية الدعوة التي دعا بها الشيخ المصلح محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ باسم (الوهابية) اتهاماً بأنه مذهب جديد..."[١].

ويتحدث محمد عبد الله ماضي عن العوامل التي أدت إلى التشنيع على دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه، فيذكر العامل السياسي فيقول: "عامل سياسي يرجع إلى الخلاف الذي قام بين آل سعود الوهابيين وبين الدولة العثمانية التي كانت الجزيرة العربية جزءاً من أملاكها وقت أن شرع الوهابيون يستقلون بالحكم فيها في القرن الماضى. ذلك الخلاف الذي سبب الحرب النجدية المصرية بين محمد علي والوهابيين، والذي صحبه وترتب عليه كثير من الدعايات ضد الوهابيين خصوم الدولة السياسيين وإظهارهم بمظهر المعتدي على الدين الخارج على تعاليمه حتى تسهل مقاومتهم وتيسير القضاء عليهم.

وكذلك الخلاف السياسي بين آل سعود والوهابيين وبين أشراف مكة ثم بينهم وبين زعماء نجد المحليين ..."[٢].

ويوضح الشيخ محمد رشيد رضا[٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ آثار العداء السياسي مع بداية الدولة السعودية الثالثة، وما فعله الأشراف ضد الدعوة السلفية، فيقول: "كانت جريدة القبلة – لسان الملك حسين آنذاك – تكيل التهم والأكاذيب على هذه الدعوة السلفية. وقد أصدر الملك حسين

---

(١) مجلة الزهراء، ١٣٥٤هـ (صفر)، ص ٨٤، ٨٥. وانظر: محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه: ١٤٧.

(٢) النهضات الحديثة في جزيرة العرب: ٥٩.

(٣) محمد رشيد بن علي رضا بن شمس الدين بن بهاء الدين القلموني الحسيني .. يرجع نسبه لآل البيت .. ولد في٢٧/٥/١٢٨٢هـ في قرية قلمون جنوب طرابلس الشام، كان متصوفا ثم تأثر بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية ومحمد بن عبدالوهاب – رحمهم الله تعالى– له من المؤلفات: الخلافة، السنة والشيعة، حقيقة الربا، مناسك الحج، تاريخ الأستاذ الإمام. توفي: سنة ١٣٥٤هـ. انظر: الأعلام: ١٢٦/٦، ومعجم المؤلفين: ٣١٠/٩.

عدة منشورات في جريدة القبلة سنة ١٣٣٦هـ، وسنة ١٣٣٧هـ، رمى الوهابيين بالكفر، وقذفهم بتكفير أهل السنة، والطعن في الرسول... وقام بعض أهل دمشق وبيروت يتقربون إلى الأشراف بطبع الرسائل في تكفيرهم ورميهم بالأكاذيب، ثم سرى ذلك إلى مصر، وظهر له أثر في بعض الجرائد...

إن سبب قذف الوهابية بالابتداع والكفر سياسي محض كان لتنفير المسلمين منهم لاستيلائهم على الحجاز، وخوف الترك أن يقيموا دولة عربية، ولذلك كان الناس يهيجون عليهم تبعاً لسخط الدولة، ويسكتون عنهم إذا سكنت ريح السياسة"[١].

ويقول محمود شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر يقظة دار الاسلام ونهضتها الصحيحة، وذكر ممن تولى ذلك الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: " فهذه النهضة وهذه اليقظة لا يعرفها على حقيقتها ولا يعرف مغبتها غير الاستشراق، فيومئذ هب المستشرقون حملة هموم المسيحية الشمالية، هبوا هبة الفزع، وتسارعوا ينقلون كل صغيرة وكبيرة، ووضعوه بينا جليا تحت أبصار ملوك المسيحية الشمالية وأمرائها ورؤسائها وقادتها وساستها وعلمائها ورهبانها، وبصروهم بالعواقب الوخيمة المخوفة من هذه اليقظة الوليدة، وبينوا لهم الخطر الداهم الذي جاء يتهددهم اذا ما تم تمام هذه اليقظة واشتد عودها واستقامت خطواتها على الطريق اللاحب، وأنه ليس للمسيحية الشمالية خيار سوى العمل السريع المحكم واهتبال الغفلة المحيطة بهذه اليقظة الوليدة ومعاجلتها في مهدها قبل أن يتم تمامها ويستفحل أمرها وتصبح قوة قادرة على الصراع والحركة والانتشار"[٢].

ويقول أيضا: "وكانت انجلترا ومستشرقوها ما فتئت تخوف الدولة التركية وتؤلبها على مهد اليقظة في جزيرة العرب والتي قام بها وأسسها محمد بن عبد الوهاب ١١١٥ - ١٢٠٦هـ /١٧٠٣- ١٧٩٢م واستجابت دار الخلافة بغفلتها الى هذا التأليب حتى جردت حملات متتابعة لقمع اليقظة الوهابية، وآبت في جميعها بالاخفاق. ثم منذ ولى محمد علي سرششمة جعلت تركيه تدعوه الى تجريد جيوشه لقتال الوهابيين، وتتابع هذا الطلب من سنة ١٨٠٧ م

---

(١) المنار: ٥٨٤/٢٤.

(٢) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا: ١١٧.

الى سنة ١٨١٠م/ ١٢٢٢ - ١٢٢٥هـ فلم يستجب لنداء تركيه ولكن الاستشراق بقناصله زين أخيرا لمحمد علي سرششمة أن يستجيب ليحقق ماربه في وأد اليقظة التي كادت تعم جزيرة العرب وأمدوه بالسلاح الذي يعينه على خوض الحرب وذلك في سنة ١٢٢٦هـ /١٨١١م أي بعد ولايته مصر بست سنوات، وسارت الجيوش قاصدة جزيرة العرب ودارت الحرب التي لم تنته إلا بعد ثمان سنوات في سنة ١٢٣٥هـ /١٨١٩م فقدت الجيوش المصرية ألافا من أبنائها ولقيت هزائم كادت تؤدي بها، وأخيرا تم النصر لمحمد علي سرششمه بعد أن ارتكب من الفظائع ما لا يستحله مسلم واستباح الديار والأموال والنساء وهدم المدن، فكان هو وابنه ابراهيم وسائر أولاده الطغاة من شر الطغاة، وكانت حربا طاحنة لا معنى لها ولا ينتفع بها إلا مؤرثوها من دهاة المسيحية الشمالية"(١).

وهذه بعض النقول عن المستشرقين وبعض المناوئين لدعوة الإمام، التي تنظر للدعوة على أنها دعوة سياسية، وتتعامل معها من هذه النظرة.

يقول زويمر: "وظهر أنها -أي الدعوة- كانت تمثيلية سياسية"(٢).

ويقول المستشرق بوركهارت: "وتتبع تاريخ الوهابية ما هو إلا تسجيل لوقائع مشابهة لتلك التي تحدث يومياً في الصحراء، قبيلة ذات حظ تصل إلى السلطة فتحصل على غنائم وتبسط نفوذها على جيرانها"(٣).

ويقول وليم جيفورد بلجريف: "لقد ذكرتُ التاريخ المتقدم للفرقة الوهابية في المجلد الأول الذي يبدو كافياً للقارئ لإظهار العدوانية والغزو عند محمد بن عبدالوهاب وأتباعه وقائد آل سعود، وأن هذين الرجلين ومن بعدهم -وهم أشد حماسة- لديهم رؤية ليس لإيجاد فرقة، ولكن امبراطورية، وليس لتحويل جيرانهم إلى معتقدهم، بل لإخضاعهم"(٤).

---

(١) المرجع السابق: ١٣٧-١٣٨.

(٢) العربية مهد الإسلام: ١٩١-١٩٢. وانظر: الانتصار لأهل السنة وكشف مذهب أدعياء السلفية: ١١، ١٤٧-١٤٨.

(٣) مواد لتاريخ الوهابيين: ١٢-١٣.

(٤) رحلة إلى الرياض: ٦.

ويقول ديفيد كوبر: "وهنا لابد أن نذكر أن الحركة الوهابية لم تكن مجرد انتفاضة دينية، بل هي في رأيي المتنفس الذي رد به أهل نجد فرفضوا الهوان من العثمانيين، ثم من الضغوط التي مارستها أوروبا على شبه الجزيرة العربية، وكانت الحركة وقد اتخذت من الدين أداة لها تمثل وسيلة لصون الأسلوب الذي ارتآه الناس منهجاً لهم في هذه الحياة"(١).

ويقول محمد زكي إبراهيم: "ليست خصومة المحمديين(٢) للتمسلف لمجرد أنه مذهب يخالف مذهبهم قليلاً أو كثيراً، ولكن لما في هذا المذهب من الخطورة البالغة على المقومات الفكرية والاعتقادية، والقومية، والوطنية، وعلى المبادئ والقيم، باسم "السلف" المظلوم.

فالتمسلف بتقسيمه أهل القبلة إلى أديان شتى، ثم إلى مشركين وموحدين، ثم إلى كذا وكذا، مما يجعل بأسهم بينهم ويشغلهم بتوافه الفتن عن كبريات الأخطار إنما يخدم الاستعمار خدمة لا تعدلها خدمة، فقاعدة "فرّق تسد" التي ينفق عليها الاستعمار كل أمواله، ويستعمل فيها كل تداهيه ولؤمه ومخابئه، ويرصد عليها كل إمكانياته، إنما لا تكلفه شيئاً أبداً إذا هو ساند التمسلف -كما هو واقع فعلاً- ولو بهذه الدنيويات التافهة التي يقدمها له سحتاً فواحاً بالنتن، فيروح دعاته مسعورين في كل جانب، يهدمون له ما بنى الله من أنفسهم وأمتهم، ولا يزال أحدهم يرفس وينطح ويعض وينهش، لا يبقي أديماً سليماً لمسلم عالم أو عارف أو حاكم، سابق أو لاحق، وبهذا يعود (التمسلف) فيخدم الاستعمار خدمة أخرى أخطر وأنكر، هي تجريد التاريخ الإسلامي من المجد، وتعرية الفكر الإسلامي من الثروة، وكشف فرائد الفضائل على أنها عورات وآثام ومخاز، فلا يعود المسلم يحس بمجد تاريخي ولا علمي ولا ثقافي، ولا يعود يرى أجداده إلا شذاذ آفاق مضللين ولصوص مجد، أفاكين، فينهار المسلم أمام نفسه، ويصغر

---

(١) الحركة الوهابية في عيون الرحالة الأجانب: ٦٦. وانظر: الرد على الوهابية في القرن التاسع عشر "نصوص الغرب الإسلامي نموذجاً": ١١، وملاحظات عن البدو والوهابيين: ٤١٢-٤٢٣، والدعوة الوهابية والمملكة: ٢٦-٢٧، ٤٥، ٦٩، ومباحث في العذر بالجهل: ٢٥١-٢٧١.

(٢) "قد سمي الدِّين الذي دعا إليه النبي ﷺ دين الإسلام، ولهذا التسمية بدورها مغزى ينطوي على معنى الدخول في الإسلام، ويسمى معتنق هذا الدِّين مسلماً، والمسلم: أي الرجل الذي اهتدى للإسلام. أما التسمية بـ ((محمدي)) و ((محمدية)) فلم تكن في يوم من الأيام سائدة ولا مستساغة لدى أتباع هذا الدين". الفكر الخوالد بواسطة معجم المناهي اللفظية: ٤٨١، ٥٨٩-٥٩٠.

في عين ذاته، ولا يجد ملجأ إلا التمسح بكل ما هو أجنبي، والتماس كل ما هو غير عربي وغير إسلامي.

وهكذا يخدم (التمسلف) الاستعمار أنكر خدمتين، عملية وفكرية، فيحطم بيضة الإسلام من ظاهرها وباطنها شر تحطيم، ولكن باسم الله والإسلام والتوحيد"(١).

ويقول أيضاً: "يجب أن يكون معروفاً لجمهور المسلمين معرفة يقينية حاسمة أن السلفية عموماً -وبخاصة هذه "السلفية المعاصرة"- إنما هي حركة سياسية، غائرة الأعماق، مترامية الأبعاد، متشعبة الجذور والفروع، تهدف أولاً وأخيراً إلى السيطرة على العالم الإسلامي، بكل ما يتاح لها من وسائل الدعوة أو الدم أو الإغراء!!

وكل ما نرى من هذه المؤسسات أو التشكيلات التي تنشأ باسم الإسلام منسوبة إلى السلفية إنما هي خطوات إلى الهدف البعيد المكرر، وما نرى من جماعات تنبثق من هنا وهناك بدعوى حماية "التوحيد"، أو بعث "السُّنة"، أو التبشير، أو التبليغ، كلها - بلا أي استثناء- من مواليد "السلفية المعاصرة" التي تعمل بكل ما لديها من مال وجاه وسلطان لتكون كلمتها هي العليا في عالم المسلمين، وهي تنفق في هذا السبيل بغير حساب.

والخطر الداهم أن يؤيدها في ذلك كافة القوى المعادية للإسلام، بوسائلها الخفية والمعلنة، فهذه "السلفية" مهما ادَّعت لنفسها من طهارة وقداسة إنما تمشي -وسوف تظل تمشي- في ذلك قوة أعظم، من قوى خصوم الإسلام، بحكم طبيعة الواقع، وهذه هي الحقيقة الفعلية الملموسة، ومعنى هذا أنها تتحرك بطاقة أجنبية، لتحقق تمزق الأمة شيعاً، يذيق بعضها بأس بعض، بما تدَّعي من الانفراد بـ"التوحيد" وحماية حمى السُّنة"(٢).

وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر الشهيرة نهج الغرب استراتيجيتين خطيرتين تجاه العالم الإسلامي بدعوى (الحرب على الإرهاب). هاتان الاستراتيجيتان اتخذتا أسلوبين في

---

(١) السلفية المعاصرة إلى أين: ٧٠-٧١.

(٢) المرجع السابق: ٨٠. وانظر: مغالطات السلفية: ٥، ومقدمة كتاب الشيخ محمد بن عبدالوهاب، لأحمد بن حجر آل بوطامي: ٢، وكتابة التاريخ في المملكة العربية السعودية: ١٣٩، والسلفية الجهادية في السعودية: ١٠-١١، ٢٠، الوهابية بين الشرك وتصدع القبيلة: ١٤٦-١٥٥، ١٩٦، ٢٣٣.

تطبيقهما.

الأول: الحرب العسكرية، التي استهدفت بعض الأنظمة الإسلامية والعربية.

الثاني: الحرب الناعمة (السياسية والثقافية والإعلامية)، التي استهدفت المملكة العربية السعودية، ديناً ودولة وشعباً ومؤسسات. فالغرب يدرك مكانة المملكة في العالم الإسلامي؛ فاطلاق حملته الناعمة ضدها، في محاولة لتغيير ما يمكن تغييره من دينها وهويتها الثقافية، متخذاً من منابره السياسية والثقافية والإعلامية وسائل لإحداث التغيير المطلوب.

فتنوعت الكتابات الغربية في حديثها عن الدين الإسلامي وتأثيره في السعودية وخارجها، مستهدفة أسسه النظرية وتطبيقاته في المجتمع السعودي.

وقد استأثر موضوع السلفية ودعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب بتركيز بعض الكتاب الغربيين واهتمامهم، في محاولة للتشويش على صفاتهما في مخيلة الرأي العام النخبوي والشعبي في الغرب والعالم الإسلامي وفي السعوديين أنفسهم.

وقد حاولت تلك الكتابات الغربية ربط هذين المفهومين بالتشدد والتطرف، تحقيقاً لأهداف الحرب الناعمة التي رامت إضعاف القوة المعنوية وتذويب الهوية الدينية والثقافية للمسلمين. وسعياً لإرساء ملامح (الشرق الأوسط الجديد) الذي رسمته وبشرت به حكومات الغرب والولايات المتحدة على وجه الخصوص[(١)].

يقول مشعل المويشير : "وبالإضافة إلى الحملات الإعلامية ضد السعودية وأهدافها المعلنة والمستترة، ضغطت أمريكا أكثر من خلال طلباتها والتي تخص الشأن الداخلي بالمملكة ومطالبتها بإجراء إصلاحات سياسية واجتماعية واقتصادية على وجه السرعة"[(٢)].

ثم يقول: "وكان من الغريب استهداف السعودية بهذا المخطط نظراً لكونها دولة تتبنى نهجاً وسطياً يقوم على العقلانية والاعتدال وهي دولة مرموقة في المنطقة وذات ثقل سياسي لا يستهان به وتمثل صمام أمان في المنطقة، وسداً منيعاً يحول دون نمو الأفكار المتطرفة، وحاول

---

(١) انظر: السعودية السلفية في الكتابات الغربية: ٦-٨ باختصار.

(٢) الإرهاب وآثاره بالعلاقات الدولية: ١٢٥. وانظر: أمريكا التي تعلمنا الديموقراطية والعدل: ١٠٦.

العديد من الكتاب والمحللين تحليل الأسباب والدوافع التي أدت إلى هذه الحملة الشرسة ضد المملكة العربية السعودية، ويرى البعض منهم أن طغيان مبادئ صراع الحضارات وسبل الهيمنة على الآخرين على معظم الدراسات والخطط الاستراتيجية التي أنجزها محللون عسكريون واستراتيجيون منذ ظهور بوادر انهيار الاتحاد السوفيتي نهاية الثمانينات من القرن الماضي، قد لفتت أنظار المخططين الغربيين وبالتحديد في الولايات المتحدة الأمريكية إلى ضرورة إجراء دراسة معمقة للأفكار والقيم والحضارات التي قد تشكل فكراً مناهضاً أو احتمالاً بصراع جديد يحدد أو حتى يعيق المكاسب الناجمة عن انهيار الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية في ذلك الوقت. وهنا ظهرت دراسات تتحدث علناً عن صراع الحضارات ووضعت الإسلام على رأس قائمة الاحتمالات لصراع في القرن الواحد والعشرين ينبغي على الفكر الغربي الرأسمالي أن يهيئ نفسه لخوضه ومن ثم الانتصار فيه. وبعد فوكاياما وتاريخه شهدت الساحة الفكرية والتخطيطية أفكار هنتجتون عن صراع الحضارات الذي يطل برأسه مع نهاية القرن العشرين. واتجهت الدراسات والمخططون إلى تحديد المقصود بتهديد الإسلام: فهل هو الفكر الديني الروحي الإسلامي أم هو الدولة الإسلامية؟ وما هي الدولة الإسلامية، هل هي أية دول دينها الإسلام أم غالبيتها من المسلمين؟ فهل هي إندونيسيا أم ماليزيا أكبر دولتين مسلمتين أم جيبوتي؟ وتمتد وتيرة السيناريوهات من أجل حصر الجهة التي سعتبرها الغرب مصدر الصراع الحضاري"(١).

ونخلص من ذلك كله بأن استهدافهم لدعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأنها تمثل الإسلام الصحيح في هذا الوقت المعاصر، فهي حرب معلنة يصرح بها المناوئون لهذه الدعوة تحت شعارات مختلفة، "الحرب على الإرهاب"، " الوهابية"، وغيرها من الشعارات.

"والحقيقة أن دعوة شيخ الإسلام التي تسمى "الوهابية" ليست شيئاً جديداً. فإنه لا يقدم شيئاً غير التعليم الصحيح للكتاب والسنة إلا أن دعوته أسيئت سمعتها بين الناس باسم الوهابية للأغراض السياسية. وكأنها دعوة إلى دين غير الإسلام" (٢).

---

(١) الإرهاب وآثاره بالعلاقات الدولية: ١٢٥-١٢٦، وانظر: مصداقية السياسة الخارجية السعودية في مكافحة الإرهاب: ٩٩، والوهابية بين الشرك وتصدع القبيلة: ١٠٠، ١٦٦، ١٩١، ٢٧٥.

(٢) مباحث في العذر بالجهل: ١٤٧-١٤٨.

فهي دعوة إسلامية جامعة لجميع الأمور الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وغير ذلك، وهدف هذه الدعوة إقامة مجتمع إسلامي متكامل تحت ظل دولة إسلامية تؤمن بالإسلام عقيدة وعبادة وشريعة ومنهجاً، وتطبق أحكامه في كل شؤونها[١].

(١) الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته ودعوته للشبل: ٤٣.

ثانياً: الهدف الديني:

لما ظهرت دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وانتشرت في الجزيرة العربية والبلدان الإسلامية وغيرها، وكان لها الأثر الواضح في نشر التوحيد والسنة والقضاء على الشرك والبدع، خشي أهل الشرك والبدع على ضلالهم الذي يستمدون منه مكانتهم وأموالهم؛ فسعوا جاهدين للقضاء على هذه الدعوة المباركة بمحاربتها وتشويهها والافتراء عليها، وهو ما حصل من قبل المناوئين المعاصرين مع دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مستغلين الجهل بالدين، وقلة الفقه، والجهل بحقيقة دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فإذا جهل الإنسان حقيقة دينه أدى به ذلك لمعادة كل ما يخالف ما كان يعتقده، ومعادة كل من يدعو إليه(١).

يقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن حال عصر الشيخ الإمام: "كان أهل عصره ومصره في تلك الأزمان قد اشتدت غربة الإسلام بينهم وعفت آثار الدين لديهم، وانهدمت قواعد الملة الحنيفية، وغلب على الأكثرين ما كان عليه أهل الجاهلية وانطمست أعلام الشريعة في ذلك الزمان، وغلب الجهل والتقليد والإعراض عن السنة والقرآن، وشب الصغير لا يعرف من الدين إلا ما كان عليه أهل تلك البلدان، وهرم الكبير على ما تلقاه عن الآباء والأجداد، وأعلام الشريعة مطموسة، ونصوص التنزيل وأصول السنة فيما بينهم مدروسة، وطريقة الآباء والأسلاف مرفوعة الأعلام، وأحاديث الكهان والطواغيت مقبولة غير مردودة ولا مدفوعة، قد خلعوا ربقة التوحيد والدين، وجدُّوا واجتهدوا في الاستغاثة والتعلق بغير الله من الأولياء والصالحين، والأوثان والأصنام والشياطين، وعلماؤهم ورؤساؤهم على ذلك مقبلون، ومن بحره الأجاج شاربون، وبه راضون، قد أغشتهم العوائد والمألوفات وحبستهم الشهوات والإيرادات عن الارتفاع إلى طلب الهدى من النصوص المحكمات والآيات البينات"(٢).

(١) انظر: إسهامات المسجد في مواجهة الانحرافات الفكرية والخلقية من منظور التربية الإسلامية: ١٤٢.

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل: ٣/٣٨١-٣٨٢. وانظر: روضة الأفكار: ١/٥-١٢.

فلما أظهر الله هذه الدعوة السلفية على يد المجدد الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ استنكرها الرعاع وأدعياء العلم والعوام، لأنها خالفت عوائدهم الشركية ومألوفاتهم البدعية، فلما دعاهم الإمام إلى وجوب إفراد الله تعالى بالعبادة وأنه لا يدعى ولا يستغاث إلا بالله وحده، فلا يستغاث بالأولياء أو الأنبياء، استنكر أولئك الجهال هذا الحق، وزعموا أن ذلك انتقاص للأنبياء والأولياء، فخالفوا الحق مع ظهوره وبيان أدلته ووضوح براهينه.

أما في الواقع المعاصر فإن غالب من يكتب عن الدعوة وأهلها - وخصوصا من الغربيين- يجهلون حالها، ولا يسعون لمعرفة حقيقة الدعوة، ويكتبون على حسب زعمهم وظنهم، تقول الصحفية باربرا فيرجيسون، وهي تتحدث عن جهل زملائها المراسلين الصحفيين الأمريكيين بواقع المنطقة وتعاملهم مع هذا الواقع بناء على صورة نمطية جاهزة:

"من وجهة نظر شخصية وتجربة صحفية أرى أن العديد من المراسلين الصحفيين الأمريكيين يجهلون تماماً واقع منطقة الشرق الأوسط. فعندما عملت صحفية مرافقة لمشاة البحرية الأمريكية أثناء عملية غزو العراق، كنت أتعجب من أن معظم زملائي، وبينما كانوا في انتظار إجراءات إلحاقهم بالوحدات العسكرية، كانوا يرفضون أو يعزفون عن معرفة أحوال المواطنين في البلد الذي سيقومون بتغطية الحرب فيه"(١).

كما أن بعض هؤلاء المراسلين الصحفيين، وبعض المسؤولين السياسيين والناشطين في مجال حقوق الإنسان، وبفعل تأثير الصورة النمطية المشوهة عن دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب في مصادرهم، لا يستطيعون طرح ما يرونه من صورة إيجابية عن الدعوة في السعودية بصورة واضحة. ولذلك لما سُئل رئيس مجلس الشيوخ الكندي الدكتور نويل كنسيلا عن الحملة الإعلامية ضد السعودية في بعض الصحف الغربية على الرغم من أن كثيراً من الإعلاميين الغربيين لم يزر المملكة ويتعرف على الحقيقة عن قرب ومن مصادر مباشرة، قال:

"إن هذا أمر غير منطقي، لأنه لا ينبغي لمن لم ير الشيء بنفسه أن يتحدث عنه أو

(١) لماذا يحمل الغرب صورة مشوهة عن المرأة السعودية، ضمن بحوث نشرت في كتاب: السعوديون والإرهاب: رؤى عالمية: ١٦٥، وانظر: التغطية الإعلامية الغربية لتعامل المملكة العربية السعودية مع الإرهاب، ضمن بحوث نشرت في كتاب: السعوديون والإرهاب: رؤى عالمية: ٥٢١.

ينتقده، وعلى هؤلاء الصحفيين الغربيين أن يزوروا المملكة، ليروا ويسمعوا ويقابلوا المسؤولين وعامة الناس، ثم يكتبوا عنها. وهي عموماً حملات مسمومة، ويقف وراءها من لهم أغراض مشبوهة، لا تخدم العلاقات بين بلادهم والسعودية، ولا العلاقات بين الشعوب"(١).

والتناقض بين ما يكتبه وينشره أولئك الكتاب الغربيون بعد انتهاء زيارتهم للسعودية وما رأوه في الواقع أمر قد اشتهر بينهم، ليس الكتاب والمثقفون فقط بل حتى السياسيين والمسؤولين. ففي سؤال لرئيس مجلس الشيوخ الكندي عن هذه القضية، وهي أن كبار المسؤولين الغربيين ومنهم الكنديون الذين يزورون المملكة ويطّلعون على حقيقة الأوضاع على الأرض، لا يوضحون هذه الحقائق لوسائل الإعلام في دولهم، أجاب رئيس مجلس الشيوخ الكندي أن بعض وسائل الإعلام لا ترغب في سماع أخبار جيدة، وقال:

"أنا شخصياً سأقدم عقب عودتي إلى كندا تقريراً إيجابياً جداً للبرلمان، أسرد من خلاله الحقائق التي لمسناها خلال زيارتنا للمملكة على مدى ثلاثة أيام، سواء في مجال الشراكة التجارية والاقتصادية بين بلدينا، أو على مستوى التعاون البرلماني، أو على مستوى التعامل بين الكنديين والسعوديين كأفراد"(٢).

يقول منتصر حمادة مبينا الخوف من انتشار دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وما يترتب على ذلك من خطر - حسب زعمه-: "في هذا السياق، يأتي هذا العمل تحت عنوان في نقد العقل السلفي، والإحالة على التدين الإسلامي الحركي في شقه السلفي الوهابي، بحكم هيمنة أنماط هذا التدين ليس في الدول الإسلامية "المصدرة" له منذ عقود وحسب، وتحديداً منذ حقبة الطفرة النفطية في شبه الجزيرة العربية، ولكن أيضاً بحكم صعود أسهم هذا النمط المتشدد من التدين في مجالات تداولية إسلامية كانت إلى عقود قريبة، بعيدة عن النهل من رياح التسلّف الوهابي، قبل أن تجد نفسها اليوم، معنية بالتفاعل مع نتائج سياسات "تصدير" و"استيراد" الأدبيات السلفية الوهابية عبر الفضائيات والمؤتمرات وثورة الاتصالات

---

(١) مقابلة مع صحيفة الوطن السعودية، بتاريخ ٤ فبراير ٢٠١١م. وانظر: السعودية السلفية في الكتابات الغربية: ٧٨-٨٠.

(٢) السلفية السعودية في الكتابات الغربية: ٨٥-٨٦.

والتقنيات التكنولوجية الحديثة.. وهذا ما أكدت عليه آخر الدراسات ... المخصصة لتفكيك الظاهرة السلفية الوهابية، حيث اعتبر منسق الدراسة أنه "منذ الأزمة النفطية لعام ١٩٧٣، سوف تنفتح (السلفية) الوهابية على العالم الحديث، ولكن عبر التحول من حركة طائفية وهامشية ومعزولة، إلى حركة مغايرة ومتطورة فكرانياً (أيديولوجياً) وثقافياً، عبر أعلام فقهية وتيارات حركية، اشتغلت على إعدادها من أجل مواجهة العالم الحديث"(١).

ويذكر الأستاذ أحمد فهمي سبب هذا الخطر عند المناوئين لدعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب، وأن دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب والسلفية لا ينبع خطرها من الكثرة العددية كما هو الحال بالنسبة للتيارات الأخرى، بل ينبع خطرهم في الأساس من الفكرة التي يحملونها وقابليتها للانتشار بسهولة، وذلك أن عقيدة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ الصحيحة هي الأكثر توافقاً مع الفطرة، بمعنى أنه لو ترك الناس لحالهم لرجعوا إلى الإسلام وطبقوا أحكامه كما هي مبينة في الكتاب والسنة.

بالإضافة إلى قوة التأثير لأتباع دعوة الإمام السلفية، وانتشار دعوتهم، ويستدل على ذلك بحجم ونوعية الكتاب الإسلامي المتداول والمرتبط بالسلفية مقارنة بمثيله لدى التيارات الأخرى.

كما أن مشكلة دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع العالم الغربي أنها تطالب بالعودة إلى منابع الإسلام الصافية الكتاب والسنة وتحكيمهما في كل صغيرة وكبيرة بصورة مباشرة، ويمتلك الغربيون قناعة قديمة بأن تلك المنابع الصافية هي مصدر خطرهم، وأن أي جماعة أو تيار يبدو حريصاً على التمسك بها لا مفر من مواجهته(٢).

وساعد في ذلك – مع الجهل بالدين وبحقيقة دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ – اتباع الهوى، قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ

---

(١) في نقد العقل السلفي: ٨. وانظر: النشاط الصوفي بعد أحداث سبتمبر في كتاب: التصوف بين التمكين والمواجهة: ٤٦-٥٥.

(٢) انظر: عفواً ممنوع دخول السلفية والسلفيين، http://www.awda-dawa.com/Pages/Articles/default.aspx?id=١٢٨٨١ في ١٤٣٨/١٢/١٦.

ٱللَّهِ ﴾ [القصص: ٥٠]. فإتباع الهوى من أعظم أسباب إصرار أهل البدع على بدعهم[١].

وكذلك التقليد للآباء والأجداد، وأخذ العلم عن الدعوة من المناوئين لها، وممن افتراء عليها، جرياً على سنة الأولين.

قال تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٢].

وذلك يؤدي -لا محالة- إلى معادة الدعوة وأهلها؛ لأن تقليد الآباء والأجداد بغير علم وعدم الرجوع إلى علماء الدعوة ومصادرها الصحيحة نقص في معرفة الدعوة ومنهجها وحقيقتها، وفي الأخذ عن المناوئين لها والرجوع إلى كتبهم ومؤلفاتهم لا يوصل إلى حقيقة الدعوة؛ لأنهم يطعنون فيها، ويختلقون عليها الأقاويل، ولا يفهمون مراد أصحابها[٢].

وكذلك ما ألصق بهذه الدعوة ومجددها وأنصارها من التهم الباطلة والأكاذيب والمفتريات، فقد أصاب هذه الدعوة منذ بدء ظهورها حملة مكثفة شنيعة عمَّت البلاد والعباد، فلقد ألصق بعض أدعياء العلم في هذه الدعوة السلفية ما ليس منها، فزعموا أنها مذهب خامس، وأنهم خوارج يستحلون دماء وأموال المسلمين، وأن صاحبها يدعي النبوة وينتقص الرسول ﷺ.. إلى آخر تلك المفتريات[٣].

يقول المستشرق الكولونيل روسو حيث كتب رسالتين قصيرتين عن الوهابيين في بغداد وحلب سنة ١٨٠٨هـ وأكد أنهم أتوا بديانة جديدة[٤].

وقد تبعته في ذلك الرحالة الليدي آن بلنت في كتابها رحلة إلى بلاد نجد ووصفت الدعوة بأنها دين جديد[٥].

ومن ذلك ما ذكره الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن تلقي الحجاج الوافدين

---

(١) انظر: رسائل ودراسات في الأهواء والافتراق والبدع وموقف السلف منها: ٣٦٤.

(٢) انظر: مواقف المستشرقين من دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب: ١٢٢.

(٣) دعاوى المناوئين: ٧١-٧٢.

(٤) مواد لتاريخ الوهابين: ١٦.

(٥) رحلة إلى بلاد نجد: ٢١٠.

إلى مكة من أشراف الحجاز وبعض علماءها، والتقديس التام لهم "والانقياد الكامل لأقوالهم ضد الشيخ وأتباعه الشيء الكثير من كون أتباع الشيخ لا يحترمون الأولياء والصالحين ويهدمون قبابهم ... فلهذا أخذ جمهور الناس في سائر الأقطار فكرة سيئة عن الشيخ وأتباعه"(١).

ولا يزال هذا التجني والكذب، وخصوصاً مع سهولة النشر من خلال وسائل الإعلام والانترنت وشبكات التواصل الاجتماعي وغيرها.

ومن الأهداف الدينية للمناوئين لدعوة الإمام ما يتحقق من مصالح مشتركة لخصوم الدعوة - مثل تعظيم القبور والأولياء- التي تفرض عليهما التعاون مع اختلاف المعتقدات للطعن في دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فإن عداء الصوفية لدعوة الإمام مثلا جعلها تتوافق وتتصالح مع الرافضة ضد هذه الدعوة (٢)؛ لكي يتحقق لهما بقاء تعظيم القبور والأولياء فينتفع الطرفان.

ولما غلب على حال كثير من المسلمين ظهور الشركيات وانتشار البدعيات، واستفحال الخرافات، والغلو في الأموات والاستغاثة بهم، وظهور تشييد المشاهد وإقامة المزارات على القبور، وزخرفتها وتزيينها وصرف الأموال الطائلة عليها ... فلما غلب ذلك على حال عامة المسلمين، فإن هؤلاء المتصوفة والرافضة وجدوا في هذا الواقع الآسن مرتعاً خصباً لبثّ سمومهم العقديّة.

فلما بدت أنوار هذه الدعوة تكشف غياهب الظلام، وتزيل أدران الشرك ونجاساته، وتدعو الناس إلى تحقيق التوحيد بصفائه ونقائه، أدرك الخصوم أن ظهور هذه الدعوة السلفية نذير بزوال عقائدهم الباطلة، "ولعل هذا أكبر أسباب التشويه والافتراء والدعاية المضادة لهذه الدعوة إضافة إلى الحسد والخوف على السلطان والمصالح; ما كان يقوم به أتباعها من إزالة للبدع الظاهرة والمنكرات المتفشية , فكلما وصلوا إلى بلد أزالوا القباب والمشاهد على القبور,

---

(١) سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ٥٣، وانظر: دعايات مكثفة ضد الشيخ: ٢٦-٢٧.

(٢) انظر: الإسلام في مواجهة التكفيرية، قراءة في الإسلام السياسي والسلفية، والذي يبين فيه الدافع له في الرد على الوهابية والسلفية، وكتاب الجماعات المتطرفة وإيران: علاقات متجددة، أجندات متعايشة.

وأزالوا الأحجار والأشجار التي يتبرك بها الجهلة, وأقاموا الحدود وقضوا على مظاهر الدجل والسحر والشعوذة, وأكل أموال الناس بالباطل, وسائر المظالم, ولاشك أن هذا مما يثير حفيظة المرتزقة والمنتفعين من هذه الأعمال الشنيعة من زعماء وشيوخ وسدنة ومزورين وعاملين وغيرهم من العامة والخاصة, وهذا من عوامل الإثارة ضد الدعوة لأنها تقضي على مظاهر أكبر الارتزاق بالشركيات والبدع والمنكرات وسائر أسباب الكسب الحرام والجاه المشبوه , وتكشف ألاعيب الدجالين والمتاجرين بالدين"(١).

فحشد أولئك الخصوم قواهم وانبروا في التشنيع بهذه الدعوة وأنصارها، وهم أثناء تشنيعهم يذكرون معتقدهم الصوفي أو الرافضي – وغيرهما – ويزينونه للناس ويزعمون أنه الحق.

فنجد هؤلاء الصوفية أثناء ردّهم على الدعوة السلفية، يتبجحون بصوفيتهم ويفتخرون بانتسابهم إلى الطرق الصوفية كالنقشبندية أو القادرية أو التيجانية... ويدافع عن التصوف وأدعيائه.

والرافضة أثناء مناهضتهم الدعوة السلفية يدافعون – بكل ما عرف عنهم من كذب وقلب للحقائق – عن معتقدهم(٢).

يقول حسين الخراساني إن كل شيعي يتمنى فتح مكة والمدينة وإزالة الحكم الوهابي عنها وقال: "إن طوائف الشيعة يترقبون من حين وآخر أن يوماً قريباً آت يفتح الله لهم تلك الأراضي المقدسة لمرة أخرى ليدخلوها آمنين مطمئنين فيطوفوا ببيت ربهم، ويؤدوا مناسكهم، ويزوروا قبور ساداتهم ومشايخهم... ولا يكون هناك سلطان جائر يتجاوز عليهم بهتك أعراضهم، وذهاب حرمة إسلامهم، وسفك دمائهم المحقونة، ونهب أموالهم المحترمة ظلماً وعدواناً "(٣).

---

(١) إسلامية لا وهابية: ١٦١.

(٢) انظر: المرجع السابق: ٧٤-٧٥. ومقالات مختارة في المذاهب والأفكار السائرة: ٥١٩-٥٣٦، ومباحث في العذر بالجهل: ٢٥١-٢٥٣، والسلفية المعاصرة إلى أين؟: ٧٤-٧٥.

(٣) الإسلام على ضوء التشيع: ١٣٢-١٣٣. وانظر: أصول الشيعة للقفاري: ١٠٩١، والإعلام في بيان خطر الزحف المجوسي على بلاد الإسلام: ١٩-٢٠.

وتعتبر "حركة التشيع السلفية من ألد أعدائها، ولذا يكثر شتم السلفية في حسينيات الشيعة ومناسباتهم ومنتدياتهم، والتحذير منها، وتشويه سمعتها، وإذا أراد القارئ أن يعرف موقف حركة التشيع من السلفية فلينظر إلى مواقع الإنترنت الخاصة بهم، حيث سيجد عشرات المقالات في ذم السلفية وتشويهها.

ولعل السبب في الموقف العدائي الذي تكنه حركة التشيع للسلفية يكمن في أن السلفية هي الطائفة الأكثر كشفاً لحقيقة المذهب الشيعي والرد عليه في القديم والحديث، يقول حسن الصفار: "من طبيعة المدرسة السلفية الصرامة والتشدد فيما تراه خلافاً عقدياً"[(١)]...

وفي الخطة الخمسينية السرية لآيات قم بأن "الخطر الذي يواجهنا من الحكام الوهابيين وذوي الأصول السنية أكبر بكثير من الخطر الذي يواجهنا من الشرق والغرب، لأن هؤلاء الوهابيين وأهل السنة يناهضون حركتنا وهم الأعداء الأصليون لولاية الفقيه والأئمة المعصومين[(٢)]"[(٣)].

يقول مشعل المويشير: "تعاملت الولايات المتحدة مع مختلف القضايا العربية والإسلامية، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر استناداً إلى أيديولوجية العقيدة، إذ طغى على سياستها الخارجية تجاه العالمين العربي والإسلامي بعد ديني يحمل في طياته الفروقات التاريخية والحضارية والدينية بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، خاصة تجاه القضية الفلسطينية وإسرائيل، ويرى الكثير من المحللين أن الدين أمسى إشكالية كبرى في سياسة الولايات المتحدة تجاه المنطقة العربية والإسلامية، لا سيما حين يتزامن ذلك مع إدارة أمريكية يمينية التوجه والتطرف، كما هو الحال في إدارة الرئيس الأمريكي الحالي "بوش الابن" وصقور البيت الأبيض الذين ينهجون توجهات وأفكاراً سياسية متطرفة حيال القضايا العربية تعود في جذورها إلى المعتقدات الدينية

---

(١) السلفيون والشيعة: ١١.

(٢) الخطة الخمسينية السرية: ١١.

(٣) حركة التشيع في الخليج العربي: ٣٣٤، ٧١، وانظر: كتيب الشيعة الحاقدون يريدون تصفية ثأر عمره ١٤٠٠ عام من السنة، وهو عبارة عن حوار خاص لجريدة رزو اليوسف المصرية مع مفتي جبل لبنان: محمد بن علي الجوزو بتاريخ ٢٢/٦/٢٠٠٦م، أجرى الحوار: عبدالله كمال، وكتاب: لماذا تحاكم السلفية في شمال أفريقيا: ٣٠ وما بعدها.

المسيحية – الصهيونية، أكثر من كونها رؤى وتصورات من واقع السياسة الدولية"[١].

(١) الإرهاب وآثاره بالعلاقات الدولية: ١٠١، ١٢٤، وانظر: العلاقات السعودية – الأمريكية بعد ١١/سبتمبر ٢٠٠١: ٥٧، والحملة الأمريكية على السعودية.. أسباب دينية وسياسية:

http://www.islamonlin.net/arabic/politics/٢٠٠١١٠//artcle٤٨.shtm١#top، في ١٤٣٨/٧/٩.

ثالثاً: الهدف الاقتصادي:

من الأهداف المهمة للمناوئين لدعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأهداف الاقتصادية؛ فإن ظهور دعوة الإمام وانتشارها أدى إلى غضب المنتفعين بسبب انقطاع مواردهم من الهدايا والنذور(١)، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإتساع رقعة الدولة التابعة لدعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أدى إلى قطع الموارد الاقتصادية عن الدول المناوئة لدعوة الإمام، وفي الوقت نفسه قوة لدعوة الإمام(٢).

يقول فؤاد إبراهيم : "من جهة أخرى، شهدت نجد أوضاعاً اقتصادية واجتماعية بالغة الصعوبة، ويذكر في أحداث سنة ١٢٨٣هـ/١٨٧١م: "كان الناس يأكلون جيف الحمير ويحرقون جلود الأباعر (جمع بعير)، ويدقونها، بل كانوا يدقون العظم و يأكلون مسحوقها"(٣).

وبدت الحاجة أشد إلحاحاً للخروج من الظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة التي شهدتها نجد طيلة سنوات ما بعد سقوط الدولة السعودية الأولى، وتنبه عبدالعزيز بن سعود إلى مكمن الفشل في تجربة آبائه وأجداده، فأنشأ جيشاً عقائدياً يعتصم حرفياً بكل التعاليم الوهابية الصارمة التي وردت في كتب ابن عبدالوهاب ورسائله وجعل من هذا الجيش أداة فتح، أو بالأحرى رافعة لمشروع الدولة السعودية، وللخروج من المصاعب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي شهدتها نجد" (٤).

ويقول ألهاندرو كاسترو أسبين: " لقد أدت الهجمات في ١١ أيلول/سبتمبر وهي الحدث الذي لم يسبق له مثيل في التاريخ الأمريكي إلى أن تفرض الأجندة العسكرية والحربية العائدة إلى المحافظين الجدد نفسها في جميع مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في الولايات المتحدة. وكان من جراء تلك الوقائع أن أعيد تقويم ومراجعة الأساليب المتبعة والأولويات في السياسة الأمريكية الأمنية والخارجية.

---

(١) انظر: تاريخ الجبرتي: ٢/٥٥٨.

(٢) العلاقات السياسية الدولية: ١٧٩.

(٣) تاريخ نجد الحديث وملحقاته: ٨٥.

(٤) داعش من النجدي إلى البغدادي: ٢٤.

وهكذا استثمرت في الإرهاب تلك "التهديدات" الجديدة وغير المتماثلة التي حددت في التسعينيات، ضمن لائحة مطولة غير هرمية. وقد تحول الإرهاب إلى ذريعة استراتيجية لصوغ جدول أعمال جديد للأمن القومي يشجع ويعزز من الناحية العملية "حرباً صليبية" ضد الإرهاب في العالم ولا يمكن التنبؤ بعواقبها على الإنسانية"(١).

ثم يقول: "الصفقة الكبرى لمكافحة الإرهاب على مستوى الإنفاق العسكري والأمني: طوال تاريخ الإمبراطورية الأمريكية، كانت إحدى أهم الركائز التي دعمت توجهاتها الخارجية استخدام القوة العسكرية بشكل منهجي وتدريجي بدعم هائل ومتنام من الموازنة في قطاعي الدفاع والأمن على حساب المكلّف الأمريكي.

فمنذ الحرب العالمية الثانية دأبت أقوى المؤسسات داخل النظام الأمريكي على إدارة وتوجيه وتحديد معايير دعم وإعادة تحديد حجوم الخطط الدفاعية العدوانية للقوة العظمى، بمفارقة إبراز قوة تأثير المجمع العسكري الصناعي وغيره من المؤسسات الهامة ذات المصالح الاقتصادية المرتبطة بمجالي الدفاع والأمن.

فمن أجل تلبية شهوات تلك السوق الرابحة والقاتلة، يتوجب بالضرورة حصول نزاعات عسكرية بغية هيكلة ودعم "اقتصاد حربي" يساهم بدوره في المحافظة على الهيمنة على العالم، وضمان السيطرة على الموارد الطبيعية الرئيسية في هذا الكوكب. ولهذه الأسباب كان لجميع الرؤساء والإدارات الأمريكية حروبهم الخاصة وأحياناً غير واحدة.

إن العمل التجاري الضخم في الإنفاق العسكري الأمريكي يأتي في إطار "مصالح الأمن القومي" التي تحددها كل إدارة أمريكية جديدة تتسلم السلطة. بموجب تلك التي تضعها الاستراتيجيات المعتمدة التي تتحدد الأولويات للتنفيذ. فتحت تلك العباءة يتم ابتكار الذرائع للحروب والصراعات، وكذلك تبريرات الميزانيات العسكرية والأمنية الكبرى"(٢).

---

(١) إمبراطورية الإرهاب: ١٥٩.

(٢) المرجع السابق: ٢٠٠. وانظر: ملاحظات عن البدو الوهابيين: ٤٠٤-٤١١.

ويقول أحمد كريمة: "واعلم أن اعتناق هذه (السلفية) أيسر السبل إلى الثراء العاجل والربح المريح (وانظر حولك)، والتحق بركب (الغطرات والمشالح) تكسب دائماً (والخيار لك)"(١).

ويقول مشعل المويشير: "وأصبح النظام السعودي بعد هذه الأحداث وعلى خلفيتها في بؤرة التركيز الأمريكي باعتباره مصدر تهديد لنمط الحياة الغربي، وتعمدت الحملات الأمريكية التركيز الممنهج على النظام السعودي، وقد شملت الضغوط الأمريكية على السعودية مطالبات كثيرة صبت جميعها في سبيل إعادة بناء المجتمع السعودي وتم التركيز في هذا السياق على تغيير مناهج التعليم السعودي وتقييد عمل الجمعيات الخيرية التي تم تحميلها مسؤولية تمويلها المنظمات الإرهابية(٢).

فقد طالبت هذه الحملات الإعلامية باتخاذ إجراء احتياطي بتجميد أموال منظمات خيرية إسلامية... لدفع تعويضات لأسر ضحايا الحادي عشر من سبتمبر تصل إلى مليون مليار دولار من المؤسسات وألف مليار من الأشخاص المستهدفين، أي ما يعادل الناتج المحلي السعودي لمئات السنين. كما تم تسريب بعض تفصيلات ما جاء في تقرير "لوران مورافيتش" الباحث في مؤسسة "راند" في يوليو عام ٢٠٠٣م، والذي دعا البنتاجون (٢٤) شخصية من أبرز المفكرين والسياسيين الاستراتيجيين الأمريكيين لمناقشته. واعتبر التقرير أن السعودية دولة عدوة ودعا إلى تقسيمها عبر سايكس بيكو جديدة على أن تكون المنطقة الشرقية الغنية بالنفط تحت النفوذ والحماية الأمريكتين(٣)".(٤).

---

(١) تهافت السلفية: ٦٨-٦٩، ١٦٩. وانظر: الانتصار لأهل السنة وكشف مذهب أدعياء السلفية: ١١

(٢) أمريكا والسعودية، حملة إعلامية أم مواجهة سياسية؟: ٨٨.

(٣) العلاقات الأمريكية السعودية بعد زلزال سبتمبر، موقع قناة الجزيرة الإخبارية على الإنترنت، ملفات خاصة ١١ سبتمبر، عام على الزلزال:

http://www.aljazeera.net/nr/excres/٦٢٢٩٤٩١١-b١٩٢-٤٠٤d-ad٧٧-a٧f٩٢٩٧e٢a٣b.htm في ١٤٣٨/٧/٩.

(٤) الإرهاب وآثاره بالعلاقات الدولية: ١٢٢. وانظر: الولايات المتحدة الأمريكية والخليج العربي: ٣٧ وما بعدها، والنفوذ الإيراني في المنطقة العربية على ضوء التحولات في السياسة الأمريكية تجاه المنطقة (٢٠٠٣-٢٠١١): ١٢٠-١٢١، والمرتكزات الاقتصادية للمشروع الإيراني في المنطقتين العربية والإسلامية ضمن المشروع الإيراني في المنطقة العربية

ويقول محمد محمود الطناحي: "فالمصالح الأمريكية في المنطقة واضحة، ومن أهمها: النفط، وتأمين وصوله إلى أمريكا والدول الغربية بانتظام، وبأسعار معتدلة، وجعل المنطقة سوقاً استهلاكية من الطراز الأول للمنتجات الأمريكية، واتباع وإخضاع نظم الحكم بالمنطقة للنظريات والأفكار الأمريكية، وربط المنطقة اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً وثقافياً بالولايات المتحدة الأمريكية"(١).

ويقول نبيل العتوم في بيان أهمية الاقتصاد للدول في تحقيق توجهاتها، وإصدار قراراتها، وهو يتحدث عن المحرك للدولة الإيرانية، بعد أن ذكر أهمية العامل الاقتصادي في تنفيذ السياسة الخارجية، وأنه عامل مساعد في تعزيز نوعية القرارات المتخذة في تلك السياسة، وعلى مقدار القوة الذي يمكن أن تمارسها الدولة، فالقدرات الاقتصادية يمكن استخدامها كأداة فاعلة للتأثير على الآخرين من خلال استخدامها كوسيلة للعقاب أو الإغراء في السياسة الخارجية "وهذه الحقيقة لا يمكن إغفالها أو تجاهلها عند دراسة السياسة الخارجية لأية دولة ومهما كانت طبيعتها أو واقعها، وإيران ليست استثناء من هذه القاعدة، حيث يلعب الاقتصاد الدور المحوري في تنفيذ السياسة الإيرانية بهدف توفير الموارد الكافية لبناء الإمبراطورية الشيعية، ومعرفة هل تملك فعلاً المقومات اللازمة التي تمكنها من بناء هذه الإمبراطورية؟ وكذلك فهم الدوافع الحقيقية الكامنة وراء بناء هذه الإمبراطورية، وهل يلعب العامل الاقتصادي دوراً في دفع إيران باتجاه بناء إمبراطوريتها؟"(٢).

والإسلامية: ٧٥.

(١) الولايات المتحدة الأمريكية والخليج العربي: ١٠.

(٢) إيران والإمبراطورية الشيعية الموعودة: ١٧٥-١٧٧. وانظر: الصراع الدولي للسيطرة على الشرق الأوسط – التآمر الأمريكي – الصهيوني، والعلاقات الدولية المعاصرة: ٣٥٨-٣٥٩، والعلاقات السياسية الدولية: ١٧٩-١٨٠، والعلاقات الدولية من منظور اقتصادي: ١٧، والاقتصاد والسياسة: ٣٣-٣٤، واقتصاد الدولة: ١٧٩.

رابعاً: الهدف الاجتماعي:

إن تأثير دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ - هذه الدعوة المباركة- لم يقتصر على جانب دون جانب(١)؛ فكما كان لها الأثر الديني والسياسي والاقتصادي فكذلك كان لها الأثر الاجتماعي، فصلحت أحوال الناس واستقامت أمورهم. وهذا الصلاح والاستقامة كان له الأثر على المناوئين لدعوة الإمام؛ لأن الناس تركت ما كان يعتاده هؤلاء المناوئون من طلب العلو على الناس والتقديس لهم والترفع عليهم، وتقديمهم وتبجيلهم وتعظيمهم وتقبيل أيديهم وأقدامهم...، ودعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تنزل الناس منازلهم، من غير إفراط ولا تفريط، وتمنع كل مظاهر تخالف الأخلاق والآداب الإسلامية، ولذا فأي دعوة تخالف ما اعتاد عليه هؤلاء فإنها تعادى وتحارب. ولذلك حوربت هذه الدعوة المباركة بحجة أنها تنتقص الأولياء وتقلل من شأنهم، وانظر حال الرافضة والصوفية مع اتباعهم يظهر لك هذ الأمر واضحًا جليا(٢).

كما أن من الثابت أن لأهل البدع في بعض البلدان الإسلامية نفوذا فيها، فمنهم: الوزراء، ورجال الأعمال، وأساتذة الجامعات وغير ذلك. وهذا النفوذ يسهل لهم ممارسة الأنشطة والدعوة إلى بدعهم وعقائدهم، ووجود هذه الدعوة المباركة يكشف حقيقتهم وبدعهم، ويؤثر على نفوذهم ومكانتهم ونشاطهم؛ فكان لظهور هذ الدعوة المباركة - وهم على حالهم من العقائد الفاسدة والبدع الضالة- لا يجعل لهم مكانة، ولا يتولون سلطة - وخصوصًا المناصب الدينية-؛ وذلك أن طوائف من أهل الأهواء يعلمون أن كثيراً مما يقولونه كذب، ولكنهم يقولون به ويعتقدونه فيه طلباً للرياسة(٣). فقد صار لهم هوى أن ينتصر جاههم أو رياستهم وما نُسب إليهم(٤). والذي يتأمل الحركات المنحرفة في القديم والحديث يجد أن الدافع في كثير منها هو تحصيل شيء من الدنيا كمال أو جاه أو زعامة أو سلطة وإنما جعلت المذهب

---

(١) انظر: عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي: ٢/٨٦٤.

(٢) انظر: حركة التصوف في الخليج العربي: ٢٠١-٢٠٣.

(٣) منهاج السنة: ٥/١٦٢.

(٤) المرجع السابق: ٥/٢٥٥.

أو العقيدة ستاراً لها[١]. وشواهد هذا ودلائله كثيرة لمن تتبع الواقع واستقرأ الأحوال[٢].

كما كان أيضا لهذه الدعوة المباركة أثر على الناس في حياتهم الاجتماعية والعلمية على مستوى الأفراد والأسر والمجتمعات، فانتشر العلم وقل الجهل، وصلاح البيئة الاجتماعية يعين الداعية على دعوته؛ فسعى المناوئون إلى إفساد أحوال الناس وأخلاقهم، وإبعادهم عن أماكن العلم الناس، حتى يتحقق لهم ما يريدون من نشر البدع والخرافات.

(١) الإنحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر: ٧٣.

(٢) انظر: حركة التصوف في الخليج العربي: ٢٠٦-٢٠٩. والسياسة والأزهر: ٢٢٥، والسلف والسلفية: ٦٨-٧٠.

المبحث الثاني: وسائل المناوئين وأساليبهم

لقد تنوعت وسائل المناوئين وأساليبهم في مناوئة دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب، ومحاولة تشويهها وتنفير الناس عنها، مستخدمين في ذلك كل وسيلة وأسلوب؛ ولكن الله ﷻ حافظ دينه، ووعد سبحانه بنصر من ينصره، وبالتمكين له، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

المطلب الأول: وسائل المناوئين لدعوة الإمام.

اتخذ المناوئون لدعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ عددا من الوسائل لمحاربة الدعوة، منها ما يلي:

١- جمع الردود على دعوة الإمام وطباعتها في كتاب واحد:

من وسائل المناوئين جمع الردود التي ألفت ضد دعوة الإمام، وطباعتها في كتاب واحد تسهيلا للوصول إليها، وحفاظا عليها، ولبيان أن الذين ردوا على دعوة الإمام أكثر من واحد، ومن بلدان متعددة، ومن ذلك كتاب الرد على الوهابية في القرن التاسع عشر - نصوص الغرب الإسلامي نموذجاً-، وكذلك الرد على الوهابية في القرن التاسع عشر - نصوص الشرق الإسلامي نموذجاً- وفي مقدمة الكتاب يقول:

"إن مادة الكتاب طريفة وطريقة البحث جدية. فإن كانت أعمال محمد بن عبدالوهاب متوافرة إلى حد التخمة، إلا أنها بقيت مبعثرة إلى أن جُمعت اخيراً سنة ١٩٧٧م في مؤلفات الشيخ، إلا أن حظ الردود بقي محدوداً ومهملاً لعدم تقدير البحاثة أهمية الموضوع وقلة المصادر. ولقد اختصت بعض الكتب في تقديم ردود بلد ما على الوهابية مثل العراق أو الهند أو أدغمت الردود في ثنايا كم هائل من الدراسات السياسية لتاريخ الحركة الوهابية أو مدح السيرة الذاتية لمحمد بن عبدالوهاب.

كما ضُمنت الردود في ثنايا ما سُمي من طرف البحّاثة الموالين للدعوة بتأثير وانتشار دعوة

ابن عبدالوهاب على الجزيرة العربية وأطرافها.

وهذا الكتاب هو أول دراسة تجمع على حد علمنا ردوداً متفرقة، البعض منها نشر، ولكن غير متوافر أو نفذ، والبعض الآخر لا يزال في شكل مخطوطات مبعثرة في مكتبات عربية وأجنبية. ولقد آلينا على أنفسنا اقتناء أكثر ما يمكن من الردود من مكتبات عربية وأجنبية (ألمانيا وأميركا تحديداً)، فضلاً عن أهم ما صدر من كتب وأدب الرحالة ومقالات حول الموضوع في أربع لغات (عربية، إنكليزية، ألمانية، وفرنسية).

وهو أول كتاب يمسح جل الردود في ما يناهز قرناً ونصف القرن من الشرق العربي (السعودية، اليمن، العراق) وآسيا (الهند)، فضلاً عن إعادة التدقيق في ما نشر وتحقيق ما لم يُنشر من ردود الغرب الإسلامي (المغرب وتونس)، مع العلم أن مصر وتركيا اكتفتا بالرد العسكري على توسع الدعوة الوهابية خلال القرن التاسع عشر بإسقاط الدولة الأولى (١٨١٨) والمتابعة العسكرية اللاحقة وتطويقها خلال الدولة الثانية (١٨٢٣-١٨٩٠). ولم تدخل مصر، عبر علماء الأزهر، حلبة الصراع الفقهي إلا في بداية القرن العشرين، في حين أن الشيعة اكتفت في حدود مجال البحث، برد واحد سنة ١٧٩٥، ادغم في البحث، قبل أن تتصدر قائمة المعارضين في الثلاثينات من القرن العشرين إثر الغارات المتكرر على كربلاء وتضييق الخناق على الشيعة من طرف الدولة السعودية الثالثة الناشئة (١٩٢٦-١٩٣٢)"[١].

٢- الكتابة عن دعوة الإمام دون الوقوف عليها لمعرفة حقيقتها:

فالأصل أن تدرس دعوة الإمام ويؤلف عنها الكتب في مكانها لأنه أقرب لمعرفتها ومعرفة حقيقتها[٢]. "وحين انتشرت السلفية في أوربا في التسعينيات، اجتذبت بعض الانتباه الأكاديمي، ولكن البحث في السلفية كان محلياً جداً أو عاماً جداً في أفقه. وكان الكثير من البحث يتم إجراءه على أيدي علماء علم الإنسان، وبقيت علاقات السلفية مع الحركة العالمية

(١) الرد على الوهابية في القرن التاسع عشر - نصوص الشرق الإسلامي نموذجاً: ٩-١٠.

(٢) الوهابية مقالة نقدية: ٧٧-٧٨. ومعجم ما ألفه علماء الأمة الإسلامية للرد على خرافات الدعوة الوهابية، ضمن مجلة تراثنا، رقم ١٨، شوال، ١٤٠٩: ٨٦٦-٨٩٨. ومغالطات السلفية: ٦٣٣-٦٤٠.

غير واضحة. وتغير هذا الأمر بعد تاريخ ٩/١١.

لقد قيل الكثير وكتب الكثير عن السلفية والوهابية، ولكن الكثير من هذا الذي قيل وكتب كان من خلال موشور "الدراسات الأمنية"، أو من خلال الكتب التي تلعب على الرأي العام الذي يساوي بين الوهابية والعنف. والدراسات الأكاديمية الأكثر حيادية من الدراسات السابقة لها، ما تحدث المقولات الكبيرة عن السلفية إلا حديثاً منذ عهد قريب فقط"(١).

٣- تأليف القصائد في ذم دعوة الإمام وربطها بداعش:

من وسائل المناوئين لدعوة الإمام تأليف القصائد في دعوة الإمام والتحذير منها، وربط هذه الدعوة بداعش، ومن ذلك قصيدة أفيقوا آل تيمية(٢)، وفيها:

هلموا آل تيمية ** هلموا من قبوركموا

أفيقوا من سباتكموا ** فهذا داعش ابنكموا

وقصيدة في ذم دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣)، وفيها:

يُدعون وهابيةً في الشرّ لكنْ ** في الخير منذ وجودهم بُخلاءُ

وقصيدة قيلت في ذكر ميلاد الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤)، وفيها:

طلع الجهل علينا، من ثنيات الرعاع ** طلع السّلفُ علينا لبس الدِّين قناعْ

---

(١) السلفية العالمية: ١٤-١٥. وانظر: مساءلة الدولة السعودية: أصوات إسلامية من جيل جديد، و"تشريح الحركة السلفية"، دراسات في النزاع والعنف: ٢٠٧-٢٣٩، ورقة معلومات أساسية عن المملكة العربية السعودية: من هم الإسلاميون؟ تقرير مجموعة الأزمة الدولية عن الشرق الأوسط، رقم ٣١، ١٢ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٤م.

(٢) عقائد الإلحاد والوثنية عند السلفية الوهابية: ٥٨.

(٣) شبكة العرفان الثقافية: http://www.alerfan.com/vb/showthread.php?t=١١٢٠٠، في ١٦/١٢/١٤٣٨هـ.

(٤) شبكة هجر الثقافية: http://hajrnet.net/hajrvb/showthread.php?t=٤٠٣٠٢٥٦٩٠ ، في ١٦/١٢/١٤٣٨هـ.

٤- تجريم من ينتسب لدعوة الإمام:

من وسائل المناوئين ضد دعوة الإمام محاولة تجريم من ينتسب لهذه الدعوة، بل تجريم الدعوة نفسها، واتهامها بالإرهاب. ومن ذلك ما شنه الكاتب المصري الشيعي الدكتور أحمد راسم النفيس، ومطالبته بتطبيق قانون الإرهاب على القنوات السلفية الوهابية(١).

وقد طالب المشاركون في المؤتمر الدولي لمناهضة الإرهاب والتطرف الديني، والذي أقيم بدمشق في: ٢/١٢/٢٠١٤ وبمشاركة (خمسة وعشرين) دولة عربية وأجنبية باعتبار الحركة الوهابية وكل من يرتبط بها حركة إرهابية(٢).

ويقول مارتجن دي كوننج، إنه بعد أحداث ١١ سبتمبر، وبعد وقوع بعض الاغتيالات "لم يعد الخطاب عن الإسلام في النقاش العام خليطاً من الموضوعات ذات العلاقة بدور الدين في المحيط العام في دولة علمانية، كذلك لم يكن هذا النقاش محصوراً في موضوعات كالهجرة، والاندماج في المجتمع، لكنه بدأ يأخذ منحى آخراً ويتناول موضوعات تتعلق بالأمن و"الحرب على الإرهاب"، وغدت الحركة السلفية على وجه الخصوص مركز الاهتمام، إذ تم ربطها بعدم التسامح، والترويج للعنف ضد "الكفار"، وتأجيج الكراهية ضد السياسيين وغيرهم من قادة الرأي"(٣).

ونشرت صحيفة (كريستيان ماينس مونيتور) مقالاً مطولاً جاء فيه: " ليست السعودية مهد الإسلام فحسب، لكنها أيضاً راعية النسخة المتشددة من الإسلام السني التي تسمى الوهابية، وهي تحظر الممارسات العلنية للمعتقدات الأخرى في المملكة ورفض الحوار الديني مع

---

(١) انظر: الفضائيات الشيعية التبشيرية: ١٣٦.

(٢) الوكالة العربية للأنباء، لمؤتمر الدولي لمناهضة الإرهاب والتطرف الديني: إدانة داعمي الإرهاب وإقامة منتدى أممي شعبي مقره دمشق لمناهضته: http://www.sana.sy/?p=١٠٤٢٧٥.

(٣) martijin de konning in: changing worldview and frienship an exploration of the life of tow fenale salafis in the netheriands. Roel meijer (edit), hurst & co. (publishers) ltd. United kingdom, ٢٠٠٩, pp. ٤٠٨٤٠٩. بواسطة السعودية السلفية في الكتابات الغربية: ٩٣-٩٤. وانظر: المصادر المتعلقة بالمفاهيم الأمريكية حول الإسلام والإرهاب، ضمن بحوث نشرت في كتاب: (السعوديون والإرهاب: رؤى عالمية): ٣٦٨.

غير المسلمين "الكفار"[١].

٥- الرد على الوهابية بأسماء مستعارة:

من وسائل المناوئين لدعوة الإمام الرد على الدعوة بأسماء مستعارة، ومن ذلك كتاب محمد العربي التباني (١٨٩٧-١٩٧٠) شيخ مكي من أصل جزائري، "ألف كتاباً مرجعياً في علم الكلام وأصول الدين في عام ١٩٦٧م هو "براءة الأشعريين من عقائد المخالفين"[٢]، نشره باسم مستعار (أبو حامد بن مرزوق). وهو رد على عقيدة ابن تيمية عند الوهابيين"[٣].

٦- الكتابة عن دعوة الإمام بأسماء دعوات أخرى:

من وسائل المناوئين الكتابة عن دعوة الإمام بأسماء دعوات أخرى، بحيث يوحي للقارئ أن الكلام عن جماعة معينة، ثم يتحدث عن دعوة الإمام في بحثه جميعًا، ومن ذلك مقال للدكتور هيليل فرادكن، مدير مركز الإسلام والديمقراطية ومستقبل الإسلامي بمعهد هدسون، الذي يتخذ من العاصمة الأمريكية واشنطن مقراً له، كتب بحثاً نشره موقع المعهد على شبكة الإنترنت يوم ٢٦ مارس ٢٠٠٨م، بعنوان: " التاريخ والمستقبل غير المكتوب للسلفية"[٤].

ذكر فيه أن الغرض من بحثه هو تناول: أهم موضوع، وهو موضوع مؤسسة أو مجموعة المؤسسات المعروفة باسم الإخوان المسلمين.

وهو عنوان وهمي قصد به الحديث عن دعوة الإمام وليس عن جماعة الإخوان المسلمين، ولم يكن هناك سبب علمي لاختيار ذلك العنوان غير المطابق لمضمون البحث.

ما يؤكد ذلك هو أن الكاتب شرع في الصفحة الثانية في الحديث عن دعوة الإمام، وجاء فيما كتبه ما يلي: "بعد ١١ سبتمبر أصبحت القاعدة كلمة شائعة الاستعمال، هي اسم

---

(١) بواسطة: السعودية السلفية في الكتابات الغربية: ١١١.

(٢) تحتاج نسبة الكتاب للمؤلف مزيد تثبت.

(٣) التصوف في السعودية: ٢٠٥. وانظر: منهج الشيخ العربي التباني في نقد الدرس العقدي: ١٤.

(٤) www.hudson.org/index.cfm?fuseaction=publication_details&id=٥٥٠٩

للمنظمات الجهادية والإرهابية التي لم تهاجمنا اليوم فقط، وانما فرضت نفسها كرمز وفي بعض الأحيان كرأس تنظيمي للارهاب الإسلامي العالمي... الأمريكيون باتوا على إطلاع بمصطلح الوهابية، وهو الاسم الذي أطلق على شكل محدد وصارم للاسلام الذي تأسس في المملكة العربية السعودية.

السبب الرئيس لمعرفة الأمريكيين بالوهابية هو ما نتج عن أحداث ١١ سبتمبر خاصة أن الغالبية العظمى من إرهابيي ١١ سبتمبر كانوا سعوديين، ... ثم إن السعوديين قاموا بجهود كبيرة لنشر نموذجهم الإسلامي الوهابي والترويج له من خلال دعمهم لأنشطتها في مختلف أنحاء العالم، بما في ذلك الغرب. وتشمل هذه الجهود إنتاج المطبوعات التي تحمل وجهة النظر الوهابية وتوزيعها، وتأسيس المساجد، ودعم الأئمة، وإنشاء مختلف المؤسسات الإسلامية. هذه الجهود التي بدأت في الستينيات من القرن الماضي استمرت عدة سنوات وأثمرت نتائج ضخمة، لكن الأنظار لم تكن مسلطة نحو هذه النتائج حتى وقعت أحداث ١١ سبتمبر فكانت كافية لتركيز الضوء على هذه الأنشطة وجعلها في دائرة الاهتمام العام"(١).

٧- إقامة التنظيمات الإرهابية ضد دعوة الإمام:

من وسائل المناوئين لدعوة الإمام إقامة التنظيمات الإرهابية ضد الدعوة، والمواجهة معها بالعنف والسلاح، يقول عبدالستار الراوي في بيان مهام وأهاف " فيلق مكة"، الذي أنشئ لزعزعة الأمن في السعودية الوهابية:

"١- إحياء تقاليد المواجهة العملياتية، بانتهاج العنف المسلح ضد مؤسسات ومسؤولي النظام السياسي السعودي، لإجباره على الاعتراف بحق شيعة المنطقة الشرقية في تقرير المصير، وعلى حقهم بإقامة كيان سياسي مستقل عن هيمنة السلطة السعودية.

٢- إعداد وتدريب المعارضة السعودية استخبارياً وعسكرياً، لإقامة شبكة خلايا مسلحة داخل أراضي المملكة.

---

(١) بواسطة: السلفية السعودية في الكتابات الغربية: ١٨-١٩.

٣- القيام بمهام استطلاعات دورية لجمع وتحديث وتدقيق المعلومات عن المنشآت الحيوية في الميادين (العسكرية، الاستخبارية، السياسية، الاقتصادية).

٤- يعهد لـ(فيلق مكة) كافة المهام السرية خارج حدود الجمهورية الإسلامية، وقد يكلف عند اقتضاء الضرورة بواجبات استثنائية في الداخل. وعلى هذا الأساس فإن الفيلق شبه العسكري يحظى برعاية القيادة العليا في إيران.

٥- نظراً لطبيعة التنظيم المخابراتي، فإنه ينتهج مبدأ السرية القصوى في حركته، ويتخذ تحوطات أمنية بالغة الدقة في تحركاته، وفي تأمين تنقلات منتسبيه، بسبب طبيعة المهام الموكلة وما تفرضه من الكتمان في أساليب عمله.

٦- دعم شيعة المنطقة الشرقية (الإحساء والقطيف)، وتطوير آلية الحراك السياسي، وضمان استمرارية الاحتجاج والتظاهر ضد النظام"(١).

٨- المناظرات:

من الوسائل التي استخدمها المناوئون لرد دعوة الإمام المناظرات، وهذه المناظرات إما أن تكون واقعة فعلاً بحضور أطراف المناظرة، ومن ذلك: مناظرة بين الصوفية والسلفية الوهابية، لمدة خمس ساعات(٢).

أو مفترضة بحيث يفترض المناوئ أنه يناظر خصمة من أتباع دعوة الإمام: كالتي في كتاب الأنوار الإيمانية في طمس ضلالات الوهابية(٣)، وفيها من الأسلوب غير المناسب والسيء في المناظرات.

ومن تلك المناظرات ما تقوم ببثها بعض القنوات الفضائية، ثم تطبع كتبا وتنشر، ومن

---

(١) رسالة الدم فيلق مكة: ٧٢. وانظر: مقالات مختارة في المذاهب والأفكار السائرة في العصر الحديث: ٦١٦-٦٢٤، والوثائق التآمرية على الدول العربية والإسلامية.

(٢) https://www.youtube.com/watch?v=B٢GCcCz٢٥٨٨. في تاريخ ١٤٣٨/٧/١٣.

(٣) ص: ١١٢، ٢٢٢، ٢٤٦، ٢٦٥.

ذلك: "الدعوة الوهابية وموقفها من تكفير الممارسات الشعائرية عند القبور"[١]، حيث كانت مناظرة على إحدى القنوات الفضائية، ثم طبعت ونشرت ضمن كتاب جدل الدين والسياسة.

٩- المجلات والدوريات:

حيث تقوم بعض الجهات المناوئة لدعوة الإمام بإصدار المجلات والدوريات عن دعوة الإمام والرد عليها، وبلغات متعددة، من مسلمين ومستشرقين وغيرهم، وتنشر هذه المجلات والدوريات ورقية وإلكترونية على الشبكة العنكبوتية[٢].

١٠- الوسائل المعلوماتية الحديثة:

من وسائل المناوئين لدعوة الإمام استخدام الوسائل المعلوماتية الحديثة من شبكة الانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي والقنوات الفضائية والإذاعات[٣].

وهذه الوسائل ليس لها حد، فبمجرد أن تكتب في محركات البحث "الوهابية - الوهابيين - الشيخ محمد بن عبدالوهاب - السلفية الوهابية -... إلخ" ستجد من النتائج الشيء الكثير في الكلام عن دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما بين مؤيد ومعارض. ومن ذلك:

- الحركة الوهابية ليست سنية هم خوارج [٤].
- أخطر فيديو يكشف عقيدة الوهابية[٥].
- الدور على السعودية[٦].

وفي محرك البحث المشهور Googel، عند البحث عن هذه العبارات في تاريخ

---

(١) ص ٢٠٧ وما بعدها.

(٢) انظر: موقف المستشرقين من الافتراق والفرق: ٨٢-٨٦.

(٣) انظر: المرجع السابق: ٨٧-٨٨.

(٤) https://www.youtube.com/watch?v=Aj٦OKGYpyiI.

(٥) https://www.youtube.com/watch?v=PC٤ZkOvry٤٨.

(٦) https://www.youtube.com/watch?v=٧J٨_LtD٩NHg.

١٤٣٩/١/٥هـ خرجت النتائج التالية:

الكلمة	النتائج
الوهابية	٣,٨٨٠,٠٠٠
الوهابيين	٣٨٠,٠٠٠
الشيخ محمد بن عبدالوهاب	٢,٥٣٠,٠٠٠
السلفية الوهابية	٣٧٤,٠٠٠
الدعوة الوهابية	٥٢٠,٠٠٠

ومن الأمثلة على استخدام الفضائيات، للرافضة (ثلاث وثلاثين) قناة ناطقة باللغة العربية - بالإضافة إلى قناة باللغة الإنجليزية- وموجودة على القمر الصناعي المصري (النايل سات)، بينما يوجد منها (ثلاث عشرة) قناة على القمر الصناعي (عرب سات)[١].

والتوزيع الإحصائي للقنوات الشيعية حسب الدول المنتمي إليها أصحابها حسب الجدول التالي:

الدولة	إيران	لبنان	الكويت	العراق	المجموع
العدد	٥	٢	٩	١٨	٣٤
النسبة	٪١٤,٧	٪٨,٩	٪٢٦,٥	٪٥٢,٩	٪١٠٠

وبلغ عدد الأخبار المتعلقه بالمملكة العربية السعودية خلال شهر: ٣٢ خبرا، وذلك بنسبة ٩,١٪ من جملة الأخبار.

ومن الملاحظات على الأخبار المتعلقة بالمملكة العربية السعودية:

١- العداء الشديد والافتراء على الدعوة السلفية تحت مسمى الوهابية وتصويرها كأنها مذهب جديد وخارج عن الإسلام، ومحاولة الوقيعة بينها وبين باقي المنتسبين لأهل السنة من

(١) هذا التقرير أعد في سبتمبر ٢٠٠٩. وبلغت ٤٢ قناة على نايل سات فقط في ٢٠١٨.

خلال التحريض المباشر بأنها مخالفة ومغايرة لعقيدة أهل السنة والجماعة، مع التركيز الشديد على مسألة محاربة المملكة لمظاهر الشرك والمتمثلة في هدم الأضرحة والاستغاثة بها.

٢- بث الأخبار المزيفة التي من شأنها توليد الكراهية والحقد في النفوس نحو دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية.

٣- إيراد الأخبار المتعلقة بالمسلمين الجدد من الأجانب المقيمين بالمملكة بشكل مغلوط ليظهر الأمر إعلامياً وكأن مشكلة القناة ليست مع الشعب السعودي، أو شعائر الإسلام، ولكن مشكلتهم مع السلطات السعودية، ومع المتبعين لمنهج محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في محاولة خبيثة لبث الفرقة بين أهل السنة[١].

١١- إقامة المؤتمرات:

من وسائل المناوئين لدعوة الإمام إقامة المؤتمرات العلمية التي تقدم البحوث والأورق العلمية ضد هذه الدعوة المباركة، وتتعاون في ذلك الجامعات والمعاهد والوزارات، ويصدر عن هذه المؤتمرات التوصيات وطباعة البحوث والدراسات، ومن تلك المؤتمرات: مؤتمر أهل السنة والجماعة أو المؤتمر العالمي لعلماء المسلمين المعروف ب: مؤتمر الشيشان أو مؤتمر جروزني، يوم ٢٠١٦/٨/٢٥م، تحت عنوان: "من هم أهل السنة والجماعة؟ بيان وتوصيف لمنهج أهل السنة والجماعة اعتقادًا وفقهًا وسلوكًا، وأثر الانحراف عنه على الواقع، ومنها: المؤتمر الدولي لمناهضة الإرهاب والتطرف الديني بدمشق ٢٠١٤/١١/٣٠م، ومنها: مؤتمر السلفية بوصفها حركة عابرة للقوميات، وهذا المؤتمر صدر عنه كتاب "السلفية العالمية"، ويقول فيه المؤلف: "قام هذا الكتاب على أساس مؤتمر دام ثلاثة أيام عن "السلفية بوصفها حركة عابرة للقوميات"، وانعقد المؤتمر بين ٣٧ و ٣٠ من أيلول/سبتمبر من العام ٢٠٠٧ في مدينةناميغن في هولندا"[٢].

ولأهمية هذه المؤتمرات فإن المؤسسات والجامعات تساهم في إقامتها، وقد ذكر المؤلف من

---

(١) الفضائيات الشيعية التبشيرية: ١٣٣.

(٢) السلفية العالمية: ٩.

تلك المؤسسات: قسم العرب والإسلام في جامعة ردباود، والمعهد الدولي لدراسة الإسلام في العصر الحديث (أي اس اى إم) في ليدن، ووزارة الخارجية الهولندية، ومعهد الدراسات التاريخية، والأدبية، والثقافية (اتش ال سي اس) من جامعة ردباود.

ومؤسسة البحث الدفاعية النرويجية (اب اف آي) التي قامت بتغطية نفقات السفر والإقامة لعضويتها الاثنين. والمعهد الدولي للتاريخ الاجتماعي في أمستردام الذي قام بالإعانة على ترجمة فصل من فصول الكتاب من اللغة الفرنسية إلى اللغة الإنكليزية(١).

١٢- إعداد التقارير عن بعض الفرق والجماعات المنحرفة وسبل الاستفادة منها:

من وسائل المناوئين لدعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، إعداد التقارير عن الفرق والجماعات المخالفة للدعوة، وتحديد سبل الاستفادة منها. وهذه التقارير تخلط بين دعوة الإمام السلفية وبين جماعات الغلو، والجماعات التي تدعي السلفية.

ومن ذلك تقرير: "فهم الصوفية واستشراف أثرها في السياسة الأمريكية"(٢): "فقد اهتم مركز نيكسون للبحوث(٣) بالتصوف وهو امتداد للاهتمام الغربي عموماً ومراكز البحوث

---

(١) المرجع السابق: ٩.

(٢) أعد هذا التقرير توبياس هيلمستروف وياسمين سينر وإيمينت توهي (helmstrof, yasmin sener and emmet touhy) تحرير: زينو باران (zeyno barab) تقرير مؤتمر صادر عن نيكسون، مارس ٢٠٠٤م، واشنطن دي سي – الولايات المتحدة الأمريكية، ترجمة وتقديم، د. مازن مطبقاني، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، إدارة البحوث والدراسات – وحدة دراسات العالم. بواسطة مقالات مختارة في المذاهب والأفكار السائرة في العصر الحديث: ٢٦٨-٢٦٩.

(٣) هو مركز لدراسة السياسات العامة باسم الرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون أسسه قبل وفاته بفترة قصيرة عام ١٩٩٤م، لا ينتمي إلى أي حزب سياسي، وبرامجه الرئيسة تضم: برامج الدراسات الصينية والهجرة، ومنتدى الأمن القومي، وبرنامج الأمن الدولي، والطاقة وبرنامج الأمن القومي، وبرنامج الاستراتيجية الإقليمية وبرنامج العلاقات الأمريكية الروسية. والموضوعات التي تناقشها برامج المركز تضم العلاقات الأمريكية مع الصين ومع روسيا وكذلك مسائل الطاقة الجيوسياسية في الخليج العربي والبحر الأسود ومسائل الأمن الأوربية. ويعتمد المركز على دعم من أوقاف مكتبة مركز نيكسون ومؤسسة مكان الولادة وكذلك من قبل التبرعات من المؤسسات والهيئات والأفراد. بواسطة مقالات مختارة في المذاهب والأفكار السائرة في العصر الحديث: ٢٦٨. وانظر:

والدراسات والأقسام العلمية بالعالم الإسلامي، ويأتي ضمن هذا الاهتمام هذه الندوة التي عقدتها مركز نيكسون للبحوث لتقديم النصح والمشورة للإدارة الأمريكية في كيفية فهم التصوف وتفعيل دوره في السياسة الخارجية الأمريكية"(١).

وشارك في الندوة عدد من الباحثين الغربيين المتخصصين في الإسلام والتصوف بصفة خاصة، وممن لهم صلة بالإدارة الأمريكية وبخاصة المحافظين الجدد مثل ديك تشني – نائب الرئيس–، وبول وولفونز رئيس البنك الدولي الآن، ومساعد وزير الدفاع الأمريكي سابقاً، وضلوع بعضهم في الإساءة إلى الإسلام والمسلمين، مثل الكاتب برناردلويس، والذي يعتبر من أشد الناس عداوة للإسلام من خلال كتاباته الناقدة والمستهدفة للإسلام، ومحمد هشام قباني – أحد المنتمين للطريقة النقشبندية –ساهم في تأسيس المجلس بهدف رسم مستقبل المسلمين في أمريكا وفي أرجاء العالم.

ومن أهداف الندوة: الاهتمام أكثر وبشكل جدي بالصوفية، وذلك لرغبة الغرب بإظهار الجانب السلبي (الاستملاي) في بعض طرق الصوفية، "وهم بذلك يحققون هدفين:

الهدف الأول: تغريبه عن أصوله الصحيحة، لأنهم يرون الإسلام الخالي من الشوائب هو القوة التي تعوق سيطرتهم على مصير الأمة الإسلامية بمقدراتها، ويحاولون تأصيل الروح الاستسلامية المنهزمة في نفس المسلم.

الهدف الثاني: هو إعطاء صورة سلبية للإسلام لدى غير المسلمين لتشويه صورته حتى لا يدخلوا في الإسلام الصحيح...

وركز الحديث عن علاقة التصوف بما أطلق عليه المنتدون (الوهابية)، واختصروا الإسلام إلى فئتين لا ثالث لهما: التصوف والوهابية.

وانطلقوا في نقد ما أسموه (الوهابية) وأنها المصدر الحقيقي للإرهاب في العالم، وربطوا الوهابية بالمملكة العربية السعودية ومساعداتها الإنسانية في دول البلقان وفي دول آسيا

https://ar.wikipedia.org/wiki/مركز_نيكسون.

(١) ماذا يحدث في مركز نيكسون؟ التخطيط للانحراف بالصوفية إلى منزلق الفكر الغربي لضرب الإسلام، في صحيفة عكاظ، ١٤ ذو القعدة ١٤٢٤هـ.

الوسطى، وبخاصة بعد تفكك الاتحاد السوفيتي (السابق)، وكيف أن هذه الأموال استخدمت لنشر ما أسموه الوهابية.

وكانت مجمل توصيات المشاركين في الندوة دعم التصوف من خلال إعادة (إعمار المزارات والأضرحة ونشر الكتب الصوفية ونشر المدارس الصوفية ودعم الطرق الصوفية، وبرر المشاركون هذه الدعوة إلى دعم الصوفية أنها تتسم بالتسامح مع الأديان والمعتقدات الأخرى بعكس الوهابية أو غيرهم من المسلمين"(١).

يقول محمد بلقاسم جلالي تحت عنوان: "وزير الشؤون الدينية الجزائري يشن هجوماً على السلفية ويعتبرها خطراً يتربص بالجزائر ويهدد أمنها وهويتها:

بتاريخ ٢٠١٢/١١/٠٧م نشرت جريدة الشروق الجزائرية على صفحاتها المكتوبة والإلكترونية تصريحاً نارياً لوزير الشؤون الدينية يهاجم السلفية ويعتبرها الخطر القادم على الجزائر، مستنداً في تصريحه على تقرير لوزير الداخلية الفرنسي، حيث جاء في الخبر الذي نشرته الجريدة تحت عنوان (وزير الشؤون الدينية يحذر من خطر السلفية في الجزائر) ما يلي: "أدرج وزير الشؤون الدينية والأوقاف أبو عبدالله غلام الله، السلفية والقاديانية وغيرها من الأفكار القادمة من الخارج في خانة الخطر على الجزائر"(٢).

وفي تصريح للمفتش العام لوزارة الشؤون الدينية: "تحت عنوان "التيار السلفي اجتياح أجنبي للجزائر" نقلت نفس الجريدة على موقعها الإلكتروني (الشروق أون لاين) بتاريخ: ٢٠١٣/٠٥/١٢م. حواراً إذاعياً للمفتش العام لوزارة الشؤون الدينية أجرته معه القناة الثالثة، وجاء في الموقع: "أرجع المفتش العام بوزارة الشؤون الدينية، محمد عيسى، أمس، ظهور التيار السلفي والوهابي والشيعي والأحمدي، والتكفيري في الجزائر خلال السنوت الأخيرة، إلى الاجتياح الأجنبي عن طريق القنوات الفضائية"(٣).

"ونشرت جريدة (الشروق اليومي) في عددها ٤٢٢٧ الصادر بتاريخ: ١٦ ديسمبر

---

(١) المرجع السابق.

(٢) لماذا تحاكم السلفية في شمال أفريقيا: ٢٧-٢٨.

(٣) المرجع السابق: ٣٠.

٢٠١٣م وبالبند العريض تصريحاً للتونسي فريد الباجي. تحت عنوان: السلفية لطخت الإسلام!!

جاء في معرض رده على سؤال صحفي الجريدة عن الأزمة السياسية التي تعيشها تونس، من المتسبب فيها وما هو المخرج؟

أجاب: "... كما أن تردي الأوضاع تفاقم بقوة بسبب الاختراق الأمني الكبير الذي تسبب في الاغتيالات السياسية للمعارضة وقتل الجنود وأعوان الأمن الوطني من التيار الوهابي المتطرف، وكنا قد نبهنا السلطة السياسية منذ سنتين وحذرناهم من ترك هذا التيار الديني المتشدد يمرح ويرتح على المنابر الدينية والإعلامية، وقلنا لهم: إن الوهابية أدعياء السلفية انتقلوا من التنظير للتكفير إلى مرحلة التفجير". وفي جواب آخر عن سؤال لصحفي الجريدة: على ذكر الوهابية، ما يعاب عليها؟ رد فريد الباجي: ".. الذي يعاب على الوهابية، أنهم يعتمدون مفهوماً مريضاً وفاسداً من الإسلام، ممزوجاً بالتكفير والتفجير وعدم قبول المخالف لهم في العقيدة أياً كان"[(١)].

١٣- إعداد الدراسات عن العالم الإسلامي:

ومن أشهر ذلك ما تقوم به مؤسسة البحث والتطوير (راند)، ومن تلك الدراسات، دراسة بعنوان: "إسلام حضاري ديمقراطي: شركاء وموارد واستراتيجيات"، تقرير أعدته الدكتورة (شيريل بينارد) أثناء عملها في فرع (راند) بدولة قطر، ونشر عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ويقع الأصل الإنجليزي في ثمان وثمانين صفحة، وله ترجمة باللغة العربية في موقع (راند). أعد هذا التقرير بدعم من مؤسسة (سميث ريتشاردسون) [(٢)].

وعنوان تقرير (بينارد) يدل على مضمونه بدقة متناهية، فهي لا تريد الإسلام الذي جاء

---

(١) المرجع السابق: ٣٠-٣١.

(٢) قام الباحث صالح بن عبدالله الغامدي بدراسة هذا التقرير في رسالة ماجستير بجامعة أم القرى، في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، بعنوان: تقرير مؤسسة (راند): "إسلام حضاري ديمقراطي: شركاء وموارد واستراتيجيات": دراسة تحليلية)، ونوقشت الرسالة عام ١٤٣١هـ.

به النبي محمد ﷺ، بل تريد للعالم الإسلامي إسلاماً يغير من ثوابته ليتطور مع تطور الحضارة، ولتغييره لا بد من شركاء للغرب من المسلمين يقومون به، ولضمان نجاحهم لابد من إمدادهم بالموارد، وتأطير ذلك في خطة استراتيجية تضمن أداء المهمة. هذه خلاصة الخلاصة لهذا التقرير[١].

ومن تلك الدراسات: "العالم الإسلامي بعد ٩/١١": دراسة أُجريت لصالح القوات الجوية للولايات المتحدة الأمريكية، ونشرت عام ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، وتقع في ٥٦٧ صفحة، كتبها ثمانية من خبراء (راند). وتهدف الدراسة إلى: تصنيف الاتجاهات الفكرية والعقدية في مختلف مناطق العالم الإسلامي، لتحديد القطاعات التي يمكن للولايات المتحدة الأمريكية إيجاد أرضية مشتركة معها لتعزيز الديمقراطية والاستقرار، ومواجهة تأثير مجموعات (التطرف والعنف)، وتحديد خطوط التصدع والانشقاقات الطائفية، والعرقية، والإقليمية، والوطنية، وكيف تولد هذه الانشقاقات التحديات والفرص للولايات المتحدة الأمريكية[٢].

ومن تلك الدراسات: "بناء شبكات من المسلمين المعتدلين. صدر هذا التقرير عام ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ويقع في ٢١٧ صفحة، ألفه أربعة من خبراء (راند).

وله ملخص منشور باللغة العربية في موقع (راند)، وتناقلت بعض المواقع العربية عام ١٤٣١هـ ترجمة لكامل الدراسة، بدون اسم مترجم.

وهو من أخطر تقارير (راند) على الإطلاق، استغرق العمل فيه ثلاث سنوات، جرى خلالها لقاءات موسعة مع خبراء ومسؤولين وإعلاميين في أمريكا، وأوروبا، والعالم الإسلامي.

يشير التقرير إلى أن مشروع (بناء شبكات من المسلمين المعتدلين) هو قائم بالفعل منذ عقود، ولكن هدف التقرير أن يكون هذا المشروع هو الهدف الرئيس لبرنامج حكومة الولايات المتحدة الأمريكية.

ويقدم التقرير توصيات عملية لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية بأن تواجه النمو

---

(١) انظر: مؤسسة البحث والتطوير (راند) وموقفها من الدعوة الإسلامية: ١٠٠.

(٢) المرجع السابق: ١٠٣-١٠٤.

الإسلامي بالأساليب والدروس المستخلصة من الحرب الباردة ضد المد الشيوعي[١].

(١) المرجع السابق: ١٠٦-١٠٧. وانظر تفاصيل هذه الدراسات فيه: ٩٩-١١٠، وكتاب الإسلام الذي يريده الغرب، وكتاب بناء شبكات الاعتدال الإسلامي.

المطلب الثاني: أساليب المناوئين لدعوة الإمام.

اتخذ المناوئون لدعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ عددا من الأساليب لمحاربة دعوة الإمام، منها ما يلي:

١- المطالبة بمكافحة دعوة الإمام على جميع المستويات:

من أساليب المناوئين لدعوة الإمام المطالبة بمكافحة دعوة الإمام على جميع المستويات، يقول محمد دهمان في وصاياه للتعامل مع السلفية: " لابد من مكافحة هذا الفكر المتطرف الشاذ المبتدع بكل الوسائل:

- عبر العلماء: وذلك بالوسائل الدعوية والتوعوية لإبعاد شباب المسلمين عن هذا الفكر المتطرف الذي يهدم الدين والمجتمع.

- وعبر الحكومات: فهو يشكل خطراً كبيراً على النسيج الاجتماعي والأمن في أي مكان يتواجد فيه، ولابد للدولة أن تنتهج أسلوبين مختلفين في التعامل بين القادة والأتباع:

أما القادة ودعاة السلفية: فلابد من القسوة في معاملتهم بعد أن يستتابوا استئناساً بما حكم العلماء من المذاهب الأربعة على ابن تيمية في زمانه.

وأما الشباب السلفي المتبع عن سلامة القلب: فلا بد من إقامة برنامج تتعاون فيه الحكومات مع العلماء لتوعية هؤلاء وتعليمهم العقيدة والإسلام الصحيح"[١].

٢- تكثيف الجهود والكتابات واستغلال الأحداث:

تزايد الاهتمام بالبحوث والكتابات المتعلقة بالسلفية عموما ودعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب خصوصا، وتوجهاتها، وكيفية التعامل معها بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، في سياق ما يسمونه "الخوف من الإسلام"، الذي نال اهتمام الكثير من مراكز الدراسات والبحوث وصانعي القرار والسياسيين والرأي العام في الغرب.

وإن كان هذا الاهتمام والهجوم على دعوة الإمام وتشويه صورتها لم يبدأ بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، أو بعد التفجيرات؛ بل إن استهداف دعوة الإمام المباركة

---

(١) مغالطات سلفية: ٦٤٤. وانظر: السلفيون بعيون غربية: ١٤٥.

كان قبل ذلك بكثير، كما ذكر ذلك ريتشارد كورتس، وديلندا هانلي، فيقولان: "الحملة الإعلامية الشرسة ضد السعودية والعالم العربي لم تبدأ في ١١ سبتمبر ٢٠٠١م. لقد بدأت في هوليود منذ عقود من الزمان. فالأفلام السينمائية والبرامج التلفزيونية، ظلت، إما عن قصد أو دون قصد، تغذي عقول الأمريكيين بصور من قبيل: "شيوخ النفط الأغنياء الفاسدون"، و"البدو قطاع الطرق"، و"العرب المتطرفون الأشرار المناوئون لأمريكا"[(١)].

لكن أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وما أعقبها من تطورات وحروب وهجمات سلطت المزيد من الأضرار على دعوة الإمام، واستغلت بعض الأقلام هذه التطورات والأحداث التي تورط فيها بعض المسلمين لشن المزيد من النقد والهجوم على دعوة الإمام.

وقد رصدت كثير من المنظمات الإسلامية في الغرب وغيره مثل هذا التوجه الغربي الذي استهدف السعودية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، فقد لاحظ مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية في الولايات المتحدة (كير) أن الحملة الإعلامية على الإسلام في السعودية قد بدأت في اليوم التالي لأحداث ١١ سبتمبر، رغم أنه لم تكن تبينت أية معلومات عن هوية المتسببين فيها.

وعرض المجلس إحصائية موثقة عن حجم ما كتب عن السعودية في وسائل الإعلام الأمريكية، وذكر أنه في شهر أكتوبر من عام ٢٠٠١م بلغ عدد المقالات التي كتبت عن الإسلام في السعودية (٤٢٢) مقالا، وبلغ إجمالي المقالات في ذلك العام (١٤٦٣٩) مقالا مقارنة بما يقرب من (٢٩٠٠) مقالا في عام ٢٠٠٠م، أي بزيادة قدرها ٤٠٠٪، هذا فضلاً عن الأخبار والتقارير الصحفية الأخرى.

أما طبيعة القضايا التي تناولتها تلك المقالات فقد أوضح تحليل تقرير مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية أنها تناولت موضوعات المناهج الدراسية والتعليم في السعودية، وقضايا المرأة المسلمة في السعودية، والربط بين مصطلح الإرهاب بمفهومه الغربي وبين السعودية، وقضايا

---

(١) اللوبي الصهيوني في أمريكا والحملات المغرضة ضد السعودية، ضمن بحوث نشرت في كتاب: (السعوديون والإرهاب: رؤى عالمية): ٥٥٢.

العلماء والدعاة في السعودية(١).

وكذلك توجيه سهام النقد على الإسلام ودعوة الإمام بصورة خاصة عقب أي هجمات إرهابية تحدث في الغرب، حتى ارتبطت الأخبار المتعلقة بالعنف والقتل والترويع في الإعلام الغربي بالإسلام والمسلمين. فوسائل الإعلام لا تتردد في الإشارة بأصابع الاتهام للمسلمين بعد حدوث أي من هذه الممارسات، حتى بعد أن يثبت أن الكثير من هذه الاتهامات كانت متسرعة وغير صحيحة.

وهذه الكتابات لا تخلو من حالين:

- إما أن تكون مبنية في الأساس على معلومات مغلوطة.
- وإما أن تكون كاذبة.

ويفعلون ذلك، لثلاثة أهدف رئيسة:

- إما بهدف الإثارة، من خلال عناوين تستفز القارئ أو تجذب انتباهه للقراءة والمتابعة لما ينشر، ولو من خلال وسائل تتضمن معلومات خاطئة ومغلوطة.
- وإما لتوافق سياسات الجهات التي ينتمون إليها.
- وإما لتشويه من يخالفهم في الدين والعقيدة(٢).

٣- تقييم ومراجعة كتب الإمام واتباعه والطعن فيها.

من أساليب المناوئين لدعوة الإمام تقييم ومراجعة كتب الإمام وأتباعه - وخصوصا من الجهات الاعتبارية- والطعن فيها، حيث يتم عرض أحد كتب إمام الدعوة أو أتباعه على بعض اللجان ويطلب منها إعداد التقارير عنها، وعن صلاحيتها للطباعة والنشر.

يقول أحمد كريمة وقد نقل تقريرا علميًا عن كتاب: "توحيد الصفات بين اعتقاد السلف وتأويلات الخلف لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ١٩٩٦م. اسم المؤلف: محمود عبده

(١) انظر: القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب: ٣٨٧.

(٢) انظر: السلفية السعودية في الكتابات الغربية: ٧٥، ٨١.

عبدالرزاق".

ثم ذكر وصف الكتاب، والمؤلفات الأخرى للمؤلف في العقيدة، ثم ذكر التقييم له من الناحية الدينية: كتاب "توحيد الصفات بين اعتقاد السلف وتأويلات الخلف" يعبر عن وجهة نظر الفكر السلفي أو الوهابي وينحى منحى التعصب لهذا الفكر ويدعو إليه ويحمل الناس عليه حملاً مبرزاً أنه الحق وحده وأن ما سواه على الباطل...".

ثم قال: " وينتهي الكتاب – مثل كل كتب السلفية – إلى الحكم على عقيدة المسلمين بالضلال والفساد والتعطيل...

وعلى ضوء ما سلف: فإن الكتاب – وسائر الكتب السلفية في مجال العقيدة وهي جل كتاباتهم– يعد من أسباب ووسائل ارتكاز الشباب المغرر بهم في جماعات الخروج والعنف المسلح على قاعدة "الحكم بتكفير المجتمع حكاماً ومحكومين" ويعد البذرة الأولى لتكفير الأمة... فالكتاب وما ماثله من كتب العقيدة السلفية التي توزع جهاراً نهاراً بالجمعيات السلفية المشهرة وتعج بها مكتباتهم العامة والخاصة تتناول أركان الإيمان لا سيما الركن الأول (الإيمان بالله تعالى) تناولاً يتصف بالتعصب للفكر السلفي، ويرمي مخالفيه بالضلال وفساد العقيدة (وليس لما ذكر من معنى غير تكفير المسلمين) والتشكيك في عقيدة العلماء بالأزهر الشريف وفي عقيدة الدعاة الهواة ببعض الجمعيات الثقافية كالجمعية الشرعية وبعض الاتجاهات الأخرى "كالإخوان" ويجعل الكل من حيث العقيدة في سلة واحدة والأمر بعد ذلك متروك –بعد الله تعالى– للجهات العلمية المختصة.

هذا ما لزم بيانه عن فحص الكتاب من الناحية الدينية.

الفاحص

دكتور: أحمد محمود كريمه

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين

جامعة الأزهر – القاهرة"[١].

---

(١) تهافت السلفية: ٢١-٢٣.

٤- التقليل من شأن كتب الإمام محمد بن عبدالوهاب والطعن فيها.

يقول صاحب كتاب "الوهابية مقالة نقدية" في وصف كتاب التوحيد: "كما وجد أيضاً الوقت الكافي لجمع الكتيب المسمى "كتاب التوحيد". على الرغم من الوعد الذي قدمه في صفحة العنوان بشرح أهم العقائد الإسلامية -أي التوحيد- فقد احتوى الكتيب الأحاديث فقط من دون أي تعليق، وقد صنفها في سبعة وستين فصلاً.

الراحل إسماعيل راجي الفاروقي، الذي كان في وقته أحد المروجين الأساسيين للوهابية في شمال أمريكا، كاد أن يكون على حق لدى ترجمته لكتاب التوحيد حين وصف الكتاب بأنه يحمل سمة "ملاحظات الطالب". كان من الأصح أن يقول بان هذا الكتاب وكذلك الكثير من مؤلفات محمد بن عبدالوهاب الأخرى هي مجرد ملاحظات طالب. هكذا، وبوثبة تخيلية يمكن أن تشرّف مداح بلاط من القرون الوسطى، حاول الفاروقي أن يبرر الضعف الأدبي لبطله عموماً، فزعم أنه "جند نفسه لتصحيح الفهم الخاطئ بشأن التوحيد لدى جميع المسلمين تقريباً -حسب زعمه- بعزيمة فكرية أعظم من قلمه"(١). لقد كانت هناك بلا شك عزيمة عَمِلَ محمد بن عبدالوهاب على إظهارها، ولكن كونها ذات طابع فكري أمرٌ مشكوك فيه.

قد تكون مناقشة ما يمكن تسميته، مجازاً، النتاج العلمي لمحمد بن عبدالوهاب في محلها عند هذه المرحلة من البحث.

إن كل مؤلفاته خفيفة الوزن من حيث الحجم والمضمون على حد سواء. والفاروقي، في محاولة تبرير مديحه لمحمد بن عبدالوهاب، أضاف لكل فصل ترجمة من كتاب التوحيد قائمة من "المواضيع الإضافية" التي اختطها هو، موحياً للقارئ بأن المؤلف قد ناقش أصلاً بعض "المواضيع" التي تثيرها الأحاديث المذكورة في الكتاب. ولكنه في الحقيقة لم يفعل ذلك.

كذلك نجد أن طبعة لكتاب محمد بن عبدالوهاب "كشف الشبهات" قد نشرت في الرياض عام ١٩٧٥/١٣٩٥ محتوية لملاحظة في صفحة العنوان تقول: "قام بتفصيله السيد

---

(١) الشيخ محمد بن عبدالوهاب، كتاب التوحيد، ترجمة: إسماعيل الفاروقي، طبعة ثانية، دلهي، ١٩٨٨: ص١٥.

محمد شكري الآلوسي". لا توجد في أي من الحالين إشارة واضحة إلى موضع انتهاء مساهمة محمد بن عبدالوهاب وبداية مساهمة المحقق. يبدو أن القائمين على الوهابية محرجون بسبب ضآلة مؤلفات محمد بن عبدالوهاب لدرجة أنهم وجدوا ضرورة لتوسعة حجمها.

صحيح إن بعض المجلدات السميكة نسبياً قد طبعت في المملكة العربية السعودية تحت اسم "مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب" (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود)، ولكنها في حقيقة الأمر لا تعدو كونها مجموعات لملاحظات وتصنيفات للحديث وفقاً لعناوين معينة"[(١)].

هذا ما قاله الكاتب عن مؤلفات الإمام التي بلغت (٥٩٤٤) صفحة في (١٣) مجلدا، وقد ذكرت في ترجمة الإمام في مقدمة الرسالة ثلاثة وعشرين مؤلفا للإمام رحمه الله.

٥- توحيد وتشجيع الجماعات الصوفية ودعمها ضد دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من وسائل المناوئين ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ توحيد وتشجيع الجماعات الصوفية ودعمها ضد دعوة الإمام، ومن ذلك ما كان من إحدى العاملات بالاستخبارات وتسمى بالارين حيث لم تقنع "بتادية مجرد دور الجامع الساكن للاستخبارات. فقد قضت رؤيتها بأن تصبح في قلب الصحوة الصوفية الكبرى تشرف على توحيد مختلف الجماعات الصوفية في أنحاء شمال وشرق إفريقيا في حملة عارمة ضد الوهابية"...

وعندما حصل الصدام بين مسلحو الشباب والصوفية عمدت بالارين إلى دعم الصوفية، وكتبت نشيد المقاومة لصوفيي الصومال، واحتوى النشيد، المكتوب بالإنكليزية وأنشده أحد مغني البوب البرازيليين، على صرخة النداء: "الطريقة الصوفية التي لن يهزموها أبداً!".

وأدركت بالارين إمكانات الصحوة الصوفية وشرعت في تشجيع زعمائها على تطوير استراتيجية لوقف تقدم الشباب"[(٢)].

ومن ذلك إنشاء المجالس الصوفية، ومنها المجلس الإسلامي الأمريكي الصوفي: والذي

(١) الوهابية مقالة نقدية: ٢١-٢٣.

(٢) حروب الظل: ٢٥٩-٢٦١ باختصار.

أسسه "هشام قباني" من أصل لبناني، وهي منظمة صوفية في الولايات المتحدة، ويحظى الرجل بدعم كبير من الإدارة الأمريكية، ودُعي إلى البيت الأبيض والخارجية، وألقى محاضرات على مسؤولين في واشنطن إحداها كانت بعنوان "التطرف الإسلامي وخطورته على الأمن القومي الأمريكي"[١].

كما أوصت لجنة في الكونجرس الأمريكي مختصة بالحريات الدينية بتشجيع الحركات الصوفية في العالم الإسلامي، وفي كتاب أصدرته الباحثة شيريل بينارد بعنوان: "العالم الإسلامي بعد ١١/٩"، تناولت الحركات والمذاهب الدينية القادرة على التغيير في العالم الإسلامي، وقالت: "الوهابية والسلفية هم أشد أعداء الصوفية والتقليدية في العالم الإسلامي، ونتيجة لهذا العداء فالصوفية والتقليدية هم حلفاء طبيعيون للغرب في حربهم ضد الراديكالية"[٢].

٦- الاستفادة من كتابات المستغربين:

ليست وسائل الإعلام المناوئة ومراكز البحوث والدراسات وحدها هي التي تصف دعوة الإمام المباركة بالعنف والإرهاب والتطرف، بل يوجد بين المسلمين من نذروا أنفسهم للقيام بهذا الدور، والعمل جنباً إلى جنب مع المؤسسات المناوئة لمواجهة الإسلام والمسلمين، ومن ذلك ما كتبه مسلم غربي، هو توفيق حامد، في مقال له نشرته صحيفة "وول ستريت جورنال"، تحت عنوان " المشكلة مع الإسلام"، كال فيه الكاتب الاتهامات للمسلمين، وحرض المؤسسات الغربية على مواجهة ما سماه "الإسلام السلفي". بل وذهب إلى أكثر من ذلك بدعوته إلى عدم الحوار بين أتباع الديانات الأخرى والمسلمين على وجه الخصوص، بزعمه أن لا جدوى من الحوار، وهو موقف متطرف لا يقول به حتى غلاة المناهضين للإسلام في الغرب[٣].

ومثله الدكتور زهدي جاسر، رئيس المنتدى الإسلامي الأمريكي للديمقراطية (AIFD)،

---

(١) لماذا تحاكم السلفية في شمال أفريقيا: ١٨٠. وانظر: لقاء الحبيب على الجفري مع المثقفين السودانيين كلمة الشيخ محمد المنتصر الازيرق ـ قاعة الصداقة:

https://www.youtube.com/watch?v=bUBj_JbMS٧Q في ١٤٣٩/١/٥هـ.

(٢) المرجع السابق: ١٨٣.

(٣) the wall street journal, april ٣, ٢٠٠٧. بواسطة السعودية السلفية في الكتابات الغربية: ٨٨-٨٩.

الطبيب والضابط السابق في البحرية الأمريكية، إذ نشر مقالاً بعنوان "هزيمة السلفية والوهابية هو الطريق الصحيح" [١].

وعلى الرغم من أن المقال يركز على قضية حظر نشاط السلفية في طاجيكستان في الوقت الذي نُشر فيه المقال، إلا أن الكاتب هاجم ما سماه الأيديولوجيات المنغلقة المتمثلة في السلفية والوهابية، ودعا إلى حظر نشاط هذه الجماعات بل وتصفيتها من الوجود.

ويتأكد ذلك عندما تثير الكتابات المناوئة – وخصوصا الغربية– قضايا ذات جوانب دينية، تتعلق – مثلاً– بالحديث عن دعوة الإمام أو الجهاد أو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، أو المناهج التعليمية، أو غيرها، فيعمد الكتاب المناوئون إلى توثيق آرائهم في هذه القضايا وعلاقتها بدعوة الإمام في السعودية عن طريق إيراد شواهد لأشخاص من الكتّاب أو الإعلاميين أو غيرهم ممن ينتمون لهذه الدعوة لتكتسب آراؤهم مصداقية لدى القارئ.

وللكتاب المناوئين في ذلك طرق متعددة، منها:

١– الاتصال المباشر، بحيث يصرح أحدهم برأيه تجاه القضية التي يطرحها الكاتب بطريقة تتوافق مع الهدف من القضية موضوع النقاش.

٢– الدخول إلى المواقع الإلكترونية على شبكة الإنترنت وترجمة ما فيها من رأي يتوافق مع ما تطرحه تلك المصادر المناوئة، ومن ثم الاقتباس منها وتضمينها في النص الذي تنشره تلك المصادر.

٣– زيارة المملكة العربية السعودية ومقابلة أشخاص معينين بطريقة انتقائية تخدم توجهات المصادر المناوئة ولا تعبر عن الرأي العام في السعودية تجاه القضية المطروحة للنقاش.

فمن الكتّاب من كان – عالماً أو جاهلاً – سبباً في تشويه صورة دعوة الإمام في السعودية بمشاركته الرأي في الكتابات التي تزخر بها المصادر المناوئة عن هذا الموضوع [٢].

---

(١) http://www.mzuhdijasser.com/٣٣٣٢/defeating-salafism-and-wahhabism-the-right-way.
بواسطة السعودية السلفية في الكتابات الغربية: ٨٩.

(٢) السعودية السلفية في الكتابات الغربية: ٩١–٩٢ باختصار.

٤- الدعم المالي للمراكز الفكرية والبحثية والباحثين والكتاب في العالم الإسلامي[١]، لطرح الأفكار بلسان باحثين ومفكرين ومراكز بحثية محلية يحظون بنوع من الثقة لدى المجتمع، فيحدث الافتتان وتخلخل الثوابت[٢].

٧- تنزيل بعض الأحاديث الواردة في الفتن على دعوة الإمام:

من وسائل المناوئين لدعوة الإمام محاولة تنزيلهم لأحاديث وردت في الفتن على دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومن ذلك ما ورد في الأحاديث النبوية من أن الفتن من قبل المشرق ويراد بها نجد[٣]، فيلبّسون على العوام، فيظن الجهال منهم أن المراد بنجد في الأحاديث هي نجد اليمامة[٤]، يقول أحمد محمود آل محمود: "يتغافل السلفيون عن حديث رسول الله ﷺ المتعلق بأرض نجد لما يصفها بها عليه السلام بأنها أرض الزلازل والفتن ومنها يخرج قرن الشيطان، وإذا لزمهم التكلم عنه قالوا أن المقصود أرض العراق، ويستشهدون ببعض الوقائع التي حدثت في تاريخنا الإسلامي ويتناسون الواقع والموقع

ولقد بحثت في فتاوى ابن تيمية وفي فتاوى ابن عثيمين وفتاوى ابن باز رحمة الله عليهم فلم أقع على مادة (نجد أرض الزلازل والفتن) مما يدل على أنهم قد غيبوا الحديث عنها حاجةً في أنفسهم والله أعلم"، ثم يخرج بنتيجة بحثه، فيقول: " فجميع الروايات المذكورة تشير إلى أن الفتنة تخرج من المشرق ومن نجد"[٥].

---

(١) التمويل الغربي وشراء الفكر في العالم العربي: ١٣١.

(٢) انظر: الإسلام والليبرالية مواجهة صريحة: ٢٢٧-٢٢٩، ٢٩٧-٣٠٣. وبناء شبكات الاعتدال الإسلامية: ٤٠-٤٢، ومواقف المستشرقين من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية: ٧-٩، ومقالات مختارة في المذاهب والأفكار السائرة في العصر الحديث: ٤٣٨-٣٥٧.

(٣) انظر: نجد ودعوى قرن الشيطان: ٦.

(٤) انظر: الاطلاقات النبوية لنجد والمشرق ودلالاتها في الروايات الحديثية وشروحها، وكتب اللغة والبلدان في كتاب: نجد ودعوى قرن الشيطان: ١٢-٥١.

(٥) نجد أرض الزلازل والفتن: http://www.azahera.net/showthread.php?t=٩٠٦ في ١٤٣٩/١/٥هـ.

٨- التخويف من الأعداء:

من أساليب المناوئين لدعوة الإمام التخويف من الأعداء، ومحاولة الاستفادة من أي أحد كان، ولو من أهل السنة، ومن ذلك ما جاء في بيان منظمة عيون الشعب العراقي: "إن واجبنا الأول في السعودية هو التخويف من أمريكا وزيادة مشاعر القلق منها لدى الأسرة الحاكمة واستغلال دعم أمريكا للمظاهرات ومنع قمعها في مصر وتونس واليمن والجزائر وغيرها، وهذا ما سينطبق على مظاهرات يجب أن تحدث في السعودية، لأجل إثبات أن أمريكا أصبحت مستعدة للتخلي عن دعم الأسرة الحاكمة. فذلك سوف يسمح لنا بدخول هذه الأسرة والعثور على أفراد منها لديهم الرغبة في التعاون مع إيران بأي ثمن لمنع المظاهرات في المنطقة الشرقية أو على الأقل منع تحويلها إلى أداة انقسامات تطيح بالمملكة.

وعلينا أن نبحث عن الأمراء الذين يمكنهم تقديم خدمات لنا مقابل ضمان حمايتهم ودعم وصولهم للحكم. ولذلك يجب على إخواننا في شرق السعودية تنظيم مظاهرات تزداد قوة يوماً بعد آخر وجر الحكومة جراً لضربها بقوة تسيل الدماء والقيام بحملات إعلامية ضخمة تركز الأضواء على ما يجري في السعودية.

وعلينا تجنب أي شعارات طائفية فمثل الكويت يجب تجنب أي شعار طائفي لأجل إقناع السنة بأن المظاهرات هي ضد النظام وليس ضد السنة وبذلك نكسر القوة الأساسية التي يعول عليها النظام وهي السنة.

ومطالبنا يجب أن تهتم بتحسين أحوال كل السعوديين مادياً وتوفير فرص ممارسة الديمقراطية وتقييد السلطة الحاكمة بقوانين ودستور عصري يجعل الملكية مقيدة ودستورية.

إن أكثر من نصف قرن من الزمن حكمت فيه هذه الأسرة بالحديد والنار والتمييز الطائفي ونهب الثروات وحان الوقت لوضع حد لذلك مما يتطلب إشراك أكبر عدد ممكن من السنة في الأعمال المضادة للحكومة وتقديم تنازلات من قبلنا للزعماء السنة في هذه المرحلة خصوصاً دعم تصدرهم للمظاهرات أو اللجان التفاوضية أو تولي مسؤوليات رسمية في إطار

الإصلاح المنتظر"[١].

٩- سرد النتائج العامة لعقيدة الإمام محمد بن عبدالوهاب على أنها عقائد وثنية:

من أساليب المناوئين لدعوة الإمام ذكر عقيدته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وسياقها في سياق النقد والذم - حسب زعمهم-، وأنها عقائد إلحاد ووثنية، ومن ذلك ما ذكره صاحب كتاب "عقائد الإلحاد الوثنية عند السلفية الوهابية"، حيث ذكر (اثنين وسبعين) مسألة من عقيدة الإمام - وهي موافقة لعقيدة السلف- على أنها من العقائد الوثنية[٢].

١٠- ذكر قائمة بأسماء العلماء الذين ردوا على الإمام وتقسيمهم على حسب بلدانهم، وسرد بعض الأسر التي عارضت دعوة الإمام.

من أساليب المناوئين لدعوة الإمام محاولة بيان أن دعوة الإمام قد حوربت ورد عليها من علماء المذهب الذي ينتسب إليه الإمام، ومن جميع البلدان، ومن مختلف الأسر، ومن ذلك ما ذكره صاحب كتاب "الرؤية الوهابية للتوحيد وأقسامه" حيث ذكر مواقف العلماء من دعوة الإمام وبعض الأسر الحنبلية التي خالفته[٣].

١١- استخدام مفردات ومصطلحات منفرة من دعوة الإمام وتعميمها:

وهذا الأمر ظاهر، فإن المناوئين لدعوة الإمام يستخدمون بعض المفردات والمصطلحات للتنفير من هذه الدعوة، فهم على سبيل المثال، يستخدمون: السلفية، والسلفيين، والوهابية[٤]،

---

(١) منظمة عيون الشعب العراقي، بغداد في ١٩/شباط/٢٠١١م. بواسطة: كشف العلاقة المريبة بين الشيعة الرافضة وحزب الإخوان المسلمين: ٢٦٧.

(٢) عقائد الإلحاد الوثنية: ٨٣-٨٦.

(٣) انظر: ٤٧١-٥٠١.

(٤) من المعروف أن خصوم دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب هم أول من أطلقوا عليهم اسم "الوهابيين" تشويهاً لسمعتهم وتنفيراً عنهم؛ لكن هذا الاسم أصبح شائعاً لدى كثير من الكتاب، وخصوصاً الغربيين. على أنه وجد من أتباع دعوة الشيخ محمد، أو المتعاطفين معها، من استعملوا كلمتي الوهابيين والوهابية وصفاً لأنصار تلك الدعوة

والجهاد، كمترادفات للعنف، والتطرف، والإرهاب وربطها بالتنظيمات الإرهابية.

ومن هؤلاء ستيفن شوارتز، الذي عرف بنقده الدائم لما يسمى (الأصولية الإسلامية)، و(الوهابية السنية) كما يسميها، وله فيها كتابات كثيرة، منها (هزيمة الوهابية)، (مشكلة الوهابية)، وغيرها[١].

وهم في ذلك على طريقة الصوفية الذين يصفون علماء السلف بأنهم غلاة متشددون، ينزعون إلى تكفير الناس. وأن المانعين للتوسل والاستغاثة بغير الله من أبعد الناس عن السنة ومنهج السلف، وأنهم عُرفوا بسب العلماء وشتمهم وتكفيرهم.

وأنهم مجسمة وحشوية تنفيراً منهم وتحاملاً عليهم، وأنهم جاهلون متعالمون، وأنهم دعاة للفتنة...[٢].

١٢- وصف الوهابية بالاستعلاء:

من أساليب المناوئين لدعوة الإمام اتهامها بالاستعلاء والتكبر، تنفيرا منها وتشويها لها، جاء في بحث "وهابيون متصوفون" ضمن كتاب "التصوف في السعودية" لما ذكر ما حصل لبعض المتصوفة في المسجد الحرام: "تكشف تلك الحادثة التي كنت شاهداً عليها قصة السلفية الوهابية مع الصوفية والمتصوفة. ولم يكن مستغرباً أن يكون معظم المشاركين الحانقين في تلك

وللدعوة نفسه، وذلك ابتداء من قيام الدولة السعودية الثالثة إلى مطلع القرن الهجري الحالي، ومن هؤلاء العلامة سليمان بن سحمان في المجموعة التي سماها الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية، والشيخ محمد حامد الفقي في كتابه: أثر الدعوة الوهابية الثقافي والعمراني، ومحمد رشيد رضا في كتابه: الوهابيون والحجاز، والشيخ حسن آل الشيخ في مقالة له في مجلة العربية عنوانها: الوهابية وزعيمها، وغيرهم. انظر: كتاب آل سعود لأحمد علي: ١٧٩-١٨٤، ودعاوى المناوئين لدعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب: ٧٦، ومقدمة ترجمة كتاب ملاحظات عن البدو والوهابين، ومؤسسة البحث والتطوير (راند) وموقفها من الدعوة الإسلامية: ٥٢٥-٥٢٩، ورسالة صالح بن دخيل بن جار الله النجدي في المجلد السابع والعشرين من مجلة المقتطف المصرية رداً على المحاضرة التي ألقاها الدكتور زويمر الداعية النصراني في جميعة فيكتوريا الفلسفية عن تاريخ الوهابية وأصلها وعقائدها.

(١) السعودية السلفية في الكتابات الغربية: ٨٤.

(٢) انظر: حركة التصوف في الخليج العربي: ٤٩١-٥٠٦

الواقعة من نجد وسط السعودية.

وإذا أردنا الدقة فقد كانت تلك الحادثة تشير بما استبطنه ذلك الاحتجاج الديني من دوافع اجتماعية ومناطقية، نبعت من الشعور بالتفوق والاستعلاء النجدي الاجتماعي والسياسي والديني على حاضرة الحجاز وأشكال الثقافة والتنوع المذهبي والعرقي الذي زخر بها منذ مئات السنين. وهو استعلاء نشأ مع الدولة السعودية الأولى وتمدد دعوة ابن عبدالوهاب حتى ابتلعت الحجاز والحرمين، وهو استعلاء ظهر فاقعاً في فتح الحجاز ١٣٤٤/١٩٢٥، واستمر حتى اليوم بمظاهر وتجليات متعددة"(١).

١٣- الاعتماد على مصادر غير صحيحة أو مناوئة لدعوة الإمام في التحذير منها:

من أساليب المناوئين لدعوة الإمام الاعتماد على مصادر غير صحيحة أو مناوئة لها، أو لمؤلفين مجهولين، والإحالة عليها، وبثها ونشرها. يقول ميقات الراجحي: إلى الآن يعد كتاب نيبور(٢) "رحلات إلى بلاد العرب وبلدان أخرى محيطة بها" أقدم من كتب عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، والملاحظ أنه من أكثر الكتب إنصافاً – رغم بعض التجاوزات- للحركة الإصلاحية رغم أنه لم يقابل الشيخ.

بينما يرى الرحّالة فلبي (١٨٨٥-١٩٦٠)(٣) عندما يتحدث عن رحلة نيبور، لقد كانت

---

(١) التصوف في السعودية: ٨٣.

(٢) كارستن نيبور، مستشرق رحّالة. دنمركي الأصل، ألماني المولد والمنشأ. صنف بالألمانية كتابا في: وصف بلاد العرب، ورحلة في البلاد العربية وما جاورها، عين بعد رجوعه إلى الدنمرك مهندسا في أركان الحرب ثم مستشارا حقوقيا في ملدوف (سنة ١٨٠٨) ومات بها. انظر: الأعلام: ٥/٢١٠.

(٣) هاري سانت جون فلبي، أو الحاج عبد الله فلبي: مستشرق بريطاني، من أغزر الكتاب علما بجزيرة العرب. ولد في سيلان وتعلم في انكلترا وخدم حكومته في الهند (١٩٠٨ – ١٩١٥) ودعي إلى العراق فعمل في البصرة. ودخل الرياض (١٩١٧) ضمن البعثة المتجهة نحو الجزيرة العربية (١٣٣٦هـ/١٩١٧م) ثم تتابعت رحلاته نحو الجزيرة العربية وبدأت علاقته تتوطد بالملك عبدالعزيز آل سعود في نجد، وصنف ١٥ كتابا بالإنكليزية، منها: تاريخ نجد، وأرض الأنبياء، ويوبيل الجزيرة العربية، والبلاد العربية، وبلاد العرب الوهابية، وغيرها. توفي سنة ١٣٨٠هـ. انظر: الأعلام: ٨/٦٣، ومقدمة كتاب قلب الجزيرة العربية: ٩-١٢.

مصادر المعلومات التي جمعها "نيبور" متحاملة وكانت تبعد كثيراً عن مسرح الأحداث، كما تم تدوينها باختصار مخل، فجاءت المدونة بعيدة عن الكمال الذي يُرجى لعمل كهذا. ولكن لنيبور فضل السبق في تعلم أوروبا ببدايات حركة ظهرت أهميتها لاحقاً خلال نصف قرن من الزمان،...إلخ[١]... فمثل هذه الكتابات قد تركت أثراً لمن جاء حتى بعد نيبور[٢].

وقد نظمت وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية بالتعاون مع مكتبة الملك عبدالعزيز العامة والبنك الإسلامي للتنمية، ندوة بعنوان: مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي في المدة من ٢٢-٢٥ رجب ١٤٢٠هـ، ووجدت أن أغلب البحوث المقدمة للندوة تركز على ذكر المصادر بشكل عام، ومنها الاستشراق بوصفه مصدراً من مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي[٣].

ثم وجد أن غالب المستشرقين يعتمدون في مصادرهم ومعلوماتهم على عدة مصادر، أهمها:

- مصادر أصحاب الفرق المنتسبة إلى الإسلام.

- ثم المصادر الإسلامية ككتب المقالات والفرق، والكتب التاريخية العامة.

- ثم مصادر وأعمال المستشرقين كدوائر المعارف الاستشراقية، ومؤلفات المستشرقين، والمؤتمرات والدوريات والمجلات الاستشراقية.

- ثم وسائل المعلومات الحديثة كشبكة المعلومات (الإنترنت)، والقنوات الفضائية، ووسائل الإعلام المختلفة"[٤].

ثم "لم نجد أحدًا - يعني من المستشرقين- ممن وقفنا على كتابته أو ما كتب عنه أنه اعتمد أو رجع إلى كتاب واحد من كتب الشيخ أو إلى رسائله الكثيرة والمنتشرة في ذلك الوقت التي تبين حقيقة الدعوة من أجل الحكم عليها وعلى صاحبها.

بل لم نجد من اعتمد على المصادر العربية الموثوقة التي أرّخت للدعوة عن علم واطلاع

---

(١) قلب الجزيرة العربية: ١٣.

(٢) الوهابية أرجحة المصطلح بين الحالة المذهبية والتمهذب: ٨٤-٨٥.

(٣) انظر: الاستشراق والدراسات الإسلامية: ٢٢، ٣٦، ٥٧.

(٤) موقف المستشرقين من الافتراق والفرق: ٥٧-٥٨.

ومعايشه إلا القليل منهم، ومن المتأخرين مثل (فلبي) و (مرجليوث), وقد لاحظنا أنه بقدر اعتمادهم على تلك المصادر يكون اقترابهم من الحقيقة والواقعية, وإنما كان جلّ اعتمادهم على كتابات الرحّالة الغربيين والمستشرقين أنفسهم، وهذه كما قال (رينتز): "كانت مواقف الغرب الراهنة من المملكة العربية السعودية في الوقت الحاضر تقوم أساساً على مرئيات هؤلاء الرحّالة حول الوهابيين"(١) مع أنها في رأيه: "لا تفضي إلى فهم أوضح للدعوة الوهابية إلا بقدر ضئيل جداً"(٢)"(٣).

بالإضافة إلى ما سبق فإن كثيرا ممن يتعامل مع هذه الوثائق العربية يجهل اللغة العربية وأساليبها ودلالاتها، ويجهل أيضًا الشريعة وأصولها وأحكامها(٤)، مع تأثره بما يحمله في نفسه ويعتقده تجاه هذه الدعوة(٥)، والغايات الحاملة له على الكتابة(٦). ولذلك استنكر ديفيد كوبر على كثير من الرحالة تعصبهم الأعمى الذي قادهم في كثير من الأحيان إلى تشويه صورة الدعوة وأتباعها عن عمد(٧). ويقول برنارد لويس: " لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين ومستترة في الغالب وراء الحواشي المرصوصة في الأبحاث العلمية"(٨).

ويقول عبدالله المديفر في ذكر المصادر التي تعتمد عليها مؤسسة (راند): "تتنوع المصادر التي تعتمد عليها مؤسسة (راند)، وهي بعامة جملة المراجع التي يعتمد عليها الباحثون، لكن (راند) تزيد عليهم بقدرتها على الحصول على مصادر معلومات لا يتمكن كثير من الباحثين من الوصول إليها؛ كالمعلومات التي في بعض الوزارات والمؤسسات الحساسة، مثل الجيش، ووزارة

(١) الحركة الوهابية في عيون الرحالة الأجانب: ٩٢.

(٢) المرجع السابق: ١١٩.

(٣) موقف المستشرقين من الافتراق والفرق: ٥٨. وانظر: السلفية السعودية في الكتابات الغربية: ٦٥-٧٨.

(٤) الحركة الوهابية في عيون الرحالة الأجانب: ٩١، ١٠٢، ١٢١.

(٥) تاريخ حركة الاستشراق ل"يوهان فوك" مقدمة الترجمة: ١.

(٦) صورة الشرق في الغرب: ٨٩.

(٧) الحركة الوهابية في عيون الرحالة الأجانب: ٢٢.

(٨) الاستشراق والتاريخ الإسلامي: ٢٩.

الدفاع، والاستخبارات، ونحو ذلك[١].

وذكر من هذه المصادر:

- المراجع العامة للأبحاث والدراسات.

- المقابلات الشخصية، أو المكاتبة بطلب معلومات.

- الوزارات والمؤسسات الحكومية.

- المؤسسات الاستخبارية لبعض الدول.

- تجربة الاحتلال اليهودي لفلسطين في قمعه للجهاد في فلسطين، وفي الحروب التي خاضها.

- دراسات وأبحاث (راند) السابقة.

- الخبراء العاملون في (راند) أو المستكتبون[٢].

ومن الملاحظ على هذه المصادر مما قد يعد قاسماً مشتركًا بين هذه الدراسات هو عدم اعتمادهم على المصادر الأصيلة والوثائق المعتمدة للإسلام والدعوة, والذي يعتبر من بدهيات المنهجية العلمية الضرورية في البحث العلمي المنصف والمتجرد، والساعي إلى تجلية الحقيقة والوصول إليها.

أما الاعتماد على مؤلفات وأقوال المناوئين للإمام ودعوته، فهذا مما ابتلي به الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ كغيره من المصلحين، فبالإضافة إلى الغرب الصليبي والاستعمار وعملائهما من المستشرقين الذين ناصبوا العداء لهذه الدعوة منذ ظهورها فهناك من ينتسب إلى الإسلام من المسلمين من قد يفوق هذا العدو الكافر في عدائه وتجنيه وافترائه على هذه الدعوة، ومن أصناف هؤلاء الأعداء:

أ- الدولة العثمانية وولاتها في أقاليم البلاد الإسلامية, وهذا العداء ظاهر لأسباب دينية

(١) مؤسسة البحث والتطوير (راند): ١٢٦-١٣٢.

(٢) انظر: المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، ومواقف المستشرقين من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية: ٦٥-٩٢.

وسياسية ترتب على ذلك أن بلغ الأمر إلى المواجهة العسكرية في العديد من المواقع.

ب- أمراء الأقاليم في الحجاز والأحساء ومن شاكلهم من حكام في الجزيرة العربية.

ج- رؤساء الطرق الصوفية ومريدوهم وزعماء الفرق الأخرى.

د- الرافضة في إيران والعراق وغيرها, وهم يشتركون مع الصوفية في تشريع الممارسات الشركية ودعوة المسلمين إليها.

هـ - بعض العلماء في نجد وما حولها الذين ألفوا ضد الدعوة[1].

١٤- الطعن في المراجع العقدية لدعوة الإمام، وانقطاع الإسناد عندهم:

من أساليب المناوئين لدعوة الإمام الطعن في الانتساب العلمي للإمام وأتباعه، والطعن في المصادر والمراجع التي يعتمدون عليها في عقيدتهم، يقول أبو المعالي الأزهري بعد أن ذكر أن دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تطلق على نفسها السلفية: نسبة إلى السلف الصالح، كأن بقية الأمة لا يعرفون شيئاً عن السلف: "وقد اضطروا إلى اختراع هذا اللقب بعد أن أصبح اسم الوهابية علما على الشذوذ في الدين ومخالفة إجماع المسلمين، فهم الآن يرفضون تسميتهم بالوهابية رفضاً شديداً، سواء كانوا من أهل نجد أو ممن اتبع نهجهم من أهل البلاد الأخرى".

ثم ذكر انقطاع أسانيدهم في العقيدة، "وأن إثبات ذلك لا يحتاج إلى أكثر من النظر إلى مراجعهم العقدية التي ترجع بأفكارها ومنهجيتها وتقسيمها وتبويبها إلى الشيخين ابن تيمية وابن القيم.

وانقطاع الإسناد عند أهل العلم: هو سقوط راوٍ في طبقة من طبقات الإسناد. والإعضال: هو سقوط راويين متتاليين فأكثر من الإسناد.

فسلسلة أسانيد القوم يتوقف اتصالها عند الشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدي. والبعد بين طبقته وبين طبقة ابن تيمية وابن القيم -اللذين امتحن الناس بما في كتبهما من الأحكام في العقائد والفروع- كبعد الأرض عن جو السماء، أو هو أبعد. فبينهما أربعة قرون على أقل

---

(١) انظر: مواقف المستشرقين من دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب: ٧٩-٩٢.

تقدير!" (١).

وقد سبق في المقدمة طلب الإمام محمد بن عبدالوهاب للعلم ورحلاته في ذلك، وذكر مشايخه الذين تتلمذ عليهم، ومنهم المحدِثين المسندين كمحمد حياة السندي. أما رجوعه واعتماد على كتب السلف فهذا ظاهر بين في جميع مؤلفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومن نظر فقط في كتاب التوحيد عرف غزارة علم الإمام، فإنه يذكر ترجمة الباب، ثم يتبعها بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وينقل الآثار عن الصحابة، وله المؤلفات الكثيرة التي لم يخرج فيها أبدا عن كتب السلف.

١٥- الفصل بين دعوة الإمام ودعوة السلف:

من أساليب المناوئين لدعوة الإمام محاولة الفصل بين دعوة الإمام ودعوة السلف، وإتهام دعوة الإمام بمخالفتها، "باعتبارهما متناقضتين، وأن الوهابية هي دين مختلف عن السلفية السنية السائدة في العالم الإسلامي..."، وأن" الفرق الكبير بين السنة والوهابية هو في المعتقدات والطقوس. ويشكل السنة الأغلبية بنسبة تقريبية تصل إلى ٩٠٪ من المسلمين في جميع أنحاء العالم حيث ينتمون إلى المذهب السني، في حين يتركز أعضاء الحركة الوهابية في المملكة العربية السعودية"(٢).

يقول الكسندر فاسيليف، وهو صحفي من جمهورية التشيك، في مقال له بعنوان "السلفية: النظرية والتطبيق"، جاء فيه: "إن عقيدة الوهابية، وهي الاسم الثاني للسلفية، مأخوذة من مفهوم السلف الصالح، والذي يشير إلى مجموعة من أصحاب النبي محمد(ﷺ) الذين تزعم الوهابية أنها تتبعهم. هذه العقيدة الوهابية تأسست في العالم الإسلامي عن طريق الشيخ محمد بن عبدالوهاب وقامت على أساس كتابات عالم الكلام ابن تيمية في القرن الرابع عشر"(٣).

---

(١) الانتصار لأهل السنة وكشف مذهب أدعياء السلفية: ٦٥-٦٦.

(٢) السلفية السعودية في الكتابات الغربية: ١٣-١٤.

(٣) المرجع السابق: ١٧.

١٦- المقارنة بين دعوة الإمام وغيرها من الدعوات، وكأنها مذهب أو فرقة من المذاهب والفرق الإسلامية:

من أساليب المناوئين لدعوة الإمام المقارنة بين دعوة الإمام وبين المذاهب والفرق الإسلامية الأخرى التي ضلت الصراط المستقيم في بعض القضايا العقدية، "ويغلب هذا على منهج المستشرقين، بل يصل بهم الأمر أحياناً إلى درجة الشغف، ومن تلك القضايا مسألة الشفاعة، قال دوايت: "نقطة الخلاف الأساسية بين الوهابيين وسائر الفرق الإسلامية هي "في طلب الشفاعة من القبور" وتمس هذه القضية مثلاً إسلاميًا أعلى، وهو التوحيد، فيعتبر الوهابيون أن طلب الشفاعة والتوسط بالقبور إشراك، ولما كانت زيارة قبور الأموات من الصالحين هي لطلب شفاعتهم وتوسطهم، رأي الوهابيون تخريب مثل هذه القبور ومحو أثرها"[(١)]"[(٢)].

وأصدر مركز الحرية الدينية في معهد هودسون الأمريكي، بالتعاون مع مركز شؤون الخليج بواشنطن تقريراً عام ٢٠٠٦م جاء فيه: "استمر المنهج الديني في المدارس السعودية الحكومية في نشر أيديولوجية الكراهية ضد "الكفار" وهم: النصارى، واليهود، والشيعة، والصوفية، والمسلمين السنة الذين لا يعتنقون المذهب الوهابي، والهندوس، والملحدين، وغيرهم"[(٣)].

فجعل هذا التقرير دعوة الإمام وكأنها مذهب مستقل مخالف للسنة، وهو في الحقيقة يشمل الإسلام الصافي. وجعل من خالفه - حسب زعمه- من نصارى ويهود وشيعة وصوفية وهندوس وملحدين بل ومسلمين سنة!.

---

(١) عقيدة الشيعة، تأليف دوايت م. دونلدسن: ص ١٥٣.

(٢) مواقف المستشرقين من دعوة الإمام: ٧٠.

(٣) saudi arabia;s curriculum of intolerance, center for religious freedom of the hudson institute, with the institute for gulf affairs, ٢٠٠٨, p.١١. بواسطة: السعودية السلفية في الكتابات الغربية: ١١٢-١١٣.

١٧- تصوير أغلفة كتب الإمام وأتباعه، والتحذير منها، ومن ذلك:

من أساليب المناوئين لدعوة الإمام وأتباعه، أنهم يقومون بتصوير اغلفة كتب الإمام أو أتباعه، ثم يحذرون منها، أو يضعون عليها ما يدل على التنقص، أو يشطبون عبارة الثناء المكتوبة عليها كشيخ الإسلام، إلى غير ذلك.

وهذه بعض النماذج لأغلفة الكتب التي قام المناوئون بتصويرها والتحذير منها والتعليق على بعضها:

أغلفة نماذج كتب للمتسلفة ضد المسلمين

" تراث ومعاصرة "

التنبيه
على المخالفات العقدية
في
فتح الباري

تقريظ لكبار العلماء

عبدالعزيز بن باز — صالح الفوزان

عبدالله بن عقيل — عبدالله بن منيع

عبد الله الغنيمان

وهو إكمال لما بدأه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز
على الفتح بإشارته ومتابعته ومراجعته وقراءته

كتبه

علي بن عبد العزيز بن علي الشبل
عفا الله عنه وعن والديه ومشايخه والمسلمين آمين

دار الوطن — دار العقيدة — دار الشبل

أخطـــاء فتـــح البـــاري في العقيـــدة

« رسالتـــان »

العلّامة المحدّث
عبد اللّه بن محمد بن أحمـــد
الـدويـــش رَحِمَهُ ٱللَّهُ
[١٣٧٣ - ١٤٠٨]

الشيخ المجاهد الأثري السلفي
عبد الله بن سعدي الغامدي العبدلي
رَحِمَهُ ٱللَّهُ
[قبل ١٣٣٣؟ - ١٤٢٥]

وبحاشيتهما
تعليقات
- العلامة عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ
- الشيخ محب الدين الخطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ

إعداد
أبي يوسفَ بنِ يحيى المرزوقيّ
تجاوزَ اللّهُ عنه

مكتبة
أسَدِ السُّنَّةِ
للنشر والتوزيع
القاهرة

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م

رقم الإيداع

دار الآثار للنشر والتوزيع

www.dar-alathar.com

أخطاء الأصوليين في العقيدة

تأليف

أبي محمد صلاح بن فتحي كشروش العدني

تقديم

أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري

دروس في

شرح نواقض الإسلام

للإمام المجدد شيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله

ألقاها

معالي الشيخ الدكتور

صالح بن فوزان الفوزان

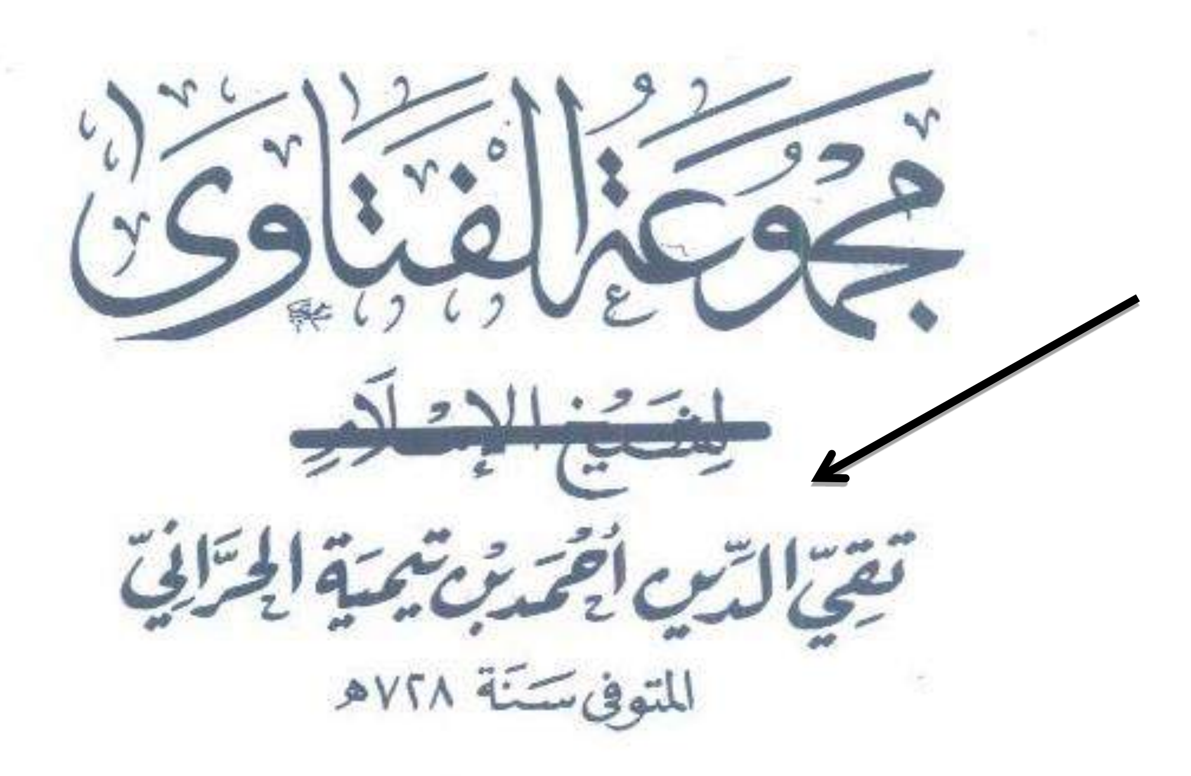
عضو اللجنة الدائمة للإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء

أشرف على إخراجها

محمد بن فهد الحصين

الطبعة الخامسة

مزيدة ومنقحة



اعتنى بها وخرج أحاديثها

عامر الجزار
أنور الباز

المجلد الثالث عشر

المبحث الثالث: المقارنة بين الدعاوى المعاصرة والدعاوى السابقة

بعد هذه الدراسة المختصرة عن الدعاوى المعاصرة التي أثيرت من المناوئين لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فيمكن إجمال المقارنة بين هذه الدعاوى المعاصرة والدعاوى السابقة فيما يلي:

أولا: من جهة الدعاوى:

فالملاحظ تكرار الدعاوى والشبهات والاستفادة بشكل كبير من الدعاوى السابقة، من حيث الدعوى ودليلها...الخ، وما جدّ من دعاوى فهي:

- إما فرع عن تلك الدعاوى وتفصيل لها، مثل الدعاوى المتعلقة بتوحيد العبادة وتوحيد الأسماء والصفات؛ بل إن كثيرا من هذه الدعاوى موجودة قبل دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

- وإما دعاوى قديمة زاد التركيز عليها والاعتناء بها، كالتكفير وسفك الدماء، استغلالا للأحداث، ورغبة في زيادة الطعن في هذه الدعوة وربطها بالجماعات الضالة.

- وإما دعاوى لم تذكر سابقًا إما غفلة عنها، أو لأنها لم تنتشر في وقتهم، كمسألة حلول الحوادث؛ وإن كانت في أصلها دعاوى قديمة أثيرت ضد عقيدة السلف قبل دعوة الإمام، ولما اعتنى بها أتباع الدعوة وبينوا الحق فيها نشط المناوئون لدعوة الإمام؛ بل المناوئون لعقيدة السلف في إثارتها وإيراد الشبه عليها.

ثانيًا: من جهة القائلين بها:

فالملاحظ وجود مناوئين جدد في هذه الدعاوى المعاصرة، ففي السابق كان غالب المناوئين لها من الصوفية والرافضة، وبعض الحكام والأمراء خوفًا على مناصبهم وزعاماتهم.

أما الدعاوى المعاصرة فبالإضافة إلى ما سبق، فقد كان للغرب النصراني الدور الكبير في إيراد ونشر هذه الدعاوى والشبه، كما شاركت بعض الجماعات التي تنتسب للإسلام في هذه الدعاوى؛ بل بعض الجماعات الإسلامية؛ بل ممن ينتسب لهذ الدعوة شارك

في ذلك؛ سواء بقصد أو بغير قصد.

كما لوحظ قوة التعاون بين المناوئين لدعوة الإمام، وتبادل الأدوار، وقد ساعد في ذلك – مع العداء للدعوة– سهولة التواصل بينهم من خلال وسائل التواصل الحديثة والمؤتمرات.

ثالثًا: من جهة الأهداف:

الأهداف بين المناوئين المعاصرين والسابقين –في الجملة– أهداف واحدة، منها: الأهداف السياسية، والأهداف الدينية، والأهداف الاقتصادية والاجتماعية مع التوسع في بعضها.

إلا أن الملاحظ في الدعاوى المعاصرة هو التركيز في الطعن على الدعوة السلفية والسلف من خلال الطعن في دعوة الإمام وأتباعها.

ولهذا نجد المناوئين المعاصرين، تارة يطعنون في هذه الدعوة باسم الوهابية، وتارة باسم السلفية، وتارة يربطون بينهما، وتارة لا يفرقون بينهما...الخ، والمقصود هو الطعن في منهج السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

رابعًا: من جهة الوسائل:

فإن الفرق واضح بين الوسائل السابقة والوسائل المعاصرة، فقد كانت الوسائل في الدعاوى السابقة غالبا هي تأليف الردود ونشرها، والحروب، أما في الوقت المعاصر فبالإضافة إلى ما سبق زاد في هذا العصر استخدام الوسائل الحديثة في النشر، من قنوات فضائية، وشبكات معلوماتية، ووسائل اتصال متنوعة، وإقامة المؤتمرات...، وكل هذا ساعد في انتشار الدعاوى، وكذلك انتشار الرد عليها وسهولة التحقق من المعلومات المغلوطة المنسوبة لدعوة الإمام.

خامسا: من جهة الأساليب:

فقد تنوعت الأساليب في الدعاوى المعاصرة وزادت عن الدعاوى السابقة؛ وذلك لطبيعة المجتمعات، واختلاف الأنظمة والتنظيمات العالمية، وكذلك وجود مراكز ومعاهد بحثية متخصصة بالتعاون مع الجامعات والجهات الرسمية والاستخباراتية، لإعداد الدراسات والبحوث، للاستفادة في معرفة أفضل السبل لمقاومة دعوة الإمام والتي كانت تعد في السابق من قبل أفراد، مع زيادة الاستخدام للأساليب الكلامية والعبارات السيئة والمصطلحات المنفرة من دعوة الإمام، كالتطرف والإرهاب والتشدد.

والمشاركة في تنظيم المؤتمرات والندوات، والاتفاق في المنظمات والاجتماعات الدولية ضد دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والتنسيق في تحديد الأوقات وتوزيع الأدوار في اتهام دعوة الإمام عند وقوع الأحداث والقضايا.

ومحاولة توحيد صفوف المناوئين لها من الرافضة، والصوفية، والمستغربين، والمناصرين لهم من الغرب النصراني، وغيرهم.

سادسا: من الفروق أيضًا

١- ضعف العلم الشرعي - في الجملة- بين المناوئين المعاصرين مقارنة بالمناوئين المتقدمين، حتى إن بعض المناوئين المعاصرين ينقل الدعوى والرد عليها دون علم منه بذلك.

٢- تناقل الدعاوى والمعلومات بين المناوئين المعاصرين، ونشرها كما هي دون تمحيص وتثبت.

٣- عدم التفريق في دعاوى المعاصرين بين الدعوة وأتباعها وبين المخالفين لها، فترى بعض المناوئين يطعن في بعض الجماعات الضالة ظنًا منه أن هذه الجماعة من أتباع الدعوة وهي ليست من الدعوة في شيء. كمن يطعن في داعش ويظن أنها من أتباع الدعوة.

٤- عدم التفريق في دعاوى المعاصرين بين أقوال أئمة الدعوة وأتباعها وبين أقوال المخالفين لها، فينسبون أقوال المخالفين لها ودعوة الإمام منها براء.

٥- الجهل بحقيقة الدعوة، فالمناوئون المتقدمون يعرفون الدعوة ومنهجها ويخالفونه، أما المناوئون المعاصرون فهم لا يعرفون الدعوة ولا حقيقتها، ولا يعتمدون المصادر الصحيحة عنها.

٦- من الفروق الظاهرة تأثر المناوئين المعاصرين بالسياسة، وخصوصا ما ينشر في وسائل الإعلام ووسائل التواصل، بخلاف المناوئين المتقدمين مع تأثرهم بالسياسة إلا أنه لم يكن هو الغالب عليهم.

الفصل السابع
الآثار المترتبة على الدعاوى المعاصرة المناوئة لدعوة الإمام وسبل الوقاية منها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الآثار المترتبة على الدعاوى المعاصرة المناوئة لدعوة الإمام.

المبحث الثاني: سبل الوقاية منها.

المبحث الأول: الآثار المترتبة على الدعاوى المعاصرة المناوئة لدعوة الإمام

قد ترتب على الدعاوى المعاصرة المناوئة لدعوة الإمام جملة من الآثار الدينية، والسياسية، والاقتصادية، وغيرها، ومن تلك الآثار:

١- التشويه الشديد لدعوة الإمام والتحذير منها[١]، يقول أبو بكر- من صوفية حضرموت - بعد أن انتقد الأحزاب التي تعمل باسم الإسلام -: "وتأثر غالب برامجها الفكرية بالمدرسة التيمية النجدية صانعة المجد الربوي في العالم الإسلامي، ورائدة الصراع العقائدي الباتر"[٢].

وقال محمد هشام قباني النقشبندي - رئيس المجلس الإسلامي الأعلى بأمريكا-: "فإن الإسلام ظل مسالماً ولا يسمح بالعدوان، إلا أن أصحاب المذهب الوهابي نشروا الأفكار المتطرفة ومولوها بأموال النفط، اليوم نجد الوهابية في كل مكان وليست فقط في السعودية، وإذا ذهبت إلى أي مسجد ستجد الكتب القادمة من السعودية عن محمد بن عبدالوهاب مؤسس الوهابية ولن تجد إلا الكتب التي كتبها علماء السعودية"[٣].

٢- إتهام دعوة رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعدة تهم دينية وسياسية من خلال الكتب المؤلفة ضد الإمام ودعوته كثيرة، بل يوجد بعض دور النشر والمكتبات التي عرفت بهذا الأمر كدار الحقيقة في تركيا[٤].

٣- التحذير من دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ من خلال المواقع الإلكترونية، والمعرفات في وسائل الاتصال والتواصل الاجتماعي: وذلك للتحذير من الإمام ودعوته، واستغلالها عند وقوع

---

(١) انظر: تهافت السلفية: ١٨٩-١٩٢، وصورة أهل السنة في الكتب المدرسية الإيرانية: ٥٤٨، ٦٦٠-٦٦٥.

(٢) انظر: كتاب التنصيص المثبوت: ٦٣، والتصوف بين التمكين والمواجهة: ٩٨-١٠٠.

(٣) نقلاً عن: التصوف بين التمكين والمواجهة: ٢٣.

(٤) انظر: الصوفية في تهامة اليمن: ١٢٣-١٢٨، ورسالة تحريض الأغبياء في الاستغاثة بالأنبياء والأولياء: ٩، ١٣.

الأحداث لزيادة الهجوم على دعوة الإمام؛ لسرعة انتشار المعلومة ووصولها من خلال تلك الوسائل.

٤- انتشار الشرك والبدع، وإعراض الناس عن الدين الصحيح، فجعل أهل الباطل لأنفسهم دينًا يدينون به، يتمثل في تعظيم القبور والأولياء والاستغاثة بهم، يقول محمد مهدي الحائري في معرض الطعن في دعوة الإمام: "آه آه آه، الأسف كل الأسف على قبور أئمتنا وسادتنا في البقيع وغير البقيع، مضى عليها سنون وهي مهدومة... فاسمع هذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام في هذا العصر المشؤوم من هذه الطائفة الوهابية وانظر ما صدر منهم في الطائف ومكة المشرفة والمدينة المعظمة..."[١].

كما أن أهل الباطل شرعوا إقامة الأعياد والموالد التي يحجون إليها من مختلف البلاد، ويتوافدون عليها من جميع الآفاق، أعياداً وموالد لا تنقطع طوال أيام السنة، حرصاً منهم على بقاء شيعتهم ومريديهم في شغل تام عن أي شيء غير مذاهبهم، مما قد يكون سبباً في فتح أبصارهم وإنارة بصائرهم ومعرفة الحق من الباطل والشرك من التوحيد.

وحرص دعاة الباطل أشد الحرص على إحياءٍ تلك المناسبات التي شرعوها لأتباعهم؛ ليجلعوا منها نقطة الانطلاق إلى شحن صدورهم بالحقد والكراهية للمسلمين ولدعوة الإمام، وليدفعوا بهم إلى تفريق كلمة المسلمين وتشتيت جمعهم وتبديد قوتهم ليصلوا من خلال ذلك كله إلى تحقيق غاياتهم الخبيثة وتنفيذ مخططاتهم العدوانية.

ويستغلون تلك التجمعات أيضًا في إحياء الشركيات والوثنيات في نفوس مريديهم وقلوبهم، ويحرصون كل الحرص على عزلهم عن أهل الحق، وبث روح العداوة بين أتباعهم أتباع الضلال وبين عامة المسلمين وأهل الحق منهم خاصة، بحجة أن أهل الإيمان والتوحيد يبغضون الأولياء[٢].

---

(١) شجرة طوبى: ١٥٣/١ بواسطة كتاب العلاقة بين الإمامية والصوفية. وانظر: كشف الأسرار: ٧٩-٨١.

(٢) انظر: العلاقة بين التشيع والتصوف: ٧٥٢-٧٥٣، وحركة التصوف في الخليج العربي: ٦٥٧-٦٥٨.

٥- الدعم الغربي لأهل البدع والضلالات: من آثار هذه الدعاوى المعاصرة ضد دعوة الإمام الدعم الغربي لأهل البدع ونشر كتبهم خشية إنتشار دعوة الإمام؛ لأن في إنتشار دعوة الإمام مقاومة للاستعمار الغربي، يقول عبدالوهاب المسيري مشيراً إلى التشجيع الغربي للحركات الصوفية: "مما له دلالته أن العالم الغربي الذي يحارب الإسلام يشجع الحركات الصوفية، ومن أكثر الكتب انتشاراً الآن في الغرب مؤلفات محيي الدين بن عربي وأشعار جلال الدين الرومي. وقد أوصت لجنة الكونجرس الخاصة بالحريات الدينية بأن تقوم الدول العربية بتشجيع الحركات الصوفية، فالزهد في الدنيا والانصراف عنها وعن عالم السياسة يضعف ولا شك صلابة مقاومة الاستعمار الغربي"(١).

ويقول الرئيس الفرنسي موريس دولا فوس: "لقد اضطر حكامنا الإداريون وجنودنا في أفريقيا لتنشيط دعوة الطرق الدينية الإسلامية لأنها كانت أطوع للسلطة الفرنسية وأكثر تفهماً وانتظاماً من الطرق الوثنية"(٢).

ويدل على ذلك ما ورد في توصيات تقرير راند ٢٠٠٤م: "تعزيز مكانة المذهب الصوفي: تشجيع الدول ذات التقاليد الصوفية القوية على التركيز على الجزء الصوفي من تاريخهم وإدراجه في المناهج الدراسية المعتمدة في المدارس. وشد الانتباه بقوة أكبر إلى الإسلام الصوفي"(٣).

وفي سنة ١٤٢٦هـ حضر السفير الأمريكي مولد البدوي في القاهرة معلناً إعجابه الشديد بعالم التصوف الإسلامي، لافتاً إلى ما تنطوي عليه الصوفية من تسامح، وما تجسده من قيم ومبادئ إسلامية رفيعة مثل الحق والخير والجمال(٤).

---

(١) نقلاً عن: التصوف بين التمكين والمواجهة: ١٢. وانظر: الشيعة والمتصوفة، مجلة البيان، العدد ٣٢٠.

(٢) الاستعمار الفرنسي في أفريقيا السوداء. ٥٣.

(٣) انظر: مقالة دراسة خطيرة: مواجهة المد الإسلامي السني عبر بوابة التصوف الشيعي بمصر: http://www.muslm.org/vb/showthread.php?٣٣٠١٢٠، ١٤٣٨/٧/٩.

(٤) انظر: التصوف بين التمكين والمواجهة: ٣١. والعلاقة بين الصوفية والإمامية: ٤٩٩-٥٠٢

٦- مطالبة الدول السنية والجهات الإسلامية كالجامعات بمقاومة دعوة الإمام والتبرؤ منها، وهذه المطالبات سواء كانت من الحكومات، أو علماء السوء، أو من الدول والمنظمات الغربية، أو غير ذلك، كما حصل في مؤتمر دمشق.

٧- محاربة العلماء والدعاة والحد من وسائل دعوتهم، وهذه المحاربة باشتراك أهل الباطل بعضهم مع بعض، فإنهم لما كانوا متفقين على حرب هذه الدعوة؛ كان لهم موقفًا موحدا منها، فحاربوا الدعاة أهل الحق ووصفوهم بأقبح الأوصاف، ولقبوهم بأشنع الألقاب، وحذروا الناس والعامة من أتباعهم من الجلوس إليهم والاستماع إلى مواعظهم، فضلاً عن الأخذ والتلقي من علومهم، وخصوصا مع تيسر ذلك عن طريق القنوات الإعلامية، ووسائل التواصل الحديثة، كل ذلك محاربة منهم للكتاب والسنة في صورة محاربتهم لدعوة الإمام وأهلها ودعاتها[١].

٨- منع طباعة ونشر وتوزيع مؤلفات دعوة الإمام وأتباعه في البلدان التي ينشط فيها الرافضة والصوفية[٢].

٩- إصدار البيانات والقرارات من المنظمات الدولية والعالمية للتحذير من دعوة الإمام وتجريمها، وخصوصًا عند وقوع بعض الأحداث. والمطالبة بتصنيف دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب ضمن المنظمات الإرهابية.

١٠- التحريض على الأنظمة السنية، حيث يقوم المناوئون المعاصرون بالتحريض على الأنظمة السنية لدى الغرب، والمطالبة بتطبيق العقوبات عيها، واستغلال بعض التصرفات أو الأخطاء التي قد تقع ممن ينتسب لدعوة الإمام، وخصوصًا عند وقع أي حدث، وفي بدايته

---

(١) انظر: العلاقة بين التشيع والتصوف: ٧٤٥-٧٤٦. وحركة التصوف في الخليج العربي: ٥٦١-٥٦٢.

(٢) https://www.echoroukonline.com/منع-دخول-٥٠٠-كتاب-أخطرها-كتابا-التوحيد-و/.

حتى ولو لم تخرج نتائج التحقيقات في تحديد المتهمين[١].

١١- التواطؤ والتآمر بين المناوئين لدعوة الإمام مع القوى الغربية إلى أبعد مدى ممكن، لاجتياح بلاد المسلمين واحتلالها، وإفساح المجال لها ومساعدتها في السيطرة على أوطان المسلمين[٢].

فقد عملت حركة التشيع -كمثال- في الخليج على الاتصال بالمنظمات الخارجية والسفارات الأجنبية لممارسة الضغط على الحكومات الخليجية لتحقيق مطالبها[٣].

ففي السعودية: لجأت حركة التشيع في السعودية للاتصال بالمنظمات الحقوقية والدول الأجنبية لتمارس نوعاً من الضغط على الحكومة.

ولا تزال حركة التشيع تمارس هذا العمل، ففي لندن يدير "حمزة الحسن" مركز دراسات الخليج الفارسي، وفي واشنطن يدير "علي الأحمد" المعهد الخليجي للدراسات، ومهمتهما الاتصال بالمنظمات الغربية وتأليبها على الحكومة السعودية، إضافة إلى إقامة الندوات والمؤتمرات وإصدار التقارير بشأن الوضع في السعودية.

كما أعلن المعهد أيضاً بأنه سيصدر في العام ٢٠١٠م تقريراً عن الفتاوى الدينية التي أصدرتها المؤسسة الدينية السعودية التي تؤيد التكفير والإرهاب والكراهية، وستوزع مئات النسخ على أعضاء الكونجرس وصناع القرار الأمريكي ومراكز الأبحاث بالإضافة إلى سفراء الدول الغربية ووسائل الإعلام الأمريكية والعالمية[٤].

---

(١) انظر: ظاهرة داعش في تجارب القاعدة: ٥٤-٥٧، وبناء شبكات الاعتدال الإسلامي: ٤٢-٤٤، ١٠٧، ٢٦٣، والصوفية والليبرالية وغيرها في مهاجمة الإسلام.

(٢) انظر: المشروع الإيراني الصفوي الفارسي: ٥٩، وخريطة الشيعة في العالم: ٦٥، ٢٣٥، والإسلام الذي يريده الغرب: ٢٨٤.

(٣) انظر: الشيعة في السعودية: ٢/١١٨-٢٢١، حركة التشيع في الخليج العربي: ١٠٩.

(٤) وكالة واسم على شبكة الإنترنت، خبر بعنوان: (المعهد الخليجي في واشنطن ينشر تقريراً عن الفتاوى الحكومية السعودية). انظر: حركة التشيع في الخليج العربي: ١١٠.

١٢– التهوين من البدع ومسائل العقيدة تحت شعار المحافظة على وحدة الأمة، حيث يهّون المناوئون لدعوة الإمام من البدع ومسائل العقيدة تحت شعار المحافظة على وحدة الأمة، ويدعون علماء الدعوة السلفية إلى الحرص على لمّ الشمل والابتعاد عن تفريق كلمة المسلمين –حسب زعمهم–، وأن الالتزام بدعوة الإمام –التي هي دعوة السلف– يفرق الأمة.

وأن الأمة الإسلامية تواجه اليوم من قبل أعدائها صعوبات شتى، وليس من العلم ولا الحكمة ولا الدين أن نفرقها باسم المحافظة على عقيدة مخترعة وتوحيد متوهّم[١].

١٣– التقارب والتعاون بين العاملين في الميدان ضد دعوة الإمام، فقد اتفق كثير من الصوفية والرافضة والليبرالية على محاربة دعوة الإمام، والنيل منها وتشويه صورتها؛ سواء كان ذلك عند المسلمين مفكريهم، وعوامهم، أو عند الغرب وأعداء الأمة حيث كانوا[٢].

فأصبح يناصر كل منهما الآخر، ويثني بعضهم على بعض، وينشر بعضهم كتب بعض، ويحصل بينهم التزاور، والمشاركة في الفعاليات، والتحالف في المؤتمرات، وتتبنى مواقعهم الإلكترنية الدفاع عن بعضهم البعض، ويشتركون في رفع الخطابات المشتركة للقيادات، ويتغاضى بعضهم عن بعض... الخ[٣].

وكذلك الاشتراك فيما بينها في المراكز والدراسات والمشاريع البحثية، بالإضافة إلى السعي لربط الباحثين والمفكرين بعضهم ببعض، وترتيب الزيارات المتبادلة بينهم، مع السعي لإحداث التعايش بينهم، دون نظر واعتبار للاختلافات العقدية بينهم[٤].

يقول عصام محيي الدين –أحد ممثلي الطريقة العزمية الصوفية في مصر ومدير موقع

---

(١) انظر: كفى تفريقاً للأمة: ١٦٥، ونصحية لعلماء نجد: ٨٨، والذخائر المحمدية بين المؤيدين والمعارضين: ٢١٧، وأهل السنة الأشاعرة: ١٢٠، وحركة التصوف في الخليج العربي: ٥٠٧

(٢) انظر: العلاقة بين الصوفية والإمامية: ٤٧٦.

(٣) انظر: حركة التصوف في الخليج العربي: ٥٦٤-٥٦٥، حركة التشيع في الخليج العربي:٣٣٩-٣٤٦.

(٤) التمويل الغربي وشراء الفكر في العالم العربي: ١٣٢

الإسلام وطن-: "بأن الصوفية تساند الشيعة في مواجهة السلفية الوهابية".

ويقول أيضًا: "إن الطريقة العزمية تتعاطف مع قضايا المسلمين كافة بدون تمييز على أساس عرقي أو مذهبي باعتبار أن الإسلام وطن والمسلمين جميعاً أهله، وذلك في مواجهة الخطاب السلفي الوهابي "المتشدد" الذي يعتمد على التكفير والتشريك والتبديع، وإثارة الفتنة"(١).

أما الشيعة فقد "أصدروا بياناً ضد موقف بلدهم تضامناً مع "حزب الله" اللبناني أثناء العدوان الصهيوني على لبنان في العام ٢٠٠٦، وقد بدأ الشيعة في السنوات الأخيرة في بناء مواقف موحدة مستقلة عن السنة في السعودية تستند إلى تغلغل كوادر إعلامية كثيرة في الصحف ووسائل الإعلام السعودية، لا سيما تلك التي تتخذ موقفاً واضحاً ضد التيارات الدينية في السعودية، وتحديداً أدق داخل التيار الليبرالي المناوئ للمؤسسة والعلماء والشيوخ السعوديين"(٢).

١٤- وقوع الفرقة والاختلاف بين المسلمين(٣)؛ فإن الشرك والبدع سبب إلقاء العداوة والبغضاء بين المنتسبين للإسلام، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وذم الله أهل التفرق والاختلاف، فقال: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩].

وهذه الشواهد القرآنية تدل على وقوع الافتراق والعداوة عند وقوع الابتداع(٤). ولا يحصل

---

(١) صوفية مصر: نساند الشيعة فى مواجهة "السلفية الوهابية":

http://islammemo.cc/akhbar/arab/٢٠٠٩/١١/٠٩/٩٠٠٢٨.html، بتاريخ ١٤٣٨/٧/١٥.

(٢) خريطة الشيعة في العالم: ١٥٧-١٥٨.

(٣) المشروع الإيراني الصفوي الفارسي: ٥٩.

(٤) الاعتصام: ١/٢٠٧.

اجتماع الناس والأمة إلا باجتماعهم على الدين، فالوحدة في التوحيد، وتفرق الناس في الأديان مؤذن بتفرقهم في الأبدان[١].

١٥- تسلط الأعداء، فالله تعالى يسلط الأعداء من الكفار على بلاد الإسلام إذا انتشرت البدع والانحرافات، فإذا ظهر النفاق والبدع والفجور سلطت عليهم الأعداء، وأصابتهم الذلة، وتمكن منهم الأعداء، وظهر الفساد في الأرض، بخلاف التوحيد والسنة فإنهما سبب لخير الدنيا والآخرة، والعزة والنصر والتمكين[٢].

قال ابن القيم رحمه الله: "وبالجملة فالشرك والبدعة والهوى والدعوة إلى غير الله وإقامة معبود غيره ومطاع متبع غير رسوله هو أعظم الفساد في الأرض ولا صلاح لها ولا لأهلها إلا بأن يكون الله وحده هو المعبود، والدعوة له لا لغيره، والطاعة والاتباع لرسوله ﷺ ليس إلا، وغيره إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول، فإذا أمر بمعصيته وخلاف شرعه فلا سمع له ولا طاعة، فالله تعالى أصلح الأرض برسوله ودينه وبالأمر بتوحيده، ونهى عباده عن إفسادها بالشرك به وبمخالفة رسوله.

ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله، وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك، فسببه مخالفة رسوله والدعوة إلى غير الله ورسوله.

ومن تدبر حق التدبر، وتأمل أحوال العالم منذ قام إلى الآن، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وجد هذا الأمر كذلك في خاصة نفسه، وفي حق غيره عموماً وخصوصاً"[٣].

١٦- تكفير أتباع دعوة الإمام وتفسيقهم وسفك دمائهم من قبل المتأثرين بهذه

---

(١) انظر: حركة التصوف في الخليج العربي: ٦٧١-٦٧٢.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: ١٣/١٧٨-١٨٢. الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر: ١/٢٤٣-٥٩٢، ٢/١١١

(٣) بدائع الفوائد: ٣/٨٥٧.

الدعاوى، ظننا منهم أن هذا هو الحق، وممارسة كل الجرائم بحقهم، وترويعهم وتهجيرهم، وصد الناس عن إتباعهم.

١٧- المطالبة بالإصلاحات السياسية في البلدان الإسلامية دون النظر إلى العقيدة، وهذا ما جعل أهل الباطل يتفقون مع بعضهم بعض: الرافضة والصوفية والليبرالية والعلمانية(١). والسعي إلى صناعة ما يعرف بـ"الإسلام المعتدل"، والذي يحقق الأهداف التي يسعى لها المناوئون لدعوة الإمام(٢).

جاء في تقرير (راند) في البند الرابع من استراتيجيته لتطوير الإسلام: "توفير الدعم الكافي للتقليديين كي يحافظوا على قوتهم في مواجهة الأصوليين (في حال كانوا هم من نختارهم) وتفادي إقامة تحالف وثيق بين المجموعتين. أما ضمن مجموعة التقليديين فينبغي القيام بتشجيع انتقائي لكل من يبدو أكثر تماشياً نسبياً مع المجتمع المدني الحديث. فعلى سبيل المثال تكون بعض كليات الشريعة الإسلامية أكثر انقياداً لآرائنا حول العدالة من كليات أخرى"(٣).

وذلك الدعم ليس له شكلا محددا، فقد يكون بالنشر الإعلامي، أو بالتعزيز، أو بأي طريقة أخرى من طرق الدعم التي تمليها المصلحة الغربية.

ومما يذكره التقرير في هذا الجانب: تشجيع فتاوى التقليديين الأقرب حداثة لإضعاف سطوة الفتاوى "الوهابية"(٤).

و "في السنوات الأخيرة أصدر بعض الأمريكيين المتخصصين تقريراً يعمل على تقديم خطة استراتيجية لدعم الاتجاهات الإسلامية القريبة من القيم الأمريكية مادياً وثقافياً وسياسياً لمساعدتها في الاشتراك في ممارسة السلطة السياسية في البلاد العربية أو الإسلامية"(٥).

---

(١) انظر: حركة التصوف في الخليج العربي: ٦٠.

(٢) التمويل الغربي وشراء الفكر في العالم العربي: ١٣٢

(٣) الإسلام الذي يريده الغرب: ٢٦٧.

(٤) المرجع السابق: ٢٦٧-٢٦٨.

(٥) المرجع السابق: ٢٦٨.

وقد تولى مركز ابن خلدون الذي يديره د. سعد الدين إبراهيم تنفيذ التوصيات الأمريكية الخاصة بالإسهام في إعادة "بناء الدين الإسلامي" بما يتفق مع القيم الأمريكية.

ونُظم في القاهرة مؤتمر موضوعه "الإسلام والإصلاح"، بمشاركة عشرين باحثاً من جنسيات عربية وأوربية وأمريكية بالتنسيق مع ثلاث مراكز بحثية دولية، وهي: مراكز "سابان" لدراسات الشرق الأوسط التابع لمعهد "بروكنجز"، ومركز دراسات الإسلام والديمقراطية بواشنطن، ومنبر الحوار الإسلامي بلندن، إضافة إلى عدد من الباحثين والأكاديميين من الدول العربية وأمريكا وأوروبا.

وقد صدر عن المؤتمر بيان ذكر فيه أنه تبنى الدعوة إلى "إعادة صياغة نسق معرفي جديد للفكر الإسلامي، ومراجعة التراث الإسلامي مراجعة جذرية، والتصدي لأفكار المؤسسات التي تحتكر الحديث باسم الدين، ومواجهة وتفنيد مقولات ورؤى وأفكار التيارات الدينية المتطرفة، وتكثيف الحوار مع القوى المعتدلة والمستنيرة في المجتمعات الغربية عامة والمجتمع الأمريكي خاصة"(١).

وقد جعلوا لذلك خططًا يُلتزم بها، ومنها:

– انشر ووزع أعمالهم في شرح وطرح الإسلام بتكلفة مدعمة.

– شجعهم على الكتابة للجماهير والشباب.

– قدم آرائهم في مناهج التربية الإسلامية المدرسية.

– أعطهم مناصب شعبية للتواصل مع الجماهير.

– اجعل آراءهم وأحكامهم في القضايا الكبيرة للتأويل والفهم الديني متاحة للجمهور، حتى يمكن أن تنافس آراء وأحكام الأصوليين والتقليديين الذين لديهم مواقع على الإنترنت ودور للنشر ومدارس ومؤسسات والعديد من الوسائل الأخرى لنشر آرائهم.

– ضع العلمانية والحداثية كخيار (ثقافة مضادة) للشباب الإسلامي الساخط.

---

(١) الإسلام الليبرالي بين الإخوان المسلمين والوسطيين والعلمانيين: ٩٩-١٠٠.

– انشر نقد العلماء التقليديين للعنف وللتطرف الأصولي وشجع الخلافات ما بين التقليديين والأصوليين.

– ثبط التحالفات ما بين العلماء التقليديين والأصوليين وامنعها بكل الصور.

– شجع التعاون ما بين الحداثيين والعلماء الأقرب إلى النطاق الحداثي.

– عندما يكون ملائماً احرص على تطوير العلماء لتجهيزهم بصور أفضل للجدل ضد الأصوليين فكثيراً ما يكون الأصوليون أعلى في مستوى بلاغتهم وقدرتهم على التواصل مع الجماهير في حين يمارس التقليديون (الإسلام الشعبي) غير المفضل سياسياً في مناطق مثل وسط آسيا.

– ميز بين القطاعات المختلفة للعلماء التقليديين، شجع من لديهم تجارب أكبر مع الحداثة ضد الآخرين، شجعهم على إصدار آراء دينية ونشرها لإضعاف سلطة الحكم الديني المستلهم من الوهابية، وهو حكم ديني رجعي، حيث تذهب أموال الوهابيين لدعم المدرسة الحنبلية المحافظة.

– شجع شعبية وقبول الصوفية[(١)].

١٨– صمت الباحثين وتحول المراكز البحثية والمفكرين لتوجهات المناوئين، حيث يقوم المناوئون لدعوة الإمام بالدعم المالي والشراء الفكري للمراكز البحثية والفكرية في العالم الإسلامي، ودعمها بالمال لتوافق توجهاتهم وأفكارهم ليستفيدوا منهم في محاربة الدعوة.

والسماح للدول الدعمة لتلك المركز بتواجد المراكز البحثية والاستخبارية في الدول المتلقية للدعم، مما يساعد تلك الدول الداعمة على بسط نفوذها ونشر أفكارها، وعلى جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن البلد المتلقي للدعم، والسيطرة على الإنتاج البحثي والمعلوماتي ليوافق

(١) الخطة الأمريكية لتحديث الدين الإسلامي. بواسطة: الإسلام الليبرالي بين الإخوان المسلمين والوسطيين والعلمانيين: ٩٩–١٠٠، ٢٧٠–٢٧٥. وللمزيد في هذا الموضوع، راجع: الإسلاميون ومركز راند، الإسلاميون ومراكز البحث الأمريكية.

توجيه السياسات والقرارات بحسب رؤية الداعم[١].

وما يترتب أيضًا على هذا الدعم من مواقف الباحثين والمراكز البحثية في أثناء أزمات الأمة، وصمتهم حسب سياسة الجهة الداعمة لهم[٢].

(١) التمويل الغربي وشراء الفكر في العالم العربي: ١٣١

(٢) المرجع السابق: ١٣٢

المبحث الثاني: سبل الوقاية من الدعاوى المعاصرة المناوئة لدعوة الإمام

جاءت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية بالأمر بالدعوة إلى الله، وبذل الأسباب في ذلك - مع الإخلاص والالتجاء والاعتماد على الله-، ومدافعة الباطل، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

وإن من أهم الأسباب والوسائل وسبل الوقاية من تلك الدعاوى المعاصرة المناوئة لدعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما يلي:

١- الإيمان بالله والتوكل عليه، وتفويض الأمور إليه، والاستعانة به في نصرة دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[آل عمران: ١٧٣-١٧٤].

٢- الحرص على التوحيد دعوة وتدريساً وتعليماً؛ فإن الدعوات الباطلة تقوم على الإشراك بالله سبحانه: ربوبية وألوهية، وعلى البدع، ولذا فلابد لمواجهة ذلك من تعظيم شأن التوحيد والدعوة إليه وتدريسه وتعليمه في المساجد والمدارس والجامعات واستغلال وسائل الاتصال والتواصل في ذلك.

٣- الاهتمام بنشر علم السلف الصالح، في سائر بلاد المسلمين، على مختلف المستويات العلمية، واختيار الرسائل والمؤلفات مما كُتب على مر القرون وفي مختلف البلدان ومن المذاهب الأربعة التي توضح عقيدة أهل السنة والجماعة، وتتصف بالوضوح والإيجاز، فتنشر تلك الرسائل في جميع البلاد الإسلامية وغيرها.

٤- زيادة الاهتمام بنشر مؤلفات الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ التي توضح عقيدته، مثل: كتاب التوحيد، وكشف الشبهات، والأصول الثلاثة، والقواعد الأربع، ومجموع مؤلفات الشيخ، وغيرها، وكذلك نشر الرسائل الجامعة لأئمة الدعوة في نجد، والتي توضح معتقدهم ومنهجهم، ككتاب "الهداية السنية"، " ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية"، والدرر السنية في الأجوبة النجدية".

مع بيان المنهجية الصحيحة لطريقة قراءة كتب أئمة الدعوة؛ فإن القراءة في كتب أئمة الدعوة السلفية النجدية تحتاج إلى أمور أربعة:

الأمر الأول: معرفة تاريخ الدعوة والأحداث التي جرت في وقتها.

الأمر الثاني: معرفة تراجم أئمة الدعوة.

الأمر الثالث: معرفة خصوم الدعوة.

الأمر الرابع: الإلمام بكتب أئمة الدعوة [١].

وجمع المواضع من كلام الإمام وأتباعه، التي قد يظهر منها التعارض، وبيان وجه الكلام فيها وسببه وحاله.

٥- بيان موافقة عقيدة الإمام لعقيدة السلف، وأن الشبهات التي أثارها أعداء دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب، هي شبهات قديمة سبق أن أثارها خصوم السلف في وجوههم، فهي من كيد الأعداء والمغرضين، وليس لها ما يسندها لا من كتاب ولا سنة.

٦- ترجمة مؤلفات الإمام محمد بن عبدالوهاب وأتباعه إلى لغات العالم الإسلامي، وبعض اللغات الحية[٢].

---

(١) انظر: التعريف بالدعوة السلفية النجدية: ١٧-٢٠.

(٢) انظر: تأملات في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: ١٧٥-١٧٧.

٧- إبراز الجوانب الدعوية عند الإمام، وعند أئمة الدعوة من بعده، وبيان ما كان عليه الإمام وأتباعه من فقه للدعوة، وإدراك لأساليبها المناسبة.

٨- إقامة مكتبة خاصة بعلوم الإمام محمد بن عبدالوهاب، وأتباعه، ومن نهج نهجه في الدعوة، ونشر جميع محتوياتها إلكترونيًا.

٩- فتح باب الحوار والمناقشة من أهل العلم المتمكنين مع المناوئين للدعوة، ومع المتعلمين من الوافدين لهذه البلاد، ودعوتهم إلى التجرد والإنصاف، واتباع الحق أينما دار وكان، وتحرير أفكارهم من تبعية حملات التشويه والتضليل(١).

فالحوار ركيزة أساسية في الدعوة إلى الله تعالى وبيان محاسن هذه الدعوة وفضائلها، يقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءِۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤]. ووصولاً إلى هذا الهدف أرسل النبي ﷺ أكثر من خمسين رسالة إلى الملوك والرؤساء يدعوهم فيها إلى الإسلام ويرغبهم فيه(٢).

والحوار ضروري أيضًا لكشف الشبهات وتفنيد الأباطيل التي تثار حول دعوة الإمام، سواء كانت من المنتسبين للإسلام أو غيرهم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إن كثيراً من أهل الكتاب يبلغهم الإسلام، ولكن يمنعهم من الإيمان شبهات يحتاجون أجوبة عليها"(٣).

١٠- التحذير من كتب الخصوم، وتتبعها بالرد والمناقشة، وتصحيح الأخطاء الواقعة في بعض المراجع العامة، مثل: دوائر المعارف، وبعض المصادر التاريخية، وكتابات بعض

---

(١) انظر: دعاوى المناوئين: ٣٧٧-٣٧٨.

(٢) انظر: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة: ٩٢ وما بعدها.

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ٧٦/١. وانظر: ضوابط الحوار في الفكر الإسلامي: ١٥-١٧

المستشرقين.

١١- إنشاء مكتبة علمية متخصصة عن المناوئين لدعوة الإمام، تضم مصادرهم، وإصداراتهم الورقية والإلكترونية ودورياتهم، وصحفهم، ومجلاتهم، ومناهجهم، ومقرراتهم... إلخ؛ للرجوع إليها، والاستفادة منها عند الكتابة عنهم، والتحذير منهم.

١٢- الحرص في الدعوة على اتباع منهج توعوي مؤصل، وترتيب الأولويات والعناية بالتوحيد؛ بل وترتيب الأولويات حتى في مسائل التوحيد، فيبدأ بالمسائل الكبار منه وهكذا.

وكذلك ترتيب الأولويات في التعامل مع المناوئين وشبهاتهم، فيبدأ بالأخطر والأقوى منهم ومنها، وتراعى الأحوال والأماكن والأوقات... الخ.

١٣- نشر المواقف الإيجابية للمستشرقين وغيرهم عن دعوة الإمام[١]، وكذلك المواقف السلبية -وخاصة المشتهر منها- والجواب عنها[٢].

١٤- إزالة مظاهر الشرك وسد الأبواب المؤدية إليه، قدر المستطاع، لكل من له ولاية وسلطة، فلا يسمح بأي حال بقيام أي نشاط عقدي أو دعوي - مهما كان- تحت مظلة الإسلام، مخالفاً منهاج النبوة الذي قامت به جماعة المسلمين الأولى: صحابة رسول الله ﷺ، وجدده وأعلى منارته الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وإن قبول أي دعوة تحت مظلة الإسلام تخالف ذلك هي وسيلة إجهاز على دعوة التوحيد، وتفتيت لجماعة المسلمين، وإسقاط لامتياز الدعوة، وسقوط لجماعتها[٣].

---

(١) انظر: مواقف المستشرقين من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية: ٩٣-١٢٠.

(٢) انظر: المرجع السابق: ١٢١-١٣٨.

(٣) خصائص جزيرة العرب: ٨٥.

ويكون ذلك برصد الواقع، وتتبع الأحوال، والنظر في الأمور، ومن وُجد داعية للانحراف أو توجه قائم عليه هنا أو هناك، وجب ضبطه وإيقافه، ورفع دعوى الحسبة عليه، وإصدار بيان بشأنه تحذيراً للأمة[١].

١٥- بيان حقيقة عقائد المناوئين للدعوة وأهلها، فإن معرفة حقيقة الباطل وما هو قائم عليه، وما عليه مشايخه من الضلال والانحراف مما يفضحه بين أتباعه، وينفرهم منه، ويسهل عليهم ويرغبهم في معرفة الحق والالتزام به.

وكذلك التركيز على التناقضات في عقائد المناوئين، وأقوالهم، وأفعالهم، وكذلك بيان حقيقتة دعاتهم, وكذبهم على المقلدين عقديا وإظهار التناقضات الفكرية والسلوكية لهم. وفضح سرقاتهم المالية، والتي يجمعونها باسم النذور والتقرب للأولياء والخمس وغير ذلك.

وإبراز التشابه بين عقائدهم وعقائد أهل الديانات الباطلة من يهود ونصارى، وديانات وثنية.

وفضح علاقاتهم السرية فيما بينهم وبين أعداء الدين من اليهود والنصارى وغيرهم، وكشف خطرهم على الإسلام وعلى دعوة الإمام.

١٦- إنشاء المراكز العلمية، التي تعنى بدراسة عقائد المناوئين لدعوة الإمام، وفرقهم ومصادرهم ومناهجهم وتاريخهم، وتضم مجموعة من المختصين، والباحثين، وتقوم برصد أنشطتهم من حركات، وأحزاب، ومراكز، وجمعيات، ومذاهب، ومواقع، ومنتديات، وفضائيات، ودعاة، ورسائل ونشرات، ومجلات، ومقررات، والجهات الداعمة لهم. واقتراح سبل مواجهتها ومعالجتها، وتقديم نتائجها إلى أصحاب القرار، والاهتمام برعاية الباحثين المؤهلين للالتحاق في هذه المراكز، ودعم هذه المراكز من الدول ورجال الأعمال وأصحاب الأموال.

(١) النظائر: ١٨٧.

١٧- تفعيل دور السفارات التابعة للدول السنية، وخصوصًا المملكة في نشر دعوة الإمام والدفاع عنها، وذلك من خلال العناية بشؤون الدعوة الإسلامية، وتوثيق علاقاتها مع المراكز، والمؤسسات، والهيئات الإسلامية، ودعمها وتوحيد جهودها، والأخذ بيدها إلى تحقيق أهدافها.

وكذلك التواصل مع الجهات الرسمية والإعلامية في تلك البلدان، وبيان حقيقة دعوة الإمام، والدفاع عنها.

١٨- تفعيل دور الوزارات والجهات الحكومية لنشر دعوة الإمام، وعلى سبيل المثال: توزيع الهدايا التي تشمل بعض مؤلفات الإمام، وبيان حقيقة دعوته، باللغات المختلفة من قبل وزارة الشؤون الإسلامية ووزارة الخارجية ووزارة الثقافة والإعلام في منافذ الدخول والخروج للملكة، والاستفادة من الجهات الرسمية الأخرى.

١٩- تفعيل دور القطاع الخاص والعام في نشر دعوة الإمام والدفاع عنها، ومن ذلك إرسال رسائل الجوال عن دعوة الإمام من قبل شركات الاتصالات، وباللغات المختلفة، وعند وقوع بعض الأحداث.

٢٠- تفعيل دور وزارة التعليم، وذلك من عدة جوانب:

- الاهتمام بتدريس كتب ورسائل الإمام في التعليم الجامعي، وحسن عرض ترجمة دعوة وحياة الإمام في المناهج الدراسية، وإبراز آثاره العلمية والعملية على هذه البلاد، وكذلك إظهار فضله وعظيم نفعه على بلاد المسلمين عموماً، والعناية بحسن عرض مؤلفاته في المناهج الدراسية، وإعادة صياغة ذلك المنهج بأسلوب جذاب يفهمه الناشئة ويدركونه، مع مراعاة ربط مادة الكتاب بالواقع الذي يعيشه الطالب.

- العناية بإنشاء الكليات والمعاهد المتخصصة، لدراسة العقيدة، وإعداد الدعاة إلى الله

وفق منهج السلف الصالح، ودعم الأقسام، والمعاهد، والكليات القائمة، وأن يكون بين هذه الكليات، والمعاهد والمتخصصة وبين الكليات والمعاهد في العالم الإسلامي تنسيق وتعاون، وتقوية للروابط، وتقديم الدعم العلمي والمالي لها، لتحقق أهدافها.

– زيادة عدد طلاب المنح للدراسة في الجامعات الإسلامية، وخصوصًا في المملكة، مثل: جامعة الإمام محمد بن سعود، والجامعة الإسلامية، وجامعة أم القرى، وجامعة الملك سعود، وغيرها من الجامعات. مع العناية بهؤلاء الطلاب، وتكثيف الدورس العلمية لهم.

– حثّ جميع الجامعات على إعداد مواد مناسبة للمتخصصين في العقيدة، وكذا لغير المتخصصين في الدراسات الشرعية، وجعل هذه المواد موادا أساسية، ومن متطلبات التخرج.

– تسهيل الدراسة عن بعد (التعليم الإلكتروني)، الحكومية والأهلية في الدراسات الشرعية، وخصوصًا لمن هم خارج المملكة، وكذا لغير المتخصصين في الدراسات الشرعية.

– الدعم والتشجيع على تسجيل الرسائل العلمية المتعلقة بدعوة الإمام وأتباعه، والمناوئين لها.

– تسهيل أمر الباحثين من الداخل والخارج في دعوة الإمام ودعمهم[(١)].

– إنشاء الكراسي العلمية المتخصصة في دعوة الإمام وأتباعه.

– العمل على ترجمة الأعمال البحثية والدراسات العلمية التي تبين حقيقة دعوة الإمام، وتكشف مفاسد عقائد المناوئين لها.

– عقد مجموعة من الندوات والمؤتمرات العلمية للباحثين والمفكرين والكتاب والإعلاميين لبيان حقيقة دعوة الإمام والمناوئين لها.

---

(١) انظر: الدعوة الوهابية والمملكة: ١٩.

٢١- تفعيل دور وزارة الشؤون الإسلامية، وذلك من عدة جوانب:

- تنظيم وإقامة المحاضرات والندوات والمؤتمرات الداخلية والخارجية عن دعوة الإمام والمناوئين لها.

- الاستفادة من مكاتب توعية الجاليات في نشر دعوة الإمام بين الجاليات الوافدة، والاستعانة بهم في نشرها عند عودتهم لبلادهم.

- إنشاء المراكز الدعوية الإسلامية في الداخل والخارج لبيان حقيقة دعوة الإمام.

- التنسيق مع المشيخات والمؤسسات التعليمة في العالم الإسلامي لإقامة المؤتمرات والندوات والمحاضرات عن دعوة الإمام.

- التواصل والتعاون مع العلماء والدعاة في جميع المناطق لمدارسة أحوال المسلمين، والتذكير بواجب الدعوة إلى الله، والعودة إلى الكتاب والسنة، والتزام أحكام الشريعة الإسلامية، وبيان حقيقة دعوة الإمام والمناوئين لها. وعقد اللقاءات الدورية معهم لدراسة ما يواجهونه، ووضع الخطط العلمية والعملية لمقاومته، وتفعيل العمل الجماعي بينهم.

- دعم بناء المساجد والمراكز الإسلامية والمعاهد والمدارس الشرعية في مختلف الدول، لا سيما الدول النائية والمستهدفة من المناوئين للدعوة.

- الاهتمام بالتوعية الشرعية، في المساجد والجوامع، وفي الندوات والمحاضرات والمقالات والمقابلات، لبيان حقيقة دعوة الإمام، وكشف المناوئين لها، وبيان ضلالهم وبدعهم وخرافاتهم وزيغهم وانحرافهم عن منهج الله سبحانه وتعالى. مع التركيز على أصول عقائدهم المنحرفة وفروعها، وما يترتب عليها من أحكام شرعية؛ لأن أكثر أتباعهم في غفلة عن المسائل الخطرة في نحلتهم، مع ذكر أقوالهم منسوبة إليهم، والتصريح بأسماء القائلين بها عند الحاجة.

- الدعوة المباشر للمناوئين لدعوة الإمام، وبيان الحق لهم بدون مهاجمة مذهبهم في أول الأمر، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام:

١٠٨]، وإقامة الحجة عليهم بالبراهين العقلية، والأدلة المعلومة الضرورية المتفق عليها؛ فإذا بُيّن لهم عرفوا حينئذ ما هم عليه من باطل، وهذا لا يمنع من نقد مذاهبهم إذا اقتضت المصلحة ذلك.

– عقد الدورات العامة والخاصة، لعناصر مختارة، يوضع لها مناهجها، ويختار لها مراجعها، وينتخب أساتذتها، بحيث تعقد دورات خاصة متعددة في بيان حقيقة دعوة الإمام والمناوئين لها:

- دورات خاصة بالمهتدين الجدد من المناوئين لدعوة الإمام.
- دورات للعاملين في الدعوة في جميع المناطق.
- دورات لرؤساء المراكز الإسلامية وأئمة المساجد والخطباء.
- دورات للمعلمين والمعلمات في المناطق التي يكثر فيها المناوئون لدعوة الإمام.

– تأهيل نخب من طلاب العلم للدعوة والحوار والتأليف والمشاركة في القنوات الفضائية والإذاعية، ووسائل الاتصال والتواصل الاجتماعي؛ لبيان حقيقة دعوة الإمام، والرد على المناوئين لها.

– الاستفادة من الأعلام المهتدين من المناوئين لدعوة الإمام، بنشر كتبهم، وترجمتها، والتعليق على ما يحتاج إلى تعليق، وإجراء اللقاءات معهم لبيان ما كانوا عليه من عقائد باطلة.

– طرح الجوائز العالمية البحثية في دعوة الإمام.

– السعي لعمل أوقاف إسلامية – بالإضافة للدعم الرسمي والخيري– لدعم المراكز الإسلامية والبحثية والمساجد، ودعم العلماء والدعاة، وطباعة ونشر الكتب والمؤلفات التي تبين وتنشر دعوة الإمام، وترد وتكشف عقائد المناوئين لها. وتكون – بإذن الله– سببًا في تحصين تلك المراكز والمساجد والعلماء والدعاة من تمويل المناوئين لها، واستغلالهم لتوجهاتها.

– إيجاد مرجعية دينية سنية لجميع المسلمين، واحترامها؛ فالمجتمع السني في الخارج ينقصه وجود مرجعية دينية (سنية) تكون مرجعاً مقنعاً لدعاته وعامته –وخاصة في السنوات الأخيرة–، وبهذه المرجعية يحصل توحيد الصفوف، وجمع الكلمة، وتفويت الأمر على الأعداء

والمتربصين[١].

– تأليف الرسائل المختصرة عن دعوة الإمام والرد على المخالفين، وترجمتها باللغات المختلفة.

– تجهيز مواد مختصرة – وبعدة لغات– عن دعوة الإمام، سهلة التداول من خلال وسائل التواصل الاجتماعي.

– تفعيل البرامج الدعوية في الحرمين الشريفين، فالمملكة تستقبل ملايين المسلمين من الحجاج والمعتمرين والزوار، وهذه فرصة سانحة لتقديم البرامج الدعوية لهم.

٢٢– تفعيل دور وزارة الثقافة والإعلام، وذلك من عدة جوانب:

– إعداد مجموعة متخصصة في الإعلام الإسلامي، لتقوم بنشر دعوة الإمام ورد الشبه عنها.

– الاستفادة من جميع وسائل الإعلام الحديثة، المرئية، والصوتية، والمقروءة وغيرها، لنشر دعوة الإمام، والرد على المناوئين لها.

– إنشاء قنوات فضائية تلفزيونية وإذاعية إعلامية وبلغات متعددة لنشر دعو الإمام، والرد على المناوئين لها.

– – عقد البرامج واللقاءات الحوارية في جميع وسائل الإعلام عن دعوة الإمام والمناوئين لها.

٢٣– إعداد الرجال الذين يحملون دعوة الإمام من أمراء ورؤساء وهم القوة المادية التي تساند وتدافع عن دعوة الإمام، وعندما قويت شوكة الدعوة، وأيدها الله بالإمام محمد بن سعود، تغيرت نظرة كثير من الأمراء والرؤساء، واقتنع بالدعوة منهم الكثير، وكان لهم أثر في نشر الدعوة، والجهاد في سبيلها تحت إمرة الإمام محمد بن سعود.

---

(١) انظر: حركة التشيع في الخليج العربي: ٣٦١.

وكذلك إعداد العلماء، والقضاة، والدعاة: وهم القوة العلمية التي تعتمد عليها الدعوة في نشر الدعوة والرد على المناوئين لها وكشف شبهاتهم [١].

٢٤– العناية بالمرأة والطفل، وإعداد البرامج والمواد المناسبة لهما عن دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب، وإشراكهما في نشر دعوة الإمام والرد على المناوئين لها.

٢٥– الحذر من تولية المبتدعة المناصب – وخاصة الدينية منها–، وبيان حال من تمكن من ذلك وتنبيه المسؤولين والحريصين على خطرهم على البلاد والعباد؛ فقد كان من أسباب سقوط بعض الدول الإسلامية تولي المبتدعة للمناصب في الدولة.

٢٦– تشكيل اللجان والمجالس الاستشارية المرتبطة بالجهات الرسمية التي يكون من مهامها تقديم التوصيات في جميع ما يتعلق بشأن دعوة الإمام بعد البحث والدراسة.

٢٧– إنشاء لجان إعلامية وسياسية في الدول الأوربية للدفاع عن دعوة الإمام، وبيان حقيقة المناوئين لها.

٢٨ – الدعم السياسي والاقتصادي لجميع الدول والقبائل والجهات التي تتبنى دعوة الإمام, والدعم الفعلي لها بجميع أشكاله، وتقويتهم، وتلبية احتياجاتهم، ودعم وتبني قضاياهم، بشكل مباشر وغير مباشر.

وتوعيتهم بأهداف أصحاب المشاريع المناوئة لدعوة الإمام، وحثهم على التصدي لأي محاولات للتغلغل في صفوفهم.

---

(١) انظر: تأملات في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: ١٣٥.

٢٩- الحضور الدعوي والمادي والإعلامي المضاد والسريع في حالين:

الأولى: عند وقوع الأحداث واستغلالها من قبل المناوئين في الطعن في دعوة الإمام.

والثانية: عند قيام المناوئين بالتركيز والنشاط للدعوة لمعتقداتهم الباطلة في أي بلد من بلاد المسلمين.

٣٠- إنشاء الجمعيات الخيرية، وتكوين العلاقات الاجتماعية مع مختلف شرائح المجتمع، وبناء المؤسسات الاجتماعية المختلفة، وكذلك الجامعات والمدارس الأهلية، والمستوصفات والمراكز الطبية، وبخاصة في المناطق أو المحافظات النائية، لتلبية حاجات الناس، ومساعدتهم، وتقديم المساعدات العينية والمالية للأسر الفقيرة المحتاجة منهم، كي لا يقعوا فريسة للمتربصين بهم من المناوئين لدعوة الإمام[١].

٣١- إنشاء الشركات التجارية والصناعية، وبناء المشاريع الاقتصادية، وتقديم القروض الحسنة لدعم أهل السنة وخصوصا في الدول الفقيرة؛ لقطع الطريق على المناوئين من استغلال حاجة المسلمين المادية ودعوتهم إلى عقائدهم الباطلة.

٣٢- كشف أحوال أهل السنة من أتباع دعوة الإمام في المناطق التي يسيطر عليها المناوئون للدعوة؛ فإن من سبل مواجهة المناوئين لدعوة الإمام كشف أحوال أتباع الدعوة في المناطق التي يسيطر عليها المناوئون لدعوة الإمام، وأنهم يعانون معاناة شديدة تحت حكمهم؛ حيث يقتلون ويحبسون ويعذبون، ويقتل علماء السنة، ويمنعون من بناء المساجد وإقامة الجمع، ولا يسمح لهم بالتعليم السني واللغة العربية[٢].

فكشف أحوال أتباع الدعوة في تلك المناطق يفضح المناوئين لها ويبين حقيقتهم، وما من

---

(١) انظر: المشروع الإيراني الصفوي الفارسي: ٨٤-٩٧.

(٢) انظر: أحوال أهل السنة في إيران: ٧ وما بعدها.

تنطوي عليه عقائدهم وأنظمتهم من حقد على أهل السنة. وهذا - بالإضافة إلى أنه مناصرة لأهل السنة- فإنه يجعل أهل السنة لا يغترون بهم، ويحذرونهم، ويصد ويقلل من التأثر بدعوة المناوئين[١].

(١) انظر: حركة التشيع في الخليج العربي: ٣٩٧.

الخاتمة

نسأل الله حسنها، وبعد:

فقد أخبر سبحانه وتعالى عن حال الرسل عليهم السلام مع أقوامهم، وأنهم كذبوا وأوذوا؛ ولكن النصر والعاقبة للمتقين، وأن سنة الله لا تتبدل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤]، فكل من سار على نهجهم فسيتعرض لما تعرضوا له من التكذيب والأذى، ولله جل جلاله في ذلك حكم عظيمة؛ فإن "من أعظم أسباب ظهور الإيمان والدين، وبيان حقيقة أنباء المرسلين: ظهور المعارضين لهم من أهل الإفك المبين...

وذلك أن الحق - إذا جُحد وعورض بالشبهات- أقام الله عَزَّوَجَلَّ له مما يحق به الحق، ويبطل به الباطل من الآيات البينات، بما يظهره من أدلة الحق وبراهينه الواضحة، وفساد ما عارضه من الحجج الداحضة...

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد: ٢٥].

وذلك بما يقيمه الله عَزَّوَجَلَّ من الآيات والدلائل التي يظهر بها الحق من الباطل، والخالي من العاطل، والهدى من الضلال، والصدق من المحال، والغي من الرشاد، والصلاح من الفساد، والخطأ من السداد.

وهذا كالمحنة للرجال، التي تميز بين الخبيث والطيب، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[آل عمران: ١٧٩]"(١).

"وقد أثبتت الأيام صدق إخلاص الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث بقي صدى الدعوة، بل ازداد، وحرص الناس في كل مكان على تتبع كتبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ودراستها، كما

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ١/٨٤-٨٧ باختصار.

عاد كثير من المناوئين إلى رشده بعدما استبان لهم سلامتها، وصدق هدف الداعية؛ لأن الحق أحق أن يُتّبع"[١].

وعلى طالب الحق الاعتزاز بمنهج الكتاب والسنة عقيدة وشريعة، وتقديمه على كل ما سواه، فيؤخذ ما يتفق مع قواعده العامة والخاصة، ويرفض كل ما يتعارض مع هذه الأصول التي تقوم عليها.

نتائج البحث:

وبعد، فقد تبين من خلال البحث ما يلي:

١- موافقة عقيد الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأتباعه لعقيدة السلف الصالح التي تعتمد على الكتاب والسنة.

٢- أن سبب خطأ وضلال المناوئين في باب التوحيد هو عدم معرفة التعريف الصحيح للعبادة، والخطأ في تفسير كلمة التوحيد.

٣- أن الدعاوى المعاصرة لم تقتصر على توحيد الألوهية- الذي كان هو الغالب في الدعاوى السابقة-؛ بل شملت كذلك توحيد الأسماء والصفات، والإمامة، والولاء والبراء.

٤- أن أغلب الدعاوى المعاصرة في باب توحيد الأسماء والصفات متأثرة بعقيدة الأشاعرة والماتريدية.

٥- ضعف المناوئين المعاصرين من الناحية العلمية الشرعية بخلاف المناوئين المتقدمين، وخصوصا في أبواب التوحيد.

٦- أن بعض الدعاوى المعاصرة المناوئة لدعوة الإمام هي في حقيقتها ثناء على الدعوة؛ كالاتهام بالغلو في تضخيم أبواب التوحيد.

٧- حرص المناوئين المعاصرين على استغلال الأحداث والاستفادة منها ضد دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية: ٩٠.

٨- حرص المناوئين المعاصرين على نسبة دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ للجماعات الضالة للتنفير منها وتشويهها.

٩- وجود الفروق الواضحة البينة بين دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ وبين الدعوات الضالة.

١٠- جهل المناوئين المعاصرين بحقيقة دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وتأثرهم بما يكتب عن الدعوة إعلاميا وسياسيا.

١١- أن من أراد معرفة حقيقة دعوة الإمام؛ فإنه لا بد له من معرفة المنهجية الصحيحة لطريقة قراءة كتب أئمة الدعوة.

١٢- أن أصل مسألة العذر بالجهل لم يكن في منهج أئمة الدعوة، وإنما كان عندهم أصل شرعي أخر، وهو: هل بلغته الحجة؟ أو لم تبلغه الحجة؟ والحجة المناسبة وغير المناسبة.

١٣- أن من منهج الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ التفريق بين المسائل الظاهرة والمسائل الخفية في تكفير المعين، وأن التكفير لا يكون إلا بعد بلوغ الحجة.

١٤- أن من أسباب الإشكال عند المناوئين المعاصرين في مسألة فهم الحجة من عدمها هو الإجمال الواقع في هذه الكلمة.

١٥- أن فهم الحجة على قسمين: فهم معاني الأدلة، وهذا لا بد منه في إقامة الحجة. والقسم الثاني أن يفهم كون هذه الحجة أرجح من شبهته التي عنده، وهذا ليس بلازم في فهم الحجة.

١٦- أن دعوة الإمام من أبعد الدعوات عن الغلو والتطرف؛ بل هي من أشد الدعوات محاربة له وتحذيرا منه.

١٧- التداخل والترابط بين بعض الدعاوى المعاصرة المناوئة لدعوة الإمام في باب التكفير والغلو والتطرف والولاء والبراء.

١٨- تنوع أهداف المناوئين لدعوة الإمام، فمنها أهداف دينية، ومنها أهداف سياسية، ومنها أهداف اقتصادية ، ومنها أهداف اجتماعية، ومنها ما يشمل أكثر

من هدف.

١٩- توافق المناوئين المعاصرين مع المناوئين السابقين في الأهداف، إلا أن المعاصرين يركزون في الطعن على الدعوة الوهابية بقصد الطعن في الدعوة السلفية.

٢٠- تنوع الوسائل والأساليب المعاصرة ضد دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ بخلاف الوسائل والأساليب السابقة فقد كانت محدودة.

٢١- التعاون بين المناوئين المعاصرين - مع اختلاف عقائدهم وأهدافهم- ضد دعوة الإمام.

٢٢- أن هذه الدعاوى المعاصرة المناوئة كان لها بعض الأثر في الصد عن دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢٣- أن ما لدى المناوئين المعاصرين - وكذلك السابقين- من دعاوى؛ فإنه ليس عليها دليل، وأن بطلان هذه الدعاوى ظاهر لمن أراد الحق!.

٢٤- توافق المناوئين المعاصرين مع المناوئين السابقين - في الجملة- في دعاويهم، مع زيادة عند المعاصرين وتوسع في تفصيل الدعاوى، والتركيز على الذي له آثار سياسية كالتكفير.

٢٥- ظهور مناوئين جدد لدعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ سواء من الغرب النصراني أو من بعض الجماعات المنتسبة للإسلام.

٢٦- أهمية التوكل على الله ثم الأخذ بالأسباب لنشر دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والرد على الدعاوى المعاصرة المناوئة لدعوة الإمام.

٢٧- أن ما يقوم به علماء السنة عموما، وعلماء هذه البلاد خصوصا من نشر العلم النافع والعقيدة الصحيحة من خلال مؤلفاتهم ودروسهم من أعظم الوسائل في نشر الحق ورد الباطل.

أما أهم التوصيات:

١- أهمية العناية بالتوحيد والدعوة إليه في جميع الأماكن وبشتى الوسائل والطرق.

٢- القيام بدراسة مستفيضة لوسائل وأساليب المناوئين المعاصرين ضد دعوة الإمام.

٣- إبراز المخاطر الدينية والسياسية والاجتماعية لدعاوى المناوئين المعاصرين.

٤- العناية بالدراسات الأكاديمية عن دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومن ذلك: إبراز جميع الجوانب العلمية للإمام ودعوته، سواء العقدية، أو الحديثية، أو الفقهية، أو التربوية،....

٥- التركيز والتخصص في دراسة الدعاوى المعاصرة المناوئة لدعوة الإمام، ومن ذلك:

- تحديد مسألة من المسائل والعناية بها، كالتكفير، ودراستها من جميع جوانبها.
- تحديد فرقة أو جماعة والعناية بها ودراستها من جميع جوانبها.
- تحديد شخصية مناوئة والعناية بها ودراستها من جميع جوانبها.

٦- إجراء بعض الدراسات العلمية والميدانية في البلاد الإسلامية عن أثر تلك الدعاوى المعاصرة المناوئة لدعوة الإمام.

٧- إجراء بعض الدراسات العلمية والميدانية في البلاد الغربية عن أثر تلك الدعاوى المعاصرة المناوئة لدعوة الإمام.

٨- إجراء بعض الدراسات العلمية عن المراكز البحثية والوسائل الإعلامية المناوئة لدعوة الإمام، وأثرها في تشويه دعوة الإمام.

٩- إجراء بعض الدراسات السياسية والنظامية المتعلقة بأنظمة البلدان المناوئة لدعوة الإمام، للاستفادة منها سياسيًا ونظاميًا في نشر دعوة الإمام والدفاع عنها.

١٠- محاسبة أصحاب الكتابات والمقالات المناوئة لدعوة الإمام والاحتساب عليهم.

١١- الاستفادة من طلاب المنح للقيام بدراسات تتعلق بدعوة الإمام في بلدانهم.

وفي الختام

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن ينفع بهذا الجهد، وأن يبارك فيه، وأن يجعله خالصًا لوجه الكريم، وأن يكون عونًا على طاعته، وأن يوفقنا للعلم النافع، والعمل الصالح، والدعوة إليه، والصبر عليه. والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس العامة

وتشتمل على:

- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

فهرس المصادر والمراجع

١- الإبانة الكبرى، ابن بطة عبيد الله بن محمد العكبري، ت: رضا معطي وآخرون، دار الراية، الرياض، ط١.

٢- الإبانة عن أصول الديانة، علي ابن إسماعيل الأشعري، ت: صالح بن مقبل العصيمي التميمي، دار الفضيلة، الرياض، ط١.

٣- الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ، سيدي أحمد بن مبارك اللمطي السجلماسي، دار الكتب العلمية، ط٣.

٤- إبطال التأويلات لأخبار الصفات، القاضي أبو يعلى، ت: محمد بن حمد الحمود النجدي، دار إيلاف الدولية،الكويت.

٥- إتحاف النبلاء بسير العلماء، راشد بن عثمان الزهراني، دار الصميعي، ط٢.

٦- إثبات الشفاعة، للذهبي، ت: بدر البدر، دار السلف، الكويت، ط١.

٧- أثر الإمام محمد بن عبد الوهاب في الفكر الإسلامي الإصلاحي بالجزائر، عبدالحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، ط١.

٨- اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم، ت: عواد المعتق، دار الرشد، الرياض، ط٣.

٩- أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين، سليمان الدبيخي، دار المنهاج، الرياض، ط١.

١٠- الأحاديث النبوية المبشرة بنصرة الإسلام والمسلمين، محمد أبو الصعاليك، الأكاديميون، عمان، ط١.

١١- إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام، لابن دقيق العيد، ت: محمد حامد الفقي وأحمد شاكر، دار السنة المحمدية، القاهرة.

١٢- أحكام الإمامة والائتمام في الصلاة، عبدالمحسن بن محمد المنيف، ط١.

١٣- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، علي الماوردي، ت: خالد العلمي، ط٢.

١٤- الأحكام السلطانية، لأبي يعلى، ت: محمد حامد الفقي، ط٢.

١٥- أحكام أهل الذمة، لابن القيم، ت: صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣.

١٦- الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم الأندلسي، ت: أحمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

١٧- أخبار الأئمة الرستميين، لابن الصغير، ت: محمد ناصر، وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١.

١٨- اختلاف العلماء، محمد بن نصر المروزي، ت: السيد صبحي السامرائي، دار عالم الكتب، الرياض، ط٢.

١٩- الأخلاق والسير في مداواة النفوس، لابن حزم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢.

٢٠- ادعاء أن حروب الردة دافعها السياسة لا الدين، موقع بيان الإسلام للرد على شبهات حول الإسلام.

٢١- إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، للشوكاني، دار الباز، ط١.

٢٢- إرشاد الطالب إلى أهم المطالب، سليمان بن سحمان، ت: سعيد العمر، دار المعراج، الرياض، ط١.

٢٣- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح بن فوزان الفوزان، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٥.

٢٤- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، أبو المعالي الجويني، ت: أسعد تميم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١.

٢٥- الإرشاد إلى معرفة الأحكام، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، مطبعة العلم.

٢٦- الإرهاب والعنف والتطرف في ميزان الشرع(٢)، محمد علي إبراهيم، ط١.

٢٧- الإرهاب وحقيقته، حمود بن عقلاء الشعيبي، موقع صيد الفوائد.

٢٨- الإرهاب.. معضلات التعريف والمواجهة (٦)، أمين حسن عمر، موقع النيلين.

٢٩- الأزمات: مفهومها وأسبابها وآثارها ودورها في تعميق الوطنية، محمد بن عبد الله المرعول، مكتبة القانون والاقتصاد، الرياض، ٢٠١٤.

٣٠- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود الزمخشري، ت: عبدالرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت.

٣١- أساس التقديس، فخر الدين الرازي، ت: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية.

٣٢- أسباب اختلاف الفقهاء، عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣.

٣٣- الاستبداد السياسي، عبدالرحيم السلمي، موقع صيد الفوائد.

٣٤- الاستذكار، لابن عبد البر، ت: عبدالمعطي قلعجي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١.

٣٥- الاستشراق والتاريخ الإسلامي- القرون الإسلامية الأولى-، فاروق عمر فوزي، الدار الأهلية، الأردن، ط١

٣٦- الاستعمار الفرنسي في أفريقيا السوداء: دراسة عن الإسلام في أفريقيا السوداء الفرنسية، فيليب فونداسي، ترجمة: دار زيد الإسلامية.

٣٧- الاستغاثة في الرد على البكري، لابن تيمية، ت: عبدالله السهلي، دار الوطن، الرياض، ط١.

٣٨- الاستقامة، لابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط٢.

٣٩- الإسلام الذي تريد أمريكا ترويجه في المنطقة - الإسلام الليبرالي بين الإخوان المسلمين والوسطيين والعلمانيين، محمد إبراهيم مبروك، مركز الحضارة الغربية، ط١.

٤٠- الإسلام الذي يريده الغرب، صالح الغامدي، دار الفكر المعاصر، ط١.

٤١- الإسلام السياسي من معاوية الى داعش (١)،(٢)،(٣): شيرزاد شيخاني، موقع إيلاف المغرب.

٤٢- الإسلام السياسي، محمد سعيد العشماوي، مكتبة مدبولي الصغير، القاهرة، ط٤.

٤٣- الإسلام في القرن العشرين، عباس محمود العقاد، دار هنداوي.

٤٤- الإسلام والليبرالية مواجهة صريحة، علاء بكر، مكتبة فياض.

٤٥- إسلامية لا وهابية، ناصر بن عبدالكريم العقل، دار كنوز اشبيليا، ط١.

٤٦- الإسلاميون ومراكز البحث الأمريكية -دراسة في أزمة النموذج المعرفي - حالة معهد واشنطن ومعهد كارنيجي، بلال التليدي، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط١.

٤٧- الإسلاميون ومركز راند: قراءة في مشاريع الاعتدال الأمريكي، بلال التليدي وعادل الموساوي، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط١.

٤٨- إسهامات المسجد في مواجهة الانحرافات الفكرية والخلقية من منظور التربية الإسلامية، حسن بن يحيى ضامري، رسالة ماجستير، بجامعة أم القرى.

٤٩- الأشاعرة في ميزان أهل السنة، نقدٌ لكتاب (أهل السنة الأشاعرة شهادة علماء الأمة وأدلتهم)، فيصل بن قزار الجاسم، المبرة الخيرية لعلوم القرآن والسنة، الكويت، ط١.

٥٠- الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، للسيوطي، ت: خالد عبدالفتاح، دار الكتب الثقافية، ط٣.

٥١- اشتقاق اسماء الله، عبدالرحمن الزجاجي، ت: عبدالحسين المبارك، دار الفكر، بيروت.

٥٢- أصول الحكم ونظام الولاية في الشريعة الإسلامية، عبدالرحمن بن ابراهيم الحميضي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١.

٥٣- أصول الدين، أبو القاسم القمي، ت: رضا استادي، طهران.

٥٤- أصول الدين، عبدالقاهر البغدادي، مطبعة الدولة، استانبول،.

٥٥- أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية، ناصر القفاري، دار الرضا، ط٣.

٥٦- أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة، سعود بن عبد العزيز الخلف، دار أضواء السلف، ط١.

٥٧- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار ابن تيمية، القاهرة.

٥٨- أضواء على الخطة الخمسينية الإيرانية السرية، موقع شبكة الدفاع عن السنة.

٥٩- الاعتصام، للشاطبي، ت: مشهور حسن آل سلمان، مكتبة التوحيد، ط١.

٦٠- الاعتقاد القادري، عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، العدد (٣٩).

٦١- اعتقادات فرق المسلمين، فخر الدين الرازي محمد بن عمر، ت: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية.

٦٢- اعرف الكتب المحرفة، صالح الكرباسي، موقع مركز الإشعاع الإسلامي للبحوث والدراسات الإسلامية.

٦٣- إعلام الخَلف بمن قال بتحريف القرآن من أعلام السّلف، أبو عمر صادق العلائي، شبكة الشيعة العالمية.

٦٤- أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة - ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة الاسلامية، حافظ الحكمي، ت: مصطفى أبو النصر، مكتبة السوادي، جدة، ط٨.

٦٥- أعلام العراق، محمد بهجة الأثري، الدار العربية للموسوعات، ط٢.

٦٦- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، ت: محمد محي الدين، دار العصرية.

٦٧- الإعلام بقواطع الإسلام من قول أو فعل أو نية أو تعليق مكفر، أحمد بن محمد الهيتمي، ت: محمد عواد العواد، دار التقوى، سوريا، ط١.

٦٨- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، العباس بن ابراهيم السملالي، ت: عبدالوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط.

٦٩- الإعلام في بيان خطر الزحف المجوسي على بلاد الإسلام، عبدالله بن عبدالرحمن السعد، دار الأداوة، ط١.

٧٠- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم، ت: محمد عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢.

٧١- الإفصاح عن معاني الصحاح، يحيى بن هبيرة، ت: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، ط١.

٧٢- الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد الغزالي، دار الكتب العلمية، ط١.
٧٣- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية، ت: ناصر العقل، دار الرشد، ط٢.
٧٤- اكتشاف جزيرة العرب: خمسة قرون من المغامرة والعلم، جاكلين بيرين، ترجمة: قدري قلعجي، قدم له حمد الجاسر، دار الكاتب العربي، ط١.
٧٥- أكذوبة مذكرات الجاسوس البريطاني همفر، سليمان الخراشي، دار الآل والصحب، ط١.
٧٦- إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، ت: يحيى إسماعيل، دار الوفاء، ط٢.
٧٧- آل سعود، يشمل: تاريخ آل سعود- تاريخ الحركة الإصلاحية- منشأ كلمة الوهابية وتاريخها-، أحمد علي، دار الشبل، ط٢.
٧٨- الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل، محمد الجليند، المكتبة العصرية.
٧٩- الإمام عبدالحميد بن باديس حياته وآثاره، عمار طالبي، عالم المعرفة، الجزائر، ط١.
٨٠- الإمام محمد بن عبدالوهاب في التاريخ، عبدالله بن سعد الرويشد، رابطة الأدب الحديث بالقاهرة، ط٢.
٨١- الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، عبدالله بن عمر الدميجي، دار طيبة، ط١.
٨٢- الإمامة في جذورها القرآنية، عبدالله دشتي، موقع فدك.
٨٣- الإمامة، مرتضى المطهري، ترجمة: جواد علي كسار، دار الحوراء للطباعة والنشر والتوزيع.
٨٤- الأمدي وآرؤه الكلامية، حسن الشافعي، دار السلام.
٨٥- أمريكا التي تعلمنا الديموقراطية والعدل، فهد العرابي الحارثي، شركة أسبار للإعلام المحدودة، السعودية، ط١.
٨٦- أمريكا والسعودية: حملة إعلامية أم مواجهة سياسية؟، غازي بن عبدالرحمن القصيبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٥.

٨٧- الإنتصار لأهل السنة وكشف مذهب أدعياء السلفية، حصن الدين أبي المعالي الأزهري، دار النور، ط١.

٨٨- الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين، عبد الله أبا بطين، ت: الوليد الفريان، دار طيبة.

٨٩- الانحرافات العقدية والعملية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، علي الزهراني، دار طيبة، ط٢.

٩٠- الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف، ولي الله الدهلوي، ت: عبدالفتاح أبو غدة، دار النفائس، ط٨.

٩١- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، أبي بكر الباقلاني، ت: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية.

٩٢- الأنوار الإيمانية في طمس ضلالات الوهابية ويليه المنهج الأحمد في مخالفة الوهابية للإمام أحمد ويليه المناظرات الفاضحة للوهابية الكالحة، عبدالرحمن عبدالقاهر حجازي، دار المشاريع، ط٣.

٩٣- أهل السنة يقرون بتحريف القران (بصحيح مسلم والبخاري)، شبكة منتديات الحق الثقافية.

٩٤- إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذاهب الحق من أصول التوحيد، لابن الوزير اليماني، الكتب العلمية، ط١.

٩٥- إيضاح المحجة في الرد على صاحب طنجة، حمود التويجري، دار النور، ط١.

٩٦- الإيمان، لابن تيمية، ت: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٥.

٩٧- بحث في الصوفية والفرق الإسلامية، لمصطفى بك عبدالرزاق، دار النهضة المصرية.

٩٨- البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لابن نجيم المصري، دار الكتاب الإسلامي، ط٢.

٩٩- البحر الزاخر: تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر، محمود فهمي باشا المهندس، ط١.

١٠٠- البحر المحيط في أصول الفقه، محمد بن عبد الله الزركشي، دار الكتبي، ط١.

١٠١- بحوث في الملل والنحل، جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق، إيران.

١٠٢- بحوث قرآنية في التوحيد والشرك لجعفر السبحاني، شبكة الشيعة العالمية.

١٠٣- بحوث ندوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مجموعة من العلماء والباحثين، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط٢.

١٠٤- البداية والنهاية، ابن كثير، ت: عبدالله التركي، عالم الكتب، ط٢.

١٠٥- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، للكاساني الحنفي، دار الكتب العلمية، ط٢.

١٠٦- بدائع الفوائد، لابن القيم، دار الكتاب العربي.

١٠٧- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، ط١.

١٠٨- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، ط١.

١٠٩- البراهين الساطعة في رد بعض البدع الشائعة، سلامة القضاعي، مطبعة السعادة، القاهرة.

١١٠- البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، لأبي الفضل عباس بن منصور السكسكي، ت: بسام العموش، دار المنار، عمان، ط١.

١١١- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية وأهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد، لابن تيمية، ت: موسى الدويش، دار العلوم والحكم، ط٣.

١١٢- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أحمد بن يحيى بن عميرة، ت: أبو جعفر الضبي، دار الكاتب العربي، القاهرة.

١١٣- بناء شبكات الاعتدال الإسلامي، شريل بينارد - أنجيل رابا سا - لويل شوارتز - بيتر سيكل، ترجمة: إبراهيم عوض، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط١.

١١٤- البيان بالدليل لما في نصيحة الرفاعي ومقدمة البوطي من الكذب الواضح والتضليل لصالح الفوزان، دار العاصمة، الرياض، ط١.

١١٥- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، لابن تيمية، ت: مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١.

١١٦- بيان حقوق ولاة الأمور على الأمة بالأدلة من الكتاب والسنة وبيان ما يترتب على الإخلال بذلك، لابن باز، ضمن مجموع مقالات وفتاوى ابن باز.

١١٧- بيان حقيقة دعوة الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب، صالح بن فوزان الفوزان، عناية: فهد الفعيم، دار ابن الجوزي، ط١.

١١٨- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، ت: مجموعة من المحققين، وزارة الإعلام الكويتية.

١١٩- التاج المكلل من جواهر ماثر الطراز الآخر والأول، محمد صديق خان القنوجي البخاري، وزارة الاوقاف القطرية، ط١.

١٢٠- تاريخ ابن ربيعة، محمد بن ربيعه العوسجي البدراني، ت: د عبد الله بن يوسف الشبل، النادي الأدبي بالرياض.

١٢١- تاريخ البلاد العربية السعودية -الدولة السعودية الأولى- منير العجلاني، دار الشبل، ط٢.

١٢٢- تاريخ الجزائر الثقافي، لأبي القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط١.

١٢٣- تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي على الجزيرة العربية من كتاب تاريخ مصر في عهد محمد علي، فيلكس مانجان، ترجمة: محمد خير محمود البقاعي، دارة الملك عبدالعزيز، ط١.

١٢٤- تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، ترجمة: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط١٦.

١٢٥- تاريخ العقائد الشيعية وفرقها، الميرزا فضل الله بن الميرزا نصر الله، ت: غلام علي اليعقوبي، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضوية، إيران.

١٢٦- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ت: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١.

١٢٧- تاريخ حركة الاستشراق، ليوهان فوك، ترجمة عمر لطفي العالم، دار المدار الإسلامي، ط٢.

١٢٨- تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، د. نزار أباظة، دار الفكر، بيروت، ط٢.

١٢٩- تاريخ نجد الحديث، أمين الريحاني، دار الجيل، بيروت.

١٣٠- تاريخ نجد، المسمى روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام، حسين بن غنام، ت: ناصر الدين الأسد، دار الشروق، ط٤.

١٣١- تأملات في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عبدالله التركي، وزارة الشؤون الإسلامية، ط١.

١٣٢- تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة، ت: محمد عبد الرحيم، دار الفكر، بيروت.

١٣٣- التبرقع الصهيوني في العقيدة الوهابية، الزيتوني محمد علي كيوة، موقع شبكة الوابية العالمية.

١٣٤- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، لابن عساكر الدمشقي، دار الفكر، بيروت، ط٢.

١٣٥- التحذير من مختصرات محمد علي الصابوني في التفسير، ويليه تنبيهات مهمة لبعض العلماء، بكر أبو زيد، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١.

١٣٦- التحذير من مفاهيم التطرف والتكفير التي أفرزت داعش وجماعات العنف والتخريب والتدمير، جمال سعد الجمال، دار الإمام الرازي، ط١.

١٣٧- التحرير في بيان أحكام التكفير شروط وضوابط وشبهات، عصام بن عبدالله السناني، مكتبة الإمام الذهبي، ط١.

١٣٨- تحريف الحقائق في كتب أهل السنة، علي محمد حسن، دون بيانات.

١٣٩- تحفة الحبيب على شرح الخطيب = حاشية البجيرمي على الخطيب، سليمان بن محمد بن عمر البجيرمي الشافعي، دار الفكر، بيروت، ط٤.

١٤٠- تحفة المحتاج في شرح المنهاج، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، المكتبة التجارية الكبرى.

١٤١- تحفة المريد على جوهرة التوحيد، للبيجوري، ت: علي جمعة ومحمد الشافعي، دار السلام للطباعة والنشر، ط١.

١٤٢- تحقيق مسائل مهمات من علم التوحيد والصفات، محمد بن صالح بن أحمد الغرسي، دار الفتح، ط١.

١٤٣- التدمرية، لابن تيمية، ت: محمد السعوي، دار العبيكان، ط٨.

١٤٤- تذكرة الحفاظ، للذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

١٤٥- تراجم لمتاخري الحنابلة، سليمان بن حمدان، ت: بكر أبو زيد، دار ابن الجوزي، ط١.

١٤٦- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض بن موسى اليحصبي، ت: ابن تاويت الطنجي وآخرون، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ط١.

١٤٧- ترجمة الأولياء في الموصل الحدباء، لأحمد بن الخياط الموصلي، ت: سعيد الديوه جي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١.

١٤٨- التسعينية، لابن تيمية، ت: محمد العجلان، مكتبة المعارف، ط١.

١٤٩- تشريح الفكر السلفي المتطرف، حسن محسن رمضان، دار الحصاد، سوريا، ط١.

١٥٠- تصحيح خطأ تأريخي حول الوهابية، محمد بن سعد الشويعر، إدارات الإفتاء والبحوث العلمية، ط١.

١٥١- التصوف بين التمكين والمواجهة، محمد بن عبدالله المقدي، دار صفا، جازان، ط٤.

١٥٢- التصوف في السعودية والخليج، مجموعة باحثين، مركز المسبار، ط٥.

١٥٣- تطبيقات السياسة الشرعية عند الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مصعب ابن سعد الخالدي، دار الميمان، ط١.

١٥٤- التطرف وعلاقته بمستوى النضج النفسي والاجتماعي لدى الشباب، جلال سليمان بيومي، رسالة دكتوراه بكلية التربية، جامعة الأزهر، ١٩٩٣.

١٥٥- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، محمد الصنعاني، ت: إسماعيل الأنصاري، دار النور، ط٣.

١٥٦- التطور السياسي لدولة الحركات الإسلامية، خليل حيدر، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية أبو ظبي، ط١.

١٥٧- تعدد الخلفاء في الزمن الواحد، عبدالله بن سعد أبا حسين، دار قرطبة، ط١.

١٥٨- التعريف بالدعوة السلفية النجدية، فيصل بن قزار الجاسم، ط١.

١٥٩- التعريفات الاعتقادية، سعد آل عبداللطيف، دار الوطن، ط١.

١٦٠- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ت: محمد المرعشلي، دار النفائس، ط٢.

١٦١- تعظيم قدر الصلاة، محمد بن نصر المروزي، ت: عبدالرحمن الفريوائي، مكتبة الدار، ط١.

١٦٢- التعليقات الزكية على العقيدة الواسطية، عبدالله بن جبرين، عناية: علي بن حسين أبو اللوز، دار الوطن، ط١.

١٦٣- تعليقات على المخالفات العقدية في فتح الباري شرح صحيح البخاري، عبدالرحمن البراك، ت: عبدالمحسن العسكر، دار التوحيد، ط١.

١٦٤- التغطية الإعلامية الغربية لتعامل المملكة العربية السعودية مع الإرهاب، ضمن بحوث نشرت في كتاب السعوديون والإرهاب رؤى عالمية .

١٦٥- تفسير أسماء الله الحسنى، أبي إسحاق إبراهيم الزجاج، ت: أحمد الدقاق، دار المأمون، ط٥.

١٦٦- تفسير البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت.

١٦٧- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، ط٢.

١٦٨- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢.

١٦٩- تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، ت: يوسف علي بديوي ومحيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١.

١٧٠- تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة، ت: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية.
١٧١- تقريب التدمرية، محمد بن عثيمين، دار الوطن، الرياض.
١٧٢- تقريرات أئمة الدعوة في مخالفة مذهب الخوارج وإبطالة، محمد هشام طاهري، دار غراس، ط١.
١٧٣- التقسيم الثلاثي للتوحيد بين الأشاعرة وابن تيمية، لحسن هيتو، موقع المستنير.
١٧٤- تقسيم الدار في الفقه الإسلامي، خالد بن عبد الله البشر، بحث تكميلي للماجستير، جامعة الملك سعود، كلية التربية، قسم الدراسات الإسلامية.
١٧٥- التكفير أساس الغزو، الحروب الوهابية على الحجاز، خالد شبكشي، موقع الحجاز.
١٧٦- التكفير الذي في تاريخ ابن غنام وابن بشر وعلاقته بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. د. الشريف حاتم بن عارف العوني، موقع الإسلام اليوم.
١٧٧- التكفير السياسي لمملكة آل سعود: من العميد إلى الحفيد، إسراء الفاس، موقع قناة العالم.
١٧٨- التكفير السياسي، علي الجفري، موقع علي الجفري.
١٧٩- التكفير عند جماعات العنف المعاصرة، إبراهيم بن صالح العايد، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط١.
١٨٠- تلبيس إبليس، لابن الجوزي، ت: السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، ط٨.
١٨١- التمهيد في الرد على الملاحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعطلة، للقاضي أبو بكر محمد الباقلاني، ت: محمود الخضيري، ومحمد أبو ريدة، دار الفكر العربي.
١٨٢- التمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح آل الشيخ، دار التوحيد، ط١.
١٨٣- التمويل الغربي وشراء الفكر في العالم العربي، الهيثم محمد زعفران، المركز العربي للدراسات الإنسانية.
١٨٤- التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم ومذاهبهم واعتقاداتهم، أبي محمد عبدالله البطليوسي، ت: أحمد كحيل وحمزة النشرتي، دار الاعتصام، ط١.

١٨٥- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، لأبي الحسين محمد بن أحمد الملطي، ت: يمان بن سعد المياديني، دار رمادي، ط١.

١٨٦- تهافت السلفية، أحمد محمود كريمة، مكتبة جزيرة الورد، ط١.

١٨٧- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد الأزهري، ت: عبد السلام هارون وآخرون، دار الخانجي.

١٨٨- تهذيب التهذيب، لابن حجر، ت: إبراهيم الزئبق وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١.

١٨٩- التوجه الفقهي للشيخ محمد بن عبدالوهاب الشيخ الدكتور علي بن عبدالرحمن الطيار.

١٩٠- توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية: تحرير المعاني وضبط القواعد، رشوان أبوزيد محمود، دار الإمام الرازي، ط١.

١٩١- التوحيد وأثره السياسي في فكر جماعات التشدد الديني، مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية.

١٩٢- التوسل بالصالحين بين المجيزين والمانعين دراسة مقارنة، عبدالفتاح بن صالح قديش اليافعي، دار النور، ط١.

١٩٣- التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، دار طيبة.

١٩٤- توضيح مقاصد العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، عبدالرحمن البراك، ت: عبدالرحمن بن صالح السديس، دار التدمرية، ط١.

١٩٥- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، عبدالرحمن بن سعدي، ت: أشرف عبدالمقصود، دار أضواء السلف، ط١.

١٩٦- التوقف والتبين (٢) الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو، محمد سرور زين العابدين، دار الجابية، لندن، ط٤.

١٩٧- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبدالله بن عبد الوهاب، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٧.

١٩٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، ت: عبدالرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١.

١٩٩- الثقات، لابن حبان، ت: محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط١.

٢٠٠- جامع البيان عن تأويل آي القرآن/تفسير الطبري، محمد جرير الطبري، ت: محمود شاكر، دار إحياء التراث، بيروت، ط١. وطبعة دار هجر، ت: عبدالله التركي.

٢٠١- جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، ت: سمير الزهيري، دار ابن الجوزي، ط٥.

٢٠٢- الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ، أبو زيد القيرواني، ت: محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢.

٢٠٣- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢.

٢٠٤- جدل الدين والسياسة، جمع أحمد سالم، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١.

٢٠٥- الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنف، علي بن عبد العزيز بن علي الشبل، ضمن بحوث المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية.

٢٠٦- الجذور الدينية للاستبداد، علي الدباغ، موقع الجزيرة.

٢٠٧- جزء القراءة خلف الإمام، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: فضل الرحمن الثوري، المكتبة السلفية، ط١.

٢٠٨- جزيرة العرب في القرن العشرين، حافظ وهبة، دار الأفاق العربية، بالقاهرة، ط١.

٢٠٩- الجماعات الإسلامية والعنف: العودة إلى العمل المسلح، منير أديب، دار أوراق، ط١.

٢١٠- الجماعات الإسلامية والعنف: موسوعة الجهاد والجهاديين، سعود المولى، مركز المسبار، ط١.

٢١١- الجماعات المتطرفة وإيران علاقات متجددة أجندات متعايشة، سعيد بن حازم السويدي، مركز حقائق للبحوث والدراسات، ط١.

٢١٢- جمع الجوامع في أصول الفقه، عبد الوهاب بن علي السبكي، ت: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية.

٢١٣- جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية، محمد أحمد لوح، دار ابن القيم، ط٢.

٢١٤- الجنى الداني في حروف المعاني، حسن بن قاسم المرادي، ت: فخر الدين قباوة ومحمد نديم، بيروت.

٢١٥- جهود أئمة الدعوة في تقرير مسائل الصحابة وآل البيت والإمامة والولاية والرد على المخالفين في ذلك، ماجد بن عبدالرحمن الطويل، مكتبة الرشد، الرياض، ط١.

٢١٦- جهود علماء الدعوة السلفية في نجد في الرد على المخالفين (١٢٠٠-١٣٥٠هـ)، عبدالهادي بن عبداللطيف الخليف.

٢١٧- جهود علماء المملكة العربية السعودية في مكافحة الإرهاب، موقع السكينة.

٢١٨- جهود علماء نجد في تقرير توحيد العبادة والتحذير من الشرك في القرن الثالث عشر الهجري، عبدالرحمن بن عبدالله الشدي، رسالة ماجستير بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود.

٢١٩- جهود علماء نجد في تقرير عقيدة الولاء والبراء في القرن الثالث عشر الهجري، عبد الله بن محمد السند، رسالة ماجستير، بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود.

٢٢٠- جهود علماء نجد ﵏ في بيان نوقض الإسلام في القرن الثالث عشر الهجري، فهد بن محمد السليم، رسالة ماجستير بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود.

٢٢١- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية، ت: رشيد الألمعي وآخرون، دار الفضيلة، ط١.

٢٢٢- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، لابن القيم، ت: عبيد الله بن عالية، دار الكتاب العربي، ط٦.

٢٢٣- جوانب الوسطية في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، أسماء بنت عبدالعزيز الداود، دار المأثور، ط١.

٢٢٤- جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز ابن باز، محمد إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، ط١.

٢٢٥- الجواهر المضية في طبقات الحنيفية، عبدالقادر بن محمد القرشي الحنفي، ت: عبدالفتاح محمد الحلو، مؤسسة الرسالة، ط٢.

٢٢٦- الجوهر المحصل في مناقب الإمام أحمد، محمد السعدي الحنبلي، ت: محمد زينهم عزب، مكتبة غريب، القاهرة.

٢٢٧- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي، دار الفكر، بيروت.

٢٢٨- حاشية الرملي على أسنى المطالب في شرح روض الطالب، شهاب الدين أحمد الرملي، دار الكتاب الإسلامي.

٢٢٩- حاشية كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن قاسم، دار القاسم، ط٣.

٢٣٠- حاشيتا قليوبي وعميرة، أحمد سلامة القليوبي وأحمد البرلسي عميرة على كتاب شرح المحلى على منهاج الطالبين، دار الفكر، بيروت.

٢٣١- حاضر العالم الإسلامي، لوثروب ستودارد الأمريكي، ترجمة: عجاج نوهيض، دار الفكر، بيروت.

٢٣٢- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل الأصبهاني، ت: محمد مدخلي ومحمد أبو رحيم، دار الراية، ط٢.

٢٣٣- حد الردة .. المزعوم ودراسات أخرى، أحمد صبحي منصور.

٢٣٤- حديث الصورة رواية ودراية ، بندر بن نافع العبدلي، مجلة الحكمة العدد: ٢٧

٢٣٥- الحراك الشيعي في السعودية، بدر الإبراهيم ومحمد الصادق، الشركة العربية للأبحاث والنقل، ط١.

٢٣٦- حركات البعث الإسلامي، ضمن كتب التوقف والتبيين (٢) الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو ، محمد سرور زين العابدين، دار الجابية، لندن، ط٤.

٢٣٧- حركة الإصلاح الديني في القرن الثاني عشر، عبد الله خياط، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١)، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٢٣٨- حركة التجديد والإصلاح في العصر الحديث، عبدالله بن محمد العجلان، ط١.

٢٣٩- حركة التشيع في الخليج العربي دراسة تحليلية نقدية، عبدالعزيز بن أحمد البداح، المركز العربي للدراسات الإنسانية، ط١.

٢٤٠- حركة التصوف في الخليج العربي، عبدالعزيز بن أحمد البداح، ط١.

٢٤١- الحركة الوهابية في عيون الرحالة الأجانب، لي ديفيد كوبر وجورج رنتز، ترجمة: عبد الله بن ناصر الوليعي، مؤسسة الممتاز، ط١.

٢٤٢- الحركة الوهابية في ميزان التأصيل السلفي والإصلاح السياسي، محمد زاهد جول، ضمن كتاب الوهابية والسلفية الأفكار والآثار.

٢٤٣- الحرية والطوفان، د. حاكم المطيري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢.

٢٤٤- حزب التحرير يحمل مشروع الخلافة الثانية ملتزمًا مفهوم الولاء والبراء على بصيرة، مجلة الوعي، العدد (٣٦٦-٣٦٧).

٢٤٥- حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة، محمد بن خليفة التميمي، أضواء السلف، الرياض، ط١.

٢٤٦- حقول الدم: الدين وتاريخ العنف، كارين آرمسترونغ، ترجمة: أسامه غاوجي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١.

٢٤٧- حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين، عبدالرحيم السلمي، دار المعلمة الثقافية، ط١.

٢٤٨- حقيقة الدولة الإسلامية في العراق والشام، نبيل أحمد العاكوم، موقع شبكة بوابة العرب.

٢٤٩- حقيقة الولاء والبراء في الكتاب والسنة بين تحريف الغالين وتأويل الجاهلين وبراءة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من الطائفتين، عصام بن عبدالله السناني، مكتبة الإمام الذهبي، ط٣.

٢٥٠- حقيقة دعوة الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية، عبدالله بن سعد الرويشد، رابطة الأدب الحديث بالقاهرة.

٢٥١- حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عبد الرحمن بن حماد العمر، دار العاصمة، الرياض، ط١.

٢٥٢- حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، محمد السلمان، جامعة الإمام محمد بن سعود.

٢٥٣- حقيقة موقف الإسلام من التطرف والإرهاب، سليمان عبد الرحمن الحقيل، مطابع الحميضي، ٢٠٠١.

٢٥٤- حكم الصحابة العلية على القبور الصوفية، خيري عبدالفتاح بن يوسف، دار المقطم، ط١.

٢٥٥- حكم تكفير المعين والفرق بين قيام الحجة وفهم الحجة، إسحاق آل الشيخ، دار طيبة، ط١.

٢٥٦- الحكومة السعودية وتنظيم القاعدة، خالد المعينا، ضمن بحوث صدرت في كتاب السعوديون والإرهاب رؤى عالمية.

٢٥٧- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار السعادة، مصر.

٢٥٨- الحنابلة واختلافهم مع السلفية المعاصرة في العقائد والفقه والتصوف، مصطفى حمدو عليان الحنبلي، دار النور الأردنية، ط١.

٢٥٩- الحياة الاجتماعية عند حضر نجد، عبد الرحمن بن علي العريني، رسالة دكتوراه، بجامعة الإمام محمد بن سعود.

٢٦٠- الحياة الاجتماعية عند بادية نجد، عبد الرحمن بن علي العريني، رسالة ماجستير، بجامعة الإمام محمد بن سعود.

٢٦١- الحياة الأدبية في جزيرة العرب، طه حسين، دار مكتب الناشر العربي.

٢٦٢- حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته، سليمان بن عبد الرحمن الحقيل، ط١.

٢٦٣- حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، حسين خلف خزعل، ت: أحمد التوجري، دار الثلوثية، ط١.

٢٦٤- الحياة العلمية في وسط الجزيرة العربية، أحمد البسام، دارة الملك عبدالعزيز، ط١.

٢٦٥- خروج الوهابية على الخلافة العثمانية: قراءة تاريخية ومناقشة شرعية - ١٢ مقالا-، ياسين بن علي، موقع مجلة الزيتونة التونسية.

٢٦٦- خريطة الشيعة في العالم: دراسة عقدية -تاريخية- ديموجرافية-استراتيجية، أمير سعيد، مركز الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، ط٣.

٢٦٧- خصائص جزيرة العرب، بكر أبو زيد، عالم الفوائد، ط٢.

٢٦٨- خطاب إلى الغرب: رؤية من السعودية، مجموعة من المؤلفين، دار غيناء للنشر، الرياض، ط٢.

٢٦٩- الخطط التوفيقية الجديدة، علي مبارك، المطبعة الكبرى الأميرية.

٢٧٠- خلق أفعال العباد، للبخاري، ضمن كتاب عقائد السلف، جمع علي النشار وعمارطالبي، منشأة المعارف.

٢٧١- الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام، د.ناصر العقل، دار الوطن، ط٢.

٢٧٢- داعش من النجدي الى البغدادي، فؤاد ابراهيم، مركز أول للدراسات والتوثيق، ط١.

٢٧٣- داعش نبتة سلفية حقيقية نواجهها بـ الشفافية، عادل الكلباني، موقع صحيفة عاجل الإلكترونية.

٢٧٤- داعية التوحيد محمد بن عبد الوهاب، عبد العزيز شلبي سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣.

٢٧٥- الدر النضيد على أبواب التوحيد، سليمان بن حمدان، دار الصحابة.

٢٧٦- درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط٢.

٢٧٧- دراسات في السلفية الجهادية، أكرم حجازي، مركز مدارات للأبحاث والنشر، ط٣.

٢٧٨- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، دار القاسم، ط٥.

٢٧٩- الدرر السنية في الرد على الوهابية، أحمد زيني دحلان، مكتبة الحلبي، القاهرة، ط١.

٢٨٠- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر، ت: محمد سيد جاد الحق، دار أم القرى المصرية.

٢٨١- دروس وفتاوى في الحرم المكي، محمد بن صالح العثيمين، مكتبة التراث الإسلامي.

٢٨٢- دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبدالنبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، ترجمة: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

٢٨٣- دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، عبدالعزيز آل عبداللطيف، دار الوطن، ط١.

٢٨٤- دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب بين التأييد والمعارضة، محمد محمد حسين، ضمن بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

٢٨٥- دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب سلفية لا وهابية، أحمد بن عبدالعزيز بن عبدالله الحصين، دار عالم الكتب، ط١.

٢٨٦- دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، د. محمد السلمان، وزارة الشؤون الإسلامية.

٢٨٧- دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من الإحياء والإصلاح إلى الجهاد العالمي، ناتانا دي لونج باس، ترجمة: عبدالله بن ابراهيم العسكر، دارة الملك عبدالعزيز، ط١.

٢٨٨- الدعوة الوهابية والمملكة العربية السعودية، ديفد كمنز، ترجمة: عبدالله ابراهيم العسكر، دار جداول ط٢.

٢٨٩- الدعوة إلى الإسلام: تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، سير توماس أرنولد، ترجمة: حسين إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، ط٤.

٢٩٠- دقائق أولي النهى لشرح المنتهى، منصور البهوتي، ت: عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١.

٢٩١- دمعة على التوحيد: حقيقة القبورية وآثارها في واقع الأمة، مجموعة من المؤلفين، المنتدى الإسلامي، ط٣.

٢٩٢- دور الدولة السعودية ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في النهضة العربية الحديثة، محمد بن سعد الشويعر.

٢٩٣- الدور السياسي للحركة الوهابية في ظل بيئة متغيرة، تامر هاشم، ضمن الوهابية والسلفية الأفكار والآثار.

٢٩٤- دور المؤسسات التربوية للوقاية من الفكر المتطرف، تيسير بن حسين السعيدين، مركز البحوث والدراسات بكلية الملك فهد الأمنية.

٢٩٥- الدولة السعودية الأولى، عبدالرحمن عبدالرحمن عبدالرحيم، دار الكتاب الجامعي، ط٦.

٢٩٦- الدولة في الخطاب السلفي المعاصر المرجعيات والأفكار والتحولات، عبد الغني الماوري، ضمن الوهابية والسلفية الأفكار والآثار.

٢٩٧- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون المالكي، محمد الأحمدى، دار التراث، ط٢.

٢٩٨- الدين الخالص محمد صديق حسن خان القنوجي، ت: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية.

٢٩٩- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، ت: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢

٣٠٠- الذخائر المحمدية للمالكي بين المؤيدين والمعارضين على ضوء الكتاب والسنة وأقوال علماء الأمة، عمر عبدالله كامل، مكتبة التراث الإسلامي، ط١،

٣٠١- الذخيرة، للقرافي المالكي، ت: محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١.

٣٠٢- ذم التأويل، لابن قدامة، ت: بدر البدر، الدار السلفية، ط١.

٣٠٣- ذم الكلام وأهله، أبي إسماعيل الهروي، ت: عبدالرحمن الشبل، دار العلوم والحكم، ط١.

٣٠٤- الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب، ت: عبدالرحمن العثيمين، دار العبيكان، ط١.

٣٠٥- راشد الخلاوي: حياته- شعره- حكمه- فلسفته- نوادره- حسابه الفلكي، عبدالله بن خميس، دار اليمامة.

٣٠٦- رحلات في شبه الجريرة العربية، جون لويس بيركهارت، ترجمة، عبد العزيز الهلابي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١.

٣٠٧- رحلة إلى الرياض، الليفتنانت كولونيل لويس بلي، ترجمة: عبد الرحمن عبدالله الشيخ وعويضة بن متيريك الجهني، جامعة الملك سعود.

٣٠٨- رحلة إلى بلاد نجد، بلنت ان غالب، ترجمة: محمد أنعم، دار اليمامة.

٣٠٩- رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها، كارستن نيبور، ترجمة عبير المنذر، دار الانتشار العربي، ط١.

٣١٠- الرد الشامل على عمر كامل، عبدالله الموجان، مركز الكون، جدة، ط١.

٣١١- الرد على الجهمية والزنادقة، للإمام أحمد، ت: صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات للنشر والتوزيع.

٣١٢- الرد على الجهمية، الإمام الدارمي، ت: بدر البدر، دار الأثير، ط٢.

٣١٣- الرد على الرفاعي والبوطي في كذبهما على أهل السنة ودعوتهما إلى البدع والضلال، عبدالمحسن العباد البدر، ابن الأثير، ط١.

٣١٤- الرد على الوهابية في القرن التاسع عشر - نصوص الشرق الإسلامي نموذجا، حمادي الرويسي وأسماء نويرة، دار الطليعة، ط٢.

٣١٥- الرد على الوهابية في القرن التاسع عشر - نصوص الغرب الإسلامي نموذجا، حمادي الرويسي وأسماء نويرة، دار الطليعة، ط٢.

٣١٦- الرد على بعض المبتدعة من طائفة الوهابية، محمد بن عبدالمجيد، مطبعة التقدم العلمية، القاهرة.

٣١٧- رسالة الشرك ومظاهره، مبارك بن محمد الميلي، ت: أبي عبد الرحمن محمود، دار الراية، الرياض، ط١.

٣١٨- رسالة إلى أهل الثغر، للأشعري، ت: عبد الله الجنيدي، دار العلوم والحكم، ط٢.

٣١٩- رسالة تحريض الأغبياء في الاستغاثة بالأنبياء والأولياء، عبد الله بن إبراهيم الحسيني الميرغني المحجوب، المطبعة المصرية، القاهرة.

٣٢٠- رسالة في الصفات الاختيارية، لابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، ضمن جامع الرسائل والمسائل، دار العطاء.

٣٢١- رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود محمد شاكر، مكتبة المدني.

٣٢٢- رسالة في الكلام على الصفات، الخطيب البغدادي، ت: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٢٣- رسالة في حكاية المباحثة مع علماء مكة في حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ت: د. صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي، ضمن العدد (١) من مجلة الدراسات العقدية.

٣٢٤- الرسالة، أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي، ت: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر، ط١.

٣٢٥- رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله وتحقيق معنى التوحيد والشرك بالله، عبدالرحمن المعلمي اليماني، ت: الداني آل زهوي، المكتبة العصرية، ط١.

٣٢٦- رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، علي بن عبدالوهاب السبكي، ت: علي معوض وعادل عبدالموجود، عالم الكتب.

٣٢٧- رفع الملام عن الأئمة الأعلام، لابن تميمية، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.

٣٢٨- ركائز التوحيد في مدرسة محمد بن عبدالوهاب دراسة نقدية، أبو هشام الشريف، مكتبة الرحمة المهداه، ط٢.

٣٢٩- روضة الطالبين وعمدة المفتيين، للنووي، المكتب الإسلامي، ط٣.

٣٣٠- روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، محمد القاضي، ط٢.

٣٣١- الرؤية الوهابية للتوحيد وأقسامه، عثمان مصطفى النابلسي، دار النور، ط١.

٣٣٢- رئاسة الدولة في الفقه الإسلامي، محمد رأفت عثمان، دار الكتاب الجامعي.

٣٣٣- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤.

٣٣٤- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٥.

٣٣٥- الزواجر عن اقتراف الكبائر، أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي، دار الفكر، بيروت، ط١.

٣٣٦- السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، محمد بن عبدالله بن حميد، ت: بكر أبو زيد وعبدالرحمن العثيمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١.

٣٣٧- السعودية السلفية في الكتابات الغربية رؤية تصحيحية، محمد بن سعود البشر، مركز الفكر العالمي عن السعودية، ط١.

٣٣٨- السعوديون والإرهاب رؤى العالمية، مجموعة من المؤلفين، دار غينياء، ط١.

٣٣٩- السعوديون والحل الإسلامي، محمد جلال كشك، ط٣.

٣٤٠- سلسلة أعلام العلماء، عبدالمنعم الهاشمي، دار ابن كثير، دمشق، ط١.

٣٤١- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف، الرياض، ط١.

٣٤٢- السلف والسلفية، محمد عمارة، مكتبة وهبه، ط١.

٣٤٣- السلفية الجهادية في السعودية، فؤاد ابراهيم، دار الساقي، ط١.

٣٤٤- السلفية الجهادية: دار الإسلام ودار الكفر، مركز المسبار، ط١.

٣٤٥- السلفيّة الحديثة ومدارسها، فاروق شريف، موقع القدس العربي.

٣٤٦- السلفية العالمية: الحركات السلفية المعاصرة في عالم متغير، رول ميير، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١.

٣٤٧- السلفية المعاصرة إلى أين؟ ومن هم أهل السنة؟، محمد زكي إبراهيم محيي الدين الإسنوي، العشيرة المحمدية، ط٢.

٣٤٨- السلفية الوهابية بين سياسة التقرير والتبرير- تبادل الدعم بين السلطة والفقه الوهابي، د. محمد بنيعيش موقع جريدة هسبريس.

٣٤٩- السلفية بعيون غربية، تامر طه بكر، مركز البيان للبحوث والدراسات، ط١.

٣٥٠- السلفية بين الأصيل والدخيل، أحمد محمود كريمة، دار الكتاب الصوفي.
٣٥١- السلفية، محمد عمارة، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، ط١.
٣٥٢- السنة، عبد الله ابن الإمام أحمد، ت: محمد سعيد القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، ط٤.
٣٥٣- السنة، لابن أبي عاصم، ت: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط٢.
٣٥٤- السنة، لأبي بكر الخلال، ت: عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، ط١.
٣٥٥- سنن ابن ماجه، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
٣٥٦- سنن أبي داود، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.
٣٥٧- سنن الترمذي، ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
٣٥٨- السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، للبيهقي، دار المعرفة، بيروت.
٣٥٩- سنن النسائي، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢.
٣٦٠- سوانح الأيام: أيام من حياتي، أبو الفضل البرقعي، عالم الكتب، الرياض.
٣٦١- السياسة والأزهر: كتاب عن مذكرات شيخ الإسلام الظواهرى، فخر الدين الأحمدى الظواهرى، دار الشروق، القاهرة.
٣٦٢- سير أعلام النبلاء، للذهبي، ت: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١.
٣٦٣- سيرة الإمام محمد بن عبدالوهاب، لأمين سعيد، جامعة الإمام محمد بن عبدالوهاب، ط١.
٣٦٤- سيرة الشيخ بكر أبو زيد وأخباره، صالح عبدالله آل داود، دار التوحيد، ط١.
٣٦٥- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، محمد بن علي الشوكاني، ت: محمد بن إبراهيم زايد، دار الكتب العلمية، ط١.
٣٦٦- شأن الدعاء، حمد بن محمد الخطابي، ت: أحمد يوسف الدّقاق، دار الثقافة العربية، ط١.

٣٦٧- الشبهات التي أثيرت حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عبد الكريم الخطيب، ضمن بحوث ندوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود، ط٢.

٣٦٨- شبهات المبتدعة في توحيد العبادة، عبدالله بن عبدالرحمن الهذيل، دار الرشد، الرياض، ط٢.

٣٦٩- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد محمد مخلوف، المطبعة السلفية، القاهرة.

٣٧٠- شجرة نسب السلفية الجهادية - دراسة أيدولوجية مع ملاحق وثائقية-، كوينتان فيكتور فيتش، ترجمة: حمد العيسى، مؤسسة الإنشار العربي، ط١.

٣٧١- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد العكري الحنبلي، ت: عبدالقادر ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط١.

٣٧٢- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للإمام اللالكائي، ت: أحمد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، ط٢.

٣٧٣- شرح الأصول الخمسة، القاضي عبدالجبار، ت: عبدالكريم عثمان، مكتبة وهبة، ط٢.

٣٧٤- شرح التلخيص، محمد بن محمد البابرتي، ت: محمد مصطفى صوفية، المنشاة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، ط١.

٣٧٥- شرح السنة، إسماعيل بن يحيى المزني، ت: جمال عزون، مكتبة الغرباء الأثرية، السعودية، ط١.

٣٧٦- شرح السنة، للبغوي، ت: زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢.

٣٧٧- شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، لابن أبي العز، ت: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية.

٣٧٨- شرح العقائد النسفية المسمى عقد الفرائد على شرح العقائد لسعد الدين التفتازاني، مكتبة المدينة العلمية، باكستان، ط٢.

٣٧٩- شرح العقيدة السفارنية، محمد ابن عثيمين، مدار الوطن، الرياض، ط١.

٣٨٠- شرح العقيدة الواسطية، محمد ابن عثيمين، ت: سعد الصميل، دار ابن الجوزي، ط٢.

٣٨١- شرح الكوكب المنير في أصول الفقه، لابن النجار، محمد الزحيلي ونزيه حماد، جامعة أم القرى، ط٤.

٣٨٢- شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، دار المعارف النعمانية، باكستان.

٣٨٣- شرح صحيح مسلم، للنووي، دار العربي، بيروت.

٣٨٤- شرح حديث النزول، لابن تيمية، ت: محمد الخميس، دار العاصمة، الرياض، ط٢.

٣٨٥- شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ت: ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢.

٣٨٦- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، عبد الله الغنيمان، دار العاصمة، الرياض، ط٢.

٣٨٧- شرح مسائل الجاهلية، صالح آل الشيخ، دروس صوتية.

٣٨٨- الشرك في القديم والحديث، أبو بكر محمد زكريا، دار الرشد، الرياض، ط١.

٣٨٩- شروط شهادة أن لا إله إلا الله، تأصيلا ودراسة، محمد عبدالله مختار محمد، الجامعة الإسلامية بالمدينة، ط١.

٣٩٠- الشريعة، محمد بن الحسين الآجري، عبدالله بن عمر الدميجي دار الوطن، الرياض، ط٢.

٣٩١- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، ت: علي البجاوي، دار الكتاب العربي.

٣٩٢- الشفاعة عند أهل السنة والجماعة، ناصر الجديع، دار أطلس، ط٣.

٣٩٣- الشفاعة، مقبل الوادعي، دار الأرقم.

٣٩٤- شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق، يوسف النبهاني، مطبعة الحلبي، ط١.

٣٩٥- الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي حياته العلمية جهوده الدعوية آثاره الحميدة، محمد أحمد سيد أحمد، المكتب الإسلامي، بيروت.

٣٩٦- الشيخ حافظ بن أحمد حكمي، د. أحمد علوش، مكتبة، الرشد، الرياض، ط٢.

٣٩٧- الشيخ محمد بن عبد الوهاب المجدد المفترى عليه، أحمد بن حجر آل بوطامي البنعلي، دار الفتح، الشارقة، ط١.

٣٩٨- الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه، أحمد بن حجر آل بو طامي، الدار السلفية، ط٤.

٣٩٩- الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته ودعوته، عبدالله بن يوسف الشبل، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١.

٤٠٠- الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره، عبدالله الصالح العثيمين، دار العلوم، ط٢.

٤٠١- الشيخ محمد بن عبدالوهاب رائد الدعوة السلفية في العصر الحديث، محمد أحمد درنيقة، الدار العربية للموسوعات، ط١.

٤٠٢- الشيعة الحاقدون يريدون تصفية ثأر عمره ١٤٠٠ عام من السنة، حوار خاص لجريدة رزو اليوسف المصرية مع مفتي جبل لبنان محمد بن علي الجوزو، أجرى الحوار عبدالله كمال.

٤٠٣- الشيعة في المملكة العربية السعودية، حمزة حسن، دار الساقي، ط١.

٤٠٤- الصارم المسلول على شاتم الرسول، لابن تيمية، ت: محمد الحلواني ومحمد شودري، دار رمادي، ط١.

٤٠٥- الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، ت: أحمد بن عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٣.

٤٠٦- الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١.

٤٠٧- صحيح البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار طوق النجاة، ، ط١.

٤٠٨- صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣.

٤٠٩- صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤١٠- صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢.

٤١١- صحيح وضعيف سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢.

٤١٢- صحيح وضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢.

٤١٣- صحيح وضعيف سنن النسائي، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢.

٤١٤- الصراع الدولي للسيطرة على الشرق الأوسط التآمر الأمريكي - الصهيوني، علي وهب، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط٢.

٤١٥- الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، محمد أمان بن علي الجامي، دار المنهاج، ط١.

٤١٦- صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة، علوي عبدالقادر السقاف، دار الهجرة، ط١.

٤١٧- صفحات من تأريخ الجزيرة العربية الحديث، محمد عوض الخطيب، دار المعراج للطباعة والنشر.

٤١٨- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، ابن حجر الهيتمي، ت: عبدالرحمن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١.

٤١٩- الصواعق المرسلة الشهابية على الشبهة الداحضة الشامية، سليمان بن سحمان، عبدالسلام بن برجس ال عبدالكريم، دار العاصمة، الرياض، ط١.

٤٢٠- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم، ت: على الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط٣.

٤٢١- صورة الشرق في عيون الغرب: دراسة للأطماع الاجنبية في العالم العربي، إبراهيم الحيدري، دار الساقي، بيروت، ط١.

٤٢٢- صورة أهل السنة في الكتب المدرسية الإيرانية، نبيل بن علي العتوم، مركز العصر للدراسات الاستراتيجية والمستقبلية، ط١.
٤٢٣- الصوفية في تهامة اليمن، عبد الله المصلح، دار الصفوة، ط١.
٤٢٤- صوفية مصر: نساند الشيعة فى مواجهة السلفية الوهابية، موقع مفكرة الإسلام.
٤٢٥- صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، محمد بشير السهسواني، دار ابن تيمية، ط٤.
٤٢٦- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، مكتبة الحياة، بيروت.
٤٢٧- ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة، عبد الله القرني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١.
٤٢٨- ضوابط الحوار في الفكر الإسلامي، مفرح بن سليمان القوسي، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، ط١.
٤٢٩- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني، دار القلم، ط٨.
٤٣٠- ضوابط تكفير المعين عند شيخي الإسلام ابن تيمية وابن عبد الوهاب وعلماء الدعوة الإصلاحية، أبي العلا راشد بن أبي العلا الراشد.
٤٣١- ضوابط تكفير المعين، عبد الله بن عبد العزيز بن جبرين، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، ط٣.
٤٣٢- الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق، سليمان بن سحمان، ت: عبدالسلام بن برجس ال عبدالكريم، إدارات الإفتاء والبحوث العلمية، ط٥.
٤٣٣- طاعة الأئمة من أصول أهل السنة، خالد بن سعود البليهد، موقع صيد الفوائد.
٤٣٤- الطاعة السياسية في الفكر الإسلامي النص والإجتهاد والممارسة، هاني عبادي المغلس، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١.
٤٣٥- طبقات الحنابلة، لأبي يعلى، ت: عبدالرحمن العثيمين، مكتبة العبيكان، ط١.

٤٣٦- طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين أبي نصر السبكي، ت: عبدالفتاح الحلو ومحمود الطناحي، دار هجر، ط٢.

٤٣٧- الطبقات الكبرى عبدالوهاب الشعراني، ت: أحمد السايح وتوفيق وهبة، المكتبة الثقافية الدينية، ط١.

٤٣٨- الطبقات الكبرى، لابن سعد، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١.

٤٣٩- طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القيم، ت: عمر محمود أبو عمر، دار ابن القيم، ط١.

٤٤٠- طلبات واشنطن تقوض دعائم المملكة! الحملة الأمريكية على السعودية. أسباب دينية وسياسية، موقع إسلام أون لاين.

٤٤١- ظاهرة داعش في تجارب القاعدة نقد مزاعم اعتدال التنظيم، سعيد بن حازم السويدي، مركز ثابت للبحوث والدراسات، ط١.

٤٤٢- عارض الجهل وأثره على أحكام الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، راشد أبي العلا الراشد، دار الرشد، الرياض، ط١.

٤٤٣- العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة، صديق بن حسن القنوجي، ت: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية.

٤٤٤- عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبد الرحمن الجبرتي، ت: عبد الرحيم عبدالرحيم، دار الكتب المصرية.

٤٤٥- العذر بالجهل: أسماء وأحكام لشيوخ الإسلام والأئمة الأعلام، عبد الله بن محمد الغليفى، دار القرآن، بغليفة مكة المكرمة.

٤٤٦- العرش، محمد بن أحمد الذهبي، ت: محمد بن خليفة التميمي، دار أضواء السلف، ط١.

٤٤٧- العرف الشذي شرح سنن الترمذي، محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري، تصحيح: الشيخ محمود شاكر، دار التراث العربي، بيروت، ١.

٤٤٨- العصمة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، أحمد عبد اللطيف آل عبد اللطيف، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى.

٤٤٩- عفواً ممنوع دخول السلفية والسلفيين، أحمد فهمي، موقع عودة ودعوة.

٤٥٠- عقائد الإلحاد الوثنية عند السلفية الوهابية، محمد يوسف، دار بلال، ط١.

٤٥١- العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية، أحمد بن حجر آل بوطامي، ط١.

٤٥٢- عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها أو ينقصها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك، صالح بن فوزان الفوزان، دار العاصمة، الرياض، ط١.

٤٥٣- عقيدة السلف وأصحاب الحديث، للإمام الصابوني، ت: ناصر الجديع، دار العاصمة، الرياض، ط٢.

٤٥٤- عقيدة الشيعة: تاريخ الإسلام في ايران والعراق، دوايت م. دونلدسن، ترجمة ع. م.، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٤٥٥- العقيدة الطحاوية، للإمام الطحاوي، ت: عبدالعزيز بن باز، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.

٤٥٦- عقيدة الموحدين والرد على الضلال والمبتدعين، مجموعة من المصنفين، جمع: عبد الله بن سعدي الغامدي العبدلي، دار الطرفين، الطائف.

٤٥٧- العقيدة الواسطية، لابن تيمية، ت: أشرف عبد المقصود، دار أضواء السلف، ط٢.

٤٥٨- العقيدة الوهابية السامة، ضمن كتاب السعودية السلفية في الكتابات الغربية.

٤٥٩- عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن، حمود بن عبد الله التويجري، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢.

٤٦٠- العلاقات الأمريكية السعودية بعد زلزال سبتمبر، إعداد: محمد عبد العاطي موقع قناة الجزيرة الإخبارية، ملفات خاصة سبتمبر، عام على الزلزال.

٤٦١- العلاقات الدولية المعاصرة، د. محمد على، مكتبة الأنجلو المصرية.

٤٦٢- العلاقات السعودية الأمريكية بعد تقرير أحداث ٩/١١، موقع المسلم.

٤٦٣- العلاقة بين التشيع والتصوف -عرض ونقد-، فلاح بن اسماعيل مندكار، دار الإستقامة، ط١.

٤٦٤- العلاقة بين الصوفية والإمامية، زياد بن عبدالله الحمام، مركز البيان للبحوث والدراسات، ط١.

٤٦٥- علم الكلام والتأويل وأثرهما على العقيدة الإسلامية، إبراهيم بن محمد البريكان، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٦٨).

٤٦٦- علم الكلام والتعدّدية المذهبية - هل نظرية الإمامة من أصول الدين أم أصول المذهب الشيعي؟ محمد حسن قدردان قراملكي، موقع نصوص معاصرة، مركز البحوث المعاصرة في بيروت.

٤٦٧- علماء أهل الحديث في الهند وموقفهم من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب والدولة السعودية، أبو المكرم بن عبدالجليل، دار الكتاب والسنة، ط١.

٤٦٨- علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبد الله البسام، دار العاصمة، الرياض، ط٢.

٤٦٩- علماء ومفكرون عرفتهم، محمد المجذوب، دار الشواف، ط٤.

٤٧٠- علماؤنا، فهد البدراني وفهد البراك، مؤسسة الجريسي،الرياض، ط٢.

٤٧١- العلو للعلي الغفار وإيضاح صحيح الأخبار من سقيمها، للذهبي، ت: عبد الله البراك، دار الوطن، ط١.

٤٧٢- عنوان المجد في تاريخ نجد، لابن بشر، ت: عبد الرحمن آل الشيخ، دارة الملك عبدالعزيز، ط٤.

٤٧٣- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، محمد بن إبراهيم الوزير اليماني، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت. ط٣.

٤٧٤- العين والأثر في عقائد أهل الأثر، عبدالباقي بن عبدالباقي الأزهري البعلي، ت: محمد حسين الدمياطي، دار ابن القيم، ط١.

٤٧٥- غاية الأماني في الرد على النبهاني، محمود الألوسي، ت: الداني آل زهوي، دار الرشد، الرياض، ط١.

٤٧٦- غياث الامم في التياث الظلم، أبي المعالي الجويني، ت: عبد العظيم الديب، مكتبة إمام الحرمين، ط٢.

٤٧٧- فتاوى الأئمة النجدية في قضايا الأمة المصيرية، جمع: مدحت بن حسن آل فراج، مكتبة دار الرشد، الرياض، ط١.

٤٧٨- فتاوى السبكي، تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، دار المعارف المصرية.

٤٧٩- فتاوى محمد بن إبراهيم، جمع: محمد بن قاسم، ط٢.

٤٨٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، بتعليق: عبدالعزيز بن باز، دار الفكر، بيروت.

٤٨١- فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد، عبدالرحمن بن حسن، ت: الوليد الفريان، وزارة الشؤون الإسلامية، ط٤.

٤٨٢- فتح المنان في نقض شبه الضال دحلان، زيد بن محمد آل سليمان، ت: عبدالله بن زيد آل مسلم، التوحيد، ط١.

٤٨٣- فتنة الخلافة الداعشية العراقية المزعومة، عبدالمحسن العباد، موقع الشيخ بدالمحسن العباد.

٤٨٤- الفرق بين الجهاد والإرهاب، لمياء بنت سليمان الطويل، مجلة البحوث والإفتاء، العدد (٩٧).

٤٨٥- الفرق بين الفرق، للبغدادي، ت: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط١.

٤٨٦- فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، غالب عواجي، دار لينه، ط٣.

٤٨٧- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لابن تيمية، ت: عبد الرحمن اليحيى، دار طويق، ط١.

٤٨٨- الفروع وتصحيح الفروع، لابن مفلح - المرداوي، ت: عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١.

٤٨٩- الفروق، أحمد بن إدريس المالكي القرافي، عالم الكتب.

٤٩٠- فصل الخطاب في بيان عقيدة الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، د. أحمد بن عبدالكريم نجيب، مكتبة الصحابة، جدة.

٤٩١- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الأندلسي، دار الباز، ط١.

٤٩٢- الفضائيات الشيعية التبشيرية: دراسة وصفية مع تحليل محتوى قناة الكوثر الإيرانية، الهيثم زعفران، مركز التنوير للدراسات الإنسانية.

٤٩٣- فضل علم السلف على الخلف، لابن رجب، ت: علي بن حسن بن عبد الحميد، عمار، ط١.

٤٩٤- فقه الأسماء الحسنى، عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، دار التوحيد، ط٢.

٤٩٥- الفكر العربي في مائة سنة: دعوة حركة الإصلاح السلفي، ضمن بحوث مؤتمر هيئة الدراسات العربية عام ١٩٦٦م , الجامعة الأمريكية في بيروت, مطابع الدار الشرقية.

٤٩٦- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، عبدالحي بن عبدالكبير الكتاني، ت: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢.

٤٩٧- الفوائد البهية في تراجم الحنفية، محمد عبد الحى اللكنوى الهندي أبو الحسنات، ت: محمد بدر الدين أبو فراس النعماني، دار الكتاب الإسلامي، ط١.

٤٩٨- في نقد العقل السلفي: السلفية الوهابية في المغرب أنموذجا، منتصر حماده، المركز الثقافي العربي، ط١.

٤٩٩- القابلية للاستدعاش، عبدالسلام الوايل، موقع جريدة الحياة.

٥٠٠- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، لابن تيمية، ت: عبد القادر الأرناؤوط، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، ط١.

٥٠١- القاموس المحيط، للفيروز آبادي، ت: يوسف البقاعي، دار الفكر، بيروت.

٥٠٢- القدر المشترك في معاني الصفات بين أهل السنة ومخالفيهم، عبدالرحمن بن عايد القصير، رسالة ماجستير، بكلية أصول الدين، بجامعة الإمام محمد بن سعود.

٥٠٣- قضية التكفير بين أهل السنة والجماعة وأهل التكفير، سعيد بن وهف القحطاني، مؤسسة الجريسي، ط١.

٥٠٤- القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب، محمد السلومي، دار البيان، ط٢.
٥٠٥- قلب الجزيرة العربية، فؤاد حمزة، مكتبة الثقافة الدينية، ط١.
٥٠٦- قواعد ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن رجب، دار الكتب العلمية.
٥٠٧- قواعد الأحكام في مصالح الأنام المعروف بالقواعد الكبرى، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، ت: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
٥٠٨- القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن، عبدالرحمن السعدي.
٥٠٩- القواعد العشر في الولاء والبراء، ناصر بن يحيى الحنيني، موقع صيد الفوائد.
٥١٠- القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف، إبراهيم البريكان، دار الهجرة، ط١.
٥١١- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد ابن عثيمين، ت: أشرف عبد المقصود، دار السنة، ط٢.
٥١٢- القول الحق في بيروت ودمشق، عبد الرحمن بك سامي، دار الرائد العربي.
٥١٣- القول المبين في حكم المعاملة بين الأجانب والمسلمين ، محمد حسنين مخلوف ، تحقيق حسن أبو الأشبال ، مكتبة الحرمين للعلوم النافعة ، القاهرة.
٥١٤- القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد ابن عثيمين، دار ابن الجوزي، ط٢.
٥١٥- الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، لابن القيم، ت: عبد الله العمير، دار ابن خزيمة، ط١.
٥١٦- كتاب اعتقاد الإمام المنبل أبي عبدالله أحمد بن حنبل، أبي الفضل عبدالواحد بن عبدالعزيز التيمي، ت: النقاش أشرف صلاح علي، دار الكتب العلمية، ط١.
٥١٧- كتاب الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلاّم، ت: خليل محمد هراس، دار الفكر.
٥١٨- كتاب الإيمان: معالمه وسننه وأحكامه ودرجاته، لأبي عبيد القاسم بن سلام، ت: محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف، الرياض، ط١.
٥١٩- كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، الإمام محمد بن عبد الوهاب، وزارة الشؤون الإسلامية.

٥٢٠- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ، لابن خزيمة، ت: عبد العزيز الشهوان، دار الرشد، الرياض، ط١.

٥٢١- كتاب التوحيد، لابن مندة، ت: علي الفقيهي، دار الغرباء، المدينة، ط٢.

٥٢٢- كتاب الرد على المنطقيين المسمى نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان، لابن تيمية، ت: عبدالصمد شرف الدين الكتبي، دار الريان، ط١.

٥٢٣- كتاب الصفدية، لابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، دار الفضيلة ط١.

٥٢٤- الكتاب، سيبويه، ت: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت.

٥٢٥- كتابة التاريخ في المملكة العربية السعودية - العولمة والدولة في الشرق الأوسط -، يورك ماتياس ديترمان، ترجمة: عبدالله بن إبراهيم العسكر، دار جداول، ط١.

٥٢٦- كرامات الأولياء: دراسة عقدية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، عبدالله بن عبدالعزيز العنقري، دار الإيمان، ط١.

٥٢٧- كشاف القناع على متن الإقناع، منصور البهوتي، ت: إبراهيم عبدالحميد، دار عالم الكتب.

٥٢٨- كشف الأسرار، للخميني، ترجمة: محمد البنداري، دار عمّار، ط٣.

٥٢٩- كشف الشبهات، محمد بن عبد الوهاب، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، ط١.

٥٣٠- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون حاجي خليفة، دار الفكر، بيروت.

٥٣١- كشف العلاقة المريبة بين الشيعة الرافضة وحزب الإخوان المسلمين، أبي عبد الأعلى ابن عثمان المصري، دار علم السلف، ط٢.

٥٣٢- الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، لابن رشد، ت: محمود قاسم.

٥٣٣- كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار، أبي بكر الحسيني الحصيني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١.

٥٣٤- كفى تفريقاً للأمة باسم السلف، د.عبد الله كامل، دار المصطفى.

٥٣٥- الكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة لا إله إلا الله، سعيد بن حجي، ت: عبدالله آل مسلم، دار التوحيد، ط١.

٥٣٦- كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، لابن رجب، ت: محمد العمري، ط١، ضمن الجامع المنتخب من رسائل ابن رجب.

٥٣٧- الكليات، لأبي البقاء الكفوي، ت: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢.

٥٣٨- كنز الراغبين شرح منهاج الطالبين، جلال الدين محمد بن أحمد بن إبراهيم المحلي، ت: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١.

٥٣٩- الكواشف الجلية عن معاني الواسطية لابن تيمية، عبد العزيز السلمان، ط١٩.

٥٤٠- الكوثري وتعديه على التراث وبيان حاله في مؤلفاته وتعليقاته لمجموعة من العلماء، دار الحرمين، القاهرة، ط١.

٥٤١- لا ذرائع لهدم آثار النبوة: مقالات وردود بين المؤيدين والمعارضين، عمر عبدالله كامل، دار بيسان، ط١.

٥٤٢- لسان العرب، لابن منظور، ت: عبدالله الكبير وآخرون، دار المعارف المصرية.

٥٤٣- لسان الميزان، لابن حجر، دائرة المعارف العثمانية، الهند.

٥٤٤- لماذا تحاكم السلفية في شمال إفرقيا؟، محمد بلقاسم جلالي، الدار المتوسطة للنشر، تونس، ط١.

٥٤٥- لماذا يحمل الغرب صورة مشوهة عن المرأة السعودية، ضمن بحوث نشرت في كتاب السعوديون والإرهاب رؤى عالمية.

٥٤٦- اللمز الجلي والخفي لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، عبدالعزيز ال عبداللطيف، موقع الألوكة.

٥٤٧- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، لابن قدامة، ت: عبد القادر بن بدران، دار البيان، دمشق، ط٢.

٥٤٨- لن يقُضى على دواعش الداخل إلا بقطع رأس الأفعى، حسناء القنيعير، موقع جريدة الرياض.

٥٤٩- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية، محمد السفاريني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣.

٥٥٠- لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية، محمد السفاريني، ت: عبد الله البصيري، دار الرشد، الرياض، ط٢.

٥٥١- اللوبي الصهيوني في أمريكا والحملات المغرضة ضد السعودية، ضمن بحوث نشرت في كتاب السعوديون والإرهاب رؤى عالمية.

٥٥٢- ليس من العقيدة - قراءة لبعض القضايا التي أدخلت في العقيدة وليست منها-، عبدالله بن سليمان العتيق، دار كلمات للنشر والتوزيع، ط١.

٥٥٣- ما معنى الإسلام السياسي، صالح الكرباسي، موقع الإشعاع الإسلامي للبحوث والدراسات الإسلامية.

٥٥٤- ما هي أهم الكتب والأدبيات التي يستند إليها تنظيم الدولة، محمد العرسان، موقع عربي ٢١.

٥٥٥- مآثر الإنافة في معالم الخلافة، أحمد بن عبد الله القلقشندي، ت: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ط٢.

٥٥٦- ماذا يحدث في مركز نيكسون؟ التخطيط للانحراف بالصوفية إلى منزلق الفكر الغربي لضرب الإسلام، فهدة آل سعود، جريدة عكاظ، ذو القعدة/ ١٤٢٤هـ.

٥٥٧- مباحث في العذر بالجهل وإقامة الحجة، ويليه الأجوبة الوفية عن الأسئلة الزكية، ويليه نظرات في الدعوة النجدية، الحسن بن علي الكتاني، دار الحديث الكتانية، المغرب، ط١.

٥٥٨- المبسوط، السرخسي، دار المعرفة، بيروت.

٥٥٩- المبين في شرح معاني الفاظ الحكماء والمتكلمين، الآمدي، عبدالأمير الأعسم، دار المناهل، ط١.

٥٦٠- متاهة الحاكمية: أخطاء الجهاديين في فهم ابن تيمية، هاني نسيرة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١.

٥٦١- متشابه القرآن، القاضي عبدالجبار، ت: عدنان زرزور، دار التراث الأزهرية.

٥٦٢- المتشددون منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم، علي جمعة، دار المقطم، ط١.

٥٦٣- المتممة لكلام أئمة الدعوة في مسالة الجهل في الشرك الأكبر، علي بن خضير الخضير.

٥٦٤- مجاز القران، أبي عبيدة معمر بن المثنى، ت: محمد فؤاد سزكين، دار الخانجي.

٥٦٥- المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري، عبدالمتعال الصعيدى، مكتبة الآداب، ط١.

٥٦٦- المجلى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى للعلامة محمد صالح العثيمين، كاملة بنت محمد الكواري، دار ابن حزم، ط١.

٥٦٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ت: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة.

٥٦٨- المجمل والمبين في القرآن، عمر يوسف حمزة، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى

٥٦٩- المجمل ودلالته على الأحكام، ساتريا أفندي زين، رسالة ماجستير بجامعة الملك عبدالعزيز.

٥٧٠- مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن قاسم، عالم الكتب.

٥٧١- مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد ابن عثيمين، جمع: فهد السليمان، دار الثريا، ط٢.

٥٧٢- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز، جمع: محمد الشويعر، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، ط٣.

٥٧٣- مجموعة الرسائل المنيرية، لمجموعة من المؤلفين، ت: محمد منير الدمشقي، المطبعة المنيرية.

٥٧٤- مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، لبعض علماء نجد الأعلام، دار العاصمة، الرياض، ط٣.

٥٧٥- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، حمد حميد الله، دار النفائس، ط٦.

٥٧٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

٥٧٧- المحلى، لابن حزم، ت: أحمد محمد شاكر، المطبعة المنيرية.

٥٧٨- محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه، مسعود الندوي، ترجمة: عبدالعليم البستوي، وزارة الشؤون الإسلامية.

٥٧٩- محمد بن عبدالوهاب، أحمد عبدالغفور عطار، مكتبة العرفان، ط٢.

٥٨٠- المحنة العربية الدولة ضد الأمة، برهان غليون، مركز دراسات الوحدة العربية، الدوحة.

٥٨١- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية، محمد بن الموصلي، ت: طه عبدالرزق سعد، دار الفيصلية.

٥٨٢- مختصر العلو للعلي العظيم، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، اختصار: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢.

٥٨٣- مختصر تفسير البغوي، عبدالله الزيد، دار السلام، الرياض، ط٥.

٥٨٤- المختصر في أصول الفقه، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ابن اللحام، ت: محمد مظهربقا، جامعة الملك عبد العزيز.

٥٨٥- مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، ت: محمد حامد الفقي، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء.

٥٨٦- مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ، حمد الجاسر، دار اليمامة.

٥٨٧- مراجعات للوهابية: التكفير بين الديني والسياسي، خالد الدخيل، موقع جريدة الحياة.

٥٨٨- مراجعة نقدية لكتاب الفكر السياسي الوهابي، خالد القرني، ضمن مجلة التأصيل، العدد (٢)، شوال ١٤٣١هـ.

٥٨٩- مراحل الحياة في الفترة المظلمة ومابعدها، محمد رؤوف السيد طه.

٥٩٠- مساءلة الدولة السعودية: أصوات إسلامية من الجيل الجديد، مضاوي الرشيد، دار الساقي، بيروت، ط٢.

٥٩١- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، سعاد ماهر محمد، مكتبة الادآب، ط٢.

٥٩٢- مسألة حلول الحوادث في ضوء منهج السلف، د. خالد بن عبدالعزيز السيف، ضمن مجلة الدراسات العقدية، العدد (١٧).

٥٩٣- المسامرة شرح المسايرة في علم الكلام، كمال الدين ابن أبي شريف بن الهمام، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط٢.

٥٩٤- مسائل الاعتقاد عند علماء نجد قبل الدعوة الإصلاحية، عبدالعزيز آل عبداللطيف، موقع الشيخ عبدالعزيز آل عبد اللطيف.

٥٩٥- مسائل الفروع الواردة في مسائل العقيدة، عبدالعزيز ال عبداللطيف، دار الوطن، ط١

٥٩٦- المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة، عبد الإله الأحمدي، دار طيبة، ط٢.

٥٩٧- المستدرك على الصحيحين في الحديث وفي ذيله تلخيص المستدرك، للحاكم النيسابوري- الذهبي، دار الفكر، بيروت.

٥٩٨- مسند ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم العبسي، ت: عادل العزازي و أحمد المزيدي، دار الوطن، ط١.

٥٩٩- مسند الإمام أحمد، ت: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١.

٦٠٠- مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبد الرحمن آل الشيخ، دار اليمامة، ط٢.

٦٠١- المشروع الإيراني الصفوي الفارسي مقدماته -أخطاره - وسائل التصدي له، محمد بسام يوسف، ط٣.

٦٠٢- المشروع الإيراني في المنطقة العربية الإسلامية، مجموعة من الباحثين، تقديم: عبدالله النفيسي - عبدالله الطنطاوي، دار البشير، ط٣.

٦٠٣- مشكلة التطرف ومكافحة الإرهاب، محمد عبدالدايم وسعيد بوعلتين، موقع الارهاب الدراسات الدولية والدبلوماسية.

٦٠٤- المصادر المتعلقة بالمفاهيم الأمريكية حول الإسلام والإرهاب، ضمن بحوث نشرت في كتاب السعوديون والإرهاب رؤى عالمية.

٦٠٥- مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام، عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن، ت: عبدالعزيز الحمد، وزارة الشؤون الإسلامية، ط١.

٦٠٦- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبي العباس أحمد المقري الفيومي، ت: عادل مرشد، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.

٦٠٧- مصداقية السياسة الخارجية السعودية في مكافحة الإرهاب، عبد الله أحمد الشبانه، رسالة ماجستير بالجامعة الأردنية، ٢٠٠٥.

٦٠٨- مصطلحات في كتب العقائد -دراسة وتحليل-، محمد الحمد، دار ابن خزيمة ط١.

٦٠٩- مصفوفة المنطلقات الفكرية للغلاة ودعاة العنف، عثمان أحمد القميحي، دار اليسر، ط١.

٦١٠- المطالب العالية من العلم الإلهي، فخر الدين الرازي، ت: أحمد حجازي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١.

٦١١- مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى بن سعد بن عبده السيوطي الرحيبانى، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢.

٦١٢- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، حافظ الحكمي، ت: عمر أبو عمر، دار ابن القيم، ط٣.

٦١٣- معالم الخلافة في الفكر السياسي الإسلامي، محمود الخالدي، دار الجيل، بيروت، ط١.

٦١٤- معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة، عبد السلام بن برجس ال عبدالكريم، دار السلف، ط٤.

٦١٥- معاني القرآن، للفراء، ت: أحمد نجاتي وعلي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٣.

٦١٦- المعاول التيميّة على القواعد الداعشيّة (١-٥)، بدر العامر، موقع صيد الفوائد.

٦١٧- المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، عواد المعتق، دار الرشد، الرياض، ط٣.

٦١٨- المعتزلة، زهدي جار الله، الأزهرية، القاهرة.

٦١٩- معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، محمد بن خليفة التميمي، أضواء السلف، الرياض، ط١.

٦٢٠- المعتمد في أصول الفقه، محمد بن علي الطيب أبو الحسين البَصْري، ت: خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

٦٢١- معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط٢.

٦٢٢- المعجم الفلسفي، جميل صليبيا، دار الكتاب اللبناني، ط١.

٦٢٣- المعجم الكبير لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط١.

٦٢٤- المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، سليمان بن أحمد اللخمي، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢.

٦٢٥- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، دار عالم الكتب، ط١.

٦٢٦- معجم المناهي اللفظية ويليه فوائد في الألفاظ، بكر أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط٣.

٦٢٧- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي.

٦٢٨- المعجم الوسيط، شعبان عطية وأحمد حسين وجمال حلمي وعبدالعزيز النجار، دار الشروق الدولية، ط١.

٦٢٩- معجم ما ألفه علماء الأمة الإسلامية للرد على خرافات الدعوة الوهابية، اعداد وتنظيم: السيد عبدالله محمد علي، ضمن مجلة تراثنا، العدد (١٧).

٦٣٠- المعلوم من واجب العلاقة بين الحاكم والمحكوم، عبدالعزيز ابن باز.

٦٣١- معيار العلم في فن المنطق، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ت: سليمان دنيا، دار المعارف، مصر.

٦٣٢- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، أحمد بن يحي الونشريسي، إشراف محمد حجي، دار صادر.

٦٣٣- مغالطات السلفية في شرحهم النصوص وتلبيسهم على المسلمين في العقائد والأحكام وخطورتهم على الإسلام والمسلمين والدعوة العالمية، محمد باسم دهمان، ط١.

٦٣٤- المغرب الكبير في العصر الإسلامي، عبدالعزيز سالم، مؤسسة شباب الجامعة.

٦٣٥- مغني المحتاج الى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، محمد الخطيب الشربيني، دار الفكر، بيروت.

٦٣٦- المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار، ت: أحمد الأهواني وآخرون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر والترجمة والنشر، القاهرة.

٦٣٧- المغني، لابن قدامة، ت: عبدالله التركي وعبدالفتاح الحلو، عالم الكتب، ط٤.

٦٣٨- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣.

٦٣٩- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن القيم، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.

٦٤٠- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ت: صفوان داودي، دار القلم، دمشق.

٦٤١- مفهوم الإرهاب في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي، علي بن عبدالله العميريني، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ط١.

٦٤٢- مفهوم الدولة في مقالات الإسلاميين، ضمن كتاب كيف ينظر الإسلاميون إلى بعضهم، مجموعة باحثين، دار مدارك للنشر والتوزيع، دبي.

٦٤٣- مفهوم الولاء والبراء ضمن كتاب الندوة العلمية "حكم الشرع في دعاوى الإرهاب" المنعقدة بالدار البيضاء.

٦٤٤- مفهوم الولاء والبراء، عبدالرحمن بن معلا اللويحق، موقع الألوكة.

٦٤٥- مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد، محمد بن عبد الوهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود.

٦٤٦- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي الأشعري، ت: هلموت ريتر، إحياء التراث العربي، ط٣.

٦٤٧- المقالات السنية في كشف ضلالات أحمد ابن تيمية، عبدالله الهرري، شركة دار المشاريع، ط٩.

٦٤٨- مقالات مختارة في المذاهب والأفكار السائرة في العصر الحديث، عبدالله بن خلف السبت، ط١.

٦٤٩- مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها، جابر بن إدريس بن علي أمير، دار أضواء السلف، ط١.

٦٥٠- مقاييس اللغة، لابن فارس، ت: عبدالسلام هارون، دار الجيل.

٦٥١- مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع، د.ناصر العقل، دار الوطن، ط٢.

٦٥٢- مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، على عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، ط٢.

٦٥٣- المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف، لابن قدامة- المرداوي، ت: عبدالله التركي، هجر، ط١.

٦٥٤- ملاحظات على البدو والوهابيين، جون لويس بوركهارات، عبدالله الصالح العثيمين، دارة الملك عبدالعزيز.

٦٥٥- الملل والنحل، للشهرستاني، ت: محمد فتح الله بدران، دار أضواء السلف، ط١.

٦٥٦- المملكة العربية السعودية من هم الإسلاميون؟ تقرير المجموعة الدولية لمعالجة الأزمات عن الشرق الأوسط، موقع إسلام ديلي.

٦٥٧- مملكة الكراهية - كيف دعمت العربية السعودية الإرهاب العالمي-، دور غولد، ترجمة: محمد جليد، منشورات الجمل، ط١.

٦٥٨- المملكة في مواجهة الإرهاب مواقف وإنجازات، وزراة الإعلام، ط١.

٦٥٩- من أعلام المجددين، صالح بن فوزان الفوزان، دار المؤيد، الرياض، ط١.

٦٦٠- من الخروج على الخلافة العثمانية إلى الحزبية ومنافسة ولي الأمر، السلفيون والعمل السياسي.. مخاضات التحول الكبير، موقع المصدر أون لاين.

٦٦١- مَنْ مؤلف كتاب: كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب؟، محمد خير البقاعي، ضمن مجلة الدارة العدد (٣) رجب ١٤٢٨هـ.

٦٦٢- من هم أهل السنة والجماعة: وموضع الأشاعرة والماتريدية والصوفية والسلفية المعاصرة منه، علي حامد علي خليفة، دار الإمام الرازي، ط٢.

٦٦٣- مناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي، ت: عبدالله التركي، دار هجر، ط٢.

٦٦٤- مناقب الشافعي، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ت: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١.

٦٦٥- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية.

٦٦٦- منح الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن أحمد بن محمد عليش، دار الفكر، بيروت.

٦٦٧- منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس، السيد محمود شكري الألوسي، دار أضواء السلف، ط١.

٦٦٨- منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١.

٦٦٩- منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع، سيلمان بن سحمان، ت: عبد السلام بن برجس ال عبدالكريم، الفرقان، ط١.

٦٧٠- المنهاج في شعب الإيمان، الحسين بن الحسن الحليمي، ت: حلمي فوده، دار الفكر، بيروت، ط١.

٦٧١- منهج الأشاعرة في العقيدة: تعقيب على مقالات الصابوني، سفر الحوالي، الدار السلفية، ط١.

٦٧٢- منهج الإمام محمد بن عبدالوهاب في التكفير، فهد الفهيد وأحمد الرضيمان، موقع السكينة.

٦٧٣- منهج الإمام محمد بن عبدالوهاب في مسألة التكفير، أحمد بن هزاع الرضيمان، دار الفضيلة، ط١.

٦٧٤- منهج الشيخ العربي التباني في نقد الدرس العقدي، الكرد أحمد، مذكرة مقدمة لنيل رسالة الماجستير بجامعة الجزائر.

٦٧٥- منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين، أحمد بن علي الزاملي عسيري، رسالة ماجستير بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٦٧٦- منهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب في العقيدة، محاضرة صوتية للشيخ صالح آل الشيخ.

٦٧٧- المنهج الفقهي لأئمة الدعوة السلفية بنجد، صلاح بن محمد آل الشيخ، دار الصميعي، الرياض، ط١.

٦٧٨- المنهج القويم في اختصار اقتضاء الصراط المستقيم، محمد بن علي البعلي، ت: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، ط١.

٦٧٩- منهج أهل السنة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى، خالد بن عبد اللطيف بن محمد نور، مكتبة الغرباء الأثرية، ط١.

٦٨٠- منهج أئمة الدعوة في نجد في توحيد الأسماء والصفات من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى آخر القرن الرابع عشر الهجري، رياض بن حمد العمري، رسالة ماجستير بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود.

٦٨١- منهج شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب في التأليف، عبدالمحسن العباد، دار المغني، ط١.

٦٨٢- المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، عبدالعظيم محمود الديب، كتاب الأمة، قطر، ط١.

٦٨٣- منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، محمد الأمين الشنقيطي، الدار السلفية، الكويت، ط٤.

٦٨٤- مواجهة المد الإسلامي السني عبر بوابة التصوف الشيعي بمصر، مدونة الدكتور عمادالدين عباس.

٦٨٥- مواد لتاريخ الوهابيين، جوهان لودفيج بوركهارت، ترجمة عبدالله الصالح العثيمين. دارة الملك عبد العزيز، ط١.

٦٨٦- الموافقات في أصول الشريعة، للشاطبي، ت: عبدالله دراز، دار المعرفة، بيروت.

٦٨٧- مواقف المستشرقين من دعو الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية، عبدالله بن عمر الدميجي، دار الفضيلة، ط١.

٦٨٨- المواقف في علم الكلام، عبدالرحمن الايجي، ت:عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت, ط١.

٦٨٩- مؤتمر في لندن يطالب بكشف «التأويلات الباطلة لعقيدة الولاء والبراء»، موقع جريدة الشرق الأوسط.

٦٩٠- موجز لتاريخ الوهابي، السيرهارفرد جونز بريدجز، ترجمة: عويضة الجهني، دارة الملك عبدالعزيز.

٦٩١- مؤسسة البحث والتطوير (راند) وموقفها من الدعوة الإسلامية، عبدالله بن محمد المديفر، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط١.

٦٩٢- موسوعة السياسة، عبدالوهاب الكيالي، الموسوعة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

٦٩٣- الموسوعة العربية العالمية، مجموعة من العلماء والباحثين، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط١.

٦٩٤- الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت، ط٦.

٦٩٥- موسوعة علم السياسية، ناظم محمد الجاسور، دار مجدلاوي للطباعة والنشر، الأردن، ط١.

٦٩٦- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي التهانوي، ت: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١.

٦٩٧- موسوعة ويكيبيديا.

٦٩٨- الموطأ برواية يحيى الليثي القرطبي، الإمام مالك، دار الفكر، بيروت.

٦٩٩- موقع الإمام محمد بن عبدالوهاب.

٧٠٠- موقع الموسوعة العربية.
٧٠١- موقف ابن تيمية من الأشاعرة، عبد الرحمن المحمود، دار الرشد، الرياض، ط٢.
٧٠٢- موقف الرازي من مسائل الأسماء والأحكام عرض ونقد، إيلاف بنت يحيى إمام، مكتبة الإمام البخاري، ط١.
٧٠٣- موقف العلماء في الدولتين السعوديتين الأولى والثانية من الحملات العثمانية، سعود بن تركي التركي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى.
٧٠٤- موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة، سليمان الغصن، دار العاصمة، الرياض، ط١.
٧٠٥- موقف المستشرقين من الافتراق والفرق الخوارج والشيعه الإثني عشرية، مسفر بن سعيد بن علي سلوم، ط١.
٧٠٦- موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب، سليمان بن عبدالله أبا الخيل، دار العاصمة، ط٢.
٧٠٧- موقف دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من المذاهب الفقهية الأربعة، سليمان الخراشي، شبكة الدفاع عن السنة.
٧٠٨- موقف سليمان بن سحيم من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عبد الله العثيمين، ضمن بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة السعودية، ط١.
٧٠٩- مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ت: عبدالعزيز الرومي ومحمد بلتاجي وسيد حجاب، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود، ط٢.
٧١٠- مؤلفات إمام الدعوة السلفية وأبنائه وأحفاده حتى ١٣٢٩هـ، عبدالرحمن بن عبدالله آل الشيخ، دار الرشد، الرياض ط١.
٧١١- النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين، حمد بن ناصر آل معمر، ت: عبدالسلام بن برجس ال عبدالكريم، وزارة الشؤون الإسلامية.
٧١٢- نبذة نفيسة عن حقيقة دعوة الإمام المصلح محمد بن عبد الوهاب، عبد الرحمن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، دار غراس، الكويت، ط١.

٧١٣- النبوات، ابن تيمية، ت: عبدالعزيز الطويان، أضواء السلف، الرياض، ط١.

٧١٤- نجاة الخلف في اعتقاد السلف، لابن قائد النجدي، ت: أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام، القاهرة، ط١.

٧١٥- نجد أرض الزلازل والفتن، أحمد محمد آل محمود، موقع منتدى الأزهريين/ الحوارات الإسلامية.

٧١٦- نجد ودعوى قرن الشيطان، خالد بن محمد الشنير مدار الوطن، الرياض، ط١.

٧١٧- نحن والإرهاب: مقاربات أولية لظاهرة الإرهاب الديني، محمد علي المحمود، مؤسسة الإنتشار العربي، ط١.

٧١٨- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، ط١٥.

٧١٩- النزعة التكفيرية في فكر الوهابية، د. اليماني الفخراني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١.

٧٢٠- نشأة الأشاعرة وتطورها، جلال محمد عبد الحميد موسى، دار الكتاب اللبناني ط١.

٧٢١- النظرية السياسية عند ابن تيمية، حسن كوناكاتا، دار الأخلاء، مركز الدراسات والإعلام.

٧٢٢- النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل، محمد كمال الدين بن محمد الغزي العامري، ت: محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دار الفكر المعاصر، بيروت.

٧٢٣- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن المقري التلمساني، إحسان عباس، دار صادر، ط٢.

٧٢٤- النفوذ الإيراني في المنطقة العربية على ضوء التحولات في السياسة الأمريكية تجاه المنطقة ٢٠٠٣-٢٠١١، ممدوح بريك محمد الجازي، دار الأكاديميون، ط١.

٧٢٥- النفي في باب صفات الله ﷻ بين أهل السنة والمعطلة، أزرقي بن محمد سعيداني ، دار المنهاج، ط١.

٧٢٦- النقد الذاتي عند الإسلاميين: (١) التيارات القتالية، محمد توفيق، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط١.

٧٢٧- نقد العقل الجهادي، زهير الذوادي، دار آفاق التونسية.

٧٢٨- نقد كتاب ضوابط التكفير المعين عند شيخي الإسلام ابن تيمية ومحمد بن عبدالوهاب وعلماء الدعوة الإصلاحية لمؤلفه أبي العلا راشد أبو العلا الراشد، لأبي بكر رعد عبدالعزيز النعيمي البغدادي، دار الكتب الأثرية، ط١.

٧٢٩- نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله ﷻ من التوحيد، أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ت: رشيد بن حسن الألمعي، ط١. ونسخة أخرى، ت: أبو عاصم الشوامي، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة.

٧٣٠- نقض الدعاوى الكيدية حول انتماء الإمام لطعن الدعوة التجديدية، علي بن عبدالله النمي، ط١.

٧٣١- نقض الرسالة التدمرية، سعيد فودة، دار الرازي، عمان، ط١.

٧٣٢- نقض الوهابية، أحمد راسم النفيس، الدار المحروسة، ط١.

٧٣٣- نقض قواعد التشبيه من أقوال السلف ممن قالوا بالإمرار والتفويض والتنزيه، عمر عبد الله كامل، دار المصطفى.

٧٣٤- نهاية الإقدام في علم الكلام، محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، ت: أحمد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

٧٣٥- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ت: محمود الطناحي وطاهر الزاوي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٣٦- النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، محمد النجدي، مكتبة الذهبي، الكويت، ط٥.

٧٣٧- النهضات الحديثه في جزيرة العرب في المملكة العربية السعوديه، محمد عبدالله ماضي، دار إحياء التراث العربي، ط٢.

٧٣٨- النوازل الجديدة الكبرى فيما لأهل فاس وغيرهم من البدو والقرى، المسماة: المعيار الجديد الجامع المعرب عن فتاوى المتأخرين من علماء المغرب، أبو عيسى سيدي المهدي الوزاني، ت: عمر بن عباد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط١.

٧٣٩- النوازل الصغرى، المسماة: المنح السامية في النوازل الفقهية، أبو عبدالله سيدي محمد المهدي الوزاني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط١.

٧٤٠- نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، محمد الوهيبي، دار المسلم، ط٢.

٧٤١- نواقض الإيمان القولية والعملية، عبد العزيز العبد اللطيف، دار الوطن، ط٢.

٧٤٢- هداية الطريق من رسائل وفتاوى الشيخ حمد بن عتيق، ت: إسماعيل بن سعد بن عتيق، دار الهداية، الرياض.

٧٤٣- الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية لجميع إخواننا الموحدين من أهل الملة الحنيفية والطريقة المحمدية، سليمان بن سحمان، ت: محمد رشيد رضا، دار النهضة.

٧٤٤- هل صار الولاء والبراء محرجاً؟، عبدالعزيز ال عبداللطيف، موقع طريق الإسلام.

٧٤٥- هل كانت الدولة الأموية الخطأ الاساس في السياسة الدينية؟، عبدالجبار العبيدي، موقع إيلاف المغرب.

٧٤٦- هل يعقل أن الشرك كان موجوداً في بلاد نجدٍ قبل الشيخ محمد بن عبدالوهاب، بندر الشويقي، شبكة الدفاع عن السنة.

٧٤٧- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل الصفدي، ت: هلموت ريتر، ط٢.

٧٤٨- الوثائق التامرية على الدول العربية الإسلامية، أبي نصر محمد بن عبدالله الإمام، أضواء السلف المصرية، ط١.

٧٤٩- وجاء دور المجوس أحوال السنة في إيران، عبد الله الغريب، ط١.

٧٥٠- وسطية أهل السنة بين الفرق، محمد باكريم باعبدالله، مكتبة العلوم والحكم، ط١.

٧٥١- وسطية أهل السنة والجماعة وأثرها في علاج الغلو، علي بن عبد العزيز الشبل، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٧٧).

٧٥٢- الوعي الدارئ: الخوارج – الليبرالية – المرجئة، سليمان بن ضيف الله اليوسف، ط١.

٧٥٣- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن خلكان، ت: إحسان عباس، دار صادر.

٧٥٤- الولاء والبراء بين الغلو والجفاء، الشريف حاتم بن عارف العوني، دار أروقة، ط٢.

٧٥٥- الولاء والبراء في الإسلام، صالح بن فوزان الفوزان، دار العاصمة، الرياض، ٢

٧٥٦- الولاء والبراء في الإسلام، محمد بن سعيد القحطاني، دار طيبة، ط٣.

٧٥٧- الولاء والبراء.. انحرافات الفهم والتأويل، موقع بوابة الحركات الإسلامية.

٧٥٨- الولايات المتحدة الأمريكية والخليج العربي، محمد محمود الطناحي، دار النوادر اللبنانية، ط١.

٧٥٩- وهابي خارج الدائرة، يوسف بن عبدالله الرشيدي، دار مدارك، ط٣.

٧٦٠- الوهابية أرجحة المصطلح بين الحالة المذهبية والتمذهب، ميقات الراجحي، دار طوى، لندن.

٧٦١- الوهابية بين الشرك وتصدع القبيلة، خالد الدخيل، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط٢.

٧٦٢- الوهابية تهدف للقضاء على بذور الشرك والوثنية، جمال المراكبي، موقع جريدة الشرق الأوسط.

٧٦٣- الوهابية دعوة سلفية لا مذهبية، د. إبراهيم بن ناصر الحمود، موقع جريدة الجزيرة.

٧٦٤- الوهابية دين سعودي جديد: كشف المستور في تاريخ نجد المبتور، سعود بن عبدالرحمن السبعاني، شمس للنشر والإعلام، القاهرة، ط٢.

٧٦٥- الوهابية والسلفية الأفكار والآثار - مجموعة من الأوراق البحثية، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١.

٧٦٦- الوهابية والسلفية الجهادية: مقدمة في إشكالية العلاقة، سمير الحمادي، موقع صحيفة التقرير.

٧٦٧- الوهابية وزعيمها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حسن عبد الله آل الشيخ، مجلة العربي، العدد (١٤٧).

٧٦٨- الوهابية: مقالة نقدية، حامد ألكار عباس، ترجمة: خضير كاظم، منشورات الجمل، ط١.

٧٦٩- الوهابية، المرجعية الأولى للفكر التكفيري وكره الآخر، فؤاد إبراهيم، أرشيف موقع قناة المنار.

٧٧٠- الوهابية وتصدير الإرهاب، د.عبدالرحمن الزنيدي، ضمن بحوث صدرت في كتاب السعوديون والإرهاب رؤى عالمية.

فهرس الموضوعات



المملكة العربية السعودية

جامعة الملك سعود

كلية التربية

قسم الدراسات الإسلامية

شعبة (العقيدة)

إجازة رسالة دراسات عليا

عنوان الرسالة

الدعاوى المعاصرة المناوئة لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله عرضاً ونقداً

بحث مقدم استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه

(العقيدة)

إعداد الطالب/عبد المجيد بن محمد الوعلان

نوقشت هذه الرسالة في يوم الثلاثاء الموافق١٥/٨/١٤٣٩هـ

وتم إجازتها

أعضاء لجنة المناقشة :	صفة العضوية	التوقيع
١- أ.د/محمد بن عبدالله السحيم	مقرراً	
٢- أ.د/ناصر بن عبدالكريم العقل	عضواً	
٣- د/سعود بن سلمان آل سعود	عضواً	
٤- أ.د/عبدالله بن صالح البراك	عضواً	
٥- د/سعد بن فلاح العريفي	عضواً	



العام الجامعي ١٤٣٨/١٤٣٩هـ

الفصل الثاني